

نَبْعُ مَرِيمَ

وادي النطرون في كتابات الرحالة
من القرن الرابع الميلادي حتى القرن
العشرين الميلادي

الطبعة الأولى

١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م

تنبيه

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو اختزال مادته بطريقة الاسترجاع أو نقله على أي نحو أو بأي طريقة سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية أو بالتصوير أو بالتسجيل أو خلاف ذلك إلا بموافقة المؤلف والناشر على هذا كتابة ومقدمًا.

رقم الإيداع

٢٠١٨/٢٠٠٣

بطاقة فهرسة

إسرائيل ، ماجد عزت
وادي النطرون في كتابات الرحالة من القرن الرابع
الميلادي وحتى القرن العشرين الميلادي/ تأليف: ماجد
عزت إسرائيل، ط ١ - القاهرة: دار غراب للنشر
والتوزيع: ٢٠١٨

٦٠٠ صفحة؛ ١٧ x ٢١ سم

تدمك: ٤-١٥٦-٧٨٦-٩٧٧-٩٧٨

١- وادي النطرون- وصف ورحلات

٢- الرهبة

٣- الأديرة - مصر

أ - العنوان

٩١٦, ٢١٣



دار غراب للنشر والتوزيع

٨ عمارات الواحة - قطعة ١٠

مدينة نصر - القاهرة

ت: ٠١١١٠٣٧١٦٤٠

info@ghorabpublishing.com

تصميم الغلاف

مارك ماجد

التدقيق اللغوي

خالد رجب عواد

التنسيق الداخلي

أحمد البسيوني

نَبْعُ مَرِيمَ

وادي النطرون في كتابات الرحالة
من القرن الرابع الميلادي حتى القرن العشرين الميلادي

دكتور

ماجد عزت إسرائيل

تقديم

د. إستيفان راخموط

د. بيتر جران

د. عاصم الدسوقي

المحتويات

الصفحة	الموضوع
٩	الإهداء
١٣	تقديم: بقلم دكتور عاصم الدسوقي
١٥	تقديم: بقلم دكتور بيتر جران
١٧	تقديم: بقلم دكتور استيفان راينموت
١٩	المقدمة
٣١	الفصل الأول: وصف الرحالة لوادي النطرون
٣٣	- موقع وادي النطرون
٣٤	- الوصف الطبوغرافي لوادي النطرون
٤٠	- مساحة وادي النطرون
٤٠	- مناخ وادي النطرون
٤١	- مسميات وادي النطرون
٤٥	- أهمية وادي النطرون
٥١	الفصل الثاني: الرحالة الزائرون لوادي النطرون
٥٣	- أدب الرحلات في الكتاب المقدس
٦٢	- دوافع الرحالة لزيارة وادي النطرون
٦٨	- الرحالة الزائرون لوادي النطرون من القرن الرابع الميلادي حتى القرن العشرين
	الفصل الثالث: التقسيم الإداري والحياة الزراعية والصناعية في وادي النطرون
١١٧	كما صورها الرحالة
١١٩	- التقسيم الإداري لوادي النطرون
١٢٧	- الحياة الزراعية والصناعية في وادي النطرون

١٢٧	- أولاً- الزراعة في وادي النطرون
١٤١	- الرعي
١٤٦	- ثانيًا- الصناعية
١٤٧	- أهم الصناعات
١٦٣	- طوائف الحرف الصناعية
١٦٥	الفصل الرابع: النشاط التجاري في وادي النطرون كما صورته الرحالة
١٦٧	- الطرق البرية
١٧٣	- الطرق المائية
١٧٤	- السكك الحديدية
١٧٥	- القوافل التجارية
١٧٥	- قوافل التجارة الداخلية
١٨٠	- قوافل التجارة الخارجية
١٨٣	- الأسواق
١٨٧	- التجار
١٩٠	- النطرون وتجارته
٢٠١	- مشكلات وقضايا النطرون
٢٠٥	- التبادل التجاري بين وادي النطرون والأقاليم الأخرى
٢١١	الفصل الخامس: الحياة الاجتماعية في وادي النطرون كما صورته الرحالة
٢١٣	- التطور السكاني في وادي النطرون
٢١٣	- اتجاهات النمو السكاني
٢١٩	- التطور العمراني
٢٢٢	- النمط الاجتماعي للسكان
٢٥٢	- العادات والتقاليد

٢٥٦	 الزواج
٢٦٤	 مكانة المرأة في الأسرة في وادي النطرون
٢٧١	 المؤسسات الدينية
٢٧٣	 التعليم والثقافة
٢٧٩	 الاحتفالات والأعياد
٢٨٥	 الفصل السادس: الرهبنة القبطية في وادي النطرون كما صورها الرحالة
٢٨٧	 - الرهبنة القبطية
٢٩٢	 - الرهبنة الانفرادية
٢٩٣	 - الرهبنة الإنطوانية
٢٩٤	 - الرهبنة الاجتماعية
٢٩٩	 - الرهبنة الباخومية
٣٠٤	 - طقس الرهبنة
٣٠٨	 - طقس الراهب الإسكيمي
٣١١	 - الأسباب التي تؤدي إلى تجريد الراهب من الدير
٣١٥	 الفصل السابع: الحياة الديرية بوادي النطرون كما صورها الرحالة
٣١٧	 - أديرة وادي النطرون
٣١٨	 - دير البراموس
٣٢٨	 - دير مقاريوس (الأنبا مقار)
٣٤٢	 - دير الأنبا يشوي
٣٥١	 - دير السيدة العذراء السريان
٣٧٤	 - الأديرة الخربة بوادي النطرون
٣٧٥	 - دير الأرمن بوادي النطرون
٣٧٩	 - دير الأحباش بوادي النطرون

٣٨٢	 - تطور الحياة الرهبانية الديرية بوادي النطرون
٣٩٥	 الفصل الثامن: الحياة الرهبانية اليومية داخل أديرة وادي النطرون كما صورها الرحالة
٣٩٨	 - الحياة الرهبانية اليومية داخل أديرة وادي النطرون
٤٠٤	 - طقس القداس الإلهي في أديرة وادي النطرون
٤١٧	 - إدارة أديرة وادي النطرون
٤٢٣	 - مصادر تمويل أديرة وادي النطرون
٤٣٠	 - الدولة وأديرة وادي النطرون
٤٥٢	 - أديرة وادي النطرون وظاهرة شراء المخطوطات
٤٦٢	 - فضل الرهينة ورهبان وادي النطرون على العالم
٤٦٩	 الخاتمة
٤٧٩	 الملحق
٥٦٩	 المصادر والمراجع
	 الجدوال
١٥٣	 الجدول (٣ / ١)
١٦٨	 الجدول (٤ / ١)
٢٠١	 الجدول (٤ / ٢)
٢١٧	 الجدول (٥ / ١)
٢٦٣	 الجدول (٥ / ٢)
٣٨٥	 الجدول (٧ / ١)
٣٨٦	 الجدول (٧ / ٢)
٣٩٠	 الجدول (٧ / ٣)
٣٩١	 الجدول (٧ / ٤)
٣٩٢	 الجدول (٧ / ٥)

الإهداء

إلى آباء برية شيهيت الذين قال عنهم ذهبي الفم: إن مصر بكواكبها لا توازي برية شيهيت برهبانها. إلى الباحثين اللاهوتيين والعلماء والمتخصصين في شتى المجالات عسى أن يجدوا في هذا الكتاب ما يفيد، وإلى روح العلامة معلم الأجيال قداسة البابا شنودة الثالث.

إلى روح الراهب المستنير... متى المسكين صاحب كتاب الرهبنة القبطية في عصر القديس أنبا مقار.

إلى روح الشهيد الأنبا إيفانيوس رئيس دير أنبا مقار

إلى روح أبي وأمي الطاهرتين

إلى روح أخى الحبيب جمال

إلى زوجتي الحبيبة ميرا

إلى ولدي مارك ومارسلينو

حبًا وحنانًا

د. ماجد عزت إسرائيل

تقديم

هذا الكتاب

هذا الكتاب الذي وضعه الدكتور ماجد عزت إسرائيل عن «وادي النطرون في كتابات الرحالة على مدى ستة عشر قرناً من الزمان (من القرن الرابع الميلادي إلى نهاية القرن العشرين) يعدُّ عملاً موسوعياً من الدرجة الأولى، لأنه يغطي جوانب الحياة كافة في هذا الوادي، وخاصة الجانب الديني المتعلق بحياة الرهبنة بين أقباط مصر، وذلك من خلال كتابات الرحالة الأجانب من مختلف الجنسيات الذين قصدوا الوادي مباشرة من بلادهم أو توجهوا إليه من القاهرة. ومن واقع حياة هؤلاء الرحالة بين جنبات الوادي سجلوا لنا تفاصيل دقيقة عن الحياة داخل الأديرة، ودرجات الرهبنة، ومسار العائلة المقدسة لمصر من حيث مرورها على الوادي، ومن حيث قدسية المكان التي ما زال يحتفظ بها بين أهله ورواده الذين اطلعوا على ما ذكره أولئك الرحالة في كتاباتهم.

ومن خلال كتب الرحالة بمختلف جنسياتهم واهتماماتهم، رسم لنا المؤلف صورة دقيقة للحياة الاجتماعية بما فيها العادات والتقاليد، والنشاط الاقتصادي بمختلف جوانبه الإنتاجية والحرفية والعلاقات التي نشأت بين أهل الوادي من واقع ذلك النشاط، وكذا الواقع الثقافي والتقاليد والحياة الدينية والمذهبية بمختلف طقوسها حتى بين المسيحيين أنفسهم. وأكثر من هذا أن المؤلف اهتم بمصادر الخطر على حياة الرهبان التي كانت تأتي من البربر وهم القبائل التي كانت تفد إلى مصر من الصحراء الغربية عبر بلاد المغرب ويستقرون في وادي النطرون؛ ومن ثم أصبحوا مصدر خطر دائم على حياة الرهبنة.

ولم يفت المؤلف أن يذكر موقف الحكم القائم في مصر من أهالي وادي النطرون فيما يعرف بالعلاقة بين المركز (عاصمة الحكم) وبين الأطراف (وادي النطرون) من أجل ضمان سيطرة الحكم على أنحاء البلاد كافة، حيث كانت السلطة تتدخل في الوقت المناسب حفاظاً على الأمن في وادي النطرون كما في غيره من أنحاء البلاد كافة.

على أن هذا العمل يُمثل آخر اهتمامات مؤلفه بدراسة الشأن القبطي في مصر من مختلف الجوانب، ذلك أن ماجد عزت إسرائيل له عدة كتابات بين كتب ومقالات وبحوث في ندوات مختلفة عن حياة أقباط مصر، ويعدُّ هذا الكتاب الذي بين أيدينا عملاً ختامياً كبيراً عن جانب من حياة الأقباط، ولكن في وادي النطرون في إطار علاقة الجزء بالكل.

والآن عزيزي القارئ أتركك مع هذه الموسوعة العظيمة؛ لكي تتعرف على جانب من جوانب تاريخ مصر على مدى ستة عشر قرناً من الزمان.

د. عاصم الدسوقي

القاهرة في ١٨ اغسطس ٢٠١٨



هذا الكتاب

بقلم بيتر جران^(١)

إنه لمن دواعي سروري أن أسهم في تقديم دراسة د. إسرائيل عن وادي النطرون في كتابات الرحلة من القرن الرابع الميلادي وحتى القرن العشرين. ما سيجده القارئ هو مثال على كتابة الجيل الجديد للكتابة عن التاريخ القبطي حيث لا يتناول هذا الموضوع ليس فقط كونه ديناً وليس ديناً أثناء فترة تكوينه فحسب، بل أيضاً دراسة لمنطقة معينة، إحداها ذات طبيعة اقتصادية معينة، ولها واقعها السياسي على مدى عدة قرون حتى يومنا هذا.

قد يفترض المرء أن ما يسمح بوجود مثل هذه الدراسة هو استخدام مصادر السفر والترحال في مقابل المصادر الدينية. هذا هو الحال بالطبع، ولكن فقط إلى درجة ما. ما هو مهم أيضاً هو المنهجية. حيث تتم قراءة كتب السفر والرحلات التي يتم استخدامها بطريقة نقدية للغاية. قد يعمل كتاب حول موضوع ما بناء على إلقاء الضوء على شيء آخر، بسبب بعض الملاحظات الغريبة أو لأنه إذا قرأ المرء بين السطور يرى المرء شيئاً ربما حتى لم يره مؤلف الكتاب. هذا ما أعنيه بعمل الجيل الجديد.

يبدو أن دراسة د. إسرائيل عن الأديرة القبطية في وادي النطرون في البحيرة قد استهدفت جمهوراً خاصاً مهتماً بدراسة هذه المؤسسات. ها هو قد فعل ذلك. ولكن بينما يكتب في قسم حول أهمية موضوعه، هناك ما هو أكثر من ذلك، حيث يثير هذا العمل مسألة فلسفية إلى جمهور أوسع بكثير في مصر من مجرد اختيار المتخصصين.

وهنا أودُّ ذكر هذه المسألة على النحو التالي: قبل عدة عقود، قام الفيلسوف الفرنسي ميشيل فوكو Michel Foucault (١٩٢٦-١٩٨٤م) بسلسلة من الملاحظات النقدية حول

(١) بقلم بيتر جران، انظر: التقديم باللغة الإنجليزية: ملحق رقم (٢١).

دراسة السلطة. كان مهتمًا خلال هذه الفترة في كيف أن ما كان يُنظر إليه على الهامش يسلط الضوء فعليًا على الكل. وكانت هذه نقطة حاول فيها إقناع قرناء متشككين للغاية، بأن الثقافة العالية العقلانية لباريس هي كل ما يحتاج إلى معرفته عن فرنسا. بتطبيق أفكار فوكو هنا، فإن السؤال هو: ألا يكون مصداقيًا من العصر العثماني فصاعدًا للإصرار على أن تحليل السلطة والمؤسسات المهيمنة في التاريخ المصري يجب أن يتضمن مناقشة للدور الذي تلعبه الأديرة القبطية الرائدة؟ من الواضح أنه لم يحاول أحد ذلك. يبدو أن هذه الدراسة تشير إلى أن مثل هذا الخط من البحث قد يؤتي ثماره.

هناك مشكلة فكرية أخرى تتعلق بالطريقة العامة التي بُنيت بها فكرة السرد التاريخي في مصر. تكمن المشكلة في إهمال ما هو مهم للسرد، ولكنه غير موجود في القاهرة. يعلم الجميع أن الأديرة القبطية وخاصة في وادي النطرون كانت مراكز حجّ للأفراد من العديد من البلدان التي تسعى إلى حياة روحية. بطرق مشابهة لكن مختلفة عن المسجد الأحمدي في مدينة طنطا، يفتح الحج إلى وادي النطرون سؤالاً حول ما إذا كان التاريخ المصري غير متمركز على القاهرة. هنا يجد المرء قاعدة إقليمية ذات أهمية.

سأتوقف هنا قليلاً لذكر نقطة أخيرة حيث يعتبر هذا الكتاب جزءاً من التاريخ الجديد. في مناقشة وادي النطرون، يذهب د. إسرائيل إلى تفاصيل كثيرة في مناقشته للتجارة والحرف اليدوية التي يجدها تمتد إلى القرن التاسع عشر. بالنسبة للقارئ الذي اعتاد الكتب في مصر الريفية على أنه زراعي بحث في التوجه، فإن هذا الكتاب سيكون بلا شك مفاجأة. وادي النطرون ريفي لكنه ليس زراعياً ببساطة.

باختصار، هذا العمل هو واحد للقارئ المتخصص، وآخر للقارئ العام المعني بكيفية فهم التاريخ المصري. وستتم تهنئة دكتور إسرائيل على إنجازهِ.

بيتر جران

فيلادلفيا الولايات المتحدة الأمريكية

٢٤ أغسطس ٢٠١٨

هذا الكتاب

بقلم استيفان ريخموط^(١)

قليل من المؤرخين المصريين في يومنا هذا، نجدهم متعمقين في جذور ثقافة الحياة الرهبانية الديرية مثل تعمق ماجد عزت إسرائيل، مؤلف هذه الدراسة «وادي النطرون في كتابات الرحالة من القرن الرابع الميلادي وحتى القرن العشرين الميلادي». فهذا الكتاب يصف لنا واحدة من أقدم المظاهر المسيحية ألا وهي الحياة الرهبانية في وادي النطرون الذي يقع بين دلتا النيل والصحراء الليبية، من وجهة نظر الرحالة من أصول مختلفة، الذين زاروا المنطقة على مدى أكثر من ١٥٠٠ عامًا، وكانت لديهم دوافع مختلفة، ومن ثم فإن هذا المشهد يشهد على الأهمية الدائمة للحركة المسكونية المسيحية.

والمؤلف يربط ويحلل بشكل مكثف ما بين الكثير من المصادر الأرشييفية المصرية لوادي النطرون خلال القرن التاسع عشر، حيث يصف تفاصيل الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية لهذه المنطقة المهمة من حيث تصدير مادة النطرون، والتنوع الاجتماعي والثقافي لسكانها من الفلاحين والبدو.

وهكذا، وبهذا المشهد نستطيع أن نتلمس صورة المجتمع القبطي والمسيحي عامة في البيئة الإسلامية، ويرتبط ذلك مرة أخرى بالحقائق المصرية في خلال الحقبة العثمانية، ليوثق مدي قيام واستمرارية مجتمعات الرهبانية في ظل الظروف الاقتصادية والسياسية المتغيرة.

وهكذا يقدم المؤلف مساهمة مهمة في تمثيل تشكيل الهوية الإقليمية المعقدة في مصر في التفاعل بين الروابط المحلية والدولية.

وإنه لمن دواعي سروري أن أوصي بالكتاب للقارئ المهتم. وأتمنى أن يحظى بقراءته عدد كبير من القراء في مصر وخارجها.

استيفان ريخموط

أستاذ الدراسات العربية والإسلامية

جامعة الرور - بوخوم - ألمانيا

٥ أكتوبر ٢٠١٨م

(١) بقلم استيفان ريخموط، انظر: التقديم باللغة الألمانية: ملحق رقم (٢٢).

المقدمة

مقدمة

تعود فكرة هذا الكتاب «وادي النطرون في كتابات الرحالة من القرن الرابع الميلادي حتى القرن العشرين الميلادي» إلى سلسلة محاضرات ألقيناها في عدة أماكن بين عامي (٢٠٠٧-٢٠١٥م) منها؛ محاضرة في المؤتمر الدولي المصري التركي بالمجلس الأعلى للثقافة في شتاء عام ٢٠٠٧م، ومحاضرة في ٢٨ نوفمبر ٢٠٠٧م كان عنوانها «وادي النطرون في كتابات الرحالة في العصر العثماني»، ومحاضرة في المؤتمر الدولي الأول عن العلاقات العربية الأرمنية، والذي أقامه مركز الدراسات الأرمنية بكلية الآداب جامعة القاهرة، يوم الثلاثاء ٢٩ إبريل ٢٠٠٨م، ومحاضرة عنوانها «أضواء جديدة على دير الأرمن في وادي النطرون»، وفي ديسمبر ٢٠١٣م ألقى محاضرة بجامعة الرور الألمانية عنوانها «قوانين وطقوس الرهبنة القبطية»، وفي ذات الجامعة في نوفمبر ٢٠١٥م ألقى محاضرة عنوانها «الحياة الاجتماعية والاقتصادية في وادي النطرون من خلال كتابات الرحالة»، وأيضاً في ديسمبر ٢٠١٥م ألقى محاضرة وكان عنوانها «فضل رهبان برية شيهيت على مصر والعالم»، فضلاً عن عدة مقالات نشرتها بالجرائد والمجلات والتي تناولت الحياة الرهبانية الديرية في وادي النطرون.

ومنذ تلك اللحظة بدأ اهتمامي بوادي النطرون، وبالتحديد برية شيهيت، وهي المنطقة التي ذهبت إليها العائلة المقدسة بعد خروجها من أرض فلسطين للنجاة من وجه هيرودس إلى أرض مصر، كما ذكر الكتاب المقدس أن ملاك الرب ظهر ليوسف في حلم قائلاً: «قم وخذ الصبي وأمه واهرب إلى مصر وكن هناك حتى أقول لك، لأن هيرودس مزع أن يطلب الصبي ليهلكه»^(١)، فمرت العائلة في أثناء رحلتها على مسطرد ووصلت بلبس ثم سمند ومنها إلى سخا وعبروا النيل متجهين نحو الغرب حتى وصلت برية شيهيت بوادي النطرون فقدمت الطفل وباركته أمه، وعندما عطشت السيدة العذراء في أثناء مرورها بوادي النطرون، ذهبت إلى منطقة الملاحات، ومدت يدها شربت ماءً عذباً، ولا يزال حتى يومنا هذا، ويعرف

(١) الكتاب المقدس: إنجيل متى (٢: ١٣).

باسم «نبح مريم»، ومع الوقت تم تغيير اسمه إلى نبح الحمراء، وفي العصور القبطية الأولى سكن الرهبان الوادي فاكسبت المنطقة شهرتها من سيل الرهبان الذين استوطنوها واتخذوها مقر لنسكهم وعبادتهم، ولذلك ستبقى بركة شيهيت محط أنظار العالم إلى انقضاء الدهر، وكان لطبيعة وادي النطرون الجغرافية أكبر الأثر في نشأة الرهبة، وأيضاً مثل الوادي عبر التاريخ الذي عُدَّ حصناً دفاعياً واستراتيجياً لصدّ المغيرين على الحدود الغربية نتيجة الانتهاكات وأعمال السلب التي كانت تحدث من وقت لآخر، ومن أجله سالت دماء شهداء الجيش المصري، وحتى كتابة هذه السطور يقوم الجيش المصري الآن بتطهير الصحراء الغربية من العناصر الإرهابية وهذا ما نتمناه.

ومنذ ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١م تعرضت أديرة وادي النطرون والعديد من الكنائس الأثرية بمصر للعديد من الانتهاكات والاعتداءات، مما أدى إلى سقوط بعض أسوارها وتهدم بعض الكنائس وسقوط قبابها، وقتل الزائرين لها على يد الإرهابيين، ووصل الأمر إلى الشك في قدسيتها وروحانيتها وقيمتها في السياحة الدينية. ولكن منذ تولي الرئيس المصري «عبد الفتاح السيسي» (٢٠١٤م وحتى كتابة هذه السطور) عاد الأمن والهدوء - إلى حد ما - للبلاد، ومن هنا وافق قداسة «البابا فرنسيس» - تولي البابوية في عام ٢٠١٣م وحتى كتابة هذه السطور - في أكتوبر عام ٢٠١٧م على زيارة مسيحيو العالم لمسار العائلة المقدسة في مصر، وتأتي هذه الإشادة من البابا ترويحاً للسياحة، ومن هنا عاد وادي النطرون من جديد إلى خريطة السياحة العالمية. كما كان قبل ذلك.

ومن هنا، زاد اهتمامي بدراسة وادي النطرون، وبالتحديد بركة شيهيت وأديرتها ورهبانها لما لها من قدسية لدى العالم، لكي تتضح لنا حقيقة الصورة، ونزيل اللبس لدى البعض ونرد على المعتدين والمشككين في القيمة الروحانية لهذه البقعة المقدسة، التي تعد من أحد أهم مناطق الجذب للسياحة الدينية سواء كانت سياحة داخلية أو خارجية، وبذلك تعد أحد أهم مصادر الدخل القومي المصري، وإيماناً منا بذلك جذبني قصص وحكايات ووصف الرحالة الدقيق لوادي النطرون وأديرته ورهبانه، وبالمصادفة تحدثت مع نيافة الأنبا «مارتيروس» الأسقف

العام فشجعني كعاداته بإمكانية عمل دراسة مستقلة عن وادي النطرون من خلال كتابات الرحالة العالم. ومن هنا نبعت فكرة كتاب مستقل عن وادي النطرون في كتابات الرحالة من القرن الرابع الميلادي حتى القرن العشرين الميلادي، وخاصة بعد تشجيع مجموعة كبيرة من رجال الفكر والثقافة في مصر وخارجها.

على أية حال، تحتل دراسة وادي النطرون مكانة كبيرة بين علماء الآثار واللاهوت في العالم، أو في الدراسات العقائدية والآبائية، أو دراسات الكتاب المقدس وتفسيره، أو الدراسات المقارنة بين الأنظمة الرهبانية في وادي النطرون، وفي البرية الشرقية، أو جنوب مصر، أو شبه جزيرة سيناء، وخاصة بعد انتشار الإلحاد والعنصرية الدينية والتمييز الطائفي ما بين الجماعات والأمم، مما دفع بعضهم إلى التشكك في القيمة الروحانية للنظام الرهباني، وأيضًا في صحة الكتاب المقدس، الموحى به من الله، ولذلك لم يتوانى باحثو اللاهوت وآباء وادي النطرون يومًا عن تقديم الأدلة المادية التي تؤكد صحة ما ورد بالكتاب المقدس، وتعتبر المخطوطات التي تركها لنا الآباء الرهبان بالأسقيط من بين أكبر الدلائل التي تؤكد ذلك، والأهم من ذلك أنها كانت طريق المتشككين في تعميق فهمهم للعقيدة المسيحية لفكرة الرهبنة، كما تميزت بعض المخطوطات بتفسير وشرح الكتاب المقدس، والقوانين الرهبانية والكنسية، وضمت بعضها تدوين للمجامع المقدسة التي عُقدت إبان وحدة الكنيسة، أي حتى نهاية القرن الخامس الميلادي. وأيضًا احتوت المخطوطات على طقوس وأسرار الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، وهي التي تعد من أهم كنوز أديرة وادي النطرون.

وهنا يجب أن نؤكد على الدور الذي بذله الرحالة الزائرون في وصف وتسجيل وتوضيح أدق التفاصيل التي تخص برية شيهيت، حيث اهتموا بتدوين رحلاتهم بدءًا من خروجهم من بلدانهم إلى وصولهم إلى أرض وادي النطرون، فدَوَّنوا ما شاهدوه من الطرق، سواء كانت برية أو بحرية، ووصفوا الأماكن التي تحط فيها قوافلهم، والأحداث التي تقع في أثناء رحلاتهم وما شاهدوه في أثناء دخولهم للقري والمدن، كما وصفوا الظواهر الطبيعية، وأشهر المنشآت العمرانية والمؤسسات الدينية (الأديرة والكنائس)، والأحوال السياسية والثقافية والاجتماعية

والاقتصادية للبلاد بدقة، كل ذلك سجلوه من خلال رؤيتهم الشخصية ومعايشتهم لرهبان الوادي ولأهل البلاد التي رحلوا إليها، كما وردت في مؤلفاتهم أخبار عديدة عن البلاد المصرية التي كانت في أوج ازدهارها، ويكفي اكتشافهم للعديد من المخطوطات والمناطق الأثرية مثل الأديرة المندثرة والمنشوبيات، كما دونوا عن الحياة اليومية للرهبان من حيث عملهم وطقوسهم وصلواتهم وتواصلهم مع المجتمع العالمي. كما أكد الرحالة على القيمة الروحانية للرهبة لفضل الرهبان على العالم، وأيضاً الحياة داخل الأنظمة الديرية، وقيمتها الأثرية.

ولقد اختلفت دوافع هذه الرحلات لمصر وخاصة وادي النطرون، فبعض الرحالة كانت رحلته بدافع الحج لمدينة القدس، وبعدها زيارة دير سانت كاترين بشبه جزيرة سيناء، ثم زيارة وادي النطرون، والبعض الآخر كان لطلب العلم والتدريب على الحياة الرهبانية على أيدي شيوخ الرهبان وآباء برية شيهيت، والبعض كانت دوافعه للتجارة وخاصة تجارة النطرون التي اشتهر بها الوادي، أو لغرض شخصي من أجل الاستكشاف والبحث عن المناطق الأثرية، أو البحث على المخطوطات والأيقونات والأواني، فكانوا يقومون بتدوين كل ما شاهدوه عن برية الأسقيط (ميزان القلوب) أو البلاد التي مروا عليها، أو المواقف التي دارت بينهم وبين العربان (البدو) المرشدين لهم لزيارة أديرة وادي النطرون، أو المواقف والأحداث التي دارت بينهم وبين الرهبان وشيوخهم، ولم يتوانوا يوماً ما عن وصف الحياة الرهبانية اليومية داخل الأديرة.

وكتابتنا هذا «وادي النطرون في كتابات الرحالة من القرن الرابع الميلادي حتى القرن العشرين الميلادي»، محاولة لتفسير ظاهرة نشأة الرهبة القبطية داخل الأديرة، ومعرفة فضل رهبان البرية على مصر والعالم، والحج المقدس لبرية شيهيت من أجل التبارك من الأماكن التي زارتها العائلة المقدسة، ودعوة المجتمع المصري والعالمي لإحياء مسار العائلة لمقدسة لمصر وخاصة وادي النطرون، ومعرفة دوافع الرحالة لزيارة البرية، وأيضاً ظاهرة الصراع للاستيلاء على المخطوطات من أجل إعادة قراءة نصوصها لمعرفة تاريخ الأديرة، وشيوخ الآباء الرهبان؛ وذلك لقيمتها الدينية والتاريخية.

وهنا يتضح لنا قيمة زيارات الرحالة لوادي النطرون، حيث وصفوا لنا بدقة كل ما يخص الوادي من حيث طبيعته الجغرافية ومناخه وبيئته الصحراوية وحرقة الرعي وتجارة النطرون وحياة البدو والرهبان والحياة الديرية، والأكثر من ذلك أن هؤلاء الرحالة أخذوا العديد من المخطوطات وكتبوا المئات من الكتب عن برية شيهيت. وهنا لا بد أن نشير إلى أن الرحالة الذين زاروا وادي النطرون يرجع إليهم الفضل في تطور الدراسات النقدية الخاصة بالحياة الديرية، ومن ثم ازدهرت الكتابات والأبحاث في هذا السياق، وزادت الإصدارات والطبعات الخاصة بحياة الرهبنة والدراسات القبطية، وأيضًا رؤية الكتاب المقدس أو تفاسيره لفكرة الرهبنة، وهذا الطرح يتسق مع الإشكالية التي سادت في المجتمعات الأوروبية، والتي تُوجت بزيادة التبشير الديني بالمسيحية في جنوب شرق قارة آسيا وجنوب وغرب أفريقيا والأمريكيتين وأستراليا.

وعلى الرغم من أن هذا الكتاب يركز بشكل أساسي على وادي النطرون وأديرته ورهبانه والمجتمع المجاور للحياة الرهبانية الديرية، وقيمة الآثار والمخطوطات التي قام الرحالة باكتشافها، إلا أنه لا يمكن التغاضي عن دراسة الأطر الأكبر للدوافع الرئيسة لزيارة الرحالة لوادي النطرون، كما أن ثقافة المجتمع الأوروبي في ذات الفترة، هذه الثقافة التي سمحت بالتعددية الإثنية والدينية، ومنحت العلماء المزيد من الحرية لإقامة العلاقات والمناظرات والمساجلات فيما بينهم؛ من أجل التوصل للحقيقة العلمية، وأكبر دليل على ذلك تمويل العديد من الملوك والرؤساء للعديد من الرحلات التي قام بها بعض الرحالة لمصر بصفة عامة، ووادي النطرون بصفة خاصة. وهنا يجب أن نؤكد على مدى التعاون والاندماج ما بين الكنيسة البروتستانتية والكاثوليكية من ناحية، والكنيسة الأرثوذكسية من ناحية أخرى وخاصة في مجال دراسات الكتاب المقدس.

على أية حال، هناك جانب مهم في كتابنا هذا، لكل دارس لتاريخ مصرنا الحبيبة في شتى المجالات، فقد دون الرحالة في مذكراتهم ومراسلاتهم مع عائلاتهم، بعض الملاحظات عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية في مصر، وخاصة لدى مجتمع البدو (العربان)، والعادات

والتقاليد الخاصة بهم، وأيضاً رهبان أديرة الوادي، ومكتبات الأديرة وكذلك مجتمع البدو، ووصفوا لنا في بعض رحلاتهم، الطبيعة الجغرافية لبرية شيهيت، من حيث الجبال والصخور والمعادن والنباتات والحيوانات والمناخ، وأيضاً الرحلة ما بين القاهرة ووادي النطرون.

ولقد تنوعت مصادر هذا الكتاب بين المخطوطات والوثائق غير المنشورة الموجودة بأديرة وادي النطرون، ودار الوثائق القومية بالقاهرة، والوثائق المنشورة من الخطابات والمراسلات لبعض الرحالة مع أصدقائهم أو عائلاتهم، بالإضافة إلى العديد من الأصدارات المتنوعة والخاصة بالرحالة، وأيضاً شواهد المؤسسات الدينية مثل دير السريان، والأنبا بشوى، والبراموس، ودير الأنبا مقار، وأيضاً باقي الأديرة المندثرة بالوادي مثل دير الأرمن، ودير الأحباش، ودير القديس يحنس كما القصير، وكذلك الصور الخاصة بالوادي، كما اعتمدت الدراسة على مجموعة من المخطوطات والوثائق، والمراجع العربية والأجنبية والمعربة وبعض الدراسات الآبائية، بالإضافة إلى العديد من الدوريات العربية والأجنبية.

كما استفاد الباحث من أرشيف المتحف القبطي والبطريركية المرقسية بالأزبكية بالقاهرة، وما بها من مخطوطات ومراجع قيمة أفادت الدراسة. كما قدمت لي الدوريات الأخرى المتخصصة التي صدرت في أعقاب ذات الفترة مادة قيمة، أفادت كثيراً في إعداد هذه الدراسة، ثم جاءت الرسائل والمراجع العربية والمعربة والأجنبية، التي عاجلت تاريخ مصر بصفة عامة، ومنها ما تناول هذا الموضوع، لتكمل ما عجزت عنه المصادر الأخرى في تقديمه.

وقد قسمت الكتاب إلى ثمانية فصول وخاتمة:

يستعرض الفصل الأول «وصف الرحالة لوادي النطرون»، من حيث موقع وادي النطرون، والوصف الطبوغرافي، ومساحته، ومناخه، والمسميات التي أطلقت عليه، وأهميته وخاصة زيارة العائلة المقدسة لهذا الوادي.

أما الفصل الثاني: «الرحالة الزائرون لوادي النطرون» فتناول أدب الرحلات في الكتاب المقدس، ودوافع الرحالة لزيارة وادي النطرون، وأهم الرحالة الزائرين للوادي خلال القرن الرابع الميلادي وحتى القرن العشرين الميلادي.

ويخصص الفصل الثالث: «التقسيم الإداري والحياة الزراعية والصناعية في وادي النطرون كما صورها الرحالة» من حيث التقسيم الإداري لوادي النطرون، والحياة الزراعية والرعي وأهم الصناعات وطوائف الحرف الصناعية في وادي النطرون.

ويستعرض الفصل الرابع: «النشاط التجاري في وادي النطرون كما صورته الرحالة» من حيث الطرق البرية والطرق المائية والسكك الحديدية والقوافل التجارية الداخلية والخارجية والأسواق والتجار والنطرون وتجارته ومشكلاته، وحركة التبادل التجاري بين وادي النطرون والأقاليم الأخرى.

أما الفصل الخامس: «الحياة الاجتماعية في وادي النطرون كما صورها الرحالة» من حيث التطور السكاني في وادي النطرون، واتجاهات النمو السكاني، والتطور العمراني، والنمط الاجتماعي للسكان في وادي النطرون، والعادات والتقاليد، والزواج، ومكانة المرأة في الأسرة في وادي النطرون، والمؤسسات الدينية، والتعليم والثقافة، والاحتفالات والأعياد.

أما الفصل السادس: «الرهبة القبطية في وادي النطرون كما صورها الرحالة» فيتناول الرهبة القبطية بأنواعها سواء كانت الراهبة الانفرادية، أو الأنطوانية، أو الاجتماعية، أو الباخومية، وأيضاً يستعرض هذا الفصل طقس الرهبة، وطقس الراهب الإسكيمي، والأسباب التي تؤدي إلى تجريد الراهب من الدير.

ويخصص الفصل السابع: «الحياة الديرية بوادي النطرون كما صورها الرحالة» من حيث الأديرة العامرة بوادي النطرون وهي: دير البراموس، ودير مقاريوس (مقار)، ودير الأنبا بيشوي، ودير السيدة العذراء السريان، وأيضاً طرح الفصل نماذج للأديرة الخربة بوادي النطرون وهي: دير الأرمن، ودير الأحباش، وتوج هذا العمل بلمحة عامة عن تطور الحياة الرهبانية الديرية بوادي النطرون.

ويستعرض الفصل الثامن والأخير: «الحياة الرهبانية اليومية داخل أديرة وادي النطرون كما صورها الرحالة» من حيث الحياة اليومية داخل جدران أديرة الوادي، وطقس القداس الإلهي أي القداسات المستعملة في الكنيسة وهي القداس الباسيلي والغريغوري والكيرلسي،

وأيضًا إدارة أديرة وادي النطرون من حيث رئيس الدير ووكيله وأمينه وخازنه، والقندلفت وبواب الدير وأمين المكتبة والطعام والطحان والخباز والصلوات، وكذلك ناقش هذا الفصل مصادر تمويل أديرة وادي النطرون، والدولة وأديرة وادي النطرون من حيث مشكلة دير السريان، وحركة التبشير، واعتداءات العربان على الأديرة، كما تناول هذا الفصل ظاهرة شراء المخطوطات، وفضل الرهبنة ورهبان برية شيهيت على العالم.

ثم الخاتمة التي ترصد أهم النتائج التي توصلنا إليها في هذا الكتاب.

أما ملاحق الكتاب فتضم مجموعة من الوثائق والمخطوطات، والخرائط، والرسوم والصور لوادي النطرون وأديرته ورهبانته؛ والصور الخاصة بالأديرة المندثرة مثل دير الأرمن والقديس يحنس القصير، فضلًا عن مجموعة من المخطوطات والوثائق الهامة المحفوظة بمكتبة دير السريان.

ويوجه الباحث أسمى آيات الشكر والعرفان إلى نيافة الحبر الجليل الأنبا «متاؤس» أسقف ورئيس دير السريان، والقمص «بيجول السرياني» على تعاونهما الصادق مع الباحث باستضافته وإتاحة إقامته بالدير وثقتهما التي أولياها إياه لفحص أرشيف الدير، وكذلك الراهب القس «عازر السرياني» ولآخرين من مجمع رهبان دير السريان العامر ببرية شيهيت.

وأتوجه بالشكر الخاص إلى نيافة الحبر الجليل الأنبا «مارتيروس» أسقف عام كنائس شرق السكة الحديد بالقاهرة، على تشجيعه إياي لدراسة هذا الموضوع، فله مني جزيل الشكر والتقدير.

وأسجل شكري واعتزازي للأستاذ/ حسن غراب على رؤيته وحماسه الكبيرة لنشر هذا الكتاب بدار غراب للنشر والتوزيع.

ويطيب لي أن أوجه الشكر والعرفان إلى البروفسور/ إستيفان راينموت Stefan Reichmuth، عميد قسم الدراسات الشرقية والعلوم الإسلامية بجامعة الرور «Ruhr-Universität Bochum»، على إتاحة الفرصة لي للبحث في مكتبة جامعة بوخوم، وكتابة تقديم لهذا الكتاب فله مني جزيل الشكر.

وأوجه بالغ الشكر إلى العالم الجليل الأستاذ الدكتور/ عاصم الدسوقي أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر بجامعة حلوان، على ما بذله من جهد بشأن العديد من الاستفسارات والتعليقات وكتابة تقديم لهذا الكتاب.

وأوجه بالشكر الخاص إلى المؤرخ الأمريكي البروفسور/ بيتر جران على ما بذله من جهد بشأن العديد من الاستفسارات والتعليقات وكتابة تقديم لهذا الكتاب.

وأرجو بذلك أن أكون قد وفقت، في إلقاء الضوء على وادي النطرون في كتابات الرحالة من القرن الرابع الميلادي وحتى القرن العشرين.

د. ماجد عزت إسرائيل

مدينة بوخوم - ألمانيا

٢٢ أغسطس ٢٠١٨م



الفصل الأول
وصف الرحالة
لوايدي النظرون

الفصل الأول

وصف الرحالة لوادي النطرون

وادي النطرون ليس مجرد اسم لمنطقة جغرافية على أرض مصر، ولكن لمنطقة تلبس ثوب التاريخ وتتشح برداء الدين وتنطق بجمال الطبيعة، ولهذا كله كان وادي النطرون وما زال مقصدًا للرحالة، الذين جابوا خلاله وتوغلوا في صحرائه، واستطاعوا أن يصفوا الكثير من أحواله الجغرافية والطبوغرافية ومساحته ومناخه والمسميات إلى أطلقت عليه، وأهميته، وصفًا مسهبًا ومفصلاً، وهذا ما سوف نتعرض له في هذا الفصل.

موقع وادي النطرون

عادةً لا يكاد الناس يعرفون من أرض مصر إلا واديهما الذي يرويه النهر، ومع ذلك فهناك من الاعتبار الجغرافية والحكايات التي يرويها الرحالة والمؤرخون والمحدثون ما يدفع على الاعتقاد بأن مياهاً كانت قد اقتحمت في أزمنة ضاربة في القدم أعماق صحارى مصر الغربية، وأنها تركت هناك آثاراً لمجراها.

فوادي النطرون أحد المنخفضات التي تقع في الصحراء الغربية من مصر والتي تضم الواحات الخارجية والداخلية في الجنوب ثم الواحات البحرية والفرافرة في الوسط ثم منخفض وادي النطرون^(١) والقطارة وواحة سيوة في الشمال. وتقع هذه المنخفضات فوق مستوى سطح البحر عكس وادي النطرون ومنخفض القطارة، حيث يهبط الوادي عن سطح البحر بنحو

(١) منخفض وادي النطرون: هو منخفض مغلق له بداية ونهاية، وليس له منبع أو مصدر أو روافد، لمزيد من التفصيل انظر: جمال حمدان، شخصية مصر، ج ١، دار الهلال، القاهرة ١٩٩٤م، ص ٤١٦، انظر الشكل رقم ٢، ١.

ثلاثة وعشرين متراً^(١). فوادي النطرون هو الاسم الشائع للمنخفض الصحراوي الذي تحده شمالاً بحيرة مريوط، وجنوباً الفيوم، وشرقاً الدلتا^(٢)، ومن الغرب الصحراء الليبية^(٣).

ويبعد المنخفض من طرفه الشمالي الغربي عن الإسكندرية بنحو ٧٥ كم، ومن طرفه الجنوبي الشرقي عن القاهرة ٧٤ كم، ويبعد بنحو ٧٣ كم عن قرية البريجات^(٤). وهو أقصى بعد للمنخفض عن الدلتا من الجنوب فهو ٣١ كم^(٥). جنوب الخطاطبة^(٦). وبهذا ينحصر منخفض وادي النطرون فلكياً ما بين خط عرض ١٧°، ٣٠°، ٣٨°، ٣٠° شمالاً وبين خط طول ٢٠°، ٣٠° شرقاً^(٧).

الوصف الطبوغرافي لوادي النطرون

وقد اهتم بعض الرحالة بوصف الطبيعة الجغرافية للوادي فذكر عمر طوسون أنه يتخذ شكلاً منخفضاً مستطيلاً في اتجاه شمالي غربي، وجنوبي شرقي^(٨)، وأكد الرحالة الفرنسي أندرياسي

(١) محمد علي سيف: وادي النطرون دراسة في الجغرافيا الإقليمية، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب، قسم الجغرافيا، جامعة القاهرة سنة ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م، ص ٧.

(٢) ابن الوزان الزياني: وصف إفريقيا، ترجمة عبد الرحمن حميدة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٥ م، ص ٥١٧-٥٢٩، انظر الشكل رقم ١، ٢.

(3) Walker .H: the Anglo- American guide to Alexandria, Anglo-American Guides 3 (Cairo: Amalgamated Press, (1935): 190-195; Hugh Gerard, white, Evelyn, the Monasteries of The Wadi Natrun, pt 3. London, 1973, 3,Figs. 1, 2.

انظر الشكل رقم ١، ٢.

(٤) البريجات: أصلها من توابع ناحية الطرانة، ثم فصلت عنها في تربع سنة ٩٣٣ هـ / ١٥٢٦ م، كما ورد في دليل ١٢٢٤ هـ / ١٨٠٩ م، انظر: محمد رمزي القاموس الجغرافي، ج ٢، ٢، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٤، ص ٣٤١.

(٥) محمود على سيف: المرجع السابق، ص ١٣؛ جمال حمدان، المرجع السابق، ص ٢٩٧.

(٦) الخطاطبة: أصلها من توابع ناحية أبو نشاية، ثم فصلت عنها تأريخ سنة ١٢٢٨ هـ / ١٨١٣ م، وتسميها العامة فم الخطاطبة، لوقوعها على قسم ترعة الخطاطبة المنسوبة إليها، انظر: محمد رمزي، المرجع السابق، ج ٢، ص ٣٤١.

(٧) محمود على سيف: المرجع السابق، ص ١٣، انظر الشكل رقم ١، ٢.

(٨) عمر طوسون: وادي النطرون وربهانه وأديرته ومختصر تاريخ البطارقة، ط ٢، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٩٦ م، ص ٥.

Andreassy موازاته للهضبة التي تفصله عن وادي النيل، وهي فسيحة يتدرج سطحها ببطء، وتوازي النيل على الدوام، ويبلغ عرضها ثلاثين ميلاً، وتغطي أرضها الرمال والحصى من مختلف الأحجام وبزلط صغير مستدير متعدد الأشكال والألوان. وقد دفعت الرياح القوية القادمة من جهة الغرب، إلى الجهة الأخرى من التلال التي تحفُّ بالنيل، وكذلك إلى داخل الوادي، كل الرمال متحركة، ويبدو الحجر الجيري في بعض المناطق على سطح الأرض. وفيما عدا ذلك، فإن المرء لا يلمح في هذه الصحراء التي قد يظن المرء بأن الطبيعة قد تركتها نسيًا منسيًا، إلا ثلاثة أنواع أو أربعة من النباتات الضعيفة والصغيرة والمبعثرة للغاية، مثل النباتات الشوكية، والبنج البنفسجي أو الداتورة^(١). ويواصل أندرياسي وصفه وبالطبع سوف يكون من العسير أن يستطيع أي كائن حي أن يجد ما يعيش عليه، فوق أرض على مثل هذه الدرجة من القحولة، وفي نفس الوقت فإننا لم نجد هناك سوى نوع واحد من الحشرات، ليس من الأنواع الشائعة ويطلق عليه اسم Mnete obscure، والصفة التي تحملها هذه الحشرة صفة «العممة»، تماثل تمامًا حالة العزلة التي تحياها في أعماق مثل هذه الصحارى^(٢)، ويبلغ طول المنخفض ٦٠ كيلومترًا وطول البحيرات بداخله ٣٠ كم ومتوسط عرضه عشرة كيلومترات^(٣).

ويصف لنا الرحالة أندرياسي الطريق لوادي النطرون فذكر قائلاً: عند الرحيل من الطرانة، يتخذ الطريق اتجاهه في البداية من الشرق إلى الغرب، وقبل الوصول إلى النطرون بنحو الساعتين، وبعد أن يكون المسافر قد اجتاز ممراً جبلياً بالغ الانخفاض، يسميه الناس رأس البقرة، يمضي الطريق نحو الشمال الغربي، مع ميل أكبر إلى جهة الغرب، وعندما هبطنا، وجدنا في منتصف هذا الجنب، وفوق ربوة، قصرًا أو حصناً مهدماً، بنى سور المربع والذي تعلوه أبواب مستديرة عند اثنتين من زواياه، بواسطة قطع صغيرة من النطرون، مما بدل على

(١) تأليف علماء الحملة الفرنسية: العرب في ريف مصر وصحاريها، وصف مصر، ج ٢، ترجمة زهير الشايب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٢، ص ٤٥.

(٢) نفسه: ص ٤٦.

(٣) فولني: ثلاثة أعوام في مصر وبر الشام، ترجمة إدوارد البستاني، ج ١، ط ٢، بيروت ١٩٤٩، ص ١٩٩ - ٢٠٠؛ انظر الشكل رقم ١، ٢.

أن الأمطار ليست بذات بال في هذه المنطقة، كما رأينا في الانحدار المقابل دير براموس أو دير الأرمن^(١)، كما يوجد إلى الشمال وعلى نفس المسافة تقريباً دير السريان أو دير الأنبا بيشوي حيث بجاور كل منهما الآخر^(٢).

أقمنا مثلثاً يربط القصر ودير البراموس ودير السريان، وإذا ما اتخذنا كقاعدة، تلك المسافة التي تفصل بين القصر ودير البراموس، والتي قمنا بقياسها فوجدناها تبلغ (٧٢٣١٢ ٤\٣) متراً فإن ضلعي المثلث الآخرين يبلغان (٧٤٣٠ ٣\٢) متراً للمسافة بين القصر ودير السريان، و(٩٢٥٨ ٤\١) متراً للمسافة بين هذا الدير ودير البراموس، وإذا أردنا الذهاب بين واحد من هذه الأماكن وبين غيره يكون علينا أن نجتاز طريقاً هو عبارة عن رمال متحركة أو ثابتة في بعض الأحيان بفضل بعض الطحالب النباتية، ويلمح المرء هناك بعض النباتات، ويقابل في كل مكان الجبس وكتل الصخور الجيرية، كما يرى أجمل الأحجار الطباشيرية بين دير البراموس ودير السريان.

واشتهر الوادي بحيراته التي وصفها الرحالة فولني فذكر عددها ما بين ست بحيرات وعشر^(٣)، إلا أن أهالي الطرانة^(٤) يذكرون أن عددها سبع بحيرات^(٥) ويحمل بعضها أسماء ألوان مختلفة كالحمرة أو مريم، والخضرة، والبيضة ومن أسمائها الجهاز، والزجم، وأم ريشة والفاضة

(١) نفسه: ص ٤٦. انظر الشكل رقم ٨.

(٢) نفسه: ص ٤٦. انظر الشكل رقم ٦.

(٣) عبد اللطيف واكد، حسن مرعي: واحات مصر: جزر الرحمة وجنات الصحراء، القاهرة ١٩٥٧، ص ٤٢٢، انظر الشكل رقم ٣.

(٤) الطرانة: هي من القرى القديمة، ذكرها جوتييه في قاموسه فقال: إن اسمها المصري Per Rannout والرومي térenouthis وذكر أميلينو في جغرافيته أن اسمها القبطي Ternaut ومنه اسمها العربي، ووردت باسم ترنوط، في كتاب المسالك لابن خرداذبه، وفي الروك الصلاحي وردت باسم الطرانة، كما وردت في قوانين ابن مماتي، وفي تحفة الإرشاد من أعمال خوف رمسيس، وفي التحفة من أعمال البحيرة، انظر: محمد رمزي، المرجع السابق، مج ٢، ج ٢، القاهرة ١٩٩٤، ص ٣٣١-٣٣٢. انظر ملحق (١).

(٥) علماء الحملة الفرنسية: وصف مصر: العرب في ريف مصر وصحاريها، المرجع السابق، ص ٤٧.

(١) وعمقها لا يزيد على المترين، ومجموع مساحتها معاً يناهز عشرة كيلومترات مربعة^(٢) وقدم لنا فولني وصفاً دقيقاً لهذه البحيرات فقال: تقع غربي الدلتا، وقاعها عبارة عن حفرة يتراوح طولها من ثلاثة فراسخ إلى أربعة وأرضها صلبة حجرية جافة طوال تسعة أشهر، وفي الشتاء ينبع من الأرض ماء لونه أحمر بنفسجي يملأ البحيرة بارتفاع عشر أقدام وبعد الفيضان تتبخر المياه فتترسب طبقة سميكة من الملح الصلب ويستخرج منها حوالي ٣٦ ألف قنطار نظرون سنوياً^(٣) وأكد جرانجيه وسونيني أن الملح في هذه البحيرات في فصل الصيف يكون جافاً بفضل حرارة الشمس فيسمح بسير الجمال عليه^(٤)، وحسب وصف علماء الحملة الفرنسية توجد المياه العذبة - وإن كانت درجة صلاحيتها تتفاوت - إذا ما حفرنا بطول البحيرات باتجاه نهر النيل^(٥) فعين الماء العذب في بحيرة الحمراء وهي البحيرة رقم ٤ من جهة الشمال الغربي، وما يثير الدهشة في هذه البحيرة أن في وسطها ينبثق نبع مياه عذبة تماماً يسمى نبع مريم، ومياه هذا النبع معدنية صالحة للشرب، رغم ما يحيط بها من ماء بحيرة النظرون الذي لا يصلح للشرب مطلقاً، ولكن له خصائصه العلاجية وتحديداً للأمراض الجلدية. وهذه العين يُطلق عليها أحياناً أهل الوادي من العرب والبدو عين «مريم» لأنه تفجر في أثناء عبور السيدة مريم وابنها يسوع خلال رحلتهم إلى مصر، ومن هنا اكتسبت المنطقة قيمتها التاريخية والدينية^(٦).

(١) وهناك أسماء بحيرات أخرى منها: الجعار، الزجم، وأبوجبارا، الرازونية، أم ريشة، الفاسدة، لمزيد من التفصيل انظر: محمود على سيف، ص ٢٠٠-٢٤٠؛ انظر الشكل رقم ٣.

(٢) على مبارك: الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، مج ١٧، القاهرة ١٨٨٨، ص ٤٢٠، جمال حمدان، المرجع السابق، ص ٤٢٠.

(٣) فولني: المرجع السابق، ص ١٩٩-٢٠٠.

(٤) إلهام محمد علي ذهني: مصر في كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين في القرن الثامن عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٢، ص ٢٣٤-٢٣٥.

(٥) أندريوسي: المرجع السابق، ص ٤٧.

(٦) هاجر صلاح: «نبع الحمراء.. كنز مجهول في جوف وادي النظرون، جريدة الأهرام، عدد ٤٦٦١٠، بتاريخ ٢٠ رمضان ١٤٣٥ هـ / ١٨ يوليو ٢٠١٤ م. انظر الشكل رقم ٩.

ويختلف سطح المياه في البحيرات على مدار السنة، فهي تبدأ في الارتفاع في نهاية شهر ديسمبر وتستمر في الزيادة والارتفاع حتى أوائل شهر مارس، حيث تبدأ في الانخفاض التدريجي وتصل إلى أقصى انخفاض لها في أشهر الصيف حيث الحرارة والبخار شديداً والأمطار نادرة، ومن ثم تأخذ كثير من البحيرات في الجفاف^(١).

ويوضح لنا أندرياسي أن مياه البحيرات تحتوي على أملاح، تختلف في أجزاء من نفس البحيرة الواحدة، مما يدل على عدم وجود اتصال بين مياهها. وهذه الأملاح هي على الدوام موريات الصودا، وكربونات الصودا، وقليل من سلفات الصودا، وتغلب كربونات الصودا في بعض هذه البحيرات، بينما تغلب موريات الصودا في البحيرات الأخرى. ويبدو - تبعاً للحالة الفيزيائية للأرض - أن كربونات الصودا قد جاءت إلى هذه البحيرات عن طريق مياه الأمطار، وهذا ما يُفسّر لنا لماذا يكون الملح الموجود في جزء من البحيرة يختلف عنه في جزء آخر منها. ومياه بحيرة الحمراء رقم (٤) وجزء من مياه البحيرة رقم (٣) ذات لون أحمر يشبه لون الدم، ويعود هذا إلى أمر مادة نباتية - حيوانية، وعندما تتبخر هذه المياه يحتفظ الملح البحري - وهو الذي يتبلور أولاً - بهذا اللون الأحمر ويكتسب رائحة الورد الجميلة^(٢).

ويري المسيو برتوليه أن تكون الصودا، يعود إلى تحليل الملح البحري بفعل كربونات الجير الموجودة في الأرض الرطبة، التي يتم فيها هذا التحليل، ووجود الرطوبة أمر ضروري لحد كبير لتحليل الملح البحري، وقد رأينا أن هذا أمر متوفر. أما الحجر الجيري فإنه موجود بكميات كبيرة فيما بين النيل والبحيرات، وكذلك في الوادي حيث يظهر إما في شكل صخور أو في شكل طباشير^(٣)، بالإضافة إلى وجود النظرون في هذه البحيرات بكميات كبيرة ويحتل أهمية اقتصادية كبيرة في وادي النظرون^(٤).

(١) محمود على سيف: المرجع السابق، ص ٢٥-٢٦.

(٢) أندريوسي: المرجع السابق، ٤٧-٤٨. انظر الشكل رقم ٣.

(٣) نفسه: ٤٨

(٤) سوف يأتي الحديث بإسهاب عن النظرون وتجارته في الفصل الثالث.

ويقع بحر بلا ماء - كما يصفه أندريوسي Andriossi بـ «البحر الفارغ» - إلى الغرب من بحيرات النطرون، التي يشتد الطلب على منتجاتها في مجالات صناعية عديدة في فرنسا، ويبلغ اتساع حوض هذا البحر من شاطئ لآخر نحو ثلاثة فراسخ ويمتلئ بالرمال الناعمة، وهو قاحل لا تبدو به أي مصادر للمياه. وقد وجدنا به الكثير من الخشب المتحجر، وعدداً من أجسام أشجار بأكملها يبلغ طول البعض منها ثمانى عشرة قدماً. ولم يكن يبدو أن أجسام الشجر وقطع الخشب التي ظهرت لعيوننا قد مستها يد الإنسان، وكانت غالبيتها قد تحجرت تماماً، أما أقلها فقد بدأ أقل تحجراً، لذلك كان مغلفاً بطبقة بالغة الكثافة وبالغة الصلابة. أما الجزء الذي يشكل المادة الخشبية «اللباب» فكان متباعداً في شكل طبقات من الورق. وقد وجدنا كذلك في هذا الحوض سلاسل عظام من السمك الكبير الذي بدأ لنا متحجراً، وهو ما يضيف احتمالاً جديداً إلى الاحتمال القائل بأن المياه كانت تجري في هذا الوادي، وأنها كانت تحتوي على حيوانات تعيش فيها^(١).

وتحدث الرحالة السابقون عن هذه المنطقة ويقال إن سبب تسمية المنطقة بهذا الاسم كما ذكر الرهبان بوادي النطرون يرجع إلى أن بعض القراصنة أرادوا مهاجمة الأديرة فأخذ الرهبان يصلون ويدعون الله لإنقاذهم، وكانت مياه البحر تصل من قبل إلى الأديرة ولكن الله استجاب لدعوات الرهبان وانحسر الماء نهائياً من المنطقة وفشل القراصنة في النزول بسفنهم، ولذلك سُميت المنطقة «بحر بلا ماء» لأن المياه كانت تصل إليها قديماً، وتلك رواية كوبان التي ذكرها في القرن السابع عشر، وقد أكدها أيضاً كثير من رحالة القرن الثامن عشر خاصة جرانجية^(٢).

وقد اختلف الرحالة في مسألة وصول مياه النيل إلى هذه المنطقة فأكد أوليفيه أن مياه النيل لم تصل إلى منطقة بحر بلا ماء، ولكن ربما وصلت مياه البحر المتوسط وهو ما يفسر «وجود عظام الأسماك والأصداف»، وأكد خطأ فكرة سافاري والأب سيكار بشأن وصول مياه النيل إلى المنطقة؛ وذلك لأن «تربة المنطقة لا تشبه تربة مصر فلا يوجد بها سوى الرمال والصخور»^(٣).

(١) أندريوسي: المرجع السابق، ص ٥٥-٦٠.

(٢) إلهام محمد علي ذهني: المرجع السابق، ص ٢٣٥-٢٣٦.

(٣) نفسه: ص ٢٣٦.

مساحة وادي النطرون

اختلف المؤرخون والجغرافيون في تحديد مساحة الوادي فقال البعض: إن مساحته تقدر بنحو ٢٠٧ أفدنة، ودلّ على ذلك بأن الضرائب المحصلة على الأرض المستقلة بلغت قيمتها ٢٠٠ دينار^(١). وقال آخر إن مساحته ١٢٠ ألف فدان^(٢) بينما يذكر البعض أن مساحته ٣٠٠ كم^٢ أي ١٥٠٠ فدان تقريباً^(٣).

مناخ وادي النطرون

أما مناخ وادي النطرون فيمكن اعتباره انتقالياً بين مناخ حوض البحر المتوسط ومناخ الصحراء^(٤)، وتسقط الأمطار بكميات قليلة خلال فصل الشتاء وتعتبر مورداً مائياً يسهم في ري أراضي الزراعة بالوادي^(٥). إضافة إلى المياه الجوفية التي تحتزن في جوف الأرض في منطقة ما ثم تنصرف نتيجة لانحدار طبقات الأرض إلى منطقة أخرى تكون أقل في مستواها عن منطقة التخزين^(٦). وقد أكد أندريوسي أن الرياح الغربية ساهمت في نقل الرمال الناعمة من فوق الهضاب إلى الوادي، وأشار إلى أن الظروف الجغرافية والمناخية تركت آثارها على الحياة البشرية والحيوانية والنباتية^(٧).

وقد جعل الموقع الجغرافي من وادي النطرون قلعة طبيعية أغرت الغزاة، كما جعلته منطقة صراع عبر التاريخ بسبب موقعه الاستراتيجي على مفرق الطرق التجارية العابرة ما بين الشرق

(١) أبن دقماق: الانتصار لواسطة عقد الأمصار، ج ٥، مطبعة بولاق، القاهرة ١٣١٠هـ/١٨٩٢م، ص ١١٣.

(2) Philip E. La Moreaux, Reconnaissance Report and Recommendations for Ground-Water Investigations, Wadi el Natrun, Western Desert of Egypt (Cairo: Ministry of Reclamation. The General Desert Development Organization. Desert Institute, 1962): 2,

(٣) عبد اللطيف واكد: المرجع السابق، ص ٤٢٢.

(4) Butcher, E. L: The story of the church of Egypt, 2 vols, London, 1897, p.p.77-78.

(٥) محمود علي سيف: المرجع السابق، ص ١٣٥.

(٦) نفسه: ص ١١٥.

(٧) أندريوسي: المرجع السابق، ص ٥٥-٦٠.

والغرب وما بين شماله وجنوبه^(١). فكان حصناً دفاعياً استراتيجياً منذ القدم لصدد هجوم الليبيين على غرب الدلتا، ومثال ذلك ما قام به ملوك الأسرة الأولى لصدد الغزاة^(٢) وأسر نحو ١٠٠ ألف أسير وعدد كبير من رعاياهم، كذلك أرسل الملك سنوسرت الأول ابنه لعقاب وتأديب الليبيين المغيرين على الحدود الغربية نتيجة انتهاكهم وسلبهم غرب الدلتا لاحتياج قبائلهم البدو والرحل إلى الأراضي الزراعية^(٣)، وكانت نهايتهم على يد رمسيس الثالث عام ١١٧٠ ق.م^(٤). فاشتبك مع الغزاة في موقعة حربية وساقهم أمامه في هزيمة منكرة، حتى ألقى بهم خلف حدود مصر الحالية، وقد دون ذلك على جدران قصره في مدينة أبو- طيبة^(٥). وكذلك ما قام به السنوسيون في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين من الإغارة على السكان وسرقة مواشيهم ومالههم والاعتداء على أرضهم نهباً وسلباً^(٦).

مسميات وادي النطرون

وأكد الرحالة والمؤرخون ما وجدناه في الوثائق والمخطوطات بشأن المسميات التي ترددت حول اسم وادي النطرون، حيث أطلق عليه عدة أسماء. فقد أطلق المصريون القدماء عليه اسم سخت- حمات أو سكة همام وتعني حقل الملح وذلك لتوفر ملح النطرون فيه^(٧)

(١) علي مبارك: المرجع السابق، ص ٤٨-٥٦. انظر الشكل رقم ١، ٢.

(2) A. Fakhry, Recent Explorations in the Oases of the Western Desert (Cairo: Press of the French Institute for Oriental Archaeology, 1942): 210

(3) Ibid., P. 209

(٤) عمر طوسون: المرجع السابق، ص ٦.

(٥) صموئيل تاو وروس السرياني: الأديرة المصرية العامرة، المطبعة التجارية الحديثة، ط ١، القاهرة ١٩٦٨، ص ٦٩؛ عمر طوسون، المرجع السابق، ص ٦.

(٦) وثائق دير السريان: وثيقة بدون رقم، د.ت، مخطوط رقم ٢٨٦، ٢٩٠، ميامر، بمكتبة دير السريان، مرتيروس السرياني، القديس العظيم الأنبا يوحنا القصير الشهير أبو يحنس، شركة النعام للطباعة، القاهرة ١٩٩٥ م، ص ١٢٠.

(٧) Fakhry, A: op. cit. p. 10 أنطونيوس الدويري، تاريخ دير السيدة العذراء برموس، ط ١، القاهرة؛ سن ١٦٧٦ ش / ١٩٦٠ م، ص ١٦-١٧.

ويؤخذ ذلك من النقوش التي توجد على جدران معبد إدفو^(١)، وأطلق عليه اسم حقل البلح لوفرة أشجار النخيل المنتشرة بالوادي آنذاك^(٢)، وذكر أيضاً أن تلك البیداء التي يقع فيها وادي النطرون قديماً عرفت باسم «انتت - حسمن» أي منبع النطرون^(٣) وأيضاً باسم «بثت - بت» وتعني بحيرة السماء وقد ذكر هذا الاسم في فنون الأهرام كمكان لإنتاج البخور، ويحتمل أن يكون ذلك الاسم الديني لوادي النطرون في مصر القديمة^(٤).

وفي العصر اليوناني- الروماني أطلق على الوادي «سكيتيس» وتعني مكان النسك وقد اشتق من هذا الاسم كلمة Scetis وتُنطق بالعربية أسقيط^(٥) واسم سياطس الذي كان يطلق على مدينة تقع في وسط الوادي وتسكنها بعض الجماعات^(٦) وعرف أيضاً باسم صحراء سیتی^(٧) وهو المكان الذي يقع غرب الدلتا وتستخرج منه مادة النطرون^(٨).

ويقول استرابون الذي زار مصر في القرن الأول الميلادي إن هذا الوادي كان يسمى على أيامه بإقليم النطرون، وكان الناس يستخرجون من منابعه مقادير من ملح البارود، وإن سيرابيس إله مصر في عهدي البطالمة والرومان كان يعبد من ساكنيه، كما كانت الشاة دون غيرها تقدم قرباناً إلى الإله^(٩).

(١) نيفين عبد الجواد: أديرة وادي النطرون - دراسة أثرية وسياحية، مكتبة عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الطبعة الأولى، القاهرة ٢٠٠٤م، ص ٢٤.

(٢) عبد اللطيف واكد: المرجع السابق، ص ٤٢٣.

(3) Henri Gauthier, Dictionnaire des noms Geographiques contenus dans les textes Hieroglyphiques, SRGE, le Caire 1980, p. 89

(4) Fakhry, A. :o p. cit. p. 211

(5) Jean-François Champollion, L'Égypte sous les Pharaons, vol. 2 (Paris, 1817): 295-302.

(٦) هيوج. ج. إيفلين هوايت: تاريخ الرهينة القبطية في الصحراء الغربية، مع دراسة للمعالم الأثرية المعمارية لأديرة وادي النطرون منذ القرن الرابع الميلادي إلى النصف الأول من القرن التاسع عشر، ج ١، ترجمة بولا البراموسي، الناشر أبناء الأنبا موسى الأسود، ط ١، دير البراموس سنة ١٩٨٩، ص ٤٢.

(٧) نفسه.

(٨) إبراهيم نصحي: تاريخ مصر في عهد البطالمة، ج ٣، ط ٥، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٨١، ص ٢٧٧.

(٩) صموئيل تاو وروس السرياني: المرجع السابق، ص ٦٩.

ولقد روى أحد المؤلفين، أن بطلميوس - أحد علماء الجغرافيا في القرن الثاني الميلادي -، ذكر منطقة من ليبيا المصرية باسم سيتياكا ريجيو Scythiaca-Regio وعين موقعها جنوب بحيرة مريوط، وتنطبق هذه التسمية - على وجه الخصوص - على المكان الذي تقع فيه بحيرات النظرون، أما الصحارى المحيطة به من جميع الاتجاهات فتُكوّن وادي النظرون^(١).

وفي العصر القبطي حتى العصر العربي أطلق على وادي النظرون اسم البهلَس^(٢) و«برية شها» أو (شيهيت) ويتكون من مقطعين، الأول ويعني يزن والثاني ويعني القلوب ومعناها ميزان القلوب أي المكان الذي يزين الله فيه قلوب ساكنيه ليعرف مقدار محبة كل واحد منهم له^(٣) وعرف باسم وادي الملوك نسبة إلى الأميرين مكسيموس ودوماديوس Maximus & Domatius ابني الملك فالتيانوس الذي صار إمبراطورًا لروما سنة ٣٦٤م وعشقا الرهبنة في وادي النظرون^(٤) واستمر إطلاق هذا الاسم عليه خلال القرن التاسع عشر^(٥).

وفي العصر العربي أطلق على وادي النظرون اسم وادي هابيب وهذه الكلمة قبطية تتكون من مقطعين: ها بمعنى كثير، وبب بمعنى مغارة، أي وادي المغائر الكثيرة، وهي التي كان يسكنها الآباء الرهبان^(٦). وليس صحيحًا نسب هذه التسمية إلى هبيب بن حزام بن عفان الغفاري، وهو أحد عرب فزارة، ومن الذين شهدوا فتح مكة، ولقد هاجر إلى مصر، واستقر بالوادي في أثناء الفتنة التي نشبت ضد عثمان بن عفان ثالث الخلفاء الراشدين، ٢٣ -

(1) Champollion, L'Égypte sous les Pharaons, 290-296.

(٢) البهلَس: كلمة قبطية تعني مستنقعات النظرون، انظر مرتيوس السرياني، المرجع السابق، ص ١٠٢.

(٣) دير السريان: وثيقة رقم ٦٣٢، بتاريخ ٤ ذي القعدة ١٢٩١هـ / ١٤ ديسمبر ١٨٧٤م؛ متى المسكين، الرهبنة في عصر القديس الأنبا مقار، ط ٢، وادي النظرون، ١٩٨٤، ص ٢٠٩.

(٤) إيسودورس، الأنبا: الخريدة النفسية في تاريخ الكنيسة، مكتبة المحبة، القاهرة ٢٠٠٢، ص ٢٢٩.

(٥) دير السريان: وثيقة رقم ٧٠٧، أواخر جماد الآخر ١٢٣٦هـ / ٦ إبريل ١٨٢٠م؛ محكمة البحيرة الشرعية، سجل ١٦٥، مادة ٧٧، بتاريخ ٧ صفر ١٢٩٧هـ / ٦ يناير ١٨٨٠م، ص ١١٣، ١١٤.

(٦) مرتيوس السرياني: المرجع السابق، ص ١٠٢.

٣٥هـ/ ٦٤٣ - ٦٥٥ م^(١) وقد حرف اسم هبيب إلى هبيت نظرًا لتداوله بين المؤرخين والعامّة^(٢) ومن الجدير بالذكر أن أحد الأساقفة أطلق عليه اسم الزنابق^(٣) وفي هذا إشارة إلى أن رهبانه الأتقياء تفوح منهم رائحة المسيح الذكية وهم يزينون الوادي القفر، كما تزين الزنابق الحقول الخضراء^(٤).

وفي العصور الحديثة أطلق على الوادي اسم وادي النطرون نظرًا لاستخراج مادة النطرون من بحيراته، وكانت تسمى باسم الأطرون، ومن ثم فقد سمي الوادي بوادي الأطرون^(٥) كما عرف الوادي باسم وادي الطرانة وهي ولاية تقع على فرع رشيد، كان ينتقل إليها النطرون من الوادي، وهي التي ارتبطت مع الوادي بنشاط تجاري زاهر^(٦) وكان من الصعب على بعض مؤرخي الغرب، وعلى كثير من المحدثين منهم، التمييز بين جبل نتريا^(٧) ووادي النطرون فخلطوا بين الاثنين بل اعتبروا أن المكانين واحد، وهناك من الأدلة ما يثبت أن جبل نتريا ووادي النطرون مكانان مختلفان تفصلهما مسافات شاسعة، فجبل نتريا يستخرج من جواره

(١) تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المقرئ (ت ٨٤٥هـ): المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف (الخطط المقرئية)، مج ١، مكتبة الثقافة الدينية، بيروت (د.ت)، ص ١٨٦؛ عبد المسيح المسعودي البرموسي، تحفة السائلين في ذكر أديرة رهبان المصريين، ط ٢، الناشر دير السيدة العذراء برموس، وادي النطرون سنة ١٩٩٩م، ص ٤٨.

(٢) شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ): معجم البلدان، مج ٨، ط ١، تحقيق محمد أمين الخانجي، القاهرة ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٦م، ص ٣٧٧، ابن الجيعان، التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية، طبعة بولاق، القاهرة ١٣١٦هـ/ ١٨٩٨م، ص ١٣٦.

(٣) أيسوذورس: المرجع السابق، ص ٢٤٢.

(٤) أنطونيوس الدويري: المرجع السابق، ص ١٨.

(٥) دير السريان: وثيقة رقم ١٢٧٤، بتاريخ ١٥ صفر ١٠٥٢هـ/ ١٥ مايو ١٦٤٢م.

(٦) محكمة جامع الحاكم: سجل ٥٧٣، مادة ١٢٧٥، بتاريخ ١٢ ربيع الأول ١١٢١هـ/ ٢٢ مايو ١٧٠٩م، ص ٤٩٠؛ مخطوط دير السريان، رقم ٣٧١ طلبات، نسخ غبريال بن جورجيس سنة ١٤٥٢ ش/ ١٧٣٦م؛ لمزيد من التفصيل انظر ملحق رقم (١).

(٧) جبل نتريا أو جبل البرنوج: هما اسمان لجبل واحد يقع على حافة الصحراء الغربية محاذيًا للدلتا، لمزيد من التفصيل انظر إيفلين هوايت، المرجع السابق، ج ١، ص ٤٩. انظر الشكل رقم ٧.

مادة النتروم أو النتر، ويقع إلى جوار قرية البرنوجي^(١) التي تقع في الدلتا قرب حوش عيسى من أعمال مديرية البحيرة، وتبتعد عن الإسكندرية بنحو ٤٠ كم على منحني زاوية الشمال الشرقي من الصحراء الغربية حتى جنوب دمنهور، وبناءً على ذلك يستبعد هذا الاسم من أسماء وادي النطرون^(٢)، وهذا ما أكدته المخطوطات والوثائق في ضوء أقوال الرحالة أمثال سيكار وأندرياسي وإيفيلين هوايت وأدن وكثيرين غيرهم.

ويتضح لنا من التسميات السابقة أن بعضها كان يطلق على سبيل التعميم على كل منطقة الوادي مثل برية شهيت أو شيهيات، وتعني ميزان القلوب أو الأسقيط أو وادي الملوك أو وادي النطرون، بينما كان بعضها الآخر يطلق على جزء محدود من الوادي، ثم يعمم ذلك الاسم على كل الوادي.

أهمية وادي النطرون

أما أهمية الوادي فيرجع تاريخه إلى عهد الفراعنة، فقد كان قسماً إدارياً من أقسام البلاد^(٣) أضف إلى ذلك مكانته الدينية فهناك العديد من الاكتشافات التي تدل على أن الوادي مقدس حتى عام ٢٠٠٠ ق.م، ومن هذه الاكتشافات تماثيل نصفي bust من الجرانيت الأسود يرجع للأسرة السابعة عشرة الفرعونية وهناك أيضاً بوابة من الجرانيت وأحجار من عتب باب تحمل خراطيش للملك أمنمحات الأول في مكان يسمى كورة الضهر^(٤).

وكان للوادي أهمية اقتصادية من قديم فقد استغل قدماء المصريين مادة النطرون في تحنيط الموتى والتي عجز عن معرفة أسرارها أطباء العالم الحديث، كما كانوا يستخدمونها في عمل

(١) قرية البرنوجي: قرية قديمة، اسمها الأصلي برنوج، وردت في قوانين ابن مماتي وفي تحفة الإرشاد من أعمال حوف رمسيس وفي التحفة من أعمال البحيرة، وفي الانتصار محرفة باسم برنوج وفي تاريخ سنة ١٢٢٨ هـ باسمها الحالي، انظر محمد رمزي، المرجع السابق، ق ٢، ج ٢، ص ٢٨٢.

(٢) محمود علي سيف: المرجع السابق، ص ٩-١٢.

(٣) عمر طوسون: المرجع السابق، ص ٦.

(٤) نفين عبد الجواد: المرجع السابق، ص ٢٧.

الزجاج وتبييض الكتان^(١). واستفادوا من الملح ونبات الحلفا والبوص الذي يدخل في صناعة الحصر وهي الأثاث الرئيسي في دور العبادة^(٢).

كما زادت أهميته منذ العصر الفرعوني كمحطة لطرق النقل والتجارة حيث كانت تمر عبره القوافل المحملة بالمنتجات كافة من الواحات البحرية والفرافرة وسيوة إلى دلتا النيل، وبعضها كان يقطع الوادي من الجنوب إلى الشمال حتى ساحل البحر المتوسط^(٣).

وفي العصر اليوناني والروماني زادت أهمية وادي النطرون، لزيادة الصناعات وتعددتها اعتماداً على مادة النطرون^(٤)، التي دخلت في صنع البخور، والطب، والطهي وعمل الألوان، كما أنها دخلت في التجارة الدولية عبر البحر المتوسط^(٥)، وحرصت الحكومة الرومانية على إقامة قرية بيامون وتزويدها بالجنود المكلفين بحراسة هذه المنطقة من البربر المغيرين على عمال مناجم النطرون^(٦).

ومع بداية العصر القبطي نال الوادي أهمية خاصة بعد ميلاد السيد المسيح، وذكر متى الإنجيلي أن يوسف هرب بالطفل وأمه^(٧)، من وجه هيرودس إلى أرض مصر^(٨). فمرت

(١) صموئيل تاو وروس السرياني: المرجع السابق، ص ٧١. انظر ملحق رقم ٨، ٩.

(٢) نفسه: ص ٧٢.

(٣) محمود علي سيف: المرجع السابق، ص ٢٧، ٢٨.

(٤) إبراهيم نصحي: المرجع السابق، ص ٢٧٧.

(٥) ج. بتلر: فتح العرب لمصر، ترجمة محمد فريد أبو حديد، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٣٣، ص ٩٦.

(٦) E. Amélineau, La géographie de l'Égypte à l'époque copte (Paris, 1890): 319

حكيم أمين عبد السيد: الجماعات الرهبانية في وادي النطرون في القرن الرابع الميلادي، رسالة ماجستير، كلية الآداب، قسم تاريخ، جامعة القاهرة، ١٩٥٥، ص ٣٢.

(٧) يقول الكتاب المقدس: «إذا ملاك الرب قد ظهر ليوسف في حلم قائلاً: قم وخذ الصبي وأمه واهرب إلى مصر وكن هناك حتى أقول لك» لمزيد من التفصيل عن رحلة العائلة المقدسة لمصر، انظر: الكتاب المقدس، إنجيل متى، إصحاح ٢، آية ١٤.

(٨) مجلة الكرازة: الهروب المقدس، العددان ٥، ٦، السنة ٢٦، بتاريخ ٢٢ طوبة ١٧١٤ ش، ٣٠ يناير ١٩٩٨م، ص ١٢.

العائلة المقدسة في أثناء رحلتها على مسطرد ووصلت إلى بلبس ثم سمنود ومنها إلى سخا وعبروا النيل متجهين نحو الغرب حتى وصلت برية شيهيت بوادي النطرون^(١) فاستطاعت رؤية صحراء الأسقيط من مدينة الطرانة الواقعة على فرع رشيد والتي تبعد أربعين كيلومتراً عن الأديرة الحالية^(٢).

وعندما حلت العائلة المقدسة بوادي النطرون حسب ما ورد في ميمر الأنبا «زخرياس»^(٣) أسقف سخا، امتدت يد الطفل الأزلية وهو في حضن أمه العذراء مريم فبارك السيد المسيح جهات وادي النطرون الأربع علي هيئة صليب وذكر لأمه قائلاً: «إن هذا الجبل سيكون به جملة كنائس وأديرة يعمرها الرهبان وكل من يود أن يخدم الرب ويكون فيه أناس يرضونني، ويأتي إليه الناس من كل مكان ليتباركوا منه، حيث لا أدع وحوشاً تسكنه البتة بل يكون مباركاً ومحلاً لقدسي إلي دهر الدهورين ويسمي ميزان القلوب أي برية شيهيت»^(٤).

ووصف لنا ميمر الأنبا زخرياس ما تعرضت له العائلة المقدسة في وادي النطرون حيث اعترض لصان طريقها في أثناء عبورها لمنطقة وادي النطرون، وسلبا كل ما يمتلكانه، ولم يبقا

(١) مجلة الكرازة: العائلة المقدسة في مصر، العددان ٥، ٦، السنة ٢٩، بتاريخ ٢ أمشير ١٧١٧ش، ٩ فبراير ٢٠٠١م، ص ١٨. انظر شكل رقم ٩.

(2) Otto, Melnordus. F. A: The Holy Family in Egypt, Cairo 1986.P.34.

(٣) الأنبا زخرياس أو زكريا: وُلد زكريا لأسرة غنية، وكان والده يوحنا يعمل كاتباً في الإدارة البيزنطية، وقد ترك وظيفته وصار كاهناً. وقد عمل زكريا نفسه ككاتب، ثم ترك وظيفته وصار راهباً في دير يوحنا القصير (كولوبس)، في عهد الراهبين الكبيرين أبرام وجرجي. وقد اختار البطريك الأنبا سيمن الأول (٦٨٩-٧٠١م) الراهب زكريا أسقفاً لمدينة سخا في الدلتا. وقد أدار الأنبا زكريا الأبرشية لقراية ثلاثين عاماً، وتوفي بين سنة ٧٢٣ وسنة ٧٣٠. وتعيد الكنيسة القبطية الأرثوذكسية له يوم ٢١ أمشير / ١٥ فبراير، طبقاً للتقويم الجريجوري، و٢٨ فبراير طبقاً للتقويم اليولياني. وقد ترك لنا العديد من الميامر، والتي كان من بينها الميمر الثالث بتاريخ ٢٤ بشنس ويتناول رحلة العائلة المقدسة لأرض مصر. انظر: وديع الفرنسيكاني، بحث بعنوان «ميامر رحلة العائلة المقدسة، الطبوعات والمخطوطات»، منشور ضمن كتاب «أسبوع القبطيات التاسع، ملف خاص عن هروب العائلة المقدسة إلى أرض مصر، ١٩٩٩م / ١٧١٦ش، كنيسة العذراء بروض الفرج، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٩٥.

(٤) لمزيد من التفصيل عن مسيرة العائلة المقدسة لوادي النطرون انظر: شكل رقم ٩.

إلا ما هو ضروري لسترة الحياة. لكن أحدهما قد رُقَّ لحال العائلة، وقال لرفيقه: «أما كنت تري وجه الصبي نورانيًا وعليه صورة الملائكة...!! إنهم فيما يبدو غرباء»، وكان هذا اللص هو اللص اليميني الذي صلب مع السيد المسيح علي الصليب، حيث إنه أرجع كل ما اغتصبه هو وزميله وقد طلبت السيدة العذراء من ابنها ليعطيه توبة عن أفعاله وقد كان علي عود الصليب حيث صرخ إلي الرب قائلاً: «ذكّرني يا رب متي جئت في ملكوتك»، فكان من أوائل الداخلين إلى فردوس النعيم بعد أن قال له يسوع: «اليوم تكون معي في الفردوس»^(١).

وفي العصور القبطية الأولى سكن النساك والرهبان الوادي فاكتسبت المنطقة شهرتها من سيل الرهبان الذين استوطنوها واتخذوها مقرًا لنسكهم وعبادتهم^(٢) حيث بدأ القديس فرنتون الحياة الرهبانية هناك في منتصف القرن الثاني الميلادي، وكان أول من فكر في عيشة العزلة بالصحراء الغربية^(٣) كذلك اشتهر الراهب أمون المصري (٢٧٥-٣٢٠م) الذي يعتبر المؤسس الأول لأديرة نيرتا^(٤) ومع أوائل القرن الرابع بدأت تنتشر الجماعات الرهبانية على يد القس مكاريوس الإسكندري^(٥) كما شهد الوادي على مقربة من صحراء شيهيت أو الأسقيط مذبحه التسعة والأربعين شهيدًا الذين ذبحهم البربر ودفنت أجسادهم^(٦).

ومع بداية دخول العرب مصر (٢١هـ / ٦٤١م) سمع رهبان الوادي عن أمة جديدة قد ملكت البلاد سار منهم إلى عمرو بن العاص سبعون ألفًا راهبًا^(٧)، وطلبوا منه أن يمنحهم

(١) المتحف القبطي: مخطوطة الأنبا زخرياس أسقف سخا ميمر رحلة العائلة المقدسة لمصر، تاريخ ٤٧٧ (نسخ ١٦٨٦-١٦٨٧)؛ دير السريان، ميامر السيدة العذراء، مراجعة وتقديم نيافة الأنبا متاؤس، مكتبة دير السريان، وادي النطرون، ١٧٢٢ش / ٢٠٠٥ م، ص ٣٣-٣٤.

(٢) حكيم أمين عبد السيد: المرجع السابق، ص ٣٠-٣١.

(٣) مجلة الكرازة: رهبان العزلة، العددان ٤، ٣، السنة ٢٣، ١٢ طوبة ش / ٢٠ يناير ١٩٩٥، ص ١٩.

(٤) أنطونيوس الدوري: المرجع السابق، ص ٢١-٢٢. انظر شكل رقم ٧.

(٥) نفسه.

(٦) حكيم أمين عبد السيد: المرجع السابق، ص ٣٢.

(٧) أظن أن هذا الرقم مبالغ فيه.

حُرّيتهم الدينية ويأمر برجوع بطيركهم من المنفي، فأجاب طلبهم وأمر بعودة البابا بنيامين^(١)، وقدمت القبائل العربية إلى مصر، وانتشرت مع بدء قدومها في صحراء مصر^(٢)، فتركز بعضها بالوادي وخاصة عرب فزاره الذين عملوا بحرفتي الرعي والتجارة^(٣).

ومع بدء حكم الفاطميين لمصر سنة (٣٦٣-٥٦٧هـ/ ٩٧٣م-١١٧١م) ظهر فيها الرخاء الاقتصادي والزراعي وزادت الاستفادة من موقع الوادي الاستراتيجي كمصدر لإنتاج النطرون وتجاراته، وكمراعي طبيعية لتربية الأغنام والماعز والإبل^(٤) بينما استفاد الأيوبيون والمماليك (٥٦٧-٩٢٣هـ/ ١١٧١-١٥١٧م) من رمال الوادي الناعمة التي تدخل في صناعة الزجاج^(٥)، كما ساند عربان الوادي طومان باي في صراعه ضد العثمانيين^(٦).

وفي العصر العثماني (١٥١٧-١٧٩٨م) زادت أهمية الوادي بعد أن جعل العثمانيون من مدينة الطرانة ولاية ضمن ولايات مصر^(٧) وأصبحت من أكبر مقاطعات النطرون^(٨)، حتى إن

(١) ثيودور هوك باترك: تاريخ الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، ترجمة ميخائيل مكسى، مكتبة المحبة، القاهرة ٢٠٠٥، ص ٥٣.

(٢) عبد الله خورشيد البرى: القبائل العربية في مصر في القرون الثلاثة الأولى من الهجرة، دار الكتاب العربي، القاهرة ١٩٦٧م، ص ٥٢.

(٣) حكيم أمين عبد السيد: المرجع السابق، ص ٣٣.

(٤) ثيودور هوك باترك: المرجع السابق، ص ٧١.

(٥) سعيد عبد الفتاح عاشور: الأيوبيون والمماليك في مصر والشام، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٩٨، ص ١٧١، ٣١٢.

(٦) إيمان محمد عبد المنعم عامر: العربان ودورهم في المجتمع المصري في النصف الأول من القرن التاسع عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٧م، ص ١٩.

(٧) محكمة جامع المحاكم الشرعية: سجل ٥٧٣، مادة ١٢٧٥، بتاريخ ١٢ ربيع الأول ١١٢١هـ/ ٢٢ مايو ١٧٠٩، ص ٤٩٠؛ مخطوط دير السريان، رقم ٣٧١، طلبات، نسخ غبريال بن جورجوس، سنة ١٤٥٢ ش/ ١٧٣٦م، لمزيد من التفصيل انظر: ملحق رقم (١).

(٨) محسن على شومان: المقاطعات الحضرية في مصر في العصر العثماني، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، سنة ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص ١٦٣-١٦٤.

إنتاجها من النطرون في عام ١٦٧٢ م بلغ أربعة وعشرين ألف قنطار ولأهمية الوادي في إنتاج هذه المادة لعائدها المادي الكبير اتخذها السلطان العثماني في عام ١٧٣٠ م ملكاً له^(١) وفي فترة الحملة الفرنسية على مصر (١٧٩٨-١٨٠١ م) شهد الوادي اهتماماً من جانب علمائها، فقد أشار أندريوسي Andriossi أثناء زيارته لهذه المنطقة في يناير سنة ١٧٩٩ م إلى أهمية بحيرات النطرون^(٢) وأعطى وصفاً طبيعياً وجغرافياً، وتحدث عن الأديرة القبطية، وأهم قبائل العربات التي سكنت هذا الوادي^(٣).

ومجمل القول، أنه تتضح أهمية وادي النطرون، لتوسطه بين مدينتي القاهرة والإسكندرية، وقربه من الدلتا، وتعدد وسائل النقل والمواصلات للوصول إليه، كما أنه لعب دوراً في العصر الفرعوني من الناحية الدينية والاستراتيجية حيث كان مدخلاً لغزاة مصر من الصحراء الغربية، وفي العصر اليوناني والروماني لعب دوراً اقتصادياً وعسكرياً، ومكاناً مقدساً في العصر القبطي بزيارة العائلة المقدسة، وتعدد الأديرة القبطية، أما في العصر العربي فشهد توافد القبائل العربية إليه وتوطنها بها، بينما أصبح في العصر العثماني من أكبر المقاطعات، وفي عصر الحملة الفرنسية (١٧٩٨-١٨٠١ م) لقي اهتماماً خاصاً بين أقاليم مصر الجغرافية. وحالياً تعد منطقة الوادي من بين أشهر المناطق الرهبانية في مصر والعالم، وأيضاً من أكثر المناطق الجاذبة للسياحة الداخلية والخارجية.



(١) عمر طوسون: المرجع السابق، ص ١٥-١٦.

(٢) تأليف علماء الحملة الفرنسية: المرجع السابق، ج ٢، ص ٤٩-٥٠.

(٣) نفسه: ص ٦٣-٧٧.

الفصل الثاني
الرحالة الزائرون
لواحيه النطرون

الفصل الثاني

الرحالة الزائرون لوادي النطرون

لقد زار وادي النطرون منذ بداية القرن الرابع الميلادي وحتى القرن العشرين كثيرًا من الرحالة اختلفت دوافعهم، فبعض الرحالة كانت رحلته بدافع الحج لمركز الرهبة المسيحية، والبعض الآخر كان لطلب العلم بالتعرف على طقوس وقوانين الرهبة ومبادئها، ونقلها إلى بلادهم، والبعض كانت دوافعه للتجارة، أو لغرض شخصي من أجل البحث عن الكنوز المطمورة في الوادي، أو شراء المخطوطات أو سرقتها. وعلى الرغم من أن كثيرًا منهم كان حافزهم الكسب المادي والشهرة، فقد أفاد معظمهم أدب الرحلات من خلال التعرف على بعض الرحالة ودوافع زيارتهم للوادي، وأيضًا مادة التاريخ بما أسهبوا فيه من وصف، كان شاهدًا على أحوال وادي النطرون في تلك الحقبة، وهذا ما سوف نتعرض له في هذا الفصل.

أدب الرحلات في الكتاب المقدس

الرحلة هي انتقال واحد أو جماعة أو قبيلة أو أمة من مكان إلى آخر لمقاصد مختلفة وأسباب متعددة، كجذب بلادهم وضيقها أو لاضطهاد وقع عليهم، أو على أثر حروب أتلقت أرزاقهم وأسباب معيشتهم، ومع هذه الأسباب تسمى رحلاتهم مهاجرة، وهذا شأن الأمم منذ قديم الزمان^(١). وقد خلق الله الإنسان محبًا للحركة والتنقل، وأمدّه بالعقل الذي يدعوه لذلك، والجسم القوى الرشيق الذي يعينه على الانتقال من موضع لآخر بحثًا - في البداية - عن طعامه وشرابه، هربًا من القوى المعادية، وقد بدت له عاتية مخيفة، سواء كانت الطبيعة من برق ورعد وعواصف أو فيضانات وزلازل وبراكين أو كانت ضخمة كالديناصورات والأفيال، أو مفترسة كالأسود والنمور والذئاب. فالحركة روح الحياة وهي سمة أساسية في التركيب

(١) بطرس البستاني: دائرة المعارف، مؤسسة مطبوعاتي إسماعيليان، د. ت.

الجسد والنفسي للإنسان، وقد هياه الله لها، وجعلها إمكانية ضرورية لحياته، تتسق مع الهدف من إيجاده والغاية التي خلق لأجلها، وهي تعمير الأرض وعبادة الله تعالى^(١).

وتشير كتب التاريخ الطبيعي والأنثروبولوجيا وغيرها إلى أن الإنسان لم يتوقف عن الحركة والتنقل، حتى بعد أن تعلم الزراعة وعرف كيف يستقر ويبني ويؤسس المجتمعات. لقد ظلَّ على مدى العصور يتطلع بعينه إلى الآفاق البعيدة - ولا يكف عن التفكير فيما تضمه من الخلق والموجودات وفيما تحمله من الكنوز والخيرات، خاصة حين تضيق به الحال ويحف الماء والضرع، أو تضنُّ الطبيعة عليه بما يملأ بطنه ويسعد قلبه، وهو إلى جانب ذلك مشوق إلى معرفة الشمس الذي منه تشرق، وإلى معرفة مسكنها الذي إليه تغرب، وحريص على أن يعرف من أين ينبع النهر الذي يتدفق في أرضه، وإلى أين ينتهي، وكلما مرت السنون رأى من الدنيا عجباً إثر عجب، وجديد يعقب جديداً، وحديثاً ينسخ قديماً، وهو لا يستطيع أن يفكر أبداً وهو جالس في كوخه أو داره، فما الفكر في هذه الحالة إلا عجالات تدور في موضعها، وليس إلا خطوات تسير في محلها، وهو يريد أن يعرف، ودوافع الرغبة في المعرفة بلا نهاية، ذاتية وموضوعية، عقلية ونفسية وغيبية أيضاً^(٢).

على أية حال، كل هذه الرحلات بدأت محدودة، ثم اتسعت مع مر الزمن، فالإنسان وُلد راحلاً، وإن أعجزته الرحلة، تحيَّل رحلات غير محسوسة في عالم الخيال، ونجد ذلك مبثوثاً في الأساطير الأولى، كما نجده ماثلاً في الحروب والفتوح القديمة، وما سطره الملوك الأول في مصر وغير مصر. ومن المعروف أن ملوك مصر سجلوا رحلاتهم في آسيا. وعلى جدران معبد الدير البحري بمصر العليا تصاوير بديعة لسفن الملكة حتشبسوت من ملوك الأسرة الثامنة عشرة وهي عائدة من رحلتها من بلاد «بونت»^(٣).

وكان للفينيقيين رحلات بحرية كبيرة خاضوا فيها عباب المحيط الأطلنطي، وخطوا رحالهم في الجزائر البريطانية، وأقاموا مستعمرات لهم على طول بحر الروم في الجنوب، وفي

(١) فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة ٢٠٠٢م، ص ١٧.

(٢) نفسه: ص ١٧-١٨.

(٣) بلاد بونت: حالياً هي بلاد الصومال وتقع في جنوب شرق قارة أفريقيا.

إسبانيا وخلفهم الإغريق يقيمون مستعمرات لهم في جنوب البحر الأسود وفي بحر الروم، وقد عنوا عناية واسعة بوصف البلدان والأقاليم التي زاروها، وقدموا لنا كثيرًا من المعارف الجغرافية، وهم أول من تحدثوا عن كروية الأرض وبأن وراء البحار والمحيطات عوالم مسكونة، تقطنها شعوب مختلفة، ويعد أكبر رحاله عرفه الإغريق هيروdot الذي زار مصر وقبرص وفينيقيا وآشور وإيران وتوغل نحو الشمال إلى البسفور، وأودع مشاهداته في هذه الزيارات أو الرحلات تاريخه الكبير. وخلفه طائفة من مؤرخي الإغريق حفلت كتبهم بأخبار الأمم المجاورة، ولعل أهمهم «بلوتارك» الذي عنى بتاريخ اليونان والرومان، ومنه استمد شكسبير كثيرًا من مسرحياته. وتصبح روما عاصمة العالم القديم، ويتوغل أبناؤها في إمبراطوريتها الواسعة، ويجمعون من هنا وهناك أخبار الأمم والشعوب، حتى يمكن أن يقال إن مؤرخيهم جمعوا لنا ما كان معروفًا عن سطح الأرض في زمانهم وفي مقدمة هؤلاء المؤرخين يوليوس الذي دون في كتابه «التعليقات» حروبه في الغال، ووراءه كثير من مؤرخي الرومان، يقصون الأسفار والرحلات ويصفون البلدان النائية، ومن برعوا في ذلك «تاسيت» الذي قص أحوال التوتون الأوائل في كتابه «جرمانيا»^(١).

وسجل لنا الكتاب المقدس أخبار تعود لأبي الآباء إبراهيم في ارتحاله من حاران^(٢) إلى مصر حيث ذكر الكتاب «وَحَدَّثَ جُوعٌ فِي الْأَرْضِ، فَانْحَدَرَ أَبْرَامُ إِلَى مِصْرَ لِيَتَغَرَّبَ هُنَاكَ، لِأَنَّ الْجُوعَ

(١) شوقي ضيف: الرحلات، الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة ١٩٥٦م، ص ٧-٨.

(٢) حاران (حاران): اسم ربما كان من أصل أكادي معناه «طريق»، «قافلة» وهو اسم يطلق على مدينة بين النهرين (دجلة والفرات)، على نهر بليخ وهو فرع لنهر الفرات وتقع على مسافة ٢٨٠ ميلًا إلى الشمال الشرقي من دمشق (عاصمة سورية). وكانت المدينة مركزًا تجاريًا، لكونها على أحد الطرق التجارية الرئيسية بين بابل والبحر المتوسط، وقد اتخذت إله القمر إلهًا لها وتغرب فيها تارح وإبراهيم مدة من الزمن، ومات تارح هناك. وسكنت فيها أسرة ناحور، ولابان أخو رفقة، ويعقوب. وقد استولى عليها الآشوريون كما ورد ذلك في ٢ ملوك ١٩: ١٢ وأشعيا ٣٧: ١٢. وفي ٥٣ ق.م. انهزم القائد الروماني كرسوس، رفيق بومباي ويوليوس قيصر بالقرب من حاران أمام القائد الفارسي سورينا، ودُبح بطريقة وحشية حالًا بعد ذلك. والمدينة حاليًا قرية صغيرة لا تزال محتفظة بذات الاسم. لمزيد من التفصيل انظر: الكتاب المقدس سفر التكوين، والملوك الثاني.

في الأَرْضِ كَانَ شَدِيدًا»^(١) ونسله من بعده^(٢)، وفي زمن المملكة يهرب يربعام بن ناباط أحد معارضي سليمان الملك إلى مصر^(٣)، وكذلك في زمن يهوياقيم الملك حيث يفر أحد الأنبياء هاربًا منه^(٤)، وبعد السبي يهرب رجال إسرائيليون هم وعائلاتهم إلى مصر^(٥)، وفي زمن المكابيين يقيم اليهود معبدًا لهم في منطقة أون - المطرية وعين شمس حاليًا - يدعى معبد أونياس.

على أية حال، تعدُّ رحلة العائلة المقدسة من أهم الرحلات وأشهرها في العالم؛ لأنها الرحلة التي أمر فيها الربُّ يوسف النجار بالهروب إلى مصر، من وجه هيرودس الذي سمع أخبار المجوس، حتى اضطرب وأمر بقتل أطفال بيت لحم من ابن سنتين فما دون^(٦)، وأطاع يوسف، وبدأ رحلته، ويذكر التقليد القبطي أن سالومي رافقت مريم ويوسف والطفل يسوع في رحلتهم الشاقة إلى مصر، للهروب، ودخلت العائلة المقدسة أرض مصر من مدخلها الشرقي عن طريق شمال سيناء من جهة الفرما بين العريش وبورسعيد، وبعدها اتجهوا إلى تل بسطة قرب الزقازيق، ولم يقبلهم أهلها فتركوها بعد أيام إلى منطقة مسطرد وصلوا إلى بليس ثم سمنود ومنها إلى سخا، وعبروا النيل متجهين إلى برية شيهيت بوادي النطرون^(٧).

وبعد ذلك اتجهت العائلة إلى عين شمس إلى المكان المعروف بالمطرية، واستظلوا تحت شجرة تعرف بشجرة مريم العذراء. ثم ساروا جنوبًا إلى الفسطاط في منطقة حصن بابليون، وهناك سكنوا المغارة الموجودة في كنيسة القديس سرجيوس (أبي سرجة) ومنها للمعادي حيث

(١) الكتاب المقدس: سفر التكوين (١٢: ١٠).

(٢) الكتاب المقدس: سفر التكوين (تك ٤٢ - ٤٦).

(٣) الكتاب المقدس: ملوك الأول (١١: ٤٠).

(٤) الكتاب المقدس: سفر إرميا (٢٦: ٢١).

(٥) الكتاب المقدس: ملوك الثاني (٢ مل ٢٥: ٢٦).

(٦) الكتاب المقدس: إنجيل متى الأصحاح الثاني (١٢: ١).

(٧) ماجد عزت إسرائيل: وادي النطرون في القرن التاسع عشر، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠٠٩م،

ص ٢٢. انظر الشكل رقم ٩، ١٣.

عبروا النيل إلى البهنسا ثم سألوط، ثم إلى منطقة جبل الطير، وعبرت مرة ثانية إلى الأشمونين^(١)، ومنها ذهبوا إلى قرية تسمى فيلبس وهي حاليًا ديروط الشريف، ثم اتجهوا إلى القوصية، وقيل إن أهل المدينة طرودهم؛ فذهبوا إلى قرية ميرة^(٢) غربي القوصية وقضوا فيها عدة أيام، ومن ميرة إلى جبل قسقام حيث دير العذراء الشهير بالحرق، وكان المفروض في العودة أن تكون إلى أرض إسرائيل حسب أمر الرب ليوسف^(٣)، ولكن لما سمع أن أرخيلاوس يملك على اليهودية عوضًا عن هيرودس أبيه أوحى إليه في حلم أن يذهب إلى الجليل، فأتى وسكن في الناصرة^(٤) لكي يتم ما قيل بالأنبياء أنه سيدعى ناصريًا^(٥).

(١) اشتق اسمها من المدينة القديمة المسماة بالهيروغليفية (خنو)، أو مدينة الثمانية المقدسة، وكانت عاصمة الإقليم الخامس عشر في مصر العليا القديمة، وأطلق عليها اليونانيون هرموبوليس، كما سماها القبط (شمون)، ومنها جاءت التسمية العربية أشمونين، وهي تقع جنوب محافظة المنيا وبالتحديد على بعد مسافة ٨ كم غرب ملوي، وبها العديد من المعالم الأثرية منها جبانة حكام هذا الإقليم في عصر الدولة القديمة، ومتحف في الهواء الطلق يضم تماثيل ضخمين للإله تحوت على شكل قرد بابون متضرعا للشمس، بالإضافة لمنحوتات حجرية أخرى. وترجع إلى عهد الدولة الحديثة، وبقايا معبد للإله تحوت من عهد رمسيس الثاني، وبقايا معبد من فيليب أرهيديس والسوق اليونانية المحاطة بمجموعة من الأعمدة من الجرانيت الأحمر ذات تيجان كورنثية وتوجد لافتة حجرية تحدد تاريخ إنشاء السوق سنة ٣٥٠ ق.م. في عهد بطليموس الثاني وزوجته أرسينوي. ودير البرشا أو أبوحنس حيث توجد كنيسة محفورة بالجليل ترجع للقرن الخامس الميلادي، وهي على الطراز البازيليكي وأعمدتها من الجرانيت، وأيضًا توجد أيقونة لهرودس الملك وهو يقتل أطفال أورشليم عندما كان يبحث عن السيد المسيح، وكذلك أيقونة للسيد المسيح تعود للقرن الخامس الميلادي

(٢) قرية ميرة: حاليًا تعرف بقرية مير.

(٣) الكتاب المقدس: إنجيل متى (١٩: ٢).

(٤) الناصرة: هي من أكبر مدن الجليل وفيها عدد كبير من الأديرة والكنائس وفيها عدة مواقع تاريخية نذكر منها على سبيل المثال العين التي كانت العذراء تتردد عليها، وكنيسة البشارة في الموضوع الذي انتهت فيها البشارة، وحافة الجليل المطل على سهل مرج بن عامر الذي أراد عنده أهل الناصرة أن يطرحوا يسوع إلى أسفل. وقد سمي يسوع الناصري (الغصن) وجاء في أكثر من موضع في العهد القديم: «ويخرج قضيب من جذع يسي وينبت غصن من أصوله ويحمل عليه روح الرب»، الكتاب المقدس (أش ١١، ٢).

(٥) القمص ميخائيل فهمي، «العائلة المقدسة في مصر»، مجلة الكرازة، العدد ٥٦، السنة ٢٩، يتاريخ ٢

أمشير ١٧١٧ ش/ ٩ فبراير ٢٠٠١ م، ص ١٨.

كما يسجل الكتاب المقدس في العهد الجديد ثلاث رحلات تبشيرية قام بها القديس بولس الرسول^(١) لنشر رسالة الإنجيل في منطقة آسيا الصغرى وأوروبا. فكانت الرحلة التبشيرية

(١) بولس الرسول: اسمه شاول الطرسوسي ويعني بالعبرية «المشتهي - شوقي» أو «المطلوب في الصلاة»، ومعروف عند اليهود في الشتات أن كل ولد يولد يعطى اسمين الأول عبراني مثل شاول، والثاني يتناسب مع لغة أهل البلاد، واسم «بولس» هو روماني «ومعناه «الصغير»، ولد بولس الرسول في طرسوس وهي عاصمة إقليم كيليكية جنوب آسيا الصغرى، وهي تقع في السهل الشرقي من جبال كيليكية وعلي نهر سيدنوس الذي يخترقها مندفعاً إلى البحر حيث كانت ترسو سفن التجارة من كل بقاع العالم، وكانت المدينة أيام القديس بولس تحت حكم الإمبراطورية الرومانية، ولكنها فازت بالحكم الذاتي كونها مدينة حرة سنة ٦٧ ق.م، ويقول القديس يوحنا ذهبي الفم ربما عن وثائق كانت تحت يده: إن بولس ولد سنة ٢ ميلادية، وبمولده حصل على الجنسية الرومانية، وذكر بولس أنه ينتمي لسبط بنيامين، وكان من عادة اليهود أن يبدؤوا التعليم للطفل وهو في ابن الخامسة حيث يتمرن على قراءة الأسفار، وفي سن العاشرة يبدأ تعليم كتب شرح الناموس، وفي سن الثالثة عشرة من عمره يتعاطى الناموس، كانت طرسوس في ذلك الوقت مركزاً من مراكز التهذيب العقلي. فقد كثرت فيها معاهد العلم والتربية. وكانت مركزاً للفلسفة الرواقية التي ظهر تأثيرها في كثير من تعبيرات الرسول عن المبادئ المسيحية. وسبق القول أنه لا بد أن يكون الم في صغره بالتاريخ المقدس من الكتاب وتاريخ اليهود من التقاليد. وكسائر صبيان اليهود تعلم حرفة يلجأ إلى الاكتساب منها إذا احتاج. وكانت الحرفة التي تعلمها بولس صنع الخيام، فلا يدل ذلك على فقر أو ضعة. ولما أتم تحصيل ما يمكن تحصيله في طرسوس أرسل إلى أورشليم، عاصمة اليهودية ليتبحر في الناموس. ونعرف أنه تربى عند رجلي غملائيل وكان هذا من أشهر معلمي الناموس ومفسريه فأصبح بهذا وبما له من العلم والمعرفة والاستعداد أكثر استعداداً وكفاءة للتبشير. فقد تأهل أكثر من سائر الرسل للمداخلة والتبشير بين اليهود واليونانيين والرومانيين والبرابرة. ويظهر أن شاول ذهب إلى أورشليم في صغر سنه، وربما كان عمره ما بين ٢٠ أو ٢٢ عاماً حينما شرع مخلصنا يظهر ذاته للناس. كان أول ذكر لبولس في أثناء محاكمة استفانوس حيث قام بعض المسيحيين «وخلعوا ثيابهم عند رجلي شاب يقال إنه شاول، مما يدل على أنه صاحب نفوذ وأنه كان راضياً بقتله أي أنه كان، على الأغلب، ضمن المذكورين الذين ساقوا التهم ضد الشهيد الأول. فيظهر هنا كشخص متعصب، يكره الفكرة أن ذلك المصلوب هو المسيح ويعتقد أن تابعيه كانوا خطراً دينياً وسياسياً. وبضمير مستريح كان يقوم بنصيب وفير في محاولة إرجاع هؤلاء أو قطع دابرهم، قام بهذا الاضطهاد بقسوة شخص يثيره ضمير مضلل. فلم يكتف بمهاجمة أتباع ذلك الطريق في أورشليم بل لاحقهم في خارجها. وفي كل ذلك يظن أنه يؤدي خدمة الله والناموس. ويذكر الكتاب المقدس كيف تحول بولس من شخص يضطهد المسيحيين إلى مبشر بالمسيح، حيث ذكر =

الأولى استجابة لدعوة الله لإعلان الإنجيل فقد غادر بولس وبرنابا كنيسة أنطاكية في سوريا. واتخذوا الوعظ طرقاً لهما للتبشير في المجمع اليهودية. ولكن عندما رفض الكثير من اليهود الإيمان بالمسيح فهم الرسولان دعوة الله للتبشير للأمم^(١).

وهنا لا بد أن نسجل أن شاول الطرسوسي مُضطهد الكنيسة تحول إلى بولس الرسول المُضطهد بسبب شهادته الجريئة للمسيح. حاول الذين رفضوا رسالة الخلاص يسوع المسيح أن يوقفوه ويؤذوه. في إحدى المدن رجوه وتركوه، ظانين أنه ميت. ولكن في كل التجارب والجلدات والسجن الذي تعرّض له استمر يركز باسم المسيح. وقد تعرض لدسائس كثيرة من اليهود، ووقف أمام ولاية وملوك، مثل فيلكس، وفستوس، وأغرياس، وقيصر، ومجمع السنهدريم، وتسببت خدمة بولس للأمم بالجدال حول مَنْ يخلص وكيف يخلص. وفيما بين رحلته الأولى والثانية شارك في مؤتمر في أورشليم يناقش طريق الخلاص. وكانت النتيجة التي توصلوا إليها هي أن الأمم يمكن أن يخلصوا دون الخضوع للتقاليد اليهودية^(٢).

= الكتاب قائلًا: «وَفِي ذَهَابِهِ حَدَّثَ أَنَّهُ اقْتَرَبَ إِلَى دِمَشْقَ فَبَغْتَهُ أَبَرَقَ حَوْلَهُ نُورٌ مِنَ السَّمَاءِ، فَسَقَطَ عَلَى الْأَرْضِ وَسَمِعَ صَوْتًا قَائِلًا لَهُ: «شَاوُلُ، شَاوُلُ! لِمَاذَا تَضْطَهِدُنِي؟ فَقَالَ: «مَنْ أَنْتَ يَا سَيِّدُ؟» فَقَالَ الرَّبُّ: «أَنَا يَسُوعُ الَّذِي أَنْتَ تَضْطَهِدُهُ. صَعِبٌ عَلَيْكَ أَنْ تَرُفَسَ مَنَاخَسَ، فَقَالَ وَهُوَ مُرْتَعِدٌ وَمُتَحِيرٌ: «يَا رَبُّ، مَاذَا تُرِيدُ أَنْ أَفْعَلَ؟» فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «قُمْ وَادْخُلِ الْمَدِينَةَ فَيَقَالَ لَكَ مَاذَا يَنْبَغِي أَنْ تَفْعَلَ...». بعد ظهور السيدة المسيح له قام ورجع ملتهدًا بنفس الغيرة التي كان يحارب بها يسوع، وإنما الآن شهد بها ليسوع، ولما حاولوا قتله هرب إلى أورشليم حيث رحب به برنابا وقدمه للرسول، وحيث بشر بمجاهرة جعلت اليونانيين في أورشليم يحاولون قتله فذهب إلى قيصرية ومنها إلى طرسوس مسقط رأسه، وقضي بها نحو سبع سنوات، وأنه فيها أسس الكنائس المسيحية في كيليكية. وقام بالعديد من الرحلات من أجل التبشير بالمسيحية، وكتب القديس بولس الرسول ١٤ رسالة تشمل ١٠٠ إصحاح، وظل يعطي ويبشر باسم يسوع حتى استشهد بقطع رقبته في عام ٦٧ م علي يد الإمبراطور الروماني نيرون (٣٧-٦٧ م)، الأب متى المسكين، القديس بولس الرسول، مطبعة دير الأنبا مقار، وادي النطرون ١٩٩٢ م، ص ٣٧-٥٠، شنودة الثالث (البابا)، القديسان بولس وبطرس، الطبعة الأولى، الكلية الإكليريكية، القاهرة، ١٩٩٧ م، ص ٨-١٠. انظر الشكل رقم ١٠.

(١) الكتاب المقدس: أعمال الرسل (١٣-١٤).

(٢) شنودة الثالث (البابا): المرجع السابق، ص ٢٨-٣١.

أما الرحلة التبشيرية الثانية، فبعد أن بنى كنيسة أنطاكية، طلب من برنابا أن يصحبه لزيارة الكنائس التي تأسست في زيارتهما الأولى^(١)، ولكن حدث بينهما اختلاف أدى إلى افتراقهما. حول الله هذا الاختلاف إلى أمر إيجابي لأنه بهذا تشكل فريقين رسوليين. ذهب برنابا إلى قبرص مع يوحنا مرقس، وأخذ بولس سيلا معه إلى آسيا الصغرى. وجه الله بولس وسيلا إلى اليونان بطريقة معجزة، وبهذا وصل الإنجيل إلى أوروبا. في مدينة فيلبّي تعرض الفريق الرسولي للضرب والسجن. وفي السجن ترنما فرحاً بمعاناتهما من أجل المسيح. فجأة أحدث الله زلزالاً فتح أبواب السجن وحررهما من قيودهما. قبل السجن المسيح لذهوله مما حدث، ولكن السلطات الحاكمة توسلت إليهما أن يرحلا عن المدينة. عندما سافر بولس إلى أثينا، قام بالوعظ لجمهور فضولي على جبل مارس إله الحرب. أعلن أن الله هو الإله الوحيد الحقيقي الذي يمكن أن يعرفه ويعبدوه دون أوثان مصنوعة بيد إنسان. مرة أخرى سخر منه البعض والبعض الآخر قبلوا وآمنوا. قام بولس بتعليم أولئك الذين آمنوا وثبتهم في كنائس. في أثناء رحلته التبشيرية الثانية تلمذ بولس أناس من خلفيات مختلفة: شاب يدعى تيموثاوس، وامرأة تاجرة قماش تدعى ليديا، والزوجين أكىلا وبريسكلا^(٢).

أما الرحلة التبشيرية الثالثة^(٣) قام بولس بالكراسة بكل حماس في آسيا الصغرى. وقد أيد الله خدمته بالمعجزات، حيث يسجل لنا الكتاب المقدس كيف أن القديس بولس كان يعظ عظة أطول من المعتاد في ترواس. كان هناك شاب يجلس على حافة نافذة في دور علوي، ونام في أثناء العظة فسقط من النافذة. ظنوا أنه مات لكن بولس أنعشه مرة أخرى^(٤). كما كان القديس بولس حازماً من عليم الساحر فامتلاً من الروح القدس، وانتهر ذلك الساحر وقال له: «والآن هوذا يد الرب عليك. فتكون أعمى ولا تبصر الشمس إلى حين». فللحال سقط عليه ضباب وظلمة، فجعل يدور ملتصماً من يقوده بيده،^(٥) هذا الحادث يدل أيضاً على السلطان الذي

(١) الكتاب المقدس: أعمال الرسل (١٥: ٣٦-١٨: ٢٢).

(٢) موقع أسئلة من الكتاب المقدس.

<https://www.gotquestions.org/Arabic>

(٣) الكتاب المقدس: أعمال الرسل، (١٨: ٢٣-٢٠: ٣٨). انظر الشكل رقم ١٠.

(٤) الكتاب المقدس: أعمال الرسل، (٢٠: ٧-١٢).

(٥) الكتاب المقدس: أعمال الرسل، (١٣: ٦-١١).

وهبه الله لهذا الرسول القديس^(١)، ولكن صانعي الأوثان لم يكونوا راضين عن فقد مصدر رزقهم بسبب هذا الإله الواحد الحقيقي وابنه المتجسد. فأثار أحدهم ويدعى ديمتريوس شغباً في كل المدينة، ليحث الناس على عبادة إلهتهم ديانا. كانت التجارب دائماً تتبع بولس. ولكن الاضطهاد والمقاومة ساعدت المؤمنين على نشر رسالة الإنجيل^(٢).

في نهاية رحلة القديس بولس التبشيرية الثالثة، عرف أنه سرعان ما سيسجن بل ربما يقتل. كانت كلماته الأخيرة التي كتبها لكنيسة أفسس تين مدى تكريسه للمسيح: «أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ دَخَلْتُ آسِيَّا، كَيْفَ كُنْتُ مَعَكُمْ كُلَّ الزَّمَانِ، أَخَذْتُ مِنَ الرَّبِّ بِكُلِّ تَوَاضَعٍ وَدُمُوعٍ كَثِيرَةٍ، وَبِتَجَارِبٍ أَصَابْتَنِي بِمَكَائِدِ الْيَهُودِ. كَيْفَ لَمْ أُؤَخَّرْ شَيْئاً مِنَ الْفَوَائِدِ إِلَّا وَأَخْبَرْتُكُمْ وَعَلَّمْتُكُمْ بِهِ جَهْرًا وَفِي كُلِّ بَيْتٍ، شَاهِدًا لِلْيَهُودِ وَالْيُونَانِيِّينَ بِالتَّوْبَةِ إِلَى اللَّهِ وَالْإِيمَانِ الَّذِي بَرَّبَنَا يَسُوعَ الْمَسِيحَ. وَالْآنَ هَآنَا أَذْهَبُ إِلَى أُورُشَلِيمَ مُقَيَّدًا بِالرُّوحِ، لَا أَعْلَمُ مَاذَا يُصَادِفُنِي هُنَاكَ. غَيْرَ أَنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ يَشْهَدُ فِي كُلِّ مَدِينَةٍ قَائِلًا: إِنَّ وُثْقًا وَشِدَائِدَ تَنْتَظِرُنِي. وَلَكِنِّي لَسْتُ أَحْتَسِبُ لِسَيِّءٍ، وَلَا نَفْسِي ثَمِينَةً عِنْدِي، حَتَّى أَتِمَّ بِفَرَحٍ سَعْيِي وَالْخِدْمَةَ الَّتِي أَخَذْتُهَا مِنَ الرَّبِّ يَسُوعَ، لِأَشْهَدَ بَبَشَارَةِ نِعْمَةِ اللَّهِ»^(٣). يرى بعض دارسي الكتاب المقدس أنه قام برحلة رابعة أيضاً، ويبدو أن تاريخ الكنيسة الأولى يؤيد هذه الفكرة. وفي نفس الوقت لا يوجد دليل كتابي قاطع على هذه الرحلة الرابعة، حيث إنه لا بد قد قام بها بعد نهاية أحداث سفر الأعمال.

على أية حال، إن الهدف الرئيسي من رحلات بولس التبشيرية كان واحداً: وهو إعلان نعمة الله لمغفرة الخطايا بالمسيح يسوع. استخدم الله خدمة بولس لتوصيل الإنجيل للأمم وتأسيس الكنيسة. إن رسائله إلى الكنائس، والمتضمنة في العهد الجديد، ما زالت حتى اليوم تساند الكنيسة والعقيدة. ورغم أنه ضحى بكل شيء، إلا أن رحلاته التبشيرية كانت تستحق الثمن الذي دفعه^(٤).

(١) شنودة الثالث (البابا): المرجع السابق، ص ٢٠.

(٢) موقع أسئلة من الكتاب المقدس.

<https://www.gotquestions.org/Arabic>

(٣) الكتاب المقدس: أعمال الرسل، (٢٠: ١٨-٢٤).

(٤) الكتاب المقدس: رسالة بولس الرسول إلى أهل فيلبي (٣: ٧-١١). انظر شكل رقم ١٠.

دوافع الرحالة لزيارة وادي النطرون

تتعد الدوافع التي تحمس الإنسان للرحلات، وتختلف هذه الدوافع من شخص إلى آخر ومن مجتمع لمجتمع ومن عصر لعصر، فدوافع الرحالة الأوروبيين تختلف عن دوافع رحالة بلاد الشرق وبلاد أفريقيا عند زيارتهم لوادي النطرون، إلا أنها في الأغلب لا تخرج عن أن تكون:

دوافع إلهية:

من هذه الدوافع الإلهية ظهور الملاك ليوسف النجار في حلم قائلاً له: «قُمْ وَخُذِ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ وَاهْرُبْ إِلَى مِصْرَ، وَكُنْ هُنَاكَ حَتَّى أَقُولَ لَكَ. لِأَنَّ هِيرُودُسَ مُزْمِعٌ أَنْ يَطْلُبَ الصَّبِيَّ لِيُهْلِكَ، فَقَامَ وَأَخَذَ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ لَيْلًا وَانْصَرَفَ إِلَى مِصْرَ، وَكَانَ هُنَاكَ إِلَى وَفَاةِ هِيرُودُسَ. لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ مِنَ الرَّبِّ بِالنَّبِيِّ الْقَائِلِ: «مِنْ مِصْرَ دَعَوْتُ ابْنِي.»^(١)، وأيضاً لكي ما يتم الوعد الإلهي بالكتاب المقدس الموحى به من الله حيث ورد عن زيارة السيد المسيح لمصر ولوادي النطرون «هُوَذَا الرَّبُّ رَاكِبٌ عَلَى سَحَابَةٍ سَرِيعَةٍ وَقَادِمٌ إِلَى مِصْرَ، فَتَرْجِفُ أَوْتَانُ مِصْرَ مِنْ وَجْهِهِ، وَيَذُوبُ قَلْبُ مِصْرَ دَاخِلَهَا.»^(٢). وكذلك في ذلك اليوم يَكُونُ مَذْبَحُ لِلرَّبِّ فِي وَسْطِ أَرْضِ مِصْرَ، وَعَمُودُ لِلرَّبِّ عِنْدَ تَحْمِهَا، فَيَكُونُ عَلَامَةً وَشَهَادَةً لِرَبِّ الْجُنُودِ فِي أَرْضِ مِصْرَ. لِأَنَّهُمْ يَصْرُخُونَ إِلَى الرَّبِّ بِسَبَبِ الْمُضَاقِينَ، فَيُرْسِلُ لَهُمْ مُخَلِّصًا وَمُحَامِيًا وَيُنْقِذُهُمْ، فَيَعْرِفُ الرَّبُّ فِي مِصْرَ، وَيَعْرِفُ الْمِصْرِيُّونَ الرَّبُّ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَيَقْدِمُونَ ذَبِيحَةً وَتَقْدِمَةً، وَيَنْذَرُونَ لِلرَّبِّ نَذْرًا وَيُوفُونَ بِهِ»^(٣). وهنا نسجل أن أول الرحالة الزائرين لوادي النطرون هي العائلة المقدسة والتي كانت تتكون من الطفل يسوع الذي بارك وقدس أركان الوادي، والسيدة العذراء، ويوسف النجار، لا والقديسة سالومي هي ابنة خالة السيدة العذراء، وكانت تعمل قابلة (داية)، كما لازمت العائلة المقدسة في رحلتها إلى مصر بسبب ملازمتها وخدمتها للسيدة العذراء^(٤).

(١) الكتاب المقدس: إنجيل متي (١٣-١٥). انظر شكل رقم ٩.

(٢) الكتاب المقدس: سفر أشعيا (١٩: ١).

(٣) الكتاب المقدس: سفر أشعيا الإصحاح ١٩: (١٩-٢١).

(٤) الموقع الرسمي لدير الأنبا بيشوى.

دوافع الحج

كان يرتحل للحج المقدس فمعظم الحجاج الأوروبيين كانوا يأتون إلى مدينة القدس^(١) بفلسطين لزيارة الأماكن المقدسة التي باركها السيد المسيح في أثناء حياته فيها^(٢) وبعد أن شيدت الملكة هيلانة والددة القديس قسطنطين كنيسة القيامة (٣٣٥م) وعثرت على خشبة الصليب المقدس، وتعرفت على قبر السيد المسيح تدفق الحجاج بكثرة لزيارة المدينة^(٣).

(١) مدينة القدس: اتخذت عدة أسماء- فقد سُميت (يوس) واليوسيون هم بناء القدس الأولون وقد يرد اسمها (أورشليم) وتعني بالعبرية (أساس السلام)، أو (ملك السلام)، وقيل: إن إبراهيم الخليل سماها (مدينة السلام)، حيث إن كلمة (أور) بالكلدانية تعني «مدينة» وهي التي هاجر منها إبراهيم عليه السلام نحو سنة ١٩٢١ ق.م. وفي ألواح تل العمارنة الفخارية التي عثر عليها في سنة ١٨٨٧ م بمصر، ورد اسمها أوروساليمو (urrsalmu)، وقد كانوا يغضون أمير هذه المدينة ويكيلون له اللعنات. وقد يرد اسمها محذوفاً منه المقطع الأول- وهو (أور) بمعنى مدينة، فيقال إنها مدينة (شاليم)- أو (سليم)، ومن ملوكها (ملكيسادق)، وهو أول من اختطها وبنها كما أطلق عليها أورشليم و(أريئيل)، وأريئيل معناها (موقد الله) تنور الله أو نار الله، ومن ثم سميت أورشليم (مدينة الله)، مدينة الربها عير في العبرية أي «المدينة» كما سميت «مدينة القدس» ثم «المدينة المقدسة» وكذلك سميت (مدينة العدل)، ثم مدينة الحق. أما في اللغة العربية، فقد أطلق عليها «إيليا» وهو الاسم الذي عرفت به منذ عهد «هادريان»، وبيت المقدس والمقدس و«القدس الشريف» والاسم الغالب عليها حالياً هو «القدس»، انظر: الكتاب المقدس: سفر يشوع بن نون، الإصحاح ١٥: ٨، ٦٣؛ نفسه، سفر التكوين، الإصحاح ١٤، عدد ١٨؛ نفسه إشعياء (١: ٢٩)؛ نفسه سفر ذكريا الإصحاح الثامن: ٣، غريغوريوس، الأنبا: القدس المسيحية منذ القدم إلى اليوم، لجنة النشر للثقافة القبطية والأرثوذكسية، القاهرة ١٩٩٢م، ص ٣. صموئيل، الأنبا: تاريخ أبو المكارم عن الكنائس والأديرة في القرن الثاني عشر بآسيا وأوروبا، ج ٣، النعام للطباعة، القاهرة ٢٠٠٠، ص ١٣، غريغوريوس، الأنبا، المرجع السابق، ص ٣- ٤. ثيودور هول باترك: تاريخ الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، المرجع السابق، ص ٧٩. جريدة الجمهورية، بتاريخ ١٠ فبراير ١٩٩٢م. جريدة وطني: بتاريخ ١٩ يناير ١٩٧٥م. انظر شكل رقم ١١، ١٢.

(2) Vasiliev, A. A: The Empire of Trebizond in History and literature, Byzantium XV (1970- 1971), pp.316-326.

(٣) حسنين محمد ربيع: دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ط ٦، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٩٨م، ص ٢٦.

وعقب انتهاء طقوس الحج في مدينة القديس، كان الحجاج يأتون إلى مصر لزيارة المزارات المسيحية فيها خاصة دير سانت كاترين^(١) في صحراء شبه جزيرة سيناء وشجرة مريم في

(١) دير سانت كاترين: يقع دير سانت كاترين بواحة فيران الواقعة بين أكثر الجبال وعورة وجمالاً، وبالتحديد على سفح قمة جبل كاترين القريب من جلي طور سيناء أو جبل موسى، ويرتفع عن سطح البحر بنحو ٥٠١٢ قدماً، ويعد من أقدم أديرة العالم. وأطلق على هذا الدير عدة مسميات منها دير السيدة العذراء مريم، نسبة إلى تشييد أول كنيسة في هذا المكان على اسمها، وبعد زيارة الإمبراطورة هيلانة للدير عام ٣٤٢م، وتشيدها كنيسة وقلال وسور لحماية الرهبان، وتخليداً لتذكار زيارتها أطلق الرهبان عليه دير القديسة «هيلانة»، وهنا يجب أن نؤكد أن الإمبراطور جستنيان الأول (٤٨٢-٥٦٥م) استكمل إنشاء دير كاترين الذي وضعت أساسه الإمبراطورة هيلانة، أو بعبارة أخرى أن الدير تم تأسيسه ما بين (٣٤٢-٣٥٧م)، وبعد فترة وجيزة اشتهر الدير باسم دير «سانت كاترين»، وهي الشهيدة التي قطع رأسها الإمبراطور الروماني ماكسيموس في مدينة الإسكندرية يوم ٢٥ نوفمبر ٣٠٧م؛ لأنها استطاعت أن تقنع حكماء باعتراف المسيحية، وبعد مضي وقت على نياحتها رأى أحد الرهبان في رؤيا له أن الملائكة حملت رفات القديسة كاترين من محل استشهادها بمدينة الإسكندرية، وهبطت بها فوق الجبل بسيناء حالياً (جبل كاترين)، وبعد هذا الرؤية، ذهب وفد من الرهبان لقمة الجبل ونقلوا جسدها الطاهر للدير المسمى باسمها، حيث ظهرت السيدة العذراء للرهبان وأشارت إلى تسمية الدير باسم عروس المسيح القديسة كاترين ويعد الدير من بين أكبر الأديرة المصرية مأهول بالرهبان كان يضم أكثر من ٣٠٠ راهب بجانب عديد من الرعايا المسيحيين الذين كانوا يلجأون إلى الدير عند مواجهتهم أى خطر، وفي بداية القرن الحادى عشر وصل عدد الرهبان نحو ٢٠٠ راهب، نتيجة لتشييد العديد من الأديرة في قبرص وكريت وأثينا، ثم تناقص هذا العدد تدريجياً في سبعينيات القرن العشرين المنصرم، حيث وصل عدد الرهبان نحو اثنتا عشرة راهباً وفي ثمانينات ذات القرن وصل عددهم نحو ٢٥ راهباً، وربما اعتقد أن عددهم زاد إلى نحو مائة راهباً في الوقت الحالى (مطلع القرن الحادى والعشرين). ورهبان وكنهنة الدير حالياً من اليونانيين وليسوا عرباً أو مصريين، شأنهم شأن أساقفة كنيسة الروم الأرثوذكس في مدينة القدس التي يسيطر عليها اليونانيون منذ عهود طويلة. ويرأس رهبان دير سانت كاترين رئيس بدرجة مطران يلقب بمطران طور سيناء، ويتم اختياره من بين رهبان الأخوية السينائية، ويرسمه بطريرك القدس للروم الأرثوذكس، وعليه أن يذكر اسم البطريرك، لمزيد من التفصيل انظر: عبده مباشر وإسلام توفيق: سيناء الموقع والتاريخ، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٨م، ص ١٥٣، السنكسار، يحوى أخبار الأنبياء والرسل والشهداء والقديسين المستعمل في كنائس الكرازة المرقسية، ج ١، ط ٢، إعداد اللجنة المجمعية للطقوس، دير السيدة العذراء السريان ٢٠١٣م، ص ٢٥٠-٢٥٢، نعوم بك شقير: تاريخ سيناء القديم والحديث، وجغرافيتها، =

المطرية^(١)، والأديرة القبطية في وادي النطرون لاستكمال حجهم المقدس، ودون بعض هؤلاء الحجاج رحلتهم في مذكراتهم بشيء من التفصيل عن مدينة القدس ووادي النطرون.

وهنا يجب أن نسجل أن معظم الرحالة خلال القرنين السادس والسابع عشر الميلاديين تأثروا بكتابات هيرودوت Herodote وسترابون Strabon واقتبسوا العديد من الملاحظات وأورودها في كتبهم، أما رحالة القرن الثامن عشر الميلادي فلم تقتصر زياراتهم لمصر على المزارات المسيحية، فقط، بل جابوا مدن مصر وتوغلوا في صعيد مصر وصحاريها، ولم تكن زيارتهم قصيرة وسريعة، فقد مكث منهم عدة سنوات فيها فجاءت كتاباتهم عن مصر عامة ووادي النطرون خاصة أعمق بكثير مما سبقوهم^(٢). وخلال القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين وصل الرحالة الأوروبيون إلى كل نواحي مصر، وكان لسلطات الاحتلال البريطاني دور في ذلك.

دوافع تعليمية وورهبانية

عندما ذاع صيت مصر في مجال الرهبنة بصفة عامة وبرية شيهيت بصفة خاصة، وبعد أن تحول الوادي من منطقة للزهد والتقشف إلى منارة للتعليم ونسخ المخطوطات وكتابة العديد

= مع خلاصة تاريخ مصر والشام والعراق وجزيرة العرب، تقديم محمد إبراهيم أبوسليم، دار الجليل، بيروت - لبنان ١٤١١هـ / ١٩٩١م، ص ٣٢. جوزيف نسيم يوسف: دراسات في المخطوطات العربية بدير القديسة سانت كاترين في سيناء، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، العدد ٢٢، الإسكندرية ١٩٦٩، ص ١٣٣، دار الوثائق القومية بالقاهرة: محافظ مجلس الوزراء، محفظة ٤/أ، شركات وجمعيات، ٢٤ مايو ١٩٠٤م؛ نقلاً عن صبري أحمد العدل، وثائق سيناء، مختارات من وثائق القرن التاسع عشر، سلسلة دراسات وثائقية، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ١٧٥٣هـ / ٢٠١٣م، ص ٣٢٦-٣٢٧. شواهد المؤسسات: اللوحة التذكارية بتشييد بدير سانت كاترين، انظر شكل رقم ١٣؛

German, Wiesbaden, Hans Ernst; Die mamlukischen Sultansurkunden des Sinai-Klosters

, Harrassowitz, 1960, P17-18

(1) James Bentley, Secrets of Mount Sinai Hardcover – December 3, 1985, p18.

(٢) إلهام محمد علي ذهني: مصر في كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين في القرن الثامن عشر، المرجع السابق، ص ٧-٨. انظر الأشكال رقم ١، ٢، ٥، ١٣.

من المؤلفات للمحافظة على التعاليم الأولى للمسيحية، جاء عدد كبير من الرحالة إلى الوادي من أجل التبرك والتعليم على يد شيوخ الرهبان^(١) وقد فعل ذلك بورفيري الذي وفد من مدينة غزة بفلسطين عام ٩٧٨ م، وفثينوس الذي كان من العلماء المشهورين في كبادوكيا سنة ٩٣٣ م، وأيضاً أندرونيكوس الأنطاكي الذي تتلمذ على يد القديس دانيال في برية شيهيت، بالإضافة لوجود العديد من بعض الرهبان من رومانيا وأسبانيا وليبيا والمدن الخمس الغربية بشمال أفريقيا وكبادوكية وبيزنطية وإيطاليا ومقدونيا وسورية وفلسطين وغلطية^(٢)، كما جاء إلى البرية من أجل التعليم الراهب الكابوش جيليس دى لوش Gilles De Loches، وأيضاً الراهب الدومينيكي جوهان ميخائيل فانسليب J. B. Wnsleben^(٣).

دوافع استكشافية

والرحالة الأوروبيون إلى وادي النطرون، كان هدفهم الأول البحث عن الاكتشافات الأثرية والمعمارية والأواني. وكان جولين Jullien وهو أول من اكتشف النقوش بالجبس بكنيسة دير السريان، وأيضاً بتلر Putler وهو أول من كتب عن أعمال الجص الموجودة على حوائط كنيسة السيدة العذراء السريان، والعلامة هيوج إيفيلين هوايت Evelyn White الذي قضى عدة أسابيع بأديرة برية شيهيت ولاحظ ووصف الكثير عنها في مجلده الذي كتبه في ثلاثة أجزاء وعنوانه «تاريخ الرهبنة القبطية في الصحراء الغربية»^(٤).

دوافع سياسية وعسكرية

وتتمثل في الوفود والسفارات التي بعث بها الملوك والحكام إلى ملوك وحكام الدول الأخرى؛ لتبادل الرأي وتوطيد العلاقات أو لمناقشة بعض الأمور التي تتعلق بين البلدان

(١) ماجد عزت إسرائيل: وادي النطرون في القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص ٢٨٩. انظر ملحق رقم ٣.

(٢) مخطوط رقم ١٧، حياة القديس مقاريوس، الناسخ سراييون، محفوظ بمكتبة دير القديس مقاريوس (الأنبا مقار) بوادي النطرون المخطوطة.

(٣) سمعان السرياني، الراهب: دير السيدة العذراء السريان، مراجعة وتقديم نيافة الأنبا متاؤسس رئيس دير السريان، مطبعة دير البرموس، ١٩٩٠ م، ص ٩٠-٩٤.

(٤) نفسه.

أو التمهيد لعمل عسكري، أو دراسة البيئة الجغرافية لإجراء بعض التجارب أو المناورات العسكرية أو لاستكشاف ووصف طبوغرافية وادي النطرون وقد فعل ذلك عام ١٧٩٨م الجنرال الفرنسي أندريوسي Androssy وقت الوجود الفرنسي بمصر^(١).

دوافع اقتصادية

شهد وادي النطرون نشاطاً اقتصادياً تمثل في استخراج النطرون من البحيرات المنتشرة بين أرجائه، وجذب هذا النشاط أنظار العالم إليه، وخاصة بعد أن تعاظمت أهمية النطرون، لا سيما بعد نجاح تجارب استخدامه في مجال صناعات عديدة وزادت تجارتها، فوفد إلى برية شيهيت العديد من الرحالة من أجل تجارة النطرون، وزيارة أديرة الوادي^(٢). وفعل ذلك في سنة ١٦٤٠م دولا بولاي لوجوز، وكتب في مذكراته القيمة الاقتصادية لمادة النطرون التي كانت تصدر آنذاك إلى مصانع أوروبا^(٣).

دوافع اقتناء المخطوطات

احتلت مكتبات أديرة وادي النطرون شهرة عالمية بكثرة مخطوطاتها، ولذلك وفد كثير من الرحالة من أجل الحصول على بعض المخطوطات كهدية أو الحصول عليها عن طريق الشراء، وفعل ذلك يوسف السمعانى المارونى^(٤)، وبيرسك الذي حاول شراء كتب المزامير من دير الأنبا مقار^(٥)، ولا ننكر أن بعض الرحالة وفدوا إلى الوادي من أجل سرقة المخطوطات والأواني الأثرية^(٦).

(١) تأليف علماء الحملة الفرنسية: العرب في ريف مصر وصحاريها، وصف مصر، ج ٢، المرجع السابق، ص ٤١-٦٠.

(٢) ماجد عزت إسرائيل: وادي النطرون في القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص ٢٠٠.

(٣) هيوج.ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص ١٥٧-١٥٨.

(٤) سمعان السرياني، الراهب: المرجع السابق، ص ٩٠-٩٤.

(٥) هيوج.ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص ١٥٧.

(٦) لمزيد من التفصيل انظر ملحق رقم ٢، ٣، ٤، ٥.

دوافع صحية

وجاء إلى بحيرات وادي النطرون العديد من الرحالة من أجل العلاج أو الاستشفاء من أمراض العظام والأمراض الجلدية، وآخرون سافروا إلى برية شيهيت كنزهة وفسحة روحية، للتعرف على البيئة الصحراوية وعلى عادات وتقاليد البدو الرحل وأشباه الرحل والمستقرين، وسجلوا لنا كل ذلك في مذكراتهم، التي تعد حاليًا من أهم المصادر التاريخية لدراسة الحياة الاجتماعية والاقتصادية بوادي النطرون^(١).

الرحالة الزائرون لوادي النطرون من القرن الرابع الميلادي حتى القرن العشرين

القديس والمؤرخ جيروم ومعه القديسة الإيطالية باولا

(جيروم JEROME) (٣٤٢-٤٢٠ م) واسمه إيرونيموس يويابوس Hieronymus Eusebius، وُلد في عام ٣٤٢ م في مدينة صغيرة تُدعى ستريدون Stridonia بالقرب من أكويلا Aquileia^(٢)، وكان له أخ أصغر يُدعى بولينان Paulinian وأخت صغيرة، وسلك كلاهما مسلك جيروم في اختيار الحياة الرهبانية دربًا لحياتهما، مما يدل على أن والده يوسابيوس كان مسيحيًا رومانيًا تقيًا. وما بين عامي (٣٦٠-٣٦٧ م)، درس النحو والبلاغة في روما، وتلمذ على يد دوناتوس Donatus، وفي فترة شبابه قام بنسخ العديد من الأعمال الأدبية الشهيرة، وتعمّد في روما، ثم تركها وذهب إلى مدينة تريف، وهناك جذبه النموذج الشرقي للرهبانية وللحياة النسكية التقوية، وكان يقضى وقت فراغه في أعمال النسخ فنسخ لنا أعمال القديس هيلاري أسقف بواتيه، وبعد ذلك عاد إلى موطنه نحو عام ٣٧٠ م، مع صديقه بونوسوس Bonosus، وعاش بضع سنوات في شركة رهبانية نسكية مع روفينوس وكروماتوس

(١) ماجد عزت إسرائيل: بدو وادي النطرون والسلطة السياسية في القرن التاسع عشر، في كتاب: البدو في العالم العربي عبر العصور، تحرير عبادة كحيلة، تصدير عادل غنيم، ج ١، دار المعارف، القاهرة ٢٠١٥ م، ص ١٢١-١٤٩. انظر الأشكال رقم ١، ٢، ٣.

(٢) تادرس يعقوب الملطي (القمص) ويوسف يوسف حليم (القس): قاموس آباء الكنيسة وقديسيها: مع بعض شخصيات كنسية، كنيسة الشهيد مارجرس بإسبورتنج، الإسكندرية ٢٠٠١ م.

Chromatius وهليودورس Heliodrus. وفي عام ٣٧٤ م. انطلق إلى فلسطين، لكنه تأخر في الطريق قليلاً في أنطاكية ليستمع إلى مواعظ أوليناريوس أسقف لادوكية، وهناك في حلم رأى نفسه مُداناً أمام كرسي المسيح؛ لأنه استمر فيلسوفاً ينتمي لسيرو Cicero الفيلسوف أكثر منه مسيحياً، وقد روى هذه الرؤيا في رسالة إلى استوكيوم Eustochium لكي يشجعها على دراسة الكتاب المقدس. وبعد هذه الرؤية مضى وتوحد في صحراء خالكيس بسوريا وظل بها مدة تتراوح ما بين أربعة إلى خمسة أعوام^(١).

بعدها عاد إلى مدينة أنطاكية حيث رسمه بولينوس كاهناً، وفي سنة ٤٨٠ م. ذهب إلى القسطنطينية حيث تتلمذ على يدي القديس أغريغوريوس النريزي. ومن القسطنطينية رحل إلى روما حيث عينه البابا داماسوس Damasus سكرتيراً له، ولم يمنعه هذا العمل من خدمته للأرامل مارسيلا Marcella وبولا Paula والدة استوكيوم، واضطرته متطلبات دراساته الكتابية إلى تحسين لغته العبرية بمساعدة أحد الرابين (معلمي اليهود)^(٢).

على أية حال، يعد جيروم من مشاهير دارسي الكتاب المقدس وأول من ترجمه إلى اللاتينية (الفولجاتا)، وقد قدم إلى مصر عام (٣٨٥م) واصطحب معه الأرملة باولا (تنيحت سنة ٤٠٤م) إحدى ثريات إيطاليا التي اشتاقت إلى حياة القداسة والبعد عن العالم، زارت أولاً قبر ص، وتحدثت إلى القديس إبيفانيوس أسقفها، وذهبت إلى أنطاكية حيث تقابلت مع جيروم وقدما معاً قاصدين الإسكندرية، بقيا في الإسكندرية ٣٠ يوماً. وتتلّمذ جيروم حسب قوله على يد ديديموس اللاهوتي الإسكندري الضرير الذي كان يلقي محاضراته في المدرسة اللاهوتية الشهيرة. ومن الإسكندرية انحدرا معاً إلى نترية سنة ٣٨٥م، وبقياً هناك مدة طويلة. وأهم ملاحظات جيروم في هذه الزيارة حيث ذكر قائلاً: «وقد قمت بجولة استطلاع شاملة على كل أديرة نترية ولاحظت وجود ثعابين تجري بين قلاي القديسين... وفي أثناء الزيارة كانت باولا

(١) الآباء المؤرخون: مصادر التاريخ الكنسى: ترجمة أنطون فهمى جورج، مطبعة الأنبا رويس، القاهرة ١٩٩٣م، ص ٣٠-٣٣.

(٢) نفسه.

شديدة التأثير والفرح برؤية القديسين، وأخذتها غيرة وحماس لحياتهم... أن نظرون نترى الطاهر قادر أن يغسل ويظهر الكثيرين من خطاياهم..... لقد رأت الأسقف إسيدوروس المعترف؛ وكثيرون من الآباء الكهنة القديسين استقبلوها بفرح، فكانت تمجد الله وتشعر أنها غير مستحقة لهذه الكرامة، لقد رأت المقارين وأرسيزيوس (أكثر من واحد) وسيرايبون (أكثر من واحد) أعمدة المسيح، وزارات جميع قلاليهم وسجدت تحت أقدامهم وكانت تشعر أنها رأت المسيح في كل واحد منهم. وعندما أعطت أموالها لهم شعرت أنها أعطتها لله.. وكان حماسها لهم عجيبيًا، وكان احتمالها (لأتعب التنقل بين آلاف الرهبان والمييت في البرية) لا يصدق بامرأة، لقد نسيت ضعف أنوثتها وطلبت أن تعيش بينهم، وقد رحبوا بها فعلاً وأعطوها كل مطالبها، ولكن غلبها في الآخر حنينها لأورشليم، فغادرت نترى متجهة نحو الأراضي المقدسة. ويلاحظ هنا أن جيروم وباولا زارا الأسقيط (برية شيهيت) وتقابلا مع القديس مقاريوس الكبير^(١).

وبعد زيارته لبرية شيهيت عاد جيروم إلى أورشليم عام ٣٨٦ م، واستقر في بيت لحم حيث أسس ديرًا للرهبان وآخر للعداري، وكرس حياته للدراسة والبحث والترجمة. وقد واجه العديد من البدع والمهرطقات مثل الأريوسية والبيلاجية التي اشترك مع أغسطينوس في مواجهة تعاليمها، كما كان له موقفه المقاوم بشدة للتعاليم الأوريجانية والذي اختلف بسببه مع صديقه روفينوس ودخل في العديد من الجدالات، وفي عام ٤١٤ م. وقف ضد بيلاجيوس المبتدع في أورشليم مدافعًا عن العقيدة الصحيحة، وفي عام ٤١٦ م. انتقم البيلاجيون منه وأحرقوا ديرهم، وبعد أربعة أعوام تنيح جيروم أي في عام (٤٢٠ م). ودُفن في أورشليم في بيت لحم^(٢).

وتتمثل إسهامة جيروم التاريخية في كتابه «مشاهير الرجال De Visis Illustribus» وهو تأريخ لسير وأعمال الكُتاب الكنسيين، ويقول في مقدمة هذا العمل «سأكتب أولاً عن هؤلاء الرجال المشاهير ورسائلهم إلى الأمم وعن كل الذين لهم مؤلفات وتأملات عن الإنجيل المقدس،

(١) متى المسكين (الأب): الرهبنة القبطية في عصر القديس الأنبا مقار، الطبعة الثانية، مطبعة دير الأنبا مقار، وادي النطرون ١٩٨٤ م، ص ١٨٦-١٨٧.

(٢) الآباء المؤرخون: مصادر التاريخ الكنسي: المرجع السابق، ص ٣٤-٣٦.

بداية من آلام السيد المسيح وحتى السنة الرابعة عشر من عهد الإمبراطور ثيودوسيوس^(١). وقد كتب هذا العمل في بيت لحم عام ٣٩٢ م. استجابة لطلب صديقه دكستر Dexter، وكان يهدف بذلك إلى الرد على الوثنيين والهرطقة الذين اتهموا المسيحيين بالجهل وبأنه ليس بينهم علماء ولا دارسون. ولأن جيروم قد اعتمد على «التاريخ الكنسي» ليوسابيوس القيصرى، لذلك وقع في نفس أخطائه لكنه على أية حال قدم لنا في عمله هذا مرجعاً مهماً وثميناً في دراسة علم الباترولوجي^(٢).

كما يذكر التاريخ لجيروم ترجمته لكتاب «التاريخ Chronicle» ليوسابيوس القيصرى، وأيضاً ترجماته للأعمال الجدلية ذات القيمة التاريخية الفائقة، كما وجدنا بين رسائل جيروم وثائق مهمة خاصة بالقدّيس ثيوفيلس السكندري، ومضابط مجمع مكاني عقد في أورشليم، ونصوص شرقية أخرى تمت ترجمتها ونُشرت في الغرب بهدف جدلي، ونذكر منها على سبيل المثال، الرسالة رقم ٥١ من إبيفانيوس إلى يوحنا أسقف أورشليم، والرسالة رقم ٨٧ و ٨٩ من ثيوفيلس إلى جيروم، والرسالة رقم ٩٠ من ثيوفيلس إلى أيبفانيوس أسقف سلاميس، والرسالة رقم ٩١ من إبيفانيوس إلى جيروم، الرسالة رقم ٩٢ و ٩٣ وهما رسالتان مجموعتان أرسلهما ثيوفيلس، ورد ديونيسيوس أسقف Lydda عليها، والرسالة رقم ٩٦ و ٩٨ وهما رسالتان فصحتان كتبهما ثيوفيلس، والرسالة رقم ١١٣ من ثيوفيلس إلى جيروم. كما ترجم مجموعة من الوثائق القبطية الباخومية إلى اللاتينية، وكذلك كتب لنا سير الآب بولا أول السواح، والقدّيس هيلاريون الكبير، والقدّيس ملخوس Malchus، وبالإضافة إلى هذه الأعمال العديدة ذات القيمة التاريخية الثمينة، كان لجيروم أعماله الأخرى، فترجم الأناجيل والأسفار القانونية الثانية، ونسخة منقحة من الهكسابلا (السداسيات)، ونسخة منقحة من المزامير، وترجم عظات أوريجين وديديموس الضيرير، ووضع الكثير من التفاسير الكتابية والرسائل^(٢).

(١) نفسه.

(٢) نفسه.

إيفاجريوس البنطي

غريس البنطي أو الأنبا إيفاجريوس أومار أو غريس أو إيفاجريوس، وُلد في مدينة إيبورا Iborra من أعمال بنطس سنة ٣٤٥ م، ابنًا لخوري أبسكوبوس. رسمه القديس باسيليوس أسقف قيصرية قارئًا، والقديس إغريغوريوس النزينزي شماسًا. وفي القسطنطينية سلمه القديس إغريغوريوس للبطريك نكتاريوس، بوصفه شماسًا بارعًا في دحض كل الهرطقات، فصار واعظًا شهيرًا عُرف بحمية الشباب في دحض البدع^(١).

إيفاجريوس، هذا الراهب الأجنبي الزائر، كان يمثل بالنسبة لكل براري نتريا والقلاي وشيهيت وكل مصر عنصرًا دخليًا خطيرًا بالنسبة للحياة الرهبانية القبطية ذات الطابع الروحي القلي البسيط. فقد كان مولعًا بالجدل والمعرفة القائمة على التأملات والتصورات وحدها، يعشق أوريجانس ويطبق أفكاره على المبادئ الروحانية ليحولها إلى علوم ومعارف وتدريبات ويقول عنه المؤرخ الأمريكي إفلين وايت: « أدخل عنصر العقلانية وصهرها بالحياة الرهبانية في مصر، فدخلت الرهبة في مرحلة عقلية خطيرة انتهت بمحنة قاسية أودت بالحياة الرهبانية في نتريا كليًا. وبالرغم من بقاء بعض الآباء مثل القديس أور، ويثور وبامو كعميد للرهبة الوطنية من القرن الرابع (٣٧٥-٤٠٠ م). قامت جماعة من الرهبان معظمهم من الأجانب أو من اليونانيين المتمصرين أمثال أمونيوس الطويل وديوسقوروس ويوثيميوس وباسيوس وألانيوس وهيراكس الصغير وهيراكس الكبير وكرنيوس وبالليديوس وعلى رأسهم جميعًا يأتي إيفاجريوس، هذه الجماعة أدخلت خلصة إلى الصحراء عنصراً غريباً يقوم على الجرأة العقلية التأملية المبنية على الفلسفة اليونانية بدت غريبة وغير منسجمة مع الرهبان الأقباط الوطنيين^(٢).

على أية حال، إيفاجريوس هذا (٣٤٥-٣٩٩ م) حضر إلى مصر هاربًا من الخطيئة سنة ٣٨٣ م. بعد مؤامرة خطيرة مع امرأة متزوجة، وكانت توبته على يدي القديسة ميلانيا.. وظل يدرس

(١) تدرس يعقوب المطي (القمص) ويوسف يوسف حليم (القس): المرجع السابق. حرف أ.

(٢) متى المسكين (الأب): الرهبة القبطية في عصر القديس الأنبا مقار، المرجع السابق، ص ١٨٥.

النظام الرهباني في نتريا سنتين، بعدها انحدر إلى القلاي وتلمذ على يد مقاريوس الإسكندري فبدأ يقلد تقشفاته وبرع على مستوى البطولات، وضرب الأرقام القياسية في الصوم والسهر والصمت... الخ. وهو الذي بدأ بدعة وزن الخبز وقياس الماء ومعايرة الزيت في طعامه، والامتناع عن الاستحمام، وتحديد كميات وأرقام الصلوات بالعدد، وتعذيب الجسد بالعري في الشتاء، والعيشة في العراء حتى انهدمت صحته، وبدأ صحته تدهور، وبدأ يداهم الفشل النسكي، وأجبره المرض على كسر كل قوانينه مدة سنتين، ثم عاجلته المنية في سنة ٣٩٩ أو سنة ٤٠٠ م. بعد ١٧ عامًا قضى منها سنتين في نتريا، و ١٥ سنة في القلاي. ثم يقول عنه إيفلين وايت أيضًا: « إنه كان الرأس المفكر للجماعة الأوريجانية (الإخوة الطوال)... وكانت تعاليمه كلها مشكوكًا فيها بل أكثر من المشكوك فيها حتى أن القديس هيريقول: إن كل الرهبان الذين تبعوا مبادئ إيفاجريوس وتعاليمه ضلوا. وقد حاول بالليديوس أن يغطي على حقيقته وسمعته، ولكن ظلت سمعة تعاليم إيفاجريوس حتى القرن السادس تذكر في القلاي أنها هرطقة، وظل الرهبان يعتقدون أن قلايته كان يسكنها الشيطان الذي كان يطغيه. ويروي لنا السائح يوحنا موسخوس سنة ٥٨٠ م. قصة الراهب الذي طلب من قس القلاي أن يسمح له بالتوحد في قلاية أوغريس؛ لأنها كانت مبنية جيدًا ومتسعة، وكانت مهجورة منذ زمن طويل جدًا لم يسكنها أحد. فرفض القس قائلًا إن بها شيطانًا. ولكن ألح الراهب في طلبه حتى صرح له، وفي يوم السبت لاحظ الإخوة أنه لم يحضر إلى الكنيسة، فأرسل القس يستخبر عنه فوجده مشنوقًا في قلاية أوغريس^(١).

المؤرخ تيرانوس روفينوس ومعه القديسة ميلانيا الأسبانية

وُلد تيرانوس روفينوس Rufinus Tyrannius نحو عام ٣٤٥ م. في مدينة كونكورديا Concordia بالقرب من أكويلا Aquileia من أسرة مسيحية، وتتضح لنا معرفته المبكرة بجيروم من أنه عندما ذهب جيروم مع بونوسوس Bonosus إلى بلاد الغال^(٢) طلب روفينوس منه أن

(١) نفسه.

(٢) بلاد الغال: هي دولة فرنسا حاليًا وعاصمتها باريس.

يرسل له نسخة من أعمال القديس هيلاري أسقف بواتييه عن المزامير وعن المجامع. ونال روفينوس صبغة المعمودية المقدسة وهو في عامه الثامن والعشرين، وكان يحيا في ذلك الوقت في أكويلا، وكان عضواً في شركة رهبانية تضم بين أعضائها جيروم. وعندما تفرقت هذه الجماعة النسكية، صاحب روفينوس السيدة الرومانية الثرية ميلانيا في رحلتها للشرق^(١).

على أية حال، رحل تيرانيوس روفينوس Tyrannius Rufinus كاهن مدينة أكويلا بشمال إيطاليا، إلى الشرق سنة ٣٧١م، وزار نتريا والقلالي وشيهيت، وكان لزيارته أثر بعيد المدى على مسيحي الغرب؛ لأنه هو أول من ترجم كل التراث القبطي والشرقي من اللغة اليونانية إلى اللغة اللاتينية. أما ميلانا فهي امرأة أسبانية حفيدة مرسلينوس الذي كان بدرجة قنصل، تاملت بعد زواج قصير، رحلت إلى روما وتقابلت مع روفينوس واتجهوا معاً إلى مصر. قابلها باللايدوس في نتريا وتحدث إليها ونقل إلينا أخبارها بالتدقيق حيث ذكر قائلاً: «باعث كل ما عندها وحولته إلى نقود، ولما وصلت الإسكندرية سعت في طلب نتريا وقابلت الآباء الذين كانوا بصحبة بامو وأرسيزيوس وسرايون وبافنوتيوس الشيهيتي وإسيزدوروس المعترف (أسقف هرموبوليس - دمنهور) وديسقوروس، ومكثت هناك ستة أشهر (٣٧٣-٣٧٤م) تدور حول المنشوبيات في كل ناحية وتسأل جميع قديسيها»^(٢).

أما هي فقصت خبر وصولها كالاتي: «حينما وصلت إلى الإسكندرية في رحلتي من روما، سمعت بسمو سيرة الأب بامو من المغبوط إسيزدوروس الذي أخبرني عنه، وقادني إلى نتريا وأدخلني إليه، وكنت قد أحضرت معي ثلثائة جنية من الفضة وتضرعت إليه أن يقبلها، متفضلاً بذلك أن يقاسمني ثروتي. ولكنه وهو جالس موضوعه يخيظ في الضفيرة الخوص باركني وقال لي: «الله يعوضك»، وقال لخادمه أوريجانس: «خذ هذا المال ووزعه على رهبان ليبيا والجزائر لأن أديرتهم أكثر حاجة إليه... ولا تعطي شيئاً لأديرة مصر لأن خيرات البلاد كثيرة». ووقفت أنا منتظرة أن يمدني أو يكرمني بسبب الهدية، فلما لم يكلمني على الإطلاق

(١) الآباء المؤرخون: مصادر التاريخ الكنسي: المرجع السابق، ص ٣٨.

(٢) متى المسكين (الأب): الرهبنة القبطية في عصر القديس الأنبا مقار، المرجع السابق، ص ١٨٤-١٨٥.

بادرته بالقول: «ليكن في علمك يا أبي أن قيمة هذا المال ثلثماية جنية!!» أما هو فلم يتحرك وردَّ علي قائلاً: «إن الذي أحضرت إليه هذا المال لا يحتاج أن يعرف عددًا أو ميزانًا، فالذي يزن الجبال يعرف بالأكثر كمية المال الذي أحضرته. فلو كنت أحضرت المال لي كان يحسب كلامك هذا حسنًا، ولكن حيث إنك أعطيته لله الذي لم يحتقر فلسي الأرملة، فالأفضل أن تسكتي». هكذا كان الحال عند دخولي للبرية. ولم يمض وقت طويل حتى رقد رجل الله وذهب إلى راحته وهو ابن سبعين سنة بدون أي مرض بل فارق الحياة وهو جالس يخطط زنبيله. وقد أرسل في طلبي عندما أحسن بنهايته فوصلت في اللحظة التي كان يلفظ فيها نفسه الأخير، فقال لي: «خذي هذه السلة^(١) من صنع يدي حتى تذكيني لأنني لا أملك شيئًا آخر أعطيه»^(٢).

أما ميلانيا فقامت في الحال وكفنته بيديها في لفائف كتان وقامت مع تلاميذه بدفنه ورحلت ومعها السلة الذي لازمها حتى مات. ومن نترى إلى برية شيهيت: ويقال إن ميلانيا انحدرت إلى شيهيت وهي التي قامت ببناء كنيسة لإسيدوروس القس^(٣)، وجيرون في خطابه له أرسله لروفينوس يقول إن روفينوس زار القديس مقاريوس الكبير في قلايته سنة ٣٧٣م، أما روفينوس فذكر قائلاً عن نفسه: «إنه ظل مدة وهو تحت قيادة وتدير أساتذه الصحراء الكبار، مقاريوس تلميذ أنطونيوس ومقاريوس الآخر (الإسكندراني) وإسيدوروس وبامو وكل أحباء الله الذين علموني كل ما استلموه من الله»^(٤).

بلاديوس Palladius

وُلد القديس بلاديوس في غلاطية عام ٣٦٣م، وتثقف ثقافة عالية، ولا نعرف عن عائلته الكثير، وكل ما نعرفه أن والده كان عائشًا حتى سنة ٣٩٤م. وأن أخته وأخوه كرسا حياتهما، وعندما بلغ القديس بلاديوس من العمر نحو ٢٣ عامًا دخل الحياة الديرية في جبل الزيتون

(١) كنيسة لإسيدوروس القس: حاليًا إحدى كنائس دير البراموس.

(٢) متى المسكين (الأب): الرهبنة القبطية في عصر القديس الأنبا مقار، المرجع السابق، ص ١٨٤-١٨٥.

(٣) السلة: المقطف.

(٤) متى المسكين (الأب): الرهبنة القبطية في عصر القديس الأنبا مقار، المرجع السابق، ص ١٨٤-١٨٥.

بأورشليم ليتعلم على يديّ إينوسنت، كما أقام فترة صغيرة مع البيديوس بالقرب من أريحا. وفي نحو سنة ٣٨٨ م. أراد أن يلتقي بمتوحي مصر ويتعرف عليهم ويتعلم على أيديهم، فذهب إلى الإسكندرية وبقي فيها قرابة ثلاث سنوات. التقى بالقديس إيسيدورس الذي كان يدير دار الضيافة بالبطريركية، وهذا سلمه للقديس دورثيوس الطيبي أو الصعيدي الذي كان يسكن في مغارة تبعد حوالي خمسة أميال من الإسكندرية، وإذا كانت معيشة هذا المتوحد تفوق احتمال القديس بلاديوس فقد تركه وانطلق إلى نتريا ومنها إلى منطقة القلاي ليقم فيها تسع سنوات حتى إذ اعتلت صحته اضطر إلى العودة إلى الإسكندرية للعلاج^(١).

على أية حال، هو بلاديوس صاحب التاريخ المشهور المعروف باسم «التاريخ اللوزياكي» History Lausiac^(٢)، والحقيقة أن الرهبة القبطية وتاريخ الأديرة في نتريا والقلاي وشيخية مدينة لهذا الإنسان المبارك. ولكن يلزمنا من البدء أن ننبه ذهن القارئ إلى أن بلاديوس بالرغم من أنه رافق كثيرًا مقاريوس الإسكندراني، إلا أنه كان أكثر ولاء وتأثرًا لإيفاجريوس منه لأي آخر، هو يعتبر كما يقول إيفلن وايت: «أحد زمرة الأجانب الذين عاشوا بين آباء مصر كعقلانيين، لذلك فإنه بقدر ما كان له الفضل كل الفضل في حفظ تراث وأفكار آبائنا العظام ومبادئهم وأسماؤهم مخلدة في صفحات التاريخ، فهو في نفس الوقت أحد الأجانب الذين أسأؤوا لمنهج الروحانية الرهبانية في نتريا وموعلاً من معاول الهدم التي أنهت على التراث القبطي الأبوي هناك وواقفت نموه قبل نهاية القرن الرابع الميلادي، لأن تأثير منهج العقلية الأوريجانية الذي عاشوا عليه وروجوا له ووضعوا مبادئ وأفكاره وتدابيره أثر على روحانية الآباء البسيطة النيرة وحياتهم الطبيعية التي تقوم على مبدأ التسليم لأب الاعتراف واستلهم

(١) تادرس يعقوب الملطى (القمص) ويوسف يوسف حليم (القس): المرجع السابق. حرف (ب).
(٢) التاريخ اللوزياكي: وقد سُمي هكذا نسبة إلى لوسياس Lausus رئيس حجاب بلاط الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني، إذ أهداه إليه، كتبه نحو عام ٤١٩/٤٢٠ م، يصف فيه الحركة الرهبانية في مصر وفلسطين وسوريا وآسيا الصغرى في القرن الرابع، ويعتبر من أهم مصادر تاريخ الرهبة الأولى بعد كتاب "حياة أنطونيوس" بقلم البابا أثناسيوس الرسولي. انظر: تادرس يعقوب الملطى (القمص) ويوسف يوسف حليم (القس): المرجع السابق. حرف (ب).

الجهاد الروحي يوماً بيوم بلا مناهج ولا تداريب مستطيلة. فكان من نتيجة هذه المبادئ الأوريجانية أن دخلت نتريا في صراعات مريرة بسبب هذه الأفكار الفلسفية، وتشيع لها بعض الآباء، وتدخلت السلطة الكنسية، وكان تدخلها عنيفاً أزعج الحياة الرهبانية بجملتها وبدد شمل الوحدة والمتوحدين^(١).

وهنا يجب علينا أن نسجل للتاريخ، أنه منذ دخول بلاديوس نتريا في عام ٣٩٠م التصق بجماعة العقلانيين الأوريجانية، هذا الحزب الذي يتكون معظم شخصياته من أجنب و متمصرين كلهم عشاق لأفكار أوريجانس العقلية التأملية. ويذكر بالليديوس أن من باكورة معلميه: أرسيزيوس الكبير، بتيوباسطس، ماسيون، كرونيوس، سيرايون. وبعد سنة واحدة في نتريا انحدر إلى القلاي سنة ٣٩١م. ورافق مقاريوس الإسكندراني الذي تنيح في يناير سنة ٣٩٤م. فانضم لإيفاجريوس وعاش تدبير إيفاجريوس مقيماً في منطقة القلاي ومنتقلاً من نتريا إلى شيهيت تسع سنوات كاملة من (٣٩١-٣٩٩م) وكان شديد الشغف بأوريجنس وأمونيوس الطويل وأخيه ديسقوروس وبقية العقلانيين. وكان معتاداً أن يزور شيهيت مع ألبانيوس وهيرو الإسكندراني، ونزل إلى ليكوبوليس (أسيوط) وزار حبيسها المشهور يوحنا الأسيوطي الذي تنبأ له أنه سيصير أسقفاً. وقد حضر بلاديوس نياحة (موت) معلمه إيفاجريوس سنة ٣٩٩م. وقد أصابه مرض في معدته وطحاله، فنصححه الأطباء بالذهاب إلى الإسكندرية، لكن لم يسعفه الطب فرحل إلى فلسطين ومنها إلى بيتينية حيث رسم أسقفاً على هليوبولس سنة ٤٠٠م كما تنبأ له القديس يوحنا الأسيوطي، وظل مرافقاً ليوحنا ذهبي الفم خمس سنوات. وبسبب ذلك نفي سنة ٤٠٦م إلى أسوان، وبقي في منفاه في صعيد مصر من ٤٠٦-٤١٢م منتقلاً بين أسوان وأتينوي (الشيخ عبادي) عاد بعدها إلى غلاطية كأقف على Apsuna. وفي سنة ٤١٩-٤٢٠ وضع كتاب تاريخ الرهبنة الذي سمي باسم الشخص المهدى إليه «لوزاس»^(٢)، وقد تنيح قبيل انعقاد المجمع المسكوني بأفسس سنة ٤٣١م.^(٣)

(١) متى المسكين (الأب): الرهبنة القبطية في عصر القديس الأنبا مقار، المرجع السابق، ص ١٨٧-١٨٩.

(٢) نفسه.

(٣) تادرس يعقوب الملطى (القمص) ويوسف يوسف حليم (القس): المرجع السابق. حرف (ب).

هوستوريا موناخورم

في مطلع عام ٣٩٤م، قام سبعة رهبان من فلسطين بزيارة براري مصر ومنها برية شيهت، متأثرين بما قرؤوه وسمعوه عن الأباء الرهبان بالبرية، ولا سيما عقب نشر البابا أنثاسيوس الأول الرسولي (٣٢٨-٣٧٣م) البطريرك رقم (٢٠)، حياة القديس «أنطونيوس المصري» أب الرهبنة، وهؤلاء الرهبان مدفوعين بشوق حار للتعرف عملياً على أنماط حياتهم في الواقع الملموس، والتجول الفيزيقي في «فردوس» سيرهم، ليستخلصوا رحيق الحياة الرهبانية، ويكتننوا لأنفسهم شهداء، وبعد ذلك عادوا إلى بلادهم لأخوانهم الرهبان الذين يعيشون في جبل الزيتون بأورشليم في فلسطين، وكان عليهم أن يدونوا ما قد استخلصوه من دروس وعبر وقوانين عن الرهبنة المصرية. وقام أحد الرحالة السبعة بتدوين وصف لهذه الرحلة مبتدأً بها من أسيوط بأعالي النيل ومازاً بنتريا والقلالي ثم الإسكندرية فديولكوس على الساحل الشمالي في وسط الدلتا. وقد عرف هذا الوصف اصطلاحياً بـ «هستوريا موناخورم» Historia Monachorum in Aegypto أي «التاريخ الرهباني» لمصر^(١).

واختلف العلماء والدراسون في تحديد شخصية كاتب هذا العمل المهم، فمنهم من رأى أنه روفينيوس Rufinus، ومنهم من قال إنه البابا تيموثاوس الأول (٣٧٩-٣٨٥م) البطريرك رقم (٢٢)، كما قال سقراط في تاريخه، وفريق ثالث قال إن سقراط أخطأ بينا المقصود تيموثاوس الشماس، وآخرون يعتقدون أنه الراهب برونوس الذي صار أسقفًا على بولونيا. ويستعرض هذا الكتاب أحاديث عن آباء صعيد مصر وآباء نتريا والقلالي وشيخيت، مع وصف لأقاليم اكسيرنيكوس (البهنسا) ونتريا ومنف والرهبان المقيمين بها، ومجموع الآباء المذكورين في هذا العمل هم ٢٥ أباً؛ ولهذا الكتاب مكانة هامة متميزة، وكان له أكبر الأثر في التعريف برهبان مصر في الشرق والغرب، فلعب دوراً مثيلاً لذلك الذي قام به كتاب التاريخ اللوزياكي لبلاديوس، والذي غالباً ما يُكتب معه في المخطوطات. ونص هذا العمل موجود في نسختين يونانية ولاينية، وكان يُظن قبلاً أن النسخة اللاتينية والتي وضعها روفينيوس هي الأصل وأن النسخة اليونانية هي ترجمة لها (ولهذا كان يُعتقد أن روفينيوس هو كاتب هذا العمل)، لكن ثبت حديثاً أن النسخة اليونانية هي الأصل وأن النسخة اللاتينية ليست إلا ترجمة قام بها روفينيوس^(٢).

(١) هستوريا موناخورم: التاريخ الرهباني لمصر، الطبعة الأولى، ترجمة الراهب بولا البراموسي، الناشر أبناء الأنبا موسى الأسود، ١٩٨٠، ص ٦.

(٢) الآباء المؤرخون: مصادر التاريخ الكنسي: المرجع السابق، ص ٤٢-٤٣.

جان كاسيان (٣٦٠-٤٣٥ م) John Cassian

وُلد جان كاسيان نحو عام ٣٦٠ م، ونال تعليمًا أدبيًا في شبابه، ونحو عام ٣٨٠ م، انضم وصديقه جرمانوس إلى دير في بيت لحم حيث قضى هناك عدة سنوات وتآدب بآداب أديرة سوريا، ثم قدم إلى مصر مع صديقه جرمانوس ليتتلمذ على أيدي قديسيها.^(١) وقد جلس كاسيان مع صديقه جرمان في قلالية الأنبا موسى في برية شيهيت الذي استقبل هذين الحاجين وجلس معهما مدة طويلة^(٢)، وبعد أن قضى الصديقان سبع سنوات في مصر عادا إلى ديرهما في بيت لحم، لكن ما لبثا أن زارا مصر مرة ثانية. وبعد ذلك ذهب كاسيان إلى القسطنطينية حيث رسمه القديس يوحنا فم الذهب شماسًا، وهناك شهد كاسيان وجرمانوس الأحداث التاريخية المؤدية إلى خلع ونفي فم الذهب. وفي عام ٤٠٤ م. ذهب إلى روما حاملاً رسالة التماس إلى البابا أنوسنت Innocent من أكليروس القسطنطينية يؤيدون فيها القديس يوحنا فم الذهب، ومكث هناك لفترة من الوقت، وربما كانت سيامته كاهنًا بيد أنوسنت في ذلك الوقت. ومن روما عاد كاسيان إلى فرنسا حيث استقر في مرسيليا وأسس ديرين وسط الغابات الكثيفة أحدهما للرهبان ويُقال إنه بُني على قبر القديس بقطر وهو شهيد من عصر دقلديانوس والآخر دير للعذارى. ولما كان لكاسيان من خبرة ودراية بالأنظمة الرهبانية في مصر، كان يُنظر إليه كمرجع ومصدر ثقة، ويُعد هو المنظم والمدبر الأول للرهبنة الغربية إذ نقل كل التراث القبطي من تعاليم وتسابيح وصلوات إلى الغرب^(٣).

ويقال إنه كتب هناك كتابيه: المواعظ (Conference) والمعاهد (Institutions)، وأيضًا كتب مؤلفًا في تجسد المسيح (De Incarnatione Christi) ضد نسطور وبدعته إجابته لطلب القديس ليون Leon. وهو يعتبر في الحقيقة زعيم أديباتنا الروحية، إذ يلخص بريشة أستاذ كبير كل ما وعاه من دروس صحراء مصر وعنه معظم الكتاب في الموضوع، فلم يكن مثلاً القديس توما الأكويني (St. Thomas D'Aquin) سوى معلق على هذه الثروة النسكية. وهو بهذه المؤلفات وبهذا الدير الذي أسسه في مرسيليا كان في مقدمة من حمل إلى الغرب تراث الرهبنة كما أخذها من مصر. كان

(١) نفسه: ص ٤٤.

(٢) رسالة مارمينا: الرهبنة القبطية، الطبعة الثانية، مطبوعات جمعية مارمينا العجايبى، الإسكندرية ٢٠٠١م، ص ٣٧-٣٩.

(٣) الآباء المؤرخون: مصادر التاريخ الكنسى: المرجع السابق، ص ٤٤-٤٥.

يدخل إلى قلالي الرهبان في وادي النطرون ويحادثهم ويسجل ما يسمعه منهم، وهو يدخل شيئاً من صناعة الأدب في كتابته فيقسم المؤلف إلى أربعة وعشرين فصلاً، وإن لهجة الكتابة والتناسق وقداسة المؤلف، كل ذلك يجعلنا نرى في كاسيان لتعاليم البرية لا يرقى إليه الشك. وأرى أن أستطرد هنا فاذكر لمحة مختصرة عن المصادر الرئيسة الأخرى لتاريخ الرهبنة^(١).

كوبين Coppien

يعد كوبين Coppien قنصل فرنسا بمدينة دمياط^(٢)، أول رحالة أوروبي في القرن السابع الميلادي، يزور برية شيهيت وكتب لنا وصفاً مختصراً عن الأديرة الرهبانية، فزار دير الأنبا مقار، ودير الأنبا بيشوي، ودير دير السريان والأخير قال عنه: «إنه ملاصق مباشرة لدير الأنبا بيشوي»^(٣).

(١) رسالة مارميننا: المرجع السابق، ص ٣٨-٣٩.

(٢) مدينة دمياط: تقع شمال مصر على ساحل البحر المتوسط، وتتميز بطقسها المعتدل والهواء العذب، كما تتميز بكثرة مزارع الجوافة وأشجار النخيل، وكانت دمياط تسمى في العصر الفرعوني مدينة «تأخيت» أو «تم أتي» أي المياة أو ددينة مجري الماء، وعرفت في العصر اليوناني «تامياتس»، وقد زادت العلاقات التجارية والثقافية بين مدينة دمياط والشعب اليوناني، وفي عهد الإمبراطور «قسطنطين الأول» انتشرت بها الأديرة والكنائس. وفي العصر العربي قام المقداد بن الأسود من قبل جيوش عمرو بن العاص بدخول دمياط حيث سيطر عليها وعلى منافذها، وقد ظلت دمياط بيد المسلمين إلى أن نزل عليها الروم في عام ٩٠هـ، في عهد الخليفة العباسي أبي الفضل جعفر المتوكل قام الروم بدخولها. وفي أثناء الحملات الصليبية سنة ١١٧٠م دخلت الفرنجة دمياط حاصروا المدينة براً وبحراً وأرسل صلاح الدين الأيوبي إليها الجند عن طريق النيل وأمدهم بالسلاح والذخيرة، فتركها الفرنجة وعادوا إلى بلادهم، ودخلها الملك الكامل. وفي ٤ يونية سنة ١٢٤٩م قام لويس التاسع ملك فرنسا بحملة وصلت إلى شواطئ دمياط، وهنا قدم شعب دمياط نموذجاً للبطولة والتضحية في مقاومتها، وتم هزيمته في فارسكور والمنصورة وأسر لويس التاسع ملك فرنسا وتم سجنه في دار ابن لقمان بالمنصورة، وفدى نفسه ورجاله مقابل الجلاء عن دمياط، ولقد تم الجلاء في يوم ٨ مايو ١٢٥٠م، وأصبح هذا اليوم عيداً قومياً للمحافظة. وفي عهد محمد علي (١٨٠٥-١٨٤٨) أصبحت المدينة مستودعاً لجميع الأصناف من الغلال، وفي القرن المنصرم تسير في موكب التقدم، حيث زادت المساحة الزراعية، وحفر الرياح التوفيقي، كما كان لتوقف التجارة وتعطيل الملاحة نتيجة نشوب الحرب العالمية الأولى (١٩٤١-١٩١٨م) تأثيره على الغرب، وبعد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م، أصبحت محافظة، وتعتبر دمياط من أهم المدن التي تشتهر بصناعة الأثاث، وصيد الأسماك، وصناعة النسيج والأحذية والحلوى وتعليب السردين والجمبري، وأيضاً صناعة الألبان، وكذلك صناعة الحلويات، وهذه المنتجات من الحلويات إلى العديد من الدول العربية والأوروبية. انظر: أرشيف مصر

<http://www.archivegypt.com>

(٣) سمعان السرياني، الراهب: المرجع السابق. ص ٩٠.

الراهب إبيفانيوس الأورشليمي

وقد زار برية شيهيت الراهب إبيفانيوس الأورشليمي ما بين عام ٨٠٠-٨١٠م، وجاءت زيارته عقب نقل القديس الأنبا مقار في عام (٧٩٣م)، وقد وصف لنا رحلته التي بدأها من مدينة الإسكندرية شمالاً إلى دير الأنبا مقار جنوباً، حيث استغرقت نحو ستة أيام سيراً على الأقدام، وذكر قائلاً: «كان دير الأنبا مقار عبارة عن قلعة «الحصن» يحيط بها ألف منشوبية وأكثر من ألف راهباً». ومن دير القديس مقار على مسافة سفر أربعة أيام توجد أهراء يوسف الـ ٣٦، ويبدو أن إبيفانيوس لم يزُر باقي أديرة برية شيهيت، وربما لم يعتبرها جديرة بالملاحظة، ونستخلص هنا أن الأديرة حتى مطلق القرن التاسع كانت بدون أسوار. وكان الحصن هو الملجأ وقت غارات العربان^(١).

ماوهوب Mawhub

زار أديرة وكنائس برية شيهيت في عام ١٠٨٨م، وذكر أنه شاهد دير الأنبا يحنس كما^(٢) جسد القديس يحنس كما. بعدها توقف سيل الرحالة عن زيارة الأسقيط^(٣).

الملك الكامل ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب

قام الملك الكامل ناصر الدين محمد ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب الملقب بـ أبي المعالي (١٢١٨ - ١٢٣٨م)، بزيارة وادي النطرون ونزل في دير الأنبا مقار ضيفاً على الرهبان الذين بالغوا في إكرام وفادته فغمرهم السلطان برضاه وأهداهم خمسمائة أردب منها ٣٠٠ قمح وشعير ومائة فول ومائة ترمس. وعامل الرهبان بكل احترام، وأعطاهم صكاً بإعفائهم من الضرائب وبحق أيلولة تركة الراهب إلى ديره، وكان كرسي البطركية شاغراً في ذلك الزمان بسبب الانقسامات^(٤).

(١) هيو ج. ج. إيفلين هويت: المرجع السابق، ص ٨-٩.

(٢) دير أنبا يحنس كما: ما زالت آثاره باقية حتى يومنا هذا، على بعد نحو ٣ كيلومترات جنوب شرق دير السريان، وبعد أن تحرب هذا الدير في القرن الخامس عشر الميلادي، ذهب رهبانه ومعهم جسد القديس يحنس إلى دير السريان العامر.

(٣) سمعان السرياني، الراهب: المرجع السابق، ص ٩٠.

(٤) متى المسكين (الأب): الرهبنة القبطية في عصر القديس الأنبا مقار، المرجع السابق، ص ٤٨٣.

الملك الظاهر بيبرس البندقداري يزور الدير ٤٨٤ م

وفي أيام خلو الكرسي بين البابا أثناسيوس الثالث (١٢٥٠-١٢٦١ م) البطريك رقم (٧٦)، والبابا غبريال الثالث (١٢٦٨-١٢٧١ م) البطريك رقم (٧٧)، قام الملك الملك الظاهر ركن الدين بيبرس العلاني البندقداري الصالحي النجمي الملقب بأبي الفتوح. سلطان مصر والشام ورابع سلاطين الدولة المملوكية ومؤسسها الحقيقي، بزيارة دير الأنبا مقار وذلك عام ١٢٦٤ م^(١).

مارينو سانوتو (١٢٦٠-١٣٣٨ م) Marino Sanuto

قام مارينو سانوتو في عام ١٣٢٠ م بزيارة منطقة برية شيهيت، وترك لنا خريطة تقريبية مهمة بمواقع الأديرة وما يجاورها من البحيرات، ويعطينا فكرة مبسطة عن هيئة الأديرة ورسمها الهندسي، فكل دير يظهر في الخريطة عبارة عن حصن مرتفع يلاصقه مربع من سور مرتفع يحوي داخله المباني الخاصة بكل دير من أديرة برية شيهيت^(٢). ومن الجدير بالذكر أن سانوتو ترك لنا العديد من المؤلفات نذكر منها كتاب الأسرار للمؤمنين بالصليب في استرجاع الأراضي المقدسة والحفاظ عليها، ويوميات مارينو سانوتو، وخطط القدس وضواحيها ١٣٢٠ م^(٣).

الراهب جيليس دي لوش الكبوشي ١٦٣٣ م Gilles De Loches

يعتبر جيليس دي لوش الكبوشي من أهم الرحالة الذين زاروا وادي النطرون في أوائل القرن السابع عشر الميلادي^(٤) حيث زار وادي النطرون في عام ١٦٣٣ م، واهتم بتسجيل كل ما

(١) نفسه: ص ٤٨٤.

(٢) نفسه: ص ٤٩١. انظر الشكل رقم ١١.

(3) https://en.wikipedia.org/wiki/Marino_Sanuto_the_Elder.

(٤) سمعان السرياني، الراهب: المرجع السابق. ص ٩٠.

رأى بدير السريان دون غيره، وكتب أنه رأى بمكتبة دير السريان نحو ثمانية آلاف مجلد^(١) وربما يكون مبالغاً في أقواله، التي بسببها وفد الرحالة بكثرة إلى الوادي طمعاً في الاطلاع والاستيلاء على المخطوطات، وخير مثال على ذلك مجيء الرحالة أجاثا فندوم Agathe Vendome الكبوشي الذي كان يموله بيرسيك أحد أثرياء إيطاليا لشراء محتويات دير السريان^(٢).

كلود دوران Claude Duran

زار الرحالة الفرنسي كلود دوران Claude Duran الأديرة القبطية في بركة شيهيت في عام ١٦٤٠م^(٣). وفي الحقيقة كتب عن قطعة الجرافيت التي تظهر في كنيسة الملاك ميخائيل بدير القديس الأنبا مقار بوادي النطرون^(٤).

سيور دولا بولاي لوجوز Sieur De Boullary LeGouz

زاروادي النطرون في سنة ١٦٤٩م^(٥)، من أجل إنهاء بعض صفقات النطرون التجارية لصالح بلاده، حتى إنه خصص مساحة كبيرة من مذكراته للنطرون كمادة تجارية كانت تصدر آنذاك من الوادي إلى هافر وهي مدينة على ساحل بحر المانش بفرنسا ومنها إلى الرون حيث يستعمل في صباغة الكتان بمصانع نورمان. وعلى هامش زيارته لإنهاء صفقاته التجارية زار أديرة بركة شيهيت وتحدث عن دير القديس الأنبا مقار^(٦).

(١) هيو ج. ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص ١٥٧.

(٢) مرتيروس السرياني (الراهب): القديس العظيم أنبا يوحنا القصير الشهير أبو يحنس، المرجع السابق، ص ١٥٧.

(٣) سمعان السرياني، الراهب: المرجع السابق، ص ٩٠-٩١.

(٤) هيو ج. ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص ١٥٧.

(٥) سمعان السرياني، الراهب: المرجع السابق، ص ٩٠-٩١.

(٦) هيو ج. ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص ١٥٧-١٥٨.

ثيوفنت Thevenot

لقد زار ثيوفنت Thevenot مصر عام ١٦٥٧^(١) وعلى الرغم أنه لم يزر برية شيهيت في وادي النطرون، فقد ترك لنا وصفاً شاملاً كل أديرة البرية، وذلك نقلاً عن رحالة لم يذكر إسمه، حيث ذكر أن الرحلة إلى منطقة الأسقيط كانت تبدأ من بولاق إلى الطرانة ثم إلى وادي النطرون، وكان الكاشف (المُرشد) المحلي وعرب الصحراء يقومون بمهمة توصيلهم، وكان هناك طريقاً آخر مع رهبان الأديرة يبدأ من مدينة القاهرة إلى عزبة إتريس ثم إلى وادي النطرون، وسجل لنا أن أول الأديرة يمكن زيارتها كان دير القديس الأنبا مقار، ووصفه بأنه أكبر الأديرة، ولكنه أكثرها تهدماً، وأن كنيسة تحتوي على العديد من رفات القديسين، كما توجد خمسة ألواح رخامية أو ستة متميزة بذكرها. وكان الحصن الذي يلجأ إليه الرهبان عندما يهاجمهم العرب يحتوي على كل الأشياء الثمينة، بما في ذلك كتبهم التي لا يتجاسرون على بيعها. وليست هناك حديقة، وماؤه مالح.

وفي الطريق إلى دير القديس الأنبا بيشوي، يشاهد «طريق الملائكة» الممتد إلى البرية الغربية وعلى طول الطريق كانت أيضاً خرائب قللٍ عديدة، ومن ضمنها بقايا دير القديس يحنس كما (القصير) حيث تظهر منه قبة واحدة فقط قائمة وتشاهد أيضاً شجرة الطاعة الشهيرة^(٢) وذكر قائلاً: «إن دير السريان ملاصق لدير الأنبا بيشوي، وإن كان يبدو صغيراً إلا إنه رائع وماؤه عذب... وقال عن شجرة مارافرام... إنها شجرة جميلة وهي الوحيدة من هذا النوع في مصر^(٣)».

(١) سمعان السرياني، الراهب: المرجع السابق. ص ٩٠-٩٢.

(٢) هيو ج. ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص ١٥٨.

(٣) سمعان السرياني، الراهب: المرجع السابق. ص ٩٠-٩٢.

ثم يصل المسار في سيره نحو الغرب إلى البحر الجاف الذي يدعى بحر بلا ماء الذي كانت تكثر فيه سفن القراصنة، ولكنه جف بصلاة القديس مقاريوس، وتوجد قطع خشبية متحجرة بوفرة في هذا المكان، ويعتقد أنها بقايا أسطولهم وفي الجانب الغربي لهذا البحر يوجد تل يدعى «جبل الماسكوية» حيث توجد الحجارة التي تحملها النسور إلى أعشاشها لتبعد الثعابين. ويقع دير «دير السيدة العذراء» (أي سيدتنا براموس) ليس على مسافة بعيدة. وهو كبير، ولكنه خرب قليلاً وبه حديقة وكنيسة جميلة والماء مالح، ولكن عدد الرهبان هنا أكبر من أي دير آخر بسبب إirاداته الأكبر^(١).

يوهان ميشيل فانسليب Johann Michael Vansleb

زار يوهان ميشيل فانسليب الدومنيكاني (١٦٣٥-١٦٧٩م) وادي النظرون في سنة ١٦٧٢، ووصل إليه عن طريق إبحاره في فرع النيل الغربي من رشيد ثم نزل الطرانة، وهناك حدثت له حادثة فتخلي عن مشروعه، وخلال مكوثه في الطرانة وصف الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية التي سادت في الطرانة التي كانت ضمن ولايات مصر^(٢). وذكر في مذكراته قائلاً: «إن دير السريان والأنبا بيشوي كانا أحسن حالاً من ديري السيدة برموس والقديس مكاريوس (الأنبا مقار)»^(٣).

كما أعطى يوهان ميشيل فانسليب وصفاً دقيقاً لطريق الملائكة الذي يربط بين دير الأنبا مقار والأنبا بيشوي. وقد علم فانسلب من مخطوطة عربية قديمة أن وادي النظرون كانت به ذات يوم سبعة أديرة كبيرة باسم مقاريوس ويحنس القصير أو القمص وبيشوي ومكسيموس ودماديوس، وموسى الأسود، وكاما وعذراء السريان القديسة بالإضافة إلى ٣٠٠ مشوية

(١) هيو ج. إفلين هويت: المرجع السابق، ص ١٥٨-١٥٩.

(٢) مرتيوس السرياني (الراهب): المرجع السابق، ص ١٥٨.

(٣) سمعان السرياني، الراهب: المرجع السابق، ص ٩٠-٩٣.

للمتوحدين، والسواح، ولكن من بين هذه جميعها كما أخبروه كان دير الأنبا بيشوي والسريان فقط ذوي اعتبار، فكلاهما يتمتعان بماء جيد، والدير الثاني به كنيسة إحداهما للسريان، والآخر للأقباط، وفي نفس الدير تشاهد الشجرة الإعجازية النابعة من عصا القديس إفرام فهذا القديس ترك عصاه عند الباب عندما ذهب لزيارة أحدهم في الدير أزهرت في الحال وأورقت، ويقولون إنه في كل مرة لا يوجد مثلها^(١) .

كما وصف دير القديس يحنس كما حيث ذكر أنه في حالة سيئة جداً، كما توجد به شجرة إعجازية أخرى، وقد نبتت هذه الشجرة من عصا هذا القديس (يحنس) الذي بناء على أمر معلمه غرسها في الأرض ورواها وبسبب هذا تُدعى - وما زال الرهبان يسمونها - «شجرة الطاعة»، وفي الطريق المؤدي من السريان إلى تل «أحجار النور» يشاهد البحر بلا ماء»، وسجل في مذكراته «رحلة جديدة في الديار المصرية» و«تاريخ كنيسة الإسكندرية» ووصف الخراب التام الذي حل ببرية شيهيت في تلك الفترة^(٢) .

روبرت هنتنجتون Robert Huntington

روبرت هنتنجتون (١٦٣٧-١٧٠١ م) وهو قسيس بشركة المشرق، وكان عميد كلية ترينيتي Trinity^(٣) زار أديرة برية شيهيت ما بين عام ١٦٧٨-١٦٨١ م قبل أن يرسم أسقفًا على رافوي Raphoe في إيرلندا، وزار مصر مرة أخرى في بعد عام ١٦٨١ م، والخطاب الذي يحتوي على زيارته كتبه بعد نحو ما يقرب من خمسة عشر عامًا في مذكراته، وأول ما كتبه عن بحيرات النطرون، ملاحظًا أن العرب يدعونها بصفة عامة حسب ما كتبه قائلًا: «لطرون»، وصف لنا أن دير البراموس يبعد نحو ثلاثة أميال عن دير القديس الأنبا مقار^(٤)، وتناول دير السريان وشجرة مار آرام السرياني وذكر قائلًا: «كان يوجد حجران كبيران صخريان يميزان باب دير

(١) هيو ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص ١٥٨-١٥٩.

(٢) نفسه: ص ١٦٠.

(3) https://en.wikipedia.org/wiki/Robert_Huntington.

(٤) هيو ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص ١٦٠-١٦١.

السريان»^(١)، وكان الهدف الرئيسي لزيارته البحث عن المخطوطات، إلا أنه كتب في مذكراته «رسائل هتنتجتون»: «إنني لم أحصل إلا على مخطوطة واحدة تحوي الكتاب المقدس» كما دون الكثير عن أوضاع الوادي الاقتصادية والاجتماعية^(٢).

الأب غبريال إيفا Gabriel Eva

غبريال إيفا من الذين زاروا أديرة وادي النطرون في أوائل القرن الثامن عشر الميلادي، وهو أحد أبناء دير القديس مارت مورا^(٣) بجبل لبنان، إذ كان في روما مبعوثاً من بطريركه، فكلّفه

(١) سمعان السرياني، الراهب: المرجع السابق. ص ٩٢-٩٣.

(٢) صموئيل تاو وروس السرياني: الأديرة المصرية العامرة، المرجع السابق، ص ٨٣.

(٣) دير القديس مارت مورا: يقع في قرية إهدن في محافظة الشمال، هي مركز قضاء زغرنا الصيفي، على متوسط ارتفاع ١٥٠٠ م. عن سطح البحر، تصلها عبر عدة طرقات، نذكر منها: طريق بيروت، طرابلس، زغرنا، سبعل، أيطو؛ أو طريق شكا، حدث الجية، بشري، كفر صغاب، ويعود تاريخ بناء الدير إلى عام ١٣٣٩ م، حيث سكنه المطارنة فترة طويلة، وكان أول كرسي لمطارنة إهدن، بعد ذلك سكنه نساك ورهبان. فيه أبصرت الرهبانية اللبنانية المارونية النور، يوم سكنه رهبان منها سنة ١٦٩٥ م سكنه رهبان من الرهبنة الحلبية وكان مهد الرهبنة، لكن هذا الدير خرب بفعل الزمن، وتم ترميمه عام ١٩٨٣ م، وهو أحد المعالم الأثرية لقرية إهدن بالإضافة إلى كنيسة مار ماما هي أول كنيسة مارونية في لبنان، بُنيت سنة ٧٤٩ م، وتقع في وسط إهدن، تمّ تشييدها على أنقاض هيكل وثني، وقد بُنيت بحجارته، وفي أحد جدرانها حجر يحمل كتابات ورموزاً لم يتمكن أحد حتى اليوم من فك رموزها وقراءتها ومعرفته مضمونها، كما توجد كنيسة مار جرجس التي تعتبر من أقدم كنائس لبنان، وبُنيت على بقايا هيكل إهدن الوثنية على أنقاض القلعة التي هدمت عام ١٢٨٣ م، وقام الإهدنيون ببناء كاتدرائية جديدة إلى جانب الكنيسة القديمة. وأقيم في ساحتها نصب تذكاري لبطل لبنان يوسف بك كرم، ولا يزال جثثانه موجوداً داخل الكنيسة. وكنيسة سيدة الحصن التي بناها الصليبيون على أنقاض الحصن الذي هدمه المماليك سنة ١٢٨٣ م، وتقع على قمة جبل شالي غرب إهدن، وتمّ ترميمها سنة ١٩٦٣ م، ويقع بالقرب منها تمثال كبير للسيدة العذراء، تمّ تنفيذه سنة ١٩٨٥ م، وبالقرب منه بُنيت كاتدرائية كبيرة على اسم سيدة الحصن. وهناك بعض الأديرة والكنائس منها دير مار يعقوب، ودير مار سركيس وباخوس، وكنيسة سيدة الحارة، وكنيسة مار بطرس وبولس، ومار سمعان، ومار عبدا.

موقع دير السريان

البابا كليمنت الحادي عشر أو إكليمنضس الحادي عشر Clemente XI (١٧٠٠-١٧٢١ م) بالتعرف على نوايا البابا «يؤانس السادس عشر» (١٦٧٦-١٧٨١ م) بطريك الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، للتعاون مع الفاتيكان. وبعد أن قام الأب غبريال إيفا بمهمته، حجج إلى الأديرة المصرية الرئيسة، بما في ذلك أديرة برية شيهيت، وعند عودته إلى مدينة روما في عام ١٧٠٦ م، قدم تقريراً تفصيلياً للفاتيكان عن زيارته إلى بابا الكنيسة القبطية، والأديرة المصرية، والمكتبات المهمة بالأديرة وما تحتوي عليه من مخطوطات وكنوز أثرية، وهذا التقرير كان له أهمية كبيرة لدي الباحثين والمؤرخين والرحالة والمهتمين بكنوز وآثار الأقباط في مصر.

إيلياس السمعاني

زار الراهب اليسوعي إيلياس السمعاني أمين مكتبة الفاتيكان وادي النطرون في عام ١٧٠٧ م، بناء على تعليمات من بابا روما «كليمنت الحادي عشر» Clemente XI (١٧٠٠-١٧٢١ م)، الذي كان مهتم بتزويد مكتبة الفاتيكان بمجموعة من المخطوطات الشرقية وخاصة مخطوطات وكنوز أديرة برية شيهيت^(١)، ونجح إيلياس بمعسول كلامه أن يستحوذ على ٤٠ مجلداً منتقاة من مكتبة دير السريان حملها إلى مكتبته^(٢)، أما ملاحظاته عن أديرة الأسقيط فهي قليلة الفائدة بصفة عامة، فلم يكتب في مذكراته إلا عن القبو الذي اكتشف فيه المخطوطات، وعن اللصوص البربرية في صحراء البرية وتخريبهم للأديرة والكنائس والمنشويات بوادي النطرون^(٣).

الأب كلود سيكار (١٦٧٧-١٧٢٦ م) Gloud sicard

وُلد الأب كلود سيكار في ١٦٧٧ م في أوباجن Aubagne، درس في مرسيليا Marseille، وفي عام ١٦٩٢ م التحق بالمبتدأ اليسوعي في مدينة لأفيجنون d'Avignon، ثم درس في كلية

(١) هيو ج. ج. إيفلين هويت: المرجع السابق، ص ١٦٣.

(٢) مجلة مرقس: السنة ٥٨، العدد ٥٢٢، مقال بعنوان: «من تاريخ كنيستنا: البابا يؤانس السادس عشر»، بتاريخ أمشير / برمهات ١٧٣٠ / مارس ٢٠١٤ م، ص ٣٥. انظر ملحق رقم ٣.

(٣) هيو ج. ج. إيفلين هويت: المرجع السابق، ص ١٦٣-١٦٤.

ليون، وعمل أستاذًا للدراسات الإنسانية فيما بعد في ذات الكلية، وفي عام ١٧٠٦ م^(١)، ثم جاء إلى الشرق على رأس بعثة دينية، وفي سورية تعلم عدة لغات منها العربية واليونانية والسريانية والعبرية^(٢)، وتم تعيينه رئيسًا للمقر اليسوعي بمدينة حلب في سوريا في عام ١٧١١ م، ثم جاء على رأس البعثة اليسوعية إلى القاهرة في عام ١٧١٢ م، وسافر إلى نواح عديدة في مصر، ووصف وحدد لنا بعض الأماكن القديمة والتي ورد ذكرها بالكتاب المقدس، ويعد أول رحالة يزور أبيدوس، وإدفو، وجزيرة فيلة، ورسم أول خريطة معروفة لمصر. وقام بإعداد دراسة تفصيلية لهذه المناطق، ولم يمهل القدر ليرى ثمرة جهده^(٣)، بعد أن مكث في مصر عشرين عامًا حيث توفي عام ١٧٢٦ م من جراء الطاعون^(٤).

على أية حال، في ٧ ديسمبر ١٧١٢ زار الأب الأب كلود سيكار الجزويتي أديرة وادي النطرون، والتي اعتبرها النقطة الاستراتيجية لنشر الكثلكة بين رهبانه لسهولة انتشارها بعد ذلك بين الشعب القبطي، لكي يكسب ود بابا روما، ولكن محاولاته باءت بالفشل لتصدي الرهبان له^(٥) فظهر تعصبه لمذهبه في كتاباته باتهام الرهبان بالجهل والتخلف، كما وصف المذهب الأرثوذكسي على حد قوله بأنه «يحتوي على الكثير من الخرافات» والأقباط في نظره «جهلة» ولذلك تؤخذ كتاباته بحذر شديد من جانب الكنيسة المصرية القبطية لعدم التزامه العلمي وتحيزه وعدم حيادته لتعصب الكثلكة^(٦).

(1) <https://de.wikipedia.org/wiki/Avignon>.

(٢) إلهام محمد علي ذهني: مصر في كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين في القرن الثامن عشر، مرجع سابق، ص ٥٩.

(3) <https://de.wikipedia.org/wiki/Avignon>.

(٤) إلهام محمد علي ذهني: مصر في كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين في القرن الثامن عشر، مرجع سابق، ص ٥٩.

(٥) هيو ج. إفلين هوايت: المرجع السابق، ص ١٦٤.

(٦) إلهام محمد علي ذهني: مصر في كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين في القرن الثامن عشر، المرجع السابق، ص ٦٠.

ومع ذلك فإننا لا ننكر فضل الأب كلود سيكار في تدوين زيارته التاريخية لبرية شيهيت التي بدأها من بولاق في ٥ ديسمبر ١٧١٢ م بصحبة رئيس دير القديس الأنبا مقار^(١). وفي السابع من ديسمبر شرع في اجتياز البرية في صحبة رئيس دير الأنبا مقار ومعها راهب آخر كان يحمل إمدادات الأديرة، ويصف لنا سيكار الملامح العامة للأديرة الموجودة بعد أن يذكر أسماءها، وطريق الملائكة، وعدد الرهبان بها، ونمط الحياة الرهبانية، والمؤسسات الخدمية التي توجد في كل دير، كما وصف لنا الخرائب التي توجد حول الأديرة، كنتيجة طبيعية للهجمات البربرية^(٢).

يوسف سمعان السمعاني Giuseppe Simone Assemani

وُلد يوسف السمعاني في ٢٧ أغسطس ١٦٨٧ م في حصرون بجبل لبنان، وأُرسل في عمر مبكر إلى الكلية المارونية بمدينة روما بإيطاليا. وفي عام ١٧٠٠ م رسم كاهنًا، وارتحل إلى مصر وسوريا بحثًا عن مخطوطات لضمها لمكتبة الفاتيكان، بناء على توجيهات البابا كلمنت الحادي عشر Clemente XI (١٧٠٠-١٧٢١ م)، وفي عهد البابا كلمنت الثاني عشر (١٧٠٠-١٧٣٠ م) ترأس سينودس جبل لبنان عام ١٧٣٩ م، ويعد من مؤسسي الكنيسة المارونية الحديثة في لبنان، كما عُين أول مشرف على مكتبة الفاتيكان سنة ١٧٣٩ م كمكافأة لجهوده، ونُصب رئيسًا لأساقفة مدينة صور سنة ١٧٦٦^(٣) وتنيح (توفي) بروما في ١٣ يناير ١٧٦٨ م^(٤).

على أية حال، زار المونسينيور يوسف السمعاني وادي النطرون ١٧١٥ م^(٥)، وقد وفد إلى مصر بتوجيه من بابا روما «كليمنت الحادي عشر» Clemente XI (١٧٠٠-١٧٢١ م) مثل ابن عمه إلياس السمعاني، وكان أيضًا أمينًا لمكتبة الفاتيكان، فلما رآه البابا الروماني ذا خبرة وكفاءة عالية وحكمة في انتقاء المخطوطات الشرقية والقبطية بصفة خاصة، انتدبه لإحضارها. فوصل

(١) سمعان السرياني، الراهب: المرجع السابق، ص ٩٢-٩٣.

(٢) هيو ج. ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص ١٦٥-١٦٧.

(٣) [http://www.treccani.it/enciclopedia/giuseppe-simonio-assemani_\(Dizionario-Biografico\)/](http://www.treccani.it/enciclopedia/giuseppe-simonio-assemani_(Dizionario-Biografico)/).

(٤) http://data.bnf.fr/en/12370549/giuseppe_simone_assemani/.

(٥) سمعان السرياني، الراهب: المرجع السابق، ص ٩٢-٩٣.

إلى البرية المقدسة بصحبة الأب كلود سيكار عام ١٧١٥ م واستمتع بضيافة الرهبان له مدة ٨ أيام^(١)، عاد بعدها يحمل مجموعة من هذه المخطوطات القبطية والسريانية من ديرى السريان والأنبا مقار، وهي محفوظة حاليًا في مكتبة الفاتيكان^(٢).

كما وصف لنا المونسنيور يوسف السمعاني في مذكراته أنه رأى قلاية ضيقة في دير السريان، زعم أنها قلاية القديس الأنبا يشوي نفسه، وتدعي المصلى أو مكان الصليب، وأن جسد القديس «ماروتا» أسقف تكريت محفوظ بها، وأنه نقل إلى هناك عندما تعرضت ميسوبوتاميا (العراق) للغزو الفارسي والعربي. وباستثناء هذا لم تصلنا أية تفاصيل عن زيارته لبرية شيهيت، كما ذكر في مذكراته أن رئيس دير الأنبا مقار أبدى قبوله عقيدة الطبيعتين، واصطحبه معه إلى روما حيث أقامه البابا رئيسًا على دير أستفانوس وظل بذلك المنصب إلى أن توفي في سنة ١٧٤٠ م عن عمر يناهز ١٠٧ أعوام^(٣).

كلود تورتشوت جرانجيه

وقبل التعرض لوقائع رحلة كلود تورتشوت جرانجيه Claude Tourtechot Granger إلى وادي النطرون عام ١٧٣٠ م^(٤) من الضروري التعريف بشكل مختصر بهذا الجراح ورحلته إلى مصر عام ١٩٣٠ م لدراسة التاريخ الطبيعي بها^(٥)، والواقع أنه لا يعرف إلا القليل من المعلومات عن سيرته الذاتية حيث لا يعرف تاريخ ومكان ميلاده، ولكنه ينسب إلى المحافظة الشرقية لفرنسا، والتي تُسمى ببورجونيا وعاصمتها مدينة ديجون، التي وتقع على الطريق

(١) مجلة مرقس: السنة ٥٨، العدد ٥٢٢، مقال بعنوان «من تاريخ كنيسة الببائس السادس عشر»، بتاريخ أمشير / برمهات ١٧٣٠ / مارس ٢٠١٤ م، ص ٣٥.

(٢) مرتيوس السرياني (الراهب): المرجع السابق، ص ١٥٨. انظر ملحق رقم ٢.

(٣) هيو ج. ج. إيفلين هويت: المرجع السابق، ص ١٦٨.

(٤) سمعان السرياني، الراهب: المرجع السابق، ص ٩٢-٩٣.

(٥) <http://www.worldcat.org/title/relation-du-voyage-fait-en-egypte-en-lannee-1730-ou-lon-voit-ce-quil-y-a-de-pl>.

الواصل بين مدينة ليون والعاصمة باريس، وتُعتبر من المدن الأوروبية السباقية في مجال الفنون والتعليم^(١).

على أية حال، يبدو أن كلود تورتشوت جرانجيه ولد في أواخر القرن السابع عشر، وقد درس الطب والجراحة واشتهر في جنوب فرنسا في معالجة المصابين بالطاعون^(٢)، وذاعت شهرته في مارسيليا وطولون، في عام ١٧٢١م، وشاءت الظروف أن يختار ليشغل وظيفة جراح في مستشفى رجال الدين المسيحيين في تونس^(٣)، حيث مكث بها ما بين عام (١٧٢٣-١٧٢٨م)، وبعد عودته الى فرنسا عمل في حديقة الملك في باريس حيث انكب على تغيير تخصصه واهتم بالتاريخ الطبي وعلم النبات^(٤)، وقد التقى ذات يوم بالقنصل الفرنسي «جان بيير بينيون» الذي عرض عليه السفر للقاهرة، وزار مصر عام ١٧٣٠م، ثم عاد إلى فرنسا^(٥)، وبعد رجوعه عين في الأكاديمية الملكية للعلوم ثم كلف بمرافقة صديقه القنصل الفرنسي في مصر «جان بيير بينيون» بالرحيل الى ليبيا التي وصلها في بداية شهر أغسطس ١٧٣٣م وبقي متجولاً فيها نحو أحد عشر شهراً^(٦)، وبعدها ارتحل إلى اليونان في يوليو عام ١٧٣٤م، وعاد إلى مصر مرة ثانية حيث كان مكلف بمهمة رسمية من قبل ملك فرنسا إلا وهي «البحث عما يخدم التاريخ الطبي»، واستقر بها ما بين (١ أغسطس ١٧٣٤ إلى ٢٩ يونية ١٧٣٥م)، ثم زار قبرص التي مكث بها إلى أول أكتوبر (١٧٣٥م)، ومنها زار بلاد الشام والتي استقر بها إلى ١٥ سبتمبر ١٧٣٦م، ثم توجه منها إلى مدينة حلب ثم الى ديار بكر ومنها أبحر إلى مدينة بغداد حيث زار

(١) موقع موضوع: مقال وعنوانه "مدينة ديجون الفرنسية"، بتاريخ ٢٢ يناير ٢٠١٧م. <http://mawdoo3.com>

(2) <http://khaledelhaddar.blogspot.de/2008/11/1733-1734.html>.

(٣) إلهام محمد علي ذهني: مصر في كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين في القرن الثامن عشر، المرجع السابق، ص ٦٢.

(4) <http://khaledelhaddar.blogspot.de/2008/11/1733-1734.html>.

(٥) إلهام محمد علي ذهني: مصر في كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين في القرن الثامن عشر، المرجع السابق، ص ٦٢.

(6) <http://www.worldcat.org/title/relation-du-voyage-fait-en-egypte-en-lannee-1730-ou-lon-voit-ce-qu'il-y-a-de-pl>.

بعض المدن العراقية قبل الوصول إليها، وفي شهر ديسمبر ١٧٣٦ م كان في بغداد ثم اتجه منها إلى البصرة، وفي طريق عودته إلى حلب مات في الصحراء قرب البصرة أثر ضربة شمس في ٢٩ يوليو ١٧٣٧ م، وقد دُفن هناك^(١).

وهنا يجب أن نسجل أن كلود تورتشوت جرانجيه قد كتب وصفاً عن مشاهداته وانطباعاته عن المدن والبلدان العربية التي زارها، وكان يرسلها إلى كونت موريباس (Maurepas) وزير الشؤون البحرية الفرنسية في شكل رسائل، وموريباس هو الذي دعم جرانجيه في رحلاته وهو الذي كلفه بها^(٢). وقد نشرت رحلات جرانجيه عام ١٧٤٥ م ولكنها كتبت بأسلوب غير أدبي، زار جرانجيه في رحلته الأولى إلى مصر الأديرة القبطية، وتوغل في مدن مصر العليا فوصل إلى أخميم ثم أكمل رحلته إلى العراة المدفونة في أبيدوس، وكتب عن الكرنك فوصفها «أنها أجمل معابد العالم» كذلك زار أديرة البحر الأحمر ودير القديس أنطونيوس والأنبا بولا، كما زار المغارات والمنشويات القبطية وأديرة الكابوس^(٣). وقد تم نشر العديد من رسائله المجهولة في الإرشيف الوطني الفرنسي ما يربو عن ٢٧٠ عاماً حتى نشرت مؤخراً^(٤).

والحقيقة التاريخية أن كلود تورتشوت جرانجيه زار وادي النطرون في رحلته الأولى عام ١٧٣٠ م من أجل دراسة التاريخ الطبيعي وتسجيل التغيرات الطبوغرافية التي تعرض لها الوادي خلال العصور الجيولوجية، أي دراسة العاديات أو الدراسة التحليلية الستيلستيكية للوادي؛ ولذلك ورد الكثير في وصفه عن مادة النطرون والخشب المتجر، والنباتات التي تنمو، والحيوانات التي تعيش في بركة شيهيت، كما وصف لنا البحر الفارغ، وذكر أن أسباب جفافه ترجع إلى صلوات القديس إفرايم، ولكنه لم يذكر إلا القليل عن أديرة بركة شيهيت، فهو يغفل

(1) <http://khaledelhaddar.blogspot.de/2008/11/1733-1734.html>.

(2) A. Riottot, Voyage Dans L'empire Ottoman du naturaliste Claude Granger 1733-1737, (Paris, L'Harmattan:2006).

(٣) إلهام محمد علي ذهني: مصر في كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين في القرن الثامن عشر، المرجع السابق، ص ٦٣.

(4) A. Riottot, Voyage Dans L'empire Ottoman du naturaliste Claude Granger 1733-1737, (Paris, L'Harmattan:2006).

دير القديس الأنبا بيشوي وأطلق عليه اسم الدير الأبيض لأنه ليس به ما يستحق الاهتمام. كما لم يكتب لنا شيئاً عن دير السريان، ودير القديس الأنبا مقار (مقاريوس)، عدا ذلك كتب لنا أن الرهبان لم يصرحوا له بدخول مكتباتهم أو يطلع على كتبهم بأي ثمن. ولكن الحقيقة الجديدة الوحيدة، التي ساهم بها جرانجيه هي أنه ذكر في رحلته قائلاً: «هناك ثلاثة مصانع زجاج تشاهد في الجنوب الشرقي من بحيرة النطرون على الطريق إلى دير القديس مقاريوس»^(١).

تشارلز نيكولاس سيجيسبرت سونيني دي مانونكورت (١٧٥١-١٨١٢م)

تشارلز نيكولاس سيجيسبرت سونيني دي مانونكورت Charles Nicolas Sigisbert Sonnini de Manoncourt وُلد في ١ فبراير ١٧٥١م في اللورين Lorena، عمل محامياً ومهندسا بحرياً وعالمًا في الطبيعة، زار أمريكا خلال (١٧٧٢-١٧٧٥م)، وغرب أفريقيا، اهتم بالتاريخ الطبيعي والطبي، وكتب (١٢٧) مجلدًا ما بين عام (١٧٩٩-١٨٠٨م) من التاريخ الطبيعي منها مجلد يتناول التاريخ الطبيعي للزواحف، كما كتب أربعة مجلدات مع «بيير أندريه لاتريل» ويشمل هذا العمل وصفًا وتوضيحًا للعديد من الزواحف في أمريكا الشمالية^(٢).

وقد زار سونيني دي مانونكورت مصر خلال (١٧٧٧-١٧٨٠م) وذكر في كتابه «سافرنا إلى مصر بتكليف من الكونت بوفون للقيام بعدة أبحاث لتقديمها إلى الوزير برتال» أي إن رحلته لمصر كانت رسمية ولذلك ساعدته غرفة تجارة مرسليليا بالأموال لتغطية نفقات رحلته. وقد زار مصر وقت زيارة البارون دي توت لها ونشر كتابه من ثلاثة أجزاء مصحوبًا بالرسومات عن مصر وآثارها وثروتها الزراعية، ولكن رغم أهمية كتاب سونيني فإنه فقد أهميته بعد نشر كتاب وصف مصر. ويعتبر مؤلف سونيني من أهم المؤلفات التي كان لها تأثيرها بعد كتاب سافاري وفولني وعمله يعتبر مكملًا لعمل سافاري وفولني وباعتباره طبيبًا كانت ملاحظاته أعمق من سافاري وفولني فيما يتعلق بالحياة الطبيعية والأمراض، ولكن من الطبيعي أيضًا أن

(١) هيو ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص ١٦٨.

(2) https://it.wikipedia.org/wiki/Charles-Nicolas-Sigisbert_Sonnini_de_Manoncourt.

تحجىء كتاباته عن الآثار سريعة، وقد التقى سافاري بمراد بك وزاره في معسكره، وأشاد بفخامة المعسكر وحاول مراد بك إقناعه بالعمل في خدمته كطبيب ومهندس ولكنه رفض ذلك^(١).

وقد زار سونيني دي مانونكورت وادي النطرون في عام ١٧٧٨ م^(٢)، ووصف لنا أديرة برية شيهيت بصفة عامة والرهبان بصفة خاصة وقد اجتاز البرية من قرية تدعى هونز إلى وادي النطرون، وفي أثناء زيارته سرقه بربر الصحراء، ويبدو أنه تعرض لخطر، وهذه الحقائق توضح لنا سبب هيجانه الشديد الذي يظهر من طريقة وصفه لرهبان البرية، حيث اهتمهم بأنهم جهلاء، وغير متمدنين. ولكن لا ننكر أن سونيني سجل لنا حالة فريدة في البرية لم يتناوله من قبل الرحالة الزائرين للوادي، وهي قبل أن تصل إلى بحيرات النطرون ذكر قائلاً: «هناك بيت صغير على انحدار التل، ويقول الأقباط إنه قد وُلد فيه قديس يكرمونه خاصة، ويدعى القديس مكسيموس. ومن غير المعروف طبيعة هذا البناء». وبالإضافة إلى ذلك قدم وصفاً لأديرة الأسقيط مثل دير البراموس والسيان والأنبا مقار (مقاريوس) والأنبا بيشوي، ولم ينسَ الإشارة إلى الخرائب والحصون التي وجدت في كل دير، وعدد الرهبان والحياة الرهبانية اليومية للراهب، والرهبان وصلاة القديس الإلهي^(٣).

أنطوان فرانسوا أندريوسي Andreossy

وأندريوسي جنرال (عسكري) وديبلوماسي، وهو الحفيد الأصغر لأندريوسي المهندس والعالم الرياضي، كان عضواً في مجمع القاهرة وبعد عودته إلى فرنسا عين سفيراً لبلاده في لندن ثم فيينا ثم إسطنبول على التوالي. وخلال المائة يوم عاد إلى الخدمة تحت قيادة نابليون، وبعد معركة واترلو Waterloo عام ١٨١٥ م شارك في المفاوضات لإنقاذ ما يمكن إنقاذه، وله دراسات مهمة أبرزها دراسة عن تناقص مساحة كوب الأرض^(٤).

(١) إلهام محمد علي ذهني: مصر في كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين في القرن الثامن عشر، المرجع السابق، ص ٦٩-٧٠.

(٢) سمعان السرياني، الراهب: المرجع السابق، ص ٩٢-٩٣.

(٣) هيو ج. ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص ١٦٨-١٧١.

(٤) تأليف علماء الحملة الفرنسية: وصف مصر - العرب في ريف مصر وصحاريها، ج ٢، مرجع سابق، ص ١٢.

زار أنطوان فرانسوا أندريوسي (١٧٩٩-١٨٠١ م) أحد قواد الحملة الفرنسية على مصر وادي النطرون، بعد أن أسند إليه نابليون بونابرت قائد الحملة الفرنسية بأن يقوم برحلة استكشافية لوادي النطرون وأديرته القبطية،^(١) فخضع للأمر وسافر من الطرانة، وقد استغرقت رحلته من ٢٣ يناير إلى ٢٧ من نفس الشهر عام ١٧٩٩ م، واهتم هذا الرحالة بوصف وادي النطرون طبيعيًا وجغرافيًا واقتصاديًا ودينيًا ودون ذلك في مذكراته بعنوان «رحلة إلى وادي النطرون» والتي نشرت ضمن سلسلة وصف مصر^(٢).

وقدم لنا الجنرال أندريوسي وصفًا دقيقًا لبيت القديس مكسيموس الذي أشار إليه سوني، حيث ذكر فرانسوا المنزل قائلاً: «يقع في الشمالي الشرقي لبحيرات النطرون، وبناء الكاشف السابق لصدد البدو، وكان عبارة عن بناء مربع الشكل، وتوجد معاقل مستديرة عند ركنين من أركانه، وأنه كان مبنياً بقطع من النطرون، وكان دير السريان يبعد عن هذا المبنى نحو ٧٤٣٠ متراً وثلثي المتر. بينما كان دير البراموس يبعد ٩٢٥٨ متراً وربع متر من دير السريان»^(٣).

وفي وصف الجنرال أندريوسي للأديرة نقطتان فقط تستحق الإشارة إليها:

أولاً- أعطى مقاييس لشجرة مار إفرآم السرياني على النحو التالي: حيث وصل ارتفاعها ستة أمتار ونصف. ومحيط الساق ثلاثة أمتار. وأنها في ذلك التاريخ كانت تظهر بأنها ذات عمر ملحوظ، ولكن هذه المقاييس ليست كافية لعمل تاريخ تقريبي ممكن.

ثانياً- يؤكد أندريوسي على أن ماء دير القديس مقاريوس كان مالحاً، ولكن كانت توجد بئر على مسافة ٤٠٠ متر من الدير ماؤها عذب.

وبالإضافة إلى ذلك سجل لنا الجنرال أندريوسي عدد رهبان كل دير، وأشار إلى المخطوطات التي رآها في الأديرة، كما سجل خرافة خاصة سائدة في المناطق المجاورة، وهي أنه عندما بنى

(١) سمعان السرياني، الراهب: المرجع السابق، ص ٩٢-٩٣.

(٢) تأليف علماء الحملة الفرنسية: وصف مصر-العرب في ريف مصر وصحاريها، المرجع السابق، ٤٣-٧٣.

(٣) هيو ج. ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص ١٧١.

أحد المسلمين في الدلتا برج حمام، أرسل خطاباً مع هدية إلى أديرة برية شيهيت. فردّه الرهبان في المقابل ببرقية مكتوبة وضعها في برج الحمام فضمن وفرته^(١).

موراي Murray

زارت السيدة موراي Murray أديرة وادي النظرون في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي، وكانت تعمل مرشدة سياحية، وبدأت رحلتها لبرية شيهيت بزيارة دير القديس الأنبا مقار (مقاريوس)، ثم زارت دير السريان وذكرت عنه قائلة: «إنه أجمل أديرة الأسقيط، ويبدو في شكله مثل فلـك نوح»، ولكنها هي وبـدكي Baedekei خلطاً بين عصاة الطاعة التي للأنبا يحنس القصير، وبين الأنبا يحنس كاما، وكتبت لنا موراي دراسة بعنوان «للمسافر إلى مصر العليا والسفلى»^(٢).

يوهان هاينريش فون مينوتولي

وُلد الألماني يوهان هاينريش فون مينوتولي في مدينة جينيف في ١٢ مايو ١٧٧٢م، وكانت عائلته تنتمي إلى مدينة لوكا Lucca الإيطالية، وهاجرت إلى سويسرا في القرن السابع عشر^(٣)، في بداية حياته تلقى تعليمه في منزل عائلته، وفيما بين عامي (١٧٨٢-١٧٨٤م) التحق بالمدرسة الثانوية في كارلسروه Karlsruhe، ثم تم تدريبه من قبل نقيب مهندس النمساوي في المسائل العسكرية، وفي عام ١٧٨٦م التحق بالخدمة العسكرية البروسية، وكان عمره نحو أربعة عشر عاماً، وتوسط له عمه لودفيج موريتز فون لوكادو Ludwig Moritz von Lucadou الذي كان يعمل قبطاناً لدى أحد اللواءات، فألحقه في بومباردييه في سلك مدفعية الميدان وخدم لمدة عامين، وفي عام ١٧٨٩م التحق للتدريب بكتيبة الضباط في ماجديبورج Magdeburg، وخلال هذه الفترة تعلم اللغة اليونانية واللاتينية والإيطالية والإنجليزية^(٤).

(١) نفسه:، ص ١٧٢.

(٢) سمعان السرياني، الراهب: المرجع السابق، ص ٩٣.

(3) <https://www.deutsche-biographie.de/gnd100791549.html#ndbcontent>.

(4) https://de.wikipedia.org/wiki/Heinrich_Menu_von_Minutoli#cite_note-NDB-1.

في ١٧ مايو ١٧٩٠، تمت ترقية يوهان هاينريش فون مينوتولي إلى رتبة ملازم ثانٍ، ثم شارك في الحملة ضد فرنسا ما بين عامي (١٧٩٢-١٧٩٣م)، وحارب في بيرماسنس Pirmasens، وششانزيل وكذلك في العاصفة على بيتش Bitsch. ولكنه أصيب في ذراعه اليمنى بجروح بالغة وظل معوقاً حتى نهاية حياته؛ لهذا السبب تم تعيينه في عام ١٧٩٤م كقبطان ومعلم ومدرّب في الفيلق النبيل في كاديت Kadettenkorps في برلين، ومنذ عام ١٧٩٧م أصبح رئيساً للتدريب؛ وكان واحداً من أوائل دعاة التجنيد الإجباري جنباً إلى جنب مع الجنرال إرنست فون روشيل. ومنذ عام ١٨١٠م وحتى مارس ١٨٢٠م عينه فريدريش ويلهلم الثالث Friedrich Wilhelm III. مربيًا للأمير كارل البالغ من العمر تسعة أعوام^(١).

وعرف عن يوهان هاينريش فون مينوتولي شغفه بالحضارة المصرية القديمة، ولذلك دعتة الحكومة المصرية في عام ١٨٢٠م لرأس أحد بعثتها الأثرية للتنقيب عن الآثار في ربوعها، ورافقه آخرون منهم فيلهلم فريدريش، وكريستيان جوتفريد إهرنبرج، والمهندس لودفيج ثيودور ليان (١٧٨٨-١٨٢٠)، الذي توفي بعد وصوله إلى الإسكندرية في ١٣ ديسمبر ١٨٢٠م بسبب مشاق السفر. ورافقه أيضًا المستشرق واللاهوتي يوهان مارتن أوغستين شولز، الذي انفصل عنهم في مدينة القاهرة، وعند عودة مينوتولي إلى ألمانيا كان يحمل نحو ٩٧ صندوقًا؛ تحتوي على العديد من القطع الأثرية المصرية القيمة، وقد فقدت صناديق كثيرة من الشحنة ما بين تريست إلى هامبورج لأن السفينة «جوتفريد» Gottfried غرقت في ليلة ١٢ مارس ١٨٢٢ في مصب نهر إلب Elb نتيجة إعصار شديد. ولم يصل إلى برلين سوى ٢٠ صندوقًا تم نقلها برًا، اشتراها ملك بروسيا وهي التي شكلت المتحف المصري في العاصمة الألمانية برلين^(٢). وأصبح عضوًا فخريًا في الأكاديمية البروسية للعلوم، وحصل على لقب الفريق، وبعد إحالته للتقاعد عاش بالقرب من لوزان. وتنيح (مات) في ١٦ سبتمبر ١٨٤٦م في برلين ودفن في مقبرة في ذات المدينة^(٣).

(1) ibid.

(2) https://de.wikipedia.org/wiki/%C3%84gyptisches_Museum_Berlin.

(3) https://de.wikipedia.org/wiki/Heinrich_Menu_von_Minutoli#cite_note-NDB-1.

وقد زار يوهان هاينريش فون مينوتولي وادي النطرون عام ١٨٢٠ م، وقد سجل لنا الأسماء العربية لأديرة شيهيت كالآتي: سيد الجارين (دير البراموس)، لبض أي دير القديس (الأنبا بيشوي) أي الدير الأبيض، حيث وجدت نسخة من الكتاب المقدس في مكتبة ليندسي Lindsay يوجد هامش مؤرخ في عام ١٥١٤ م، يوصف فيه الدير بالدير الأبيض بوادي النطرون، أما دير سوريان أي (دير السريان)، ودير بومكار أي دير القديس (الأنبا مقار) . ومن الطريف أن مينوتولي يصرح أنه لم يدخل أي دير منها^(١).

لورد برودو ١٨٢٨ م

هو ألجيرنون بيرسي، الدوق الرابع لنورثمبرلاند، واشتهر آنذاك بـ(لورد برودو Prudhue)، وُلد في ١٥ ديسمبر ١٧٩٢ م، تلقى تعليمه في إتون وكلية سانت جون، كامبريدج، دخل البحرية الملكية في مارس ١٨٠٥، وكان يبلغ من العمر نحو ثلاثة عشر عامًا، شارك في الحروب النابليونية، في عام ١٨١٥ م تم ترقيته إلى نقيب، وفي عام ١٨١٧ م أصبح أميرال في البحرية الملكية أي قائدًا للبحرية الملكية، بين عام (١٨٢٦-١٨٢٩ م) قام بالعديد من الرحلات الاستكشافية إلى مصر والنوبة والشام ورأس الرجاء الصالح، وهو مستكشف وسياسي بارع^(٢)، وهو الذي اقترح على «أدوارد وليم لين» Edward William Lane وذلك من أجل جمع مواد لتصنيف معجم عربي إنجليزي^(٣). ومات في ١٢ فبراير ١٨٦٥ م.

وزار لورد برودو أديرة وادي النطرون في عام ١٨٢٨ م^(٤)، ولم يترك لنا أي تسجيل عن اختبارات في برية شيهيت، فيما عدا مذكرة موجهة إلى كورتون، تناول تقريبًا بصفة محدودة بقايا مكتبات الأديرة التي رآها. والحقيقة الوحيدة ذات الفائدة العامة التي لاحظها هي أن دير البراموس كان به آنذاك «نحو اثني عشر راهبًا»^(٥).

(١) هيو ج. ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص ١٨١، ١٧٦.

(٢) <http://venn.lib.cam.ac.uk/cgi-bin/search-2016>.

(٣) https://de.wikipedia.org/wiki/Edward_William_Lane.

(٤) سمعان السرياني، الراهب: المرجع السابق، ص ٩٣.

(٥) هيو ج. ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص ١٧٦.

روبرت كورزون ١٨٣٧ م

زار روبرت كورزون وادي النطرون في عام ١٨٣٧ م^(١)، وسجل لنا وصفاً دقيقاً لبرية شيهيت وبدأ رحلته من مدينة القاهرة عن طريق الطرانة إلى دير البراموس الذي أشار إلى حالته السيئة، حيث لا يوجد بها إلا ثلاثة رهبان معتلي الصحة، وتوجد كنيسة كبيرة، بها مصابيح عديدة جذابة مصنوعة من زجاج قديم مثل ذلك الذي يوجد في مسجد السلطان حسن في القاهرة، وأنها في شكل فازات كبيرة مفتوحة، مزينة بجمل تقوية بالعربية باللون الأزرق على أرضه بيضاء، وتقع المكتبة في القصر (الحصن) في غرفة كبيرة بنوافذ مفتوحة بدون زجاج. ومضى بعد ذلك كورزون من البراموس إلى دير السريان، ومن هناك إلى ديري الأنبا بيشوي والأنبا مقار (مقاريوس) وكل منهما كان في حالة سيئة جداً، ويسكنهما على ما يظهر ثلاثة رهبان أو أربعة، وليس فيهما على حد وصفه ما يستحق الاهتمام، كما رأى خرائب كثيرة وأكوام حجارة تقريباً مستوية بالأرض وهي بقايا نحو خمسين ديراً، كانت ذات يوم مزدهرة في برية الأسقيط. وأشار إلى المخطوطات القبطية، والسريانية القيمة، ووصف الكنيسة الكبيرة بدير السريان، والمبنى زينه «موسى النصيبيني»^(٢).

وهنا يجب أن نسجل حقيقة تاريخية أشار إليه روبرت كورزون، حيث تنبعث حقيقة مهمة ففي الركن الجنوبي الشرقي بدير السريان، وبالقرب من جدار السور، وُجد مبنى مسطح السقف تسكنه جالية من الرهبان الأحباش. وقد ذكر له أحد الرهبان الأقباط بالدير قائلاً: «أن الدير الذي كانوا يسكنوا فيه في هذه البرية قد تداعي، وهم الآن يعيشون هنا، وعددهم يتجدد أحياناً من قبل الحجاج في طريقهم من أورشليم إلى الحبشة. فكون أن الأحباش كان لهم دير ذات مرة، وقد تداعى فهذه حقيقة ثابتة»، وعلمنا أن نقبل ما تتضمنه هذه العبارة من أن الإخوة سكنوا في دير السريان منذ ذلك التاريخ^(٣).

(١) سمعان السرياني، الراهب: المرجع السابق، ص ٩٣.

(٢) هيو ج. ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص ١٧٦-١٧٧.

(٣) نفسه: ص ١٧٧.

بلات وهنري تاتام Henry Tanttam ١٨٣٨ م

زارت أديرة وادي النظرون عام ١٨٣٨ م ميس بلات في صحبة زوج والدتها هنري تاتام^(١)، وجذب انتباهها المخطوطات القديمة الي رأتها في مكتبات الأديرة ، وقد سنحت لها كونها امرأة فرصة كبيرة لتسجيل الملاحظات العامة. فقد لاحظت أنه في دير القديس الأنبا مقار (مقاريوس) إلى جانب الكنيسة الكبيرة والحصن والمباني الخدمية، وجدت مقصورة صغيرة يعتقد رهبان الدير أنها تعود إلى القرن الخامس الميلادي في نشأتها، كما أشارت إلى أنه خلف جدار الحديقة توجد بقايا مبانٍ ما زالت متصلة بالدير وهي تفترض أن هذا المكان كان قبلاً أكثر كثافة رهبانية، وأيضاً خرائب الأديرة حيث يرى الرحالة في أثناء عبوره مجموعة من التلال الفاصلة بين الوديان الصحراوية بقايا أديرة كثيرة قدر عددها نحو ٣٦٠ ديرًا، كانت تزين البرية ذات يوم، وقيل إنه من بين هذه الخرائب ما زالت خمسون قائمة، أما بالنسبة للأديرة الأخرى فلم يكن لديها ما تسجله فيها عدا عدد رهبان الدير السريان الذي وصل لنحو ١٥ أو ١٦ راهبًا، ومن الجدير بالذكر أن ميس لان تاتام زارت الأسقيط مرة أخرى من أجل شراء مكتبة دير السريان^(٢).

جون جاردنر ويلكنسون John Gardner Wilkinson

جون جاردنر ويلكنسون ولد في ٥ أكتوبر ١٧٩٧م، هو رحالة وكاتب وعالم مصريات إنجليزي رائد من رواد القرن التاسع عشر الميلادي، يعده الكثيرون أبا لعلم المصريات في بريطانيا، وتوفي في ٢٩ أكتوبر ١٨٧٥م^(٣). وقد زار مصر أربع مرات كانت الأولى في أكتوبر ١٨٢١م، وكان آنذاك في الرابعة والعشرين من عمره. وقد مكث في مصر في تلك الزيارة ١٢ عامًا متصلة، زار فيها كل الآثار في ربوع مصر، مُسجلاً النقوش والرسوم ومحتفظًا بها في سجلات دقيقة. عاد بعدها إلى إنجلترا لاعتلال صحته في سنة ١٨٣٣م، حيث انتُخب زميلًا

(١) سمعان السرياني، الراهب: المرجع السابق، ص ٩٣.

(٢) هيو ج. ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص ١٧٧-١٧٨.

(3) https://de.wikipedia.org/wiki/John_Gardner_Wilkinson.

بالجمعية الملكية في العام التالي، ثم بدأ في نشر أبحاثه في دوريات عديدة، ونشر كتابه «عادات وتقاليده قدماء المصريين» في طبعته الأولى (ثلاثة أجزاء) سنة ١٨٣٧ م، ثم صدرت منه طبعات تالية أنجز أشكالها التوضيحية «جوزيف بونومي»^(١). وقد كان من أصداء نجاح هذا الكتاب حصول ويلكنسون على لقب «سير» سنة ١٨٣٩ م، وتبوءه مكانة مرموقة كأول عالم مصريات بريطاني بارز.

أما الزيارة الثانية لجون جاردنر ويلكنسون لمصر كانت عام ١٨٤٢ م، وفي العام التالي لزياراته نشر مقالاً بعنوان «مسح لوادي بحيرات النطرون» في دورية الجمعية الجغرافية، ثم نشر في العام ذاته طبعة منقحة ومزينة من كتابه «طبوغرافيا طيبة ونظرة عامة إلى مصر»، الذي كان قد صدر في طبعته الأولى سنة ١٨٣٥ م. أما زيارته الثالثة فجاءت بعد زيارته إلى دالماشيا والجبل الأسود والبوسنة والهرسك سنة ١٨٤٤ م، بعد أن نشر ملاحظاته عنها في سنة ١٨٤٨ م، وعاد ويلكنسون إلى مصر ليقضي فيها الفترة ما بين عامي (١٨٤٨-١٨٤٩ م) أي في الفترة الأخيرة لوالى مصر «محمد علي باشا» (١٨٠٥-١٨٤٨ م)، وكانت زيارته الرابعة والأخيرة إلى جنوب مصر وبالتحديد في مدينة طيبة عام ١٨٥٥ م، قبل أن يعود إلى إنجلترا ويستقر فيها دارساً لآثار دوقية كورنوال وعلم الحيوان^(٢).

على أية حال، زار جون جاردنر ويلكنسون وادي النطرون في عام ١٨٤٣ م^(٣). وعلى الرغم من أن وصفه لبرية شيهيت غير وافٍ، فإنه يحتوي على بعض الخصوصيات المفيدة، التي لا نجدها عند رحالة آخر، فقد وصف مصنع الزجاج القديم بقرية زاكيك، وأديرة الوادي وعدد الرهبان، والخرابة التي وجدت في الأسقيط، كما تحدث عن قيمة المخطوطات التي رآها بدير الأنبا مقار، ووصفها بأنها بحالة جيدة، على الرغم من أن الأرضية كانت مغطاة بقصاصات بعضها من أوراق المخطوطات التي أهملت، وقد أشار إلى النباتات الطبيعية التي تنمو في وادي

(1) <https://babel.hathitrust.org/cgi/pt?id=hvd.32044092624766;view=1up;seq=132>.

(2) https://de.wikipedia.org/wiki/John_Gardner_Wilkinson.

(٣) سمعان السرياني، الراهب: المرجع السابق، ص ٩٣.

النظرون، مثل السمار وأعشاب البرك وكلاهما يستخدم في صناعة الحصير. وبلا شك لعبت هذه النباتات إلى جانب سعف النخيل دورًا كبيرًا في الصناعات الرهبانية القديمة. ولعلنا نتذكر الاعتداءات الصارخه للوزير المالي «أحمد بن المدبر» في القرن التاسع الميلادي، حيث حيث أمر «أحمد بن المدبر» في القرن التاسع الميلادي «بتحصيل ضريبة على السمار الذي ينمو في البرك»^(١).

فريدريك قسطنطين تشيندروف ١٨١٥ - ١٨٧٤ م

وُلد عالم اللاهوت الألماني «فريدريك قسطنطين تشيندروف» Friedrich Constantin Tischendorf في ٨ يناير ١٨١٥ م في مدينة لينجنفلد Lengenfeld التي تقع على نهر جولتش Göltzsch^(٢) وتمتد بطول نحو ٢٠ كيلومترًا، في الجنوب الغربي لمدينة تسفيكاو Zwickau، وتقع شمال مدينة بلاون Plauen^(٣)، ويبلغ عدد سكانها (٧٢٢٥) ألف نسمة طبقًا لتعداد ٢٠١٥ م^(٤)،

(١) هيو ج. إفيلين هويت: المرجع السابق، ص ١٧٨-١٧٩.

(٢) يبلغ طول نهر جولتش نحو ٤٠ كيلومترًا، وهو أحد الروافد النهرية المهمة في مقاطعة فوجتلاند، ويرتفع في الجنوب بنحو ٧٠٠ م، ويقل هذا الارتفاع تدريجيًا كلما اتجهنا شمالًا، ويصب النهر في جنوب مقاطعة وتورينجيا، وعلى جانبه تنمو الغابة الخضراء، وتوجد بعض المحميات الطبيعية، وأقيمت عليه العديد من الشلالات الصناعية، وبفضله أنشئت أقدم الطواحين الألمانية، وشُيد عليه أكبر جسر من الطوب في العالم للسكك الحديدية ليربط ما بين ولاية ساكسون وولاية بافاريا، وبدأ العمل في تشييده عام ١٨٤٦ م، وافتتح في عام ١٨٥١ م، لمزيد من التفصيل انظر:

Thüringer Landesanstalt für Umwelt (Hrsg.): Gebiets- und Gewässerkennzahlen Verzeichnis und Karte. Jena 1998; 26 S. ,Wilfried Rettig: Die Eisenbahnen im Vogtland – Band 1: Entwicklung, Hauptstrecken, Fahrzeuge, Bahnbetriebswerke und Hochbauten. EK-Verlag, Freiburg 2001, ISBN 3-88255-686-2, S. 7.

(3) Isis Verlag A G, der neue grosse Weltatlas, das aktuelle Kartenbild der neuen Weltordnung, Schweiz: Isis, 1991, P15.

(4) Bevölkerung des Freistaates Sachsen, Statistisches Landesamt des Freistaates Sachsen, 31. Dezember 2015.

وهي تابعة لمقاطعة فوجتلاند Vogtland التي تقع في أقصى جنوب ولاية ساكسونيا Sachsen^(١)، التي عاصمتها مدينة درسدن Dresden^(٢).

وُلد تشيندروف لوالدين مسيحيين لوثرين مؤمنين، فربياه تربية مسيحية حقيقية، فوالدته هي السيدة «كريستيانا إيلونورا توماس» Christiane Eleonore Thomas (٤ يونيو ١٧٧٧ - ٢٦ يناير ١٨٣٦ م)^(٣) التي ترجع جذورها لجماعة موقدى الفحم، والوالده طبيب المحكمة، «يوهان كريستيان تشيندروف» Dr. med. Johann Christlieb Tischendorf^(٤)، (أول يناير ١٧٧٢ - ١٩ نوفمبر ١٨٣٥ م)^(٥)، الذي يرجع مسقط رأسه إلى مدينة «جريتز» Greiz التابعة لولاية تورينجيا Thüringen، وكانت عائلته تشتهر بصناعة الورق^(٦)، وقد أنجبت «كريستيانا» من زوجها ثمانية أولاد، تُوفي ستة منهم في حياته^(٧)، وبقي تشيندروف هو وشقيقه «يوليوس» Julius (٣ مارس ١٨٠٥ - ٢٥ سبتمبر ١٨٥١ م)^(٨) وكان أكبر منه بنحو عشرة سنوات^(٩).

(١) جمهورية ألمانيا الاتحادية تتكون من ست عشرة ولاية وهي: بادن فورتمبيرج، والبايرن (بافاريا)، وبرلين، وبراندنبورج، وبريمن، وهامبورج، وهسن، ومكلنبورج - فوربومرن، وساكسونيا السفلى، وشمال الراين وستفاليا، وراينلاند - بفالز، سارلاند، ساكسونيا، وساكسونيا-أنهالت، وشلسفيغ هولشتاين، وتورينجيا لمزيد من التفصيل انظر:

Isis Verlag A G, der neue grosse Weltatlas, das aktuelle Kartenbild der neuen Weltordnung, Schweiz: Isis, 1991, P12.

(٢) طبقاً لإحصاء عام ٢٠١٣ م، الصادر عن الاتحاد الألماني في ٣١ ديسمبر ٢٠١٣ م.

(3) Familiengeschichte von Holger Hartman, <http://gw.geneanet.org/hoha?n=thomas&oc=0&p=christiana+eleonora>

(4) Baumann, Hans-Wolf, Constantin von Tischendorf und der Codex Sinaiticus, 11 März 2015, G - meindenetzwerk - <http://www.gemeindenetzwerk.de>.

(5) Familiengeschichte von Holger Hartmann, <http://gw.geneanet.org/hoha?lang=de&p=johann+christlieb&n=tischendorf>.

(٦) جيمس بنتلي: المرجع السابق، ص ٢٣.

(7) Baumann, Hans-Wolf, Constantin von Tischendorf und der Codex Sinaiticus, 11 März 2015, G - meindenetzwerk - <http://www.gemeindenetzwerk.de>.

(8) Familiengeschichte von Holger Hartmann, <http://gw.geneanet.org/hoha?n=tischendorf&oc=0&p=julius+valentin>.

(٩) جيمس بنتلي: المرجع السابق، ص ٢٣.

على أية حال، بعد أن بلغ تشيندروف ثلاث سنوات من عمره التحق بكتاب الكنيسة وهو في الثالثة من عمره فتعلم بعض المبادئ الروحية والاجتماعية، وفي سن السادسة التحق بمدرسة لينجنفلد وقد تلقى بها تعليمه الأولي (الابتدائي)^(١)، وفي ذات الفترة كان شديد الولع بوالدته التي وافاها الأجل في ٢٦ يناير ١٨٣٦ م، عن عمر يناهز ٥٨ عامًا، وإذا كان «تشيندروف» قد ورث العاطفة المرفهة عن والدته، فقد ورث الذكاء عن والده الذي كان يعمل طبيبًا، وقد أرسل ابنه لدراسة اللاتينية واليونانية في مدرسة خاصة في «بلاون» (Plauen) وهي أكبر مدينة في المنطقة^(٢). وفي ذات المدينة التحق بالمدرسة الثانوية (١٨٢٩-١٨٣٤ م)^(٣)، وفي عام (١٨٣٤-١٨٣٨ م) التحق بكلية اللاهوت لدراسة اللاهوت والفلسفة بجامعة لايبزيغ Universität Leipzig^(٤)، وكان هو أصغر تلاميذها سنًا، وناقش أساتذته في موضوع الكتاب المقدس، وترك الجامعة لفترة وجيزة لوفاة والده المبكرة للعمل من أجل الإنفاق على نفسه^(٥).

وهنا لا بد أن نؤكد على أن فريدريك تشيندروف خلال عامي (١٨٣٩-١٨٤٠ م) بدأ عمله في البحث في المخطوطات القديمة لنصوص للكتاب المقدس، ومن أجل ذلك سافر إلى المكتبات في جنوب ألمانيا، وسويسرا، ومكتبة ستراسبورج Strasbourg في جنوب فرنسا، ونتيجة لهذه الجولة الدراسية، نشر العهد الجديد باللغة اليونانية، وفقا لمبادئ منهجية جديدة^(٦)، وحصل على درجة الدكتوراه في اللاهوت عام ١٨٤٠ م في كلية اللاهوت في جامعة لايبزيغ الألمانية^(٧)، وتم تعيينه محاضرًا في ذات الجامعة^(٨).

(1) Konstantin von Tischendorf, <https://de.wikipedia.org/wiki/>

(٢) جيمس بتلي: المرجع السابق، ص ٢٣.

(3) Baumann, Hans-Wolf, Constantin von Tischendorf und der Codex Sinaiticus, 11 März 2015, G - meindenetzwerk - <http://www.gemeindenetzwerk.de>.

(4) <http://research.uni-leipzig.de/catalogus-professorum-lipsiensium/leipzig/> Tischendorf _ 1020/

(٥) جيمس بتلي: المرجع السابق، ص ٢٣-٢٤.

(6) Baumann, Hans-Wolf, Constantin von Tischendorf und der Codex Sinaiticus, 11 März 2015, G - meindenetzwerk - <http://www.gemeindenetzwerk.de>.

(7) <http://research.uni-leipzig.de/catalogus-professorum-lipsiensium/leipzig/> Tischendorf _ 1020/

(8) Baumann, Hans-Wolf, Constantin von Tischendorf und der Codex Sinaiticus, 11 März 2015, G - meindenetzwerk - <http://www.gemeindenetzwerk.de>.

وواصل أبحاثه في المخطوطات القديمة للعهد الجديد، ومن أجل ذلك قام بالعديد من الرحلات الدراسية إلى عدة دول منها فرنسا وبريطانيا وإيطاليا^(١) وبلاد الشرق الأوسط، وفي عام ١٨٤٥م أصبح أستاذاً مشاركاً، وكثرة إنتاجه العلمي نال درجة الأستاذية في عام ١٨٥١م، وبعد ثماني سنوات أي في عام ١٨٥٩م أصبح أستاذ كرسي اللاهوت وعلم الكتابات القديمة في الكتاب المقدس بجامعة لايبزيغ Leipzig Universität، باعتبارها واحدة من أهم المستكشفين في تاريخ نصوص الكتاب المقدس^(٢)، فقد اكتشف المخطوطة السينائية بعد قيامه بثلاث رحلات لدير سانت كاترين انتهت في عام ١٨٥٩م وقام بنشرها عام ١٨٦٢م^(٣)، وظل يمارس عمله بالجامعة حتى رحيله في ١٨٧٤م^(٤).

ولمكانة تشيندروف العلمية كرمته العديد من المؤسسات لإنجازاته، فحصل على العديد من الجوائز، والميداليات، والأوسمة، من مختلف الجامعات حيث منحته جامعة بريسلو Universität Breslau^(٥) وجامعة أوكسفورد، وجامعة كمبردج الدكتوراه الفخرية في عام ١٨٤٣م، لنشره العهد الجديد باللغة اليونانية، وفقاً لمبادئ منهجية جديدة، كما أنه رفع إلى درجة النبلاء، في جامعة لايبزيغ في ولاية ساكسونيا،^(٦) كما حصل على الميدالية الذهبية عام ١٨٣٦م من كلية اللاهوت «دوكترينا باولي أبوستولي.....»^(٧) » Doctrina Pauli Apostoli.

(1) Hans Ernst;op.cit , 17-18.

(2) <http://research.uni-leipzig.de/catalogus-professorum-lipsiensium/leipzig/> Tischendorf _ 1020/.

(3) Hans Ernst;op.cit ,p18.

(4) Familiengeschichte von Holger Hartman, [http://gw.geneanet.org/hoha?n=von+tischendorf &oc=0&p=lobegott+friedrich+constantin](http://gw.geneanet.org/hoha?n=von+tischendorf&oc=0&p=lobegott+friedrich+constantin).

(٥) جامعة بريسلو: تقع في مدينة فروتسواف في بولندا، نشأت في عام ١٧٠٢م، وتعتبر إحدى أقدم مؤسسات التعليم العالي ذات المستوى الجامعي في أوروبا الوسطى، وصل عدد طلابها ٣٠ ألف طالب في عام ٢٠١٢م، وبقيت طوال تاريخها منارة للتعليم للدول الناطقة باللغة الألمانية، على الرغم من التغيرات التي حدثت بعد الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥م) لمزيد من التفصيل انظر:

<http://uni.wroc.pl/o-nas/historia-i-misja-uczelnia>

(6) Hans Ernst; op.cit,pp 17-18.

(7) https://bibelausstellung.eduxx-irs.de/home/navi1051_1894_lebensverlauf-tischendorfs-und-seine-veroeffentlichungen

وفي ٧ مايو ١٨٦٩ م كرمه القيصر الروسي «ألكسندر الثاني نيكولايفيتش رومانوف» (٢٩) أبريل ١٨١٨ - ١٣ مارس ١٨٨١ م)، فمنحه جائزة نبيل روسيا وهو لقب يشبه لقب «فارس» الذي يمنح في بريطانيا^(١)، وللدور المتميز الذي قام به تشيندروف في رفع مكانة جامعته بين جامعات العالم، قررت جامعة لايبزيغ في عام ١٨٥٩ م منحه درجة الأستاذية كأستاذ لعلم اللاهوت وعلم الكتابات القديمة في الكتاب المقدس، بمرسوم على غير العادة لاكتشافاته وأبحاثه في مجال دراسات الكتاب المقدس، وكان من مستمعيه الفيلسوف فريدريك نيتشه Friedrich Nietzsche (١٨٤٤-١٩٠٠ م) خلال إقامته في لايبزيغ^(٢) وعن حياته الاجتماعية فتشيندروف متزوج من أنجيليكا زيم Angelika Zehme (١٨٢٢-١٩٠٥ م)^(٣)، وقد أنجبت له ثمانية أطفال^(٤).

على أية حال، ظل فريدريك تشيندروف يقدم أبحاثه في مجال دراسات الكتاب المقدس^(٥)، على الرغم من تعرضه لوعكة صحية في ١٥ مايو ١٨٧٣ م^(٦) ولم يطرأ تحسن ملحوظ على صحته. وبعد مرور عام أصيب بعدة جلطات. وفي ٧ ديسمبر ١٨٧٤ م رحل عن عالمنا الفاني ودفن في ١٠ ديسمبر ١٨٧٤ م بـ «مقبرة يتوهان» Johannis friedhof في مدينة لايبزيغ الألمانية^(٧).

وهنا يجب علينا أن نشير إلى رحلات تشيندروف ما بين (١٨٤٤-١٨٥٩ م) إلى مصر وهي ثلاث رحلات على فترات متقطعة متنقلاً ما بين القاهرة ووادي النطرون وسيناء، الرحلة

(١) جيمس بتلي: المرجع السابق، ص ٢٣.

(2) Hans Ernst; op.cit, pp 17-18.

(3) <https://portal.dnb.de/opac.htm?method=simpleSearch&cqlMode=true&query=idn%3D122739159>

(4) Familiengeschichte von Holger Hartman, <http://gw.geneanet.org/hoha?n=von+tischendorf&oc=0&p=lobegott+friedrich+constantin>

(5) Baumann, Hans-Wolf, Constantin von Tischendorf und der Codex Sinaiticus ,11 März 2015, G - meindenetzwerk - <http://www.gemeindenetzwerk.de>.

(٦) نفسه: ص ٩٨.

(7) Baumann, Hans-Wolf, Constantin von Tischendorf und der Codex Sinaiticus ,11 März 2015, G - meindenetzwerk -

الأولى كانت عام ١٨٤٤م زار خلالها وادي النطرون، ودير سانت كاترين^(١)، واكتشف في إحدى الغرف ثلاثاً وأربعين ورقة مخطوطة، وصفها قائلاً: «بأنها جوهرة أبحاثي»^(٢). وفي يناير ١٨٤٥م عاد تشيندروف إلى جامعة لايبزج الألمانية، ويبدو أنه قبل عودته فتش خلال ذات الرحلة في منطقة الأديرة القبطية المنتشرة بالصحراء الليبية (الغربية) أى أديرة وادي النطرون^(٣).

في عام ١٨٥٢م أبحر تشيندروف مرة ثانية متوجّهاً إلى بلاد الشرق، في هذه الرحلة الثانية لدير سانت كاترين بسيناء^(٤) ولكنه عاد إلى ألمانيا هذه المرة فارغ اليدين. وحول هذا الموضوع كتب يقول: «كل الذي استطعت العثور عليه هو شذرة صغيرة لمخطوطة من نفس مجموعة المخطوطات، مستخدمة كما يبدو كمؤشر وظهر على جانبيها أحد عشر سطراً من الكتاب المقدس العهد القديم من سفر التكوين»^(٥).

(1) Ernst; Hans, op cit.pp 17-18.

(٢) جيمس بنتلي: المرجع السابق، ص ٧٨-٨٠، انظر ملحق رقم ٤.

(3) <http://gw.geneanet.org/hoha?n=von+tischendorf&oc=0&p=lobegott+friedrich+constantin>.

(٤) لمزيد من التفصيل عن الرسائل الغرامية ما بين لوييجوت فريدريك قسطنطين تشيندروف وزوجته أنجيليكا انظر:

Hildegard Behrend, Auf der Suche nach Schätzen : aus dem Leben Constantin von Tischendorfs, Berlin : Evang. Verl.-Anst., 1970.

(٥) مدينة القدس: هذه المدينة اتخذت عدة أسماء منها (يبوس) واليبوسيون هم بناء القدس الأولون، وقد يرد اسمها (أورشليم) وتعني بالعبرية (أساس السلام)، أو (ملك السلام)، وقيل: إن إبراهيم الخليل سماها (مدينة السلام)، حيث إن كلمة (أور) بالكلدانية تعني «مدينة» وهي التي هاجر منها إبراهيم عليه السلام نحو سنة ١٩٢١ ق.م، وفي ألواح تل العمارنة الفخارية التي عثر عليها في سنة ١٨٨٧م بمصر، ورد اسمها أوروساليمو (urrsalmu)، وقد كانوا يبغضون أمير هذه المدينة ويكيلون له اللعنات، وقد يرد اسمها محذوفاً منه المقطع الأول - وهو (أور) بمعنى مدينة، فيقال إنها مدينة (شاليم) - أو (سليم)، ومن ملوكها (ملكي صادق)، وهو أول من اختطها وبنائها، كما أطلق عليها أورشليم و(أريئيل)، وأريئيل معناها (موقد الله)، تنور الله أو نار الله، ومن ثم سميت أورشليم (مدينة الله)، مدينة الرب كما سميت "مدينة القدس" ثم "المدينة المقدسة وكذلك سميت (مدينة العدل)، ثم مدينة الحق انظر: ماجد عزت إسرائيل، الأردن في القدس عبر التاريخ، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠١٥، ص ١٨-١٩.

على أية حال، بدأ تشيندروف إجراء الترتيبات اللازمة لزيارته الأخيرة لدير سانت كاترين بشبه جزيرة سيناء في عام ١٨٥٩ م^(١)، وحال وصوله إلى الدير قبل نهاية شهر يناير ١٨٥٩ م، كرس كل وقته للاطلاع على المخطوطات المحفوظة في الدير^(٢). وفي مساء ذلك يوم وجد ضالته المنشودة، عبارة عن الصفحات الست وثمانين من المخطوطة التي شاهدها عام ١٨٤٤ م^(٣)، وكان مجموع الصفحات التي بين يديه ٣٤٦ (ثلثائة وستة وأربعين صفحة) وجد أنها بالحجم نفسه ومكتوبة بالخط نفسه^(٤).

وقد كتب تعهداً على نفسه في ٢٨ سبتمبر ١٨٥٩ م، تم اكتشافه عام ١٩٦٠ م حيث كتب قائلاً: « أنا الموقع أدناه «فريدريك قسطنطين تشيندروف» المبعوث بأمر من قيصر روسيا «ألكسندر الثاني نيكولايفيتش رومانوف» (٢٩ أبريل ١٨١٨ - ١٣ مارس ١٨٨١ م)^(٥) إلى

(1) () Hans Ernst; op.cit. p p 17-18.

(2) Baumann, Hans-Wolf, Constantin von Tischendorf und der Codex Sinaiticus ,11 März 2015, G - meindenetzwerk - <http://www.gemeindenetzwerk.de>. <http://gw.geneanet.org/hoha?n=von+tischendorf&oc=0&p=lobegott+friedrich+constantin>

(3) Baumann, Hans-Wolf, Constantin von Tischendorf und der Codex Sinaiticus ,11 März 2015, G - meindenetzwerk - <http://www.gemeindenetzwerk.de>. <http://gw.geneanet.org/hoha?n=von+tischendorf&oc=0&p=lobegott+friedrich+constantin>

انظر ملحق رقم ٥.

(٤) لمزيد من التفصيل انظر: ملحق رقم ٥، ٦، ٧.

(٥) ألكسندر الثاني نيكولايفيتش رومانوف: وُلد ألكسندر الثاني في عام ١٨١٨، وكان ابن القيصر نيكولاي الأول بن القيصر بافل الأول وألكساندرا فيودوروفنا وحفيد القيصر بيتر الثالث بن الإمبراطورة آنا إيفانوفنا بنت القيصر إيفان الخامس والإمبراطورة كاثرين العظيمة وعمه القيصر ألكسندر الأول وجد القيصر نيكولاي الثاني، تولى قيصر وإمبراطور روسيا السادس عشر منذ (٢٢ مارس ١٨٥٥ حتى وفاته في ١٣ مارس ١٨٨١ م)، وكان أيضاً دوق فنلندا الكبير. من أبرز ما قام به هو تحرير العبيد في روسيا في العام ١٨٦١، لذا يطلق عليه لقب «القيصر المحرر»، وشهدت فترة حكمه الكثير من الإصلاحات بالنسبة لتاريخ روسيا، انظر:

[https://de.wikipedia.org/wiki/Alexander_II._\(Russland\)](https://de.wikipedia.org/wiki/Alexander_II._(Russland))

لمزيد من التفصيل انظر: ملحق رقم ٦، ٧.

الشرق، أشهد بأن الجمعية المقدسة في دير القديسة كاترين، قد سلمتني بناء على الرسالة التي تسلمتها من الأمير «لوبونوف» مخطوطة قديمة للعهدين القديم والجديد وذلك على شكل إعارة. وأشهد أن المخطوطة المؤلفة من ثلثمائة وست وأربعين صفحة وشذرات صغيرة هي من ممتلكات الدير المذكور. وسأقوم بنقل المخطوطة إلى سانت بطرسبورج لأجل مقارنتها مع النسخة المنقولة التي تمت طباعتها. لقد عهدت لى هذه المخطوطة بموجب الشروط المدونة في رسالة الأمير «لوبونوف» المؤرخة في العاشر من سبتمبر ١٨٥٩م وتحمل رقم ٥١٠، وإني أتعهد بإعادة المخطوطة إلى الجمعية المقدسة في جبل سيناء بهيئة جيدة عند طلبهم». وغادر تشيندروف القاهرة حاملاً معه المخطوطة السينائية التي تضم ٣٤٦ ورقة، ولم يشاهدها رهبان دير القديسة كاترين مرة ثانية، وعاد إلى أوروبا مكللاً بالنصر، وطبع نحو ١٢٣٢ نسخة من المخطوطة وقام بنشرها في أكتوبر ١٨٦٢م^(١).

وقد ترك لنا فريدريك تشيندروف وصيته حيث ذكر قائلاً: «لقد كان الهدف الذي وضعته نصب عيني هو التوصل إلى الحقيقة التي طالما انحنيت لها ولم أحاول أن أكون رأيًا على أصوات التصفيق والمديح الذي أحاطني لفترة طويلة من عمري، وكان والدي قد أخبرني مرة بضرورة الكفاح من أجل الوصول إلى الحقيقة التي اعتبرها أهم من المعرفة، ولخص إنجازاته حيث كتب قائلاً: «إن العناية الإلهية قد منحتنا الكتاب المقدس السينائي ليكون بمثابة الضوء الذي يقود الإنسان إلى ما ستكون عليه الكلمات الحقيقية للرب يسوع في هذا الزمن الذي تكثر فيه الهجمات على المسيحية. وسيساعد هذا الكتاب في الدفاع عن الحقيقة وذلك بتحقيقه النموذج الأصلي».

أما رحلة قسطنطين تشيندروف إلى وادي النطرون فكانت في أثناء رحلته الأولى لمصر عام ١٨٤٤م^(٢)، ويعد آخر شهودنا عن حالة الأديرة في خلال القرن التاسع عشر الميلادي، وقد

(١) جيمس بتلي: المرجع السابق، ص ٩٠-٩٢

(٢) سمعان السرياني، الراهب: المرجع السابق، ص ٩٣.

وصل إلى وادي النطرون عن طريق الطرانة عام ١٨٤٤ م. وقدم لنا تشيندروف وصفًا لنمط الحياة الرهبانية،^(١) بالإضافة إلى الأديرة المنتشرة في الأسقيط، والخرائب وأكوام الحجارة المتناثرة بأعداد كبيرة في سائر أنحاء البرية، كما أشار إلى تشييد العديد من القلاي والمنشوبات التي حلت محل بعض الخرائب، وتناول طعام الرهبان اليومي، والقداس الإلهي، والأيقونات وخاصة التي وجدها بدير السريان، ولم يخبرنا عن دير البراموس بشيء، سوى أن به نحو عشرين راهبًا، وأنه أظلم وأضيق قلالي برية شيهيت^(٢).

جولين Fr.Jullien

زار الأب جولين Fr.Jullien في عام ١٨٨١ م برية شيهيت، وهو أول من لاحظ النقوش بالجبس القديم بكنيسة دير السريان، وفي المساء صحبه القمص «ميخائيل السرياني» رئيس الدير إلى دير القديس الأنبا بيشوي^(٣).

ألفريد جاشوا بتلر Alfred Joshua Butler

تلقى ألفريد جاشوا بتلر (١٨٥٠-١٩٣٦ م) تعليمه الجامعي في جامعة أكسفورد، وواصل دراسته العليا ملتحقًا بالعمل كعضو هيئة تدريس بكلية براسنوز Brasenose College، وفي عام ١٨٧٧ م حصل على درجة الدكتوراه ١٩٠٢ م، وفي يناير من عام ١٨٨٠ م استدعاه الخديوي محمد توفيق والي مصر (١٨٧٩-١٨٩٢ م) ليتولى تعليم أبنائه فمكث في هذه الوظيفة حتى فبراير ١٨٨١ م، وخلال الشهور التي قضاها في مصر انكب على دراسة التاريخ والآثار القبطية والإسلامية، وشهد مقدمات الثورة العربية (١٨٨١ م). ثم عاد إلى مصر زائرًا وباحثًا عام ١٨٨٤ م، وعقب عودته لإنجلترا وضع كتاب «الكنائس القبطية القديمة في مصر» The Ancient Coptic Churches of Egypt (في جزأين) صدر عام ١٨٨٤ م، كما

(١) سوف نتحدث بإسهاب عند الحديث عن الحياة الرهبانية داخل أديرة وادي النطرون.

(٢) هيو ج. ج. إيفلين هويت: المرجع السابق، ص ١٧٩-١٨٠. انظر الشكل رقم ١٦، ٢٢.

(3) http://www.st-mary-alsourian.com/index.php?option=com_content&view=

ألف بتلر أيضًا كتاب «فتح العرب لمصر» The Arab Conquest of Egypt الذي نشر عام ١٩٠٢م^(١). وترك لنا خريطة تخطيطية لدير الأنبا مقار ببرية شيهيت^(٢).

وخلال زيارته الثانية لمصر في عام ١٨٨٤م، زار بتلر أديرة وادي النطرون في شتاء ١٨٨٤م، وكان بصحبته، يوسف سترزجوسكي أول من درس أعمال الجص على حوائط كنيسة العذراء السريان وكتب كتابًا عن ذلك كان جذب إليه الكثيرين من طلاب العالم لدراسة هذه الفنون القبطية، وكان نتيجة لذلك زادت زيارات الرحالة لدير السريان^(٣).

أجنيس سميث لويس وأختها مرجريت دانلوب ١٩٠٤م

زارت كل من السيدة أجنيس Agnes سميث لويس وأختها مرجريت دانلوب أديرة وادي النطرون عام ١٩٠٤م، إذ سافرا بالجمال من القاهرة إلى برية شيهيت، واكتشفتا بدير السريان بطريقة المصادفة في صندوقين قديمين مخطوطين قبطيين للعهد الجديد يرجع تاريخهما إلى عام ١٢٢٠م، و١٢٥٦م، كما علما أنه كان يوجد متوحد بمغارة بعيدة عن دير السريان سكنها لمدة ١٢ عامًا ثم عاد للدير بشيوخته، وكان يعيش على كسرة خبز وقليل من الماء يوميًا^(٤).

هيو ج - إيفيلين هوايت ١٩٢٠م

وهيو ج - إيفيلين هوايت Evelyn White هو مؤرخ ورحالة غربي بريطاني شارك في بعثة متحف المتروبوليتان إلى مصر في الفترة ما بين (١٩٠٩ - ١٩١٥م) ثم التحق بالجيش البريطاني، ثم ترك هذا المنصب بلا رجعة لظروفه الصحية، وبذلك كان تدبير الله أن يعود إلى مصر (١٩١٩ - ١٩٢٠م) وقام برحلة إلى وادي النطرون في ربيع عام ١٩٢٠م^(٥) وترك لنا

(1) <https://www.abjjad.com/author/books>.

(٢) هيو ج. إيفيلين هوايت: المرجع السابق، ص ١٧٩-١٨٠. انظر الشكل رقم ١٦، ٢٢.

(٣) لمزيد من التفصيل انظر: الشكل رقم ١٩.

(4) http://www.st-mary-alsourian.com/index.php?option=com_content&view=.

(5) http://www.st-mary-alsourian.com/index.php?option=com_content&view=.

صوراً قيمة لدير الأنبا مقار^(١)، وقضى بعض الوقت مع رهبان أديرته، وأعد دراسة قبل انتحاره عام ١٩٢٤ م^(٢). بعنوان «تاريخ الرهينة القبطية في الصحراء الغربية مع دراسة للمعالم الأثرية والمعمارية إلى بداية القرن التاسع عشر الميلادي» ونشر هذا المؤلف في ثلاثة مجلدات: الأول: يشتمل على الوثائق التي عثر عليها في مكتبة دير الأنبا مقار.

الثاني: يشتمل بحثاً تاريخياً لرهينة نتريا والقلالي وشيهيت.

الثالث: يشمل المعمار الخاص بوادي النطرون^(٣).

أوديون Odion ١٩١٦ م

يعتبر أوديون Odion من أهم الرحالة في أوائل القرن العشرين من الذين زاروا وادي النطرون، وقد حصلنا على مذكراته من مكتبة كلية سوليهل Selihel جامعة برمنجهام Prmingham عن معرض الصور الفوتوغرافية التي تحمل هذه المذكرات سنة ١٩٩٩ م، ويجري الآن ترجمتها وإعدادها للنشر.

زار أوديون وادي النطرون في مايو ١٩١٦ م، وأعطى وصفاً مسهباً في مذكراته عن الأحوال الطبيعية والجغرافية والاقتصادية والدينية، وكذلك عن القرى التابعة للوادي، وعلل أسباب تدهور دير البراموس بتبعيته لأبراشية الإسكندرية حيث جرد من ميزانيته فأهملت مبانيه وأيقوناته وقل عدد رهبانه حتى كاد يتعرض للخراب لولا العناية الإلهية^(٤).

دكتور فبراير ١٩٢٣ February

زار دكتور فبراير أديرة وادي النطرون في عام ١٩٢٣ م، وسجل لنا عدد رهبان دير السريان، وكان به في ذلك الوقت نحو ١٦ راهباً.

(١) لمزيد من التفصيل انظر: الشكل رقم ١٩.

(٢) جريدة الأهرام: عدد رقم ١٤٤٧٥، بتاريخ ١٦ سبتمبر ١٩٢٤ م.

(٣) هيو ج. ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص ١٥٢-١٧٦.

(4) Odion: Notes about wadi El Natrun factuality of soilhaull Birmingham university , England, 1999.

الأمير عمر طوسون ١٩٣١ م

هو الأمير محمد عمر طوسون ابن الأمير محمد طوسون باشا ابن والي مصر محمد سعيد باشا ابن محمد علي باشا رأس الدولة العلوية. والدته الأميرة بهشت حور، وجدته لأبيه الأميرة ملك بير، وُلد في مدينة الإسكندرية في ٨ سبتمبر ١٨٧٢ م، وعاش فيها إلى جانب القاهرة^(١). توفي والده وهو في سن الرابعة، فربته جدته لأبيه وأشرفت على تعليمه، وواصل دراسته في سويسرا، تعلم خلالها العديد من اللغات فبالإضافة إلى اللغة العربية والتركية، تعلم الفرنسية والإنجليزية وبعد تخرجه زار العديد من المدن الأوروبية. وفي سن السادسة والعشرين تزوج من الأميرة بهيجة حسن، حفيدة الخديوي إسماعيل، وأنجبت له سعيد وحسن وأمينة وعصمت^(٢).

والأمير عمر طوسون هو أحد أشهر أمراء أسرة محمد علي باشا الذي اشتهر بتفوقه وثقافته وحبه للقراءة والتأليف وأيضاً في العديد من المجالات منها رعايته للكثير من المحافل العلمية وأعماله الخيرية من بناء المستشفيات والمدارس، كما ساهم في بناء استاد الإسكندرية وتشيد نادى سبورتنج، وكان يرأس مجلس إدارته منذ أوائل القرن حتى وفاته في ٢ يناير ١٩٤٤ م^(٣)، وكان الأمير من الأعضاء المؤسسين بنادى روتاري الإسكندرية، والهلal الأحمر المصري، والكشافة، وجمعية الإسعاف في المحافظة، بالإضافة إلى كونه رئيساً دائماً لنادى الفروسية، ونادى سبورتنج، وكان رئيساً للجنة الأولمبية المصرية، والاتحاد المصري للأندية الرياضية بالإضافة إلى دعمه الجمعيات الخيرية نذكر منها على سبيل المثال جمعية فقراء الإسكندرية، في محرم بك، والجمرك، وجمعية معدومي المأوى، وجمعية الأقباط الكاثوليكية، وجمعية الإحسان النوبية، ومستشفى الطائفة الإسرائيلية وملجأ الأيتام اليوناني^(٤).

(1) <https://ar.wikipedia.org/wiki>.

(٢) جريدة المصري اليوم: مقال بعنوان «الأمير عمر طوسون.. ابن البلد»، بتاريخ ٢ فبراير ٢٠١٨ م.

(3) <https://ar.wikipedia.org/wiki>.

(٤) جريدة المصري اليوم: مقال بعنوان «الأمير عمر طوسون.. ابن البلد»، بتاريخ ٢ فبراير ٢٠١٨ م.

كما لا ينكر أحد اكتشافاته وكتاباتاته في الجغرافيا والتاريخ والآثار وغيرها وله العديد من الكتب والخرائط بالعربية والفرنسية، وكان أول من اقترح إرسال وفد من مصر إلى مؤتمر فرساي للمطالبة باستقلالها عام ١٩١٩م. وقبل وفاته كتب وصية عام ١٩٣٣م، أوصى فيها بالتبرع بمكتبته، التي حوت أكثر من ٨ آلاف كتاب في الدراسات التاريخية والأثرية للمتحف اليوناني الروماني بالإسكندرية، بالإضافة إلى ما اكتشفه من آثار، وترك لنا العديد من المؤلفات نذكر منها الجيش المصري البري والبحري في عهد محمد علي باشا عام ١٩٢٣م، الصنائع والمدارس الحربية والبعثات العلمية والجيش المصري البري والبحري ١٩٢٥م، الجيش المصري في الحرب الروسية المعروفة بحرب القرم (١٨٥٣-١٨٥٥م)، طبع عام ١٩٣٦م. مصر والسودان ١٩٢٧م^(١).

وقد زار الأمير عمر طوسون وادي النظرون في عام ١٩٣١م^(٢)، واكتشف العديد من الأديرة التي تعرضت للاندثار في بركة شيهيت مثل دير الأنبا زكريا، والأرمن والأنبا يحنس كاما، ويوحنا القصير والأجباش، وإلياس، ووضع العديد من العلامات الإرشادية التي تؤكد على قيمة هذه الاكتشافات^(٣)، ومعظم الأديرة التي اكتشفها الأمير باركتها العائلة المقدسة عند زيارته لمصر، وبلغ عددها نحو ٥٢ ديرًا. وسجل لنا كل ما اكتشفه في بركة شيهيت في كتابه «وادي النظرون ورهبانه وأديرته ومختصر تاريخ البطارقة ومذيل بتاريخ الأديرة الخربة» ويعد هذا الكتاب من أهم المصادر لدراسة تاريخ أديرة وادي النظرون^(٤).

أوتو فريدريش أغسطس ميناردوس

وُلد أوتو فريدريش أغسطس ميناردوس Otto Friedrich August Meinardus في ٢٩ سبتمبر ١٩٢٥م في مدينة هامبورج الألمانية، حيث تلقى تعليمه الثانوي. درس اللاهوت وعلم الاجتماع في كلية الآداب قسم الفلسفة بجامعة هامبورج، حيث تخرج في عام ١٩٤٧م،

(1) <https://ar.wikipedia.org/wiki>.

(٢) سمعان السرياني، الراهب: المرجع السابق، ص ٩٣-٩٤.

(٣) لمزيد من التفصيل انظر: الشكل رقم ١٥.

(٤) عمر طوسون: المرجع السابق، ص ٧٩.

ثم سافر لإنجلترا لاستكمال دراسته في الفترة من (١٩٤٧-١٩٤٩م). حيث درس بكلية ريتشموند Richmond College، وبعد ذلك ذهب للولايات المتحدة الأمريكية ودرس في العديد من الجامعات منها سانت لويس، وشيكاغو، وهارفارد، وبوسطن، وفي عام ١٩٥٥م حصل على درجة الدكتوراه في اللاهوت، وفي الفترة من (١٩٥٢-١٩٥٦م) كان راعي في الكنيسة التجمعية الثانية في بياودي Peabody، بولاية ماساتشوستس Massachusetts^(١).

وخلال الفترة من ١٩٥٦ - ١٩٦٨ م جاء إلى القاهرة، من أجل الدراسة، حيث درس الفن الشرقي للكنيسة القبطية والآثار المسيحية المبكرة، وفي عام ١٩٥٧م أصبح عضواً في جمعية علم الآثار Société d'Archéologie، وفي عام ١٩٥٩م تم تعيينه من قبل معهد الدراسات القبطية أستاذاً زائراً بالمعهد، وكان صديقاً لقداسة البابا «شنودة الثالث» البطريرك رقم (١١٧) (١٩٧١-٢٠١٢م). كما عمل قسيساً بين عام (١٩٥٧-١٩٦٨م) في كنيسة المعادي المجتمعية بالقاهرة. وفي عام ١٩٦٤م أصبح عضواً في المعهد الأثري الألماني في القاهرة، كما عمل أستاذاً في اللاهوت في الجامعة الأمريكية. وبين عام (١٩٦٨ - ١٩٧٥م) كان يعيش في العاصمة اليونانية أثينا، حيث عمل أيضاً قسيساً في كنيسة القديس أندرو الأمريكية، بالإضافة إلى التدريس في المدرسة الأمريكية للدراسات الكلاسيكية في أثينا. وبعد عودته إلى ألمانيا في عام ١٩٧٥م، كان قساً في الكنيسة البروتستانتية في راينلاند في كوبلنز وستولبرج. وفي وقت لاحق عاد إلى هامبورج، وظل يعطي ويخدم في الكنائس حتى رحل عن عالمنا الفاني في ١٨ سبتمبر ٢٠٠٥م^(٢).

زار أوتو فريدريش أغسطس ميناردوس وادي النظرون في عام ١٩٦٠م، وذكر في مجلده الثمين عن الأديرة المصرية، إن دير السريان العامر مشهور ومعروف جداً لدى العديد من الزائرين الأوروبيين، وفي النصف الثاني من القرن العشرين تضاعف أعداد الرحالة الأجانب من أمريكا وأستراليا وكندا وبريطانيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا وروسيا والسويد وسويسرا^(٣).

(1) https://de.wikipedia.org/wiki/Otto_Friedrich_August_Meinardus.

(2) Ibid.

(٣) سمعان السرياني، الراهب: المرجع السابق، ص ٩٤.

الفصل الثالث
التقسيم الإداري والحياة
الزراعية والصناعية في وادي
النطرون كما صورها الرحالة

الفصل الثالث

التقسيم الإداري والحياة الزراعية والصناعية

فيه وادي النطرون كما صورها الرحالة

شهد وادي النطرون - مثلما شهدت باقي أقاليم مصر - خلال فترة الدراسة تغيراً في التقسيم الإداري والبناء الاقتصادي، وقدم لنا الرحالة والمؤرخون القدامى الزائرين لوادي النطرون وصفاً للحياة الاقتصادية، فسجلوا مشاهداتهم سواء من الناحية الزراعية أو الصناعية أو التجارية، وهذا ما سوف نتعرض له في هذا الفصل.

التقسيم الإداري لوادي النطرون:

انقسمت أرض مصر منذ العصور القديمة إلى قسمين رئيسيين هما الشمال والجنوب، واستقرت حدودها تقليداً طبقاً للاعتبارات الجغرافية والتاريخية^(١)، فامتدت أرض البحيرة^(٢) والوادي غرب الدلتا إلى الصحراء الليبية مكونة إقليم البحيرة^(٣)، وكان وادي النطرون قسماً إدارياً من أقسام البلاد قائماً بذاته^(٤) واستمر كذلك حتى فتح العثمانيون مصر ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م، فقسموا البلاد إلى خمس ولايات^(٥) وأربعة وعشرين قسماً أخرى عرفت

(١) ليلي عبد اللطيف أحمد: الإدارة في مصر في العصر العثماني، مطبعة عين شمس، القاهرة ١٩٧٨، ص ٣٧٧.
(٢) البحيرة: هي من الأقسام الإدارية التي استجدت في عهد العرب باسم كورة البحيرة، وفي أيام الدولة الفاطمية أضيفت إليها كورة أخرى مجاورة لها فصارت إقليماً كبيراً يعرف باسم البحيرة، وفي سنة ٧١٥هـ/ ١٣١٥م أطلق عليها أعمال البحيرة وفي سنة ٩٣٣هـ/ ١٥٢٧م سميت ولاية البحيرة، وسنة ١٨٣٣م مديرية البحيرة، وقاعدتها مدينة دمنهور، لمزيد من التفصيل انظر: محمد رمزي: المرجع السابق، ج ٢، ص ٢٠.

(٣) محمد محمود زيتون: إقليم البحيرة صفحات مجيدة من الحضارة والثقافة والكفاح، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٢، ص ٢٩-٣٠؛ أمنية السيد محمد النجار، إقليم البحيرة في العصر العثماني (١٥١٧هـ/ ١٧٨٩م)، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، د.ت.

(٤) عمر طوسون: المرجع السابق، ص ٦.

(٥) الولايات هي: الغربية، والمنوفية، والشرقية، والبحيرة، انظر ليلي عبد اللطيف: المرجع السابق، ص ٣٨٠.

بالكاشفيات^(١) موزعة على أقاليم مصر، وتبعاً لذلك فصلت أراضي وادي النطرون من أقاليم البحيرة في سنة ٩٩٩هـ/ ١٥٩٠م وأنشئت به كاشفية جديدة مكانها الطرانة^(٢) وأطلق على حاكمها لقب كاشف^(٣) واستمر ذلك حتى سنة ١١٥٧هـ/ ١٧٤٤م عندما قسمت مصر إلى ثلاث عشرة ولاية^(٤) بالوجهين القبلي والبحري، فكانت البحيرة ضمن الوجه البحري، وأعيد إليها وادي النطرون والطرانة^(٥).

وبمجيء الحملة الفرنسية إلى مصر ١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م أعاد بونابرت تقسيم البلاد إلى ستة عشر إقليماً^(٦) وعين على كل إقليم حاكماً عسكرياً، واتسم الحكم بالمركية^(٨)، وطبقاً لهذا

(١) كاشفيات: مفرد كاشفية وهي وحدة إدارية أصغر من الولاية، وكان يتولى شئونها الكاشف ولم يكن هذا اللقب معروفاً في الدولة العثمانية، ولكنه كان مستعملاً في زمن المماليك، وهم وكلاء البكوات في حكم المديرية، والكشاف وإن كانوا أقل مرتبة من الضاحق، إلا أن سلطتهم واحدة، لمزيد من التفصيل انظر: عبد العزيز محمد الشناوي، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ج ١، مكتبة الأنجلو المصرية؛ القاهرة ١٩٨٠، ص ١٦١.

(٢) دفاتر الالتزام: دفتر رقم ١٥، لسنة ١٠٨٨هـ/ ١٦٧٧م؛ سجلات مقاطعات قرى ولاية البحيرة وأطفيح وفارسكور والطرانة، رقم ٥١٤، لسنة ١١٨١هـ/ ١٧٦٧م؛ محكمة رشيد، س ٨٠، مادة ٢٠، صفر ١٠٨١هـ/ أول يوليو ١٦٧٠م، ص ١٢٤.

(٣) محكمة جامع الحاكم: س ٥٧٣، مادة ١٢، ١٢٧٥ ربيع الأول ١١٢١هـ/ ٢٢ مايو ١٧٠٩م، ص ٤٩٠؛ مخطوط دير السريان، رقم ٣٧١، طقوس، سنة ١٤٥٢ ش/ ١٧٣٧م.

(٤) الولايات هي: الوجه البحري ويضم المنصورة، والشرقية، والبحيرة، والقليوبية، والغربية، والمنوفية، والجيزة، أما الوجه القبلي فيضم الفيوم، والبهنساوية، أشمونين، ومنفلوط، وجرجا، وأطفيح بالبر الشرقي، والوحدات من داخل جرجا، انظر ليلي عبد اللطيف، المرجع السابق، ص ٣٨٣، عبد الرحيم عبد الرحمن، الريف المصري في القرن الثامن عشر، ط ٢، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٨٦، ص ٢٧.

(٥) سجلات مقاطعات قرى ولاية البحيرة وأطفيح وفارسكور والطرانة، رقم ٥١٤ لسنة ١١٨١هـ/ ١٧٦٧م.

(٦) لمزيد من التفصيل عن حوادث الحملة الفرنسية، انظر: عبد الرحمن الراجحي، تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر، ج ١، ط ١، مطبعة النهضة، القاهرة ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٩م، ص ٦٣.

(٧) الأقاليم هي: البحيرة، ورشيد، والغربية، والمنوفية، ودمياط، والمنصورة، والشرقية، والقليوبية، والجيزة، والفيوم، وأطفيح، وبنى سويف، والمنيا، وأسيوط، وجرجا، وطيبة؛ لمزيد من التفصيل انظر: هيلن آن ريفلين: الاقتصاد والإدارة في مصر في مستهل القرن التاسع عشر، ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى ومصطفى الحسيني، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٨م، ص ١١٠.

(8) Show. S. J.: The Financial and Administrative Organization and Development of Ottoman Egypt (1517- 1798), Princeton New Jersey 1962, P 48;

نبيل السيد الطوخي: صعيد مصر في عهد الحملة الفرنسية (١٧٩٨ - ١٨٠١) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٧، ص ١٢٦.

التقسيم فصلت أراضي وادي النطرون وهو قسم يضم ست قرى وهي البريجات وكفر داود^(١) والطرانة والأخماس^(٢) وأبو نشابة^(٣) والخطاطبة، من ولاية البحيرة^(٤)، وأصبح ضمن قسم إمبابة^(٥) بإقليم الجيزة^(٦).

وعقب تولية محمد علي حكم مصر عام (١٢٢٠ - ١٢٦٥هـ / ١٨٠٥ - ١٨٤٨م) قام بمسح الأراضي الزراعية، فقسم البلاد المصرية إلى سبعة أقسام إدارية^(٧) سميت مديريات^(٨)

(١) كفر داود: أصله من توابع ناحية الطرانة، ثم فصل عنها في عهد الدولة العثمانية، بدليل وروده في دليل سنة ١٢٢٤هـ / ١٨٠٩م بولاية البحيرة، انظر: محمد رمزي: المرجع السابق، ق ٢، ج ٣، ص ٣٤١.
(٢) الأخماس: أصلها من توابع ناحية الطرانة، ثم فصلت في تاريخ ١٢٢٨هـ / ١٨٠٩، انظر: نفسه، ص ٣٤١.
(٣) أبو نشابة: هي من القرى القديمة اسمها أبو يحسن، وهي قرية عامرة، وفي القرن السابع الهجري عرفت باسم أبو نشابة - أي عصا طويلة في يده - فاشتهرت به، لمزيد من التفصيل انظر: نفسه، ص ٢٣١.
(٤) معية سنه تركي: محفظة ٣٠، دفتر ٢٧، ملخص الوثيقة التركية رقم ١٦، ٥٠ صفر ١٢٤٢هـ / ١٩ سبتمبر ١٨٢٦؛ حامد على دسوقي، النظام الإداري في عهد إسماعيل، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٩.

(٥) إمبابة: اسمها الأصلي (نبابة) وهي قاعدة مركز إمبابة من القرى القديمة لوقوعها على السكة الحديدية نقل إليها ديوان القسم من أوسيم في عام ١٣٠٢هـ / ١٨٨٤م، ثم في سنة ١٣١٤هـ / ١٨٩٦م، سمي مركز إمبابة التابع لمحافظة الجيزة، انظر: محمد رمزي، المرجع السابق، ق ٢، ج ٣، ص ٥٦.
(٦) الجيزة: بالكسرة، وهي في لغة العرب «الوادي» أي أفضل موضع فيه كلاً، سماها العرب الجيزة لأنها المكان الذي اجتازوا نهر النيل إليه، والجيزة في اللغة هي الناحية أو الجانب وجمعها «جيز» والجيز جانب الوادي، ويقال الجيزة، وهي تقع جنوب البحيرة، انظر: ياقوت الحموي، المرجع السابق، ج ١، ص ١٧٦، لمزيد من التفصيل عن الجيزة وأقسامها انظر: فايزة محمد محمد حسن ملوك: الجيزة من الحملة الفرنسية حتى الاحتلال البريطاني لمصر (١٧٩٨ / ١٨٨٢م) رسالة ماجستير، كلية الآداب، قسم التاريخ والآثار المصرية والإسلامية، فرع دمنهور، جامعة الإسكندرية، ٢٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، ص ١٠٣.

(٧) جهادية: محفظة ١٧، أمر عال ٢٣ ربيع الآخر سنة ١٢٢٣هـ / ٢ يونية ١٨٠٨م.
(٨) المديريات وهي: الوجه البحري: البحيرة، والمنوفية، والغربية، والقليوبية، والجيزة، والشرقية، الوجه القبلي مصر الوسطى وتضم بني سويف والفيوم والمنيا، ونصف أول الوجه القبلي ويضم أسيوط وجرجا، ونصف ثاني قبلي ويضم، قنا وإسنا ووادي حلفا، لمزيد من التفصيل انظر: إلياس الأيوبي، تاريخ مصر في عهد الخديوي إسماعيل، المجلد الأول، ط ٢، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٩٦، ص ٦١؛ جورج يانج، تاريخ مصر في عهد المماليك إلى نهاية حكم إسماعيل، تعريب أحمد شكري، ط ٢، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٩٦، ص ٨٠.

وجعل على كل قسم منها حاكماً يعرف بالمدير، وقسم كل مديرية إلى مراكز والمراكز إلى أقسام (أخطاط)، أما المراكز فقد سمي حكامها بالمأمورين، على حين أطلق على حكام الأقسام اسم النظار، وكان القسم يشمل عدة نواحٍ (قرى) لكل منها شيخ يختار من أبرز عائلات الناحية (القرية)^(١).

وعلى هذا الأساس فإن التقسيم الإداري للبحيرة ووادي النطرون مرّ في عهده بعدة مراحل نعرضها على النحو التالي:

اتخذ باشا مصر من التقسيم الجغرافي أساساً في تقسيم البلاد إلى وحدات إدارية، فلكي يكون ولاية البحيرة قام في سنة ١٢٢٣هـ / ١٨٠٨م بفصل وادي النطرون والطرانة وكفر داود والبريجات من ولاية الجيزة، ثم أضافها كلها هي والقلوبية مكوناً بذلك الولاية الأولى من ولايات الوجه البحري الأربعة^(٢) أما وادي النطرون فقد كان قسماً من التزام الطرانة قائماً بذاته^(٣).

وفي عام ١٢٤١هـ / ١٨٢٥م أمر محمد علي بإبطال اسم الـ«ولاية»^(٤) وإبدال اسم مأمورية به، وإبدال وظيفة الـ«مأمور» بوظيفتي الكشاف والحاكم، فقسم مصر إلى أربع وعشرين مأمورية منها أربع عشرة في الوجه البحري وعشر في الوجه القبلي^(٥) وفي هذا التقسيم كانت

(١) لمزيد من التفصيل حول إصلاحات محمد علي انظر: الهلال، عدد ٨١٤، رمضان ١٣١٠هـ / ١٨٩٣؛ أحمد عزت عبد الكريم، دراسات في تاريخ مصر الحديث، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٠، ص ٢٣٦؛ محمد فؤاد شكري وآخرون، بناء دولة مصر محمد علي، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٤٨، ص ٦٢٦.

(٢) سجلات إسقاطات القرى: س ١٢، بدون رقم، شوال ١٢٢٣هـ / نوفمبر ١٨٠٨م، ص ١٨.

(٣) دفاتر الالتزام: س ٢٩٨، سنة ١٢٣٦هـ / ١٨٢٠م؛ وثائق دير السريان، رقم ٧٠٧، أواخر جماد آخر ١٢٣٦هـ / ١٤ أبريل ١٨٢١م.

(٤) ولاية: كان استخدام العثمانيين كلمة ولاية للأقاليم الإدارية في مصر مرادفاً لكلمة لواء في الولايات الأخرى، أي إن استخدامهم كلمة ولاية بالنسبة للأقاليم الإدارية في مصر كان خارج نطاق المفهوم العثماني لكلمة ولاية، ومن هنا قد يحدث خلط بين لفظ ولاية أو مديرية أو مأمورية، لمزيد من التفصيل انظر: ليلى عبد اللطيف، المرجع السابق، ص ٣٧٩.

(٥) معية سنية تركي: دفتر ٦٩، وثيقة ٩٩، ٨ جمادى أول ١٢٤١هـ / ٢٠ ديسمبر ١٨٢٥م.

البحيرة مأمورية تقع ضمن الوجه البحري^(١) وربما قصد من هذا زيادة تحكمه في إدارة أقاليم مصر^(٢).

ومن الإصلاحات التي طرأت على مأمورية البحيرة ووادي النطرون في عام ١٢٤١هـ/ ١٨٢٦م، إنشاء قسم النجيلة، وجعل مقره بلدة النجيلة^(٣) وكانت دائرة اختصاصه في ذلك الوقت تشمل عدة بلاد من البحيرة^(٤) وأصبح وادي النطرون والطرانة^(٥) وقراها بحكم الموقع الجغرافي تابعة إداريًا لها^(٦).

وفي عام ١٢٤٩هـ/ ١٨٣٣م صدر أمر عال بتغيير اسم مأمورية إلى مديرية وبموجب هذا التغيير، قسمت مصر إلى أربع عشرة مديرية لكل منها عاصمة (قاعدة) منها سبعة في الوجه البحري، كانت البحيرة إحداها، وقاعدتها مدينة دمنهور^(٧) وعُيِّن لها مديراً^(٨).

(١) معية سنية تركي: س ٢٥، قيد الأوامر، أمر رقم ٤٣٥، ٣ محرم ١٢٤٦هـ/ ٢٥ يونية ١٨٣٠م، ص ٥٩.
(٢) كلوت بك: لمحة عامة إلى مصر، ترجمة محمد مسعود، ج ٢، ط ٢، دار الموقف المصري، القاهرة ١٩٨٢، ص ٢٧٨.

(٣) النجيلة: كانت من توابع ناحية محلة أحمد، ثم فصلت عنها في تاريخ سنة ١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م، وبذلك أصبحت قائمة بذاتها، ومنذ ١٢٤١هـ/ ١٨٢٦م، أصبحت قاعدة لقسم النجيلة، لمزيد من التفصيل عن توابع هذا القسم انظر: محمد رمزي، المرجع السابق، ج ٢، ص ٣٣٣.

(٤) معية سنية تركي: محفظة ٣٠، دفتر ٢٧، ملخص الوثيقة التركية رقم ١٦، ٥٠ صفر ١٢٤٢هـ/ ١٩ سبتمبر ١٨٢٦م.

(٥) في سنة ١٢٦٤هـ/ ١٨٤٧م، أصدر محمد علي أوامره بإجراء تعداد نفوس لمصر، فأشارت دفاتر التعداد إلى أن وادي النطرون وإديرته وقبائله من العربان، والطرانة، وعزبة الطرانة، وكفر داود، والأخماس، وأبو نشابة، والخطاطبة، هي تابعة لتعداد نفوس قسم النجيلة، لمزيد من التفصيل انظر: تعداد نفوس، س رقم ٧٢١٥٤/ ٩/ ٧٩/ ١٥٤؛ س رقم ١٦٧، ل ٩/ ٧٩/ ١٦٧، سنة ١٢٦٤هـ/ ١٨٤٧م.

(٦) محكمة النجيلة: س ٧٢٣، مادة ٢١، ١٩٤ ربيع أول ١٢٤٧هـ/ ٩ نوفمبر ١٨٥٨م، ص ٢٦؛ مديرية البحيرة، س ٨٨٠، وارد الدواوين من ناظر قسم النجيلة، وثيقة ٥٥٤، غرة رجب ١٢٧٠هـ/ ٣٠ مارس ١٨٥٣م.

(٧) أمين سامي: تقويم النيل، المجلد الثاني، ج ٢، الطبعة الأولى، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨؛ ص ٦٢٥؛ محمد رمزي، المرجع السابق، ج ٢، ص ٢٠.

(٨) من الجدير بالذكر تولّى منصب مدير مديرية البحيرة إبراهيم بك، برتبة أميرالاي، سنة ١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩م؛ لمزيد من التفصيل حول الألقاب وموظفي الحكومة المصرية، انظر: محافظ أبحاث، محفظة ١١٧، وثيقة ٣٦٨، بيان بأسماء موظفي مصر، منذ سنة ١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩م وحتى سنة ١٢٦٨هـ/ ١٨١٥م.

ومجمل القول أن محمد علي كان مضطراً في بعض الأحيان إلى إجراء تعديلات أو تغييرات مستمرة على التقسيم الإداري لمصر بصفة عامة ومنها البحيرة ووادي النطرون، من أجل إحكام سيطرته على أقاليم مصر، وفي محاولة للسيطرة على الفوضى والفساد اللذين تطرقا إلى الإدارة وإلى المسؤولين، ومن أجل تحسين أحوالها، والنهوض بها، وربما يرجع ذلك إلى إعجابه بالتقسيم الإداري لفرنسا^(١).

ومع تولي عباس باشا الحكم (١٢٦٥ - ١٢٧١ هـ / ١٨٤٨ / ١٨٥٤ م)، لم يحدث تغيير أو تعديل في التقسيم الإداري لمديرية البحيرة ووادي النطرون عما كان عليه الأمر في عهد محمد علي^(٢) ولكن خلفه عمه محمد سعيد باشا (١٢٧١ - ١٢٨٠ هـ / ١٨٥٤ - ١٩٦٣ م) وأجرى بعض التعديلات الخاصة بنواحي مديرية البحيرة والوادي، فعلى سبيل المثال فصلت عزبة الطرانة^(٣) ومنشأة سروري^(٤) عن ناحية الطرانة^(٥) ولمنع حالات انفصال العزب والكفور عن النواحي أصدر لائحة في ١٩ ربيع أول ١٢٧٨ هـ / ٢٤ سبتمبر ١٨٦١ م، لوضع القواعد المنظمة لإقامة الكفور بمديريات مصر ومنها البحيرة، بحيث لا تقل الأطنان الخاصة بالكفور عن مائة فدان، وذلك لمنع ازدياد أعدادها، وأن يكون أصحابها من المقتدرين، ومن يعتمد عليهم للشيخة، وأن يلتزموا بتنفيذ كافة الأمور الأميرية^(٦).

(١) نفسه: محفظة رقم ١٤٦، وثيقة رقم ٢٤، ٢٣ صفر ١٢٥٣ هـ / ٢٩ مايو ١٨٣٧؛ أحمد عزت عبد الكريم:

المرجع السابق، ص ٢٣٦؛ محمد فؤاد شكري وآخرون: المرجع السابق، ص ٦٢٤.

(2) Dicey, Edward: The Story of the Khedivate London, 1902. P. 49.

(٣) عزبة الطرانة: أصلها من توابع ناحية الطرانة، وتعرف بعزبة ميخائيل منقريوس، وهي الآن محالة على عهدة الطرانة، لمزيد من التفصيل انظر: محمد رمزي، المرجع السابق، ق ٢، ج، ص ٣٤٢.

(٤) منشأة سروري: أصلها من توابع ناحية الطرانة، وتعرف بعزبة داود القبليّة، وهي الآن محالة على عمدة كفر داود، لمزيد من التفصيل انظر: نفسه، ص ٣٤٤.

(٥) مديرية البحيرة: س ٨٨٠، وارد الدواوين من ناظر قسم النجيلة، وثيقة ٥٥٤، غرة رجب ١٢٧١ هـ / ١٩ أبريل ١٨٥٥ م.

(٦) حامد على دسوقي: المرجع السابق، ص ٤.

وعند اعتلائه العرش (١٢٨٠-١٢٩٧هـ / ١٨٦٣-١٨٧٩م) أعلن إسماعيل عزمه على إدخال الإصلاحات الإدارية على نسق النظم الأوروبية^(١). فقسم البلاد إلى ثلاثة أقسام كبرى^(٢).

وقسم هذه الأقسام إلى أربع عشرة مديرية^(٣) وتسع محافظات^(٤) ويرأس المديرية المديرون والمحافظات المحافظون^(٥) وحافظ على تقسيم المديرية إلى مراكز، والمراكز إلى أقسام، والأقسام إلى نواح واستحدث منصب العمدة في القرى بدلاً من مشايخ القرى الذين أصبحوا معاونين لهم^(٦).

أما التغييرات التي طرأت على البحيرة والوادي في عهده، فإنه جعل البحيرة مديرية بالوجه البحري، وفصل عنها الجيزة وألحقها بالوجه القبلي^(٧) وفي ١٢٨٨هـ / ١٨٧١م حول قسم النجيلة التابع له وادي النظرون إلى مركز تابع لمديرية البحيرة^(٨).

(١) جورج جندي بك، وجاهك تاجر: إسماعيل كما تصوره الوثائق الرسمية، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٤٧، ص ٢٢١؛ لمزيد من التفصيل عن إصلاحات إسماعيل الإدارية، انظر: عبد الرحمن الراجحي، عصر إسماعيل، ج ٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠١، ص ٢٥٥؛ إلياس الأيوبي، المرجع السابق، ص ٦٦.

(٢) الأقسام هي: البحري، والأوسط، والصعيد، لمزيد من التفصيل انظر: MC. Coon, J. C: Egypt as it is, London 1877. P. 111.

(٣) المديرية هي: البحيرة، والجيزة، والقليوبية، والمنوفية، والغربية، والدقهلية، وبنى سويف، والقيوم، والمنيا، وبنى مزار، وأسيوط، وجرجا، وقنا، وإسنا، والقصور، لمزيد من التفصيل انظر: عبد الرحمن الراجحي، عصر إسماعيل، المرجع السابق، المجلد الأول، ص ٢٥٥.

(٤) المحافظات وهي: القاهرة، والإسكندرية، ودمايط، ورشيد، والعريش، وبور سعيد، والسويس، والإسماعيلية، وسواكن، لمزيد من التفصيل انظر: إلياس الأيوبي، المرجع السابق، المجلد الأول، ص ٦٤.

(٥) معية سنوية عربي: دفتر ١٩٤٣، أوامر، أمر عال إلى المجلس الخصوصي، دون رقم، ١٦ ربيع الأول ١٢٩٠هـ / ١٤ مايو ١٨٧٣م.

(٦) فيليب جلاد: قاموس الإدارة والقضاء، المجلد الثالث، الإسكندرية ١٨٩١، ص ١٤٦.

(٧) فايزة محمد: المرجع السابق، ص ٥٣.

(٨) محكمة النجيلة: س ٧٣٠، مادة ٢٧، ٦٥ ربيع ١٢٩٤هـ / ١١ إبريل ١٨٧٧م؛ محمد رمزي، المرجع السابق، ج ٢، ص ٢١.

وفي أوائل عهد الخديوي توفيق (١٢٩٧ - ١٣١٠ هـ / ١٧٨٩ - ١٨٩٢ م) وحتى مجيء الاحتلال البريطاني لمصر استقر التقسيم الإداري للبحيرة كما كان أيام إسماعيل^(١) مع حدوث بعض التغييرات بنواحي وادي النطرون، فألغيت الوحدة المالية لكل من عزبة الطرانة ومنشأة سروري وأضيف زمامها إلى الطرانة، وأصبحتا تابعتين لها من الوجهتين العقارية والمالية، أما من حيث الجهة الإدارية فهما ناحيتان قائمتان بذاتهما ويتبعان مركز النجيلة^(٢).

وباعتلاء عباس حلمي الثاني الحكم (١٣١٠ - ١٣٣٣ هـ / ١٨٩٢ - ١٩١٤ م) قام بعدة إجراءات أمنية لربط المراكز والمديريات بالعاصمة (القاهرة) بواسطة السكك الحديدية^(٣) فلما رُئي أن بلدة النجيلة التابع لها وادي النطرون واقعة في الحد الشرقي من بلاد المركز، وبعيدة عن السكة الحديدية، أصدر تعليماته إلى نظارة الداخلية التي أصدرت بدورها قراراً إلى مديرية البحيرة بنقل ديوان مركز النجيلة إلى بلدة كوم حمادة^(٤) لوجود محطة للسكة الحديدية بها، ولتوسطها بين قرى بلاد المركز^(٥) مع استمرار تابعة وادي النطرون لها^(٦).

على أية حال، أظهرت التقسيمات الإدارية لأقاليم مصر ومنها البحيرة ووادي النطرون وجود ارتباط قوي بينها وبين إدارة هذه الأقاليم، فقد صاحب التعديلات الإدارية في تقسيماتها

(١) طلعت إسماعيل رمضان: الإدارة المصرية فترة السيطرة البريطانية، دار المعارف، القاهرة ١٩٩٧، ص ٢٤٣.

(٢) محمد رمزي: المرجع السابق، ق ٢، ج ٢، ص ٣٤٢-٣٤٣.

(٣) عباس حلمي الثاني: عهدي، مذكرات عباس حلمي الثاني خديوي مصر الأخير ١٨٩٢-١٩١٤، مكتبة دار الشروق، ط ١، القاهرة ١٩٩٣ م، ص ٩.

(٤) كوم حمادة: هي من القرى القديمة، اسمها منية أسامي، وقد غير اسمها في أوائل العصر العثماني باسمها الحالي، منذ ٩٣٣ هـ / ١٥٢٦ م، لمزيد من التفصيل انظر: محمد رمزي: المرجع السابق، ق ٢، ج ٢، ص ٣٣٩.

(٥) مضبطة محكمة كوم حمادة: س ٣١٦، مضبطة رقم ٢٢، ١٦٧ رمضان ١٣٢٠ هـ / ٢٤ ديسمبر ١٩٠٢، ص ٥٣؛ نفسه، س ٣١٧، مضبطة رقم ٢٧، ١٩٠ رمضان ١٣٢٠ هـ / ٢٨ ديسمبر ١٩٠٢، ص ٥٥؛ الوقائع المصرية، عدد ٩٥، سنة ١٩٠٢ م.

(٦) مجلس النظار: قرارات ومنشورات، مطبعة بولاق، ٢٧ يونية ١٩٠٣، ص ١٠٨.

مثل الأقسام والأخطاط ما بين الإبقاء والإعادة، والإضافة، أو نقل تبعية المدن من قسم لآخر، مثل نقل قسم النجيلة إلى كوم حمادة، أو إضافة زمام قرى قليلة إلى قرى أخرى، على نحو ما رأينا لعزيتي الطرانة ومنشأة سروري إلى قرية الطرانة، وصاحب ذلك ظهور قرى أو عزب حديثة مثل عزبة إبراهيم داود القبلية، كل ذلك يرجع إلى أسباب متعلقة بتنظيم إدارة إقليمها بما يحقق لحكامها - إلى حد ما - السلطة المركزية وأحياناً كان يتم إجراء بعض هذه التعديلات لعوامل جغرافية أو ديمغرافية تتعلق بأمور الزراعة والري والقضاء، والأمن، وغير ذلك.

الحياة الزراعية والصناعية في وادي النطرون كما صورها الرحالة

أولاً: الزراعة في وادي النطرون:

في الغالب يكاد الناس لا يعرفون من كل أرض مصر إلا واديها الذي يرويه نهر النيل، ومع ذلك، فهناك العديد من الاعتبارات الجغرافية، ما يدفع على الاعتقاد بأن مياه النيل كانت قد اقتحمت في أزمنة ضاربة في القدم، أعماق صحارى مصر الغربية، وانها تركت آثارا لمجراها. وإذا صح أن ملوك مصر القدامى قد أمكنهم - كما يدعي هيرودت - دفع النيل واحتواءه في حوضه الحالي، عن طريق قيامهم بأعمال هائلة، فلا بد أن يعد هذا العمل من جانبهم، واحد من تلك الأمور العظيمة التي يمكن لذاكرة البشر أن تحتفظ بها. حيث يشير بعض الجغرافيين لهذا المجرى القديم للنيل الذي يُعرف باسم «بحر بلا ماء» ومن المعروف أن هذا المجرى لا يبعد كثيراً عن بحيرات النطرون، ويؤكد أندريوسي قائلاً: «عند الرحيل من الطرانة وهي إحدى القرى التابعة لوادي النطرون إلى بحيرات النطرون في الغرب، تقل خصوبة التربة، فنلاحظ وجود العديد من الربوات الصحرواية، وبالتحديد بالقرب من الممر الجبلي الذي يسميه الناس رأس البقرة، ويرجع ذلك لعدم وصول مياه نهر النيل إلى هذه المنطقة كما كانت في الماضي، وقلة سقوط الأمطار، بالإضافة إلى الرمال الناعمة التي تنقلها الرياح من الصحراء الليبية إلى الوادي، فتركت أثرها على خصوبة أراضي وادي النطرون، حيث إن تحرك الرمال من الغرب للشرق سبب أشد القلق على مصير تلك المنطقة شديدة الخصوبة من أرض مصر»^(١).

(١) تأليف علماء الحملة الفرنسية: وصف مصر - العرب في ريف مصر وصحاريها، المرجع السابق، ص ٤٣ -

ودون أن نخرج كثيراً عن الإطار الذي حددناه لأنفسنا، نستطيع القول بأن الكثبان التي تقع فوقها قرية منية سلامة وعزبة اتريس ووردان، قد تكونت بفعل انتقال الرمال من الصحارى الليبية، عن طريق الرياح القادمة من الغرب، وتحت الكثبان توجد تربة رسوبية تكونت من طمي النيل أي تعدُّ قاعدة لهذه الكثبان، وترتفع منها أشجار جميز بالغة الجمال، لنخرج من قلب هذه الكثبان القاحلة. وتصل الرمال في هذه المنطقة، وفي مناطق أخرى إلى النيل، كما يصل رماد فيزوف إلى شاطئ البحر. وتردم الرمال الطريق الموازي للنهر، ويلجأ المسافر إلى اجتياز هذه الأرض المرتفعة والمتحركة^(١)؛ لذلك حذر سافاري من «تراجع مساحة الأراضي الزراعية في مصر بصفة عامة ووادي النطرون بصفة خاصة بسبب زحف الرمال عليها»، فكان أول من نبّه إلى هذه الحقيقة ووجه اللوم إلى العثمانيين والماليك «الذين أهملوا إقامة الجسور والقناطر مما أدى إلى إتلاف مساحات كبيرة من الأراضي»^(٢).

والحقيقة التاريخية التي سجلها لنا الرحالة أنطوان فرانسوا أندريوسي Andreossi أن هناك ثلاثة أسباب مجتمعة عملت منذ وقت طويل على حصر وتدهور خصوبة أرض مصر بصفة عامة ووادي النطرون بصفة خاصة، نذكر منها على سبيل المثال عدم اهتمام الحكومة بصيانة الجسور والقناطر وتطهير الترع والمصارف، وتقليل فاعلية مياه النيل وهو الأمر الذي أدى نتيجة للإدارة السيئة للحكومة إلى طغيان مياه البحر على الأجزاء الدنيا وغير المستوية من أرض مصر، وآخر ذلك الهبوب المستمر والدءوب للرياح التي تدفع رمال الصحارى من الغرب إلى الأراضي الصالحة للزراعة وإلى الترع ونهر النيل، ومن الممكن تعديل الظروف فيما يختص بالسببين الأولين، لكن ليس ثمة جهد بشري يمكنه أن يتصدى لزحف الرمال. والخلاصة أن هبوب الرياح على الرمال الموجودة في هذا الوادي هو بلا جدال أكثر الأمور مدعاة للأسف، وهذه الرمال تتحرك وتغير من مكانها، وسوف تصل بعد انتقالها من صخرة لأخرى إلى النهر، كما يُشاهد ذلك في الأماكن التي يضيق فيها وادي النيل، في حوض مصر. ومع ذلك، فليست

(١) نفسه: ص ٦٠.

(٢) إلهام محمد علي ذهني: مصر في كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين في القرن الثامن عشر، المرجع السابق، ص ١٥٨-١٥٩.

الرياح وحدها هي التي تنهض بكل العبء لكي تدفع بالرمال نحو النيل، فمياه النيل نفسها، بتحميلها على الشط الأيسر، وبنحرها لهذا الشط، تسعى بنفسها حثيثاً نحو الرمال^(١).

وهنا لا بد أن نؤكد على أن وادي النظرون جمع ما بين تربة وادي النيل التي تتميز بخصوبتها وتمثل ذلك في قرى الوادي التي تقع بالقرب من النيل^(٢)، وما بين البيئة الصحراوية التي أشار إليها الرحالة «كلود تورتشوت جرانجيه» عند زيارته لوادي النظرون لدراسة التاريخ الطبيعي عام ١٧٣٠م^(٣)، حيث وصف تربتها بأنها قاحلة، ويتعرّض سطحها لعمول التعرية، ويكاد أن يكون الغطاء النباتي فيها معدوماً، ومناخها قارى، أي درجات الحرارة فيها مرتفعة خلال ساعات النهار، وباردة أو شديدة البرودة ليلاً، حيث يكون التفاوت في درجات الحرارة بين النهار والليل كبير جداً. وترتبتها رملية جداً، ومنفذة للماء، بحيث إنَّها لا تستطيع الاحتفاظ بالماء لمدة طويلة. ومناخها جاف جداً، وتحدث فيها العواصف الرملية التي تثيرها الرياح القويّة. وتتكوّن فيها الكثبان الرملية، التي تكون على شكل تجمّعات كبيرة من الرمال الناعمة جداً، وتتجمّع نتيجة نقل كميات كبيرة من الرمال بواسطة الرياح الصحراوية والعواصف الرملية القويّة. وتحتوي هذه البيئة على ينابيع المياه الجوفيّة^(٤).

وهنا لا بد أن نسجل أن أوليفيه قسم أراضي مصر إلى ثلاثة أنواع:

النوع الأول: أرض لا تصلها مياه النيل حتى في زمن الفيضان فتبقى صحراء غير مزروعة مغطاة بالرمال لا تنتج أية محاصيل.

النوع الثاني: أرض تصلها مياه النيل في أثناء الفيضان فقط وفيها تُزرع أهم المحاصيل.

(١) نفسه: ص ٦١.

(٢) كفر داود: أصله من توابع ناحية الطرانة، ثم فصل عنها في عهد الدولة العثمانية، بدليل وروده في دليل سنة ١٢٢٤هـ / ١٨٠٩م بولاية البحيرة، انظر، محمد رمزي: المرجع السابق، ق ٢، ج، ص ٣٤١.

(٣) <http://www.worldcat.org/title/relation-du-voyage-fait-en-egypte-en-lannee-1730-ou-lon-voit-ce-quil-y-a-de-pl>.

(٤) هيو ج. إفلين هوايت: المرجع السابق، ص ١٦٨.

النوع الثالث: أرض تصلها مياه النيل بواسطة السواقي وهي الأراضي التي تزرع فيها المحاصيل المهمة مثل القطن وقصب السكر والأنديجو (النيلة) الأرز - الذرة^(١).

وتناول أوليفيه بالوصف مهارة المصريين في طريقة زراعة أراضيهم حيث ذكر قائلاً: «فهم يمهّدون الأرض قبل الفيضان ثم يبذرون فيها الحبوب بعد انحساره... ولا يهتم المزارعون في مصر بأن تأخذ الأرض فترات من الراحة بدون زراعة معتمدين على خصوبتها ويبدو فن ومهارة المصريين في طريقة زراعة أراضيهم حسب قوة أو ضعف الفيضان» فإذا كان ضعيفاً فإنهم «يحرصون على مضاعفة عدد القنوات لكي تدمهم بالمياه طوال العام»، أما إذا كان قوياً فإنهم يقيمون الجسور المحاذية للنيل حتى لا تتعرض حاصلاتهم للغرق. أما عن الأدوات المستخدمة في الزراعة فقد ذكر الرحالة أن المصريين استخدموا الأدوات القديمة المعروفة مثل الساقية والمحراث وأوضح سافاري أهمية استخدام السواقي في حمل المياه إلى المناطق البعيدة^(٢). وأكد أنه شاهد بنفسه بعض آثار سواقي قديمة في صحراء ليبيا، وهي التي تعد جزءاً من وادي النطرون؛ مما يؤكد وصول مياه النيل إلى هذه الجهات (البحر الفارغ)، والواقع أن ما ذكره الرحالة عن الأدوات المستخدمة في الزراعة ذكرها أيضاً علماء الحملة الفرنسية (١٧٩٨ - ١٨٠١ م) فكانت لهم نفس الملاحظات عن السواقي وغيرها من الأدوات البدائية^(٣).

وقد اعتمد المصريون بصفة عامة وفي وادي النطرون - بصفة خاصة - على الحيوانات في الزراعة بعملية حرث الأرض وحققوا من هذه الحيوانات فوائد مزدوجة فلم يقتصر استخدامها على الزراعة خاصة روث هذه الحيوانات لتسميد الأرض الزراعية خاصة روث الحمير والمواشي والجمال. وقد أشار جرانجيه إلى استخدام (زبل الحمام) في تسميد أشجار

(١) إلهام محمد علي ذهني: مصر في كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين في القرن الثامن عشر، المرجع السابق، ص ١٥٨-١٦١.

(٢) وهذا الكلام أكدته الوثائق والمحاكم الشرعية أيضاً، لمزيد انظر محكمة إسكندرية الشرعية: سجل ٢٩، وثيقة رقم ١٤٦، بتاريخ ١٩ ربيع الآخر ١٠٠٠هـ / ٨ فبراير ١٥٩٢ م، ص ٥٨.

(٣) إلهام محمد علي ذهني: مصر في كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين في القرن الثامن عشر، المرجع السابق، ص ١٥٨-١٦١.

الفاكهة حيث ذكر قائلاً: «بدونه لا يمكن أن يكون للفاكهة طعم جميل»، . وفند سافاري العوامل التي ساهمت في تدهور الزراعة والتي كان يأتي على رأسها الضرائب الباهظة التي يفرضها الحكام على الفلاحين الفقراء، الذين لا يجدون مفرًا سوى بيع أدواتهم الزراعية لسداد ضرائبهم، وهذا الاستبداد من جانب البكوات حسب ما ذكر سافاري قائلاً: «يجعل الفلاحين عاجزين عن زراعة أجمل مزارع العالم وأغناها، أضف إلى ذلك المنازعات والحروب الأهلية بين الممالك وامتدادها إلى الريف المصري. مما يعرض الحاصلات للدمار، كما أكد سافاري أنه شاهد بنفسه» قرى بأكملها أحرقت جميع حاصلاتها بسبب الحروب الأهلية والمنازعات». وأيضاً أدرك أوليفية أهمية ثروة مصر فكتب لحكومته يحثها على ضرورة الاستيلاء على مصر لثروتها الزراعية^(١).

وأكد فولني أنه رغم خصوبة أراضي مصر، وتوفر المياه اللازمة للري إلا أن تجربة زراعة الحاصلات الزراعية الأوروبية فيها قد منيت بالفشل وذكر قائلاً: «فقد أحضر بعض التجار الفرنسيين بذور بعض النباتات من مالطة^(٢) وحاولوا زراعتها في مصر، ولكنها لم تحقق أية نتائج، وعلل فولني ذلك لأن نمو النبات في أرض مصر عنيف إلى حد أن تفوته تغذية الألياف الأسفنجية».

كما حرص معظم الرحالة الزائرين لمصر ولوادي النطرون على الحديث عن قيمة الثروة الزراعية، معللين أسباب هذا الثراء فأكد سافاري «أن الزراعة في مصر من أقدم المهن وبفضلها كونت مصر إمبراطورية عظيمة منذ القدم ساعد على ذلك توفر المياه والبحيرات التي تعتبر كخزانات للمياه»، أما أوليفية فقد رأى أن مناخ مصر المعتدل هو السبب الرئيسي الذي ساعد على ازدهار الزراعة فقد «أتاح مناخ مصر الدافئ في الشتاء واعتدال الحرارة في الصيف الفرصة

(١) نفسه.

(٢) مالطة: جمهورية مالطة (Malta) هي دولة أوروبية تقع في البحر الأبيض المتوسط، وهي واحدة من أصغر دول العالم، وأكثرها من حيث الكثافة السكانية. عاصمة البلاد هي فاليتا، وهي أصغر عواصم دول الاتحاد الأوروبي؛ حيث تبلغ مساحتها ٨,٠ كم^٢.

<https://ar.wikipedia.org/wiki/>

لنمو الحاصلات الزراعية، بينما عزا ميله ازدهار الزراعة في مصر إلى خصوبة أرضها بسبب ما يحمله لها فيضان النيل من طمي يغذي تربتها فتنتج أجود أنواع الحاصلات»^(١)، كما أرجع فولني أن خصوبة تربة وادي النطرون بقراه ومناخه الدافئ في الشتاء والمعتدل الحرارة في الصيف هيأ له أن يكون أيضًا خصب يفيض بالإنتاج الزراعي، وأرجع زيادة الإنتاج الزراعي في مصر بصفة عامة إلى كل من الحرارة والرطوبة معًا حيث ذكر قائلًا: «إن سبب نمو الزرع سريعًا في مصر إنما يرجع إلى الحرارة والرطوبة معًا خاصة في المناطق الواقعة بين القاهرة ورشيد»، أي بما فيها منطقة وادي النطرون^(٢).

وسجل لنا الرحالة أنطوان فرانسوا أندريوسي Andreossi ثمار وادي النطرون التي كان منها البوص والسمار الذي ينمو بوفرة شديدة على شطآن بحيرات النطرون، ونرى بالقرب من ذات البحيرات غاب البوص ذا السيقان العالية، والطقطق^(٣) الخالي من الأوراق، والأثل الفرنسية والأرطاسية^(٤) والسمار والبوط ذات الأوراق العريضة^(٥)، وهو واحد من أغزر النباتات التي تنمو حول شواطئ بحيرات النطرون. وهناك أيضًا نرى الشنجبار ذات الأوراق الضيقة^(٦) والجمان أو الطرطير ذات الورود البيضاء، والجنبه أو الحولاى ذات الأوراق الرمادية. وتوجد أيضًا السويداء، وهو نوع من الصودا ويطلق عليه هذا الاسم في حين يسميه العربان باسم الصهد.

(١) إلهام محمد علي ذهني: مصر في كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين في القرن الثامن عشر، المرجع السابق، ص ١٥٧-١٥٨.

(٢) قسطنطين فرانسوا فولني: ثلاثة أعوام في مصر وبر الشام، ترجمة إدوارد البستاني، ج ١، ط ٢، بيروت ١٩٤٩، ص ٥٥-٥٦.

(٣) الطقطق: زهور من فصيلة الرصاصيات.

(٤) الأرطاسية: نبات عطري.

(٥) السمار والبوط: من النباتات الأوروبية التي تنمو بكثرة في فرنسا، في البرك والمستنقعات.

(٦) الشنجبار: هو من نباتات الزينة.

ويُشاهد هناك كذلك بعض أشجار النخيل قليلة الارتفاع، وهي تكون في شكل غابات كثيفة، لكنها لا تنتج ثماراً على الإطلاق. وقد وجدنا خلف البحيرة الأخيرة بقليل عشرين نخلة منزوعة من الأرض، ومجمعة في شكل كومة، بحيث يمكن القول إنها قد انتزعت وحطمت بفعل حركة عنيفة^(١). وكان ينمو في وادي النطرون - كما وصف الرحالة في ذلك الزمان التين والجميز والنبق^(٢)، وتعرض سونيني الذي زار الوادي خلال (١٧٧٧-١٧٨٠م) لوصف إخصاب الفلاحين للنخيل لزيادة إنتاجها^(٣).

على أية حال، تعجب كثير من هؤلاء الرحالة الزائرين لمصر ولوادي النطرون من ازدهار الزراعة في مصر في ظل الظروف السياسية السيئة فكتب أوليفيه قائلاً: «رغم ما تعانيه مصر من طغيان المماليك وانتشار المجاعات والطاعون وهجمات البدو وفرض الغرامات على الفلاحين إلا أن مصر رغم كل هذه المشكلات تتمتع بثروة ورخاء زراعي كبيرين». وأكد إيميه كفاية هذا الإنتاج لاحتياجات السكان في ذلك الوقت وذكر الرحالة أهم المحاصيل فيما ذكروا - القمح والشعير والذرة والبرسيم والفول والتمرس والكتان والبصل والخس والقلقاس والخيار والباذنجان وغيرها^(٤).

-
- (١) تأليف علماء الحملة الفرنسية: وصف مصر - العرب في ريف مصر وصحاريها، المرجع السابق، ص ٥٣.
- (٢) النبق: توجد أشهر شجرة نبق في العالم بدير القديس يحنس القصير المندثر، وتعرف بشجرة الطاعة، ويرجع أصلها إلى خشبة يابسة للقديس يحنس القصير، ويرجع تاريخ غرسها ما بين ٣٥٧ - ٣٧٤، لمزيد من التفصيل انظر: مرتيوس السريانين، المرجع السابق، ص ٩٣.
- (٣) إلهام محمد علي ذهني: مصر في كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين في القرن التاسع عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٥م، ص ١٩٣-١٩٦.
- (٤) تأليف علماء الحملة الفرنسية: وصف مصر - دراسة عن المدن والأقاليم المصرية، ج ٣، ترجمة زهير الشايب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٢م، ص ٧٢.

والحقيقة التاريخية التي أكدتها الوثائق والرحالة معاً أن الزراعة ظلت حتى أواخر القرن الثامن عشر تقليدية، وجباية ضرائب الأتبان تتم بطريقة الالتزام^(١) وتنفيذ قانون الفلاحة بيد الملتزمين، وقد أحدث محمد علي باشا (١٨٠٥-١٨٤٨ م) انقلاباً في هذا النظام، فألغى الالتزام وطبق نظام الاحتكار^(٢) وأعاد توزيع الأراضي على الفلاحين لزراعتها بنظام الانتفاع وأدخل حاصلات زراعية جديدة، وطبق الأساليب الحديثة في الزراعة وراقب الفلاح في تنفيذها ونشر التعليم الزراعي^(٣) ونظم أسلوب الري، حتى يمكن زراعة وإنتاج المحاصيل النقدية كالقطن والقصب، ومن ثم إمكانية إقامة صناعات تحويلية على تلك المنتجات الزراعية مثل

(١) نظام الالتزام: هو نظام أساسه تعهد شخص ما - أو عدة أشخاص - بدفع الضريبة المقررة على مقاطعة ما - قرية - أو عدة مقاطعات - قرى - وأحياناً جزء من مقاطعة حيث وصل عدد الملتزمين في بعض المقاطعات إلى أكثر من خمسين ملتزماً، ويحصل بعد ذلك على تقسيط التزام بعد أن يرسو عليه أو عليهم المزداد من خلال أعلى سعر يقدمه - أو يقدمونه - ويدفع حلواناً، ومن ثم يصبح مسئولاً عن جباية المال الميري المقرر على في حصة التزامه. وفي مقابل القيام بهذا العمل يحصل على الفائض - وهو الفرق بين ما يجمعه من الفلاحين وما يدفعه للروزنامة - كما يحصل على مساحة من الأرض معفاة من الضريبة تسمى الأوسية التي تختلف مساحتها من قرية إلى أخرى. وتناولت دراسات عديدة مسألة ظهور نظام الالتزام، فاعتبر البعض عام ١٠٦٩ هـ / ١٦٥٨ م بداية الالتزام، معتمداً في ذلك على وجود أول دفتر التزام يحمل نفس التاريخ، وذهب فريق آخر إلى بداية ظهور الالتزام في أوائل القرن السابع عشر، وقال آخرون بظهور الالتزام في القرن السادس عشر، وتحديد قرن كامل كبداية للالتزام يبدو فضفاظاً إلى حد ما. وذكر عبد الكريم رافق أن الالتزام نظم في دفتر سمي بدفتر الترابيع صدر في عام ٩٣٣ هـ / ١٥٢٦-١٥٢٧ م وذلك بعد صدور قانون نامة. في حين ذكرت أحداث دراسة وثائقية أن التاريخ الفعلي لتطبيق نظام الالتزام لا يزال موضع شك وبحاجة لمزيد من البحث والتنقيب التاريخي مستندة في ذلك إلى وجود إشارات في محكمة القسم العسكرية عن وجود التزام في القرن السادس عشر لمزيد من التفصيل انظر: جمال كمال محمود، الأرض والفلاح في صعيد مصر في العصر العثماني، تاريخ المصريين رقم ٢٨٥، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠١٠ م، ص ١٩-٢٠.

(٢) أحمد محمد حسن الدماصي: الاقتصاد المصري في القرن التاسع عشر، الجزء الأول (١٨٠٠-١٨٤٠ م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٤ م، ص ٩١. لمزيد من التفصيل انظر ملحق رقم ١١.

(٣) أحمد أحمد الحنة: تاريخ مصر الاقتصادي في القرن التاسع عشر، الطبعة الثانية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٧ م، ص ١٠٧.

حلج القطن وغزله وصناعة المنسوجات، واقتضى ذلك تحديث شبكة النقل والمواصلات لربط مناطق الإنتاج الزراعي بمعامل الإنتاج وخطوط التصدير الرئيسية بالبلاد^(١)؛ ولذلك لمس الفلاح في وادي النطرون مراحل التطور الزراعي الذي تم مع أوائل القرن التاسع عشر^(٢).

كما شهد عهد سعيد وإسماعيل تحسناً في وسائل الري وإنشاء العديد من الترع ومحطات الطلمبات لرفع المياه، فأدى ذلك إلى زيادة الرقعة الزراعية وزيادة الإنتاج الزراعي خاصة القطن والتي ارتفعت قيمة صادراته خلال الحرب الأهلية الأمريكية (١٨٦١-١٨٦٥م) والتي أدت إلى انقطاع صادرات القطن الأمريكي إلى الأسواق العالمية، مما ترتب عليه زيادة الطلب على القطن المصري، لذا أدخلت سلالات جديدة ذات خواص جيدة، فضلاً عن تحسن باقي الحاصلات الزراعية لمواجهة الاستهلاك المحلي^(٣).

كما أدركت سلطات الاحتلال البريطاني مدى أهمية التوسع في الزراعة وخاصة التخصص في إنتاج القطن، لتحقيق أكبر قدر ممكن من الموارد الاقتصادية للبلاد، ومن ثم إمكانية تحقيق التوازن المالي في الميزانية وتمكين مصر من سداد ديونها، هذا بالإضافة إلى ضمان الحصول على المواد الخام، ممثلة في القطن وبذرتة -وبأرخص الأسعار- اللازمة لمصانع الغزل والنسيج البريطانية إلى جانب فتح أسواق جديدة لتسويق السلع والمنسوجات القطنية المصنعة في بريطانيا بين الدول الأوروبية^(٤).

كما أدى انتظام الري إلى انقسام المواسم الزراعية إلى ثلاثة مواسم، لكل منها مدتها وهي في الغالب أربعة شهور وهي:

(١) إسماعيل زين الدين: الزراعة المصرية في عهد الاحتلال البريطاني (١٨٨٢-١٩١٤م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٥م، ص ١٠٩.

(٢) إلهام محمد علي ذهني: مصر في كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين في القرن الثامن عشر، المرجع السابق، ص ١٥٨-١٥٩.

(٣) رؤوف عباس حامد: النظام الاجتماعي في مصر في ظل الملكيات الزراعية الكبيرة ١٨٣٧-١٩١٤م، دار الفكر الحديث، القاهرة، ص ٥٤.

(4) Milner, A.: England in Egypt, London 1926, P.P. 280- 283.; Radwan, Samir: Capital Formation in Egyptian Industry and Agriculture 1882- 1967 London, 1974. P.125.

أ- الموسم الشتوي: ويبدأ من ديسمبر حتى مارس، وأهم حاصلاته القمح، والشعير، والفول والعدس، والحمص، والقرطم، والتمرس، والكتان، والبصل، والخس، والبرسيم^(١).

ب- الموسم الصيفي: ويبدأ من أبريل حتى أواخر يوليو، وأهم حاصلاته القطن والأرز وقصب السكر^(٢).

ج- الموسم النيلي: ويبدأ من أغسطس حتى نوفمبر وأهم حاصلاته الذرة بنوعيه (الشامية- الرفعية) والبطيخ^(٣).

أما فيما يتعلق بالزراعة في وادي النطرون فكانت أهم حاصلاته هي:

القمح: كان القمح المحصول الرئيسي بقرى الوادي القريبة من النيل، لتوفر البيئة المثالية لزراعته لما تتمتع به من ظروف طبيعية من ناحية المناخ واعتدال الجو والتربة الصالحة والمياه، وكان يُزرع في أواخر شهر أكتوبر، ويحتاج إلى الري مرتين حتى يتم حصاده في أوائل شهر مايو، وبلغ متوسط إنتاج الفدان منه بين خمسة أراذب إلى سبعة، ويكفي الاستهلاك المحلي ويصدر الفائض غالباً لمدينة الإسكندرية^(٤)، فضلاً عن الاستفادة من سيقانه كدريس (التبن لعلف الماشية)^(٥).

الشعير: وزرع الشعير بالوادي بمساحات واسعة، حيث كانت مواعيد زراعته أواخر شهر أكتوبر وحصاده في منتصف شهر أبريل، وتراوح إنتاج الفدان ما بين ثلاثة إلى خمسة

(١) إسماعيل زين الدين: الزراعة المصرية، المرجع السابق، ص ٩٢.

(٢) هيلين آن ريفلين: المرجع السابق، ص ٢٠٢-٢٠٥.

(٣) أحمد الختة: المرجع السابق، ص ١٢٥.

(٤) معية سنية تركي: محفظة ٧، دفتر ٨، من الجنب العالي إلى حسين الكاشف، كاشف البحيرة، ترجمة الوثيقة رقم ١٩، ٢ ذو الحجة ١٢٣٦هـ / ٣١ أغسطس ١٨٢١.

(٥) نفسه: محفظة ٩٣، دفتر ٨٣، من الجنب العالي إلى الوكيل محمود أفندي، ترجمة الوثيقة رقم ١٣ ٢٠ ربيع الأول ١٢٥٢هـ / ٢٤ يوليو ١٨٣٧.

أرادب^(١)، وكان يستخدم غذاء للخيول وأحياناً للأهالي، واستُخدم مشروباً لفلاح بعض الأمراض، ويكفي الاستهلاك المحلي، ويصدر الفائض منه إلى بعض الدول الأوروبية^(٢).

الذرة الشامية: وكانت تنتج بقرى الوادي، وتعتبر الغذاء الرئيسي لمعظم الفلاحين وتزرع في الأماكن التي يسهل ريها، وتقوم عليها صناعة الخبز الذي غالباً ما كان البسطاء يأكلونه بملح النطرون^(٣) وتستخدم سيقانها كغذاء للحيوانات أو عمل سقوف الأكواخ^(٤).

الكتان: ويذرع في أول الشتاء ويقتلع في نهاية شهر مسرى وهو ذو فائدة مزدوجة، فإلى جانب استعمال أليافه في المنسوجات الكتانية^(٥) يستخرج من بذوره الزيت الحار، وبالرغم من قلة مساحات زراعته فإنه يكفي حاجات السكان ويصدر الفائض للخارج^(٦).

الدخان: وقد ساعدت الظروف المناخية بالوادي على انتشار زراعته، وهو من النوع الرديء ولا يستعمل إلا في الاستهلاك الداخلي للفقراء^(٧) أما الأغنياء فقد كان معظم استهلاكهم من الدخان الوارد من بلاد الشام وكان يكفي حاجات السكان ويصدر الفائض منه إلى الإسكندرية^(٨).

(١) معية سنية تركي: محفظة ٣٤، دفتر ٢٨، من الجناح العالي إلى مأمور نصف البحيرة، وثيقة ٩، ٤ جمادي الثانية ١٢٤٢هـ / ٣ يناير ١٨٢٧م.

(٢) محكمة النجيلة: س ٧٢٣، مادة ٢٥٣، ١٥ جماد آخر ١٢٧٤هـ / ٢٦ يناير ١٨٥٨، ص ٣٥.

(٣) زينب الغنام: الجاليات الأجنبية في العصر العثماني، رسالة دكتوراه، غير منشورة، جامعة الأزهر ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م، ص ١٢٨؛ تأليف علماء الحملة الفرنسية، ج ٣٤، المرجع السابق، ص ١٨٨.

(٤) محافظ الأبحاث: محفظة ١١٩، من سعيد أغا إلى محمد عارف، وثيقة رقم ٢٥٣، ٨ ربيع الثاني ١٢٣٨هـ / ٢٣ ديسمبر ١٨٢٨م.

(٥) محكمة رشيد: س ٢٠٧، مادة ٤٣٨، ٧ شوال ١٢٢٨هـ / ١٣ أكتوبر ١٨١٣؛ مديرية البحيرة، سجل ١، صادر إلى سايرة، وثيقة ٤٨٨، ٢٠ جمادى الأولى ١٢٦١هـ / ٢٧ مايو ١٨٤٥م، ص ٦٦٣.

(٦) ديوان شورى المعاونة: محفظة ٩، وثيقة ٥٣، ١٢ ربيع الأول ١٢٥٣هـ / ١٦ يونيو ١٨٣٧م.

(٧) أحمد الحنة: المرجع السابق، ص ١١٦.

(٨) مضبطة البحيرة: س ١٨، مادة ٢٩٩، ١٥ ذو الحجة ١٢٨٤هـ / ٩ إبريل ١٨٦٨، ص ١٢٨.

القطن: وهو من المحاصيل الصيفية، ويحتاج إلى تربة طينية خصبة ومياه وفيرة وتعددت أنواعه فمنها القطن قصير التيلة والبلدي ومحو وناكين وسي أيلند^(١) وزرعت مساحات كبيرة منه بقرى الوادي، وكان إنتاجه يكفي الاستهلاك المحلي، ويصدر الفائض إلى الخارج وارتفعت أسعاره فترة الحرب الأهلية الأمريكية^(٢) وهو أساس صناعة المنسوجات القطنية، ومن بذرته يستخرج زيت القطن، أما سيقانه (الخطب) فتستخدم وقودًا لمعظم الفلاحين^(٣).

الأرز: وكان يزرع عند بداية شهر إبريل ويحتاج إلى تربة قوية المسام حتى لا تسمح بتسرب المياه حيث يزرع بالغمر، وكانت مساحات قليلة منه تزرع بقرى الوادي، ويتراوح إنتاج الفدان ما بين سبعة أراذب إلى ثمانية ويعتبر الغذاء الصحي الرئيسي لمعظم السكان^(٤).

البقول: وتتمثل في: الفول، والعدس، وهما من المحاصيل الشتوية ويزرع العدس في الأراضي التي غمرتها المياه، ويزرع الفول حيث التربة الطينية والمياه الوفيرة، ويعتبر الوجبة الأساسية لمعظم سكان الوادي، كما يتخذونها غذاء للماشية والدواب كالبقر والجمال والحمير^(٥).

الحمص: واشتهرت بزراعته قرى الوادي ويكفي الإنتاج حاجات السكان ويُصدر الفائض إلى محافظتي الغربية والشرقية^(٦).

(١) أحمد أحمد الحتة: المرجع السابق، ص ١١٢-١١٣.

(2) Radwan, Samir: Op.cit, PP. 125-126.

(٣) مديرية البحيرة: س ٢٥٨، صادر فروع إلى جهات سايرة، وثيقة ٣١٠٨، ٢١ رمضان ١٢٦٦هـ/ ٣١ يوليو ١٨٥٠م، ص ١٤١٢.

(٤) محافظة رشيد: س ١٧٤، ١٤/٣/٦، وثيقة ١٩٣، ٢٠ ربيع أول ١٢٦٥هـ/ ٢١ يناير ١٨٤٩م، ص ٢٧؛ إدارة المحليات: محطة ٦، تفتيش أقاليم بحري، وثيقة رقم ١٩٢، ٣ ذي الحجة ١٢٨٢هـ/ ١٩ إبريل ١٨٦٥.

(٥) أحمد الحتة: المرجع السابق، ص ١٢٣.

(٦) ديوان خديوي محطة ١٢٨، ملخصات دفاتر، دفتر ٧٦٤، الديوان الخديوي إلى مأمور نصف البحيرة، وثيقة رقم ٣٨٣، ٢ صفر ١٢٤٦هـ/ ٢٣ يوليو ١٨٣٠م.

البرسيم: وكان ولا يزال من أعظم الغلات الزراعية أهمية، واتسعت زراعته بقرى الوادي لغذاء الماشية، كما كانت حصة منه تقدم لإطعام مواشي وخيول الميري، وتعددت أنواعه، ومن أشهرها الحجازي^(١).

البصل: ويزرع بمساحات واسعة، ويحصد في أواخر شهر مايو ويكفي حاجات الاستهلاك المحلي ويصدر الفائض إلى الأقاليم المجاورة^(٢).

النيلة: وانتشرت زراعتها ببعض قرى الوادي بمساحات محدودة، وكانت تحتاج لنفقات كثيرة، وازداد الطلب عليها لاستخدامها في صناعة الصباغة الزرقاء التي تؤخذ من أوراقها^(٣) وتعددت أنواعها، منها النيلة البلدية والهندية والصينية، وغالبًا ما كان الإنتاج يصدر للخارج لعائدها المادي الكبير^(٤).

القرطم: وهو من المحاصيل المربحة، إذ كانت زهوره المعروفة باسم العصفور تتخذ منها أقراص للصباغة للون الأصفر، كما كان يستخرج من بذوره زيت يسمى الزيت الحلو شائع الاستعمال بين العامة^(٥).

السهم: هو من المحاصيل الصيفية وتجود زراعته بالوادي، ويكفي حاجات السكان ويصدر الفائض لإقليم المنوفية لصناعة السيرج^(٦).

(١) نفسه: محفظة ١٢٩، دفتر ٧٦٦، وثيقة ٤٠٣، ٢٤ شوال ١٢٤٥هـ/ ١١ إبريل ١٨٢٩م؛ مديرية البحيرة:

س ١٢٣، صادر ووارد، وثيقة ٢١١، ١٢ جماد أول ١٢٧٧هـ/ ٢٦ نوفمبر ١٨٦٠م، ص ٧٦.

(٢) معية سنية عربي: محفظة ١١٨، صادر المعية إلى مدير البحيرة، وثيقة بدون رقم، ٢ صفر ١٢٧٥هـ/ ١١ سبتمبر ١٨٥٨م.

(٣) ديوان خديوي: محفظة ١٢٩، ملخصات دفاتر، دفتر ٧٦٦، من المجلس العالي إلى الديوان الخديوي، وثيقة ٢٦٣، ٩ شوال ١٢٤٥هـ/ ٤ إبريل ١٨٢٠.

(٤) ديوان خديوي: محفظة ١٢٨، دفتر ٧٦٤، من الديوان إلى على رضا أفندي تاجر الأصناف، ٩ صفر ١٢٤٦هـ/ ١١ يوليو ١٨٣٠م.

(٥) إدارة المحليات: محفظة ١، تفتيش أقاليم بحري، وثيقة بدون رقم، ٢٢ جماد يخر ١٢٣٨هـ/ ٢٤ فبراير ١٨٢٣.

(٦) مديرية البحيرة: س ٢٨١، صادر فروع مديرية البحيرة، إلى سايرة، وثيقة ١٧٠، ٢٠ صفر ١٢٦٨هـ/ ١٥ ديسمبر ١٨٥١، ص ٥٥٨.

الزيتون: وقد اتسعت زراعته بالوادي، واشتهر بكبر الحجم، وشجعت الحكومة الأهالي على زراعته والعناية بها، وذلك بإعفاء الأراضي التي تزرع من المال لمدة ثلاث سنوات^(١)، واشتهرت أديرة الوادي بإنتاجها الكبير، ويدخل في صناعة زيت الزيتون فضلاً عن المملح منه، ويكفي حاجات الاستهلاك المحلي ويصدر الفائض للأسواق المجاورة^(٢).

النخيل: من أهم الأشجار التي وجدت بالوادي، وكانت أشجاره وكأنها غابة طبيعية، ولها ٨٤ صنفاً يميزها بعضها عن بعض اختلاف البلح في اللون والشكل والحجم والنوع وأشهره الزغلول والغزالي ويعتبر البلح غذاء للسكان، ويستخرج منه نوع من الخل وآخر من الخمور، ولا تقتصر الاستفادة من أشجار النخيل على الحصول على البلح فقط، وإنما يستخدم سعف النخيل لتغطية أسطح المنازل، كما كانوا يستخدمون جريده في صناعة السلال التي اشتهر بها رهبان الوادي^(٣).

وعلى الرغم من كثرة أشجار النخيل في مصر إذذاك، فقد قلَّ عددها عما كان عليه من قبل نتيجة لما فرضته الحكومة من ضريبة عليها، إذ قُسم النخيل إلى ثلاث درجات بالنسبة للمحصول، وفُرضت على النخلة من الدرجة الأولى قرش ونصف والدرجة الثانية نصف قرش ومن الدرجة الثالثة عشرين بارة، ولترغيب الأهالي قررت الحكومة في ديسمبر ١٨٣٥م ألا تفرض ضريبة على النخل إلا بعد عشر سنين من غرسه^(٤).

أشجار التوت: وتأتي بعد أشجار النخيل في العدد، ويوجد منها نوعان الأسود والأبيض الذي تربى عليه دودة الحرير، وبلغ ما زرع بمصر عامة نحو ثلاثة ملايين شجرة،

(١) ديوان شورى المعاونة: محفظة ٢٠، ملخصات دفاتر، دفتر رقم ١٢، وثيقة بدون رقم، ٢ محرم ١٢٥٧هـ/ ٤ فبراير ١٨٤١م.

(٢) نفسه: محفظة ١٩، دفتر ٢٨٤، من شورى المعاونة إلى الباشا الكتخدا، ٢ محرم ١٢٥٧هـ/ ٢٤ فبراير ١٨٤١م.

(٣) سيادية: مجلس ملكية، محفظة ١، من الجناح العالي إلى مختار بك ناظر المجلس، وثيقة ٨٨، ١٠ رمضان ١٢٥٠هـ/ ١٠ يناير ١٨٣٥؛ مديرية البحيرة، س ١٠٣، صادر الدواوين للدائرة السنية، وثيقة ١٩٧.

(٤) أحمد الحتة: المرجع السابق، ص ١٢٨.

وبالرغم من ذلك لم يكن يكفي حاجات الصناعة^(١). ومن الفواكه التي كانت تزرع بالوادي الرمان والتين والجميز وأشجار الكروم والشمام والموز^(٢).

الرعي

والحقيقة التاريخية التي سجلها لنا الرحالة أنطوان فرانسوا أندريوسي Andreossi أن هناك أنواعًا مختلفة من الحيوانات فليست كثيرة العدد فترى الجص أو القنديد، والسرطان بأنواعه المختلفة، والنمل العادي والنمل الضخم ذا الأجحنة ونوعا من البعوض الذي تسبب لسعته أوراما هائلة. ومن طبقة الصدفيات نجد القواقع «الحلزون» من النوع الصغير، ومن ذوات الأربع نجد الحرباء والغزلان، ويستدل على الأخير من آثار أقدامها المشقوقة التي تركها على الرمال. وقد تعرفنا بين الطيور على دجاجة الماء والبط الشرشير «البط البري» وهي التي يقل تردد الناس عليها^(٣).

وقدم الرحالة وصفًا دقيقًا تفصيليًا عن الحيوانات والطيور فأكدوا غنى مصر بالأبقار والماشية والجاموس والعجول والأغنام والماعز، وأكدوا نفس الملاحظات التي ذكرها الرحالة السابقون خاصة فيما يتعلق بحجم الماشية، فذكروا أن حجم الماشية في مصر يفوق حجمها في أي بلد آخر كذلك ذكروا أن حجمها في الوجه البحري يفوق حجمها في الوجه القبلي، وأضاف سونسنسني قائلاً: «إن الماشية والأغنام في مصر العليا يغلب عليها الشراسة والتوحش»، وعلل على ذلك قائلاً: «لطبيعة أراضي الوجه القبلي فهي محصورة بين البحر الأحمر والنيل ولذلك اكتسبت الحيوانات في هذه المناطق شراسة واضحة»، كما ذكر سبباً آخر ألا وهو ارتفاع درجة الحرارة في صعيد مصر، وقد أكد علماء الحملة الفرنسية على ذات الملاحظات، فذكر

(١) معية سنية تركي: دفتر ٣٢، من الباشا إلى حبيب أفندي، وثيقة ٣٤، ٢٥ صفر ١٢٤٤هـ/ ٦ سبتمبر ١٨٢٨م.

(٢) محمد فهمي لهيطة: تاريخ مصر الاقتصادي في العصور الحديثة، الطبعة الثانية، مطبعة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٤٤م، ص ٢٨.

(٣) تأليف علماء الحملة الفرنسية: وصف مصر - العرب في ريف مصر وصحاريها، المرجع السابق، ص ٥٤.

جيرار قائلاً: «إن قطعان الجاموس أقل فظاظاً كلما هبطنا نحو الشمال. وتأتي الماعز إلى مصر من بلاد الحبشة وهي أصغر حجماً في الوجه القبلي عن الوجه البحري، أما الجمال فقد خصصت للانتقال والسير في الصحراء، وأكد أوليفيه أن طبيعة تكوين الجمال وأقدامهم العريضة قد ساعدت على تحملهم مشاق الصحراء والسير على الصخور الجافة الصخرية؛ ولذلك فالجمال حيوان مفيد على حد قول أوليفيه، وقدّم وصفاً دقيقاً للجمال عن كيفية اختزان الجمل للمياه في أمعائه للأفادة منها فيما بعد^(١). وذكر أندريوسي شهرة قبيلة الجوابي بتربية الخيول، التي كانت تمثل للسفر والتجارة أهمية قصوى آنذاك^(٢).

وتناول بعض الرحالة وصف أعداد كبيرة من الطيور نذكر منها على سبيل المثال البجع الذي لقبه سافاري «بملك الطيور» لبياض وجهه لونه، كذلك تحدث بعض الرحالة عن أبي قردان والذي كان من فائدته التهام الثعابين والضفادع، ومصر مشهورة بالحمام وقد أقيمت له الأبراج العالية وهناك أنواع استخدمت في المرسلات. ومن الحيوانات التي هددت الطيور الفار النطاط وقد ذكر سونيني «إنه يأكل العصافير ويساعده على ذلك أسنانه القوية وله آذان طويلة وشعره يغطي جسده»، وهو يشبه الأرنب^(٣).

على أية حال، لعبت الثروة الرعوية في مصر دوراً مهماً في النشاط الاقتصادي خلال القرن التاسع عشر، على الرغم من قلة المراعي الطبيعية والزراعية واعتمادها على ما يقوم بتربيته الفلاحون من بعض الحيوانات، لاستخدامها في حرث الأرض وتجهيزها للزراعة وإدارة السواقي ونقل المحاصيل^(٤) فضلاً عن كونها مصدراً للغذاء في الحصول على اللحوم

(١) إلهام محمد علي ذهني: مصر في كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين في القرن الثامن عشر، المرجع السابق، ص ١٧١-١٧٢.

(٢) تأليف علماء الحملة الفرنسية: وصف مصر - العرب في ريف مصر وصحاريها، المرجع السابق، ص ٧٤.

(٣) إلهام محمد علي ذهني: مصر في كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين في القرن الثامن عشر، المرجع السابق، ص ١٧٣-١٧٥.

(٤) ديوان خديوي تركي: محفظة ١٣١، ملخصات دفاتر، دفتر ٧٦٩، من مأمور ديوان خديوي إلى ناظر المواشي، وثيقة ٤٠٥، ١٨ ربيع الأول ١٢٤٦هـ/ ٦ سبتمبر ١٨٣٠م، ص ١٧٤.

والألياف والقشطة والسمن والجبن ومصدرًا للسماد والوقود^(١) كما أنها أساس صناعة الجلود والأصواف^(٢) كذلك استخدمت في الجيش، فعلى سبيل المثال استخدام الخيل في فرق الفرسان، والبغال في جر المدافع، والجمال في نقل الأمتعة، بالإضافة إلى كونها وسيلة من وسائل النقل، فكان ذلك نواة للنشاط التجاري^(٣).

فمنذ بداية ذلك القرن بذلت الحكومة جهدًا للنهوض بالثروة الحيوانية عن طريق جلب السلالات الجيدة من الدول الإفريقية والآسيوية والأوروبية لاستنبات ما يتلاءم مع البيئة المصرية^(٤)، وللحفاظ على تكاثرها أصدرت الحكومة قرارًا بعدم ذبح الإناث منها^(٥) وأنشئت مدرسة الطب البيطري سنة ١٨٢٨م لعلاج المريض منها ومقاومة الطاعون^(٦) وعينت مراقبين لمتابعة نفوقها وعلاجها^(٧) وبعد إنشاء السكك الحديدية قررت الحكومة فرض غرامة خمسة جنيهات على صاحب كل رأس منها تموت إثر حادث تصادم على شريط السكك الحديدية، وذلك لحمايتها^(٨).

أما فيما يتعلق بالرعي في وادي النطرون، فقد انفرد بخصوصية تميزه عن كثير من أقاليم الرعي في مصر، حيث جمع بين بيئتين مختلفتين هما:

-
- (١) ديوان خديوي تركي: محفظة ١٤٥، ملخصات دفاتر، دفتر ٧٩٦، وثيقة ١٦٧، ٦ ربيع الثاني ١٢٥٠هـ/ ١٠ أكتوبر ١٨٣٤، ص ١٥٣.
 - (٢) محكمة رشيد: س ٢١٤، مادة ٢٩، ١٩ ذو القعدة ١٢٣٥هـ/ ٧ سبتمبر ١٨٢٠م، ص ١٦.
 - (٣) أحمد الحتة: المرجع السابق، ص ١٣٢.
 - (٤) محافظ الأبحاث: محفظة ١١٨، وثيقة رقم ١٠٤، ٢١ شوال ١٢٤٠هـ/ ٨ يونيو ١٨٢٥م.
 - (٥) ديوان معية سنية عربي: محفظة ٩٥، ملخصات دفاتر، دفتر ٨٠، من الجناح العالي إلى محمد أفندي ناظر الأغنام الأميرية، أمر رقم ١٩٤، ١ شعبان ١٢٥٢هـ/ ١١ نوفمبر ١٨٣٦م.
 - (٦) أحمد أحمد الحتة: المرجع السابق، ص ١٣٥.
 - (٧) ديوان معية سنية تركي: محفظة ٩٤، من الجناح العالي إلى مديرية البحيرة، وثيقة ٤٠، ١٩ ذي الحجة ١٢٥٢هـ/ ٢٧ مارس ١٨٣٧.
 - (٨) مديرية البحيرة: س ١٠٨٠، وارد الفروع إلى ضبطية مركز النجيلة، وثيقة ٢٢٢، ١٦ رمضان ١٢٩٣هـ/ ١٥ أكتوبر ١٨٧٦م، ص ٣٧.

أ- البيئة الزراعية: وفيها قام الفلاحون بقرى الوادي بتربية بعض الحيوانات التي لا غنى عنها لاستخدامها في زراعة الأرض، وإمدادهم بالغذاء والثياب لأسرهم مثل باقي أقاليم مصر^(١).

ب- البيئة الصحراوية: وهي المناطق التي سكنها العربان البدو، سواء كانت مركزية في وسط الوادي أو التي تقع على هامش القرى وهي التي أضفت عليه تلك الخصوصية التي تميزه، حيث كانت الثروة الرعوية تمثل المفهوم العلمي المتعارف عليه حديثاً، فقد كان الرعي من الحرف الرئيسية، ومصدرًا للدخل ورأس مال لصاحبه، فضلاً عن كونه يمثل الغذاء الرئيسي لسكان تلك المنطقة ووسيلة النقل الوحيدة بالصحراء في ذلك الوقت^(٢).

وتمثلت الثروة الحيوانية، التي انتشرت تربيتها بقرى الوادي في البقر والجاموس والأغنام والماعز، وكان رعيها وطعامها يعتمد على زراعة البرسيم وبعض سيقان الذرة الخضراء^(٣)، وما يتخلف عن المحاصيل من الدريس «التبن»^(٤)، ولم يتجاوز عدد الماشية التي يملكها الفلاح أكثر مما يسعها بيته، لتساعده على العمل الحقلّي وتقدمه بالألبان والأصواف لسد حاجته، ومن الملاحظ أن كثيراً من الفلاحين لم يستثمروا رؤوس أموالهم في تربية الماشية ولا في تسمينها؛ إما لعدم إدراكهم لمفهوم الاستثمار وإما لكثرة الضرائب والالتزامات المادية التي كانت عائقاً أمام تحقيق ذلك الهدف، وهناك بعض الوثائق التي تؤكد أن القليل من هؤلاء الفلاحين قد استثمروا أموالهم في تنمية الثروة الحيوانية حتى امتلكوا الآلاف من رؤوس الأغنام والماشية، مثل آل حمزة بالبريجات^(٥) وآل المقرحي بالطرانة^(٦) وآل عبد الله بالخطاطبة^(٧).

(١) محكمة البحيرة: س ٣٥، مادة ٥١، ٥ ربيع الآخر ١٢٢٩هـ / ٢٧ ماري ١٨١٣م، ص ١٧.

(٢) إدارة المحليات: محفظة ٥، تفتيش بحري، وثيقة رقم ٣، ٤ شعبان ١٢٧٩هـ / ٢٥ يناير ١٨٦٣م.

(٣) معية سنية عربي: س ٢٥، قيد الأوامر الصادرة، أمر رقم ٣٩٢، ١١ جمادى أولى ١٢٥٠هـ / ١٥ سبتمبر ١٨٣٤م، ص ١٠٦.

(٤) ديوان شورى المعاونة: محفظة ٩، من المعية إلى الديوان الخديوي، وثيقة رقم ٧٥، ١٧ ربيع الأول ١٢٥٣هـ / ٢١ يوليو ١٨٣٧م.

(٥) مديرية البحيرة: س ٤٦١، صادر الفروع لقسم النجيلة، وثيقة ١١٢، ٢٣ رجب ١٢٨٧هـ / ١٩ سبتمبر ١٨٧٠م، ص ١٢٤.

(٦) نفسه: سجل ٣١٥، صادر الدواوين إلى مايره، وثيقة ٣٧٤٧، ١٤ شوال ١٢٦٩هـ / ٢١ يوليو ١٨٥٣، ص ٢٤٦٣.

(٧) نفسه: س ٧٢٧، وثيقة ٢٠٥، بتاريخ ١٠ ذو القعدة ١٢٨٧هـ / ٦ فبراير ١٨٧٣، ص ٥٤.

كما وجد عدد قليل من فلاحي قرى الوادي ممن احترفوا مهنة الرعي، وقاموا بتربية الماشية والأغنام معاً، وكان معظمهم يتنقلون بين قرى الوادي، ويسكنون العراء إلى أن أصبح من الضروري لهم الاستقرار فأقاموا أكواخاً لهم من الطين والغاب الذي ينمو بالوادي لحفظ أمتعتهم بها وأقاموا ما يعرف بالتايات^(١) لتربية مواشيهم ومنها التاية الجماشية والغنامة، ولكنهم سرعان ما اندمجوا مع القرى القريبة منهم ومارسوا الزراعة بجوار الرعي^(٢).

كما ساهم عربان وادي النطرون الذين اقتصر عملهم على ممارسة حرفة الرعي بالقدر الأكبر في تنمية الثروة الحيوانية، بل تخصص البعض منهم في تربية نوع منها، مثلما تخصصت قبائل المغازة والحراي والجوابي في تربية الجمال مع قليل من الأغنام والماعز، التي كانت المصدر الرئيسي لثروتهم وقوتهم اليومي، وذلك بتأجيرها للمتزمي النطرون لنقله من الوادي إلى الطرانة^(٣)، أو نقل تموين الدير من أتريس أو كفر داود إلى الأديرة^(٤)، أو اشتراكها في القوافل التجارية سواء كانت بصحراء مصر أو خارج مصر أو تربيتها وبيعها، وامتلك هؤلاء ما يقرب من عشرة آلاف رأس من الجمال^(٥).

كما أكدت الوثائق على ما ذكره الرحالة أندريوسي من تخصص عربان الجوابي والجميعات والهنادي والجوابيص في الوادي بتربية الخيل وقليل من الجمال والأغنام والماعز، وكانت الدولة

(١) التايات: مفرداً تاية، وهي عبارة عن أكواخ على شكل نصف دائرة مكونة من الطين الجاف ومسقفة بأعواد الغاب لتقيها الحر والبرد؛ لمزيد من التفصيل انظر: يوسف الشربيني، هز القحوف في شرح قصيد ابن شادوف، طبعة بولاق، القاهرة ١٢٧٤هـ / ١٨٩٠م، ص ٦١.

(٢) مديرية البحيرة: س ١٠٤٠، ج ٥، وارد الفروع من قسم النجيلة، وثيقة ١٢٥٤، ٤ ربيع أول ١٢٨٦هـ / ١٤ يونيو ١٨٦٩م، ص ٦٥.

(٣) مديرية البحيرة: س ١٠٨٧، ج ١، وارد العرضحالات، وثيقة ٢٠، ١٥ ذو القعدة ١٢٧٤هـ / ٨ محرم ١٢٧٥هـ / ١٨ أغسطس ١٨٥٨م، ص ١٢.

(٤) وثائق دير السريان: وثيقة رقم ٩٣٥، ١ أمشير ١٥٩٨ ش / مارس ١٨٨٢م.

(٥) مديرية البحيرة: س ١٠٣، صادر دواوين للجانين الميرية، وثيقة ٢١، ١٣ شوال ١٢٧٤هـ / ٢٩ مارس ١٨٥٨م، ص ١٣٥.

تعتمد عليهم في إمدادها بالخيول لاستخدامها في الجيش^(١) فضلاً عن بيعها للذوات والمشايخ لاستخدامها في النقل والتباهي والتفاخر بها بين فلاحي الوادي، وأحياناً كان قليل منها يصدر لبعض البلاد العربية^(٢).

وبجانب تلك الأنواع من رءوس الحيوانات قام غالبية العربان بتربية أعداد كبيرة من البقر الوحشي للحصول منها على الألبان التي تستخدم في صناعة الجبن والسمن، فضلاً عما يأتي من الأغنام والماعز، لأنها مصدر الغذاء الرئيسي لهم^(٣).

كذلك وجد في بعض قرى الوادي معامل لتفريغ الكتاكت لتربيتها لتصبح مصدراً لإنتاج البيض واللحم بجانب الطيور الداجنة الأخرى مثل البط والأوز والحمام الذي لم تكن تخلو القرى من أبراج له^(٤) فضلاً عن تربية خلايا النحل لتوفير العسل وشمعه لتصديره وبيعه كعائد مادي لمنتجاتها^(٥).

ثانياً- الصناعة

لم تعرف مصر بصفة عامة ووادي النطرون بصفة خاصة الصناعات الكبرى، كما أوضح الرحالة وإنما عرفت مصر والوادي الصناعات الصغرى، وكان نظام طوائف الحرف هو السائد في مصر، وقد وصف مليليه الصناعة في مصر قائلاً: «بأنها متأخرة متدهورة»، وعبر سونسي

(١) معية سنية تركي: محفظة ٩٠، ملخصات دفاتر، دفتر رقم ٨٠، وثيقة ٣٣٣، ١١ رمضان ١٢٥٢هـ/ ٢١ ديسمبر ١٨٣٦م، ص ١١٥.

(٢) مديرية البحيرة: س ٨٥٠، وارد عموم المالية، وثيقة ٧٠٦، ١٨ شوال ١٢٦٦هـ/ ٢٧ أغسطس ١٨٥٠م، ص ٣١٦.

(٣) ديوان خديوي: محفظة ١٤٥، ملخصات دفاتر، دفتر ٧٩٦، وثيقة ١٦٧، ٦ ربيع الثاني ١٢٥٠هـ/ ١٢ أغسطس ١٨٣٤م، ص ١٥٢.

(٤) معية سنية تركي: محفظة ١٠٥، ملخصات دفاتر، دفتر ٥٣٠، وثيقة رقم ١٤، تاريخ ١٢ ذو القعدة ١٢٨٠هـ/ ١٩ إبريل ١٨٦٤م، ص ١٢٧.

(٥) مديرية البحيرة: س ٢١، صادر دواوين إلى سايرة، وثيقة ١٨١، ٢٩ ذو القعدة ١٢٩٤هـ/ ٥ ديسمبر ١٨٧٧م، ص ٧٧.

عن أسفه لتدهور الصناعة في مصر، وهي التي كانت صاحبة حضارة عريقة^(١). والآن يجب علينا متابعة أهم الصناعات بوادي النطرون خلال فترة الدراسة:

أهم الصناعات

استخراج النطرون ونقله:

تحدث سيور دو بولاري لوجوز Sieur De Boullary LeGouz الذي زار وادي النطرون عام ١٦٤٩م^(٢)، عن الصناعات المنتشرة في الوادي خاصة استخراج النطرون^(٣) الذي كان يستخدم في عمليات تبيض الأقمشة، وذكر أنه جاء إلى الوادي من أجل إنهاء بعض صفقات النطرون التجارية لصالح بلاده^(٤)، ويوجد النطرون بالوادي في ثماني بحيرات وإن اختلفت الآراء حول عددها^(٥) وهي منفصلة عن بعضها البعض بواسطة رمال قاحلة وتبلغ مساحتها جميعاً نحو ١١٥١ ألف متر مربع^(٦)، وتجري المياه بغزارة بالبحيرات لمدة ثلاثة أشهر في العام، أي في تلك الشهور التي تلي الانقلاب الصيفي، وتزايد المياه عند نهاية ديسمبر، ثم تبدأ في الانخفاض تدريجياً، حتى إن بعض البحيرات يصاب بالجفاف، كما توجد المياه العذبة - وإن كانت درجة صلاحيتها تتفاوت - إذا ما حفرنا بطول البحيرات في الانحدار المتجه ناحية النيل^(٧).

(١) إلهام محمد علي ذهني: مصر في كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين في القرن الثامن عشر، المرجع السابق ص ١٧٣-١٧٥.

(٢) سمعان السرياني، الراهب: دير السيدة العذراء السريان، المرجع السابق، ص ٩٠-٩١.

(٣) عمر طوسون: المرجع السابق، ص ١٥-٢٠؛ محسن على شومان، المقاطعات الحضرية في مصر في العصر العثماني، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، عام ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م، ص ١٦٣.

(٤) هيو ج. ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص ١٥٧-١٥٨ انظر: ملحق رقم ٨، ٩، والشكل رقم ٤.

(٥) Lucas, Al Fred: Natural Soda deposits in Egypt, Cairo 1912. P 3;

انظر: شكل (٦)، ص ٢٧٨.

(٦) محمود علي سيف: المرجع السابق، ص ١٦-٢٥.

(٧) تأليف علماء الحملة الفرنسية: ج ٤، المرجع السابق، ص ١٨٥.

أما عن أسباب تكون النظرون في الوادي فترجع إلى أن مادة الصودا الطبيعية التي هي كربونات وبيكربونات الصوديوم، تكتسبها المياه الجوفية في أثناء مرورها ما بين النيل وبحيرات المنخفض وتتوقف كمية النظرون في البحيرات على مقدار ما تكتسبه المياه الجوفية من أملاح الصوديوم أثناء مرورها في هذه الطبقات، ولذلك تختلف مياه البحيرات بعضها عن بعض لا في كمية الأملاح وحدها بل في نسب الأملاح كذلك^(١)، أما اختلاف لون مياه البحيرات فيرجع إلى اختلاف التركيب الكيميائي لها غير المتشابه في كل البحيرات^(٢).

ولا يوجد النظرون مذاباً في ماء البحيرات فحسب بل في هيئة طبقات صلبة، يظهر حينما يهبط منسوب الماء في شهر يوليو وأغسطس وسبتمبر، كنتيجة طبيعية لقلّة ما يصل من المياه الجوفية من نهر النيل في ذلك الوقت، بالإضافة إلى ارتفاع درجات الحرارة التي تعمل على شدة البخر، وهنا يترسب النظرون على هيئة طبقات يختلف سمكها في قاع البحيرات، تبعاً للمدة التي تغطي الأرض فيها بالمياه^(٣).

وقد وصف لنا الرحالة أنطوان فرانسوا أندريوسي Andreossy (١٧٩٨-١٨٠١م) عملية استخراج النظرون حيث تبدأ مع دخول الرجال في الماء وهم عراة الأجسام ويكسرون النظرون وينتزعونه بواسطة آلات حديدية، «كماشة» مستديرة الشكل يبلغ وزنها ستين رطلاً، أحد فكّيها على هيئة عشب الغراب، أما الآخر فينتهي بسن مدببة من الصلب، أما النظرون الذي على سطح الأرض فيمكن رفعه بجهد أقل كثيراً من الجهد المبذول في استخراجه من البحيرات، ومن المناظر المثيرة للفضول أن ترى هؤلاء الرجال والبشرة السوداء أو السمراء يخرجون وبشرتهم بيضاء من الملح الذي يعلق بها في أثناء هذا العمل^(٤).

(١) نفسه: ج ٢، المرجع السابق، ص ٤٨؛ محمود على سيف: المرجع السابق، ص ٢٩٧.

(2) Lucas, Alfred: Notal Soda, op. cit. P.P. 14-16.

(3) Ibid. P 17;

محمود على سيف: المرجع السابق، ٢٩٦.

(٤) تأليف علماء الحملة الفرنسية: ج ٢، المرجع السابق، ص ٥١؛ عمر طوسون، المرجع السابق، ص ١٩.

كما وقع على عاتق سكان قرى الوادي الستة^(١) مهمة خروج ما يقرب من ٣٠٠ - ٦٠٠ عامل لاستخراج النطرون ونقله، وفي حالة تناقص عددهم يتم الاستعانة برهبان الوادي لسد العجز^(٢) وإلزام هؤلاء العاملين بالسكن حول البحيرات لحين الانتهاء من هذا العمل^(٣) مقابل سداد أموال أميريه عليهم، أو نوع من أنواع السخرة أو العونة أو حصولهم على أجر ضئيل لا يتمشى مع طبيعة هذا العمل ولعدم هروبهم كلفت الحكومة عمد ومشايخ قراهم بمراقبتهم لانتظام العمل^(٤).

وذكر إيفلين هوايت إنه خلال فترة حكم الدولة العثمانية كان مساعد الكاشف المقيم آنذاك في الطرانة مسؤول عن حراسة طقم النطرون، وظل ذلك الحال حتى تولى محمد علي باشا حكم مصر^(٥). فأسندت الحكومة هذه المهمة لعمد ومشايخ القرى وبجانهم كلفت الحكومة بعض قبائل العربان بمهمة نقل النطرون من الوادي إلى الطرانة^(٦)، ومثال ذلك ما قام به عربان الجوابيص والجميعات وامتلاكهم الجمال والحمير والخيول بكثرة، مقابل أجر ضئيل يدفعه لهم الملتزم^(٧)، وكان عليه أيضًا، إمداد حراس قوافل النطرون -على نحو ما رأينا- وخفراء البحيرات بالسلاح حتى لا تتعرض للسرقة^(٨) واستمر النقل بهذه الطريقة حتى أنشئت شركة

(١) قرى الوادي: الطرانة، الخطاطبة، كفر داود، الأخماس، أبو نشابة، البريجات، انظر: تأليف علماء الحملة الفرنسية، ج ٢، المرجع السابق، ص ٤٩.

(٢) إلياس الأيوبي: المجلد الأول، المرجع السابق، ص ١٣٣.

(٣) مديرية البحيرة: س ٤٢٩، ٧/١٣/٥/١٨٠، ج ٥، صادر الفروع لقسم الجنيلة: وثيقة ٨٤٧، ٨ ذو القعدة ١٢٨٣هـ / ١٤ مارس ١٨٦٧.

(٤) نفسه: س ٣١٥، مادة ٣٥٦١، ٢٣ رمضان ١٢٦٩هـ / ٣٠ يونيو ١٨٥٣، ص ١٣٨٤.

(٥) هيو ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص ١٥٩.

(٦) مديرية البحيرة: س ١٠٣٢، وارد الفروع إلى مصلحة الأطرون بالطرانة، وثيقة ٣٣، ٢٢ رمضان ١٢٨٤هـ / ١٨ يناير ١٨٦٨م؛ انظر: ملحق رقم (١٤)، ص ٢٦٧.

(٧) نفسه: وثيقة ٤٣، ١١ جمادى الثاني ١٢٨٤هـ / ١٠ أكتوبر ١٨٦٨، ص ٦٢.

(٨) نفسه: وثيقة ٥٠، ٢٦ محرم ١٢٨٥هـ / ١٩ مايو ١٨٦٨م، ص ٦٢.

الملح والصودا سنة ١٨٩٩ م، فسعت إلى إمداد خط سكة حديد الوادي الخطاطبة^(١).

صناعة تكرير النطرون:

وبعد أن ينقل النطرون إلى مصلحته بالطرانة تجري عليه عملية تنقية لفصل الشوائب العالقة به، وكان ذلك يتم بطريقتين هما:

الطريقة الأولى: وكانت تجري بالوسائل اليدوية، حيث يقوم بعض العاملين المتخصصين بفصل الرمال العالقة بطبقات النطرون الكبرى ويسمى بالنطرون السلطاني^(٢).

الطريقة الثانية: حيث يوضع النطرون الأقل حجماً والأكثر نعومة والعالق بالرمال والطين في أحواض خاصة، وبعد التخلص من الشوائب في القاع يؤخذ السائل الصافي إلى أوانٍ كبيرة، حيث يوقد تحته للتخلص من الماء وحيث يرسب النطرون الصافي الأبيض، وبعدها يؤخذ هذا وينشر في الشمس حتى تمام الجفاف^(٣).

وبعد ذلك تقوم مصلحة النطرون بإجراء بعض العمليات استعداداً لتصديره، ومنها تكليف مجموعة من العاملين بتعبئته بعد وزنه بواسطة قبانية المصلحة مع تسجيلهم ذلك بسجلاتهم منعاً للتلاعب^(٤) وبعدها يتولى مجموعة من الشياطين نقله إلى مخازن المصلحة^(٥).

إنتاج النطرون:

في عام ١٦٧٢ م زار الدومنيكاني جوهان ميشيل فانسليب Johann Michael Vansleb بركة شيهيت وخلال مكوثه في الطرانة جمع لنا بعض المعلومات القيمة بشأن وادي النطرون،

(١) شركات وجمعيات: محفظة ١٧٠، مجلس الوزراء، بخصوص إنشاء شركة الملح والصودا، ١٩ إبريل ١٨٩٩.

(٢) مديرية البحيرة: س ١٠٣٦، وارد الأطرون، وثيقة ٦، ٨ شوال ١٢٨٥هـ / ٨ يناير ١٨٦٩م، ص ١٣٨.
(٣) نفسه: س ٤٦٢، صادر فروع لقسم النجيلة، وثيقة ٢٤١، ٢٣ شعبان ١٢٨٧هـ / ١٩ أكتوبر ١٨٧٠م، ص ٤٦.

(٤) محكمة النجيلة: س ٧٣٠، مادة ١٢٦، ٨ من ذي الحجة ١٢٩٤هـ / ١٣ ديسمبر ١٨٧٧م، ص ٢٨.

(٥) نفسه: س ٧٢٧، مادة ٣٨١، ٢٠ رجب ١٢٨٨هـ / ١٥ أكتوبر ١٨٧١م، ص ١٠٢.

فعن طريق أحد الأقباط كان يعمل سكرتيراً لدى الكاشف المحلي حيث بلغ المتوسط السنوي للكسب من النطرون المجلوب من الوادي نحو ٣٥ ألف قنطار. وكانت الجمال تحمله إلى الطرانة ومن هناك إلى القاهرة أو الإسكندرية، حيث تحقق مبلغاً نحو ٢٥ ميدن للقنطار. وكان الايراد الإجمالي لهذه المادة نحو ٣٥ كيساً أو ١٨ ألف كرون فرنسي^(١).

والحقيقة التاريخية أن الدولة العثمانية طبقت على إنتاج النطرون - الذي يستخرج من بحيرات وادي النطرون - نظام الالتزام وسمي هذا الالتزام بالتزام طرانة أو «مقاطعة الأطرون» أو «قلم الطرانة»^(٢)، وذكر لنا الرحالة عمر طوسون لأهمية النطرون وضعها السلطان العثماني ١٧٣٠ م تحت إشرافه، واستأثر بالتزام هذه المقاطعة أعضاء الفرق العسكرية إلى أن آل التزامها إلى البكوات المماليك ومنهم مراد بك^(٣)، حتى سنة ١٧٩٢ م، ونجح كارلو رويستي Rossetti أحد تجار البندقية وقنصل ألمانيا في مصر في الحصول على موافقة مراد بك نظير مبلغ من المال، قدر بنحو ٧٢٠ جنيهاً، ليحتكر استخراج وتصدير هذا المنتج الهام إلى أسواق التجارة الخارجية^(٤). واستمر خلال الوجود الفرنسي لمصر (١٧٩٨-١٨٠١ م) يحتفظ بهذه المقاطعة حتى ألحقت بديوان إسكندرية لتصبح من المقاطعات الميرية^(٥).

ولأهمية إنتاج النطرون وكونه مصدراً للدخل، وضعه محمد علي في سنة ١٨٢١ م تحت تصرفه، فقام بتعيين عامل من عملائه، يسكن في الطرانة لمراقبة استخراج النطرون ونقله

(١) هيوج.ج. إيفلين هويت: المرجع السابق، ص ١٥٩. انظر ملحق رقم ٨، ٩.

(٢) محسن على شومان: المقاطعات الحضرية في مصر في العصر العثماني، المرجع السابق، ص ١٦٣.

(٣) عمر طوسون: المرجع السابق، ص ١٦-١٧.

(4) Brawne. W. G: Travels in Africa Egypt and Syria, London 1799, P. P. 36-44.

(٥) محكمة البحيرة الشرعية: س ٢٨، مادة ٣٥٠، ١٣ من ذي القعدة ١٢٦١هـ/ ١٧ مارس ١٨٠٢ م، ص

١٩٥؛ محسن على شومان، المقاطعات، المرجع السابق، ص ١٦٤.

وتسويقه، ومن الطرانة إلى الأسواق الداخلية والخارجية، حتى إنه حقق أرباحاً مالية بلغت قيمتها ٣٠٠٠ جنيه^(١).

وبالرغم من تطبيق محمد علي نظام الاحتكار فإنه طبق نظام الالتزام على إنتاج النطرون بالطرانة، وقد التزم بإنتاج النطرون رجل من إيطاليا يقال له بافي كان قبل ذلك مستخدماً في مالية دولته وهرب منها وقت قيام الفتن وكان عالماً نبيلًا، فمنحه الوالي رتبة أميرالاي وعرف بين الناس باسم عمر بك، وقام بتحقيق أرباح كثيرة من النطرون نظرًا لما أخذ به من تجديدات في طريقة إنتاجه^(٢).

وفي ظل تطبيق نظام الالتزام على النطرون، وضعت الحكومة شروطًا للملتزم، فكان منها قيامها بإجراء مزاد علني، من يرش عليه يسدد قسطًا أول من المبالغ المحددة للمالية، مع التعهد بسداد باقي الأقساط خلال فترة التزامه^(٣)، كما كان على المزاد إمداد حراس بحيرات النطرون والقوافل بالسلاح والبارود^(٤)، مع دفع أجور العاملين بمصلحته بالطرانة^(٥)، ومع تعهد الحكومة بتوفير القائمين على استخراجهم ومنع تجارة المتهرب منه، في سبيل تنفيذ الملتزم للوائح والقوانين التي تسنها الدولة وخاصة التي تخصص توزيعه وتسويقه^(٦).

والجدول التالي يوضح أسماء ملتزمي النطرون بالطرانة منذ أواخر القرن الثامن عشر حتى صار إنتاجه على ذمة الحكومة سنة ١٢٩٢هـ / ١٨٧٥م:

(1) Mengin. Felix: Histoire de l' Egypte sous le Gouvernement de Mohammed Aly, 2 vols, Paris 1823, P.P. 385-395.

(٢) على مبارك: ج ١٧، المرجع السابق، ص ٥٥.

(٣) ديوان شورى المعاونة: محفظة ١٩، ملخصات دفاتر، دفتر ٢٨٤، وثيقة رقم ١٣٧٣، ٢٢ شوال ١٢٥٧هـ / ٧ ديسمبر ١٨٤١، ص ٢٢.

(٤) مديرية البحيرة: س ٤٢٢، ج ٧/٧/١٣/٥/١٧٣، صادر الفروع إلى مصلحة الأطرون بالطرانة، ١٣ صفر ١٢٨٣هـ / ٢٧ يونيو ١٨٦٦، ص ١٣٤.

(٥) نفسه: س ٨٢٥، وثيقة ٥٠٩، ١١ رجب ١٢٦١هـ / ١٦ يوليو ١٨٤٥، ص ٣٣٥.

(٦) نفسه: س ١٠-١، وارد مصلحة الأطرون، وثيقة ٧٥، ٣ من ذي القعدة ١٢٧٦هـ / ٢٣ مايو ١٨٦٠، ص ٦٢.

جدول (١/٣)^(١)

م	اسم الملتزم	الفترة الزمنية	
		من	إلى
١	محمد نوونو الأسيوطي	١١٩٦هـ/ ١٧٨٢م	١٢٠٧هـ/ ١٧٩٢م
٢	كارويستي البندقي	١٢٠٨هـ/ ١٧٩٣م	١٢١٩هـ/ ١٨٠٤م
٣	الوالي محمد علي	١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م	١٢٢٢هـ/ ١٨٠٧م
٤	الخواجة بافي	١٢٢٣هـ/ ١٨٠٨م	١٢٤٠هـ/ ١٨٤٢م
٥	الخواجة إسكندر جبارة	١٢٤١هـ/ ١٨٢٥م	١٢٦٠هـ/ ١٨٤٤م
٦	الخواجة جورلي جان	١٢٦١هـ/ ١٨٤٥م	١٢٦٥هـ/ ١٨٤٨م
٧	محمد أغا حمزة	١٢٦٦هـ/ ١٨٤٩م	١٢٧١هـ/ ١٨٥٤م
٨	الخواجة إسكندر جبارة	١٢٧٢هـ/ ١٨٥٥م	١٢٧٣هـ/ ١٨٥٦م
٩	الأخوان الخواجات نخمان	١٢٧٤هـ/ ١٨٥٧م	١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣م
١٠	حسنين حمزة	١٢٨١هـ/ ١٨٦٤م	١٢٩٠هـ/ ١٨٧٣م
١١	الخواجة فيلكس جبارة	١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م	١٢٩٢هـ/ ١٨٧٥م

(١) المصدر: محافظ الدشت: محفظة ٣٠٥، وثيقة بدون رقم، بتاريخ ٢٠ شوال ١١٩٦هـ/ ٢٨ سبتمبر ١٧٨٢، محكمة البحيرة، سجل ٢٨، مادة ٣٥٠، بتاريخ ٣ من ذي القعدة ١٢١٦هـ/ ٧ مارس ١٨٠٢م، ديوان شورى المعاونة، محفظة ١٩، ملخصات دفاتر، دفتر ٢٨٤، وثيقة ١٣٧٣، بتاريخ ٧ شوال ١٢٥٧هـ/ ٢٢ نوفمبر ١٨٤٤.

من الجدول السابق يتضح لنا تعدد أجناس الملتزمين وعقائدهم، بالإضافة إلى التزام البعض منهم بأكثر من مرة، مثل الخواجة إسكندر جبارة، كما يتضح أن بعض المصريين قد دخلوا في منافسة مع الأجانب في مزاد النظرون ورسا عليهم، ومنهم حسانين حمزة عمدة البريجات.

واستمر تطبيق نظام الالتزام على النظرون حتى أواخر عهد الخديو إسماعيل وبالتحديد مع بداية الأزمة المالية ١٢٩٢هـ / ١٨٧٥م حينما لجأت الحكومة إلى تدبير الأموال اللازمة بشتى الطرق لسداد الدائنين، فقامت باحتكاره، فوضعت تحت تصرفها لرفع معدلات إنتاجه وتحكمها في تجارته لتحقيق أكثر الأرباح، حتى بلغت أرباحها في ذات السنة ٢٥٠٠٠ جنيه مصري^(١).

ومع بداية الاحتلال البريطاني لمصر ١٨٨٢م، سرعان ما عاد نظام الالتزام على النظرون مرة ثانية فطرحته سلطات الاحتلال للمزاد، فرسا مزاده على الخواجة لوزوداتشي إلى عام ١٣١٤هـ / ١٨٩٦م^(٢) حتى تمكن مستر هوكر من إجراء بعض الدراسات عليه والتوسع في تنوع الصناعات القائمة^(٣) فسارعت شركة زولنجي وبلانتا J. Zollingey et J. Planta 8 Co إلى الحصول على امتياز استغلال معادن وادي النظرون لمدة خمسين عامًا بدءًا من نوفمبر ١٨٩٧م، فقامت بإنشاء شركة الملح والصودا ١٨٩٩م برأس مال قدره ٣٠١٠٠٠ جنيه إسترليني، وعينت مستر هوكر مديرًا لها^(٤).

أما التقدير الكمي لإنتاج النظرون فكان يتذبذب من عصر إلى آخر، ففي عصر الفراغة ارتبط الإنتاج باستغلاله في عمليات التحنيط، ومن ثم كان إنتاجه ضئيلاً، أما في العصر العربي فقد ارتفع الناتج وكان يمثل جزءاً من موارد الدولة الاقتصادية، حتى وصل إنتاجه سنة

(١) ديوان المجلس الخصوصي: محفظة ١٤، وثيقة بدون رقم، ١٨ رجب ١٢٩٢هـ / ٢٠ أغسطس ١٨٧٥م.

(٢) مجلس الوزراء: المالية، محفظة ٣ج، الملح والنظرون، ٦ يونيو ١٨٩١م.

(٣) نفسه: ٣٠ يونيو ١٨٩٦م.

(٤) نفسه: ١١ نوفمبر ١٨٩٧؛ شركات وجمعيات، محفظة ١٧٠، مجلس الوزراء بخصوص إنشاء شركة الملح

والصودا، ١٩ إبريل ١٨٩٩م؛ انظر ملحق رقم (١٥)، ص ٢٦٨.

١٣٨٨م إلى نحو ٣٢ ألف قنطار، وفي أواخر القرن الثامن عشر بلغ مقدار الناتج من النظرون المستخرج من الوادي نحو ٣٥٠٠ طن سنوياً، أما في القرن التاسع عشر - نظراً لقيام العديد من الصناعات على إنتاجه وزيادة الطلب عليه في الأسواق العالمية - وصل الإنتاج في أواخر ذات القرن نحو ٣٥٢٧ طناً^(١).

معامل البارود:

أنشأت الحكومة ستة معامل للبارود، بلغ إنتاجها ١٥,٧٨٤ قنطاراً في سنة ١٨٣٣م^(٢)، وكان بالطرانة أحد هذه المعامل، بلغ إنتاجه ٤٠١٢ قنطاراً في ذات السنة^(٣)، وتميز بقلّة نسبة الشوائب بها حيث بلغت ٦,٧٪ فارتفعت أسعاره حتى وصل سعر القنطار الواحد إلى ٧٢ قرشاً^(٤).

ولأهميته احتكرته الحكومة، فإذا تجاسر أحد على بيعه أو تشغيله بالنواحي فيصير مجازاته بإرساله إلى الليمان مدة حياته وكسر ومحو تلك الآلات وإذا وجد مشغولاً يجري ضبطه وتوريده لجانب الميري ويجري التنبيه على الصانع أن يتعلق بطريقة إعاشة خلاف هذه الصفة، وأن يتركها بالكلية، ويجري إرسال شيخ حصة الجهة التي بها ذلك الشخص لديوان الجهادية مدة حياته ليكون عبرة لغيره، أما إذا كان مفتش أو وكيل أو ناظر أو قائمقام أو حاكم تلك الجهة المذكورة

(1) Brawne. W. G: Op. Cit. P. P. 36-44;

عمر طوسون: مرجع سابق، ص ١٦-٢٠؛ محمد سميح عافية، ج ٢، المرجع السابق، ص ٦٤-٦٦؛ محمود سيف، المرجع السابق، ص ٣١٠.

(٢) لمزيد من التفصيل انظر: نوال قاسم، تطور الصناعة المصرية منذ عهد محمد علي حتى عهد عبد الناصر، ط ١، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٨٧.

(٣) نوال عبد العزيز مهدي: الحركة العمالية وأثرها في تطور التاريخ السياسي (١٨٩٩-١٩٣٠)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، قسم تاريخ، جامعة القاهرة ١٩٧٣.

(٤) ديوان شوري المعاونة: محفظة ٢٢، ملخصات دفاتر، دفتر ٢٨٦، وثيقة رقم ٣٧٣، ٤ ذو القعدة ١٢٥٨هـ / ٧ ديسمبر ١٨٤٢؛ وثائق دير السريان، وثيقة رقم ١٤٥٩، ٧ ذو الحجة ١٢٤٣هـ / ٨ أكتوبر ١٨١٨؛ محمد فؤاد شكري وآخرون، المرجع السابق، ص ٤٣١.

لهم معلومية بهذه القضية فيجري إرسالهم إلى ليان إسكندرية مدة ستة شهور تطبيقاً للائحة الأسلحة^(١).

صناعة ملح النشادر: ساعد وجود أفضل أنواع السناج^(٢) في وادي النطرون بكثرة على قيام صناعة ملح النشادر منه بوضعه في قنينات زجاجية كروية الشكل مغطاة بطبقة من الطين المختلط بوبر الصوف، ثم توضع هذه القناني في أفران خاصة لمدة ثلاثة أيام، ثم تبرد بعد ذلك بالماء ثم يتم تكسيروها والحصول على النشادر التي بداخلها^(٣) وكانت الطرانة من أهم مراكز صناعتها بالوادي^(٤).

صناعة الغزل والنسيج:

على الرغم من تعدد مصانع الغزل والنسيج فقد انتشرت المغازل والمناسج اليدوية في قرى الوادي، وكانت المنسوجات الكتانية في مقدمتها، تتم تحت إشراف حكومي، وكان غزل الكتان الخام مما تقوم به نساء يستخدمن في «حريمات» القرى التي كانت تنشأ لهذا الغرض، وكانت تلك الحريمات في كل قرية تحت إشراف وكيل للنساء الغزالات، يقوم بإمدادهن بالمادة الخام والإشراف على العمل بمعاونة مشايخ وعمد القرى^(٥).

وبعد أن تقوم النساء بعملية غزل الشعر إلى خيوط، ثم عملية تبييض هذه الخيوط في المبيضة بنقعها في محلول مغلي مذاًب فيه كميات متساوية من النطرون يسلم إلى قاعات النسيج التي كانت تنتج منه عدة أنواع، من أهمها الناعم ويستخدم في صناعة ملابس الريفيات، ونوع ثانٍ أقل نعومة وبياضاً عن السابق ويستخدم في صناعة ملابس الرجال، ونوع ثالث بالغ الخشونة

(١) ديوان شورى المعاونة: مكتبة بشأن تصنيع الأسلحة، وثيقة رقم ٢٣٥، ١٥ رجب ١٢٥٨هـ/ ٢٢ أغسطس ١٨٤٢م؛ أحمد الدماصي، المرجع السابق، ص ٢٠٤.

(٢) السناج: هو المتكون من إحراق أقراص روث الماشية، والذي كان يتراكم على جدران بيوت الفلاحين بالوادي، انظر: تأليف علماء الفرنسية، ج ٥، المرجع السابق، ص ٣٠٠.

(٣) نفسه: ص ٣٠١.

(٤) محمد محمود زيتون: البحيرة، المرجع السابق، ص ٣٣. انظر الشكل رقم ٤.

(٥) هيلين آن ريفلين: المرجع السابق، ص ٢٧٩ - ٢٨١.

على لونين أبيض وأزرق، وكان يستخدم في صناعة الملايات والخيام^(١) وظل احتكار الحكومة لصناعة الأقمشة الكتانية الجاهزة حتى عام ١٨٣٤م عندما صرحت الحكومة ببيعه في السوق الحرة بعد دفع ضريبة عن كل قطعة^(٢).

كما كانت قرية الطرانة والبريجات وكفر داود من المراكز الهامة لغزل وصناعة المنسوجات الكتانية حيث تعددت بها الأنوال، بينما اشتهرت مبيضة النجيلة وكوم حمادة^(٣) لقربهما من المكان الذي توجد به مادة النظرون التي هي أساس عملية التبييض^(٤).

كما كانت هناك صناعة المنسوجات الصوفية^(٥) والتي حقق الوادي شهرة في صناعتها على مستوى مصر كلها، ويرجع ذلك لتوفر المادة الخام من الصوف الجيد لكثرة الأغنام، وخبرة سكان الوادي وخاصة العربان في غزل الصوف في أثناء ملاحظتهم قطعانهم، لدرجة أن محمد علي حرم عليهم بيعه لغير الحكومة وألزمهم توريده^(٦)، وقامت عليه صناعة الأحرمة والسجاجيد والطرابيش والملابس الصوفية، ووجدت إقبالاً من السوق الداخلية والخارجية^(٧).

(١) وثائق دير السريان: وثيقة رقم ١٤٥٥، ٨ رجب ١٢٣٦هـ / ١١ إبريل ١٨٢٠؛ نفسه وثيقة ١٤٥٨، ٤ صفر ١٢٣٨هـ / ٢١ أكتوبر ١٨٢٢.

(٢) هيلين آن ريفلين: المرجع السابق، ص ٢٨٢.

(٣) مديرية البحيرة: س ١١٦٥، قيد التحريات الصادرة والواردة بمبيضة النجيلة، وثيقة مادة ٦٥، ٧ رجب ١٢٦٣هـ / ٢١ يونيو ١٨٤٧، ص ١٧.

(٤) وثائق دير السريان: وثيقة رقم ١٤٥، ٨ رجب ١٢٣٦هـ / ١١ إبريل ١٨٢٠.

(٥) لمزيد من التفصيل عن هذه الصناعة انظر:

Hanna, Nelly: Incorporation and the textile Industry in 19th Century Egypt, La France, l' Egypt a l' époque des vice-rois, Institut Francais d' archéologie Orientale, Cahier de Annales islamologiques 22-2002.

(٦) ديوان خديوي تركي: دفتر ٧٤٣، من الديوان إلى رستم أفندي مأمور نصف البحيرة، ١٥ جماد الآخر سنة ١٢٤٣هـ / ٣ يناير ١٨٢٨م.

(٧) ديوان معية سنية تركي: محفظة ٩٠، ملخصات دفاتر، دفتر ٨٠، من الجتاب العالي إلى سليمان أفندي مدير نصف البحيرة، وثيقة رقم ٢١٧، ١٤ شعبان ١٢٥٢هـ / ٢٤ نوفمبر ١٨٣٦م.

؛ مديرية البحيرة: س ١١٦٥، قيد التحريات الصادرة والواردة بمبيضة النجيلة/ وثيقة ١٠١، ٣ ج أول ١٢٦٣هـ / ١٩ إبريل ١٨٤٦م

وأدى انتشار صناعة المنسوجات في الوادي إلى قيام صناعات مكملة لها، وكان من أهمها الصباغة، حيث انتشرت المصابغ في النجيلة والطرانة وكوم حمادة^(١)، وكانت تعتمد على مادة النطرون والنيلة والزعفران لتأخذ اللون المطلوب^(٢)، وبجانبها وجدت صناعة التطريز وهو زخرفة النسيج بعد نسجه بواسطة إبرة الخياطة بخيوط ملونة، غالبًا ما تكون من مادة أعلى من مادة النسيج^(٣).

صناعة الزجاج:

كما اشتهر وادي النطرون بين أقاليم مصر كلها بصناعة الزجاج ، وما ذكره روبرت هنتنجتون Huntington Robert الذي زار الوادي ما بين عام ١٦٧٨-١٦٨١م، صناعة الزجاج التي كانت تعتمد على المواد الخام الموجودة بالوادي^(٤)، وقد أشار كلود تورتشوت جرانجيه Claude Tourtechot Granger عند زيارته للوادي عام ١٧٣٠م، أنه شاهد هناك ثلاثة مصانع زجاج تقع في الجنوب الشرقي من بحيرات النطرون على الطريق إلى دير القديس الأنبا مقار (مقاريوس)^(٥).

وللأمانة العلمية والتاريخية نذكر هنا ما ذكره الرحالة أنطوان فرانسوا أندريوسي Andreossi (١٧٩٨-١٨٠١م) الذي زار وادي النطرون ووصفه لنا قائلاً: «لا يوجد أى أثر لمنشآت قديمة، إذ لم نشاهد فيما وراء البحيرة الرابعة للنطرون؛ إلا أثر مصنع للزجاج، وقد تعرفنا عليه من أنقاض أفرانه المبنية بالطوب الأحمر، ومن بعض فتات المعادن والزجاج في أشكال مختلفة. ولسنا نعرف إلى أية فترة تنتمي هذه المنشأة، وكان من الممكن أن نستدل على ذلك من نقوش

(١) ديوان خديوي: محفظة ١٢٩، ملخصات دفاتر، دفتر ٧٦، وثيقة ١١، ١٦ محرم ١٢٤٧هـ/ ٢٦ يونيو ١٨٣١، ص ٩.

(٢) محكمة رشيد: س ٢١٤، مادة ٢٨١، ١٠ رمضان ١٢٣٦هـ/ ١١ يونيو ١٨٢٠، ص ١٧٣.

(٣) مديرية البحيرة: س ١١٨٩، صادر قيد قرارات، وثيقة ٦٤، ١٦ جماد الثاني ١٢٧١هـ/ ٦ مارس ١٨٥٥م، ص ٣٦.

(٤) هيو ج. ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص ١٦٠-١٦١.

(٥) نفسه: ص ١٦٨.

الميدالية أو قطعة النقود التي عثرنا عليها هناك، لكن هذه النقوش كانت صدئة لدرجة لم يكن من السهل معها أن نفك أيًا من رموزها»^(١).

وعلى الرحالة جون جاردنر ويلكنسون الذي زار الوادي عام ١٨٤٢م أن من أسباب قيام صناعة الزجاج بالوادي يرجع إلى وفرة مادة النظرون ورمال الكوارتز، بالإضافة إلى خبرة الأيدي العاملة بالزجاج بمصنع البريجات وقرية زقيق^(٢). لدرجة وصلت إلى بناء الكولونيل ليك ما أطلق عليه بيت من الزجاج، بالقرب من زاكيك «زقيق»^(٣).

على أية حال، كانت عملية صناعة الزجاج تتم بخلط رمال الكوارتز وكربونات الكالسيوم والنظرون، ثم تتم عملية تسخين مواد الرمل والجير والصودا عند درجة حرارة معينة، حتى تتحد سيلكات الصوديوم والكالسيوم، كما كان الرصاص يخل محل الكالسيوم في صناعة أنواع خاصة من الزجاج^(٤) ومن أهم صور إنتاجه زجاج النوافذ والأواني والقارورات لحفظ العطور والصنج الزجاجية والأختام والمصابيح البلورية التي استخدمت في إنارة المساجد وكنائس الأديرة ومنازل الأغنياء^(٥). ومن الجدير بالذكر أنه وجدت منافسة بين معمل البريجات للزجاج ومعمل الإسكندرية، تفوق فيها الأخير مما أدى إلى اضمحلال إنتاجه وزواله، وخاصة بعد توسع الحكومة في إنشاء العديد من المصانع الحديثة للزجاج^(٦).

(١) تأليف علماء الحملة الفرنسية: وصف مصر - العرب في ريف مصر وصحاريها، المرجع السابق، ص ٥٤.

(٢) زاكيك أو زقيق: هي قرية تقع جنوب شرقي دير البراموس، تأسست في أواخر القرن التاسع عشر، لمزيد من التفصيل انظر: إيفلين هوايت، المرجع السابق، ج ٣، ص ١٧٨.

(٣) زاكيك أو زقيق: هي قرية تقع جنوب شرقي دير البراموس، تأسست في أواخر القرن التاسع عشر، للمزيد انظر: إيفلين هوايت، المرجع السابق، ج ٣، ص ١٧٨.

(٤) نفسه: س ٢٥٠، صادر فروع إلى عهد البريجات، وثيقة ٣١، ٢٥ محرم ١٢٦٦هـ / ١١ ديسمبر ١٨٤٩م، ص ٣٠٥؛ محمد صبيح عافية، التعدين في مصر قديماً وحديثاً، ج ٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٦، ص ٣٧٤.

(٥) نفسه: س ١٠٠٢، وارد من معمل الزجاج بالبريجات، وثيقة ٢٨٣، ٢٠ محرم ١٢٧٣هـ / ٢٩ يوليو ١٨٦٠م، ص ٢٠.

(٦) مديرية البحيرة: س ١٠٨، صادر دواوين لمحافظة الإسكندرية، وثيقة ١٤٤، ٢١ ربيع الأول ١٢٧٥هـ / ٢٩ أكتوبر ١٨٥٨م، ص ١١٢.

صناعة الحبال والخيام:

وأكد جيران على قيام بعض الصناعات البدائية بوادي النطرون ومنها الحبال والخيام^(١). اعتماداً على وفرة مادة الليف المتوافرة بأشجار النخيل، وقامت عليها عدة صناعات منها الخيام والحصير والسلال والمراكب وغيرها من الصناعات^(٢) كذلك قامت صناعة الخيام اعتماداً على المنسوجات الكتانية والحبال، وكانت سوقها رائجة داخلياً وخارجياً^(٣). وأشار جيران أيضاً إلى صناعة الزيوت والأدوات المنزلية^(٤).

صناعة الحصير:

أما صناعة الحصير فقد كانت من أهم وأشهر الصناعات الموجودة في الطرانة وكفر داود والخطاطبة^(٥)، ويرجع ذلك إلى توفر المواد الخام اللازمة لقيامها، ومنها السمار ونبات الحلفا وهما من أهم المنتجات التي تنمو طبيعياً بوادي النطرون^(٦)، بالإضافة إلى سعف النخيل والحبال والأيدي العاملة المدربة وكان الإنتاج يلقي إقبالاً في كل مصر، فضلاً عن التصدير لبعض البلدان العربية، ومنها شبه جزيرة العرب، وبلاد المغرب^(٧).

(١) تأليف علماء الحملة الفرنسية: المرجع السابق، ج ٢، ص ٧٧.

(٢) نفسه س ٨٧٥، وارد لمديرية البحيرة من مجلس الأحكام، وثيقة ٥٠ غرة محرم ١٢٧٠هـ / ١٤ أكتوبر ١٨٥٣م، ص ١١٦.

(٣) محكمة البحيرة: س ٣٧، مادة ٢٤٢، ٢٧ ربيع آخر ١٢٣٥هـ / ١٢ فبراير ١٨٢٠م، ص ٢١٢.

(٤) تأليف علماء الحملة الفرنسية: المرجع السابق، ج ٢، ص ٧٧.

(٥) سيادية: مجلس ملكية، محفظة ١، وثيقة ١١٦، ٢٢ شوال ١٢٥٠هـ / ٢١ فبراير ١٨٣٥م.

(٦) مديرية البحيرة: س ١٠٣٤، وارد ناظر قسم النجيلة، وثيقة ١٣٦، غاية ربيع الأول ١٢٨٥هـ / ٢٢ يوليو ١٨٦٨، ص ١٢٦.

(٧) سيادية: مجلس ملكية، محفظة ١، وثيقة ١١٦، ٢٢ شوال ١٢٥٠هـ / ٢١ فبراير ١٨٣٥؛ نبيل السيد الطوخي: طوائف الحرف في مدينة القاهرة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر (١٨٤١ - ١٨٩٠)، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة المنيا، سنة ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م، ص ٧٢.

صناعة السلال:

كانت السلال تصنع من ألياف النخيل وبعض أنواع القش، وتستعمل في الأسواق والمنازل^(١) وبجوارها قامت صناعة المقاطف التي زاد الطلب عليها في أثناء حفر ترعة المحمودية والرياح البحيري وألزم سكان الوادي على بتوفير الأعداد المطلوبة منهم لهذه الأعمال^(٢).

صناعة البناء والأدوات المنزلية:

من أهم صناعة مواد البناء التي استخدمت آنذاك، صناعة ضرب الطوب، حيث كان يُصنع من خلط الطين بالقش المجفف في الشمس وهو ما يعرف بالطوب (اللبن)، وأحياناً كان يتم حرقه، حيث يعرف بالطوب (الأحمر) وقد ساهم الوادي بما يقرب من عشرين ألف طوبة لبناء القناطر الخيرية^(٣)، ومن الصناعات المتصلة بالبناء صناعة نحت الأحجار وصنع الجير والجبس^(٤) بالإضافة إلى قطع الأشجار المخروطة وتحويلها إلى أبواب ونوافذ ومقاعد وصناديق ومراكب وسواقٍ وتوابيت^(٥).

صناعة الصابون:

كما اشتهر وادي النطرون بصناعة الصابون منذ أوائل القرن التاسع عشر، ولكن ذاعت شهرته بإنشاء شركة الملح والصدودا بالوادي في عام ١٨٩٩م، اعتماداً على مادة النطرون وزيت بذرة القطن والزيتون والنخيل^(٦) وتعددت أنواعه، فكان منها صابون «سلكت» للحمام، «وزفير» وكان من أجود الأنواع وانتشر استعماله في مصر، وامتاز صابون الزينة «إيليت»

(١) أحمد أحمد الحتة: المراجع السابق، ص ٢٠١.

(٢) معية سنية عربي: س ٢٥، قيد الأوامر الكريمة، أمر رقم ٣٣٧، ٦ محرم ١٢٣٤هـ/ ٥ نوفمبر ١٨١٨م.

(٣) نفسه: محفظة ٩٠، ملخصات دفاتر، دفتر ٨٠، وثيقة رقم ٧٦، ٩ رجب ١٢٥٢هـ/ ٢٠ أكتوبر ١٨٣٦.

(٤) نفسه: محفظة ٩١، دفتر ٨١، أمر رقم ٣٨٤، ١٧ صفر ١٢٥٣هـ/ ٢٣ مايو ١٨٣٧م.

(٥) محكمة رشيد: س ٣٥، مادة ١٢٨، ١٣ محرم ١٢٥٩هـ/ ١٣ فبراير ١٨٤٣م، ص ٦٥.

(٦) شركات وجمعيات: محفظة ١٧٠، مجلس الوزراء، مجموعة ٦٣، وثيقة بدون رقم، ٩ إبريل ١٨٩٩؛ انظر:

الشكل رقم ٤.

بخواص التنظيف والترطيب وصابون «ورد النيل» برائحته المعطرة ورغوته الكثيفة، بينما اعتبر صابون «كاربوليك» أنقى المواد المطهرة وأنظفها، وكانت فائدته لا تقدر أيام انتشار الأوبئة والأمراض المعدية على الأخص^(١).

صناعة الزيوت:

انتشرت معاصر زيوت الكتان والسمسم والقطن في قرى وادي النطرون، حيث كان بالطرانة والأخماس وأبو نشابة العديد من المعاصر وكانت أدوات إنتاجها بدائية^(٢) وظلت حتى أنشئت شركة الملح والصودا سنة ١٨٩٩م، فأتتجت الزيوت بطريقة علمية حديثة وتعددت أنواعها، فكان منها الزيت الفرنسي، والسلطاني والنباتين وأبو الهول، واعتمد الإنتاج على بذرة القطن، أما الزيت الممتاز للسلطة والسمن النباتي (السلطاني) فقد تم استخراجهم من زيت الفول السوداني^(٣).

صناعة الجلود:

ويرجع ما أحرزته صناعة دبغ الجلود بوادي النطرون من النجاح النسبي إلى الحصول على مادتين أوليتين هما جلود الحيوانات ومادة النطرون والملح الموجودة بكثرة بالوادي والتي تعتبر أساس الصناعة^(٤)، فاشتهرت مدايق النجيلة وكوم حمادة والطرانة^(٥)، ولكن كان يعيبها استخدام المعدات البدائية واتباع الأساليب البلدية دون اهتمام بالقواعد العلمية، ولذلك اقتصر استخدامها على الأسواق المحلية^(٦).

(١) تأليف شركة الملح والصودا: المرجع السابق، ص ١٧، ١٩.

(٢) محكمة البحيرة: س ٢٨، مادة ٧، ٣ شعبان ١٢٤٦هـ / ٩ ديسمبر ١٨٠١، ص ٤.

(٣) تأليف شركة الملح والصودا: المرجع السابق، ص ٣-١٤؛ انظر: الشكل رقم ٤.

(٤) محكمة البحيرة: س ٢٨، مادة ٣٠٧، ١٠ جمادى الأولى ١٢١٧هـ / ٨ سبتمبر ١٨٠٢م، ص ١٧٣.

(٥) نفسه: س ٢٩، مادة ٩٩٦، ١٥ صفر ١٢١٨هـ / ٧ يونية ١٨٠٣، ص ٦؛ نفسه، س ٣٧، مادة ٤٢٣، ٢٩

رجب ١٢٣٢هـ / ١٤ يونيو ١٨١٧م.

(٦) محافظ الأبحاث: محفظة ٥٨، من إبراهيم باشا إلى صانعي الجلود، وثيقة ٤٤، ٩ شعبان ١٢٤٩هـ / ٢٢

ديسمبر ١٨٣٣.

صناعة طحن الغلال:

انتشرت صناعة طحن الغلال بالوادي، وكانت مكونات المطاحن في ذلك الوقت بسيطة، حيث اشتملت على قطعتين من الحجر أسطوانيتي الشكل، تدار القطعة العلوية على السفلية بشكل رأسي عن طريق دواراة تديرها الماشية وتوضع الحبوب بينهما لتتحول إلى دقيق^(١) ومن أشهرها طاحونة بناحية الطرانة، وطاحون بناحية البريجات، وطاحون بالنجيلة^(٢).

طوائف الحرف الصناعية:

نظم العمل في الحرف والصناعات بوادي النطرون من خلال نظام طوائف الحرف الذي ظل قائماً في مصر حتى صدور قانون الباتتا (٩ يناير ١٨٩٠م) الذي أتاح مزاوله أعمال الحرف بالحصول على ترخيص من الإدارات المعنية^(٣).

وكان لكل حرفة تمارس بشكل فردي أو جماعي، صناعية كانت أو تجارية - ودون النظر للجنس أو النوع أو الدين - طائفة تنتمي إليها، كنوع من التنظيم للمحافظة على حقوق العاملين بها أو مستوى ما تصنعه أو تتاجر فيه أو تقوم بالخدمات، كما كانت تدافع عن مصالح الحرفة تجاه سلطات الحكم أو القوة المسيطرة وتجاه الحرف الأخرى وتحافظ على الرابط الداخلي وتعاقب المخالفين^(٤).

(١) مجلس الأحكام: س ٢٩/٦/١، صادر الأقاليم البحرية إلى مديرية البحيرة، وثيقة ٩٠٥٤، محرم ١٢٨١هـ/ ١٤ يونيو ١٨٦٤، ص ٣٨.

(٢) ديوان معينة سنية تركي: محفظة ٨٤، ملخصات دفاتر، دفتر ٧٥، وثيقة ٦٣٦، ٥ رجب ١٢٥٢هـ/ ١٦ أكتوبر ١٨٣٦م.

(٣) الأهرام: عدد ٣٦١٤، ١٨٩٠؛ المقطم عدد ٧٠٢، ٢٧ يونيو ١٨٩١؛ لمزيد من التفصيل انظر: ماجد عزت إسرائيل، طوائف المهن التجارية في مصر (١٨٤٠-١٩١٤م)، رسالة ماجستير، كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة القاهرة ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

(٤) محسن على شومان: اليهود وطوائف الحرف في مصر العثمانية، مجلة كلية الآداب، مجلد ٥٧، عدد ٤، جامعة القاهرة، أكتوبر ١٩٩٧م، ص ٢١٦، ٢٢٠، ياسر محاريق، المنوفية في القرن الثامن عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٠م، ص ٢٧٦.

وكانت الإدارة الحكومية تسن اللوائح التي تحدد الإطار القانوني لعملها وتضع الضوابط التي تحدد مجال اختصاصها وشروطه وكذلك تتدخل في تحديد شيوخ تلك الطوائف واعتماد تعيينهم وتنصيبهم وعزلهم وفرض العقوبات عليهم في حالة الوقوع في مخالفات^(١).

وقد شهد وادي النطرون العديد من طوائف الحرف^(٢) والمهن التجارية، منها على سبيل المثال: طائفة الصباغين والزياتين والحائكين (صناع النسيج) والنحاتين وطائفة الحصرية، وطائفة الطحانين وطائفة الفواخيرية، وطائفة الحدادين، وطائفة الحلاقين، وطائفة القماشين (تجار الأقمشة) وطائفة نجاري السواقي والتوابيت والمعصرانية^(٣) وطائفة الدباغين، وطائفة القرية (صناع القرب)، وطائفة القصابين في (الضأن، البقر، الجاموس)، وطائفة البنائين، وطائفة مبيضي النحاس، وطائفة الدخاخنية^(٤).

وهناك طوائف خدمية أخرى لم يكن هناك بد من وجودها لارتباط عملها بالزراعة والتجارة في ذلك الوقت مثل طائفة القبانة والكيالين والمعدجية والسماصرة والدالين والشيالين والمراكبية^(٥).

(١) نظارة الداخلية: محفظة ١٥، مكاتبات عربي، من رئيس المجلس الابتدائي إلى نظارة الداخلية، وثيقة بدون رقم، ١٢ شعبان ١٢٨٢هـ / أول يناير ١٨٦٦.

(2) Baer, Gabriel: Egyptian Guilds In Modern Times, The Israel Oriental Society, Jerusalem 1967. P. 78-99.

(٣) نبيل الطوخي: طوائف الحرف، المرجع السابق، ص ٤٥، ٤٦.

(4) Baer, Gabriel: Op-cit. p. 18 ؛

لمزيد من التفصيل انظر:

Ghazaleh, Pascal : Masters of the trade: Crafts and Crafts people In Cairo (1750-1850). Cairo Papers In Social Science, volume 22, Number 3, The American University in Cairo 1999.

(٥) لمزيد من التفصيل: انظر محكمة النجيلة، س ٧٣٤، مادة ٦٨، ١٦ رمضان ١٢٩٥هـ / ١٣ سبتمبر ١٨٧٨؛ محكمة رشيد، س ٢٠٧، مادة ٧٧، ١٧ شعبان ١٢٢٨هـ / ١٣ أكتوبر ١٨١٣، ص ٤٦؛ محكمة النجيلة: س ٢٠٠، مادة ٢٠، ٢١ شعبان ١٣١١هـ / ٢٧ فبراير ١٨٩٤؛ وثائق دير السريان، وثيقة رقم ٤٨٥، ٢٠ شوال ١٢٨٩هـ / ٢١ ديسمبر ١٨٧٢م؛ ماجد عزت إسرائيل، المرجع السابق، ١٥٤، ١٦١.

الفصل الرابع
النشاط التجاري
ففي وادي النطرون
كما صوّره الرحالة

الفصل الرابع

النشاط التجاري في وادي النطرون كما صوّره الرحالة

شهد وادي النطرون - مثلما شهدت باقي أقاليم مصر - خلال فترة الدراسة تغيرًا في النشاط التجاري، وقدم الرحالة والمؤرخون القدامى الزائرون لوادي النطرون، وصفًا دقيقًا لهذا النشاط، فسجلوا مشاهداتهم سواء من ناحية الطرق التجارية البرية والمائية والسكك الحديدية، والقوافل التجارية، والأسواق، وفئات التجار وتجارهم، وتجارة النطرون بكل أنواعه وأهميته وأثره في سوق التجارة العالمية، ومشكلاته وطرق حلها، والتبادل التجاري بين وادي النطرون والأقاليم الأخرى سواء داخل مصر أو خارجها، وهذا ما سوف نتعرض له في هذا الفصل.

الطرق البرية

تعرض بعض الرحالة الزائرين لوادي النطرون لوصف تفصيلي للطرق البرية التي مثلت شريانًا للتجارة ورابطًا لجهود الجماعات البشرية، فذكر الرحالة أنطوان فرانسوا أندريوسي Andreossy (١٧٩٨-١٨٠١م) تعدد الطرق البرية المؤدية إلى وادي النطرون، فكان منها الطريق القديم الذي يربطه بالدلتا في شرقه، فعند الرحيل من الطرانة يتخذ الطريق اتجاهه من الشرق إلى الغرب، في أرض صلبة يتغطى بالحصى والزلط، المختلف الألوان، وقد نسفت الرياح الرمال من هذه الأرض حتى تحولت إلى ممر جبلي بالغ الانخفاض، وبعضها تحول إلى تلال عند قرية بني سلامة وما قاربها، وغطت مقدارًا من أرض زراعية وكان يستمر من الطرانة في اتجاه شمالي غربي ليسير نحو ساعتين حيث يبدأ الطريق في الاستقامة عند مكان يعرف برأس البقرة، ويمضي نحو الشمال الغربي، مع ميل كبير إلى جهة الغرب، ومن هنا يهبط المسافر إلى مكان خرب عرف باسم «القصر» مربع الشكل مبنى من قطع صغيره من ضمنها النطرون وفي

كل زواياه من زاوية برج؛ ويستطيع المرء أن يرى من هذا المكان أديرة وادي النطرون^(١).
والجدول التالي يوضح أطوال الطرق طبقاً لما وصفه الرحالة أندريوسي التي كانت تخترق
الوادي أو كانت تربطه مع ما يجاوره:

جدول (١/٤)^(٢)

المسافة المقطوعة مُبَيَّنَةً بأمتار أو مقدرة بالساعات	عدد الأمتار	عدد الساعات	ملاحظات
من الطرانة إلى القصر	-	١٢	بالنسبة للقوافل
من القصر إلى البحيرة	٦٢٨	-	
من القصر إلى الطرف الجنوبي للبحيرات	-	١,٥	
من القصر إلى الطرف الشمالي	-	٤	
من القصر إلى دير البراموس	٧٢٣١	-	
من القصر إلى دير السريان	٧٤٣٠	-	
من دير اليراموس إلى السريان	٩٢٥٨	-	
المسافة بين دير السريان والأنبا بشوي	٤٤٤	-	
من دير السريان إلى دير الأنبا مقار	-	٣	حسب الاستدلال
من دير اليراموس إلى النهر بلا ماء	-	١,٥	
من دير السريان إلى النهر بلا ماء	-	١,٥	حسب الاستدلال
من دير الأنبا مقار إلى النهر بلا ماء	-	١	مع الاتجاه شمالاً
من دير الأنبا مقار إلى وردان عن طريق ميت سلامة	-	١١	وجنوباً حسب الاستدلال

(١) تأليف علماء الحملة الفرنسية: المرجع السابق، ج ٢، ص ٤٦؛ على مبارك: الخطط التوفيقية، ج ١٧، المرجع السابق، ص ٤٨-٥٦.

(٢) تأليف علماء الحملة الفرنسية: المرجع السابق، ج ٢، ص ٧٧.

من الجدول السابق يتضح لنا أن الوادي كان يرتبط بوادي النيل عند الطرانة، التي كان ضمن القرى التابعة لها، كما ارتبطت بمديرية البحيرة في الشمال، والجيزة في الجنوب بواسطة قرية وردان بطريق بني سلامة.

وقد أشار الرحالة إيفلين هوايت أن وادي النطرون ارتبط بطريق تجاري بري مع البحر المتوسط بواسطة درب الحاج مغربي الذي كان يخترق الوادي من الشمال إلى الجنوب محاذيًا لشرق المنخفض، وكانت تسلكه القوافل التجارية والحجاج المسلمون من الجهات الشمالية والشمالية الغربية من القارة الإفريقية مسافرين لأداء مناسك الحج عبر القاهرة، مما جعل بالوادي حركة وصل لتجارة المرور ما بين القاهرة والإسكندرية^(١)، كما كان يوجد إلى الشرق من الطريق السابق طريق صحراوي كثيرًا ما كانت تسلكه جماعات الرهبان والعربان بالغرب من الطرانة^(٢) بالإضافة إلى طريق آخر جنوب السابق يصل الدلتا عند أبو نشابة - الخطاطبة مباشرة وما بجوارها من نواح مثل أتريس ووردان وكان هذا الطريق مفضلًا عن الطريق السابق حيث وصفه هوايت قائلًا: « أن هذا الطريق كان أكثر أمنًا واستقرارًا »^(٣)، على أية حال أدى تفرع طريق درب الحاج مغربي عند دير الأنبا مقار إلى دروب وطرق ومسالك أخرى إلى ربط وادي النطرون يقسم النجيلة وبالقرى الشمالية؛ مما ساهم في نشاط التجارة الداخلية بين نواحي الوادي^(٤).

على أية حال، وجد طريق وصفه الرحالة ثيوفنت Thevenot الذي زار مصر ووادي النطرون عام ١٦٥٧ م، عرف بطريق « الملائكة » وهو طريق ممتد إلى البرية الغربية. وقد أعانا جوهان ميشيل فانسليب Johann Michael Vansleb الذي زار وادي النطرون في سنة ١٦٧٢، وصفًا دقيقًا لطريق الملائكة حيث أخبره أحد ربيته أديرة وادي النطرون بنقاط عديدة ذات

(١) إيفلين هوايت: المجلد الثالث، المرجع السابق، ص ٣-١١.

(٢) وثائق دير السريان: وثيقة رقم ١٤٥٤، شوال ١٢٣٩هـ/ مايو ١٨٢٤م.

(٣) إيفلين هوايت، ج ٣، المرجع السابق، ص ٣-١١.

(٤) مديرية البحيرة: س ٣٢٥، صادر الفروع إلى ناظر العربان، وثيقة رقم ٢٠٣، ٢ ربيع أول ١٢٧٠هـ/

٣ ديسمبر ١٨٥٣م، ص ١١٢.

أهمية تشاهد في البرية. وأول هذه النقاط في طريق الملائكة طريق يربط بين دير القديس الأنبا مقار (مقاريوس) والأنبا بيشوي، ومن هناك على بعد مسافة صغيرة في البرية يمتد خط طويل من الروابي على مسافة بضعة خطوات بين بعضها البعض، وتشكل نوعاً من الطريق، وطبقاً للرهبان شكلت شكل الملائكة، وهذا الدرب يرتاده المتوحدون إلى الكنيسة أيام الآحاد، ولهذا السبب أطلق عليه «الملائكة»^(١). وقد وصف ذات الطريق الأب كلود سيكار Gloud sicard الذي زار أديرة وادي النظرون ١٧١٢م، حيث ذكر قائلاً: « طريق الملائكة عبارة عن خط طويل من أكوام صغيرة من الحجارة ويفصل كل كوم من الأكوام مسافة تكاد تكون سفر عدة أيام من الجنوب للشمال. وفي نفس المنطقة أشار إلى ربوة أو تل صغير^(٢) يدعي عمود الشياطين، اعتادت الشياطين أن تكمن هناك للتسخير من الرهبان وتحاول أن تضلهم عن طريقهم للأديرة»^(٣).

كما وجد طريق بري يربط ما بين وادي النظرون العامرية التي تقع غرب الإسكندرية بحوالي ٣٠ كم بمدينة مرسى مطروح، كما كان هناك طريق من القاهرة إلى الوادي يقع إلى الغرب من جبل رزة ويبلغ طوله ١٣٠ كم نفس طول طريق الإسكندرية العامرية وادي النظرون؛ وكان هذا مفضلاً؛ إذ كان يتجنب البحيرات التي تقع في الوادي^(٤).

وهناك طريق ساحلي زاد نشاطه التجاري في عهد الاحتلال البريطاني لمصر يربط ما بين الوادي بالإسكندرية بالسلم ثم يتصل بالطريق الساحلي الممتد لشمال إفريقيا وكان يطلق عليه اسم «طريق السيارات الخديوية» ويبدأ من الإسكندرية إلى الحمام إلى سيدي عبد الرحمن

(١) هيو ج. ج. إيفلين هويت: المرجع السابق، ص ١٥٨-١٥٩.

(٢) التل: هو عبارة عن أراض شبة هرمية أو قبابية الشكل ترتفع عما حولها، وتختلف عن الجبل من حيث الارتفاع والحجم إذ يتراوح ارتفاعه ما بين ٢٠٠م إلى ألفي قدم فوق مستوى سطح الأرض المجاورة له، كما تزيد درجة انحدار جوانبها عن خمس درجات.

(٣) هيو ج. ج. إيفلين هويت: المرجع السابق، ص ١٦٦.

(٤) محمود على سيف: المرجع السابق، ص ٢٩.

إلى الضبعة^(١) ثم إلى رأس الكنائس ثم مرسى مطروح ليلتقي مع طريق وادي النطرون مرسي مطروح السالف الذكر فسيدي براني فالسلوم، ويبلغ طوله ٥٣٠ كم، وكان هذا الطريق جافاً مترباً يصلح لسير العربات عليه ولكنه يصبح موحلاً لزجاً في كثير من أجزائه بعد سقوط الأمطار التي كانت عادة تسقط خلال الفترة ما بين ديسمبر ومارس^(٢).

كما ارتبط وادي النطرون بالوحدات البحرية وواحة سيوه^(٣) بطريق بري يعرف بـ«درب القوافل» ويبدأ من الواحات البحرية من مدينة البويطى ويمر بقرية زابو ومنديشة في اتجاه شمالي شرقي وبالتحديد شرق خط طول ٢٩ شرقاً، وينتهي في درب الحاج مغربي شمال الوادي ويمر بالقويرات السود ويتجه غرباً إلى المغرة شرق منخفض القطارة ثم يمر ببئر أبي غرادق ويخترق منخفض القطارة إلى بئر قارة غرب المنخفض ثم يتجه إلى الجنوب بعد هذا البئر إلى بئر تيغيع حيث يتجه غرباً إلى عين زيتون، فواحة سيوه^(٤).

أما في شرق وادي النطرون فيوجد طريقان - لربط الوادي بمراكز مديرية البحيرة - يتفرعان من الطريق الصحراوي مصر - الإسكندرية، وأحدهما يبدأ شمال النهيدات ويتجه

(١) الضبعة: من القرى التي تقع على ساحل البحر المتوسط، وصدر لها قرار في ٧ مايو ١٩٠٦ بأن تصبح مركزاً تابعاً لمرسى مطروح، للمزيد انظر: محمد رمزي، ق ٢، ج ٢، المرجع السابق، ص ٢٣.

(٢) فاطمة علم الدين عبد الواحد: تطور النقل والمواصلات الداخلية في مصر في عهد الاحتلال البريطاني ١٨٨٢-١٩١٤ م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٩ م، ص ١٤٥.

(٣) واحة سيوه: تقع في منخفض يبلغ ٧٠ قدماً عن مستوى سطح البحر، وهي على بعد ٣٠٠ ميل غرب وادي النيل وعلى بعد ١٩٠ ميلاً جنوب غربي مرسى مطروح ويبلغ عرضها من أربعة إلى خمسة أميال، طولها ٣٠ ميلاً، وأغلب المساحة أراضٍ رملية، وتتكون من واحات متقاربة أهمها سيوه - المراعى - أغورمي - أبو شروف - قريشت، وأهم مدنها سيوه وأغورمي، وهي تتبع البحيرة بالمنشور رقم ١٢: الصادر في ١٩ يناير ١٨٩٨، وبتاريخ ١٣ فبراير سنة ١٩١٥، صدر قرار بإنشطة مأمورية سيوه بموظف من ضباط خفر السواحل بدلاً من إناطتها بمأمور من موظفي الداخلية، وللمزيد انظر: محمد رمزي، ق ٢، ج، المرجع السابق، ص ٢٣؛ فاطمة علم الدين، المرجع السابق، ص ١٤٢.

(٤) محمود على سيف، المرجع السابق، ص ٣٠.

إلى الشمال الشرقي إلى الدلنجات^(١) وإيتاي البارود^(٢) والآخر يبدأ من عند علم شلتوت إلى أبو المطامير في محافظة البحيرة^(٣).

ويعتبر الطريق الذي شقته الحكومة بين مصر والإسكندرية من الطرق الحديثة وهو المسمى بالطريق الصحراوي ويبعد ١٠٢ كم من القاهرة ونحو ١٢٢ كم من الإسكندرية، ويبعد الطريق عن الوادي نحو ثلاثة كيلو مترات في طريق مرصوف ثم نحو ٧ كم إلى منتصف الوادي، وعند اتصال الطريق أقيمت استراحة وفنار لهداية السيارات ليلاً^(٤) وكان لهذه الطرق البرية أهمية استراتيجية فعن طريقها تمكنت قوات الدراويش من السودان، غزو مصر عدة مرات خلال ثمانينيات وتسعينيات القرن التاسع عشر^(٥) كما تمكن أحمد السنوسي من خلالها من احتلال جميع واحات مصر وتهديد أهالي وادي النطرون في الصحراء الغربية؛ وعن طريقها أمكن للقوات المصرية أن تتحرك وتهزم المغيرين سواء الدراويش أو السنوسيين، حيث أرسلت قوات عام ١٩١٥ م إلى وادي النطرون والفيوم لمراقبة الدروب القادمة من الغرب^(٦).

(١) طريق الدلنجات: أنشئ في سنة ١٨٧١، وجعل مقره بلدة الدلنجات، وكانت دائرة اختصاصية في ذلك الوقت، تشمل عدة بلاد من مركزي دمنهور والنجيلة، وبقي بها إلى أن نقل ديوان المركز إلى إيتاي البارود في سنة ١٨٤٤، مع بقاء المركز باسم الدلنجات، إلى أن ألغي هذا الاسم أيضاً سنة ١٨٩٦، بتسميته بمركز إيتاي البارود، وفي سنة ١٩٠١ صدر قرار بإعادة تكوين مركز الدلنجات كما كان، ولا يزال بها إلى اليوم، للمزيد انظر: محمد رمزي، المرجع السابق، ص ٢١ - ٢٢.

(٢) إيتاي البارود: لما رُؤي أن بلدة الدلنجات واقعة في النهاية القريبة من بلاد مركز الدلنجات، وبعيدة عن طريق السكة الحديدية، أصدرت نظارة الداخلية في سنة ١٨٨٤، قراراً بنقل مركز الدلنجات إلى مركز إيتاي البارود، لمزيد من التفصيل انظر: نفسه.

(٣) محمود على سيف، المرجع السابق، ص ٣٠.

(٤) أنطونيوس الدويري: المرجع السابق، ص ١٥.

(٥) لمزيد من التفصيل انظر: فاطمة علم الدين، المرجع السابق، ص ١٥٠.

(٦) وثائق دير السريان، وثيقة بدون رقم، سنة ١٩١٦.

الطرق المائية:

لنقل النهري أهمية خاصة في وادي النطرون، فلم تقتصر أهمية نهر النيل على دوره المعروف للزراعة والإنسان، بل جمع إلى ذلك كونه طريقاً تجارياً تنقل عبره البضائع والمسافرون، فقد كان هو والنقل البري الوسيلتين الوحيدتين تقريباً للنقل بين أجزاء وادي النطرون.

فارتبط وادي النطرون بمدينة القاهرة بطريق تجاري نهري سمي بطريق القاهرة- الطرانة ويبدأ من ميناء بولاق النهري حيث مخازن الغلال والبضائع والملح والنطرون وغيرها، ويستمر حتى يتفرع النيل إلى فرعين هما دمياط شرقاً ورشيد غرباً، فتتخذ المراكب الفرع الأخير حتى تصل إلى قرية الطرانة، وتكون المراكب قد قطعت مسافة يبلغ طولها ٥٠ ميلاً، وبعدها تفرغ المراكب شحنتها، لكي تنقل بواسطة قوافل الجمال إلى وسط الوادي^(١) وتقتصر أهمية الطريق على نقل المسافرين والمواشي والبضائع وأهمها (الملح والنطرون) لتسويقها بالقاهرة^(٢). يوهذا الطريق وصفه الرحالة ثيوفنت Thevenot الذي زار مصر ووادي النطرون عام ١٦٥٧ م، حيث ذكر عنه قائلاً: « كان الرهبان أو الكاشف المحلي أو عرب الصحراء يقومون بمهمة توصيل الزائرين لوادي النطرون عبر طريق القاهرة الطرانة النهري الذي شكل أهمية لكونه موصلاً تجارياً للنطرون والغلال والملح من الوادي إلى بولاق بالقاهرة»^(٣). وربما اعتقد أنه ذات الطريق الذي وصفه الأب كلود سيكار الذي زار وادي النطرون عام ١٧١٢ م حيث ذكر قائلاً: «بدأت رحلتي لوادي النطرون من بولاق في ٥ ديسمبر ١٧١٢ م في صحبة رئيس دير القديس الأنبا مقار، وأبحرنا في فرع رشيد إلى الوردان ومن هناك إلى عزبة إتريس حيث مقر دير الأنبا مقار (مقاريوس)^(٤)».

(1) Wilkinson, J. G: A handbook for Travelers in Egypt, London, 1867.p.p 223-229

الوقائع المصرية عدد ٥٦، ٢٨ ربيع أول ١٢٦٤هـ / ٢٧ سبتمبر ١٨٢٩؛

(٢) مديرية البحيرة: س ٢٠، وثيقة ٣٣٦، ٢٢ شعبان ١٢٦٤هـ / ٢٨ يوليو ١٨٤٨ م، ص ١٦٠٨.

(٣) هيو ج. ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص ١٥٨.

(٤) سمعان السرياني، الراهب: المرجع السابق، ص ٩٢-٩٣.

كما ارتبط وادي النطرون بميناء رشيد الذي كان منفذاً لتجارته الداخلية والخارجية عبر النيل، حيث الطريق المسمى (رشيد - الطرانة) ويبدأ من الطرانة فبعد أن تتم عملية شحن المراكب تسير نحو الشمال حتى تصل إلى ميناء رشيد، وبعدها تفرغ المراكب حمولتها لتسويقها محلياً أو لشحنها في مراكب أخرى أوروبية لتسويقها خارجياً^(١).

وكان لإعادة حفر ترعة المحمودية سنة ١٨١٨ م أو جعل مخرجها عند العطف بدلاً من الرحمانية دور في ربط وادي النطرون بمدينة الإسكندرية، التي أصبحت بفضل تلك التربة أكبر ميناء لمصر على البحر المتوسط، وعن طريقها راجت التجارة الخارجية وبسببها ازداد الإنتاج الزراعي، حيث ارتبط الوادي بها بطريق يبدأ من الطرانة حتى العطف، وبعدها يتخذ اتجاه ترعة المحمودية حتى يصل إلى الإسكندرية^(٢).

السكك الحديدية:

كما سجل لنا الرحالة أوديون Odion القيمة الاقتصادية والاجتماعية لإنشاء شركة الملح والصودا عام (١٨٩٩ - ١٩٤٧)^(٣)، بوادي النطرون حيث وصف دورها الهام في ربط الوادي بالدلتا عن طريق خط سكة حديد يمتد بين الخطاطبة والوادي^(٤)، ويبدأ هذا الطريق من بلدة الخطاطبة ومنها شمالاً فيمر ببحيرات الحمراء والزجم، وجنوباً لناحيتي كفر داود وبني سلامة وبحيرات روزينة وأم ريشة والفايدة وغرباً من أجل استخراج الأحجار الجيرية التي للشركة

(١) محكمة رشيد: س ٢٠١، مادة ٤٨٩، غرة ذي القعدة ١٢١٨ هـ/ ١٣ مارس ١٨٠٤، ص ١٧٩.

(٢) محافظ أبحاث: محفظة رقم ١١٩، معية تركي، دفتر ٤٦٤، مكاتبة رقم ١٦٢٧ محرم ١٢٦٥ هـ/ ١٢ ديسمبر

١٨٤٨؛ سجلات الخوض والمحمودية، س رقم ١٤٢، وثيقة بدون رقم، أول يناير ١٨٨٤، ص ١-٢.

(٣) سميت المنطقة التي قامت فيها الشركة باسم الهوكرية نسبة إلى مستر هوكر الذي كان من أوائل موظفيه.

(4) Odion: Notes about wadi El Natrun factuality of soilhaull Birmingham university , England, 1999.

بالإضافة إلى خدمة النواحي التي يمر بها مثل منطقة بئر فكتوريا^(١) وأبو نشابة والوردان^(٢) وما يجاورها، ومن أجل نقل حاصلات النطرون والعاملين من الوادي إلى الدلتا^(٣). ولا ننكر أن شركة الملح والصودا جذبت عددًا كبيرًا من المهاجرين إليها ولإقامة بالوادي وقراها^(٤). وأشار الرحالة عمر طوسون الذي زار وادي النطرون عام ١٩٣١ م إلى تعدد طرق المواصلات إلى وادي النطرون ساهمت تنمية الوادي اقتصاديًا^(٥).

القوافل التجارية:

لما كانت الشاحنات التجارية تتعرض في أثناء انتقالها عبر الطرق المائية لكثير من المخاطر الأمنية حرص التجار على إرسال جزء من تجارتهم بالمركب وجزء آخر بالقوافل، وقد ساعد الموقع الجغرافي لوادي النطرون على تعدد المسالك والبلدان التي انطلقت منها القوافل التجارية إليه أو منه، فكان بعضها داخليًا والبعض الآخر خارجيًا:

- قوافل التجارة الداخلية:

- قوافل النطرون :

قدم الرحالة أنطوان فرانسوا أندريوسي Andreossi وصفًا تفصيليًا لقوافل النطرون حيث ذكر أن استغلال النطرون كان جزءًا من التزام الطرانة، وكان يتم نقل النطرون في الفترة ما بين البذر والحصاد أي ما بين أكتوبر ويونيو^(٦)، وأكدت الوثائق والرحالة على أن طريق القوافل

(١) أنطونبوس الدويري: المرجع السابق، ص ١٩.

(٢) وردان: هي من القرى القديمة، تنتسب إلى وردان الرومي مولى عمرو بن العاص وقد قتل في الإسكندرية سنة ٥٣ هـ / ٦٥٥ م قتله الروم في أثناء ولايته عليها، وبسبب خراب هذه القرية التي كانت واقعة في حاجر الجبل الغربي، وورد ذكرها في معجم البلدان بإسم وادي وردان موضع بمصر، ورد ذكرها في قوانين ابن مماتي وفي تحفه الإرشاد بإسم خراب وردان بحوف رمسيس، وبعد ذلك أنشئت القرية الحالية على شاطئ النيل فعرفت بإسم وردان، للمزيد انظر: محمد رمزي، ق ٢، ج ٣، المرجع السابق، ص ٦٦.

(٣) وثائق دير السريان: وثيقة رقم ٤٨٣، ١٩ إبريل ١٨٩٥ م

(4) Odion: Notes about wadi El Natrun factuality of soilhaull Birmingham university , England, 1999.

(٥) عمر طوسون: المرجع السابق، ص ١٥-٢٠.

(٦) تأليف علماء الحملة الفرنسية، ج ٢، المرجع السابق، ص ٥٠؛ عمر طوسون، المرجع السابق، ص ١٨.

كان يبدأ من الطرانة إلى الوادي، حيث تحتشد قوافله في الطرانة^(١). وتتألف كل قافلة عادة من ١٥٠ جملاً ومن ٥٠٠ - ٦٠٠ حمار، وتسافر مع طاقم مسلح لحراستها عند غروب الشمس، وتصل إلى الوادي في صباح اليوم التالي، ويتم تحميل النطرون ثم تعاود الرحيل^(٢).

ويذكر أندريوسي قائلاً: «في أثناء العودة تتوقف القافلة في منتصف الطريق (منطقة الهوكيرية حالياً)^(٣)، وتوقد النيران بروث حمير القافلة وجمالها التي مرت قبلها، للتزود بقليل من الخبز، وذلك بعجن الدقيق في طبق من الخشب، ثم بإنضاج العجين وتسويته على النار^(٤)، وبعدها يأكلونه ويشربون القهوة ويدخنون في الغلايين، وينامون لبضع ساعات، ويشكل قائد طاقم الحراسة ومرشدها نقاط حراسة حولها لكي تظل القافلة في حمي ضد العربان^(٥) وبعد ذلك تسير القافلة في طريقها وترجع إلى الطرانة في صبيحة اليوم الثالث^(٦).

ويقدر ما تحمله القافلة الواحدة بستمئة قنطار من النطرون، كل قنطار منها يزن ٤٨ أقة^(٧) والطرانة هي مستودع النطرون وينقل منها في المراكب إلى القاهرة أو الإسكندرية أو رشيد أو من الميناءين الآخرين إلى أوروبا^(٨).

(١) وثائق دير السريان، وثيقة رقم ٧٠٧، أواخر جماد الآخر ١٢٣٦هـ / ٤ إبريل ١٨٢١م؛ مديرية البحيرة، س ٨٩٠، وارد من ناظر قسم النجيلة، وثيقة ٣٨٦، ٢٧ جماد الثاني ١٢٧١هـ / ١٨ مارس ١٨٥٥م.

(٢) تأليف علماء الحملة الفرنسية، ج ٢، المرجع السابق، ص ٤٩ - ٥٠؛ عمر طوسون، المرجع السابق، ص ١٨. (٣) شركات وجمعيات: محفظة ١٧٠، مجلس الوزراء، بخصوص شركة الصودا، ٩ إبريل ١٨٩٩.

(٤) عمر طوسون: مرجع سابق، ص ١٨.

(٥) مديرية البحيرة: س ٤٢٢، صادر فروع لضابط العربان، وثيقة ٨٥، ٢٥ محرم ١٢٨٣هـ / ٩ يونيو ١٨٦٦م، ص ٥٣.

(٦) مديرية البحيرة: س ٢٤٢، صادر فروع إلى متعهد البريجات، وثيقة ١٧، غرة جمادى الثاني ١٢٦٥هـ / ٢٣ مايو ١٨٤٩، ص ١١٢١.

(٧) الأفة: تساوي ٤٠٠ درهم أو رطلين ونصفاً، انظر: مجلس الوزراء، محفظة ١/أ، مصلحة المساحة، لجنة تعديل المقاييس والمكايل والأوزان، وثيقة بدون رقم، جماد الآخر ١٣٠٤هـ / فبراير ١٨٨٧م، ص ٢٨، ٢٩، ٣٠.

(٨) ديوان المجلس الخصوصي: محفظة ٢٤، وثيقة بدون رقم، ١٨ جماد الآخر ١٢٩٢هـ / ٢١ يوليو ١٨٧٥م.

ومن الجدير بالذكر أن نظام هذه القوافل استمر حتى إنشاء شركة الملح والصودا سنة ١٨٩٩م بالوادي ومعها أنشئ خط سكة حديد لحمل النطرون من البحيرات إلى الشركة مباشرة، واستمرت الأوضاع حتى سنة ١٩٤٧م^(١).

وذكر الرحالة عمر طوسون الذي زار الوادي عام ١٩٣١م أن توسع الأوروبيين في تصنيع النطرون إلى عدة منتجات كالبارود وتبييض الكتان واستخدامه في حفظ اللحوم أن اعتبروه سلعة اقتصادية بالغة الأهمية، ولذا اشتد عليه الطلب من جميع أنحاء العالم^(٢) على نحو ما وصف سيور دو بولاري لوجوز Sieur De Boullary LeGouz الذي زار وادي النطرون عام ١٦٤٩م، حيث ذكر أن النطرون كان يتم تصديره إلى فافر، كما أشار أيضًا أندريوسي إلى تصديره عام ١٧٨٨م إلى مرسيليا - بكميات هائلة وكذلك إلى البندقية ولجهورن بإنجلترا وإلى النمسا وغيرها، مما شكل مصدرًا مهمًا للخزينة المصرية، فكانت للوادي أهمية اقتصادية كبرى، وهذا ما أكدته الوثائق والمخطوطات وأقوال الرحالة^(٣).

وذكر الرحالة أندريوسي أن فاقد وزن النطرون نتيجة عمليات الشحن والتفريغ يقدر بنحو (١ ٪)، وكان فلاحو قري الطرانة الستة الميري المقدر من عليهم نقل النطرون، وإذا ما حدث نتيجة لظهور العربان أو بفعل أحداث أخرى أو عانى استغلال النطرون بعض التعطيل، يدفع الفلاحون عشرة بارة عن كل قنطار كان مقدراً أن ينقلوه، ويبيع النطرون في مصر بسعر القنطار زنة (٣٦) أقة، بخردة واحدة والتي تساوي بدورها تسعين بارة، وكان المشتري يدفع أجرة الشحن النهري، وعلى الملتمزم توفير طقم الحراسة وتسليحهم، ويدفع لهم أجورهم^(٤).

(١) شركات وجمعيات: محفظة ١٧٠، مجلس الوزراء، بخصوص إنشاء شركة الملح والصودا، ٩ إبريل ١٨٩٩م.

(٢) عمر طوسون: المرجع السابق، ص ١٥-٢٠.

(٣) هيو.ج.ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص ١٥٧.

(٤) تأليف علماء الحملة الفرنسية، ج ٢، المرجع السابق، ص ٥٠-٥١.

- قوافل الأديرة:

قدم الأب كلود سيكار Gloud sicard، الذي زار أديرة وادي النطرون عام ١٧١٢م وصفاً تفصيلياً لقوافل الأديرة، حيث يقول: «كانت قافلة دير الأنبا مقار (مقاريوس) تتكون من عشرة حمير، ويُقدَّر ما تحمله القافلة بنحو طن من الحبوب والأرز والعدس والبقول والسمك المملح (الفسيخ) والشمع والبخور، وكانت القافلة برئاسة رئيس الدير وأحد الرهبان ودليل من بدو وادي النطرون».

وقد أشار الرحالة إيفلين هوايت إلى أن قوافل وفدت إلى أديرة وادي النطرون كانت شبه تجارية^(١)، وهذا ما أكدت عليه الوثائق ومثال ذلك قوافل دير السريان وكان رحلتها تبدأ من أتريس^(٢) جنوب الوادي حيث توجد مزرعة الدير^(٣)، وتسير في طريق صحراوي حتى يتفرع طريق درب الحاج مغربي إلى درب ومسالك، عند دير الأنبا مقار وتفرغ الشحنة وتنام القافلة بضع ساعات وفي الصباح تستكمل رحلتها لمسافة نحو ١٠ كم حتى تصل إلى دير السريان^(٤).

وأكد الرحالة أوديون Odion الذي زار الدير في أوائل القرن العشرين، أن القافلة كانت تحمل معها مستلزمات الدير^(٥)، من قمح وعدس وزيت ودخان وقهوة وفلفل وصابون وسكر وأوانٍ نحاسية وأقمشة^(٦) وتعود من الدير إلى دير الأنبا مقار إلى أتريس محملة بالسلال والحصير ومنتجات الدير من الزيتون أو الملح لكي يتم تسويقه^(٧).

(١) هيو ج. ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص ١٦٤-١٦٥.

(٢) أتريس: هي من القرى القديمة، ذكرها أميلينو في جغرافيته وقال إن اسمها القديم Atyip، وهو يتفق مع اسمها العربي في التحفة من أعمال البحيرة، لأنها كانت تابعة لها في ذلك الوقت لقربها من حدودها الجنوبية؛ محمد رمزي: ق ٢، ج ٣، المرجع السابق، ص ٥٣، انظر ملحق ١٠.

(٣) وثائق دير السريان: ملف القوافل، وثيقة رقم ٦٢١، ١٦٠٣ ش / ١٨٨٧، انظر ملحق ١٠.

(٤) نفسه: وثيقة ٦٤٥، ٩ رمضان ١٢٩١ هـ / ٣٠ أكتوبر ١٨٧٤ م.

(5) Odion: Notes about wadi El Natrun factuality of soilhaull Birmingham university , England, 1999.

(٦) وثائق دير السريان: وثيقة ١٣٠٥، ٤ النسي ١٦٠١ ش / ١٨٨٥ م.

(٧) نفسه: وثيقة ٨٧٨، ١٨ برمودة ١٥٩٩ ش / ١٨٨٣ م.

واعتماد بعض العربان القيام بقيادة مثل هذه القوافل لخبرتهم وحنكتهم في الحفاظ على سلامة القافلة من التعرض للنهب، كما كان يتم الاتفاق مسبقاً ما بين الربيطة (المسئول عن شئون الدير الإدارية) والقادة مقابل الحصول على أجر عيني ومادي^(١) ومن هؤلاء عامر شريعة وطنطاوي البدوي وأبو عطية^(٢).

على أية حال، فقد كانت دروب قوافل الجمال التي تصل الوادي بإتريس تسير وسط كثبان رملية من الصعب معرفتها إلا بواسطة مَنْ أَلْفَهَا من العربان الذين ينتشرون في المنطقة، ولا يستطيع السير فيها إلا الجمال، فهي بطيئة الحركة وليست سريعة، كما أنها تخلو من العيون والآبار المائية إلا على مسافات طويلة مما يعرض المسافرين وجمالهم للظم^(٣).

كما كانت هناك قافلة أخرى تأتي من ناحية كفر داود إلى دير الأنبا بشوي بوادي النطرون، وتبدأ رحلتها من كفر داود الواقع على وادي النيل جنوب الطرانة، حيث توجد مزرعة الدير^(٤) وتسير في الشمال حتى الطرانة، وتتجه بعدها نحو الشمال الغربي في طريق صحراوي حتى تصل إلى بئر فكتوريا وتتوقف، وتنام القافلة ليلتها حتى الصباح، وتزود بقليل من الماء والغذاء وتواصل سيرها حتى تصل إلى دير الأنبا بشوي، وأحياناً كانت تستكمل رحلتها إلى دير السريان الذي يبعد نحو كيل متر، بعد أن تكون قد قطعت مسافة تقدر بنحو ٥٠ كم^(٥).

وتمثلت حمولة القافلة إلى الدير، في السكر والحبوب كالأرز والقمح والفول والشعير والدخان، إلى جانب الأواني الفخارية والنجاسية والزيت والصابون وأنواع من الأقمشة، حيث كانت تعود محملة بمنتجات رهبان الدير من السلال والحصير والصوف، أو حاصلات الوادي من الملح والنطرون والجلود والأصواف^(٦).

(١) نفسه: وثيقة ٦٧٧، ١٩ مسرى ١٥٩٦ ش / ١٨٨٠ م.

(٢) نفسه: وثيقة ١٣٠٥، ٤ النسي ١٦٠١ ش / ١٨٨٥ م؛ وثيقة رقم ٧٤١، ١٥٩٦ / ١٨٨٠ م.

(٣) نفسه: وثيقة ٦٣٢، ٤ من ذي القعدة ١٢٩١ هـ / ١٣ ديسمبر ١٨٧٤ م.

(٤) وثائق دير السريان: وثيقة رقم ٦٧٦، ٢٢ ذي القعدة ١٢٩١ هـ / الأول من يناير ١٨٧٥ م.

(٥) نفسه: وثيقة رقم ٧٨١، ١٧ ربيع أول ١٣٠١ هـ / ٦ يناير ١٨٨٤؛ نفسه، وثيقة ٧٤١، سنة ١٥٩٦ ش / ١٨٨٠ م.

(٦) وثيقة رقم ٦٧٦، ٢٢ ذي القعدة ١٢٩١ هـ / الأول من يناير ١٨٧٥؛ نفسه، وثيقة رقم ٦٣٤، ١٣ يوليو

١٨٩٧ م.

قوافل التجارة الخارجية:

- قوافل التجارة السودانية:

ارتبطت مصر مع السودان بعلاقات تجارية قوية منذ أقدم العصور، فبجانب الدور الذي يلعبه نهر النيل في توثيق الصلة بين البلدين، كانت القوافل المتجهة من وإلى السودان عبر الصحراء الغربية والشرقية لا تتوقف طول العام، ومن أشهر هذه القوافل قافلتا دارفور وسنار^(١).

أما فيما يتعلق بقوافل التجارة السودانية ووادي النطرون، فقد وصف الرحالة الحسن بن محمد الوزان والمشهور بـ«ليون الأفريقي» ارتباط وادي النطرون بقافلة دارفور بطريق غير مباشر عبر الصحراء الغربية وهو طريق غربي صحراوي يبدأ من دارفور ووادي شرق تشاد ويتوسط طريق نهر النيل والطريق الليبي التونسي، ويسمى الطريق الليبي، ربما لكونه يمر بعد أن يخرج من مصر بالصحراء الكبرى التي تسمى في جزء منها بالصحراء الغربية حتى تصل إلى وادي النطرون ومنها يتفرع الطريق إلى عدة اتجاهات منها طريق إلى فران^(٢) أو برقة في شمال ليبيا، وآخر يتجه إلى الإسكندرية أو مريوط شمال مصر، بالإضافة إلى طريق للقاهرة^(٣).

وبالنسبة للبضائع التي كانت تجلبها قافلة دارفور فهي العبيد وسن الفيل والتمر هندي والصمغ العربي والششم وريش النعام والتبر (تراب الذهب) وقرن الكركدن الذي كان يستخدم في صنع السيوف والخناجر والقرب المصنوعة من جلود الثيران والجمال^(٤). ويذكر

(١) أحمد أحمد الحتة: المرجع السابق، ص ٣٢.

(٢) فزان: هي منطقة كبيرة فيها قصور ضخمة وقرى كبيرة، ولكها مأهولة بأناس أغنياء، بالمال وبحداثق النخيل، وهم واقعون فعلاً على تخوم أغادس وصحراء ليبيا التي تتاخم مصر، على مسافة ستين يوماً على طريق القاهرة، لمزيد من التفصيل انظر: ابن الوزان الزبائن، وصف إفريقيا، المرجع السابق، ص ٥١٦ - ٥١٧؛ فاطمة علم الدين: المرجع السابق، ص ١٤٩.

(٣) محمد عوض تاج الدين: السودان الشامي، سكانه وقبائله، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط ١، القاهرة، سنة ١٣٧١هـ / ١٩٥١م، ص ٢٣٥.

(٤) معية سنية عربي: ملخصات دفاتر، دفتر ٩، مكتبة ١٤٣، ٦ صفر ١٢٣٧هـ / ١ نوفمبر ١٨٢١م.

أوليفيه أنه كان من ضمن هذه البضائع نبات طبي ينمو في مصر العليا والنوبة وسنار في السودان ويوجد في الأراضي الرملية التي تصل إليها مياه النيل، وهناك نوعان؛ الأول منه أوراقه مدببة، والثاني أوراقه عريضة، وتحجىء منه كميات كبيرة من مصر العليا إلى بولاق والقاهرة حيث ينقل بعد ذلك إلى أوروبا والأستانة وفارس وبلغ قيمة صادراتها إلى أوروبا خمسة ملايين فرنك^(١).

أما البضائع التي كان يشتريها تجار قافلة دارفور فقد كانت تشمل المنسوجات القطنية السورية، والأقمشة الكتانية المصرية والشيلان والطرابيش والنحاس والزجاج والرصاص، والكبريت والأسلحة، بالإضافة إلى السكر والتين^(٢).

- قوافل الحجاج والتجار المغاربة:

تميز الوجود المغربي في مصر منذ أقدم العصور بمكانة خاصة في النشاط الاقتصادي، فكانت تصل إلى مصر القوافل التجارية من ثلاثة اتجاهات وهي:

أولاً- من الجنوب والسودان وإفريقيا، حيث كانت السلع التي تشتهر بها تلك المناطق تأتي بطريق القوافل المشهور والمعروف «بدرج الأربعين» من دارفور غرب السودان إلى أسبوط في صعيد مصر^(٣).

ثانياً- من الشرق والشام، حيث كان التجار الشوام في حال ذهاب وعودة متواصلين إلى بلاد المغرب^(٤).

(١) إلهام محمد علي ذهني: مصر في كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين في القرن الثامن عشر، المرجع السابق ص ١٨٣-١٨٤.

(٢) محافظ الذوات: محفظة ٤٠، دفتر ٧ معية تركي: وثيقة رقم ٢٩٩، ٢٣ رمضان ١٢٢٩هـ/ ٨ سبتمبر ١٨١٤؛ محمد عوض تاج الدين: المرجع السابق، ص ٢٣٦-٢٣٩.

(٣) يونان ليب رزق ومحمد مزين: تاريخ العلاقات المصرية المغربية منذ مطلع العصور حتى عام ١٩١٢م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٠، ص ١٨٠-١٨٢.

(٤) لمزيد من التفصيل انظر: سحر على حنفي، العلاقات التجارية بين مصر وبلاد الشام الكبرى في القرن الثامن عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٠، ص ١٩٧-٢٠٠٢.

ثالثًا- الطريق الغربي، من حيث يأتي المغاربة عبر الصحراء الغربية بوادي النطرون إلى القاهرة^(١).

أما فيما يتعلق بالاتجاه الثالث وهو ما يهمننا في موضوع الدراسة فيبدأ من مجيء المغاربة؛ فإنهم لم يأتوا بهدف التجارة وحده، بل أتوا قبل ذلك بهدف الحج وكان تحقيق هذا الهدف يحتم الوصول إلى الحجاز عبورا بمصر، كما كان يحتم في نفس الوقت قضاء فترة قد تطول على الأراضي المصرية انتظارًا للخروج مع قافلة الحج^(٢).

فكان ركب الحج المغربي يصل في العادة إلى القاهرة خلال النصف الثاني من رمضان بعد أكثر من ثلاثة شهور من خروجه من فاس، حيث كان يشق طريقه في المناطق الصحراوية التي تندر بها مصادر المياه، خاصة تلك الممتدة من طرابلس عبر الصحراء الغربية في مصر، وكانت مدة اجتيازها تصل إلى خمسين يومًا حتى يصل إلى وادي النطرون، فيتزودوا بالماء والغذاء ثم يصلون بعدها إلى الطرانة ثم يواصلون الطريق بالمرائب إلى إمبابة التي تقع على شاطئ النيل الغربي قبالة القاهرة^(٣)، بالإضافة إلى ذلك كانت قوافل من الحجاج الوافدة من المغرب العربي تفضل الطريق الساحلي من طبرق أو واحة جغبوب (بصحراء ليبيا) إلى سيوة إلى وادي النطرون إلى القاهرة^(٤)، بينما فضلت بعض القوافل مواصلة الطريق الساحلي حتى مدينة الإسكندرية لتبيع حمولتها ثم تواصل طريقها إما عن طريق نهر النيل (فرع رشيد) وإما عن طريق السكة الحديدية بعد إنشائها سنة ١٨٥٦ م إلى القاهرة للسفر إلى السويس لأداء مناسك الحج بالأراضي المقدسة^(٥).

(١) يونان لبيب رزق ومحمد مزين: المرجع السابق، ص ١٨١؛ عبد الرحيم عبد الرحمن: المرجع السابق، ص ١٨٨-١٨٩.

(٢) ديوان المجلس الخصوصي: محفظة ٢٤، وثيقة رقم ١٥، ٢٣٢ جماد أول ١٢٩٢هـ/ ١٩ يونيو ١٨٧٤ م.

(٣) يونان لبيب رزق ومحمد مزين: المرجع السابق، ص ٤٨-٥١.

(٤) ديوان خديوي تركي: دفتر ٧٧٠، من المجلس العالي إلى الديوان الخديوي، وثيقة ١٨٠، ١٩ ربيع الأول ١٢٤٦هـ/ ٧ سبتمبر ١٨٣٠، ص ١١٩؛ فاطمة علم الدين، المرجع السابق، ص ١٤٩.

(٥) ديوان المجلس الخصوصي: محفظة ٢٤، وثيقة ٦٣٢، ٨ جماد أول ١٢٩٢هـ/ ١٢ يونيو ١٨٧٥ م.

وقد فُرض على قوافل الحجاج والتجارة المغربية تعليمات من جانب الحكومة المصرية، كان منها سداد جمارك تجارتهم، ودفع كل فرد منهم خمسة قروش^(١) بالإضافة إلى إقامتهم ببضاعتهم بمناطق الكورنتينة Quarantäne (الحجر الصحي)، وتمثلت قوافل الإسكندرية بكورنتينة القباري^(٢) بينما تمثلت قوافل وادي النطرون في كورنتينة الطرانة وكفر داود^(٣).

وفيما يختص بالبضائع التي تحملها قوافل الحجاج والتجار المغاربة، فكانت تتضمن أنواعًا مختلفة من الزيوت والعسل والزبد والزبيب والبندق، والطرايش، والشيلان الصوفية البيضاء، والمعاطف المزودة بغطا الرأس (البرانس)، والأحرمة والأحجار الكريمة والحلي والأسلحة وتراب الذهب والكبريت والعطور^(٤).

وفي المقابل تحمل قوافل التجار المغاربة إلى بلاد المغرب البضائع من البن والتوابل وملح النشادر والنطرون والنيلة واللبان والحنا والأقمشة القطنية والحريية والكتانية وخشب المر^(٥).

الأسواق:

شهد وادي النطرون خلال فترة الدراسة مجموعة من الأسواق نظمت من خلالها عمليات التبادل التجاري التي كانت تعقد محليًا داخل القرى أو المدن وهذه الأسواق هي:

-
- (١) ديوان المجلس الخصوصي: محفظة ٢٤، وثيقة ٢٣٢، ١٥ جماد أول ١٢٩٢هـ / ١٩ يونيو ١٨٧٤م.
 - (٢) نفسه: وثيقة رقم ٦٣٢، ٨ جماد أول ١٢٩٢هـ / ١٢ يونيو ١٨٧٥.
 - (٣) مديرية البحيرة: س ٩٩٥، وارد من ناظر قسم النجيلة وثيقة ٤٩٣، ١٨ جمادى الأولى ١٢٧٥هـ / ٢٤ ديسمبر ١٨٥٨، ص ٩٧.
 - (٤) محكمة الإسكندرية: س ١٣٨، مادة ١٨٩، ٢١ شوال ١٢٤٩هـ / ٢ مارس ١٨٣٤م، ص ٣٢؛ مجلس تجار الإسكندرية، س رقم ١٧٧٨، صادر لضبطية الإسكندرية، وثيقة رقم ٧، ٩ شعبان ١٢٩١هـ / ٢٢ سبتمبر ١٨٧٤، ص ١.
 - (٥) محكمة إسكندرية ١٢١، مادة ٤١، ٢ رجب ١٢٣٠هـ / ١٠ يونيو ١٨٥٠، ص ٢١؛ نفسه س ١٢٠، مادة ٢٩٥، أواخر ذي القعدة ١٢٢٩هـ / أو نوفمبر ١٨١٤، ص ٢٧٥.

أسواق القرى:

وهي أسواق تعقد مرة في الأسبوع، وكانت كل قرية من قرى الوادي تتخذ يومًا لها سوقًا، تباع فيها أنواع الحبوب والمواشي والجلود وثياب القطن والصوف واللحم والعقاير والحصر والحلفا والسمار والسلال والحبال والليف والدخان البلدي والبطيخ والبلح بأنواعه والعجوة، ونحو ذلك مما هو معتاد بيعه في الأسواق الريفية^(١) ولم تكن سوق القرية تقتصر على سكانها فقط، بل كان سكان القرى المجاورة الذين يرغبون في تسويق منتجاتهم يشاركون فيها وكان التجار بدورهم ينتقلون من سوق قرية إلى سوق أخرى، حتى إذا انتهى الأسبوع أتموا دورتهم، ثم يبدو أنها في الأسبوع التالي بنفس النظام وبنفس المواعيد^(٢).

وكانت الطرانة من أهم أسواق قرى الوادي، حيث شهدت مختلف الصفقات التجارية سواء بين قرى الوادي أو الأقاليم المجاورة أو للتصدير للخارج لأنها تعتبر المركز الرئيسي لتسويق النطرون ويأتي إليها التجار من كل بقاع مصر أو الدول الغربية أو الأوروبية، بالإضافة إلى ارتفاع كثافتها السكانية بين قرى الوادي^(٣).

كما كان سوق قرية البريجات من الأسواق الهامة، نظرًا لأنها كانت منفذًا حيويًا لتصريف المواشي والجمال وبعض الحاصلات الزراعية ومنتجات معمل الزجاج بمختلف أشكالها^(٤).

(١) معية سنية تركي: محفظة ٣٩، ملخصات دفاتر، دفتر ١١٠، صادر من المعية إلى مفتش الأقاليم البحرية، وثيقة ٤، ٢٢ محرم ١٢٧٠هـ/ ٢٥ أكتوبر ١٨٥٣م، ص ١٤٥.

(٢) أحمد الشربيني السيد: تاريخ التجارة المصرية في عصر الحرية الاقتصادية ١٨٤٠-١٩١٤م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٥م، ص ١٠٩.

(٣) ديوان المجلس الخصوصي: محفظة ٢٤، وثيقة بدون رقم، بتاريخ ٢٢ جماد آخر ١٢٩٢هـ/ ٢٦ يوليو ١٨٧٥م.

(٤) مديرية البحيرة: س ٢٥٠، صادر الفروع إلى جهات سايرة، وثيقة ٩٤٤، ٢٥ جمادى الأولى ١٢٦٦هـ/ ١٨ إبريل ١٨٥١م، ص ٣٧٢.

أما سوق كفر داود فقد وجدت إقبالاً من عربان الوادي لبيع ما لديهم من المواشي والصوف الخام والجلود وشراء الملابس الكتانية والقطنية والدخان البلدي^(١).

وكانت هناك قرى بالوادي لا تتمتع بإقامة هذا النوع من الأسواق الأسبوعية، ويرجع ذلك إلى قلة عدد سكانها، ولصعوبة الاتصال بينها وبين القرى المجاورة لها، مما لا يتيح لها إقامة سوق تمكنها من تكوين دورة سوقية أسبوعية مع القرى المجاورة^(٢) واعتمدت هذه القرى في تسويقها على أسواق القرى أو المدن الأقرب لها فقد كان أهالي عزبة الطرانة والأخماس يتسوقون من سوق الطرانة أو كفر داود لقرب المسافة لهما^(٣).

أسواق المدن:

وكما كانت هناك أسواق أسبوعية في الريف، كانت بكل مدينة على الأقل سوق أسبوعية يتم فيها تبادل السلع بين المدينة صاحبة السوق والمدن والقرى التي تحيط بها بالبضائع الريفية^(٤) وقد جرت العادة أن تقسم كل سوق إلى أقسام، كل قسم خاص بنوع معين من السلع، فقسم للحبوب وآخر للحوم وثالث للمواشي، وهكذا^(٥).

وكانت سوق مدينة النجيلة يجلب إليها من بضائع قرى وادي النظرون المواشي والخيول والجمال والحمير متعددة الألوان^(٦)، والجلود، ومنتجات الألبان (السمن والجبن والقشطة) والخضر والفاكهة والبلح والعجوة السيوية التي كانت تستحضر من سيوة وتصنع بقرى

(١) محكمة النجيلة: س ٧٢٩، مادة ٢٣٩، ٤ رجب ١٢٩٣هـ / ٢٦ يوليو ١٨٧٦م، ص ٧٨.

(٢) أحمد الشربيني: المرجع السابق، ص ١١٠.

(٣) محكمة النجيلة: س ٧٢٦، مادة ٢٨٧، ٢٨ ذي القعدة ١٢٦٨ / ٢ مارس ١٨٧٠، ص ١٠٨.

(٤) أحمد الشربيني: المرجع السابق، ص ١١١.

(٥) محمد فهمي لهيطة: تاريخ مصر الاقتصادي في العصور الحديثة، الطبعة الثانية، مطبعة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٤٤م، ص ٢٠٢.

(٦) محكمة البحيرة: س ٥٢، مادة ١٨٨، ١٦ رمضان ١٢٨٦هـ / ٢٠ ديسمبر ١٨٦٩م، ص ٤٥.

الوادي ويتم بيعها بهذه السوق^(١) بالإضافة إلى حصير الحلفا والسمار والسلال وخاصة التي يصنعها رهبان الأديرة^(٢) ومنتجات الصابون والزيتون من شركة الملح والصودا بالوادي^(٣) ومنتجات الزجاج من مصنع البريجات^(٤).

الأسواق الموسمية (الدينية):

وهي الأسواق التي كانت تقام في أيام معينة من السنة، وتعد بالقرب من أضربة أولياء الله الصالحين والقديسين في القرى والمدن على السواء، فتتحول الموالد إلى أسواق كبرى تروج فيها البضائع وتنشط حركة التسويق، ولا سيما أنه كان يتم في هذه الأسواق شراء السلع المهمة، مثل السلع الخاصة بالزواج من أثاث وأدوات ومفروشات، رغبة في التماس بركة الولي في إتمام الزواج أو التباهي والتفاخر بين الأهل بالشراء من هذه الأسواق^(٥).

وقد اهتمت أجهزة الإدارة بالأسواق الدينية، وأولتها عنايتها عند انعقادها سنوياً، فأخذت تعمل على توفير الأمن لهذه الأسواق وحماية التجار من شغب المتسولين وخطافي الأرزاق والعمل على توفير وتنظيم المواصلات وحماية الزوار من يدي العابثين^(٦).

ومن الأسواق الدينية التي ارتبط بها سكان وادي النطرون سوق مولد سيدي خضر الأنصاري وسيدي أحمد الزواوي^(٧) وسيدي على الطنبجي وسيدي عمر الأفلامي بمدينة

(١) محكمة سيوة: س ١٢٤٢، مادة ١٠، ٢٤ ذو القعدة ١٣٠٥هـ / أغسطس ١٨٨٨م، ص ٨.

(٢) محكمة البحيرة: س ٣٧، مادة ٢٤٢، ٢٧ ربيع آخر ١٢٣٥هـ.

(٣) شركات وجمعيات: محفظة ١٧٠، مجلس الوزراء، مجموعة ٦٣، وثيقة بدون رقم، ٩ إبريل ١٨٩٩؛ انظر الشكل رقم ٤.

(٤) مديرية البحيرة: س ١١٨٩، صادر قيد القرارات، وثيقة ٦٤، ١٦ جماد الثاني ١٢٧١هـ / ٦ مارس ١٨٥٥م، ص ٣٦.

(٥) محمد فهمي لهيطة: المرجع السابق، ص ٣٩.

(٦) قرارات ومنشورات: ١١ يوليو ١٩٠٤، مطبعة بولاق، سنة ١٩٠٥، ص ٢٤٩.

(٧) محكمة البحيرة: تقارير النظر، س ٢٨٧، ج ١، مادة ٢، ٢٩ جمادى الأولى ١٣١٥هـ / ٢٦ أكتوبر ١٨٩٧، ص ١.

دمنهو^(١) و من المقامات الشيخ خطاب بالبريجات^(٢) ومقام الشيخ قاسم بنكلة^(٣) ومن الموالد القبطية مولد السيدة العذراء بالطرانة، والأنبا بيشوي بكفر داود، ومارجر جس بالخطاطبة^(٤).

- التجار:

تمثل تجار وادي النظرون خلال فترة الدراسة في ثلاث فئات:

الفئة الأولى:

وتكونت من التجار قاطني الوادي أو المقيمين بالمدن القريبة منه وهؤلاء الذين امتهنوا العمل بالتجارة عملاً أساسياً وحيداً يتكسبون منه عيشهم وتخصصوا في سلعة معينة، سواء كانوا تجاراً مصريون أو أجانب^(٥)، وزاد نشاطهم بعد تسوية لندن ١٨٤٠م^(٦) وفي طليعتها معاهدة بلطة ليان التي ألغت نظام الاحتكار وألزمت محمد علي بفتح الأسواق أمام التجار المحليين والأجانب فراح التجار يجوبون البلاد لشراء الحاصلات من المنتجين بعد أن كانوا مضطرين للشراء من الحكومة^(٧) وزاد عددهم وخاصة في عهد سعيد وإسماعيل حتى نهاية القرن العشرين^(٨).

(١) مديرية البحيرة: س ١٠٣، صادر الدواوين إلى سايرة، وثيقة ٣٦، ١١ شوال ١٢٧٤هـ / ٢٥ مايو ١٨٥٨، ص ٣٤.

(٢) نفسه: س ٢٧، مادة ٣٤٢، غرة رمضان ١٢١٥هـ / ١٦ يناير ١٨٠١م، ص ١٦٠.

(٣) ديوان معية سنية تركي: محفظة ٩٠، ملخصات دفاتر، دفتر ٨، وثيقة ٥٤٠، ١٤ شوال ١٢٥٢هـ / ٢١ يناير ١٨٣٧م.

(٤) وثائق دير السريان: وثيقة رقم ٦٣٢، ٤ من ذي القعدة ١٢٩١هـ / ١٣ ديسمبر ١٨٧٤.

(٥) محافظ الأبحاث: محفظة ٥٠، وثيقة ٧٨، ٧ ربيع الآخر ١٢٦١هـ / ١٦ مارس ١٨٤٥م.

(٦) لمزيد من التفصيل عن تسوية لندن ١٨٤٠ التي كسرت حلقة الاحتكار انظر؛ عاصم الدسوقي: بناء اقتصاديات مصر، مقال بمجلة الهلال، عدد أكتوبر ١٩٩٨م، ص ٧٦-٧٧.

(٧) محمد طلعت حرب: علاج مصر الاقتصادي ومشروع بناء بنك المصريين أو بنك الأمة، تحقيق رءوف عباس حامد، مطبعة دار الكتب والوثائق المصرية بالقاهرة، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م، بقلم المحقق ص ٥.

(٨) محمد عبد العزيز عجمية، ومحمد محروس إسماعيل: الوجيز في التطور الاقتصادي، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية ١٩٧٠، ص ٢٢٤.

فمع تراجع دور الدولة نشط تجار هذه الفئة من الوطنيين بوادي النطرون مارسوا تجارة الغلال وخاصة الفول والقمح والشعير فاشتهر منهم شعبان حمودة^(١) وعلي عبد الله^(٢)، كما اشتهر بتجارة الأرز بنوعيه الرشيدى والدمياطى عبود ميخائيل^(٣) وخيس حسن^(٤). كما تخصص البعض منهم في ممارسة نشاط تجاري معين، فاشتهر بتجارة الفلفل على أحمد^(٥) بينما تخصص أحمد إنباي في البلح بنوعيه (الزغلول والإبريمي)^(٦) كما اشتهر حسن رحومة وسالم العيسوي بتجارة الأقمشة^(٧) بينما اقتصرت تجارة الدخان بالوادي على أحمد موسى^(٨) و خليل كامل^(٩).

وتاجر التجار العرب في وادي النطرون في القطن والغلال والجلود، وشاعت على أيديهم تجارة الأقمشة والشالات الكشمير والأجواخ الشامية^(١٠) فاشتهر منهم إلياس يوسف الشامي في تجارة القطن^(١١) ومحمد المهيري المغربي في الغلال^(١٢) وإبراهيم محبوب في الجلود^(١٣).

-
- (١) محكمة البحيرة: س ٧٢، مادة ١٧٦، ٢٦ ذي الحجة ١٣٠٧هـ / ٢ أغسطس ١٨٩٠، ص ٧٣.
- (٢) نفسه: مادة ١٧٧، ٢٠ ذي الحجة ١٣٠٧هـ / ١٢ أغسطس ١٨٩٠، ص ٧٣.
- (٣) محافظة رشيد: س ١٧٢، ١٤/٣/٤، صادر إلى سايرة، وثيقة ٤٦٣، ٤ شوال ١٢٦٤هـ / ٣ سبتمبر ١٨٤٨م، ص ١٣٦.
- (٤) نفسه: س ١٧٤، ١٤/٣/٦، وثيقة ١٩٣، ٢٠ ربيع الأول ١٢٦٥هـ / ١٣ فبراير ١٨٤٩م، ص ٢٧.
- (٥) مديرية البحيرة: س ٥٣٦، صادر فروع إلى ضبطية دمنهور، وثيقة ٩٩٣، ١٥ محرم ١٢٩٧هـ / ٢٩ ديسمبر ١٨٧٩م، ص ٣٠.
- (٦) نفسه: صادر الدواوين للداير البلدية بالمحروسة، وثيقة ١٥٧، ٢٤ شوال ١٢٩٤هـ / ٢ نوفمبر ١٨٧٧م، ص ٢٠.
- (٧) محكمة البحيرة: س ١٧٢، مادة ١٩، ٢٠ صفر ١٢٩٩هـ / ١١ يناير ١٨٨٢م، ص ١٤.
- (٨) مضبطة البحيرة: س ١٨، مادة ٢٩٩، ١٥ من ذي الحجة ١٢٨٤هـ / ٨ إبريل ١٨٦٨م، ص ١٢٨.
- (٩) مديرية البحيرة: س ١٠٣٦، ج ١، وارد الجفالل للبحيرة، وثيقة ٥، ٢٦ محرم ١٢٨٥هـ / ١٩ مايو ١٨٦٨م، ص ٦.
- (١٠) الأهرام: عدد ٣٦٣٤، ٢٩ يناير ١٨٩٠.
- (١١) ديوان التجارة والمبيعات: س ٥٢٩٥ ج ١، وارد قيد التحريات الواردة، وثيقة ٢٠، ٢٧ ذي القعدة ١٢٦٧هـ / ٣ سبتمبر ١٨٥١، ص ٢٣.
- (١٢) محكمة البحيرة: س ١٨٠، مادة ١٥، ٧ شعبان ١٣٠٢هـ / ٢٨ مارس ١٨٨٥، ص ٢٠.
- (١٣) محكمة الإسكندرية: س ٥٥٢، مبيعات، مادة ٦٦٣، ٢١ ذي الحجة ١٣٠١هـ / ١١ أكتوبر ١٨٨٤، ص ٧٣٠.

كما زاد عدد التجار الأجانب، خاصة في عصر إسماعيل ومارسوا مختلف التجارات بالوادي ومنهم تجار الغلال والقطن والكتان والمواشي والأصواف والحمص والسمسم والدخان، فاشتهر منهم على سبيل المثال الخواجة باجييو وميتوه أسيلي من رعايا دولة اليونان^(١) ورجو نقولا الإيطالي بتجارة الغلال^(٢) والخواجة إميل مرسيه الفرنسي بتجارة الأصناف^(٣) والطالانية مريتا ترنويه بالدخان^(٤).

الفئة الثانية:

وتكونت من التجار السفارة المترددين على الوادي واقتضت طبيعة عملهم عدم التخصص في سلعة معينة، ولذلك وجدناهم يتجارون في سلع متنوعة اشتملت على الأقمشة الكتانية والأحرمة الصوفية والحصير والبلح والسلال والغلال والزيت والصابون والخيول، واشتهر منهم -على سبيل المثال- من المصريين على بدوي السكندري^(٥) ومحمد داود الشهير بالصعيد من سيوة^(٦) ومن التجار العرب أنطون فضل الله الشامي^(٧) ومن الأجانب الخواجة طناسيوس سفاكير الأرمني^(٨) والخواجة إميل باشوه الإيطالي^(٩).

-
- (١) مضبطة البحيرة: س ١٧، مادة ٢٩٨، ٦ ربيع الآخر ١٢٨٥هـ / ٢٧ يوليو ١٨٦٨، ص ١٣٥؛ معية سنية تركي، محفظة ١٥، وثيقة ٨، ٣٩، محرم ١٢٧٤هـ / ٢٩ أغسطس ١٨٥٧.
- (٢) محكمة البحيرة: س ١٧١، مبايعات، مادة ١٦٨، ٢٩ محرم ١٢٩٩هـ / ٢١ ديسمبر ١٨٨١م، ص ٢٣٠.
- (٣) نفسه: س ١٧٧، مادة ٢٧، ٢٥ شعبان ١٣٠١هـ / ١٨ يولية ١٨٨٤م، ص ٣٨، مجلس الوزراء، محفظة ١/أ، مجموعة ١٣، وثيقة بدون رقم، ٢٥ ديسمبر ١٨٨٨.
- (٤) محكمة البحيرة: س ١٩٨، مادة ١١، ٢٧ جماد آخر ١٣١٠هـ / ٢٧ ديسمبر ١٨٩٢، ص ٨.
- (٥) ديوان خديوي: محفظة ١٣١، ملخصات دفاتر، دفتر ٧٦٩، من مأمور الديوان الخديوي إلى فرهاد بك مأمور نصف البحيرة، وثيقة رقم ١٩٩، غرة صفر ١٢٤٦هـ / ٢٢ يوليو ١٨٣٠م.
- (٦) محكمة سيوة: س ١٢٤٥، مادة ٦، ٥ شعبان ١٣٠٧هـ / ٢٧ مارس ١٨٩٠، ص ٧.
- (٧) ديوان خديوي: محفظة ١٢٨، ملخصات ديوان خديوي، دفتر ٧٦٤، ومن الديوان الخديوي إلى شريف عمر أغا رئيس التجار، وثيقة ٤٦٧، ١٢ صفر ١٢٥٤هـ / ٧ مايو ١٨٣٨م.
- (٨) ديوان معية سنية عربي: دفتر ١٣٠، من المعية السنية إلى شهنذر إيران، وثيقة ٥٤٧، ٣ جمادى الأولى ١٢٧٠هـ / الأول من فبراير ١٨٥٤م، ص ١٧٥.
- (٩) محكمة الإسكندرية: س ٤، مادة ١٧٤، ١٠ شوال ١٢٨٢هـ / ٢٦ فبراير ١٨٦٦، ص ٦٩.

الفئة الثالثة:

وتتكون من الذين عملوا بالتجارة كعمل إضافي بجانب عملهم الأساسي، بحيث كانت التجارة مجالاً إضافياً لزيادة أرباحهم واستثمار فائض أموالهم وإن اقتصرَت هذه الفئة على القاطنين بالوادي، فمنهم على سبيل المثال - المزارعان - أحمد سيد الذي شارك بنصف حصة في تجارة الدخان^(١) وميخائيل منقريوس الذي تاجر في شتى الأصناف^(٢) كما مارس السيد مكّي المنجد التجارة بجوار مهنته^(٣) وامتلك الحداد خليل إبراهيم محلاً للحلاوة السكرية بدمنهور^(٤).

النطرون وتجارته:

شهد وادي النطرون خلال فترة الدراسة نشاطاً اقتصادياً تمثل في استخراج النطرون من البحيرات المنتشرة بين أرجائه، وجذب هذا النشاط أنظار الحكام إليه وجعلوه من مصادر الدخل في الدولة، وترتب على ذلك عناية الحكومة به وإدارتها شتونه.

- النطرون وأنواعه وأهميته:

يعرف النطرون عند العامة وسكان البدو باسم «الأطرون»^(٥) وهم الاسم الكيميائي الذي يطلق على الصودا الطبيعية في مصر، وهذه الصودا تتكون من خليط من كربونات الصوديوم وبيكربونات الصوديوم، وكلوريد الصوديوم، وكبريتاته وذلك بنسب مختلفة، كما أنها أيضاً تحتوي على بعض الشوائب من الرمال والطيني وكربونات الكالسيوم^(٦) ولها مذاق خليط من

(١) محكمة النجيلة: س ٣١٨، مادة ١٨ ١٢ ذي القعدة ١٣٢٠هـ / ١٠ فبراير ١٩٠٣، ص ٦.

(٢) محكمة البحيرة: س ١٨٥، مادة ٥، ٤ ربيع الثاني ١٣٠٥هـ / ١٣ ديسمبر ١٨٨٧، ص ٦.

(٣) نفسه: س ٧٩، مادة ٢، ٢٠ ربيع أول ١٣١١هـ / الأول من أكتوبر ١٨٩٣، ص ١.

(٤) نفسه.

(٥) محافظ الأبحاث: محفظة ٥٨، وثيقة ٢٩، ٢٠ ربيع الأول ١٢٣٥هـ / ٧ يناير ١٨٢٠م.

(٦) تأليف علماء الحملة الفرنسية: ج ٢٣، المرجع السابق، ص ١٨٩-١٩١.

الموريات وكربونات الصودا، وأحياناً نجد أن موريات الصودا هو السائد^(١) أما الأطرون فقد تعددت ألوانه، وكان أجودهم الأبيض بعد فصل الشوائب^(٢).

ويتفق الكثير من الكتاب بأنه يوجد ببحيرات وادي النطرون ثلاثة أنواع من المواد الأولية للنطرون وهي:

■ خور طاي «Khor Tai» وهو مادة صلصالية توجد في قاع البحيرات، وهو غني بكربونات الصودا ويوجد في كتل لينة شبه اسفنجية على هيئة بللورات ذات جوانب حادة وشكل إبري^(٣).

■ قورشف «Korshef» وهو مادة متبلورة توجد على شواطئ البحيرات وهذه المادة غير نقية وتختلف في لونها ولكنها غالباً ما تشبه الحقل المحروث في شكلها العام^(٤).

■ سلطاني «Sultani» وهو مادة متبلورة توجد في قاع البحيرات، وهذه المادة كدرة للغاية^(٥) وهذا النوع من أجود أنواع النطرون ويحتل المكانة الأولى في التجارة الدولية^(٦).

وأحياناً كان النطرون يصنف حسب المنطقة التي أتى منها على النحو التالي:

■ النطرون «الطرائي» وهو من أجود الأنواع، وكان يستخرج من الوادي، ويصدر من مركزه بالطرانة^(٧).

(1) Forni, G: Viaggio nell'Egitto e nell'alto Nubia, Milano, vol I, 1859, P.P 512- 513.

(2) Wilkinson, J. G: Modern Egypt and Thebes, 2 Vol , London, 1873. P.P. 385-386.

(3) Ibid. P 387;

انظر الشكل رقم ٩؛ عمر طوسون، المرجع السابق، ص ٢١
(٤) مديرية البحيرة: س ١٠٣، ١٣/٧/٩٦، صادر دواوين البحيرة إلى محافظة الإسكندرية، وثيقة رقم ٣٣٩، ٣ شعبان ١٢٧٤هـ / ١٩ مارس ١٨٥٨م، ص ١٢، انظر الشكل رقم ٩.

(5) Forni, G: Op-cit, P. 513;

محمود على سيف: المرجع السابق، ص ٢٩٥
(٦) محافظ الأبحاث: محفظة ١٣٢، وثيقة رقم ١٠٠، ٥ شعبان ١٢٢٠هـ؛ مديرية البحيرة، س ١٠٣٦، وارد الأطرون، وثيقة ٦، ٨ شوال ١٢٨٥هـ / ٨ يناير ١٨٦٩م، ص ١٣٨.

(٧) ديوان المجلس الخصوصي: محفظة ٢٤، وثيقة بدون رقم، ١٨ جماد الأول ١٢٩٢هـ / ٢٢ يونيو ١٨٧٥م.

■ النطرون «البرنوجي» وهو خليط من النطرون القورشفي والسلطاني، وكان يستخرج من قرية البرنوجي بالقرب من الوادي^(١).

■ النطرون «الكابي» وهو النطرون الذي يأتي من مدينة الكاب بجنوب مصر^(٢).

كما كان يصنف حسب الألوان، فوجد منه النطرون الأبيض^(٣) والأصفر والأخضر والأحمر^(٤) والأسود^(٥).

وترجع أهمية النطرون في أنه يدخل في استخدامات عديدة منذ العصور القديمة، لذا كان واسع الانتشار، فاستخدمه الفراعنة في التحنيط فلم يكن هناك بد من استخدام أملاح تقوم بتجفيف الجثة وحفظها من مهاجمة الفطريات، ويؤدي النطرون هذا الغرض ويتفوق على ملح الطعام العادي لقدرته على استيعاب المواد الدهنية وتخليص الجثة منها^(٦) كما يستخدم في طقوس التطهير وخاصة تطهير الفحم، وعمل البخور، وفي الطب والطهي^(٧)، ويستخدمه الخبازون في عمل الخبز بدلاً من الخميرة، وفي تبييض الخيوط الكتانية والملابس الداخلية^(٨) كما

(١) مديرية البحيرة: س ١٠٣٦، وارد الفروع للمديرية، وثيقة ٥٠، ٢٦ جماد الأول ١٢٨٥هـ/ ٢٢ يوليو ١٨٧٣م، ص ١٠٥.

(2) Lucas, Alfred: Op-cit, P. 263

(٣) نفسه: س ١، صادر المديرية إلى سايرة، وثيقة ٥٩، ٦ جماد الأول ١٢٦٠هـ/ ٢٤ مايو ١٨٤٤م، ص ٦٠٣.

(٤) محافظ الأبحاث: محفظة ٥٨، دفتر ٥، معية سنينة تركي، ترجمة الوثيقة رقم ٢٩، ٢٠ ربيع أول ١٢٣٥هـ/ ٧ يناير ١٨٢٠م؛ انظر: الشكل رقم ٩.

(٥) محافظ الذوات: محفظة ٤، من محمد علي إلى ناظر المهتمات، وثيقة ١٢٧، ٥ شعبان ١٢٢٠هـ/ ٢٨ أكتوبر ١٨٠٥.

(٦) محمد سميح عافية: التعدين في مصر قديماً وحديثاً، ج ١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٦، ص ٩٤.

(7) Lucas, Alfred: Ancient Egyptian Materials, op. cit., P.P. 263-264.

(٨) زينب الغنام: المرجع السابق، ص ١٢٧؛ تأليف علماء الحملة الفرنسية، ٣٤، المرجع السابق، ج ٢، ص ١٨٨.

يدخل في العديد من الصناعات، منها الزجاج والنحاس والمجوهرات ودبغ الجلود والصابون والورق^(١) وصناعة المادة الملونة الزرقاء والخضراء، إذ إنه يمكن صنعها بإضافة مادة قلووية أو بدون إضافتها، على أن إضافتها تسهل صناعتها كثيرًا^(٢) بالإضافة إلى صناعة كاربونات الصودا وسلفات الصودا وسلفات المانيزيا وسيلولات الصودا والجليسرين^(٣).

التجارة الداخلية والخارجية للنطرون:

تعاظمت أهمية النطرون خلال فترة الدراسة، ولا سيما بعد نجاح تجارب استخدامه في مجالات صناعات عديدة، فزادت تجارته الداخلية والخارجية خلال ذات الفترة.

- التجارة الداخلية:

وصف أندريوسي في دراسته العلمية عن وادي النطرون تجارة النطرون في مصر فذكر قائلاً: «بعد أن أصبحت مصر مستعمرة فرنسية فسوف تعتمد على اعتبارين أساسيين الأول هو الاستغلال الحر للبحيرات، وسيصبح هذا الاستغلال في شكل أفضل، عن طريق إقامة حرس، واتخاذ إجراءات عسكرية، مثل إعادة استخدام وترميم القصر وشغل الأديرة القبطية، كما أن العربان في هذه الحالة - وأمرهم لا يخفي علينا- سيكونون أقل مدعاة للمخاوف. أما الاعتبار الثاني فهو اختيار وتنقية النطرون. كما ينبغي أن تقام المنشآت الخاصة بتنقية النطرون في أماكن أكثر قربًا من البحيرات مثل القصر والطرانة.

وواصل أندريوسي وصفه عن النطرون حيث ذكر أن الطرانة هي مستودع النطرون، وكانت المركز الرئيسي لتوزيع النطرون داخليًا وخارجيًا، فمنها كان يتم إرساله إلى بعض المدن المصرية مثل القاهرة الإسكندرية ورشيد^(٤) ليتم توزيعه بالقطاعي على المصانع والفوريقات والمبايض

(١) محافظ الأبحاث: محفظة ٥٨، دفتر ٥، معية سنية تركي، وثيقة ٢٩، ٢٠ ربيع أول ١٢٣٥هـ/ ٧ يناير ١٨٢٠م.

(٢) محمود على سيف: المرجع السابق، ص ٣١٢.

(٣) تأليف شركة الملح والصودا المصرية: المرجع السابق، ص ٧.

(٤) تأليف علماء الحملة الفرنسية: ج ٢، المرجع السابق، ص ٥٠-٥٣.

ومطابع الورق والمدابغ وعلى تجار التجزئة ليتولوا تسويقه عن طريق بيعه للباعة الجائلين الذين كانوا يقومون بتعبئته في أكياس ورقية (قراطيس) لبيعه بالمدن والقرى^(١).

وكان النطرون من أهم السلع التي ترسل من الطرانة إلى القاهرة، وقد نظمت عمليات توزيعه من خلال وكالة النطرون ببولاق، والتي كانت تقوم بتعبئته في أكياس تعلق بشكل محكم ويوضع عليها ختم بالشمع الأحمر ويكتب اسم الوكالة والصنف ومقدار الوزن والسعر، ويقيد بذلك بسجلات الوكالة أمام كل جهة مرسل إليها النطرون؛ لسهولة تحصيل الثمن ولضبط المتهرب منه^(٢) بالإضافة إلى النطرون الذي كان يرسل مباشرة إلى المصالح الأميرية من مصانع وفوريقات^(٣) ومدابغ ومطابع الورق^(٤).

كما كانت الإسكندرية أهم مركز لتجارة النطرون داخليًا لتعدد الفوريقات والمدابغ بها، بالإضافة إلى كثرة استخدامه في هذه المنطقة نظرًا لارتفاع كثافتها السكانية، وقد نظمت عمليات توزيع النطرون في الإسكندرية بواسطة متعهدين من ملتزمي النطرون بالطرانة، واشتهر منهم الخواجة جورجي وتودري^(٥).

(١) مديرية البحيرة: س ١١٩، ج ٥، صادر دواوين لسائرة، وثيقة ٤١٦، ١١ شوال ١٢٧٦هـ/ ٢ مايو ١٨٦٠م، ص ١١٩؛ نفسه س ٢٠٥، وثيقة ١٣٩، ١٩ من ذي القعدة ١٢٩١هـ/ ٢٨ ديسمبر ١٨٧٤م، ص ٨١.

(٢) نفسه: س ١٠٠١، وارد الفروع من مصلحة الأطرون، وثيقة ٦٩، ٢٩ شوال ١٢٧٦هـ/ ٢٠ مايو ١٨٦٠م، ص ٦٢؛ مجلس النظار: قرارات ومنشورات، مطبعة بولاق، القاهرة ١٨٨٣، ص ١٧٨، انظر ملحق ٨، ٩.

(٣) نفسه: س ٩٩٥، ٧/١٣/٣٨/١٤، وارد الفروع من وكيل مصلحة الأطرون بالطرانة، وثيقة ١٩، ٨ رجب ١٢٧٥هـ/ ١١ فبراير ١٨٥٩، ص ١، ١٢٨.

(٤) مديرية البحيرة: س ٦٤، صادر دواوين إلى مطبعة بولاق، وثيقة ١٣، ٢ ربيع الآخر ١٢٦٩هـ/ ١٣ يناير ١٨٥٣، ص ٤١١.

(٥) نفسه: س ١، دفتر صادر مديرية البحيرة إلى الإسكندرية، وثيقة ٩٠، ٢٥ صفر ١٢٦١هـ/ ٥ مارس ١٨٤٥م، ص ٥١٥.

ولعبت رشيد ودمياط دورًا مهمًا في زيادة نشاط تجارة النطرون داخليًا وزاد من ذلك إنشاء مصلحة النطرون فرعًا لها برشيد، وعينت المعلم تادرس موسى رئيسًا لها ليتولى متابعة مزادات النطرون واختيار الملتزمين، ومراقبة المتهرب منهم، وإنهاء إجراءات الجمارك في الصفقات الخارجية^(١) كما صدرت أوامر إلى محافظ دمياط بتشجيع التجار وأصحاب المدايع والفوريقات والأهالي على زيادة استخدامات النطرون لاستهلاك حصته المقررة من جانب الحكومة^(٢).

وفي صعيد مصر كانت إسنا وأسيوط وجرجا من المراكز التجارية الهامة لتوزيع النطرون، حيث كان بعض تجار إسنا يرسلون الملتزمين بقوارب لحمل النطرون من مركزه بالطرانة لتوزيعه بالمدن والقرى الرئيسية للصعيد لكي يستخدم في تبييض الغسيل والأقمشة، وعمل الخبز^(٣) وكذلك كانت مديرية أسيوط مركزًا هامًا لتوزيع النطرون لأن أسواقها كثيرة ورائجة وهي محط رجال القوافل التي تفد من النوبة، فاشتهر على حسن بتوزيع النطرون الطراني للمديرية التي بلغت حصتها ٨٦٠ وزنة في مقابل التزامه بسداد مبلغ ٣٦١ جنيهاً^(٤)، كذلك قام محمد صادق بتسويقه بجرجا مقابل التزامه بدفع ٢٥١ جنيهاً للحكومة سنة ١٢٩٣هـ / ١٨٧٦م^(٥).

كذلك اشتهر إقليم مصر الوسطى بتجارة النطرون الطراني، فكانت مديرية بنى سيف هي المركز الرئيسي بالإقليم الذي يقوم بإمداد مديرتي الفيوم والمينا بالنطرون، والتزم كل من محمد عبد الواحد وحسن رضوان ومصطفى الشمي بتوزيعه بالإقليم^(٦).

(١) محافظ رشيد: س ١٧٢، ١٤/٣/٤، صادر إلى أسكلة رشيد وثيقة ٥١٧، ٢٦ شعبان ١٢٦٤هـ، ص ٧٨؛ نفسه: وثيقة ٥٣٥، ١١ رمضان ١٢٦٤هـ / ١١ أغسطس ١٨٤٨م، ص ٩٨.

(٢) محافظ الأبحاث: محفظة ١٣٩، وثيقة بدون رقم، ٢٠ ربيع أول ١٢٣٥هـ / ٦ يناير ١٨٢٠م.

(٣) نفسه: س ٩٩٥، ٧/١٣/١٤، وارد الفروع من وكيل مصلحة الأطرون بالطرانة، وثيقة ٢٣، ٤ رمضان ١٢٧٥هـ / ١٧ إبريل ١٨٥٩، ص ١٢٨.

(٤) نفسه: س ٢١٦، صادر دواوين للمالية، وثيقة ٥٠٩، ١٢ شوال ١٢٩٣هـ / ١ نوفمبر ١٨٧٦م، ص ١٥٦، ١٥٧.

(٥) نفسه: صادر دواوين مديرية جرجا، وثيقة ٢٨ بتاريخ، ٢٨ رمضان ١٢٩٣هـ / ٧ أكتوبر ١٨٧٦م، ص ١٤٩.

(٦) نفسه: س ١٠٠١، وارد الفروع من مصلحة الأطرون بالطرانة، وثيقة ٧٤، ٣ من ذي القعدة ١٢٧٦هـ /

٢٤ مايو ١٨٦٠م، ص ٦٢.

كما كانت المنوفية مركزاً لتجارة النطرون في وسط الدلتا، فمنها كان يتم توزيعه إلى مديرتي الشرقية والغربية، وساعد على ذلك تعدد المدايع والفوريقات وكثرة استهلاك الأهالي لازدحام الإقليم بالسكان^(١).

وقد أدى تعدد مراكز وقرى مديرية البحيرة إلى كثرة استهلاك نطرون الوادي محلياً؛ ويرجع ذلك إلى وجود العديد من المدايع لكثرة الثروة الحيوانية بها^(٢) بالإضافة إلى الفوريقات مثل فوريقة الطرابيش بدمنهو^(٣) ومبايض الغزل والنسيج مثل مبيضة النجيلة^(٤) ومصنع الزجاج بكفر الدوار^(٥) وكذلك كثرة استخدامات الأهالي ورهبان أديرة الوادي في تبييض الملابس وعمل البخور^(٦).

ب- التجارة الخارجية

لعبت التجارة الخارجية لمادة النطرون دوراً أساسياً في الحياة الاقتصادية لوادي النطرون خلال فترة الدراسة، بعد أن زادت أهميته وبعد نجاح الأوروبيين في إدخاله في العديد من

(١) نفسه: س ٢١٦، صادر دواوين إلى المنوفية، وثيقة ١٦٨، ٢٦ رمضان ١٢٩٣هـ/ ١٥ أكتوبر ١٨٧٦م، ص ١٢٦.

(٢) محافظ الأبحاث: س ١٠٣٤، وارد من مصلحة الأطرون، وثيقة ٦٧، ١٣ جماد الثاني ١٢٨٥هـ/ ١٢ أكتوبر ١٨٦٨م، ص ١٤٧.

(٣) نفسه: س ١١٦٥، قيد القرارات الصادرة والواردة، وثيقة ٧٨، ٢ جماد الثاني ١٢٦٣هـ/ ١٨ مايو ١٨٤٧م، ص ١٢؛ نفسه: س ١٠٠١، وثيقة ٧٢، ٢٩ شوال ١٢٧٥هـ/ ٢ يونيو ١٨٥٩، ص ٦٢؛ وثائق دير السريان، وثيقة رقم ٧٠٧، جمادى الآخرة ١٢٣٦هـ/ إبريل ١٨٢١م.

(٤) محكمة البحيرة الشرعية: س ٢٨، مادة ٣٠٧، ١٠ جماد الأول ١٢١٧هـ/ ٨ سبتمبر ١٨٠٢م، ص ١٧٣؛ ديوان شورى المعاونة، محفظة ٢٢، مخلصات دفاتر، دفتر ٢٨٦، مكاتبه رقم ٣٣٦٦، ١٢ رمضان ١٢٥٨هـ/ ١٧ أكتوبر ١٨٤٢م، بدون صفحة.

(٥) نفسه: محفظة ٣٧، ملخصات دفاتر، دفتر ٣٤ عابدين وارد تلغرافات، تلغراف رقم ١٣١٩، ٢٥ شوال ١٢٥٧هـ/ ١٠ ديسمبر ١٨٤١، ص ٢٥.

(٦) وثائق دير السريان: وثيقة ١٥٤٧، ذو القعدة ١٢٣٦هـ/ يوليو ١٨٢٠م.

الصناعات كصناعة البارود وحفظ اللحوم وتبييض الكتان الخام، وعرف نتيجة لذلك كسلعة اقتصادية مهمة اشتد الطلب عليها من دول شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام وتركيا وبعض الدول الأوروبية، وأصبح مصدرًا مهمًا للخزينة المصرية^(١).

وقدم لنا أندريوسي وصفًا لتجارة النطرون حيث ذكر قائلاً: «تعتمد تجارة النطرون على حالته بالمثل على تحليلات لم تكن في وضع يسمح لنا بالقيام بها، وعلى نوع من النشاط والاهتمام لا يمكن لنا الاضطلاع به، في بلاد ظلت فيه مكاسب الصناعة فريسة لمغارم الحكام ومظالمهم. وقد يترك المستغلون في النطرون خليطًا من مختلف الأملاح مع الصودا، وبالذات الملح البحري، الذي يؤدي وجوده إلى زيادة محففة في وزن النقلة. ومن جهة أخرى يشكو صناع مارسيليا في أنهم يعانون أضرارًا حقيقية وكبيرة، وعلى الرغم من ذلك شهدت سنوات ١٧٨٨ م، ١٧٨٩ م، ١٧٩٠ م رواجًا كبير، عندما أمكن لتجار مارسيليا عقد صفقات تجارية جديدة، فإنهم استوردوا إلى فرنسا كميات هائلة من النطرون، خزنوا جزءًا كبيرًا منها في محلاتهم لمواجهة العجز عند تعسر تصديره من مصر»^(٢).

على أية حال، فبعد أن سيطر محمد علي على الحجاز وما حوله من بلدان شبه الجزيرة العربية، زادت التجارة الخارجية للنطرون، وخاصة بعد حصوله على موافقة السلطان العثماني بتبادله مع تجار المنطقة مقابل البن وبعض بضائع من الهند، ليتمكن من إزاحة التجار الأجانب من أمامه لاحتكار تجارة البن^(٣)، ويضمن ترويج النطرون في بلدان الجزيرة العربية^(٤).

(١) مديرية البحيرة: س ١١٩، ج ٥، صادر دواوين لسائرة، وثيقة ٤١٦، ١١ شوال ١٢٧٦هـ/ ٢ مايو ١٨٦٠، ص ١١٩؛

Sonini, G. S: Travels in upper and Lower Egypt, London 1800, P.P. 200-203.

(٢) تأليف علماء الحملة الفرنسية: ج ٢، المرجع السابق، ص ٥١ - ٥٢.

(٣) لمزيد من التفصيل عن تجارة البن عبر البحر الأحمر مع مصر انظر:

El. Batrik, Abdel Hamid: Egyptian Yemani Relation (1819-1870) and their Implications for British policy in the Red sea «In» , Political and Social Change in Modern Egypt, London 1968. P. 88.

(٤) ديوان معية سنية تركي: محفظة ٢٩، دفتر ٧، إلى حضرة الأفندي كتبخدا، وثيقة رقم ٥٧، ١١ شوال ١٢٣٦هـ/ ١٢ يوليو ١٨٢٠م، ص ١١٢.

كما لعبت بلاد الشام دورًا تجاريًا في تسويق النطرون، خاصة بعد نجاح صناعة الصابون بها واعتمادها عليه؛ لتفادي الاستيراد الخارجي من مصر نتيجة لارتفاع رسوم الجمارك التي تفرض عليها بجمركي بولاق والإسكندرية، وربما كان ذلك الدافع وراء لجوء التجار الشوام إلى استيراده من مصر لإدخاله في هذه الصناعة، أو مبادلتها بالأقمشة الحريرية التي تشتهر بها بلاد الشام^(١).

كذلك كانت تركيا من أكبر المناطق استهلاكًا للنطرون بشتى أنواعه، ويرجع ذلك إلى وجود العديد من الصناعات بها كصناعة الزجاج التي اشتهرت بها والتي اعتمدت كلية على النطرون المختلط بالرمال، بالإضافة إلى صناعة الصابون وتبييض الأقمشة مما زاد من استهلاكه^(٢).

ومن الجدير بالذكر أن مصر فرضت عليها حصة من النطرون ترسلها سنويًا بحكم التبعية للدولة العثمانية، وعند تأخرها كان السلطان يتدخل بنفسه، مثلما قام السلطان محمود بن عبد الحميد خان بإصدار أوامره في سنة ١٢٤٢هـ / ١٨٢٧م لوالي مصر بسرعة إرساله النطرون^(٣) فضلًا عما يجلبه التجار الأتراك من مصر، حتى لا تتعطل مصانع الزجاج والصابون^(٤).

وذكر أندريوسي تزايد الطلب على النطرون في أوروبا بعد نجاح تجارب إدخاله في العديد من الصناعات^(٥)، فتصارعت مجموعة من الدول ومنهم فرنسا وإيطاليا وإنجلترا للحصول

(١) ديوان التجارة والمبيعات: س ٥٢٩٥ ج ١، وارد قيد التحريات الواردة، وثيقة ٢٠، ٢٧ ذي القعدة ١٢٦٧هـ / ٣ سبتمبر ١٨٥١م، ص ٢٣، لمزيد من التفصيل انظر: عبد الله محمد عزباوي، الشوام في مصر في القرنين الثامن والتاسع عشر، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٨٦، ص ٩٥-٩٨.

(٢) محافظ الأبحاث: محفظة ٣٧، وثيقة ٦٦٣، ١٥ شوال ١٢٥٢هـ / ٢٣ يناير ١٨٣٧م؛ Sonini, G. S: Op. Cit. P. P. 201-209.

(٣) سجلات البراءات والفرمانات السلطانية (ديوان بلاط جلالة الملك): س رقم ٦٩١، س ٩/٨/٢ ج ٢، فرمان رقم ١٢٩، ٤ شوال ١٢٤٢هـ / أول مايو ١٨٢٧؛ راجع: ملحق رقم (٨).

(٤) مجلس تجار إسكندرية: س ١٧٠٩، صادر إلى مذكورين سايرة، وثيقة ١٣٧، ٩ رمضان ١٢٧٤هـ / ١٢٣ إبريل ١٨٥٨، ص ٦٧.

(٥) تأليف علماء الحملة الفرنسية: ج ٢، المرجع السابق، ص ٥١-٥٢.

عليه، فأمكن لتجار مارسيليا عقد صفقاته واستيراد كميات هائلة منه إلى فرنسا وتخزينه في مخازن مخصصة له لمواجهة العجز عند تعسر تصديره من مصر^(١) كما نجح تجار البندقية في إدخاله إلى إيطاليا خامًا وإجراء تكريره بها لفصل الشوائب عنه وتصفيته وتصديره منها إلى دول وسط أوروبا بأسعار مرتفعة^(٢)، وتمكن تجار لجهورن بإنجلترا في عقد العديد من صفقاته لاستخدامه في مبيض الغزل والنسيج^(٣) فتمكن فيلي لبرنور من الحصول على موافقة الحكومة المصرية في شراء خمسين ألف أقة نظرون سنة ١٨٨٣ م^(٤).

كذلك تعتبر النمسا من أكبر الأسواق الأوروبية استهلاكًا للنظرون المصدر من مصر، لدرجة أن الأخ الأكبر لإمبراطور النمسا حضر في سنة ١٨٥٥ م أقام حفلًا على شرف إنهاء إحدى الصفقات لصالح بلاده^(٥)، كما استطاع الجنرال فونستلوشي من التدخل لإنهاء إحدى الأزمات التي حدثت بين تجار نظرون النمسا وملتزميه بالطرانة من أجل تسهيل تصديره حتى لا تتوقف الصناعات القائمة عليه^(٦) فضلًا عن تدخل قنصل النمسا والمجر بمصر لتسوية النزاع الذي حدث بين الخواجة فلكس جبارة أحد مصدري النظرون لبلاده وحسين حمزة

(١) ديوان التجارة والمبيعات: س ٥٢٩٩، ج ١، وارد قيد القرارات، وثيقة ٢١٤، ٢٣ جمادى الأولى ١٢٦٩ هـ/

٤ أغسطس ١٨٥٣ م، ص ١٦٨؛ P P. 2-9. Sonini, G. S: op. cit.

(٢) ديوان خديوي تركي: محفظة ٣٧، دفتر ٧٤٧، وثيقة ٢٦٨، ١٠ جمادى الأولى ١٢٤٤ هـ/ ١٨ نوفمبر ١٨٢٨ م، ص ٩٢؛ محكمة الإسكندرية: س ٤ إشارات، مادة ١٧٤، ١٠ شوال ١٢٨٢ هـ/ ٢٦ فبراير

١٨٦٦، ص ٦٩؛ P. 39. Brawne. W. G: op. cit.

(٣) ديوان التجارة والمبيعات: س ٥٢٩٥، ج ١، وارد قيد القرارات، وثيقة ١٣، ١٦ شوال ١٢٦٨ هـ/ ١٣ أغسطس ١٨٥٢ م، ص ٤٠.

(٤) مجلس النظر: فهرست المنشورات والقرارات سنة ١٨٨٣، مطبعة بولاق، القاهرة ١٨٨٣ م، ص ١٧٩.

(٥) إدارة المحليات: محفظة ٤، تفتيش بحري، ملف ٨، وثيقة ٣٢٢، ١٦ شوال ١٢٧١ هـ/ أول يوليو ١٨٥٥ م.

(٦) مديرية البحيرة: س ١١٩ ج ٥، صادر الدواوين للمعية السنية، مادة ٢٥، ٢٦ شوال ١٢٧٦ هـ/ ١٧ مايو ١٨٦٠، ص ١١٤.

ملتزم النطرون بالطرانة^(١) من أجل الإسراع باستكمال باقي الصفقة التي بلغ مقدارها نحو ٩٠ ألف وزنة نطرون والتي قدرت بنحو ١٩ ألف جنيه سنة ١٨٧٥^(٢).

على أية حال، فقد وصلت صادرات مصر من النطرون في الفترة من (١٨٦٦ - ١٨٧٥ م) إلى حوالي ٢, ٤٨٥, ١٦ أقة، ارتفعت من ١٩, ٦٨٤, ١ أقة في سنة ١٨٦٦ م إلى ٤٤٠, ١٧٧, ٢ أقة في سنة ١٨٧٥، وكانت إيطاليا والنمسا السوق الرئيسة لهذا الصنف، فكان يصدر إليهما عن طريق الإسكندرية سنوياً حوالي ٣٠, ٠٠٠ Peres من النطرون^(٣).

وفي عصر شركة الملح والصودا (١٨٩٩ - ١٩٤٧) زادت كميات الإنتاج من النطرون واتسع حجم الصادرات إلى الدول الأوروبية، وإن كان ذلك يرجع إلى الأسباب الآتية:

- تنظيم العمالة.

- استخدام الآلات الحديثة في استخراجها.

- قلة الفاقد.

- دقة تكريره بفصل الشوائب عنه.

- قرب مصنع شركة الصودا من مناطق استخراجها.

- سهولة نقله من الوادي إلى الخطاطبة عبر سكة حديد الدلتا ومنها إلى الخارج بواسطة السفن النهرية منه والبحرية^(٤).

والجدول التالي يوضح كمية الصادرات منه إلى أوروبا في سنتي ١٩١٠ / ١٩١١ م:

(١) ديوان المجلس الخصوصي: محفظة ٢٤، صادر المجلس الخصوصي إلى مديرية البحيرة، ١٨ جماد الآخر

١٢٩٢ هـ / ٢١ مايو ١٨٧٥ م.

(٢) نفسه: وثيقة بدون رقم، ٢١ جمادى الآخرة ١٢٩٢ هـ / ٢٤ يوليو ١٨٧٥ م.

(٣) أحمد الشربيني: المرجع السابق، ص ٣٣١؛ MC. Coon, J. C: op. cit. P. 168.

(٤) تأليف شركة الملح والصودا: المرجع السابق، ص ٤-١٢، انظر الشكل رقم ٤.

جدول (٤/٢) (١)

القيمة بالجنيهات		بالطن		النوع
١٩١١	١٩١٠	١٩١١	١٩١٠	السنة
٩٦٦٠	١٠٠٥٣	١٢٠٧	١٢٥١	الصودا الكاوية
١٥٠٤	١٨٢٠	٧٥٢	٩٠٢	النظرون

يتضح من الجدول السابق حجم الصادرات الخارجية من الصودا الكاوية ومادة النظرون خلال عامي ١٩١٠ / ١٩١١ بخلاف ما كانت تستهلكه شركة الملح والصودا، فضلاً عما كان يباع داخلياً من أجل الاستهلاك المحلي.

وبجانب النظرون استخرج ملح الطعام الذي يستهلك في الأغراض المنزلية والصناعية والذي زاد إنتاجه من ١٢٤ ألف طن عام ١٨٨٦ إلى ١٥٠ ألف طن عام ١٩٠١ (٢).

مشكلات وقضايا النظرون:

من المشكلات والمخالفات التي كشفت عنها الوثائق عدم توفر العاملين لاستخراج النظرون واستغلال صغار السن لسد العجز، ومثال ذلك معاونة أهالي الأخماس وأبي نشابة والطرانة من توفير العدد المفروض عليهم، نظراً لتسحب بعضهم من قراهم (٣)، فكان يستكمل العدد المطلوب بصغار السن مما يعرضهم للأمراض والأوبئة والموت أحياناً لعدم قدرتهم على استخدام آلات ومعدات هذا العمل الشاق، ويؤدي ذلك إلى تعطل عملية استخراج النظرون (٤).

(١) المصدر: محمود على سيف: المرجع السابق، ص ٣١٢.

(2) Issawi, Charles: The Economic History of the Middle East (1800-1917) The university of Chicago Press 1966. P.P. 443- 444.

(٣) مديرية البحيرة: س ٨٩٠، وارد المديرية من قسم النجيلة، وثيقة ١٨٢، ١٢ ربيع أول ١٢٧٤هـ/ أول نوفمبر ١٨٥٧م، ص ١١٠.

(٤) نفسه: س ١٠٠١، وارد الفروع من وكيل مصلحة الأطرون، وثيقة ٩١، ٨ محرم ١٢٧٧هـ/ ١٧ يونيو ١٨٦٠م، ص ١٣٨.

كما تعرضت بحيرات النطرون لاعتداءات العربان نظرًا لموقعها بالوادي، وخير مثال على ذلك ما قام به مجموعة من عربان المغازة والنعام بالوجه القبلي من الاعتداء على بحيرات النطرون وتحميلهم اثني عشر جملًا بالنطرون، وتمكن خفراء الحراسة من ضبطهم وتحويلهم إلى وكيل مصلحة النطرون بالطرانة لإرسالهم إلى المديرية، وتمثلت عقوبة الاعتداء طبقًا للبند السابع من شروط التعاقد بين الملتزمين والحكومة في استيلاء المصلحة على الجمال، أما المرتكبون فكان يتم مجازاتهم بالخدمة بالجيش لمدة عام إذ كانوا من أرباب السوابق^(١).

ومن المشكلات التي واجهت استخراج النطرون ونقله التعدي على خفراء حراسة بحيراته وقوافله، ومثال ذلك ما قام به مجموعة من عربان الحراي والفوايد والجوازي بالاعتداء على خلجان النطرون والاستيلاء على الآلات وأدوات استخراجهم وتكريره، بالإضافة إلى نهب الجمال وإصابة أحد الخفراء بالرصاص^(٢)، كما قامت مجموعة من عربان أولاد علي بالتعدي على بحيراته وسرقة النطرون والجمال والأبقار التي تملكها مصلحة النطرون بالوادي بالإضافة إلى إصابة على موسى وقتل سليمان أبو زيد من رجال الحراسة^(٣).

كما تعرض رجال الحراسة لتحقيقات ووجهت لهم تهمة الإهمال في تأدية مهام وظائفهم، ومثال ذلك ما قامت مجموعة من لصوص القليوبية من سرقة النطرون وأدوات استخراجهم بالوادي، وهروبهم وعدم تمكن الخفراء من الإمساك بهم وقد وجهت لهم تهمة التآمر معهم والإهمال في تأدية مهمتهم، وكانت العقوبة في مثل هذه الحالة سداد مقدار المسروقات بعد تقديرها، والطردها من الوظيفة^(٤).

(١) نفسه: س ١٠٣، صادر دواوين الداخلية، وثيقة ١٤٠، ٢٢ شعبان ١٢٧٤هـ / ١٧ إبريل ١٨٥٨م، ص ٩٦.

(٢) نفسه: س ١، ل / ١٣ / ١ / ج ٥، صادر المديرية إلى الجمعية الحقانية، وثيقة ١٠١، ٢٤ محرم ١٢٦١هـ / ٣ فبراير ١٨٤٥م، ص ٦٣٨.

(٣) نفسه: س ٢٠٥، صادر دواوين إلى سايرة، وثيقة ١١، ٢٢ من ذي العقدة ١٢٩١هـ / ٣١ ديسمبر ١٨٧٤م.

(٤) نفسه: س ٤٧١، وثيقة ٦٦٦، ٢٤ جماد الثاني ١٢٨٨هـ / ١٠ سبتمبر ١٨٧١، ص ١٦١.

ومن القضايا التي وقفت عائقاً أمام تجارة النطرون -ذلك الذي عرف باسم النطرون البراني- تهريبه وترويجه بأسعار أقل في السوق المصرية مما دفع الدولة إلى محاربة أصحابه، مثلما قامت بضبط محمد عبد الواحد وحسن رضوان ببني سويف^(١) وعلي محمد وأحمد أبو زيد بالحيرة^(٢) وإبراهيم مقلد بينها^(٣) وآخرين بالقليوبية، وكانت العقوبة في مثل هذه الحالات السجن من سنة إلى ثلاث سنوات^(٤).

كذلك من مشكلاته خلطه بالرمال وعدم تكريره بصورة جيدة والتلاعب في تصنيفه مما أوجد القضايا بين التجار وملتزميه، مثلما حدث ما بين الخواجة فلنكس جبارة مستورد النطرون لإمبراطورية النمسا والمجر وحسين حمزة أحد ملتزميه بالطرانة وكاد يتسبب في إلغاء صفقة بلغ مقدارها ٩٠ ألف وزنة نطرون^(٥).

أضف إلى ذلك ما كان يقوم به قبانية النطرون من التلاعب في الأوزان مستغلين انتشار الأمية بين بعض التجار، كما حدث من اتهام عبد الغني إسماعيل ومحجوب عبد الله بمصلحة النطرون بالطرانة^(٦) وقد كانت عقوبة المخالفة في الأوزان بالإهمال تتراوح بين الجلد ١٠، ٢٥، ٥٠ سوطاً عام ١٨٣٥م^(٧) ثم آل الأمر إلى أن استبدل به الحكم على القباني بسداد العجز والطرده كما صدر ضد إسماعيل سليمان^(٨).

(١) نفسه: س ١٠٠١، وارد الفروع من مصلحة الأطرون، وثيقة ٧٠، ٢٩ شوال ١٢٧٦هـ / ٢٠ مايو ١٨٦٠م، ص ٦٢.

(٢) نفسه: س ١٠٣٥، وارد من قسم النجيلة، وثيقة ١٦٨٧، ٢١ جماد الثاني ١٢٨٥هـ / ١٩ أكتوبر ١٨٦٨م، ص ١٣٧.

(٣) نفسه: س ١٠٣، صادر إلى مديرية القليوبية، وثيقة ٨٥، ٤ ذي القعدة ١٢٧٤هـ / ، ص ٩٤.

(٤) مديرية القليوبية: س ٨٨، صادر إلى مديرية البحيرة، وثيقة ٣٢، غرة رجب ١٢٧٧هـ / ١٢ فبراير ١٨٦١م، ص ٢٦٠.

(٥) ديوان المجلس الخصوصي: محفظة ٢٤، صادر من المجلس إلى مديرية البحيرة، وثيقة بدون رقم، ١٩ جماد الآخر ١٢٩٢هـ / ٢٢ مايو ١٨٧٥.

(٦) مجلس ملكية تركي: محفظة ٢، وثيقة ٢٢٧، ٢١ جمادى الأولى ١٢٥١هـ / ١٤ سبتمبر ١٨٣٥م.

(٧) مجلس الأحكام: س ٨/٩/٧ دفتر العرضحالات، مضبطة رقم ٦، ٢٦ رمضان ١٢٧٩هـ / ١٦ مارس ١٨٦٣م، ص ٢٨.

(٨) مديرية البحيرة: س ٢٢٩، صادر دواوين لضبطية مصر، وثيقة ٣٩، ١٤ جماد الأول ١٢٩٥هـ / ١٦ مايو ١٨٧٨م، ص ١٧٣.

ولم تنج عملية نقل النطرون بالطرق المائية من مركزه بالطرانة من مخالفات المراكبية وترتب عليها الجزاء ردعاً للمخالف وإقراراً للضبط والربط، فكان من مشكلاتها تعرض المراكب أو ذويها للغرق أو السرقة أو اتهامهم بها والحريق والعجز وتراكم الديون، فقد غرقت حمولة المراكبي محمد السقا أثناء نقلها النطرون إلى رشيد^(١) كما تعرضت الشحنة المتجهة إلى أسيوط بقيادة الرئيس حسين علي للعجز^(٢)، وكذلك تعرضت الشحنة المتجهة إلى الإسكندرية بصحبة الرئيس أحمد سليمان للتلف^(٣) وتناقصت شحنة مراكبية المنوفية المتجهة إلى رشيد^(٤) وكان العقاب في تلك الحالات سداد قيمة ما ارتكب من خطأ مادياً مما عرضهم للديون وعرقلة نقل النطرون وتعطل تجارته^(٥).

وكان من المخالفات كثرة تظلم العاملين على إنتاج ونقل النطرون من مشكلات الأجور، فيذكر أن عربان الجوابيص والجميعات قاموا بتهديد أحد الملتزمين بالتوقف عن نقله من الوادي إلى الطرانة إلا بعد سداد قيمة الأجور السابقة^(٦) كذلك كانت أجرة العاملين بتكرير النطرون ضئيلة، حيث لم تكن تتعدى خمسون قرشاً شهرياً^(٧) كما طالب المراكبية الملتزمين

(١) نفسه: س ٨٢٥، صادر ووارد إلى حضرة محافظ رشيد، وثيقة ٩٥، ١٣ شعبان ١٢٦١هـ / ١٧ أغسطس ١٨٤٥م، ص ٣١٠.

(٢) نفسه: س ٢٠٥، صادر الدواوين للمنيا وبنى مزار، وثيقة ١٦، ١٣ ذي القعدة ١٢٩١هـ / ٢ ديسمبر ١٨٧٤م، ص ١٠١.

(٣) ديوان شورى المعاونة: محفظة ٣٠، ملخصات دفاتر، دفتر ٢٧، معية تركية، ملخص الوثيقة التركية رقم ١٨، ٥٩٣ جماد الأول ١٢١٢هـ / ١٨ ديسمبر ١٨٢٦م.

(٤) مديرية البحيرة: س ٢١٦، صادر الدواوين للمنوفية، وثيقة ١٦٩، ٢٨ رمضان ١٢٩٠هـ / ١٩ نوفمبر ١٨٧٣، ص ١٢٦.

(٥) ديوان التجارة والمبيعات: س ٥٣٠٨، دفتر قيد الصادر، وثيقة رقم ٤٢٩، ٥ جمادى الأولى ١٢٦٩هـ / ١٤ فبراير ١٨٥٢م، ص ٤٩٥.

(٦) مديرية البحيرة: س ١٠٨٧، ج ١، وارد العرضحالات، وثيقة ٢٠، ٢٥ ذي القعدة ١٢٧٤هـ / ٧ يوليو ١٨٥٨م، ص ١٢.

(٧) نفسه: س ١٠٣، صادر الدواوين للمعية السنية، وثيقة ٧٣، ١٧ شعبان ١٢٧٤هـ / ٣ إبريل ١٨٥٨م.

بأجورهم المتأخرة عليهم^(١)، تلك المشكلات والقضايا سألقة الذكر من المنغصات التي كانت تعرقل إنتاج وتجارة النطرون خلال فترة الدراسة.

التبادل التجاري بين وادي النطرون والأقاليم الأخرى:

لعب التبادل التجاري في وادي النطرون خلال فترة الدراسة دورًا هامًا في ربط المدن الكبرى بالدلتا والصعيد بالوادي، عن طريق الاتجار معها واحتفاظ القاهرة بنصيب كبير من حجم المبيعات التي خرجت منه، كما كانت هناك سلع تصدر إلى الخارج، واعتمد الوادي بشكل أساسي على سد حاجاته من سلع وخامات وخدمات على الأقاليم المجاورة له، حيث كانت منتجات الوادي من الثروة الحيوانية (المواشي والخيول والجمال والحمير) من أهم السلع التي تُباع إلى الأقاليم الأخرى وإلى القاهرة على وجه الخصوص، فكان خبرة عربان الوادي بتربية الخيول والجمال دافع وراء اعتماد الدولة عليهم في إمدادها بالأعداد اللازمة^(٢) كما وجد إقبال كبير على حمير الوادي ذات الألوان المتعددة بسوقها بالقاهرة^(٣)، كذلك كانت منتجات الألبان (السمن والقشطة والجبن) من أهم السلع التي تباع بوكالة السمن ببولاق^(٤) واعتمدت مصانع الجلود والأصواف بالقاهرة على خامات الوادي^(٥) بالإضافة إلى الملح والنطرون الذي احتل الجانب الأكبر من صادرات الوادي إلى القاهرة على نحو ما رأينا^(٦).

(١) نفسه: س ٢١٦، صادر دواوين إلى المنوفية، وثيقة ١٧٠، ٢٨ رمضان ١٢٩٣هـ / ١٧ أكتوبر ١٨٧٦م، ص ١٢٦.
(٢) نفسه: س ٨٥٠، وارد عموم المالية إلى مديرية البحيرة، وثيقة رقم ٧٠٦، ١٨ شوال ١٢٦٦هـ / ٩ سبتمبر ١٨٥٠م، ص ٣١٦.

(٣) محكمة مصر الشرعية: س ٤١، مادة ٢١٧، ٥ شوال ١٢٨٠هـ / ٢٤ مارس ١٨٦٤م، ص ١٣٢؛ ديوان المجلس الخصوصي، س ١١/٨/١، القرارات واللوائح الصادرة، وثيقة ٢١، ٢١ ذى القعدة ١٢٧٥هـ / ٢١ يونيو ١٨٥٩.

(٤) ديوان التجارة والمبيعات: س ٥٢٩٤ج ١، قيد القرارات الواردة، وثيقة رقم ١١، غرة ذي القعدة ١٢٦٥هـ / ١٨ سبتمبر ١٨٤٩.

(٥) محافظ سيادية: مجلس الملكية؛ محفظة ١، وثيقة ٤، ٢٧ محرم ١٢٥٠هـ / ٦ يونيو ١٨٣٤م.

(٦) مجلس الأحكام: س ٣٧/٦/٧، صادر الأقاليم البحرية، وثيقة ٥، ٢٢ شعبان ١٢٨٥هـ / ٩ ديسمبر ١٨٦٨م، ص ١٦.

كما ذهب أغلب الإنتاج الزراعي من الوادي إلى القاهرة، حيث كان يورد إليها الخضراوات الطازجة التي استخدمت في الطهي مثل البامية والقلقاس والزيتون، والفاكهة مثل التين والخوخ، ومختلف أنواع الحبوب من القمح والشعير والذرة والحمص والسّمسم والقرطم بالإضافة إلى التبن اللازم لغذاء الحيوانات^(١) كما كان لمنتجات تربية النحل من عسل وشمع سوق رائجة بالقاهرة^(٢).

وكانت منتجات الوادي من البوص والحلف والسمار من أهم السلع التي تقوم عليها صناعة الحصر بالمنوفية، حيث كانت الطرانة والأخماس وأبا نشابة على الجانب الغربي لفرع رشيد من أهم المراكز لتجميع هذه المنتجات بواسطة عربان الحراي^(٣)، بينما تولى عربان الجوابي نقلها إلى الجانب الشرقي من نفس الفرع حيث تجمع في قرى هناك ويقوم تجار وصناع المنوفية بجلبها من هناك^(٤)، بالإضافة إلى بعض المنتجات الزراعية التي ذهبت إلى إقليم المنوفية لسد احتياجاتها ومن أهمها القمح والقرطم والسّمسم، الذي لم يكن كافيًا لسد احتياجات معاصر السيرج المنتشرة بها^(٥).

كما أمد الوادي وسط الدلتا وعلى وجه الخصوص المنوفية بالنظرون الذي كان يجلب إليها بواسطة تجار متخصصين يذهبون إلى الطرانة لشرائه وإحضاره لبيع إلى ميايض الغزل والنسيج وللأهالي لتبييض الأقمشة^(٦) بالإضافة إلى ملح الطعام^(٧).

(١) مديرية البحيرة: س ١٠٤٠، وارد الفروع من قسم النجيلة، وثيقة ١٣٢، ٢ جماد الثاني ١٢٨٦هـ/ ٩ سبتمبر ١٨٦٩م، ص ١٣٦.

(٢) نفسه: س ٢٥٨، صادر الفروع إلى ناظر أشوان النجيلة، وثيقة ٧٧، ١٩ شوال ١٢٦٦هـ/ ٢٨ أغسطس ١٨٤٩م.

(٣) نفسه: س ١، صادر مديرية البحيرة إلى الجمعية الحقانية، وثيقة ١٠١، ٢٤ محرم ١٢٦١هـ/ ٢ فبراير ١٨٤٥م، ص ٦٣٨.

(٤) نفسه: س ٣٢٥، صادر الفروع لشئون النجيلة، وثيقة ١٠٣، ٢٢ رمضان ١٢٧٠هـ/ ١٨ يونيو ١٨٥٤م، ص ٣٢.

(٥) ديوان خديوي تركي: ملخصات دفاتر، دفتر ٧٦٤، وثيقة ٤٧٢، ٩ صفر ١٢٤٦هـ/ ٣٠ يوليو ١٨٣٠م، ص ١٧٦.

(٦) وثائق دير السريان: وثيقة رقم ٩٣٦، ٩ محرم ١٢٣٩هـ/ ١٥ سبتمبر ١٨٢٣هـ.

(٧) مديرية البحيرة: س ١٠٤٠، ج ٥، وارد الفروع عن قسم النجيلة، مادة ١١٩٦، ٢٤ ربيع الثاني ١٢٨٦هـ/ ٤ أغسطس ١٨٦٩م، ص ٢٥.

كما كان لعدم اعتماد الإسكندرية - بوصفها مدينة ساحلية على البحر المتوسط - على موقعها الجغرافي، دافع وراء اعتمادها على جيرانها، فكان لوادي النطرون دور رئيسي في إمدادها بالثروة الحيوانية والزراعية والمعدنية فاحتلت منتجات الثروة الحيوانية من الألبان والقشطة والسمن والعسل والشمع والجلود والأصواف مكانة أساسية في أسواقها، فضلاً عن المواشي والجمال والخيول والحمير^(١)، كما ذهب إليها أغلب الإنتاج الزراعي من قمح وذرة وشعير وسمسم وحمص وقرطم ونيلة^(٢)، بالإضافة إلى ملح النطرون للاستهلاك المحلي والتصدير للخارج^(٣).

كذلك اعتمدت سيوة على بعض منتجات الوادي لسد العجز من قمح وسمسم ودخان^(٤) فضلاً عن الأقمشة الكتانية والقطنية والخيش والبرادع المصنعة بالوادي^(٥) كما ذهب إليها النطرون والصابون لتبييض الملابس بالإضافة إلى بعض أدوات الحدادة والصناعات الزجاجية^(٦).

ولم تقتصر صادرات الوادي على جيرانها فقط، وإنما صدرت كميات كبيرة من إنتاجها إلى صعيد مصر من السمسم والحمص والعسل الأبيض والدخان والنطرون والصابون^(٧) فضلاً عن الخيول والحمير ذات الألوان المتعددة^(٨).

(١) معية سنوية تركي: محفظة ٩٠، ملخصات دفاتر، دفتر ٨٠، وثيقة رقم ٢٢٨، ١٦ شعبان ١٢٥٢، ٢٦ نوفمبر ١٨٣٦م؛ محكمة الإسكندرية: س ٢٥٢، مبيعات، مادة ٣٦٣، ٢١ ذي الحجة ١٣٠١هـ/ ١١ أكتوبر ١٨٨٤م، ٧٣٠.

(٢) نفسه: محفظة ٨٤، دفتر ٧٥، وثيقة ٦٥٨، ١٢ رجب ١٢٥٢هـ/ ٢٣ أكتوبر ١٨٣٦م، ص ٢١٢؛ سجلات الخوض والمحمودية، س م / ١ / ٩ / ٥، وثيقة ١٤٠، ١٤ صفر ١٢٩٩هـ/ ٢٢ نوفمبر ١٨٨١، ص ٧.

(٣) مديرية البحيرة س ١، صادر مديرية البحيرة إلى الإسكندرية، وثيقة رقم ٩٠، ٢٥ صفر ١٢٦١هـ/ ٥ مارس ١٨٤٥م، ص ٥١٥.

(٤) محكمة النجيلة: س ٣١٨، مادة ١٨، ١٢ ذى القعدة ١٣٢٠هـ/ ١٠ فبراير ١٩٠٣، ص ٦.

(٥) مديرية البحيرة: س ٢٤٠، صادر الفروع إلى ناظر مبيضة النجيلة، ل/ ١٣ / ٧ / ٥، وثيقة ١٠٨، ١٠ صفر ١٢٦٥هـ/ ٦ يناير ١٨٤٩م، ص ٦٦٩.

(٦) محكمة سيوة: س ١٢٤٢، مادة ٥، ٦ رجب ١٣٠٥هـ/ ١٩ مارس ١٨٨٨م، ص ٥.

(٧) مديرية البحيرة: س ٢١٦، صادر دواوين لمديرية جرجا، وثيقة ٢٨، ٢٨ رمضان ١٢٩٣هـ/ ٧ أكتوبر ١٨٧٦، ص ١٤٩.

(٨) نفسه: س ٨٩٠، ج ٩، وارد البحيرة إلى سايرة، وثيقة ٦٦، ٩ جمادى الأولى ١٢٧١هـ/ ٢٨ يناير ١٨٥٥م، ص ١١١.

ولم تكن مبيعات وادي النطرون قاصرة على داخل مصر فقط، وإنما صدرت كميات كبيرة من مادة النطرون والصابون والزجاج والحصير وبعض المنسوجات الصوفية والمشغولات اليدوية والخيول وعسل النحل إلى كل من سوريا وليبيا وشبه جزيرة العرب وتركيا^(١).

وذهب أغلب إنتاج الوادي من مادة النطرون إلى دول أوروبا، نظرًا لتميزه وشهرته فتصارعت عليه كل من النمسا والمجر وإيطاليا وفرنسا وإنجلترا من أجل استيراده بواسطة وكلائها حتى لا تتعطل مصانعها^(٢).

وقد اعتمد الوادي على الأقاليم المجاورة والقريبة في الحصول على أكثر احتياجاتها من الخامات والمنتجات اللازمة للاستهلاك المحلي أو للصناعات الموجودة بها في ذلك الوقت.

حيث اعتمد الوادي في الحصول على كميات كبيرة من المنتجات الغذائية التي لم تكن كافية لسد حاجاته على إقليم المنوفية مثل السكر والعسل الأسود وزيت السيرج^(٣) فضلًا عن استيراد الدوبار وبعض أنواع الكتان اللازم لصناعة الخيش والبرادع^(٤).

كما أمدت سيوة الوادي بكميات كبيرة من البلح بكافة أنواعه والتي استخدمت في صناعة العجوة^(٥)، بالإضافة إلى زيت الزيتون وسمن الغنم لإعادة تنقيته وتسويقه بالقاهرة أو الإسكندرية لشهرته^(٦).

(١) محافظ سيادة: محفظة ٢، مجلس ملكية، دفتر ١٥٦، محفظة ٣١، ٢٢ محرم ١٢٥٣هـ/ ٢٨ إبريل ١٨٣٧م، ص ٥.
(٢) ديوان المجلس الخصوصي: محفظة ٢٤، صادر المجلس إلى مديرية البحيرة، وثيقة بدون رقم، ١٩ جماد الآخرة ١٢٩٢هـ/ ٢٢ مايو ١٨٧٥م.

(٣) ديوان شورى المعاونة: محفظة ٢٢، مخلصات دفاتر، دفتر ٢٨٦، مكاتبة رقم ٢٩، ٢٠٤٨ شوال ١٢٥٨هـ/ ٤ ديسمبر ١٨٤٢م.

(٤) مديرية البحيرة: س ٨٧٥، وارد البحيرة من مجلس الأحكام، وثيقة ٥٠، غرة محرم ١٢٧٠هـ/ ١٤ أكتوبر ١٨٥٣م، ص ١١٦.

(٥) مديرية البحيرة: س ٢١٦، صادر دواوين إلى سايرة، وثيقة ١٢٥، ٦ شوال ١٢٩٣هـ/ ٢٥ أكتوبر ١٨٧٦م، ص ١٤٧.

(٦) محكمة سيوة: س ١٢٤٥، مادة ٥، ٦ شعبان ١٣٠٧هـ/ ٢٧ مارس ١٨٩٠م، ص ٧؛ نفسه سجل: ١٢٤٢، مادة ١٠، ٢٤ من ذي القعدة ٥-١٣هـ/ الأول من أغسطس ١٨٨٨م، ص ١٠.

بالإضافة إلى ذلك كانت هناك مجموعة من السلع الغذائية التي كانت تصل الوادي من القاهرة والفيوم وبعض مدن الصعيد، مثل البن والسكر والعسل الأسود وغيرها من السلع^(١).

ومجمل القول، إن النشاط التجاري ازدهر في وادي النطرون خلال القرن التاسع عشر ويرجع ذلك إلى أهمية موقعه الجغرافي بين أقاليم مصر، وتعدّد الطرق التجارية البرية والمائية المؤدية إليه، وقربه من الأسواق المحلية والدولية، كما أنه مثل محطة للقوافل التجارية الداخلية والخارجية - على نحو ما رأينا - مما أدى إلى تعدد فئات التجار، وزيادة النشاط التجاري بها.

كذلك اشتهر الوادي بإنتاج مادة النطرون فازدهرت تجارته، نتيجة لتعدد أنواعه والصناعات القائمة عليه، فزاد الطلب داخليًا وخارجيًا، فازدهرت صادراته وكثرت مشكلاته وقضاياها، لدرجة جعلت بعض حكام مصر وبعض الدول الأوروبية التي يصدر إليها النطرون يتدخلون لإنهاءها حتى لا تعرقل تجارته وتتوقف مصانعهم.

كما زادت عمليات التبادل التجاري بين وادي النطرون وبعض الأقاليم الداخلية والخارجية، ويرجع ذلك إلى تنوع الموارد الاقتصادية والحيوانية والصناعية، وكان الميزان التجاري لصالح وادي النطرون خاصة في القرن التاسع عشر.



(١) محافظ عابدين: محفظة ٢٦٤، وثيقة ٦، ٢٢، محرم ١٢٥٤هـ / ٢ إبريل ١٨٣٨م؛ محكمة الفيوم، س ٥، م ٢٢٩، ٥ ذى القعدة ١٢٧٣هـ / ٢٧ يونيو ١٨٥٧م، ص ٩٠.

الفصل الخامس
الحياة الاجتماعية
فِي وادي النطرون
كما صَوَّرها الرحالة

الفصل الخامس

الحياة الاجتماعية في وادي النطرون كما صوّرها الرحالة

شهد مجتمع وادي النطرون - خلال فترة الدراسة - تطوراً في بعض جوانب الحياة الاجتماعية من قبيل تطوّر عدد السكان وترتيبهم الاجتماعي والتعليم والثقافة، مع الحفاظ على بعض الموروثات الاجتماعية التي تستمد جذورها من الماضي السحيق مثل العادات والتقاليد والاحتفال بالمناسبات الاجتماعية والدينية، وقدم لنا الرحالة الزائرون لمصر ولوادي النطرون وصفاً دقيقاً للحياة الاجتماعية، وإن كان هذا الوصف لا يخلو من التقصير، وربما يرجع ذلك إلى قصر المدة الزمنية التي قضوها في الوادي، وهذا ما سوف نوضحه في هذا الفصل.

التطور السكاني في وادي النطرون:

اتجاهات النمو السكاني:

في خلافة عمر بن الخطاب (١٣-٢٣ هـ / ٦٣٤-٦٤٤ م) دخل العرب مصر بقيادة عمرو بن العاص، وكان عدد سكانها وقتئذ لا يقلون عن الثلاثين مليون نسمة، إن لم يبلغوا الستة والثلاثين مليون نسمة، نظراً لأن الجزية التي جباها العرب من الأقباط عند دخولهم بلغت نحو ستة ملايين نسمة إلى سبعة ملايين من الذكور البالغين دون سواهم. وإن كان غير المعلوم بالدقة مقدار العدد الحقيقي الذي كان يسكن مصر في ذات الفترة، إلا أننا من خلال عمران البلاد وقيام أهلها بالعديد من الأعمال ونهضتها العلمية قبل سواها. كل ذلك نستدل منه على ما كانت عليه من كثرة السكان ومن المعلوم أن مصر منبت التمدن والعلم والعرفان، ولذلك سادت على كل المسكونة، وعلمت العالم واخضعت لها. لا بمجرد القوة فقط، بل بما كانت عليه من المدينة والرقى، فابتنت المباني الفاخرة التي عاشت كل هذا الزمان تصارع الدهر ولم يقوَ على أن يصرعها^(١).

(١) جرجس فيلوثاؤس عوض: القبط - الكتاب الأول في تعداد القبط أمس واليوم، طبع بالمطبعة المصرية الأهلية الحديثة، القاهرة ١٩٣٢ م، ص ٣٣.

وقد قدر القنصل الفرنسي الموسيو ماييه Maillet عدد سكان مصر في عام ١٦٩٢ م بنحو أربعة ملايين نسمة، وفي عام ١٨٠٠ م قدر بنحو (٢٠٠٠٠٠٠) نسمة^(١)، بينما قدر علماء الحملة الفرنسية عدد سكان مصر في نهاية القرن التاسع عشر بحوالي ٢,٤٤٩,٠٠٠ نسمة^(٢) ولكن كلوت بك بعد ذلك طعن في هذا التقرير، ورأى أن عدد سكان مصر، في أثناء الحملة الفرنسية لم يكن يزيد عن مليوني نسمة^(٣) بينما كان عدد سكان الوادي لا يربو على ألف نسمة، ومن المتعذر، بل المستحيل الرجوع بهذا الرقم إلى سند صحيح وبيان مضبوط لعدم وجود نظام تضبط بمقتضاه الأحوال المدنية لكل فرد من الأهالي، كما أن السكان كانوا يخشون التعاون في مجال التعداد لأمر تتعلق بالتقاليد من ناحية ومن ناحية أخرى خشية التعرض للضرائب^(٤). ويرجع تدهور النمو السكاني في وادي النطرون في أوائل القرن التاسع عشر إلى الأسباب التالية:

أولاً- كثرة اعتداءات العربان على الأهالي مما أدى إلى الهجرة من الوادي إلى الدلتا والإسكندرية^(٥).

ثانياً- عودة العاملين (الهجرة الموسمية) باستخراج النطرون إلى مواطنهم الأصلية بعد انتهاء موسم استخراجهم وتجارتهم^(٦).

ثالثاً- زيادة أعداد الوفيات بين سكان الوادي نتيجة لاستخدام الأساليب البدائية في علاج المرضى، وكثرة أعداد القتلى بسبب الصراع الدائم بين العربان والأهالي^(٧).

(١) نفسه: ص ١٦٨.

(٢) سمير عمر إبراهيم: الحياة الاجتماعية في مدينة القاهرة خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٢، ص ١٣.

(٣) كلوت بك: المرجع السابق، ج ١، ص ٣٧٧.

(٤) تأليف علماء الحملة الفرنسية: المرجع السابق، ج ٢، ص ٤٥-٤٧.

(٥) محافظ الأبحاث: محفظة ١٤٠، وثيقة ١٤٠، من الجناح العالي إلى وكيل الديوان الخديوي، ٥ صفر ١٢٦٩هـ / ٣١ ديسمبر ١٨٤٨ م.

(٦) تأليف علماء الحملة الفرنسية: المرجع السابق، ج ٢، ص ٤٩.

(٧) مديرية البحيرة: س ٢٨١، صادر فروع إلى سر سوارى خليل أغا، وثيقة ٧٣، ٢٤ محرم ١٢٦٨هـ / ١٩ نوفمبر ١٨٥١ م، ص ٤٧٤.

على أية حال، راحت معدلات النمو السكاني لسكان وادي النطرون تتزايد تزايداً مستمراً منذ أن تولى محمد علي حكم البلاد، وربما يرجع ذلك إلى اهتمام الباشا باستخراج وتكرير وتجارة النطرون^(١) وتوطين البدو وتشجيعه الهجرة إلى الوادي لتملك الأراضي، أو العمل بصناعة الزجاج أو التجارة^(٢) كما أن النهضة الصحية التي شهدتها البلاد في تلك الفترة ساعدت على النمو السكاني^(٣)، ولو أن الطاعون الرهيب الذي تفشى في عام ١٨٣٥م قد أشاع الموت والدمار بين سكان الوادي أكثر من أي مكان آخر، مما أثر في معدلات النمو السكاني، وإن كانت لا توجد لدينا بيانات دقيقة بعدد حالات الوفيات، وربما يرجع ذلك إلى الإهمال الصحي في جانب الأهالي لتمسكهم بالعادات والتقاليد البدائية^(٤).

ولما كان تعداد السكان يعتمد على الحدس والتخمين، وكان محمد علي يهتم اهتماماً شديداً بزيادة عدد السكان لكي يكونوا عوناً له في تكوين جيش قوي أو كمصدر لجمع الضرائب فإنه قد أصدر أمراً إلى عموم جهات القطر المصري في ١٣ من ذي القعدة سنة ١٢٦١هـ/ ١٣ نوفمبر ١٨٤٥م بالشروع في تعداد أهالي القطر، بناء على قرار الجمعية العمومية بديوان المالية^(٥).

ولذلك عمل محمد علي على تعبئة البلاد لإجراء التعداد السكاني للبلاد، بإصدار أوامره إلى العمد ومشايخ قبائل العربان، يحثهم فيها بإنهاء التعداد الصادر، وهدد كل من يخالف الأوامر

(١) ديوان شورى المعاونة: محفظة ١٩، ملخصات دفاتر، دفتر ٢٨٤، وثيقة ١٣٧٣، ٢٢ شوال ١٢٥٧هـ/ ٧ ديسمبر ١٨٤١م، ص ٢٢.

(٢) محافظ الأبحاث: محفظة ١٤٠، دفتر ١٩٢٣، صادر أوامر، صورة الأمر الكريم رقم ٤٩، ٦ ذو القعدة ١٢٨٣هـ/ ١١ إبريل ١٨٦٧، ص ٧٠.

(٣) محافظ عابدين: محفظة ٥٩، وثيقة ١٨، ١٥ محرم ١٢٥٦هـ/ ١٩ مارس ١٨٤٠م.

(٤) ديوان معية سنية عربي: محفظة ٤٥، وثيقة بدون رقم، ٢٤ صفر ١٢٥١هـ/ ١١ يونيو ١٨٣٥م، ص ٩٠.

(٥) تعداد نفوس: س رقم ١٥٤، ل/ ٩/ ٧٩/ ١٤٥، سنة ١٢٦٤هـ/ ١٨٤٧؛ مديرية البحيرة س ٨٣٥، وارد البحيرة إلى سايرة، وثيقة ٢٧٨، ١٧ رمضان ١٢٦٤/ ١٧ أغسطس ١٨٤٧م، ص ١٢٤١؛ انظر: ملحق رقم (٢١)، ص ٢٧٤.

أو يعطي أي بيانات غير دقيقة بأشد العقاب، كما ألزم حفيده عباس كتحدا باشا بالإشراف العام على إجراء التعداد السكاني^(١).

على أية حال، جاء تعداد سنة ١٢٦٤هـ / ١٨٤٧م مؤشراً على ارتفاع معدلات النمو السكاني بوادي النطرون، فبلغ عدد سكان الوادي ٦٥٢٤ نسمة من الإجمالي العام للقطر المصري البالغ ٤٤٧٦٤٤٠ نسمة، ويرجع ذلك إلى استتباب الأمن وزيادة توطين البدو واستقرار وعدم هجرة الأهالي وزيادة معدلات الهجرة السكانية إلى الوادي^(٢).

وقدر «كولوتشي باشا» في احصائه عدد سكان مصر في عام ١٨٥٥م بنحو (٤٤٠٢٠١٣) نسمة، أما المسيو «رينيه» فقدرها عام ١٨٧٢م بنحو (٥٢٠٣٤٠٥) نسمة، بينما الدكتور «روسي بك» قدرها عام ١٨٧٥م بنحو (٥٢٥١٣٨١) نسمة، أما الموسيو فوجاني Vojani فقدرها عام ١٨٧٦م بنحو (٥٥٢١٦٣١) نسمة، وفي عام ١٨٨١م وصل عدد السكان نحو (٦٨٢١٤٢١) نسمة، بينما وصل العدد في عام ١٨٩٧م (٩٧٣٤٤٠٥) نسمة، وفي عام ١٩٠٧م بلغ عدد السكان (١٢٧١٨٢٥٥) نسمة، بينما في عام ١٩١٧م وصل عدد السكان إلى نحو (١٢٧٥٠٩١٨) نسمة، ووفقاً للتعداد الرسمي لمصر لعام ١٩٢٧م مصر بلغ عدد السكان نحو (١٤١٧٧٨٦٤) نسمة^(٣).

على أية حال، شهد وادي النطرون - في النصف الثاني من القرن التاسع عشر - تدفق المهاجرين المصريين والأجانب إليه وخاصة في الستينيات نتيجة للفرص المالية الكبيرة التي ارتبطت بازدهار تجارة النطرون والقطن ومشروعات التنمية وال عمران وشبكة النقل والمواصلات والرعاية الصحية والاجتماعية التي أدخلها الخديوي إسماعيل، فارتفعت معدلات النمو السكاني، فبعد أن كان عدد سكان الوادي يقدر بنحو ٦٥٢٤ نسمة في عصر محمد علي، بلغ ٨٨٣٣ نسمة عام ١٨٨٢م، كما يتضح من الجدول التالي:

(١) أمين سامي: المرجع السابق، ج ٢، ص ٢٨٤-٢٨٥.

(٢) تعداد نفوس: س رقم ١٧٩، ل/ ٩/ ٧٩/ ١٥٤، كفر داود، قسم النجيلة، سنة ١٢٦٤هـ / ١٨٤٧م؛ نفسه س ٢٧، ل/ ٩/ ٧٩/ ٢٧، سنة ١٢٦٤هـ / ١٨٤٧م.

(٣) جرجس فيلوثاؤس عوض: المرجع السابق، ص ١٦٨.

جدول (٥ / ١)

عدد سكان وادي النطرون^(١) لسنة ١٨٤٧ / ١٨٨٢ م^(٢).

م	اسم الناحية	١٢٦٤هـ / ١٨٤٧ م			١٣٠٠هـ / ١٨٨٢ م			نسبة الزيادة	ملاحظات
		ذكور	إناث	جملة	ذكور	إناث	جملة		
١	الطرانة	٥٩١	٦٠٠	١١٩١	٦٩٣	٦٣٨	١٣٣١	٪١٢	بالإضافة لتعداد الأديرة الأربعة
٢	عزبة الطرانة	٢٣	٢٢	٤٥	٧٤	٥٥	١٢٩	٪١٨٧	
٣	كفر داود	٧٢٦	٧٠٥	١٤٣١	١١٨٣	١١٣٣	٢٣١٦	٪٦٢	
٤	الخطاطبة	١٧٧	١٦٧	٣٤٤	٣٢٨	٣٣٠	٦٥٨	٪٩١	
٥	البريجات	٩٠٨	٩١٠	١٨١٨	١١١٦	١١٧٢	٢٢٢٨	٪٢٦	
٦	الأخماس	٤٩١	٤٧١	٩٦٢	٦٠٣	٥٥٢	١١٥٥	٪٢٠	
٧	أبو نشابة	٣٦٩	٣٦٤	٧٣٣	٤٧٣	٤٨٣	٩٥٦	٪٣٠	
	جملة النواحي	٣٢٨٥	٣٢٣٩	٦٥٢٤	٤٤٧٠	٤٣٦٣	٨٨٣٣	٪٣٥	

(١) خارج هذا التعداد بعض القبائل من العربان، وبعض النواحي مثل بني سلامة، وزقيق، والهوكرية، لعدم

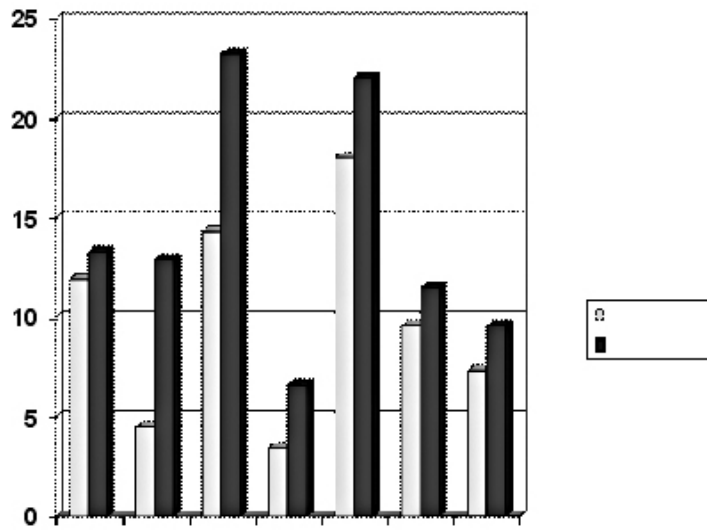
وجود سجلات؛ انظر: ملحق رقم (١٩).

(٢) المصدر: سجلات تعداد النفوس، أرقام ٢٤، ٢٥، ١٧٩، ٢٠٨، ٢٦١، ٢٧٥، لسنة ١٢٦٤هـ / ١٨٤٧ م،

وزارة المالية، مصلحة الإحصاء، تعداد سكان القطر المصري، ج ٢، المطبعة الأميرية، القاهرة ١٣٠٠هـ /

١٨٨٢ م؛ انظر: ملحق رقم (١٩).

ومن هذا الجدول نستطيع أن نقسم قرى الوادي إلى ثلاث كثافات سكانية طبقاً لتعدادي سنة ١٨٤٧ م، ١٨٨٢ م، المجموعة الأولى وتضم قرى مرتفعة الكثافة السكانية جداً وهي كفر داود والبريجات، وتأتي بعد ذلك المجموعة الثانية وتضم القرى المرتفعة الكثافة السكانية، تضم الطرانة والأخماس، أما المجموعة الثالثة فتضم قرى قليلة الكثافة السكانية وهي أبو نشابة وعزبة الطرانة، كما يتضح ذلك من خلال الرسم البياني التالي^(١):



ونستنتج من الرسم البياني السابق - مدى ارتفاع الزيادة السكانية في كل قرى وادي النطرون في سنة ١٨٨٢ م عنه سنة ١٨٤٧ م، كما نلاحظ ارتفاع معدلات النمو السكاني بصورة أكبر في كل من كفر داود، والبريجات، وعزبة الطرانة، بينما تنخفض معدلات النمو السكاني بصورة أقل من السالفة الذكر، في أبي نشابة، والأخماس، والخطاطبة والطرانة، وربما يرجع ذلك إلى اختلاف في معدلات الزيادة الطبيعية.

(١) المصدر: سجلات تعدد النفوس أرقام ٢٤، ٢٥، ٢٧، ١٧٩، ٢٠٨، ٢٦١، ٢٧٥، لسنة ١٢٦٤ هـ / ١٨٤٧ م، مصلحة الإحصاء - تعداد سكان القطر المصري، ج ٢، المطبعة الأميرية، القاهرة ١٣٠٠ هـ / ١٨٨٢ م.

وفي تلك الفترة (١٨٨٢-١٩١٤م) زادت معدلات نمو السكان بوادي النطرون حتى كان يربو عددهم إلى نحو أكثر من عشرة آلاف نسمة طبقاً لإحصاء عام ١٨٩٧م، ويرجع ذلك إلى استتباب الأمن وإنشاء المؤسسات الصحية وتطعيم الأهالي ضد الأمراض وزيادة تيارات الهجرة الداخلية والخارجية إلى الوادي، بالإضافة إلى إقامة المشروعات التنموية مثل شركة الملح والصودا، والشركة المساهمة للري واستصلاح الأراضي؛ والتي استوعبت العديد من الأيدي العاملة المهاجرة، وانتهت باستقرارها، فزاد ذلك من معدلات النمو السكاني بوادي النطرون^(١). وفي أوائل القرن العشرين زار أوديون Odion وادي النطرون وتناول من خلال مذكراته بعض جوانب الحياة الاجتماعية من حيث تدهور الأوضاع المعيشية لسكان وأديرة الوادي^(٢).

التطور العمراني:

أجمع بعض الرحالة الزائرين لوادي النطرون على تدهور الأوضاع الاجتماعية وقلة المناطق العمرانية، ولم يذكر الرحالة إلا الأديرة القبطية المنتشرة في برية شيهيت، وبعض المناطق العمرانية فذكر الرحالة جون جاردنر ويلكنسون الذي زار وادي النطرون مصنع الزجاج القديم، وبيت زجاج الكولونيل ليك الذي يرجع تاريخ إنشائه إلى العصر الروماني^(٣)، وربما أدى وجود مصنع الزجاج إلى نشأة قرية زاكيك، بينما اهتم الرحالة قسطنطين تشيندورف بتناول الخرائب الذي شاهدها ودونها في مذكراته^(٤). وأكدت بعض الوثائق على الأهمية الاقتصادية لمدينة الطرانة التي أصبحت في العصر العثماني ولاية تابعة مباشرة للسلطان العثماني؛ ولذلك شهدت تطوراً في النشاط الاقتصادي والعمراني ولقيمتها وموقعها الجغرافي ارتفعت بها الكثافة السكانية، وهذا ما أكدته الرحالة الزائرون لوادي النطرون^(٥).

(١) محافظ مجلس الوزراء: نظارة الداخلية، محفظة ٢/ ١٠/ ج، مذكرة الداخلية بشأن الصحة العامة، ٢٣ يوليو ١٨٨٤م.

(2) Odion: Notes about wadi El Natrun factuality of soilhaull Birmingham university , England, 1999.

(3) https://de.wikipedia.org/wiki/John_Gardner_Wilkinson.

(٤) هيو ج. ج. إيفلين هويت: المرجع السابق، ص ١٧٨-١٧٩.

(٥) المصدر: محكمة جامع الحاكم، سجل ٥٧٣، مادة ١٢٧٥، بتاريخ ١٢ ربيع أول ١١٢١هـ/ ٢٢ مايو ١٧٠٩م، ص ٤٩٠.

على أية حال، شهد وادي النطرون خلال القرن التاسع عشر تطورات هامة، لعل من أبرزها ذلك النمو الذي شهدته الطرانة، بعد أن توسع محمد علي في تنظيم تجارة النطرون، وسهولة تصديره للخارج عن طريق مدينة الإسكندرية على أثر حفر ترعة المحمودية ١٨٢٠م، فتحوّلت إليها التجارة الخارجية، وزاد من نمو الطرانة في عصر محمد علي إقامة مصنع لتكرير النطرون، وقيام التجار الأجانب باتخاذها مركزاً لنشاطهم^(١).

كما لجأ بعض السكان الأصليين للطرانة في بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر إلى هجرتها لازدحامها، وأقاموا بجوارها، وسرعان ما شكلت هذه التجمعات السكانية عزبة الطرانة، وأصبحت ناحية قائمة بذاتها ولها وحدتها المالية، وتعرف بعزبة ميخائيل بك منقريوس^(٢).

كذلك كان تشجيع الدولة للبدو على التوطن والاستقرار عاملاً في نمو قرى الوادي، ومن ذلك تضاعف الاتساع العمراني لقريتي البريجات والأخماس لكثرة توطن العربان بهما^(٣).

كما لعبت سكة حديد وادي النطرون - الخطاطبة التي أنشئت في أواخر القرن التاسع عشر دورها في نشأة قرية الهوكرية التي ازدهرت واشتهرت بصناعة الصابون والزراعة لوجود آبار المياه الجوفية^(٤) ونمت واتسعت الخطاطبة بفضل سكة حديد الوادي^(٥).

(١) مديرية البحيرة: س ٣٢٥، صادر الفروع إلى ناظر العربان، وثيقة ٢٠٣، ٢ ربيع أول ١٢٧٠هـ / ٣ ديسمبر ١٨٥٣م، ص ١١٢.

(٢) محكمة البحيرة: س ١٨٥، م ٥، ٤ ربيع الثاني ١٣٠٥ / ١٣ ديسمبر ١٨٨٧م، ص ٦.

(٣) محافظ الأبحاث: محفظة ١٤٠، دفتر ٥٢٦، أوامر كريمة، أمر رقم ٧، ٦ شعبان ١٢٧٩هـ / ٢٧ يناير ١٨٦٣م، ص ٢٢.

(٤) مجلس الوزراء: شركات وجمعيات: محفظة ١٧٠، مجلس الوزراء، بخصوص إنشاء شركة الملح والصودا، ١٩ إبريل ١٨٩٩م.

(٥) مخطوط دير السريان: مخطوط رقم ١٣١٩١، تاريخ البطارقة، الجزء الثاني، نسخ القمص داود مرقس حناوي، بتاريخ ١٦٥٣ ش / ١٩٣٦م، ص ٦٤٤.

كما أكد الرحالة إيفلين هوايت اتساع عمران عدة قرى في أواخر القرن التاسع عشر، كانت في بداية ذات القرن عبارة عن تجمع أسرى مثل قرية بني سلامة التي تقع بالقرب من دير أبو مقار، وقرية زقيق (زاكيك) التي تقع جنوب شرق دير البراموس^(١). وكذلك نمت أديرة وادي النطرون في أواخر القرن التاسع عشر، واتسعت مساحتها بجوار الأديرة وأقيمت المشروعات عليها، ولم تقف حدود الأديرة عند حدود أسوارها الأساسية^(٢).

وإشارت الوثائق وويلكنسون Wilkinson على أن الاتساع العمراني اشتمل وادي النطرون في تلك الحقبة، على مد الطرق البرية والنهرية والحديدية، فمن الطرق البرية التي مدت في تلك الفترة الطرق ما بين الخطاطبة والطرانة والأخماس، وطريق الطرانة الوادي، ومن الطرق النهرية التي ازدهرت تلك الطرق التي تفرعت من الطرانة إلى بولاق بالقاهرة، ورشيد والإسكندرية عبر ترعة المحمودية، أما السكك الحديدية فقد تم إنشاء طريق الخطاطبة - الوادي^(٣).

كذلك شقت الترع والرياحات والقناطر، فكان من الترع ترعة المحمودية والخطاطبة والبحيرة، ومن القناطر قناطر البريجات والأخماس، ومن الرياحات الرياح البحيري، كما حفرت الآبار مثل آبار الهوكرية وبني سلامة وأديرة الوادي^(٤).

واعتمدت قرى الوادي القريبة من النيل في بنائها على الطوب اللبن أو الأحمر الذي يصنع بالقرية، بينما اعتمدت القرى الحافة بالصحراء أو الواقعة بها في بنائها البنية الأساسية على الأحجار والجير الموجودة بها^(٥).

(١) هيوج. ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ج ٣، ص ١٧٨؛ أنطونيوس الدويري: المرجع السابق، ص ١٩.

(٢) وثائق دير السريان: وثيقة رقم ٤٨٣، ١٩ إبريل ١٨٩٥ م.

(٣) الوقائع المصرية: عدد ٢٨، ٥٦ ربيع أول ١٢٦٤ هـ / ٢٧ سبتمبر ١٨٢٩؛

انظر: شكل رقم ١، ٢، ٣؛ Wilkinson, J. G: Op. Cit. P. P. 223- 229;

(٤) محافظ الأبحاث: محفظة ١١٩، معية تركي، دفتر ٤٦٤، مكتبة رقم ٢٢، ١٦ محرم ١٢٦٥ هـ / ١٢ ديسمبر

١٨٤٨ م، سجلات الخوض والمحمودية، س ١٤٢، وثيقة بدون رقم، أول يناير ١٨٨٤، ص ١-٢.

(٥) مديرية البحيرة: س ٢٣٥، صادر الفروع إلى سايرة، وثيقة ١٤٣٥، ٧ جمادى الأولى ١٢٦٢ هـ / ٣ مايو

١٨٤٦ م، ص ١٢٥.

كما أقيمت المؤسسات الحكومية مثل البوستة والتلغراف بكل من كفر داود والطرانة والبريجات، وكذلك أنشت الشركات والمصانع - على نحو ما رأينا- بالهوكرية والبريجات وزقيق^(١).

النمط الاجتماعي للسكان:

احتوت أوصاف الرحالة للحالة الاجتماعية لسكان الوادي- كغيرهم من المصريين- على سمات غير مرضية كما عبر جون أنتيس الرحالة الإنجليزي الذي زار مصر في الفترة من (١٧٧٠- ١٧٨٢م) ويصف السكان بأنهم يعيشون في مرحلة الانحطاط والتردي، وشتان بين حالهم وحال أجدادهم. حيث يجرى هذه المقارنة قائلا: «إن المصريين القدماء كانوا علماء حقيقيين في الفلك. أما معاصروهم فهم علماء في التنجيم والدجل». وقد فسر أسباب «انحطاطهم الحضاري» وإلى هذه الدرجة التي تدعو للرتاء بأن نظام الحكم القائم على الطغيان الشرقي حرم الناس من حقوقهم المشروعة في التعبير عن أنفسهم وتذوق الفنون الجميلة وحرمانهم من إشباع غريزة المعرفة وإعاقتهم عن تحسين أحوالهم الاقتصادية^(٢).

ومن الشرائح الاجتماعية التي وصفها بعض الرحالة: الأتراك والمماليك وهؤلاء لعبوا دورا في تراجع مستوى الحياة الاجتماعية للسكان الأصليين^(٣). وأكد الرحالة أن الأتراك يمثلون الطبقة الحاكمة في مصر، وعقدوا مقارنة بينهم وبين المصريين سكان البلاد الأصليين فوصفوا الأتراك بأن «لغتهم مختلفة عن لغة المصريين.. وهم معزولون عن باقي الطبقات»، بينما الرحالة تيفيه وصف المصريين بأنهم «أفضل من الأتراك حيث تسهل معاشرتهم»، وجاء ما وصفه

(١) محافظ مجلس الوزراء: المالية، محفظة ١٣ ج، ٦ يونية ١٨٩١م.

(٢) جون أنتيس: مذكرات رحالة عن المصريين وعاداتهم وتقاليدهم، في الربع الأخير من القرن الثامن عشر من خلال وصف الرحالة جون أنتيس (١٧٧٠-١٧٨٢م)، ترجمة سيد أحمد على الناصري، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ١٩٩٧م، ص ٢٣.

(٣) ثيودور هوك باتريك: تاريخ الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، مكتبة المحبة، القاهرة ٢٠٠٥م، ص ١١٢- ١٢٣.

مطابقا لما ذكره ليو الأفريقى الذي وصف المصريين قائلًا: «أنهم الطف من الأتراك الكسالى، وهم مرحون لا يخلون بالكلمة الطيبة، لا يصنعون الكثير من الإساءات كما هو مألوف في المدن الكبرى»، بينما أكد مونكونى الذي زار مصر في القرن السابع عشر بأن المصريين لهم عادات جميلة ومتسامحون^(١).

ولقد رصد الرحالة أنتيس أهم أمراض المجتمع الاجتماعية وهي الرشوة والفساد والمحابة التي هي كانت صفة البكوات المماليك. ولقد كتب الرحالة كليجهورن بعد أيام قليلة من إقامته في القاهرة يقول إنه لا يمكن عمل أي شيء في هذا البلد بدون تقديم هدايا^(٢) ومما لاحظته الرحالة الفرنسيون في مصر عامة التفاوت الطبقي الشديد ما بين بالغي الثراء والمعدمين من الفلاحين الذين يعيشون في بؤس وشقاء رغم كونهم أداة تحصيل خيرات الوادي فضلًا عن إلزامهم بدفع الضرائب أو إسقاطها بتسخيرهم في نقل النطرون. وتعرض سونيني لوصف تأثير الظروف الاقتصادية على طبيعة الحياة الاجتماعية^(٣). والآن يجب علينا متابعة النمط الاجتماعي للسكان:

- أعيان الريف

في عام ١٥٠م استقر أحد أغنياء مدينة الإسكندرية وهو «فرونتيوس» بوادي النطرون، والذي يرجع إليه الفضل في ادخال حرفة الزراعة في منطقة الوادي، بعيدًا عن ضجيج المدن وعسف الولاة الرومان واضطهادهم، ولكنه سرعان ما تركها وتفرغ للرهبنة واستطاع تكوين جماعة رهبانية في برية شيهيت، ولذلك نعد فرونتيوس أول الأعيان، بل كان لنشاطه في هذا المجال أثره على تشجيع العديد من المواطنين على استصلاح الأراضي، وممارسة حرفة الزراعة ومن هنا بدأت فكرة تكوين الملكيات الزراعية بهذه البقعة^(٤).

(١) إلهام محمد علي ذهني: مصر في كتابات الرحالة الفرنسيين في القرنين السادس عشر والسابع عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩١م، ص ٧٢.

(٢) جون أنتيس: المرجع السابق، ص ٩.

(٣) إلهام محمد علي ذهني: مصر في كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين، المرجع السابق، ص ٢٦٨.

(٤) حكيم أمين: المرجع السابق، ص ١٣-١٤.

وقد أشار الرحالة الجنرال أندريوسى إلى أن هناك العديد من الأعيان يمتلكون الأراضي ويتحكمون في حركة النشاط الاقتصادي، وهؤلاء من الذين نجحوا في تشييد منازل لأنفسهم بالوادي^(١). وربما هذا ما دفع أوليفيه أن يقول: «رغم ما تعانيه مصر من طغيان المماليك وانتشار المجاعات والطاعون وهجمات البدو وفرض الغرامات على الفلاحين إلا أن مصر رغم كل هذه المشكلات تتمتع بثروة ورخاء زراعي كبير»^(٢).

على أية حال، احتلت طبقة أعيان الريف قمة الهرم الاجتماعي في وادي النطرون خلال القرن التاسع عشر، وتتكون هذه الطبقة من بضع عائلات كبيرة من العمدة والمشايخ، الذين استطاعوا أن يجرزوا مكانة اجتماعية مرموقة ونفوذاً اجتماعياً متزايداً على الفلاحين، وارتكز هذا النفوذ على الدور الذي يلعبونه في خدمة السلطة - على نحو ما رأينا - وعلى مساحة الأراضي الزراعية التي تضع عائلاتهم أيديها عليها^(٣).

واختلف نمط الحياة التي كان يعيشها أعيان الريف من عمدة ومشايخ القرى عن نمط حياة الفلاحين، فقد كانوا يسكنون في منازل كبيرة ومشيدة من الأحجار والطوب الأحمر، وكانت أرقى من منازل الفلاحين واشتهر منها في الوادي منزل الشيخ حمد زهران بكفر داود^(٤) ومنزل العمدة هنداوي عيسى^(٥) ومنزل سيد عبد الله عمدة الخطاطبة^(٦).

وكانت بعض منازل أعيان الريف تشبه - إلى حد ما - منازل القاهرة من حيث البناء والشكل والأثاث والزينة، فعلى سبيل المثال اشتمل منزل حسنين حمزة عمدة البريجات على دورين، الدور الأول وبه مضيقة للزوار والغرباء وحجرات الخدم وطهي الطعام وأسطبل للخيل وأما الدور الثاني فذو حجرات متعددة لمعيشة العائلة، وبها أبهى أنواع الأثاث على النمط الأوروبي،

(١) تأليف علماء الحملة الفرنسية: ج ٢، المرجع السابق، ص ٧٠.

(٢) إلهام محمد علي ذهني: مصر في كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين، المرجع السابق، ص ١٥٨.

(٣) محكمة البحيرة: س ٩٨، م ١٨٩، ٣ ذي القعدة ١٢٧٦هـ / ٢٣ مايو ١٨٦٠م، ص ١٣٨.

(٤) محكمة النجيلة: س ٧٢٥، م ٤، ١٩ ذي القعدة ١٢٨٤هـ / ٢٥ مارس ١٨٦٧م، ص ١.

(٥) نفسه: س ٧٢٧، م ٢٠٢، ٦ ذي القعدة ١٢٨٧هـ / ٢٨ يناير ١٨٧١م، ص ٥٣.

(٦) مديرية البحيرة: س ٧٢٧، وثيقة ٢٠٥، ١٠ ذي القعدة ١٢٨٧هـ / ٦ فبراير ١٨٧٣م، ص ٥٤.

أما الشكل الخارجي للمنزل فميزين بالزخارف والألوان ذات الأشكال المتداخلة وفي وسطها الشبائيك بالزجاج والحديد المخروط، والحديقة ذات بهجة متسعة ومزودة بأشجار الفاكهة والورد^(١). كما ذكر الرحالة جون جاردنر ويلكنسون بيت زجاج الكولونيل ليك الذي يرجع تاريخ إنشائه إلى العصر الروماني، مما يدل على قيمته المعمارية والأثرية في بركة شيهيت^(٢).

كما نعم أعيان الريف في وادي النطرون خلال القرن التاسع عشر بدرجة من الثراء، لقيامهم باختصاصات واسعة لخدمة الدولة، فحصلوا على نصيب من الثراء لأبناء طبقتهم؛ ولذا فإنهم أصبحوا يكونون فئة متميزة، مستغلين نفوذهم أسوأ استغلال في معاملة الفلاحين^(٣).

واحتل التجار مكانة بارزة في قمة الهرم الاجتماعي في وادي النطرون خلال القرن التاسع عشر، وتكونوا من أرباب التجار والمتسبين^(٤) الذين سيطروا على تجارة الوادي - على نحو ما رأينا - واستطاعوا تكوين أنفسهم من الصفقات التجارية، كما كونوا لأنفسهم علاقات اجتماعية واسعة^(٥).

وتتضح مكانة التجار من خلال الإشارات العديدة بالوثائق التي ميزتهم على غيرهم بإضافة ألقاب التفضيم إلى أسمائهم كدليل على دورهم في تنشيط الحركة التجارية، إذ كان التاجر يلقب بـ(الخواجا) أو (عين أعيان التجار)، وربما تدل هذه الألقاب على مكانتهم الاجتماعية في مجتمع وادي النطرون^(٦).

(١) محكمة البحيرة: س ١٠١، م ٤٧٨، ٢ جمادى الأولى ١٢٨١هـ / ١٣ أكتوبر ١٨٦٤م، ص ١٠٩-١١٥.

(2) https://de.wikipedia.org/wiki/John_Gardner_Wilkinson.

(٣) مديرية البحيرة: س ٤٦١، صادر الفروع لقسم النجيلة، وثيقة ١١٢، ٢٣ رجب ١٢٨٧هـ / ١٩ أكتوبر ١٨٧٠م، ص ١٢٤.

(٤) المتسبين: فئة من صغار التجار، كانوا تجار تجزئة يبيعون السلع الاستهلاكية البسيطة والضرورية التي لا تستغني عنها أي أسرة، لمزيد من التفصيل انظر: ماجد إسرائيل، طوائف المهن التجارية، المرجع السابق، ص ١٤.

(٥) ديوان التجارة والمبيعات: س ٥٢٩٥، ج ١، وارد قيد التحريات الواردة وثيقة ٢٠، ٢٧ ذي القعدة ١٢٦٧هـ / ٣ سبتمبر ١٨٥١م، ص ٢٣.

(٦) محكمة الإسكندرية: س ٤، إشارات، م ١٧٤، ١٠ شوال ١٢٨٢هـ / ٢٦ فبراير ١٨٦٦م، ص ٦٩.

ولمتابعة النشاط التجاري جمع بعض كبار التجار ما بين السكن في المدينة وقرى الوادي، وكان منهم على سبيل المثال التاجر منقريوس الذي سكن مدينة دمنهور، وعزبة الطرانة^(١) والتاجر شعبان حمودة الذي سكن مركز النجيلة وقرية البريجات، وكانت منازلهم مميزة مما يدل على ثرائهم المادي^(٢).

وكانت منازل بعض صغار التجار والمتسبين في وادي النطرون تشبه منازل الفلاحين، وربما يدل ذلك على المكانة المتواضعة التي كانت تحتلها هذه الفئة من التجار بقرى وادي النطرون، ومن أشهرهم التاجران علي عبد الله^(٣) وأحمد موسى^(٤).

وكانت فئة التجار تكون وحدة متماسكة فيما بينها، وكانت جميع منازلها تحل في إطارها عن طريق كبير التجار الذي كانوا يختارونه ليقلد هذا المنصب الفخري وكان من شروط اختياره حسن السير والسلوك، وطيب السمعة، وأن يكون مشهوداً له بالعفة والنزاهة وتمثلت مهنته في فض ما ينشب بين التجار من منازعات^(٥).

- الفلاحون:

لقد أفاض الرحالة الفرنسيون في وصف أحوال طبقة الفلاحين فقد استرعت انتباههم بفقرهم وبؤس معيشتهم وقد وصفوا الفلاحين «بأنهم سود البشرة من جراء تعرضهم للشمس»، وتعجب بيلون من أن هذه الطبقة رغم أنها من «أكبر طبقات المجتمع حجماً إلا أنها أقلها امتيازاً» فملا بسهم رثة يعيشون في منازل من الطوب النيء، غذاؤهم بسيط من الحبوب تزداد مصائبهم في حالات الفيضان أو تشريق الأراضي فيضطرون إلى الهجرة من أراضيهم والإقامة في المناطق والتلال المرتفعة. وأكد بيلون أنه «لا يمكن مقارنة الفلاحين بأوضاعهم

(١) محكمة البحيرة: س ١٨٥، م ٥، ٤ ربيع الثاني ١٣٠٥هـ / ١٣ ديسمبر ١٨٨٧م، ص ٦.

(٢) نفسه: س ٧٢، م ١٧٦، ٢٦ ذي الحجة ١٣٠٧هـ / ١٣ أغسطس ١٨٩٠م، ص ٧٣.

(٣) نفسه: م ١٧٣، ٢٥ ذي الحجة ١٣٠٧هـ / ١٢ أغسطس ١٨٩٠م، ص ٧١.

(٤) مضبطة البحيرة: س ١٨، م ٢٩٩، ١٥ ذي الحجة ١٢٨٤هـ / ٨ إبريل ١٨٦٨م، ص ١٢٨.

(٥) ديوان المجلس الخصوصي: محفظة ١، ملف ١٤، وثيقة ١٤٥، ٤ محرم ١٢٨٢هـ / ٣٠ مايو ١٨٦٥م.

المرتدية بطبقة الأتراك أو الممالك»، فهم يتعرضون للعديد من المجاعات وذكر فيلامون أنهم اضطروا لأكل سيد قشقة في دمياط بسبب انتشار المجاعة. ومن الطرائف التي ذكرها شسنو وانفرد بذكرها «أن أطفال الفلاحين يظلوا عرايا لا يرتدون ملابس حتى يبلغوا سن العاشرة»^(١).

على أية حال، كان الفلاحون يشكلون غالبية سكان وادي النطرون خلال القرن التاسع عشر، واقتربت الأرض بهم، فأحبوها وربطوا مصيرهم بها وتحملوا من أجلها الكثير؛ حيث امتلكوا صفات الصبر والمثابرة والهدوء والطاعة والإيمان العميق بقضاء الله وقدره^(٢). والحياة الزراعية في وادي النطرون تعتمد أساساً على الأرض والفلاح، ذلك الفلاح، الذي غرس نفسه في تربة وطنه فزاد من خصوبتها، وهو رجل قوي البناء شديد الإصرار صلب العود، متناسب الجسم، منتظم التقاطيع، يحتمل الصبر ويعمل ليلاً نهاراً، يقاسي لهيب حر الصيف وبرد الشتاء^(٣).

وعاش الفلاحون في قراهم حياة بسيطة، واتخذوا منازل بسيطة مصنوعة من الطوب اللبن، مكوّنة في معظمها من طابق ضيق يشتد فيه الحر، وتشاركهم فيها دوابهم؛ ولذلك حاربتهم فيها الأمراض والأوبئة؛ الناشئة من كثرة القمامة والرطوبة وسوء التغذية^(٤). واعتمد طعامهم على الغذاء النباتي الذي يتألف من خبز الذرة والفلو المسلوق واللفت والبصل، بالإضافة إلى الجبن

(١) إلهام محمد علي ذهني: مصر في كتابات الرحالة الفرنسيين في القرنين السادس عشر والسابع عشر، المرجع السابق، ص ٧٦-٧٧.

(٢) لطيفة محمد سالم: لقطات من التعبير عن سخط الفلاحين قبل ثورة ١٨٨١/١٨٨٢ م، بحث منشور ضمن الرفض والاحتجاج في المجتمع المصري في العصر العثماني، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة القاهرة ٢٠٠٤ م، ص ٢٥١.

(٣) إلهام ذهني: مصر في كتابات الرحالة الفرنسيين في القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص ٢٤١.

(٤) محمد عاطف غيث: التغير الاجتماعي في المجتمع القروي، الدار القومية، القاهرة ١٩٦٥، ص ١١١-١١٢.

القريش واللبن الرايب والكشك والفول المدمس، والعدس، والبيسار^(١) أما اللحوم والطيور، فكاد أكلها أن يرتبط بالمواسم والأعياد^(٢).

أما ملابس الفلاح فهي بسيطة، تتكون من قميص وسروال من الكتان، عليها قميص أزرق واسع وحول خصره حزام من الجلد أو القماش ويرتدي على رأسه قلنسوة من طربوش يعرف باللبدة وفي الشتاء يرتدي عباءة واسعة تسمى «الزعبوط»^(٣). وكان غالبية فلاحي وادي النطرون خلال القرن التاسع عشر من المسلمين والأقباط، إلا أننا نستطيع أن نرصد أن غالبية المسلمين تركزوا في بعض القرى مثل قرية البريجات والأخماس وأبو نشابة، بينما تركز غالبية الأقباط في قرية كفر داود والطرانة وعزبة الطرانة، وهذا يعني أنه لم تكن هناك قرية تخلو من كليهما أو أنهم عاشوا غير منعزلين أو معزولين، وإنما كانوا مندمجين معاً واتسعت علاقاتهم وتعاملاتهم بالهدوء، وقد استمر هذا الوضع قائماً في الوادي طوال القرن التاسع عشر حتى الآن^(٤).

ومما يذكر أن معظم الأقباط الفلاحين كان شأنهم الاجتماعي في ذلك شأن أغلبية سكان وادي النطرون من المسلمين، ولكن بعض العائلات القبطية لقنت أبناءها أسرار مهنة المحاسبة والكتابة الديوانية حتى يتميزوا عن رفاقهم المسلمين الذين يتعلمون في كتاب القرية^(٥)، فبرعوا

(١) البيسار: كلمة تحرفت إلى (البصارة)، وتتركب من الملوخية الناشفة وشيء من الفول المدشوش لمزيد من التفصيل انظر: طاهر أبو فاشا، هز القحوف في شرح قصيد أبي شادوف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٧، ص ٩٨.

(٢) لمزيد من التفصيل انظر: سعيد محمد حسن الملط: أعياد مصر بين الماضي والحاضر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٢.

(٣) إلهام ذهني: مصر في كتابات الرحالة الفرنسيين في القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص ٢٤٧.

(٤) تعداد نفوس: سجلات رقم ١٧٩، ل/٩/٧٩/١٥٤، تعداد كفر داود قسم النجيلة، سنة ١٢٦٤هـ/ ١٨٤٧م.

(٥) ألكسندر شولش: مصر للمصريين أزمة مصر الاجتماعية والسياسية (١٨٧٨ - ١٨٨٢م) تعريف رؤوف عباس، دار الثقافة العربية، القاهرة ١٩٨٣م، ص ٥٣.

في وظائف المحاسبين والكتبة ومن أمثلة ذلك المعلم ندا يوسف من أهالي قرية كفر داود الذي كان صرافاً في نواحي الطرانة وعزبتها في سنة ١٢٨٦هـ / ١٨٦٩م^(١) وكذلك حنا حنا الذي كان كاتباً بقسم النجيلة في سنة ١٢٧٣هـ / ١٨٥٦م^(٢).

ومنذ بداية القرن التاسع عشر عانى الفلاحون في مصر، كما عانوا في وادي النطرون - وفي كل العصور - من الأنظمة الاقتصادية، التي كان من الباعث على تغييرها ما اتصف به محمد علي من قوة التأثير في مجال الحياة الاقتصادية والاجتماعية وقد انعكس ذلك على الفلاحين الذين كانوا أدوات مربحة^(٣) فخضعوا لنظام الاحتكار، وكانت له المساوئ التي كبلتهم وفرضت عليهم الضرائب دون رحمة، وخاصة عندما ظلت القرية المصرية مسئولة عن أداء الضرائب المقررة عليها مسئولية جماعية^(٤) فتراكمت الأموال عليهم وأصبحوا مكتوفي الأيدي أمام جباة الضرائب، ومن ثم حق عليهم العقاب، كذلك فقد سيقوا إلى أعمال السخرة وأجبروا على التجنيد الإجباري بعد أن ألفوا الاستقرار على أرضهم، وهي التي احتوتهم أحياء وأمواتاً^(٥).

وقد تأثر فلاحو وادي النطرون بالأزمة المالية التي تعرضت لها البلاد في عهد الخديوي إسماعيل (١٨٦٣-١٨٧٩م) فزاد ثقل عبء الضرائب عليهم، فكانت ضريبة الأراضي ركناً أساسياً، فاستخدمت الضغوط كافة لتحصيلها قبل ميعاد استحقاقها، كما فرضت ضرائب على الري، والدفاع، والملح، والرأس^(٦) أيضاً الدخولية التي فرضت حتى على باعة اللبن والجنين والفجل، بالإضافة إلى العوائد التي فرضت على الجاموسة والحمار وصاحبهما^(٧).

-
- (١) محكمة النجيلة: س ٧٢٦، م ١٨٦، ٢٢ جمادى الأولى ١٢٨٦هـ / ٣٠ أغسطس ١٨٦٩م، ص ٧٥.
- (٢) مديرية البحيرة: س ١٢٩٢، كشف استحقاقات، وثيقة بدون رقم، ١٢٧٣هـ / ١٨٥٦م، ص ١٩.
- (٣) لطيفة محمد سالم: لقطات من التعبير عن سخط الفلاحين، المرجع السابق، ص ٢٥١.
- (٤) كينث كونو: فلاحو الباشا، الأرض والمجتمع والاقتصاد في الوجه البحري (١٧٤٠-١٨٥٨م)، ترجمة سحر توفيق، مراجعة عاصم الدسوقي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠٠٠م. ص ١٨٢.
- (٥) لطيفة محمد سالم: لقطات من التعبير عن سخط الفلاحين، المرجع السابق، ص ٢٥١.
- (٦) إلياس الأيوبي: المرجع السابق، المجلد الثاني، ص ٢٥٤، ٢٦٧.
- (٧) معية سنبة تركي: محفظة ٥٣، ملخصات دفاتر، دفتر ٥٠، وثيقة ٦٦٣، ٢٥ ذي الحجة ١٢٤٩هـ / ١٥ مايو ١٨٣٤م.

ومارس موظفو الحكومة أبشع أنواع الطرق في تحصيل الضرائب من فلاحي وادي النطرون، فكان الجلد من الأمور المألوفة لمن يتأخر عن دفع ما يطلب منه، كذلك كان هناك الصلب على جذوع النخيل، وطريقة أخرى تمثلت في أن تغمس قطعة من القماش في الكحول وتشعل وتقرب من فم الفلاح وعندئذ يلكم صدره، فيستنشق اللهب المشتعل، وكان يوخز في جسمه بجزء من ناب فرس النهر، وحتى الميت لم يمكن يفلت من أيدي الجبابة، فهو لا يدفن إلا بعد أن يسدد أهله ما عليه من ضرائب^(١). بالإضافة إلى أنهم كانوا يُداهمون بيوتهم وينهبون ما فيها، ويزجون بأصحابها في السجون، لذلك اضطر الفلاحون إلى الرهن أو الاستدانة من المرابين (المصريون والأجانب) ليسددوا ما يطلب منهم، كما كانوا يبيعون زراعتهم قبل نموها أو يبيعون محصولاتهم مقدماً قبل أوانها بأبخس الأثمان أو يبيعون ماشيتهم لهذا الغرض^(٢) واغتصب موظفو الحكومة أراضيهم لتوسيع أطيان كبار الملاك، كذلك تم الاستيلاء على أراضي الفلاحين للمنافع العامة دون أن يعوضوا عنها^(٣).

هذا بالإضافة إلى الكوارث الطبيعية، خاصة عندما ينقص فيضان النيل أو يزداد؛ فكان يصاحبه انتشار الكثير من الأمراض والأوبئة والمجاعات، بالإضافة إلى سوء توزيع المياه التي تروي أراضي الفلاحين، فكثيراً ما كانت تقطع عنها المياه لصالح كبار الملاك، فكانت أراضي الأغنياء تفيض بالماء، بينما تبقى أراضي الفقراء شراقي لا تصلها المياه، مما يترتب عليه هلاك الزرع، وخراب بعض القرى ووقوع الاضطرابات الجسيمة بين الفلاحين لصرايحهم على القليل

(١) لطيفة سالم: لقطات من التعبير عن سخط الفلاحين، المرجع السابق، ص ٢٥٢؛ جوان كول: الأصول الاجتماعية والثقافية لحركة عرابي في مصر، ترجمة عنان علي الشهاوي، مراجعة عاصم الدسوقي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠٠١م، ص ١٢٥.

(٢) رءوف عباس: الملكيات الزراعية، المرجع السابق، ص ١٤٦-١٤٧.

(٣) عبد الله محمد عزباوي: عمد ومشايخ القرى ودورهم في المجتمع المصري في القرن التاسع عشر، الطبعة الأولى، دار الكتاب الجامعي، القاهرة ١٩٨٤م، ص ٧١.

المسموح بها من المياه، وزاد الطين بلة أن خضع الري منذ سنة ١٨٨٢ م لسيطرة الأجانب، إذ امتلكوا الوابورات وتحكموا في ري أراضي الفلاحين^(١).

على أية حال، أمام هذه الأوضاع المنهارة لم يقف فلاحو وادي النطرون مكتوفي الأيدي، ولكنهم عبروا عن رفضهم في صور عديدة، تمثلت في أولى الخطوات في التعبير السلبي وهو هروهم وتسحبهم، وهو خير وسيلة للنجاة بأنفسهم وأكبر البراهين على أن لطافتهم حدوداً^(٢)، فعلى سبيل المثال كثر التسحب في قريتي أبو نشابة والبريجات؛ نظراً لقسوة الظروف ومراراتها، ولقد رفضوا الأمر الواقع وهجروا أراضيهم أملاً في أن يجدوا فرصة عمل و حياة أخرى كريمة^(٣) ويصف الشيخ يوسف الشربيني ازدياد هجرة آلاف صغار الفلاحين المنتجين من الريف إلى أماكن أخرى، في الأبيات التالية:

قالت تسافر يا فتى وتفارق الوجه الحسن
فأجبتها بتذل والقلب يعلوه الشجن
هي المعيشة فرقت بين الأحبة والوطن^(٤).

أما ثاني هذه الخطوات فهو رفض دفع الضريبة بادعاء الفقر، وتفضيل الجلد على الدفع، وعندما يجلد الفلاح يرفض أن يصرخ أو يتأوه، وهو يؤلم جلاديه ويغضبهم لدرجة تجعلهم يبالغون في الضرب والجلد إلى أن يفقد حياته^(٥).

(١) مجلس الأحكام: س ٧/٩/٨، مكتوبة رقم ٦ إلى المالية، ٢١ جمادى الأولى ١٢٧٩ هـ / ١٤ نوفمبر ١٨٦٢ م، ٤٨؛ لطيفة محمد سالم: دور القوى الاجتماعية في الثورة العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨١ م، ص ٢٨.

(٢) إدارة المحليات: محفظة ٥، إدارة تفتيش بحري، وثيقة ٥، ٥ شعبان ١٢٧٩ هـ / ٢٦ يناير ١٨٦٣ م.
(٣) معية سنية عربي: س ٢٥، قيد الأوامر الصادرة إلى الأقاليم، وثيقة رقم ٥، ٢ محرم ١٢٥٢ هـ / ١٩ إبريل ١٨٣٦ م، ص ٢.

(٤) يوسف الشربيني: المرجع السابق، ج ١، ص ٤٧.
(٥) مجلس الأحكام: س ٧/١٠/١، مضبطة ١٢٢، ٢٢ محرم ١٢٧٤ هـ / ١٢ سبتمبر ١٨٥٧ م، ص ٦٤.

كما عبر فلاحو وادي النطرون بثقافتهم وبصور عديدة من الرافض الإيجابي بكثرة التحدث بالأمثال الشعبية التي تدعو إلى التمرد، ففراهم يقولون: «ياروح ما بعدك روح» و «دا بعدك» ومثل آخر «العمر واحد والرب واحد» و «مطرح ما تحط رأسك حط رجلك» كما يقولون أيضاً: «قضينا العمر في قهر، هو العمر فيه كام شهر» وكلها أمثال تدعو إلى الاستنكاف والثورة والتمرد^(١).

على أية حال، لم يقتصر دور فلاحي الوادي على مجرد ترديد الأمثال، بل عبروا عن تمردهم إيجابياً بالتعدي على المشد والخفير لرفضهم المثل أمام شيخ القرية لسداد ضريبة أو الطلب للسخرة أو التجنيد^(٢) وكان تعبيرهم عن ذلك يظهر في بعض الأحاديث، ويدل على تحمل مئات من سنوات القمع والكبت والمعاناة، ففي سنة ١٨٧٥م مثلاً انفجر الكبت حين أعلن الفلاحون في البريجات رفضهم العمل لدى عمدة القرية إلا بعد سداد أجورهم، فاستجاب لطلبهم لإنهاء تمردهم^(٣).

كما تعتبر الثورة العربية ١٨٨١م، أجمل الصور الإيجابية التي عبر فيها فلاحو وادي النطرون عن رفضهم للظلم بتأييدهم لأحمد عرابي من خلال إمداده بالمؤن^(٤) وعبروا عن رفضهم للاحتلال البريطاني بالاعتداء على مراكبه المارة أمام قراهم في النيل^(٥) كما ندّدوا بمأساة دنشواي سنة ١٩٠٦م وشاركهم رهبان الوادي بإقامة الصلاة على أرواح الشهداء^(٦).

(١) لمزيد من التفصيل انظر: جون لويس بوركهارت، العادات والتقاليد المصرية من الأمثال الشعبية في عهد محمد علي، ط٣، ترجمة إبراهيم شعلان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٠؛ محمد قنديل البقلي: وحدة العادات والتقاليد بين مصر والشام، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ت.

(٢) معية سنّة: محفظة ٤، ملخصات دفاتر رقم ٢٨١، وثيقة ٢٢٩، ٧ صفر ١٢٦٤هـ/ ١٤ يناير ١٨٤٨م.
(٣) مديرية البحيرة: س ٢١٦، صادر الدواوين إلى سايرة، م ١٧٠، ٢٨ رمضان ١٢٩٣هـ/ ١٧ أكتوبر ١٨٧٦م، ص ١٢٦.

(٤) محافظ أبحاث: محفظة ١٢٥، دفتر رقم ٢٨٧ عابدين، وثيقة بدون رقم، ١٧ شوال ١٢٩٨هـ/ ١١ سبتمبر ١٨٨١م.
(٥) محافظ أبحاث: محفظة ١٢٥، أوراق ومستندات تتعلق بالثورة العربية، دوسيه ٣، وثيقة بدون رقم، بتاريخ ٢٨ أغسطس ١٨٨٢م.

(٦) ثيودور هول باتريك: المرجع السابق، ص ١٣٩-١٤٠؛ داود حناوي: المرجع السابق، ص ٦٦٧.

وكانت طبقة الفلاحين تمثل غالبية السكان والتي تعد أدوات الإنتاج لمعظم ثروات وادي النطرون، ولكنها حرمت من التمتع بثمرة إنتاجها، ووقع عليها الظلم والأعباء - على نحو ما رأينا - وبالرغم من ذلك فقد ظلت ثائرة ضد الظلم بالتعبير بالرفض والتمرد والاحتجاج والثورة طوال القرن التاسع عشر.

- العربان:

وتعرض الرحالة لوصف عربان وادي النطرون، فكتب أميديه ايميليان جوبيتر دراسة بعنوان « حصر للقبائل العربية التي تقطن بين مصر وفلسطين »، تناول فيها القبائل التي عاشت في الوادي، نذكر منها على سبيل المثال قبائل الجوابي والهنادي والسمالو^(١)، بينما تناول جرايبتان لويير في دراسة بعنوان « جولة في إقليم المريوطة »، القبائل التي سكنت الجزء الغربي من ولاية البحيرة والذي كان يعرف قديماً باسم إقليم المريوطة^(٢)، أما أندريوسى فوصف الحياة الاجتماعية للعربان في الوادي والقوانين العرفية التي كانت تحكمهم وهي التي أدت إلى شيء من عدم الاستقرار عند نشوب النزاعات التي تفضي أحياناً إلى القتل والتي اعتمدت على القصاص أو الدية دون ضابط، وذكر أندريوسى شهرة بعض القبائل والتي كانت لها نشاط في مجال التجارة بوادي النطرون^(٣).

على أية حال، لعبت قبائل العربان دوراً بارزاً في وادي النطرون خلال فترة الدراسة، وكان لهذا الدور أثره على حياة السكان، فشكلت غاراتهم خطراً داهماً على الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ولخطورتهم لجأ الحكام إلى تخليصهم من حياة البدو والترحال إلى حياة الاستقرار^(٤).

ونظراً لأهمية دورهم يجدر بنا أن نشير لأشهرها وأهمها في الوادي خلال فترة الدراسة فمئتها:

(١) تأليف علماء الحملة الفرنسية: ج٢، المرجع السابق، ص ٣٧٣-٤٠٠.

(٢) نفسه: ص ١٧-٤٠.

(٣) نفسه: ص ٦٨-٧٤.

(٤) ديوان خديوي تركي: دفتر ٧٦٤، وثيقة ١٦٦، ٨ محرم ١٢٤٦هـ / ٢٩ يونيو ١٨٣١، ص ١١٨.

- قبيلة الهنادي: وهي إحدى فروع بني سليم وبني سلام، وكان مجيئها من طرابلس الغرب في القرن الثامن عشر، واستقرت في صحراء مصر الغربية بساحل مريوط، وفي وادي النطرون بلغ عددها نحو مائة وعشرين نسمة^(١) واستقر جزء منها في الشرقية^(٢) وهم من البدو الرحل الذين لا يعرف أبناؤهم الزراعة أو التجارة، بل يعيشون على الرعي والسلب والنهب وكانت من أقوى قبائل العربان بالوادي^(٣). وذكر شابرول دى فولفيك^(٤) قائلاً: هذه القبيلة كانت تعمل بنقل النطرون والسمار والبلح، وتمثلت ثروتهم في الجمال وقطعان الأغنام والماشية^(٥).

- قبيلة أولاد علي: وهي من أكبر القبائل العربية الرحالة في مصر، وجاءت من طرابلس الغرب بعد بني سلام في القرن الثامن عشر^(٦) وانقسمت إلى قسمين، أقام القسم الأكبر منها في البحيرة بمركز أبو المطامير، والدلنجات، وإيتاي البارود، وأبو حمص ووادي النطرون^(٧)، وتقاسمت هناك

(١) تعداد نفوس: س ٢٦١، ل/٧٩/٩، ٢٦١/٢٦٤ هـ ١٨٤٧ م، ص ١-٣.

(٢) معية سنية تركي: دفتر ٢٧، من المعية إلى عمر بك منظم أمور قسم ثالث الشرقية، وثيقة ٣٧٤، ١٣ ربيع ١٢٤٢ هـ/ ١٤ نوفمبر ١٨٢٦، ص ١٢٧.

(٣) محافظ عابدين: محفظة رقم ٥٥٥، مذكرة إيضاحية عن قبيلة أولاد علي في البحيرة، ١٩٠٣ م؛ ليلي عبد اللطيف: سياسة محمد علي إزاء العربان في مصر، دار الكتاب الجامعي، القاهرة ١٩٨٦ م، ص ١٣.

(٤) شابرول دى فولفيك (١٧٧٣-١٨٤٣ م): اسمه جلبيير جوزيف جاسبار كونت دى شابرول، وقد ولد في مدينة ريوم عام ١٧٧٣ م وهذا يعني أنه عندما قدم إلى مصر كان يبلغ الخامسة والعشرين من عمره، وكان يعمل مهندساً للطرق والكبارى، وعين عقب عودته من مصر مأموراً لمدينة مونتنيو عام ١٨٠٦ م، وأنشأ بها طريق الكورنيش، وفي عام ١٨١٢ م قابله نابليون بشكل عابر، وكان شابرول يقضى إجازته في باريس، ودار بينهما حديث فأعجب به نابليون وعينه مأموراً للسين، فأدار باريس كما ينبغي أن تدار مدينة كبرى وعاصمة لامبراطورية كبرى، وقد نجح في ذلك نجاحاً كبيراً حتى أن لويس الثامن عشر قد اضطر لاستبقائه في وظيفته الحساسة، على الرغم من أنه قد عين قبل نابليون، وتدين له باريس بكثير من الأعمال الرائعة ذات النفع العام. وبعد عطاءه لوطنه توفي في عام ١٨٤٣ م.

(٥) تأليف علماء الحملة الفرنسية: ج ١، المرجع السابق، ص ٣٨-٣٩.

(٦) سميرة فهمي على عمر: دور عربان الوجه البحري في تاريخ مصر العثمانية، (٩٢٣/ ١٣١٣ هـ/ ١٥١٧ -

١٧٩٨ م، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة الإسكندرية، ١٩٨٩ م، ص ٥٣

(٧) محافظ الديوان الخديوي: محفظة ١، دفتر ٥٨٦، وثيقة ٣١٧، ٢ ربيع الأول ١٢٦٣ هـ/ ١٨ فبراير

١٨٤٦ م.

النفوذ مع قبيلة الهنادي، وهناك قسم آخر من القبيلة سكن في الشرقية، وقد بلغ عددها ١٣٤٤ نسمة وكان منها أربعة وعشرون شيخاً^(١).

- قبيلة بني عون: وهي من قبائل السلامة أو بني سلامة وقد جاءت إلى مصر من طرابلس الغرب في أواخر القرن الثامن عشر، وبلغ عددها ثلاثمائة فارس^(٢) واتخذت من وادي النطرون مركزاً لها^(٣).

- قبيلة الجواي: كتب أميديه جوبير قائلاً: «يبدو أن عرب الجواي من أصل أفريقي، وهم يقومون بنقل ملح النطرون من البحيرات حتى الإسكندرية والطرانة وبنقل البضائع بواحة أمون (سيوه)^(٤)، وقد استقرت في البحيرة في إقليم مريوط، ووادي النطرون، وأحياناً كان يطلق على أفرادها الجواييص^(٥) وكانت تمثل جماعة صغيرة من الرعاة تتجول بحثاً عن المراعي اللازمة لإمداد قطعانها بالغذاء، وتذهب كل عام من الوادي إلى الصعيد حاملة معها النطرون مقابل ثمن محدود، ويذهب من يتجر من أفرادها إلى الواحات لشراء البلح الطازج أو المجفف لبيعه بعد ذلك لصغار التجار في القاهرة^(٦) وذكر أندريوسي شهرة قبيلة الجواي بتربية الخيول، التي كانت تمثل للسفر والتجارة أهمية قصوى آنذاك^(٧)، وهي قبيلة مسالمة لا تشهر السلاح إلا للدفاع عن النفس، وبلغ عددها نحو ألفي رجل، وتعد من أكثر القبائل حفاظاً على العادات والتقاليد القديمة^(٨).

(١) لمزيد من التفصيل انظر: إيمان محمد عبد المنعم: المرجع السابق، ص ٤٧.

(٢) أحمد لطفي السيد: قبائل العربان في مصر، القاهرة ١٩٣٥، ليلي عبد اللطيف: سياسة محمد علي إزاء العربان، المرجع السابق، ص ٥٣.

(٣) محكمة البحيرة: س ٢٤، م ٦٣٩، ١٥ جماد آخر ١٢١٠هـ / ٢٧ ديسمبر ١٧٩٥م، ص ٣٥٨.

(٤) تأليف علماء الحملة الفرنسية: ج ٢، المرجع السابق ص ٣٩٧.

(٥) تأليف علماء الحملة الفرنسية: س ٩٢، م ١٦٠، ٢٥ من ذي الحجة ١٢٧٠هـ / ١٩ سبتمبر ١٨٥٤م، ص ٥٣.

(٦) إيمان محمد عبد المنعم: المرجع السابق، ص ٥٠.

(٧) نفسه: ص ٦٨-٧٤.

(٨) حلمي محروس إسماعيل: دراسات عن الحالة الاجتماعية في مصر في النصف الأول من القرن التاسع

عشر، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، قسم تاريخ، جامعة القاهرة ١٩٧٥م، ص ١٤١-١٤٣.

- قبيلة الحراي: وهي فرع من العقاقرة من قبائل سليم التي وفدت إلى مصر من طرابلس في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي^(١) وانقسمت إلى خمسة فروع هي: العبيدات، والحاسة والدرسة، والفوايد، والبراعصة، واستقرت بالبحيرة في وادي النطرون، والفيوم^(٢).

- قبيلة السمالو: وهي بطن من بني عجلان، تنتسب إلى عرب الحجاز وأحياناً يطلق على أفرادها السمالوس، وهي من القبائل الرحل^(٣) وذكر أميديه جوير أن أفرادها يعيشون في خيام واستقروا بنواحي بحيرات وادي النطرون، وكانوا يقومون بنقل ملح النطرون مع عرب الجميعات إلى الطرانة^(٤)، واستقر الجزء الأكبر منهم في إقليم الفيوم، وكانوا يعيشون في حرب مع قبائل الضعفا والفرجان^(٥).

- قبائل الجميعات: وتتفرع عن قبائل سليم الوافدة من شمال غرب إفريقيا في القرن الثامن عشر الميلادي، واستقر بعضها في البحيرة في وادي النطرون وأقام الفرع الآخر في بني سويف^(٦).

والحقيقة التاريخية التي ذكرها بعض الرحالة الزائرين لوادي النطرون هي أن العربان يسكنون الجبال والصحراء ولا توجد لديهم زراعة ولا منازل شبههم تيفيه «بالتار» يعيشون في خيام حياتهم قاسية «لا ينتمون لبشر» و«متوحشون» وتعجب أنه «على الرغم من تبعيتهم للأتراك إلا أنهم لا يخشونهم» فإذا وقع تركي في أيديهم سارعوا بذبحه، إذا ألقوا القبض على مسيحي أو أرمني أو يوناني، فإنهم يكتفون بسلب أمواله ثم يجردونه من ملابسه، وأكد «أنهم

(١) سميرة عمر: المرجع السابق، ص ٥٣.

(٢) لمزيد من التفصيل انظر: إيمان محمد عبد المنعم: المرجع السابق، ص ٥٣.

(٣) محكمة النجيلة: س ٧٢٤، م ٣١٤، ١٥ جماد أول ١٢٨٤هـ/ ١٤ سبتمبر ١٨٦٧م، ص ٧٤.

(٤) تأليف علماء الحملة الفرنسية: ج ٢، المرجع السابق ص ٣٩٦.

(٥) إيمان محمد عبد المنعم: المرجع السابق، ص ٥٨-٥٩.

(٦) محكمة البحيرة: س ٤٩، م ٧٥٢، ٦ رمضان ١٢٨٢هـ/ ٢٣ يناير ١٨٦٦م، ص ١٣٧؛ إيمان محمد عبد

المنعم: المرجع السابق، ص ٦٧.

رغم كراهيتهم للأتراك إلا أنهم يدفعون لهم الضرائب عن كل ما يملكونه من جمال وماعز^(١). وقد أفاض ثيوفنت Thevenot في وصف اعتداءات العربان على الرهبان وأديرة الوادي، حيث ذكر قائلاً: «كان الحصن هو المكان الوحيد الذي يلجأ إليه الرهبان عندما يهاجمهم العربان، وكان يحتوي على كل كنوزهم»^(٢) وذكر جوهان ميشيل فانسليب الدومنيكاني (١٦٣٥-١٦٧٩م) الذي زار وادي النظرون في سنة ١٦٧٢، أنه حدث له حادثة مبتذلة، إذ ظن العربان أنه يحمل ثروة، فدبروا كميناً له في الطريق ليقتلوه، فاضطر فانسليب إلى التخلي عن مشروعه وبقى في الطرانة، وخلال مكوثه جمع لنا معلومات قيمة عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية في وادي النظرون^(٣). وقد ذكر سونيني دي مانونكورت الذي زار وادي النظرون في عام ١٧٧٨م^(٤)، أنه في أثناء سفره للوادي تعرض لحادثة سرقة عرب الصحراء، كما وصف لنا مشهد هجوم دليله حسين على أسوار دير الأنبا مقار وتخريبه ونهبه^(٥).

على أية حال، ربما ترجع أعمال الإغارة التي يقوم بها العربان، حسب ما وصفهم كوبان في القرن السابع عشر الميلادي إلى أنهم يعيشون في بؤس وشقاء وهم متشردون، وقارن بينهم وبين بدو الشام فأكد أن بدو مصر أسوأ حالاً لأن بدو سوريا يتاجرون مع التجار ويبيعون الصابون والأعشاب حتى أنهم يصدرونها إلى طولون ومارسيليا بينما بدو مصر لا يتاجرون في شيء، ورغم أنهم تابعون للأتراك إلا أنهم لا يخضعون لهم^(٦).

(١) إلهام محمد علي ذهني: مصر في كتابات الرحالة الفرنسيين في القرنين السادس عشر والسابع عشر، المرجع السابق، ص ٧٧-٧٨.

(٢) هيو ج. ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص ١٥٨.

(٣) مرتيروس السرياني (الراهب): المرجع السابق، ص ١٥٨.

(٤) سمعان السرياني، الراهب: المرجع السابق، ص ٩٢-٩٣.

(٥) هيو ج. ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص ١٥٧-١٥٨.

(٦) إلهام محمد علي ذهني: مصر في كتابات الرحالة الفرنسيين في القرنين السادس عشر والسابع عشر، المرجع السابق، ص ٧٨.

وذكر الجنرال أنطوان فرانسوا أندريوسي (١٧٩٩-١٨٠١م) الذي زار وادي النطرون أسلحة العربان في الوادي حيث ذكر قائلاً: «إن العربان مسلحون بحراب يستخدمونها بمهارة، ويقذفونها وهم ممتطون خيولهم لكنهم يحفون بخيولهم الطيبة، وذلك بإيقافها فجأة على قدميها الخلفيتين، وهي تجرى بأقصى سرعتها وإن كانوا في نفس الوقت يبذلون قصارى جهدهم للعناية بها إلى حد لم نسمع به من قبل. ولا بغير العربان مطلقاً وهم على هيئة صفوف لكنهم يغيرون متفرقين، وهم يطلقون صيحات عالية تختلط بسباب بذيء، وطريقهم في الحرب هي الطريقة التي تتبعها الفرق الخفيفة»^(١). ووصف دى بوا إيميه مكان حفظ العربان المؤن حيث وصف قائلاً: «كان هؤلاء البدو حفر سرية يخفون فيها البلح وعلف قطعانهم، وأسحلتهم»^(٢).

وكانت الاغتيالات تغذي نوازع الحرب بين القبائل وبعضها البعض أو مع بعض القرى المجاورة لهم، ويقال عندئذ أن بين هؤلاء دماء. وفي بعض الأحيان يضطر الناس أن يدفعوا ثمنًا لإعادة شراء الدم واحلال السلام (الدية)، وإن كان ينظر إلى ذلك باعتبارها عارًا، وعندئذ يصبح على الضعيف المتخاذل أن يدفع جزية مضاعفة للأقوى.. أما القرى التي ترفض أن تدفع فتعرض للسلب والنهب ثلاث مرات، ويصيب مثل هذا السلب بالفرع، وينظر الفلاحون إلى العربان كما ينظرون إلى وباء مخيف. سألت مرة أحد مشايخ قرية ما: هل حل الطاعون بقريتك هذا العام؟ فأجاب: نعم. مرتين، فلقد حل الطاعون والعربان^(٣).

على أية حال، نظرًا لتفشي أعمال الإغارة والنهب والسلب من غالب هذه القبائل - وهو ما كان يمثل عبئًا على الحكام، حيث إن من مسوغات كونهم حكامًا أن ينشروا الأمن بين رعاياهم، ومتى بدا منهم قصور في التصدي لتلك القلاقل الاجتماعية استجلب ذلك سحق الرعية - كان من دأبهم أن يحذوا من بطش تلك القبائل ويضربوا على أيدي المتطاولين منها بالسلب وإشاعة الذعر والشعور بعدم الأمان^(٤).

(١) تأليف علماء الحملة الفرنسية: ج٢، المرجع السابق ص ٧٤.

(٢) نفسه: ص ٢٦٥.

(٣) نفسه: ص ٧١.

(٤) ديوان خديوي تركي: دفتر ٧٦٤، وثيقة ١٦٦، ٨ محرم ١٢٤٦هـ / ٢٩ يونية ١٨٣١م، ص ١١٨.

فمع أوائل القرن التاسع عشر، وصل العربان إلى أقصى درجة من القوة وشدة البأس وساعدهم على ذلك حالة الفوضى التي سادت في الفترة ما بين جلاء الحملة الفرنسية وتولي محمد علي باشا الحكم عام ١٨٠٥ م. فكانوا يخربون القرى ويفرضون الإتاوات على سكان الوادي، فضلاً عن اضطراب الأمن نتيجة لقيامهم بأعمال السلب والنهب^(١).

وقد عانى وادي النطرون كثيراً غارات العربان خلال حكم محمد علي، فعلى سبيل المثال عانى أهالي كفر داود والطرانة استيلاءهم على أراضيهم وإتلاف مواشيتهم لمزروعاتهم^(٢) كما دأب هؤلاء على سرقة مواشي ومحاصيل قريتي أبو نشابة والأخماس^(٣) كذلك اشتكى التجار الأوروبيون للديوان الخديوي من اعتدائهم على مراكبهم ما بين الطرانة ورشيد^(٤) كما عانى ملتزمو النطرون من سرقتهم مادة النطرون من بحيراته خاماً، والاعتداء على قوافله والعاملين بها^(٥) كذلك تعرضت على أيديهم أديرة الوادي للسلب والنهب - على نحو ما رأينا-^(٦).

وحتى يتخلص محمد علي من متاعب العربان، انتهج سياسة توطيئهم لحماية قرى الوادي من اعتداءاتهم وتحقيق الاستقرار عن طريق منح شيوخ قبائلهم مساحات واسعة من أطيان الأبعادية وإعفاؤها من الضرائب، ولم يعطهم تقاسيط تثبت حيازتهم لها، وإنما وعدهم بالألأ

(١) محكمة البحيرة الشرعية: س ٢٩، م ٢١٨، ٨ جمادى الثاني ١٢١٨هـ / ٢٥ سبتمبر ١٨٠٣ م، ص ١٣٠.

(٢) معية سنية تركي: دفتر ٧٧، وثيقة ٥٦٥، ١٠ جمادى الأولى ١٢٤٠هـ / ٣١ ديسمبر ١٨٢٤، ص ٢٣٥.

(٣) مديرية البحيرة: س ١، صادر البحيرة إلى سايرة، وثيقة ٣٧٢، ٢١ جماد الثاني ١٢٦١هـ / ٢٧ يونيو ١٨٤٥ م، ص ٦١٠.

(٤) ديوان خديوي: محفظة ١، دفتر ٥٨٦، من الديوان إلى يعقوب أغا سر سوارى في البحيرة، ٢ ربيع الأول ١٢٦٣هـ / ٢٨ فبراير ١٨٤٧ م.

(٥) مديرية البحيرة: س ١، ج ٢، صادر إلى سايرة، وثيقة ١٠١، غرة جمادى الأولى ١٢٦١هـ / ٧ يونيو ١٨٤٥ م، ص ٦٣٨.

(٦) ديوان شورى المعاونة: محفظة ٢٠، ملخصات دفاتر، دفتر ٢٨٤، وثيقة ١٩٠، ١٧ صفر ١٢٥٧هـ / ١١ إبريل ١٨٤١ م.

يكلفوا بأعمال السخرة أو الخدمة العسكرية^(١) وعمل على إمدادهم بالبذور الجيدة، بالإضافة إلى أدوات الفلاحة^(٢) كما وعدهم بشراء حاصلاتهم نقدًا لتسويقها بمعرفة الحكومة^(٣).

وبالرغم من ذلك لم يألّفوا حياة الاستقرار بسهولة، فلم يغيروا من أنماط حياتهم، وظل الكثيرون منهم يسكنون الخيام، وتركوا الفلاحين يزرعون الأرض لحسابهم مقابل نصف المحصول، فصدر أمر عام ١٨٣٧م بمنع شيوخ العربان من تأجير أطيانهم أو مزارعتها (المشاركة على محصولها) ولجأ الباشا إلى إغرائهم عن طريق منحهم الكساوى وتولي الوظائف الحكومية لتشجيعهم على الاستقرار^(٤).

كما استخدم الباشا أسلوب الشدة بجانب التوطين لردع العربان عن أعمالهم، بإصدار قرار في غاية ذي الحجة ١٢٥٣هـ / ٢٧ مارس ١٨٣٨م إلى ناظر العربان يأمره بمنع عربان الجميعات من إقامة خيامهم في مزارع الأهالي، لما في ذلك من إيذاء لهم^(٥) كما أمره بإحضار مشايخ عربان الوادي الذين قاموا بنهب الأسواق والقرى إليه لتوبيخهم وعقابهم^(٦) وعندما دأب عربان أولاد علي بالوادي على التوجه إلى رشيد لسرقة البلح والاعتداء على الأهالي صدر أمر إلى محافظ رشيد في أكتوبر ١٨٣٤م بضبط اثنين منهم، ليصلب أحدهما ويرسل الآخر إلى

(١) رءوف عباس: الملكيات الزراعية، المرجع السابق، ص ٩٣.

(٢) معية سنية تركي: دفتر ٤٤، من الجانب العالي إلى أحمد باشا، وثيقة ١٨٣، ٢٧ صفر ١٢٤٨هـ / ٢٥ يوليو ١٨٣٢م، ص ١١٨.

(٣) أحمد الدماصي: المرجع السابق، ص ١٩١.

(٤) ديوان خديوي: دفتر ٣، من الباشا إلى مأمور الديوان الخديوي، وثيقة ٧٨٩، ١٩ شوال ١٢٤٧هـ / ٢٢ مارس ١٨٣٢، ص ١٦٨؛ الوقائع المصرية: عدد ٣٨٤، ٢١ ذي الحجة ١٢٤٧هـ / ٢٢ مايو ١٨٣٢م، رءوف عباس: الملكيات الزراعية، المرجع السابق، ص ٩٣.

(٥) ديوان شورى المعاونة: محفظة ١٥، ملخصات دفاتر، دفتر ٢٨٤، وثيقة ١٠٨١، غاية ذي الحجة ١٢٥٣هـ / ٢٧ مارس ١٨٣٨م.

(٦) معية سنية تركي: دفتر ٤٤، من الجانب العالي إلى أحمد باشا، وثيقة ١٨٣، ٢٧ صفر ١٢٤٨هـ / ٢٥ يوليو ١٨٣٢م.

السجن ليكونا عبرة لغيرهما، مع التنبيه على مشايخ أولاد علي بعدم السماح لرجلهم بالذهاب إلى رشيد إلا للضرورة القصوى^(١).

ومع بداية حكم عباس الأول (١٨٤٨ - ١٨٥٤ م) سرعان ما عاد العربان لسيرتهم الأولى من الارتكان إلى السلب والنهب بالوادي، ومثال ذلك عندما دأبت مجموعة من عربان الفوايد بالتعدي على الأخماس، فعانت السلب والنهب لمواشيها وحاصلاتها^(٢) كما قام عربان الجمعيات والهنادي بقطع الطرق الفرعية بين قرى الوادي وفرض إتاوات على سكانها^(٣) فأصدر عباس الأول أمراً (١٨٥٠ م) هددهم فيه بنزع أطيائهم منهم إذا لم يكفوا عن أعمالهم وأن يتولوا فلاحتها بأنفسهم^(٤).

وعندما تولى محمد سعيد باشا الحكم (١٨٥٤ - ١٨٦٣ م) قرب الفلاحين إليه وكره العربان، بل قام بتأديبهم بحرمانهم من كل ما منحه لغيرهم، وأراد إدخالهم في الخدمة العسكرية^(٥) فكان نتيجة لذلك أن قام عربان وادي النطرون بمشاركة أقرانهم في الفيوم بثورة، أعلنوا فيها عن سخطهم بأسلوبهم البدائي باعتدائهم على الفلاحين بالسلب والنهب، كما تعرضت قريتا البريجات والأخماس منهم^(٦) لذلك، فما كان من سعيد إلا أن أصدر أوامره بإبادتهم في تلك المنطقة، وقضى على ثورتهم، بعد أن حاصرهم وقتل الكثير منهم، وسجن رؤسائهم في ليان القلعة السعدية^(٧).

(١) إيمان محمد عامر: المرجع السابق، ص ٨٠.

(٢) محافظ مديرية البحيرة: محفظة ١، وثيقة ٩، بتاريخ غرة جمادى الأولى ١٢٦٨هـ / ٢٢ فبراير ١٨٥٢ م.

(٣) معية سنينة عربي: س ٤٤، من المعية إلى مديرية الضبطية، مضبطة رقم ٦٧٤، ٢٥ رجب ١٢٦٦هـ / ٦ يونيو ١٨٥٠ م، ص ٦٧٤.

(٤) رءوف عباس: الملكيات الزراعية، المرجع السابق، ص ٩٤.

(٥) ديوان الجهادية: س ٤٥١، وثيقة رقم ٢٣، ٢٥ شوال ١٢٧٦هـ / ١٦ مايو ١٨٦٠ م، ص ٣٧.

(٦) محافظ الأبحاث: محفظة ١١٨، معية سنينة تركي: دفتر ١٦٤٣، ج ١، صادر المعية إلى مديرية البحيرة ٢ صفر ١٢٧٥هـ / ١١ سبتمبر ١٨٥٨ م؛ مديرية البحيرة، س ١١٣، صادر دواوين للروضة، وثيقة ٢٤٤، ١٦ شوال ١٢٧٤هـ / ٣١ مايو ١٨٥٨ م، ص ١٤٢.

(٧) لطيفة سالم: القوى الاجتماعية في الثورة العربية، المرجع السابق، ص ١٤٧.

وكثيرا ما كان البدو يثيرون الاضطرابات، وقد شهد عصر إسماعيل بعضها في وادي النطرون، فعلى سبيل المثال قامت قبيلتنا السمالو والحراي، بالسلب والنهب والاعتداء على فلاحي قريتي الخطاطبة والطرانة^(١)، فما كان من الحكومة إلا أن قامت بإرسال أشقيائهم إلى ليمان القلعة السعدية، ورؤسائهم إلى نواحٍ متفرقة بصعيد مصر^(٢).

ولجأت الحكومة للحد من هذه الاضطرابات عن طريق توطين البدو، فأصدرت في ١١ نوفمبر ١٨٦٣م أمراً إلى تفتيش عموم الأقاليم يقضي بعدم جواز تصرف البدو في الأتيان المعطاة لهم بالبيع أو الهبة أو الاستبدال أو الرهن أو غير ذلك من دروب التصرف، وأن لا تنتزع الأتيان من أيديهم ما داموا يسددون ما عليها من أموال، بشرط أن يتركوا سكنى الخيام، وتتول هذه الأتيان إلى الدولة إذا لم يكن هناك من يستحق أن يأخذها^(٣).

كما لجأت الحكومة إلى استخدام القوة العسكرية من أجل توطين العربان، عن طريق ردعهم عسكرياً للتخلص من أعمال السلب والنهب والسرقة والقتل، وأن يسكنوا المنازل ويتركوا الخيام ومن يفعل غير ذلك يعرض نفسه للعقاب^(٤).

ولعبت بعض قبائل العربان دوراً سلبياً في الثورة العرابية عام ١٨٨١م، وكان من أولئك عرب الهنادي في البحيرة بوادي النطرون بقيادة شيخهم محمود سلطان، الذي وضع نفسه في خدمة معارضي الثورة، وأصبح الواسطة بين عربان الوادي والخديوي توفيق (١٨٧٩ -

(١) محافظ الأبحاث: محفظة ١٤٦، دفتر ١٩١٤ أوامر، أمر كريم إلى مديرية البحيرة، رقم ٧، ١٥ شعبان ١٢٨١هـ / ١٣ يناير ١٨٦٥م، ص ٢٠.

(٢) معية سنية تركي: دفتر رقم ١٩٢٣، صادر أوامر، أمر كريم إلى تفتيش عموم الأقاليم، رقم ٤٩، ٦ ذي الحجة ١٢٨٣هـ / ١١ إبريل ١٨٦٧م، ص ٧٠.

(٣) محافظ الأبحاث: محفظة ١٤٠، دفتر ١٩٠٧ أوامر، أمر كريم إلى ديوان المالية، رقم ٣٢، ٢٨ جماد أول ١٢٨٠هـ / ١١ نوفمبر ١٨٦٣، ص ٥٠؛ رءوف عباس: الملكيات الزراعية، المرجع السابق، ص ٩٥ - ٩٦.

(٤) محافظ الأبحاث: محفظة ١٤٠، دفتر ١٩٠٧، أوامر، أمر كريم إلى ديوان المالية، رقم ٣٢، ٢٨ جماد أول ١٢٨٠هـ / ١١ نوفمبر ١٨٦٣، ص ٥٠.

١٨٩٢م) الذي مضى في التقرب إليهم، حيث وعد أقرانه بالرتب والأوسمة على أن يبذلوا الطاعة للخديوي والإنجليز، وينبذوا طاعة الثوار، وسار على طريقة معينة اتصف بها، وهي إحياء العداء والغيرة بينهم وبين الفلاحين^(١) كذلك قبيلة أولاد علي بالوادي أمكن للخديوي شراء قائدها ودعمه بثلاثة آلاف فارس في مقابل حصولها على عشرين ألف جنيه^(٢).

وواصلت سلطات الاحتلال البريطاني لمصر خلال الفترة ما بين (١٨٨٢-١٩١٤م) سياسة استخدام القوة العسكرية لردع اعتداءات العربان على قرى وادي النطرون حتى لا يعرقلوا مصالحها الاقتصادية مثل تجارة النطرون، وشركة الملح والصودا، ومشروعات الري واستصلاح الأراضي، أو سير مراكبها بالنيل ما بين القاهرة والإسكندرية أو رشيد^(٣) والحفاظ على الأمن بتوطينهم من خلال تشديد العقوبات التي توقع على ساكني الخيام وقطاع الطرق والعصابات المسلحة من العربان وتأديب شيوخهم، مثلما مارست ذلك على قبيلتي أولاد علي والحراي^(٤).

وبالرغم من الدور السلبي للعربان، فإنه كان لهم أيضًا دور إيجابي في وادي النطرون فقد ذكر معظم الرحالة أن العربان عملوا كدليل للزائرين الأجانب لوادي النطرون^(٥)، وأشار أندريوسى أن عربان وادي النطرون عملوا في عملية نقل النطرون من الوادي إلى الطرانة^(٦). بالإضافة إلى ممارسة حرفة الرعي وتوفير المنتجات الحيوانية من اللحوم والألبان والجلود، كما كان بعض العربان يقومون بحراسة الأديرة وقوافلها من القاهرة إلى الوادي^(٧).

(١) لطيفة سالم: القوى الاجتماعية في الثورة العربية، المرجع السابق، ص، ٢٥٠-٢٥١.

(٢) محافظ عابدين: محفظة رقم ٥٥٥، مذكرة إيضاحية عن قبيلة أولاد علي في البحيرة، منذ مجيئها حتى سنة ١٩٠٣م.

(٣) شركات وجمعيات: مجلس الوزراء: محفظة ١٧٠، أ، ١٩ إبريل ١٨٩٩م.

(٤) محافظ مجلس الوزراء: مجلس النظار، محفظة ٥/ب، ٢٠ شعبان ١٣٠٧هـ/ ١٠ إبريل ١٨٩٠م.

(٥) مرتيوس السرياني(الراهب): المرجع السابق، ص ١٥٨.

(٦) تأليف علماء الحملة الفرنسية: ج ٢، المرجع السابق ص ٤٩.

(٧) نفسه: ص ٦٦.

ومنذ بداية حكم محمد علي باشا (١٨٠٥م) وقيامه بتوطين العربان، احترفت بعض القبائل ومنها بنو عونة وأولاد علي والجميعات حرفة الزراعة، وساهمت في إنتاج المنتجات الزراعية، بالإضافة إلى منتجات الرعي^(١). كما استعان الباشا بمشايع عربان الوادي من أجل توفير وشراء الخيول والجمال اللازمة لإعداد الجيش لحروبه، مثلما قام باستدعاء الشيخين حمد المقرحي وعمر هندراوي لشراء صفقة خيول من عربان وادي النطرون، وجمال من المغرب^(٢) وعندما أراد تحسين سلالة الأبقار في مصر، استعان بهم لشراء أبقار من السودان^(٣) كذلك استخدم بعضهم في الرعاية البيطرية للثروة الحيوانية لخبرتهم بها^(٤).

كما ساهم عربان وادي النطرون بتقديم جمالهم للمحمل الشريف ومنهم عربان الهنادي، بالإضافة إلى نقل الغلال والمؤن والبريد والمرتبات إلى الحجاز^(٥) كما استخدمت خيولهم وجمالهم لمرافقة رجال الدولة أو ضيوفهم من الأجانب في ترحالهم وسفرهم داخل الوادي^(٦).

كذلك اعتمدت عمليات اقتلاع النطرون من مغارته وحراسته ونقله وتجارته -على نحو ما رأينا- على عربان الجميعات والحراي والسمالو^(٧). وساهم عربان وادي النطرون في نظارة

(١) مديرية البحيرة: س ٨٣٥، وارد إلى سايرة، وثيقة ٣١٨، ٢٨ شوال ١٢٦٤هـ/ ٢٨ سبتمبر ١٨٤٨م، ص ١٢٤.

(٢) معية سنية عربي: دفتر ٨، أوامر، أمر كريم إلى شيخ عربان الجميعات، وثيقة ٤٣، ٢٨ صفر ١٢٥٢هـ/ ١٥ يونيو ١٨٣٦م، ص ٣٥.

(٣) نفسه: دفتر ٣٣، من الجناح العالي إلى مأمور نصف البحيرة، وثيقة ١١٨، ١٠ ربيع الأول ١٢٤٣هـ/ أول أكتوبر ١٨٢٧م، ص ٩٤.

(٤) نفسه: محفظة ١٨، ملخصات دفاتر، وثيقة ٣٩، ١٢ ربيع الآخر ١٢٥٢هـ/ ١٦ يوليو ١٨٣٧م.

(٥) لمزيد من التفصيل انظر: إيهان محمد عبد المنعم، المرجع السابق، ص ١٨٩-١٩١.

(٦) ديوان شورى المعاونة: دفتر ١٥٨، أمر إلى مدير نصف البحيرة، وثيقة ١٠٨١، ذو الحجة ١٢٥٣هـ/ ١٦ إبريل ١٨٣٨م، ص ٢١٢.

(٧) مديرية البحيرة: س ٢٣٥، صادر الفروع إلى سايرة، وثيقة ٢٠٠٨، ٤ شعبان ١٢٦٢هـ/ ٢٨ يوليو ١٨٤٦م، ص ٣٧٨.

بعض النواحي، فعلى سبيل المثال صدر إشعار برفع محمد المقرحي شيخ عربان أولاد علي من نظارة سيوة وإسنادها إلى شيخ عرب الجميعات هنداي أبو الذهب مع إلزام عربان سيوة بدفع ما عليهم سنوياً له (١٢ ألف قرش)^(١).

وقد استعان عباس الأول (١٨٤٨ - ١٨٥٤ م) بعربان وادي النظرون من أجل إعادة الأمن إليه، كما حدث عندما لقي كل من خير الله محمد ومحمد أبو قلادة من عربان الجميعات مصرعهما على يد حمد خطاب، وهروبه من سجن دمنهور^(٢) وإلزام مشايخ عربان أولاد علي بالبحث عنه وتقديمه للعدالة^(٣) كذلك أسند إليهم الإبلاغ عن الأشقياء من أقرانهم والمتسحبين من قراهم^(٤).

واعتمد محمد سعيد باشا (١٨٥٤ - ١٨٦٣ م) على بعض قبائل عربان وادي النظرون للقضاء على ثورتهم في الفيوم، فاستعان بشيخ عربان السمالو عوض كرمه وأخيه خليفة للتجسس على أقرانهم الثوار وضبطهم والقضاء على ثورتهم، وكافأهم مقابل ذلك بمبلغ ٥٠٠٠ قرش^(٥) كذلك كلف شيخ عربان الجميعات عمر الهنداي بالتوجه بقيبلته بعد إمداده بـ ٢٥٠٠ أقة بقسماط إلى صعيد مصر لقضاء مأموريته في ردع إحدى قبائل العربان^(٦). كما استعان سعيد

(١) معية سنية عربي: دفتر بدون رقم، أمر من خليل أفندي إلى بعض مشايخ سيوة، وثيقة ٢٢٨، ١٨ أكتوبر ١٨٣٤ م، ص ١٢٦.

(٢) مديرية البحيرة: س ٣٠٢، وثيقة ١٧٥، صادر الفروع إلى سر سواري خليل أغا، بيارخ ١١ ربيع الثاني ١٢٦٩ هـ / ٢٢ يناير ١٨٥٣ م، ص ٧٤٤.

(٣) نفسه: مادة ١٨٦، ١٨ ربيع الآخر ١٢٦٩ هـ / ٢٩ يناير ١٨٥٣ م، ص ٧٧٦.

(٤) معية سنية عربي: دفتر ٦٦، من المعية السنية إلى مديرية البحيرة، ٥ من ذي القعدة ١٢٦٧ هـ / الأول من أكتوبر ١٨٥٠ م، ص ٢١.

(٥) ديوان خديوي: محفظة رقم ٨، من محمد فاضل لواء الطوبجية السعيدية إلى الخازن الخديوي، وثيقة ٤٨٠، ١٦ محرم ١٢٧٢ هـ / ٢٨ سبتمبر ١٨٥٥ م.

(٦) معية سنية عربي: دفتر ١٨٢، ج ١، أوامر، أمر كريم إلى ديوان المالية، وثيقة ١٣٨، ٢٢ شوال ١٢٧١ هـ / ٧ يوليو ١٨٥٥ م، ص ٤٩٢.

باشا عربان وادي النطرون للعمل في الجيش، وكان عملهم أساسًا في فرق الفرسان، وكلفوا بأن يحضروا خيولهم معهم^(١) وبالرغم من اعتراض العربان على التجنيد فقد حفلت الوثائق بالأوامر إلى مشايخهم بدعوة أبنائهم إلى الجهادية، ومن ذلك صدور أمر إلى مشايخ عربان أولاد علي والجميعات والحراي بتقديم مائتين منهم للتجنيد^(٢).

وكذلك اعتمد الخديوي إسماعيل (١٨٦٣ - ١٨٧٩ م) على عربان وادي النطرون في تأدية بعض المأموريات الأمنية خارج حدود مصر، كما نرى من تكليف شيخ عربان الجواييص رحيم تعلب وآخرين بالتوجه إلى طرابلس الغرب (ليبيا) لإحضار بعض المتهمين ومنهم شيخ عربان محايد نعومة الذي شق عصا الطاعة في عهد سعيد باشا ونفي إلى الأستانة (تركيا) ولكنه هرب إلى طرابلس^(٣) كذلك إحضار الأفراد المتهمين بقتل من يدعى الصابر أبو مسعود من جماعة الجواييص، لملاقاة جزائهم والحفاظ على أمن البلاد^(٤).

وكذلك أسند الخديوي إسماعيل إلى بعض قبائل عربان وادي النطرون؛ مهمة تأمين منطقة قناة السويس أثناء حفلة افتتاحها للملاحة الدولية في ١٧ نوفمبر ١٨٦٩ م، بالإضافة إلى مشاركة بعض مشايخ عربان الوادي في تقديم عرض للخيالة بمصاحبة الاحتفال^(٥). وبالرغم من أن أصابع الاتهام تشير إلى أن العربان كان لهم دور أساسي في هزيمة العراقيين بخيانتهم لهم؛

(١) مديرية البحيرة: س ١٢٣، صادر دواوين للجهادية، وثيقة ١١٥، ١٩ جماد أول ١٢٧٧ هـ / ٤ ديسمبر ١٨٦٠ م، ص ٩٢.

(٢) ديوان معية سنية عربي: س ٣/٩/١، وثيقة ١٨، ١٣ ربيع الأول ١٢٧٧ هـ / ٢٩ سبتمبر ١٨٦٠ م، ص ٤٧.

(٣) نفسه: محفظة ٧، دفتر ١٣٢، من محمد فاضل إلى خازن الخديوية، وثيقة ٢٦٩، غرة ذي القعدة ١٢٨١ هـ / ٢٨ مارس ١٨٦٤ م.

(٤) مديرية البحيرة: س ٤٢١، صادر فروع لسرسواري، وثيقة ٦١، ١٣ محرم ١٢٨٣ هـ / ٢٨ مايو ١٨٦٦ م، ص ١٩١ م.

(٥) نفسه: س ١٠٤٠، ج ٥، وارد الفروع إلى سرسواري، وثيقة ٣٠٦، ١٥ شعبان ١٢٨٦ هـ / ٢٠ نوفمبر ١٨٦٩ م، ص ٥٤.

مما أدى إلى سقوط البلاد تحت سيطرة الاحتلال البريطاني ١٨٨٢، فلم يكن كل العربان على شاكلة واحدة فهناك عدة إشارات بالوثائق تؤكد مساندة قبيلتي الجميعات والحراي للثوار^(١) كذلك شارك الباسل شيخ قبيلة الرماح المنتشرة فيما بين وادي النطرون والفيوم في إمداد الثوار بالمؤن، وشارك ابنه محمود الباسل مع الثوار وقبض عليه، وصدر حكم بإعدامه رمياً بالرصاص، ولكنه استطاع الهرب، فقبض الإنجليز على أخيه رحيم وأُعدم بدلاً منه بناء على حكم صدر من المحاكم الإنجليزية^(٢).

كما شهدت الفترة ما بين (١٨٨٢-١٩١٤ م) اعتداءات العربان المستمرة على جنود ومراكب الإنجليز، وشاركهم الفلاحون في هذه الاعتداءات منددين بسياستهم ومطالبين بالجلاء عن البلاد^(٣).

- الشوام والمغاربة والسودانيون:

ذكر الرحالة المغربي ابن سعيد الذي زار مصر في سلطنة نجم الدين أيوب عام (٦٣٩ هـ/ ١٢٤١ م) أن تجارة مصر الخارجية كانت مزدهرة فكنت مصر تصدر العديد من الأصناف إلى بلاد الشام وبلاد المغرب، وربما كان ذلك وراء إقامة العديد من الشوام والمغاربة بمصر^(٤). كما أن وادي النطرون كان أحد الطرق الرئيسة للمغاربة لاداء مناسك الحج، فقد ذكر الرحالة العبدري قائلاً: «لم يتدمر المغاربة من سداد الضرائب على الحجاج المغاربة عند ثغر الإسكندرية». فقد أكد العديد من الرحالة أن بعض الحجاج فضل المعيشة في الإسكندرية عقب اداء فريضة

(١) مديرية البحيرة: س ٢٣٠، صادر دواوين إلى سايرة، وثيقة ١٩٦، ١٠ ذي الحجة ١٢٩٩ هـ/ ٢٣ أكتوبر ١٨٨٢ م، ص ١٧٣.

(٢) وطني: عدد ٢٣٧٠، ١٠ جمادى الأولى ١٤٢٨ هـ/ ٢٧ مايو ٢٠٠٧ م، ص ١٤.

(٣) محافظ الأبحاث: محفظة ١٢٥، أوراق ومستندات تتعلق بالثورة العربية الاحتلال البريطاني، دوسيه ٣، وثيقة بدون رقم، ٢٨ أغسطس ١٨٨٢ م.

(٤) أماني بنت سعيد الحربي: مصر خلال كتابات الرحالة المغاربة في القرنين السابع والثامن الهجريين/ الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ١٤٣٦ هـ / ٢٠١٥ م، ص ٢١٧.

الحج^(١) وعقب الثورة المورسكية (٩٧٦ هـ / ١٥٦٨ م) زادت هجرة المغاربة لمصر^(٢)، وذكر أحمد شلبي عبد الغني أنه في عام (١١٣٨ هـ / ١٧٢٥ م) وصلت أعداد كبيرة منهم واستقرت بمدينة الإسكندرية وعملت بالعديد من الأنشطة الاقتصادية^(٣)، بالإضافة إلى طلاب العلم من أجل الدراسة^(٤).

على أية حال، احتلت طبقة العرب مكانة بارزة بين مجتمع وادي النطرون خلال القرن التاسع عشر، فوفد الشوام للعمل بالتجارة، وازداد عددهم وامتزج هؤلاء بالمصريين، وأقاموا بالطرانة والبريجات وأبي نشابة، وحققوا أرباحًا عالية، ولسهولة تعامل المسيحيين منهم مع الأوروبيين من حيث إجادة اللغات عمل بعضهم بالإدارة^(٥)، وقد عرفوا بالمهارة في محاسبة أنواع التجارة كافة واشتهر منهم بطرس طويل بالوادي بالترجمة لجنرال دولة الولايات المتحدة الأمريكية^(٦) وآدم حنا بتجارة القطن بالخطاطبة^(٧) وأنطوان بالصاغة بدمهور^(٨).

وكثر وفود المغاربة إلى وادي النطرون، واستقروا في نواح متعددة بها، وعملوا بالتجارة واشتهر من بينهم محمد السنوسي^(٩) وعبد اللطيف غالب من تونس^(١٠) وعبد الحميد غربال

(١) نفسه: ص ٢٢٧-٢٢٩.

(٢) حسام محمد عبد المعطي: العائلة والثروة - البيوت التجارية في مصر العثمانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٨ م، ص ١٧.

(٣) أحمد شلبي بن عبد الغني الحنفي المصري (١٧٣٧ / - ١١٥٠ م): أوضح الإشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشات: الملقب بالتاريخ العيني، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، مكتبة الخانجي للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٧٨ م، ص ٣٠٥.

(٤) حسام محمد عبد المعطي: المرجع السابق، ص ٢٤.

(٥) جوان كول: المرجع السابق، ص ٧٢.

(٦) مجلس الأحكام: س ٧/٦/٤٨، صادر الأقاليم البحرية إلى مديرية البحيرة، مكتبة رقم ٤، ٢٨ شعبان ١٢٩٢ هـ / ٢٩ سبتمبر ١٨٧٥ م، ص ١٤.

(٧) محكمة البحيرة: س ١٣١، مبايعات، م ١٨، ١٠ ذي الحجة ١٢٨٨ هـ / ٢٠ فبراير ١٨٧٢ م، ص ١٦.

(٨) نفسه: س ١٣٩، م ١٥٧، ١٧ ربيع أول ١٢٩١ هـ / ٣ مايو ١٨٧٤ م، ص ١٢٧.

(٩) نفسه: س ١٦١، م ١٦، ٢٠ جمادى الآخرة ١٢٩٧ هـ / ٣١ مايو ١٨٨٠ م، ص ٣٨.

(١٠) نفسه: س ١٢٥، م ٣٠، ٢٩ محرم ١٢٨٧ هـ / ٢ مايو ١٨٧٠ م، ص ١٩.

وأحمد عبد الله^(١) من المغرب^(٢). كما وفد السودانيون إلى وادي النطرون، وعلموا بالزراعة ودبغ وصناعة الجلود والتجارة، واشتهر من بينهم صالح بركات بالأخماس^(٣) وإبراهيم مرجان بالطرانة^(٤).

- الأوروبيون:

الحقيقة التاريخية أن كثيراً من الرحالة ركزوا حديثهم عن الجاليات الأوروبية التي يقوم أفرادها بالتجارة، ولقد أشار بعض الرحالة لأهم المنتجات التي يحصل عليها الفرنسيون من مصر مثل القطن، والجلود، والأرز، وبعض العقاقير الطبية، وريش النعام، ولما كان يبلون عالماً طبيعياً فقد اهتم بذكر أنواع العقاقير الطبية والنتران، أما ما يبيعه التجار الفرنسيون في مصر فقد ذكر دار فيو بأنه قليل ولكن أغلبه من منتجات الجوز من نورماندى وبروفانس، وقد واجهت الجالية الفرنسية بعض المصاعب مثل إغارات القراصنة وسو تنظيم الايالة المصرية ومنازعات القناصل - بالإضافة إلى دفع الجمارك في الإسكندرية - وبولاق - كذلك تعرض التجار لاغارات البدو في الطريق من الموانئ لمدينة القاهرة والمدن الأخرى، بالإضافة إلى الغرامات التي كانت تفرض عليهم. ومن الجدير بالذكر خصصت في القاهرة والإسكندرية ودمايط ورشيد خانات للتجار، ويعد المغاربة من أهم الجاليات التي لعبت دوراً مهماً في التجارة الداخلية والخارجية^(٥).

وقد وصف جوهان ميشيل فانسليب الدومنيكاني (١٦٣٥-١٦٧٩م) الذي زار وادي النطرون في عام ١٦٧٢ م، الأجانب في الطرانة والوادي وجمع مادة قيمة عن تجارة النطرون والقائمين عليها وقد سبقت الإشارة إلى ذلك، بينما أشار جون جاردنر ويلكنسون الذي زار

(١) نفسه: س ١٦٢، م ٨٩، ٢٤ رمضان ١٢٩٧هـ / ٣٠ أغسطس ١٨٨٠م، ص ١٤٩.

(٢) تقارير النظر: س ٢٨، م ٥٨٤، ٩ ربيع الثاني ١٢٦٩هـ / ٢٢ فبراير ١٨٥٠م، ص ١٠٤.

(٣) مديرية البحيرة: س ١٠٤٠، ج ٥، وارد الفروع لقسم النجيلة، وثيقة ١٢٠٣، ١٨ ربيع الآخر ١٢٨٦هـ / ٢٨ يوليو ١٨٦٩، ص ٢٥.

(٤) نفسه: س ٢٢٩، صادر إلى سايرة، وثيقة ٥، ٢٨ جماد أول ١٢٩٥هـ / ٣٠ مايو ١٨٧٨م، ص ٢٣.

(٥) إلهام محمد علي ذهني: مصر في كتابات الرحالة الفرنسيين في القرنين السادس عشر والسابع عشر، المرجع السابق، ص ٨١-٨٢.

برية شيهيت في عام ١٨٤٣ م^(١). إلى القيمة الاقتصادية والاجتماعية لمصنع الزجاج الذي جذب الكثيرين للإقامة بجواره ومنهم الكولونيل ليك صاحب بيت الزجاج الذي يرجع تاريخ تشييده للعصر الروماني، القريب من قرية زاكيك التي أنشئت في عام ١٨٣١ م، وكان يسكنها العديد من العاملين في مجال النظرون وتجارته^(٢).

على أية حال، قد احتل الأوروبيون مكانة بارزة بين سكان وادي النظرون خلال القرن التاسع عشر، وترجع بداية تغلغلهم إلى عهد محمد علي الذي استعان بهم في مشروعاته^(٣) ومع تصفية دور الدولة في إدارة الاقتصاد وتحرير التجارة ازداد نزوحهم من جنسيات متعددة إلى مصر، فعملوا في الأنشطة الاقتصادية كافة بما فيها المتواضعة، وأتيح لهؤلاء أن يتوغلوا في شتى أنحاء البلاد^(٤).

ففي وادي النظرون وجد اليونانيون وانتشروا في نواحيه وأهم ما يميزهم عن غيرهم من الأجانب، أنهم كانوا أكثر الجاليات تداخلاً مع الأهالي وتماسكهم وتربطهم فيما بينهم، ولذلك تفوقوا في التجارة الداخلية وبصفة خاصة تجارة التجزئة وكان منهم ذو النشاط البارز، ومن أشهر تجارهم بمدينة دمنهور والوادي الخواجة خرستو أنطون^(٥) وبنايوتي ديمتري^(٦) والخواجة جورجي^(٧) والخواجة نقولا^(٨) وقسطندي مخالي البقال^(٩).

(١) سمعان السرياني، الراهب: المرجع السابق، ص ٩٣.

(٢) هيو ج. ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص ١٧٨.

(٣) أمين مصطفى عفيفي: تاريخ مصر الاقتصادي والمالي في العصر الحديث، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٥٤ م، ص ٦٩.

(٤) صالح رمضان محمود: الجاليات الأجنبية في مصر في القرن التاسع عشر، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، قسم تاريخ، جامعة القاهرة ١٩٧٠ م، ص ٤٨؛ نبيل عبد الحميد، الأجانب وأثرهم في المجتمع المصري (١٨٨٢-١٩٢٢ م) رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس، سنة ١٩٧٦، ص ٥٧.

(٥) محكمة البحيرة: س ١٣٥، م ٢٠، ٢٩ محرم ١٢٩٠ هـ / ٢٩ مارس ١٨٧٣ م، ص ٢٠.

(٦) نفسه: س ١٢٥، م ١٤٦، ١٧ ربيع الآخر ١٢٨٧ هـ / ١٧ يونيو ١٨٧٠ م، ص ١٥٦.

(٧) مديرية البحيرة: س ٢٠٥، صادر الدواوين لمحافظة الإسكندرية، وثيقة ٤٠، ١٧ شوال ١٢٩١ هـ / ٢٧ نوفمبر ١٨٧٤ م، ص ٨.

(٨) نفسه: س ١٧٥، قضايا، صادر الدواوين للخارجية، ١٢ ذي القعدة ١٢٨٦ هـ / ١٧ فبراير ١٨٧٠ م، ص ١٨٨.

(٩) مجلس الأحكام: س ٣٢ / ٦ / ٧، صادر الأقاليم البحرية إلى مديرية البحيرة، مضطبة ٨، ٧ رجب ١٢٨٢ هـ / ٢٦ نوفمبر ١٨٦٥ م، ص ٦.

وقد احتكر الإيطاليون تجارة النطرون، ونجحوا في أعمالهم الواسعة مع اختلاطهم بالأهالي وتركزوا بالإسكندرية والطرانة، وكان أشهر تجارهم الخواجة بافي^(١) وجوني أنطونيوس^(٢) وأجلان كستيلي^(٣) والخواجة إميل باشوه ولكثرة تجارته اتخذ فريكوا جوارتيوه وكيلاً عنه^(٤). كذلك أصبح للفرنسيين مكانة عظيمة في مصر بعد افتتاح قناة السويس في عهد الخديوي إسماعيل؛ فاحتكروا تجارة المنسوجات الحريرية والدانتلا، وتجارة الأقطان والنطرون والغلل، كما مارسوا السمسة^(٥). وانتشروا في وادي النطرون في الطرانة والأخماس والخطاطبة، واشتهر منهم الخواجة إسكندر لا سكريس^(٦) والموسيو بونفايتي^(٧). أما الأرمن، فقد علموا في شتى الأنشطة الاقتصادية لامتيازهم بالمهارة اليدوية^(٨) وتفوقوا في تجارة التجزئة^(٩) والنطرون، واشتهر من بينهم بالوادي الخواجة كركور^(١٠) ويوسف الأرمني^(١١) وقرابت أغويان^(١٢).

(١) عمر طوسون: المرجع السابق، ص ٢٠.

(٢) محكمة البحيرة: س ١٤٨، م ١٣٤، ٢٥ شوال ١٢٩٣هـ / ١٣ نوفمبر ١٨٧٦م، ص ١٧١.

(٣) نفسه: س ١٨٧، م ٥، ١٤ ذي الحجة ١٣٠٥هـ / ٢٢ أغسطس ١٨٨٨م، ص ٥.

(٤) محكمة الإسكندرية: س ٤، إسهادات، م ١٧٤، ١٠ شوال ١٢٨٢هـ / ٢٦ فبراير ١٨٦٦م، ص ٦٩.

(٥) محافظ مجلس الوزراء: محفظة ١/أ، مجموعة ١٣، وثيقة بدون رقم، ٢٥ ديسمبر ١٨٨٨م.

(٦) محكمة البحيرة: س ١٨٤، م ٧٥، ١٠ رمضان ١٣٠٤هـ / ١٥ مايو ١٨٨٧م، ص ٩١.

(٧) نفسه: س ١٨٧، م ٨، ٢٧ ذي الحجة ١٣٠٥هـ / ٤ سبتمبر ١٨٨٨م، ص ٨.

(٨) Issaiw, Charles: Egypt at Mid-Century An Economic Survey, London 1954, P. 73.

(٩) Kredian, Armin: The private papers of an American Merchant Family in the Ottoman Empire, 1912- 1914 «In» Money Land and Trade. An Economic History of The Muslim Mediterranean, New York 2002. P. 150.

(١٠) مجلس الأحكام: س ٧/٦/٥٠، مكتابة ٢٩، صادر الأقاليم البحرية إلى مديرية البحيرة، ٢٢ ذو الحجة

١٢٩٥هـ / ١٧ ديسمبر ١٨٧٨م، ص ١٧٩.

(١١) مديرية البحيرة: س ٨٧٥، م ٢٥، ١٦ محرم ١٢٧٠هـ / ١٩ أكتوبر ١٨٥٣م، ص ١٨.

(١٢) نفسه: س ٢٠٥، صادر الدواوين لمحافظة الإسكندرية، م ٤٠، ١٧ شوال ١٢٩١هـ / ٥ مارس

١٨٧٤م، ص ٨.

وقد احتكر الإنجليز بالوادي تجارة الغلال والأرز والحمص والكتان والنطرون، واشتهر منهم الخواجة بيتر^(١) وجورجي^(٢).

أما الألمان، فمنذ بداية الربع الأخير من القرن التاسع عشر، كانوا يتاجرون في الأدوات الصينية والكرتون والقطيفة والحديد والمصاييح والطرايش وأدوات المائدة والعمود^(٣)، واستثمروا في الوادي صناعة الصابون اعتماداً على مادة النطرون فاحتكروا تجارتها حتى سنة ١٩١٤ م، واشتهر من بينهم الخواجة أندريا^(٤). كذلك انتقل إلى وادي النطرون عدد من النمساويين لارتباطهم بتجارة النطرون، ومنهم من عمل بمهن متواضعة مثل الدلالة والسمسرة^(٥)، والصباغة ودبغ الجلود، وعلى نحو ذلك كان نشاط المالطيين والإسبان والبلجيكي^(٦).

- العادات والتقاليد:

لم يفت الرحالة الزائرون لوادي النطرون أن يتحدثوا عن العادات والتقاليد بشكل عام، حيث ذكر جليبر جوزيف جاسبار كونت دي شابرول قائلاً: «إن العادات تتنوع بنفس الطريقة التي تشكلت بها فئات السكان بمختلف أديانهم وأصولهم. فنحن نجد في المدن - مع شيء من الاختلاف - نفس عادات الشعوب الشرقية، ولقد كان هذا الاختلاف أمراً ضرورياً بسبب طبيعة التربة وتأثير الطقس. أما في الريف وفي الصحارى فسوف نتعرف على رجل العصور

(١) ديوان شورى المعاونة: محفظة ١٩، ملخصات دفاتر، دفتر رقم ٢٨٤، من ديوان المعاونة إلى ذكي أفندي، وثيقة ١٢٩٣، ١٨ جماد أول ١٢٥٧ هـ/ ٨ يوليو ١٨٤١ م، ص ١٤.

(٢) ديوان التجارة والمبيعات: س ٥٢٩٧، وارد قيد القرارات، وثيقة ٣٢٤، ١١ جمادى الثانية ١٢٦٨ هـ/ ١٥ إبريل ١٨٥٢ م، ص ٢٤٣.

(٣) أحمد الشربيني: المرجع السابق، ص ٤٥.

(٤) محكمة البحيرة: س ١٨٦، م ٤، ٦ جماد أول ١٣٠٥ هـ/ ١٩ يناير ١٨٨٨ م، ص ٥.

(٥) لمزيد من التفصيل انظر: ماجد إسرائيل، طوائف المهن التجارية، المرجع السابق، ص ١٧، ٥٣، ٥٤.

(٦) مديرية البحيرة: س ٢٠٥، صادر الدواوين لمحافظة الإسكندرية، وثيقة ٤٠، ١٧ شوال ١٢٩١ هـ/ ٢٧ نوفمبر ١٨٧٤ م، ص ٨.

الأولى ببساطة أذواقه. هذا إذا لم تكن العصور المنصرمة قد تكفلت بإتلاف فطرته»^(١). وبناء على ذلك فإن العادات والتقاليد الاجتماعية تعد عاملاً جوهرياً من أكبر وأقوى عوامل التنظيم والضبط في علاقات الأفراد وتماسكهم، فهي تسهل لهم أفعالهم وتحدد منطق الترابط والتعامل فيما بينهم^(٢).

ويذكر شابرول أن كل فئات الشعب المصري تتحدث اللغة العربية، وقد تعلّم الأقباط هذه اللغة، وإذا كان بعض العثمانيين قد احتفظوا بلغتهم الأم فقد كان ذلك يحدث فيما بينهم، وفي علاقاتهم مع ضباط الباشا الذين يحكمون مصر باسم السلطان. وقد نسيت اللغة اليونانية تماماً، أو قل إنها قد انكشيت في دائرة صغيرة من تجار هذا الشعب (اليوناني) الذين يقيمون في مدينتي القاهرة والإسكندرية. ولا يمكنك أن تكشف ما يدور في نفس المصريين عن طريق ملاحظتهم، فصورة الوجه ليست مرآة لأفكارهم. وشكلهم الخارجي في كل ظروف حياتهم يكاد هو نفسه، إذ يحتفظون في ملاحظتهم بنفس الحيدة وعدم التأثر، سواء حين تأكلهم الهموم أو يعرضهم الندم في نشوة من سعادة عارمة، وسواء كانت تحطمهم تقلبات غير منتظرة أو كانت تنهشهم الغيرة والأحقاد أو يغلون في داخلهم من الغضب أو يتحرقون للانتقام. فليس ثمة مطلقاً فعل منعكس: احمرار في الوجه أو شحوب مفاجئ، يستطيع أن يشي بصراع تلك العواطف العديدة التي تهزمهم. وقد يمكننا أن نتلمس أسباب عديدة لهذا الجمود يأتي على رأسها الطمس، وقد اعتقدوا في القضاء والقدر، وتعودوا على الدوام نزوات الطغاة الذين يعم ظلمهم على البلاد.^(٣)

على أية حال، تمسك أهالي وادي النطرون خلال فترة الدراسة ببعض العادات والتقاليد التي صاحبت مختلف أحداث حياتهم ومناسباتها الاجتماعية، وشكلت شيئاً مهماً لديهم فحافظوا عليها والتزموا بها، كنوع من التشبث بتراث متوارث عن الآباء والأجداد، وكشكل من أشكال

(١) تأليف علماء الحملة الفرنسية: المرجع السابق، ج ١، ص ٤٣.

(٢) فوزية دياب: القيم والعادات الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٣م، ص ١١٢.

(٣) تأليف علماء الحملة الفرنسية: المرجع السابق، ج ١، ص ٤٤.

الخصوصية تميزهم بين المجتمعات الأخرى في إطار المجتمع الريفي المصري، الذي كان من الرحابة والمرونة بحيث سمح بوجود خصوصية تميز بين مجتمع وآخر، وخاصة في هذا الجانب، نظراً لتعدد وتنوع ثقافتهم، ووجود اختلافات في النظم الاجتماعية بين منطقة وأخرى^(١).

وغلب الكرم على صفات مجتمع وادي النطرون، وكان من أفضل صفاتهم، ويرجع ذلك لوجود قبائل العربان التي اتسمت بتلك الصفة، فإذا أقبل ضيف عند قبيلة من القبائل تسابقوا لاستضافته أو تناوبوا أداء واجب الضيافة، لا يتأخر البدوي عن خدمة ضيفه ويبدل كل غالٍ لديه وهو راض تماماً ما دام يؤدي واجب الضيافة الذي يعتبره واجباً مقدساً، وقد يعطي هذا الواجب الحق في أن يأخذ البدوي من غنم جاره لإكرام ضيفه على سبيل السلف أو «العداية» على أن يرد له ما أخذه مرة أخرى^(٢).

كما تميز مجتمع وادي النطرون بصفات الحرية في القول والبساطة والصبر والمثابرة والإخلاص والأمانة، وعدم الخضوع للجبر والإهانة^(٣) كذلك انتشر بين قبائل عربان الوادي عادة الافتخار بالأنساب، والاعتزاز بالنفس والأنفة وحب السيطرة واحترام صغيرهم كبيرهم، حتى إنه ليكف عن شرب القهوة والمزاح في مجلسه^(٤) ومن ذلك تركهم دابتهم على بعد مائة خطوة من الشخص الذي يذهبون إلى لقائه، إذا كانوا يجلبونه ويتقدمون إليه سائرين على أقدامهم^(٥).

وغالباً ما ساد القضاء العرفي في الفصل في المنازعات التي تنشأ بين قبائل العربان المتشربين بالوادي أو بينهم وبين فلاحي نفس المنطقة، فكان شيخ القبيلة ورئيسها لا يتمتع إلا بالشخصية الاعتبارية، ذلك لأنه عندما كانت تصل إليه الشكاوي من أعضاء القبيلة أو من فلاحي الوادي، كان عليه أن يجمع كل أفراد القبيلة للفصل فيها، وكانت أغلبية الأصوات هي التي تحدد ما

(١) نفسه، ص ٣٧.

(٢) إيمان محمد عبد المنعم: المرجع السابق، ص ٢٥٠.

(٣) محمود على سيف: المرجع السابق، ص ٢١٨.

(٤) إيمان محمد عبد المنعم: المرجع السابق، ص ٢٥١.

(٥) تأليف علماء الحملة الفرنسية: المرجع السابق، ج ٢، ص ٧٠.

الذي يجب عمله، أي إنهم كانوا يأخذون بمبدأ الشورى^(١). ومثال ذلك ما حدث عندما تعدى أبناء قبيلة الجوابيص على حقول فلاحي كفر داود، فتصدى لهم ثلاثة من أبناء الناحية، وكان أن انتهى الأمر بإجابتهم، فعُقد مجلس عرفي يتكون من شيخ عربان الجوابيص ثعلب كرعيد، وشيخ عربان الجمعيات مصري أبو الذهب وحسني الديب شيخ الناحية، والذي حكم بدفع شيخ الجوابيص مبلغ مائة وسبعين ريالاً، يحصل كل من محمد أبو شنب وعياد حسن على ستين ريالاً، أما الخمسون ريالاً الباقية فكانت من حق ثالثهم مطيريد أبو زهران، وذلك لإنهاء الصراع فيما بينهما سلمياً^(٢).

ومن العادات المتأصلة بمجتمع وادي النطرون، عادة الأخذ بالثأر، ويرجع ذلك إلى غلبة التأثير بحياة البدو الذين يسرون على شريعة المثل بالمثل، أي إنه إذا قتل منهم واحد قاموا بقتل مثله في القبيلة القاتلة، انتقاماً، فلا يهدأ بالهم إلا بعد أخذ ثأرهم وانتصارهم على العدو^(٣). وقد يميلون في بعض الأحيان لوقف نزيف الدم مقابل دفع الدية، مثلما قدم المدعو عنتر الشيخة من إحدى قرى الوادي عريضة لذوي الشأن، مفادها أنه يعاني السجن في اللبيان، بالرغم من أنه تصالح مع أولياء الدم ودفع ديته^(٤)، وغالباً ما كانت الدية تقدر بحوالي ٤٠٠ جنيه، يدفع منها ٣٠٠ جنيه نقداً، والمائة الأخرى كمؤخر في صورة حبوب أو مواش^(٥).

ومن هذه العادات أيضاً عادة النياحة على المتوفي، واللطم على الوجه والصدر، ودهن الوجه بالسواد، وكانت هذه العادة - وما زالت - منتشرة في جميع أنحاء مصر، مدنها وقراها، فلم يكن يتم دفن الميت قبل أن تتم هذه المراسم، لذلك امتهنت بعض النساء هذه المهنة وقامت

(١) محكمة البحيرة: س ٢٨، م ٢١٩، غاية ربيع الآخر ١٢١٧هـ / ٣٠ أغسطس ١٨٠٢م. ص ١٢٨.

(٢) نفسه: س ٣٧، م ٩٢، شوال ١٢٣١هـ / ٢ سبتمبر ١٨١٦م، ص ١.

(3) Minutoli, H. G. M. V: La libye et ses habitants, Nouvelles annales des voyages et des sciences Geog. qannée tome 34, Paris 1827, P.P. 71- 93.

(٤) معية سنية تركي: محفظة ١٨، من حسن أباطة مدير البحيرة إلى المعية، وثيقة ١٤٦، ٢٠ رجب ١٢٧٤هـ / ٦ مارس ١٨٥٨م.

(٥) محمود على سيف: المرجع السابق، ص ١٨.

بتنظيمها، وربما استعن في عملهن بالدفوف والطارات^(١) ومن الجدير بالذكر أن مراسم الجنازة عند المسلمين تشبه مراسم الجنازة عند الأقباط^(٢).

وكان من عادة الأهالي في حالات الوفاة أن يجهز الطعام لأهل المتوفى يوم الوفاة، وعند رجوع المشيعين من الجنازة يتوجهون إلى منزل المتوفى، فيقوم أهله بتقديم الطعام السابق إعداده فيعتذرون ولا يأكلون، ثم تقدم إليهم القهوة فلا يشربون، لأنهم كانوا يعدون تناول الطعام أو الشراب من الأشياء المعيبة التي يتجنبها الجميع في مثل هذه المناسبات^(٣).

وقد وصف لنا أندريوسى العلاج من الحمى والأمراض فكان يشتمل على تذكرة تحتوي على بعض الكلمات الصوفية المكتوبة بواسطة درويش يضعها المريض تحت رأسه وكله ثقة بها بعلمه وبالقدرة الإلهية على شفاؤه^(٤) وكذلك العلاج بالطرق البدوية بواسطة الأعشاب النباتية التي تنمو في الوادي^(٥) كما اعتقد البعض من الأهالي في السحر والشعوذة^(٦).

- الزواج:

الزواج أساس تكوين الأسرة، وهو نظام من أهم النظم الاجتماعية وأخطرها شأنًا في حياة الأفراد والمجتمعات، وهو العلاقة المشروعة بين الرجل والمرأة، ويتم دائماً وفق أوضاع يقرها المجتمع، وفي حدود يرسمها ويعينها، ويفرض على الأفراد التزامها، ومن يخرج عليها يكون هدفاً للعقاب الذي ينص عليه العرف والقانون^(٧).

(١) إدوارد وليم لاين: عادات المصريين المحدثين وتقاليدهم ١٨٣٣-١٨٣٥ م، ترجمة سهير دسوم، مكتبة مدبولي، ط٢، القاهرة ١٩٩٩، ص ٥٣١، ٥٤٣.

(٢) نفسه: ص ٥٦٣.

(٣) على مبارك: الخطط التوفيقية، المرجع السابق، ج ٨، ص ٨٣.

(٤) تأليف علماء الحملة الفرنسية: المرجع السابق، ج ٢، ص ٧٢.

(٥) نفسه: ص ٧٣.

(٦) لمزيد من التفصيل انظر: إدوارد وليم لاين، المرجع السابق، ص ٢٧١-٢٨٦.

(٧) مصطفى الخشاب: دراسات في علم الاجتماع العائلي، ط٢، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة ١٩٥٨، ص

والزواج في وادي النطرون يتسم بسماة تميزه وتطبعه بطابع خاص. وتتجلى تلك السماة المميزة في خضوع الزواج خضوعاً يكاد يكون تاماً لعادات اجتماعية معينة، تتضمن قيماً خاصة يتمسك بها الريفيون تمسكاً شديداً، لدرجة أن جذورها تأصلت ورسخت، فأصبحت عندهم من السماة التي حيكت في نسيج ثقافتهم، وصارت من لب التراث الثقافي، يتوارثها الناس خلفهم عن سلفهم^(١).

وبلغ من شغف سكان وادي النطرون تزويج أولادهم في سن مبكرة غالباً من الثالثة عشرة^(٢)، وذكر شابول قائلاً: «وتتزوج النساء في سن الثانية عشرة، ومن النادر أن تبقى واحدة منهن بلا زواج حتى سن السابعة عشرة، بل يحدث أن يدعى أنهن قد نضجن في سن العاشرة أو الحادية عشرة. ومع ذلك فلعل هذا الأمر أقل انتشاراً، رغم أن أمثلة عديدة في هذا المجال لا تدع مجالاً للشك فيما نقول، فقد حدث أن تزوجت شابات في سن التاسعة أو العاشرة^(٣)، ويرجع ذلك إلى بساطة الحياة وقناعة الناس بالضروري من مطالب الحياة، وتأثرهم بالأمثال مثل «من رضي بقليله عاش» و «خير البر عاجله» و «القناعة كنز لا يفنى»^(٤) كما أنه عصمة من الزلل وصيانة للشباب والشابة من الوقوع في الفتنة والإغراء، فضلاً عن استغلال العروس لخدمة حماها وحماها وخدمة زوجها في المنزل والحقل^(٥).

أما عن وصف المرأة فلم يعجب فولني بالنساء حيث وصفهن قائلاً: «أجسادهن ضعيفة جلودهن عليها صفرة»، فلم ير فولني في السيدات إلا «أشباحاً جائلة بعباءات فضفاضة، ولولا العيون التي تنفذ من ثقوب البراقع ما فطن المرء إلى أنوثتهن»، ولكن سويني أنصف المرأة فذكر قائلاً: «إنها على جانب كبير من الجمال سواء المسلمات أو المسيحيات يضعن الكحل في أعينهن ويصبغن رموشهن ويتزين بالحنة»^(٦).

(١) فوزية دياب: المرجع السابق، ص ٢٥٠-٢٥١.

(٢) محكمة البحيرة: س ٧٨، م ١٩، تاريخ ٢٩ ذي الحجة ١٣١٠هـ / ١٣ يوليو ١٨٩٣م، ص ٨.

(٣) تأليف علماء الحملة الفرنسية: المرجع السابق، ج ١، ص ٦٥.

(٤) جون لويس بوركهارت: المرجع السابق، ص ٦٨-٦٩.

(٥) فوزية دياب: المرجع السابق، ص ٢٥١.

(٦) إلهام محمد علي ذهني: مصر في كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين، المرجع السابق، ص ٢٨٥.

وكان من الشائع خلال فترة الدراسة أن يتزوج الرجل من ابنة العم أو الخال، وكانت العائلة تقف في وجه ابنها الذي يريد الخروج عن بنات عائلته^(١) وعند العربان في حالة زواج البنت من غير ابن عمها فلا بد أولاً من (النهوة) وهي أخذ موافقة ابن عمها على هذا الزواج، ولكن عادة ما يكون الزواج من الأقارب، أو على الأقل بين أبناء القبيلة الواحدة، وإذا حدث أن زوج رجل ابنته من رجل من قبيلة أخرى وجبت على العريس "الحدادة" وهي تقديم هدية لوالد العروس وتكون عبارة عن جمل وعباءة ثمينة من الجوخ، وتخطب البنت من أبيها أو وليها إذا كانت بكرًا ولا يؤخذ رأيها في الزواج، أما إذا كانت ثيبًا فلا بد من أخذ موافقتها قبل إتمام الزواج^(٢).

كما تمتعت بعض قرى وادي النطرون في أواخر القرن التاسع عشر بحرية اختيار الزوجة من بين أبناء العائلة، فإذا خطبت فتاة إلى شاب أقيمت في منزلها حفلات غنائية وراقصة يشترك فيها جميع فتيات العائلة وشبابها، عندئذ تقوم الفتاة بالرقص بين تصفيق الحاضرين ودقات الطبول، فإذا قام شاب من عائلتها ورقص معها اعتبر بذلك أنه خطبها^(٣) أما العربان فكان ولي الفتاة يعطي خاطبها غصنًا أخضر يعرف بـ "القصله" قائلاً له: "خذ هذه قصلة فلانة بسنة الله ورسوله" فيتناولها الخاطب قائلاً: "قبلتها بسنة الله زوجة لي"^(٤).

أما من ناحية المهر فقد حدد قيمته الوضع الاجتماعي، وعادة ما كان الزوج يدفع نقدًا نصف المهر مقدمًا في الحال لوالد الزوجة عند عقد الزواج، أما النصف الآخر فيدفع عند الطلاق أو الوفاة وفي حالة ما إذا طلبت الزوجة الطلاق يسقط حقها في النصف الآخر المؤخر^(٥) وكان بعض العربان يقدمون مهر الزواج مقدراً بالجمال، يتراوح ما بين جملين وخمسة ومؤخر الصداق

(١) إدوارد وليم لاين: المرجع السابق، ص ١٦٢.

(٢) إيمان محمد عبد المنعم: المرجع السابق، ص ٢٥٩.

(٣) محمد قنديل البقلي: المرجع السابق، ص ١٦.

(٤) إيمان محمد عبد المنعم: المرجع السابق، ص ٢٥٩.

(٥) محكمة البحيرة: س ٧٤، م ٢٢١، ٢٧ ذي القعدة ١٣٠٨هـ / ٤ يوليو ١٨٩١م، ص ٧٥.

يساوي مقدمه^(١) وتشابهت عقود الزواج عند المسلمين مع نظيرتها عن الأقباط عند تسجيلها أمام المحاكم الإسلامية^(٢).

أما عن الزفة للعروسة في وادي النطرون كما أشار إليه الرحالة ووردت بالوثائق، فكانت ليلة الجمعة هي المفضلة عند المسلمين، وليلة الأحد عند الأقباط، وتبدأ بليلة الحناء وهي الليلة التي تسبق يوم الزفاف مباشرة، وهي تعد ليلة حاسمة لأنها تكون آخر ليلة تقضيها العروس في منزل أبيها، فتحفل بها الأسرة وتجعل منها ليلة وداع، وتأتي الماشطة^(٣) والقابلة أي الداية^(٤) وتعجن الحناء وتقوم النساء بتلوين أيديهن وأرجلهن بالحناء^(٥) وفي صبيحة يوم الزفاف، يستكملن عملهن بمساعدة فريق من قريبات العروس، مشغولات معها بعملية "الجلوة" وهي عمل كل الوسائل التي من شأنها إظهار العروس في أبهى منظر^(٦)، ووصف بلون النساء اللاتي يطلقن الزغاريد طوال العرس قائلاً: تفتح المرأة فمها إلى أقصى اتساع فتنبعث أصوات غريبة وتحرك لسانها بين أسنانها ثم تسحبه إلى الخلف فتطلق الأصوات الغريبة^(٧). أما العريس في يوم الزفاف فيُدعى إلى منزل أحد أصدقائه لتحميمته ويتولى الحموم حلاق القرية^(٨) ثم يقوم أهالي القرية بزفاه وهم ينشدون له:

(١) محمود علي سيف: المرجع السابق، ص ٢٢٠.

(٢) محكمة سيوة: س ١٢٤٢، م ٣، ٦ جماد أول ١٣٠٥ هـ / ٢٠ يناير ١٨٨٨ م، ص ٢.

(٣) الماشطة: هي المرأة المتخصصة في تزيين العروس من جميع النواحي، وخاصة تمشيط شعرها، انظر: فوزي دياب، المرجع السابق، ص ٢٩٤.

(٤) ديوان المعية السنية: دفتر رقم ١٧، وثيقة رقم ٤٣٢، ٢٦ ذي القعدة ١٢٣٩ هـ / ٢٣ أغسطس ١٨٢٤، ص ٣١٢.

(٥) إدوارد وليم لاين: المرجع السابق، ص ١٧٠.

(٦) فوزية دياب: المرجع السابق، ص ٢٩٧.

(٧) إلهام محمد علي ذهني: مصر في كتابات الرحالة الفرنسيين في القرنين السادس عشر والسابع عشر، المرجع السابق، ص ٨٦.

(٨) محمد قنديل البقلي: المرجع السابق، ص ٤٠.

يا عروسه يا أم غالي	انجلي ولا تبالي
انجلي يا وش بومة	زعقه وسط الليالي
لك مسخة شعريربط	فوق رأسك لا محال
تشبهي به أم مجبر	دائره وسط التلال
يا عريس قم خد عروستك	واطلع بها فوق العلال
وافرشوا القبة ونامو	فوقها في جنح الليالي ^(١)

حتى يصل إلى منزل العروس، ويعود بها في نفس الموكب المصاحب له، وكان الزوج في العادة لا يخرج من منزل الزوجية إلا بعد انقضاء ثلاثة أيام، وكان عليه بعد هذه المدة أن يذهب إلى سوق القرية ليأتي لعروسه بشيء مما وجد فيه أو ما تتمناه عليه^(٢).

وقد أولى العربان حفلات الزواج اهتماماً كبيراً، ولا يزالون على اعتبار أن الزواج عندهم من أهم أحداثهم الاجتماعية فيحتفلون بالعرس بدق الكف وفيه يجتمع شباب القبيلة ويقفون على شكل نصف دائرة ويصفقون مع مد أيديهم إلى الأمام وجذبها إلى الخلف بنظام واحد ويرتلون بعض الألفاظ بنغمة واحدة وترقص أمامهم فتاة محجبة لا يظهر منها شيء حتى وجهها وتلبس حزاماً يلف بشكل خاص حول وسطها وتمسك في يدها عصا أو سيفاً، وتسير وهي تحجل متنقلة من طرف نصف الدائرة الأيمن إلى طرفها الأيسر وبالعكس، ويطلق عليها الحجالة^(٣). أما الأقباط فيحتفلون بالزواج داخل الكنيسة، لأن الزواج سر من الأسرار المقدسة لديهم، ويقوم أساساً على فكرة الجسد الواحد^(٤) وقد قيل: «من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق

(١) يوسف بن محمد بن عبد الجواد بن خضر الشريني: هز القحوف في شرح قصيدة أبي شادوف، المطبعة الأميرية ببولاق، القاهرة ١٣٠٨هـ / ١٨٩٠م ص ١٠.

(٢) على مبارك: المرجع السابق، ج ٨، ص ٨٢.

(٣) إيمان محمد عبد المنعم: المرجع السابق، ص ٢٦٠.

(٤) شنودة الثالث، البابا: الأسرة الروحية السعيدة، ط ٢، الكلية الأكليريكية، القاهرة ١٩٩٩، ص ٢٩.

بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً»^(١) فلم يكن لهم بد من أن تجري مراسمه على يدي أحد الكهنة بالكنيسة^(٢) وبعدها يمارسون نفس مراسم احتفالات الزفاف عند المسلمين^(٣).

ونجد من حالات الزواج بين قرى وادي النطرون خلال القرن التاسع عشر، ما ذكر من زواج حسنين حمزة صاحب الأطيان من البريجات من جمال النور على صداق قدره ١٢ ألف قرش، ٨ آلاف قرش مقدم، والباقي مؤخر نقداً^(٤) وزواج محمد أبو هاشم الكيال من المحمودية من فرحانة وهبان على صداق قدره ٧٧٠٠ قرش نصفها مقدم، ومثلها مؤخر^(٥) وزواج محمد مرعي المزارع من الطرانة من فاطمة حسين على صداق قدره ٩٥٠ قرشاً، نصفها مقدم والباقي مؤخر^(٦) وزواج إبراهيم عاشور - لم تذكر وظيفته - من النجيلة من نفيسة دياب على صداق قدره ٢٠٠٠ قرش^(٧).

كما وجدت حالات زواج لأولاد العم في الفلاحين والعربان، فتزوج حنفي محمد سلامة المزارع من الطرانة من ابنة العم مبروكة على سلامة^(٨) كذلك تزوج محمد عثمان البدوي من معاطي منصور البدوي على صداق قدره ١٠٤٠٠ قرش^(٩) وعبد المعاطي إدريس إبراهيم من مريم محمد إبراهيم وكلاهما من عربان أولاد علي بوادي النطرون^(١٠).

(١) الكتاب المقدس: إنجيل متى، الإصحاح ١٩، آية ٤: ٦.

(٢) لمزيد من التفصيل انظر: البابا شنودة الثالث، شريعة الزوجة الواحدة في المسيحية، ٩، مطبعة الأنبا رويس، القاهرة ١٩٧٨.

(٣) لمزيد من التفصيل انظر: محمد عفيفي، الأقباط في مصر في العصر العثماني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٢م، ص ٢٣٠.

(٤) محكمة البحيرة: س ٨٠، م ٣٠٧، ١٨ ذي القعدة ١٣١٠هـ / ١٣ يونية ١٨٩٣م، ص ٨١.

(٥) نفسه: م ٢٥٢، ٢٩ شوال ١٣١٠هـ / ١٣ مايو ١٨٩٣م، ص ٦٦.

(٦) محكمة النجيلة: س ٧٢٣، م ٧٦٩، ٢٠ ربيع أول ١٢٧٦هـ / ١٧ أكتوبر ١٨٥٩م، ص ١٤١.

(٧) نفسه: س ٧٢٩، م ٤٠٩، ٩ من ذي الحجة ١٢٩٣هـ / ٢ ديسمبر ١٨٧٦م، ص ١٢٩.

(٨) نفسه: س ٧٢٤، م ٣٤٢، ١٥ شعبان ١٢٨٤هـ / ١٢ ديسمبر ١٨٦٧م، ص ٨٤.

(٩) محكمة البحيرة: س ٧٤، م ٩٠، ١٣ شعبان ١٣٠٨هـ / ١٣ مارس ١٨٩١م، ص ٣٢.

(١٠) نفسه: س ٤٨، م ٥٥٥، ٧ صفر ١٢٧٩هـ / ٤ أغسطس ١٨٦٢م، ص ٩.

ووجد من حالات الزواج ما كان يعقد بين قرى وادي النطرون بعضها البعض، وما بين قرى ومديريات أخرى كما ورد من زواج خميس مجاهد المزارع من كفر داود من مشرفة يادم من الطرانة^(١) وإبراهيم أبو حراز من الإسكندرية من بركة أبو كرم من النجيلة بالبحيرة^(٢) ومحمد هدية من خضرة غباشي من المنوفية^(٣) ووجدت حالات زواج بين قبائل العربان، كزواج على الشايب من عربان أولاد على من خديجة حسن من عربان الهنادي^(٤).

وارتبط أهالي وادي النطرون بزيجات مع جنسيات أخرى^(٥)، مثل زواج محمد عمارة من صباح عبد الله السودانية^(٦) وزواج محمد فتح الله من سيدة محمد الشامية^(٧) وزواج عبد الهادي عبد الجواد الإيراني من معدة الطنطاوي^(٨) والجدول التالي يوضح النمط الاجتماعي للزواج بالوادي:

-
- (١) نفسه: س ٣٨، م ١١٠، ٢٠ جماد أول ١٣١١هـ / ٢٩ نوفمبر ١٨٩٣م، ص ٦١.
 - (٢) محكمة النجيلة: س ٧٣١، م ٣٢، ٢٩ جماد أول ١٢٩٤هـ / ١١ يونيو ١٨٧٧م، ص ٨.
 - (٣) نفسه: س ٧٢٣، م ١٣٣٠، ٧ ذي الحجة ١٢٧٦هـ / ٢٦ يونيو ١٨٦٠م، ص ١٩٧.
 - (٤) نفسه: س ٧١٩، م ٢٥٠، ١٥ رجب ١٢٩٣هـ / ١٠ أغسطس ١٨٧٦م، ص ٨٠.
 - (٥) محكمة البحيرة: س ٤٨، م ٨٣٣، ٢٧ صفر ١٢٨٣هـ / ١١ يوليو ١٨٦٦م، ص ١٦١.
 - (٦) نفسه: ٧٤، م ٩٠، ١٣ شعبان ١٣٠٨هـ / ١٣ مارس ١٨٩١م، ص ٣٢.
 - (٧) نفسه: ٨٨، م ٤٠، ٧ شعبان ١٣١٢هـ / ٢ فبراير ١٨٩٥، ص ٢٢.
 - (٨) محكمة النجيلة: س ٧٢٩، م ٤١٠، بتاريخ ٩ ذي الحجة ١٢٩٣ ١٢٩٣هـ / ٢٥ ديسمبر.

جدول (٥ / ٢)

النمط الاجتماعي للزواج بوادي النطرون^(١)

الزوج	موطنه	مهنته	الزوجة	موطنه	جملة الصداق
حسنين حمزة	البريجات	صاحب أطيان	جمال النور	جرکسة	١٢ ألف قرش
على حمودة	الأخماس	مزارع	مبروكة عبد الله	الأخماس	٣٠ قرشًا
محمد أبو هاشم	المحمودية	كيال	فرحانة وهبان	أبو نشابة	٧٧٠ قرشًا
خميس المجاهد	كفر داود	مزارع	مشرفة يادم	الطرانة	-
محمد فتح الله	المحمودية	نقاش أختام	سيدة محمد سعد	بلاد الشام	٣ جنيهات ذهب أحمر
محمد العشري	السودان	مزارع	زليخة محمد	كوم حمادة	-
موسى سعد	عزبة الطرانة	بمصلحة الأطرون	منة جرجس	عزبة الطرانة	-
على الشايب من عربان أولاد علي	البريجات	-	خديجة حسن من عربان الهنادي	البريجات	٩٥٠ قرشًا

من خلال الجدول السابق نلاحظ تباين الصداق، فنجد صداقًا مرتفعًا وصل إلى ١٢ ألف قرش، وصداقًا ثلاثين قرشًا، كما وجد زيجات بين أهالي وادي النطرون من بعضهم البعض وبينهم وبين أهالي أجناس أخرى مختلفة، واختلافات في نوع المهن التي يمارسها الزوج.

(١) المصدر: سجلات محكمة البحيرة أرقام ٤٨، ٧٠، ٧٤، ٨٠، ٨٢، وسجلات محكمة النجيلة أرقام ٧٢٩، ٧٢٨، ٧٣١، بتواريخ تبدأ من ١٢٣٥هـ / ١٨١٩م، وتنتهي في ١٣١١هـ / ١٨٩٣م.

وشهدت سجلات المحاكم الشرعية العديد من عقود الطلاق أمام القاضي وفقاً للشرعية الإسلامية التي تبيح للزوج أن يطلق زوجته، وتبيح للزوجة طلب الطلاق من زوجها وللزوج الحق - ما دامت العصمة في يده - في إجابتها إلى طلبها أو الرفض. ويظهر في ممارسة بعض أهالي وادي النطرون للطلاق خلال القرن التاسع عشر، مدى الحفاظ على حقوق المرأة الاجتماعية، فمما وقع أن طلق محمد أبو سيف ملاحظ دخولية البحيرة زوجته مقبلة إبراهيم، بعد إقرارها بأنها حصلت على جميع مقدم صداقها ومؤخره الشاهد به كتاب الزوجية^(١) وطلق عبد النبي الزملوط من الطرانة زوجته بهانة حجاج الفار، بعد أن سدد لها مبلغ مائتي قرش، والتزم بدفع نفقة كل شهر أربعين قرشاً^(٢) وطلق عشاوي نصار زوجته مبروكة على عبد الله وكلاهما من البريجات، بعد أن قام بسداد باقي صداقها ٦٠٠ قرش^(٣).

وفي حالة مخالفة الزوج لشروط الزواج يصبح من حق الزوجة أن تطلب الطلاق، فإذا رفض كان من حقها أن تبرئه من مؤخر الصداق وتحل نفسها، فقد طلبت فاطمة سرحان من زوجها حسن مراد أن يطلقها من عصمته على باقي صداقها وقدره ٣٠٠ قرش وأجاب لها ذلك^(٤)، كما طلبت سيدة محمد سعد من زوجها محمد فتح الله خلعها مقابل ثلاثة جنيهاً ذهباً، واستجاب الزوج لرغبتها^(٥). ومن هنا يمكن القول بأن أحقية المرأة في خلع نفسها من عصمة زوجها تدل على مدى حرص أهالي وادي النطرون على تطبيق مبادئ الشريعة الإسلامية التي أعطت المرأة قسطاً وافراً من الحرية والاحترام.

مكانة المرأة في الأسرة في وادي النطرون:

تقيم الطبقة والثروة بين نساء مصر اختلافات وفروقا أكبر بكثير من تلك التي تحدث عند شعوب الغرب، لكن هذه الفروق لا تتضح في مجال التربية التي يتلقونها في طفولتهن - وهي تكاد تكون معدومة بالنسبة لجنسهن كله - بقدر ما تتضح في مجال العادات التي تنتشر في

(١) محكمة البحيرة: س ٧٠، م ١٥٩، غاية جمد الأول ١٣٠٥هـ / ١٢ فبراير ١٨٨٨م، ص ٦٦.

(٢) محكمة النجيلة: س ٧٢٨، م ١٧٠، ٢٥ ذي القعدة ١٢٨٩هـ / ٢٤ يناير ١٨٧٣م، ص ٥٧.

(٣) نفسه: س ٧٢٤، م ٣٤٢، ١٥ شعبان ١٢٨٤هـ / ١٢ ديسمبر ١٨٦٧م، ص ٨٤.

(٤) نفسه: س ٧٢٧، م ٢٦٩، ٤ صفر ١٢٨٨هـ / ٢٥ إبريل ١٨٧١م، ص ٧٠.

(٥) محكمة البحيرة: س ١٨، م ٤٠، ٧ شعبان ١٣١٢هـ / ٢ فبراير ١٨٩٥م.

أوساطهن كنساء، وفيها تحاط به السيدات من عليّة القوم من احتفال وامتيّاز، ومن هذه الناحية يمكن لنا اقول بأنه لا توجد في مصر إلا طبقتان من السيدات:

أولاً- طبقة ترفل في الثراء، ويؤدى الغنى إلى رخاوة نسائها؛ فيقضين حياتهن بأكملها داخل مباحج ومسرات الحريم.

ثانياً- طبقة قدرت على نسائها حياة نشيطة مليئة بالعمل.

ولكي يتضح لك عزيزي القارئ الفرق، فما عليك إلا أن تنظر إلى واحدة من زوجات البكوات، وأن تدرس أذواقها وسلوكها ومباحجها وملذاتها واهتماماتها اليومية، فهذا كفيل بأن يقدم لك فكرة كاملة عن كل السيدات الثريات. ثم عليك بعد ذلك أن تنفذ إلى ما تحت سقف واحد من الحرفيين، أو إلى داخل كوخ أحد الفلاحين، وسوف ترى أن الظروف المتشابهة التي تحياها كل هؤلاء النسوة هي التي تحدد لهن ملابسهن.. وهكذا يمكن أن ترى كل مباحج الرخاوة وترفها في جانب، وفي جانب آخر سوف ترى كل خشونة العمل ومقتضياته^(١).

على أية حال، لم يفت الرحالة الزائرين وصفهم للمرأة في مصر، حيث أسهب شايرول في وصفه وذكر قائلاً: «ذلك الذوق الفطرى عند كل النساء الذي يبدو وكأنه يعمل على التقريب بينهن في مختلف ظروفهن، ذلك أن هذا الذوق يتعلق بالمرأة كامرأة بعيداً عن الطبقة التي تنتمى إليها، ويمكن القول بأن هذه هي نقطة الالتقاء الوحيدة التي تربط بين النساء على اختلاف طبقاتهن، ونعني بذلك حب الأثق والتزين بالحلي، فكثير من السيدات في مصر يلبسن من تلك الحلي ما يفوق كل ثروة أزواجهن، وليس من النادر أن نرى هناك زوجة لحرفي بسيط تتزين بجواهر ثمينة، ولو أتيح لواحدة من ثريات النساء في أوروبا أن ترتديها لأدركتها كل أمارات الزهو والحيلاء، ومع ذلك فقد تكون زوجة هذا الحرفي ممن يعانون في الحصول على قوت يومهن، وهذا الكلف من ناحية السيدات المصريات بهذا النوع من الزينة يرتبط بطريقة إحساس هؤلاء السيدات بكرامتهن حتى أن أبسط تاجر لا بد أن يوفره لزوجته إرضاء لها،

(١) تأليف علماء الحملة الفرنسية: المرجع السابق، ج ١، ص ٦١.

ويؤدي ذلك في النهاية وبدرجة لم تكن متوقعة إلى تضيق ممارسة تعدد الزوجات، لذا يكتفي المسلم المتواضع الثراء بـ زوجة واحدة أو اثنتين، ولن يكون بمقدوره أن يزيد عن ذلك وإلا سوف يصعب عليه أن يساوي بينها. وهكذا، فقد وضع خيلاء النساء وغرورهن حدوداً لإفراط الرجال وشهواتهم.^(١)، أما الأقباط فالرجل لا يتزوج إلا زوجة واحدة، طبقاً لتعاليم الكتاب المقدس.

ولمكانة المرأة في مصر تلقب بست هانم أو هانم أو باسم ابنها ولا يمكن أن يناديها أحد باسمها وهي حريصة على تربية أولادها وتستمر في إرضاعهم لمدة عامين، ولو عجزت عن إرضاعهم تستدعي مرضعة، وإذا لم تنجب فإنها تهدي زوجها جارية، فإذا ولدت له ولداً فإن التي تتولى تنشئته هي الزوجة الأولى. وقد أعجب ميله بغيرة الرجل الشرقي على نسائه فكتب قائلاً: «يراعي الشرقيون التقاليد أكثر منا ويعرفون الفضيلة والطهر أكثر من الغرب»، وأكد قائلاً: «إن المرأة لا تخرج إلا للضرورة أو إلى الحمام أو زيارة صديقاتها» فكتب قائلاً: «إننا نادراً ما نقابل النساء في الطرقات». وقد ذكر سونيني قائلاً: «إن النساء في الشرق مظلومات، وهن أسرى الرجال، ولا توجد عاطفة ولا علاقة قوية بين الأزواج»، كذلك ذكر مليليه قائلاً: «إن النساء في مصر مجبورات على الزواج ليس لديهن فرصة اختيار الزوج»، ولكنه أعجب بطهارة الفتاة ومحافظتها على سمعتها وشرفها^(٢).

على أية حال، في الواقع أن الحرية التي نعمت بها المرأة في وادي النطرون خلال فترة الدراسة، لم تقتصر على علاقتها بالرجل، وإنما امتدت لتشمل جوانب متعددة في حياة المرأة، مما يدل على أنها لم تكن حبيسة المنزل، ولكنها خرجت للحياة العامة في ذات القرن، فإلى جانب رعاية زوجها وأبنائها حتى بعد وفاة زوجها كانت هي الوصية على أبنائها، لدرجة جعلتها ترفض الزواج للحفاظ على تماسك الأسرة، ومن حالات الوصاية حالة وصاية شلباية غنيم من كفر

(١) نفسه: ص ٦٥.

(٢) إلهام محمد علي ذهني: مصر في كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين، المرجع السابق، ص ٢٨٧-٢٨٨.

داود على أودلاها بعد وفاة زوجها حسن جعفر^(١) وأيضاً بدوية السقا بعد وفاة زوجها حسن كتكوت^(٢) كما وجدنا صفية الليبي من أبي نشابة وكيلة عن أخواتها للحصول على إرثهم^(٣).

كما ساهمت المرأة في وادي النطرون بدور بارز في النشاط الاقتصادي، فقد وجدنا زهرة أحمد تعمل راعية وتاجرة أغنام^(٤) ومحبوبة محمد تعمل بالفلاحة وتاجرة للغلال^(٥) وكذلك نادية الدلالة التي اشتهرت ببيع الأقمشة القطنية والحريرية والصابون بين قرى الوادي^(٦).

وكان للمرأة في وادي النطرون دور مهم في أعمال الخير، فقد أوقفت إنجي هانم زوجة محمد سعيد والي مصر خمسين فداناً في الوادي على مساجد وفقراء المسلمين^(٧) وأوقفت قبطية منزلاً بدرب الجينية بالأزبكية بالقاهرة لصالح رهبان دير السريان^(٨) وعملت وهية السيد عبد المنعم ناظرة على وقف مقام الشيخ خطاب بعد وفاة والدها وعمها^(٩).

كما احتلت المرأة البدوية مكانة كبيرة في وادي النطرون خلال القرن التاسع عشر، فقد شاركت في العمل في غزل الصوف وصنع الخيام وساعدت زوجها في رعي الإبل، بجانب رعاية أبنائها، كما أن زوجات الشيوخ كنَّ يحكمن القبيلة بعد موت أزواجهن^(١٠).

-
- (١) محكمة البحيرة: س ٧٠، م ٤٥، ٢٨ جماد الثاني ١٣٠٥ هـ / ٢١ مارس ١٨٨٨ م، ص ٢٢.
- (٢) نفسه: س ٨١، م ١٥٢، ٢٥ ربيع أول ١٣١١ هـ / ١٥ أكتوبر ١٨٩٣ م، ص ٨٦-٨٧.
- (٣) مضطبة كوم حمادة: س ٣١٨، م ١٣، ٥٥ محرم ١٣٢١ هـ / ١١ إبريل ١٩٠٣ م، ص ١٧.
- (٤) مجلس الأحكام: س ٧/٦/٤٤، صادر الأقاليم البحرية إلى البحيرة، مضطبة ١١، ٢٢ رجب ١٢٩٠ هـ / ١٥ سبتمبر ١٨٧٣ م، ص ١٥.
- (٥) محكمة البحيرة: س ٨٢، م ١١٢، ٢٠ جمادى الأولى ١٣١١ هـ / ٦ ديسمبر ١٨٩٣ م، ص ٦٢.
- (٦) مجلس الأحكام: س ٧/٦/٣٨، صادر الأقاليم البحرية إلى البحيرة، مضطبة رقم ٢١١، ١٧ ربيع أول ١٢٨٦ هـ / ٢٧ يونيو ١٨٦٩ م، ص ٨.
- (٧) محكمة البحيرة: س ١٥٣، م ١٦٩، ٢٠ جماد أول ١٢٩٥ هـ / ٢٠ فبراير ١٨٧٧ م، ص ٧٨-٧٩.
- (٨) وثائق دير السريان: وثيقة رقم ٢١٠٨، ٨ صفر ١٢٢٥ هـ / ١٥ مارس ١٨١٠ م.
- (٩) محكمة البحيرة: س ٢٣، م ١٧٣، ٣ ربيع آخر ١٢١٨ هـ / ٢٣ يوليو ١٨٠٣ م، ص ٩٠.
- (١٠) إيمان محمد عبد المنعم: المرجع السابق، ص ٢٥٨.

على أية حال، فقد حظيت المرأة، بقدر كبير من الاعتزاز والاحترام من جانب أزواجهن أو أبنائهن، خلال القرن التاسع عشر. الجريمة:

هي ذلك السلوك الضار اجتماعيًا، وغير المقبول من المجتمع، ومن ثم يتحتم مواجهتها وإصلاح كافة ما ينجم عنها من آثار ضارة، والعمل على توقي حدوثها في المستقبل أو الحد من معدلات ارتكابها^(١).

وقد أكد كل من روفينوس وبلاديوس وجيرون وغيرهم على أن القرن الرابع ومستهل القرن الخامس الميلادي العصر الذهبي لوادي النطرون وأديرته، حيث ساد الاستقرار والأمن - إلى حد ما - ولكن تلك النهضة لم تستمر لإغارة البرابرة وقيامهم بأعمال السلب والنهب فحل الخراب والدمار فهجره غالبية من السكان والرهبان^(٢). ومع بداية العصر العثماني رجع الهدوء للوادي، وعلى الرغم من ذلك تعرض بعض الرحالة الزائرين لأعمال السلب والنهب^(٣). فذكر الدومنيكاني جوهان ميشيل فانسلب أنه في أثناء زيارته لوادي النطرون عام ١٦٧٢م؛ تعرض لحادثة اعتداء نجا بأعجوبة من القتل على العربان. كما وصف الأب كلود سيكار عام ١٧١٢م، اعتداءات العربان على الأديرة القبطية بطريقة من الهمجية والعنف في مشهد غير إنساني. بينما ذكر الرحالة سويني عام ١٧٧٨م أنه تعرض لحادث سرقة على يد عرب الصحراء في أثناء زيارته بركة شيهيت^(٤).

على أية حال، قد شهد وادي النطرون خلال فترة الدراسة العديد من حوادث السلب والنهب والسطو المسلح وسرقة الأموال، وكانت هنالك عصابات تقوم بارتكاب هذه

(١) أحمد ضياء الدين محمد خليل: الظاهرة الإجرامية بين الفهم والتحليل، أكاديمية الشرطة، القاهرة ٢٠٠٠م، ص ٩-١٠.

(٢) رءوف حبيب: الرهبنة الديرية في مصر، مكتبة المحبة، القاهرة ١٩٩٩، ص ٧٩.

(٣) مخطوطات دير السريان: داود مرقس حناوي، المرجع السابق، ص ٥٨٩-٥٩٠؛ عمر طوسون، المرجع السابق، ص ١٦٧-١٦٨.

(٤) هيو ج. إفلين هوايت: المرجع السابق، ص ١٥٨-١٦٨.

الحوادث لدرجة تهدد الأمن بين السكان، وأصبحت ظاهرة معروفة لدى الحكومة إلى درجة أنها أصدرت لها لائحة (أوائل ربيع الثاني ١٢٧١هـ / ٢٢ ديسمبر ١٨٥٤م) إلى حكام الأقاليم تحثهم على تشديد الرقابة الأمنية، وتتبع اللصوص والجنّة والمشتبه فيهم لحماية السكان من شرهم^(١).

وقد تعددت حوادث السرقة في وادي النطرون خلال القرن التاسع عشر، على سبيل المثال تعرضت شون غلال الحكومة بنواحي الخطاطبة والبريجات للسطو عليها من قبل عصابة وتم ضبط بعض أفرادها^(٢) كما تعرضت مصلحة النطرون بالطرانة لعصابة من الفيوم، استولت على معدات ومواشٍ، ولم تتمكن السلطات من القبض على أفرادها^(٣).

وتعرضت بعض قرى وادي النطرون لحوادث سطو مسلح من جانب بعض العصابات، فقد قامت عصابة مسلحة من الوادي بالتعدي على ناحية الأخماس وسرقة بعض منازلها وسرقة مواشيها وتم ضبط الجنّة^(٤).

ولم يسلم بعض الأفراد من التجار من حالات السطو والاعتداء عليهم، فعلى سبيل المثال تعرضت عصابة من الطرانة للخوافة أنطوان يني التاجر، واستولت على كميات الدخان التي بحوزته، وأحدثت به إصابات، وتمكن مشايخ الطرانة من ضبط اللصوص، وإرسالهم لضبطية النجيلة، ومن ثم إرسالهم إلى الليمان^(٥).

على أية حال، تحفل الوثائق بالعديد من أعمال السرقة والسطو على مستوى الأفراد، فعلى سبيل المثال ادعى سيد أحمد الشهير بالفار من الطرانة على محمد إبراهيم سرقة نعجة حمراء اللون

(١) مجلس الأحكام: دفتر مجموع أمور وإجراءات، س ٧ / ٣٣ / ١، وثيقة بدون رقم، لائحة تدون بيان خدمة مديري الأقاليم، أوائل ربيع الثاني ١٢٧١هـ / ٢٢ ديسمبر ١٨٥٤م، ص ٤٥.

(٢) مديرية البحيرة: س ٦٤، صادر الدواوين لديوان كتخداي، وثيقة رقم ٧٤، غرة ذي القعدة ١٢٦٨هـ / ١٧ أغسطس ١٨٥٢م، ص ٤٣٣.

(٣) نفسه: س ١، صادر إلى سايرة، وثيقة ١٠١، غرة جماد الأول ١٢٦١هـ / ٨ مايو ١٨٤٥م، ص ٦٣٨.

(٤) محافظ مديرية البحيرة: محفظة ١، وثيقة ١٢٩، غرة جماد الأول ١٢٦٨هـ / ٢٥ ديسمبر ١٨٥١م.

(٥) محكمة النجيلة: س ٧٣٤، م ٧٤، ١٥ رجب ١٢٩٥هـ / ١٥ يوليو ١٨٧٨م، ص ١٧.

وأشياء أخرى من منزله^(١) وادعى أحد أهالي البريجات على محمد عطية سرقة ذهب ونقود وأشياء أخرى من منزله^(٢).

وكانت حوادث السرقة في قرى وادي النطرون مما يلحق بالمتهمين العار، وتحفل الوثائق بالعديد من الجرائم بين الفلاحين، وأصبحت بعض القرى مليئة باللصوص الذين يهددون المنازل، وكانوا معروفين للأهالي، وكثرة ترددهم على الأسواق في القرى المجاورة^(٣) واشتهر من بين هؤلاء رحيم يادم من عربان الجواييص^(٤) ومصطفى العزايلي، وأحمد زهران وعلي البغدادي من الطرانة^(٥) ومحمد صابرة من الأخماس^(٦) وآمنة إبراهيم من النجيلة^(٧).

وشهد الوادي العديد من حوادث القتل كتعرض بعض أهالي كفر داود على يد جماعة من الخطاطبة للقتل^(٨) كما قتل الخواجة قسطندي التاجر على أيدي أحد اللصوص بالوادي^(٩) وقتل أحد خفراء مصلحة النطرون على يد على موسى، وتم تنفيذ القصاص فيه^(١٠).

-
- (١) محكمة البحيرة: س ٣، م ٢٢٦، ١٥ ذي الحجة ١٢٢٢هـ/ ١٣ فبراير ١٨٠٨م، ص ١٥١.
- (٢) معية سنينة تركي: محفظة ١٠٦، دفتر ٥٣٢، من المعية إلى مديرية البحيرة، وثيقة ٢١، ٢ ربيع أول ١٢٧٩هـ/ ١٧ سبتمبر ١٨٦٧م، ص ٢.
- (٣) نفسه: محفظة ٩٠، دفتر ٨٠، مخلصات دفاتر، وثيقة رقم ٦٩، ٨ رجب ١٢٥٢هـ/ ١٩ أكتوبر ١٨٣٩م.
- (٤) محكمة النجيلة: س ٧٣٤، م ٥٧٠، ٥ رجب ١٢٩٥هـ/ ٥ يوليو ١٨٧١، ص ١٦.
- (٥) نفسه: م ٧٤، ١٥ رجب ١٢٩٥هـ/ ١٥ يوليو ١٨٧٨م، ص ١٧.
- (٦) مديرية البحيرة: س ٩٨٠، وارد من قسم النجيلة، وثيقة ١٠٠٣، ٧ محرم ١٢٧٤هـ/ ٢٨ أغسطس ١٨٥٧م، ص ٢٤.
- (٧) نفسه: س ٤٦٢، صادر الفروع لقسم النجيلة، وثيقة ٢٣٤، ٢١ شعبان ١٢٨٧هـ/ ١٦ نوفمبر ١٨٧٠م، ص ٣٢.
- (٨) مديرية البحيرة: س ١، صادر إلى عمدة كفر داود، وثيقة ٩٢٠، ١٢ شوال ١٢٦٥هـ/ ٣١ أغسطس ١٨٤٩م، ص ٦٧٠.
- (٩) معية سنينة تركي: محفظة ١٠٦، دفتر ٥٣١، من المعية إلى مديرية البحيرة، وثيقة ٢٤، ١٢ محرم ١٢٨٠هـ/ ٢٩ يونيو ١٨٦٣م.
- (١٠) إدارة المحيات: محفظة ٤، تفتيش بحري، وثيقة ٣٣٥، ١٠ ذي القعدة ١٢٧١هـ/ ٢٥ يوليو ١٨٥٥م.

وأحياناً ما كانت تؤدي المشاجرات إلى حدوث جرائم القتل، فعلى سبيل المثال قتل على حسين عمدة الخطاطبة بطبنجة، في أثناء المشاجرة التي حدثت بين بعض مشايخ الخطاطبة والأخماس وأبي نشابة وبني سلامة، وتم ضبط المتهمين وإحالتهم إلى الليمان^(١).

وعلى الرغم من تمسك مجتمع وادي النطرون بالفضيلة والقيم الدينية، فإن الوثائق تسجل حوادث كثيرة حول ارتكاب جرائم الدعارة والاغتصاب، فعلى سبيل المثال اعتدى مجموعة من اللصوص على راعية من عربان الوادي، فقاموا باغتصابها، واستولوا على جمالها وأغنامها^(٢).

وهكذا نرى أن هذه الحوادث، بالرغم من تعددها كانت الإدارة المركزية قادرة على التصدي لها والقضاء عليها بردع مرتكبيها، للحد منها عن طريق تنفيذ اللوائح والقوانين.

المؤسسات الدينية:

اهتم الرحالة بوصف المساجد وذكر تينو أن الممالك كانوا أحرص من الأتراك على بناء المساجد، فكل مملوك يتولى الحكم لا بد وأن يعمل على بناء المساجد يحمل اسمه، وذكر بيلون أن المساجد في مصر تتكون من عدة طبقات يحرص المصريون على تجميلها ونظافتها، ويعتبر جامع الغوري والسلطان حسن من أكبر وأشهر مساجد مصر. وتعجب تيفيه من عدم وجود أجراس في المساجد للتنبيه على الصلاة وأكد نفوره من الآن «يصعد القسيس المسلم الذي يلقب إماماً إلى أعلى المسجد ويطلق صرخات حادة لكي يتجمع المصلون في المسجد»، وهنا خلط تيفيه بين الإسلام والمسيحية، وقد امتازت ملاحظاته بالتعصب الشديد ضد الديانة الإسلامية فقد أطلق على المساجد في مصر «معابد الشياطين»، لكن رغم ملاحظاته القاسية والحادة فإنه قد أبدى إعجابه بجمال المساجد وعماراتها^(٣).

(١) مجلس الأحكام: س ٣٣/٦/٧، صادر الأقاليم البحرية إلى مديرية، مضبطة رقم ٢٧، ٩ رمضان ١٢٨٣هـ/ ١٥ يناير ١٨٦٧م، ص ٩٣.

(٢) معية سنية تركي: دفتر ٦٩، من الجناح العالي إلى حسن أفندي مدير البحيرة، وثيقة ١٧٨، ٧ رجب ١٢٥١هـ/ ٢٩ أكتوبر ١٨٣٥م، ص ٩٤.

(٣) إلهام محمد علي ذهني: مصر في كتابات الرحالة الفرنسيين في القرنين السادس عشر والسابع عشر، المرجع السابق، ص ٩٥.

على أية حال، وُجدت المؤسسات الدينية المعدة للعبادة في قرى وادي النطرون خلال فترة الدراسة، وتمثلت عند المسلمين في الجوامع والمساجد، فكان من دواعي بناء الجامع الكبير للمسلمين، أن تقام فيه خطبة الجمعة، ويفتح أبوابه من صلاة الفجر حتى بعد صلاة العشاء^(١)، ولم يكن وجوده في قرية يمنع من وجود المسجد الذي لا تقام فيه صلاة الجمعة، لذلك فقد كان الجامع هو الأساس، ومع ذلك وجدنا بعد النواحي التي لا يوجد بها سوى مسجد وإن كان ذلك قد اقتصر على القرى غير المأهولة بعدد كبير من الأهالي أو التي التي نشأت نتيجة للزحف العمراني مثل الهوكرية وبنى سلامة وزقيق^(٢).

ومن بين الجوامع التي اشتهرت بوادي النطرون والمناطق المجاورة له، جامع المحمودية، الذي يرجع تاريخ إنشائه إلى السلطان الناصر بن قلاوون^(٣) وقد تم ترميمه في سنة (١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م)^(٤) كذلك جامع النجيلة والطرانة والبريجات وكفرداود^(٥) ومن المساجد مسجد الأخماس وأبو نشابة والخطاطبة^(٦)، كما وجدت المقامات مثل مقام الشيخ خطاب بالبريجات، وكذلك وجدت الزوايا ببعض قرى الوادي^(٧).

أما المؤسسات الدينية عند الأقباط فتمثلت في الأديرة والكنائس^(٨)، نظرًا لأن الوادي كان مركزًا للرهبنة المسيحية، وكان الدير يضم مجموعة من الكنائس بداخله، بالإضافة إلى قلالي

(١) محافظ الأبحاث: محفظة ١٢٥، دفتر رقم ١٩٥٨، قرارات المجلس الخصوصي، لائحة ديوان الأوقاف، رقم ١٨٢، ١٣ شوال ١٢٥٠هـ/ ١٢ مارس ١٨٣٥م، ص ١٥٦.

(٢) شركات وجمعيات: محفظة ١٧٠، ١/أ، مجلس الوزراء، ٩ إبريل ١٨٩٩م.

(٣) على مبارك: المرجع السابق، ج ١٧، ص ٥.

(٤) معية سنية تركي: دفتر ١٨٩٤، أوامر من القلعة السعدية إلى ناظر المحمودية والخوض، أمر رقم ١٨، ٤ جماد الآخر ١٢٧٧هـ/ ١٨ ديسمبر ١٨٦٠م، ص ٥٤.

(٥) مديرية البحيرة: س ٨٩٠، وارد دواوين من الإسكندرية، وثيقة ٣١١، غرة جماد الأول ١٢٧١هـ/ ٢٠ يناير ١٨٥٥م، ص ١٨٩؛ محمد رمزي، المرجع السابق، ق ٢، ج ٢، ص ٣٣١-٣٣٢.

(٦) معية سنية عربي: س ٢٥، قيد الأوامر الصادرة إلى الأقاليم، أمر رقم ١١، ١٠ محرم ١٢٥٢هـ/ ٢٧ إبريل ١٨٣٦م، ص ٩.

(٧) محكمة البحيرة: س ٢٧، ٣٤٢م، غرة رمضان ١٢١٥هـ/ ١٦ يناير ١٨٠١م، ص ١٦٠.

(٨) سوف يأتي الحديث بإسهاب في الفصل السادس عن أديرة وادي النطرون.

الرهبان^(١) أما القرى فقد انتشرت بها الكنائس، وغالبًا ما كانت في كل ناحية من نواحي الوادي كنيسة، واشتهرت من بينها كنيسة السيدة العذراء بالطرانة وعزبتها، وكنيسة الأنبا بشوي بكفر داود، وكنيسة السيدة العذراء بالمحمودية، وكنيسة مار جرجس بالخطاطبة^(٢).

وكان الانفاق على هذه المؤسسات الدينية يتم من الأوقاف التي أوقفها الأهالي من المسلمين^(٣) والأقباط من أراض وعقارات عن طريق الاستفادة من دخولها بإيجاد جهاز لأعمال الصيانة والترميم للحفاظ على هذه المؤسسات، ودفع أجور العاملين والقائمين عليها، لاستمرار نشاطهم الديني والخيري^(٤)

- التعليم والثقافة:

لقد أفاض شابرول في وصف مرحلة التعليم الأولى في مصر، حيث كان الطفل يبدأ حسب ما ذكر قائلاً: «إن الأطباء يدعون أن ملكات الطفل العقلية تتشكل منذ سن الرابعة أو الخامسة، فكان الأب لا يهتم إلا بتعليم طفله، حيث يحرص على أن يبدأ طفله تعليمه في هذا السن، فيجعله يتردد على المدارس حتى يتعود على الأقل على شكل الحروف، ولكي يدركها دون مشقة كبيرة. ويلتزم الآباء بأن يعطوا لأبنائهم نوع التعليم الذي يتناسب مع درجة ثرائهم، أو يلزمونهم حسب الحال بتعلم حرفة وتعلم القراءة والكتابة يسبق كل شيء، لكن ذلك ليس إلزاميًا ولا حتى عامًا، حيث إن العدد الأكبر من الفلاحين وأبناء الطبقات الشعبية لا يعرفون القراءة والكتابة.. وكان من النادر أن نرى مصريًا يتحمل بنفسه مشقة تعليم طفله؛ لذا فهم يرسلون أبنائهم إلى المدارس، وكان الأغنياء يرسلون أطفالهم بصحبة أحد الخدم، أما الفقراء فيصحبونهم، أو يتولى مساعد المدرس تجميع هؤلاء الأطفال ليصحبهم جميعًا، وتقوم الأمهات

(١) مديرية البحيرة: س ٩٨٥، وارد البحيرة إلى قسم النجيلة، وثيقة ١٠١، ٨ صفر ١٢٧٣هـ/ ٨ أكتوبر ١٨٥٦م، ص ٥٤.

(٢) معية سنية عربي: دفتر ١٨٨٤، أوامر، أمر كريم إلى مديرية البحيرة، وثيقة ٨٧، ٨ شوال ١٢٧٢هـ/ ١٢ يونيو ١٨٥٦م، ص ١٥٩.

(٣) محكمة البحيرة: س ١٦١، م ١٤، غرة رجب ١٢٩٧هـ/ ٢ مايو ١٨٨٠م، ص ٣١-٣٣.

(٤) وثائق دير السريان: وثيقة رقم ١٢٨٨، ١٥ ذي القعدة ١٢٩١هـ/ ٢٤ ديسمبر ١٨٧٤م.

بإرسال وجبات إلى أطفالهن الدراسين، ويقسم هؤلاء الأطفال طعامهم مع زملائهم المعوزين. من هنا تأتي المساواة المطلقة التي تسود بينهم، فهم لا يعرفون ذلك التمايز الذي يعود إلى الأصل والمنشأ، بل إن الثروة نفسها ليس لها في هذا الصدد إلا ميزة طفيفة»^(١).

ويذكر شابرول أن الكبار لا يرسلون أبناءهم إلى المدارس العامة، أما الفتيات فلا يتعلمن حتى مجرد القراءة، وإذا حدث إن كان بعضهن يمتلكن هذه القدرة فلا بد أن هذا بالغ الندرة، ولا بد أنهن قد تعلمنه في معقل الحريم، ويكون مدرسوهم في هذه الحالة رجالاً في سن متقدمة ومحرومين من نعمة البصر، ولا يستطيع مثل هؤلاء المدرسين أن يعلموهن أكثر من حفظ آيات من القرآن. وعند هذا الحد تقريباً توقف التربية الأخلاقية للنساء في مصر. وليس ثمة ما هو أكثر ضجيجاً من مدرسة عامة في مصر حيث يتعلم الأطفال الحروف الهجائية والكلمات، وفي ذات اللحظة يتدربون على نطقها، وهم عادة لا يتعلمون إلا القراءة والكتابة. وكانت المدارس الأولية لا تدين بوجودها إلا لأعمال البر، وهذه المدارس كبيرة العدد ومنتشرة بمدن مصر المختلفة، وكان رسوم الالتحاق بها ضئيلة، وكان بعض الآباء يرسلون أبناءهم إلى إمام المسجد^(٢).

وكان للمسيحيين أيضاً مدارسهم وهي تعتمد على الإعانات والعطايا الخيرية، ويعيش المدرسون من الأتعاب المتواضعة التي يحصلونها من تلاميذهم، وما إن يبدأ الأطفال في معرفة القراءة يتم تحفيظهم مزامير داود والألحان الكنسية بالإضافة إلى تعلم العمليات الحسابية وخاصة تلك المرتبطة بمساحة الأرض وقياسها، وكذلك حسابات التجارة^(٣). وأكد شابرول على ذلك قائلاً: «ويرسل الأقباط أولادهم إلى مدارس صغيرة، حيث يتعلمون القراءة والكتابة إلى جانب المبادئ الأولى للدين، ويتمتع بهذه الميزة كل الأطفال الذكور بلا تمييز، لكن الفتيات لا يستطعن الذهاب إلى المدرسة إلا بموافقة أمهاتهن اللاتي يعترضن على ذلك، وعلى العكس

(١) تأليف علماء الحملة الفرنسية: المرجع السابق، ج ١، ص ٧٢-٧٣.

(٢) نفسه: ص ٧٥.

(٣) سليمان نسيم: الأقباط والتعليم، في مصر الحديثة، مطبعة نهضة مصر، القاهرة ١٩٨٣ م، ص ٤٥.

من ذلك في الصعيد، حيث يذهب إلى المدارس هناك مثل الأولاد، ولا ينقطع عن الذهاب إلى المدرسة حتى في سن الثامنة أو التاسعة، وهي السن التي يبدأ فيها التشكل ولا يعدن أطفالاً»^(١).

وكانت إدارة المدرسة من حق نجل مؤسسها أو أحد ورثته، وبإمكان هذا الوريث أن يبيعها، أو أن يتنازل عنها لصالح آخر. ومع ذلك فينبغي أن يكون المدرس الموكل إليه أمر التدريس قادرًا على القيام بمهام وظيفته وأن يكون حافظًا للقرآن، وإذا ما رأى القاضي أنه أقل كفاءة مما يقتضيه العمل فإنه يستطيع أن يرغم القائم على أمر إدارة المدرسة أن يختار مدرسا آخر أكفأ، ولكن مهنة التدريس لا تحظى بالعناية الكافية، ومكانتها بالغة الضعف، وإذا ما كان المدرس كفؤًا لحد أمكنه أن يجذب عددًا كبيرًا من التلاميذ فله عندئذ أن يأمل في بعض النفع، وإلا فعليه أن يعيش الذكر، وفي حال تقرب من العوز، وليس له أن ينتظر نفعًا. وللقاضي حق التفتيش على المدارس الابتدائية، وعندما يتبين هذا الموظف الكبير أن المبالغ المخصصة للعناية بهذه المنشآت وتلاميذها قد صرفت في غير أغراضها، فإن له الحق في أن يرغم القائمين على إدارتها على الامتثال لرغبة مؤسسها^(٢). ولا يفوتنا التنويه إلى أن التعليم الأساسي في مصر حتي أواخر القرن الثامن عشر، هو التعليم الديني الذي تمثل في الدراسة الأزهرية، والكتاتيب المنتشرة في قرى مصر، ومدارس المساجد، والمدارس القبطية التي انتشرت في كل ربوع مصر، وكان يلتحق بها العديد من الطلاب المسلمين^(٣).

على أية حال، يجب علينا الآن متابعة نظام التعليم في وادي النطرون حيث كان قاصرًا على مجموعة المكاتب (الكتاتيب) التي انتشرت في أنحائه، ومجموعة من المدارس التي وجدت في بعض القرى، والمدن الكبرى القريبة منه مثل مدينتي دمنهور وطنطا^(٤).

(١) تأليف علماء الحملة الفرنسية: المرجع السابق، ج ١، ص ٣٦.

(٢) نفسه: ص ٧٦.

(٣) ماهر حسن: مقال وعنوانه «قصة التعليم في مصر»، جريدة المصري اليوم، بتاريخ ١٧ أغسطس ٢٠٠٧ م.

(٤) معية سنينة تركي: دفتر ٦٣، أمر كريم إلى مديري مدارس البحيرة والغربية، وثيقة ٧٥، ٢ جماد الآخر

١٢٥١هـ / ٢٥ سبتمبر ١٨٣٥ م، ص ٦٩.

وقد اعتمد التعليم الأولي في الكتاتيب على تحفيظ القرآن وبعض الأحاديث، وتعلم الأولاد مبادئ القراءة والكتابة وبعض فنون الخط ومبادئ الحساب^(١) وكان يقوم بذلك معلم الكتاب (المؤدب أو الفقيه) ويساعد العريف في تعليم الأولاد بمعاونة الأطفال المتخلفين عن زملائهم بالإضافة إلى مهمته في مراجعة ألواح الأطفال في حالة غياب المؤدب^(٢) ومن أشهر الكتاتيب الكتاب الملحق بالجامع الكبير بالطرانة^(٣) وكتاب الشيخ خطاب بالبريجات^(٤)

وكان للأقباط أيضاً مثل المسلمين بعض الكتاتيب الخاصة بهم في قرى وادي النطرون خلال القرن التاسع عشر، وكان المنهج الدراسي بسيطاً إلى حد ما، فهم يتعلمون مبادئ الدين المسيحي، ومبادئ اللغتين القبطية والعربية، فضلاً عن تعلمهم العلوم مثل علم الحساب، وهو ما يفسر أن غالبية الوظائف الكتابية الحسابية كانت في يد الأقباط في نفس القرى، ومن الجدير بالذكر أن هناك بعض الكتاتيب فتحت أبوابها أمام أولاد المسلمين لتعلم الحساب للالتحاق بالإدارة المالية^(٥) واشتهر منها الكتاب الملحق بكنيسة السيدة العذراء بالطرانة^(٦) والكتاب الملحق بكنيسة الأنبا بيشوي بكفر داود^(٧) واقتصر التعليم في هذه الكتاتيب سواء الخاص منها بالأقباط أو المسلمين على الذكور فقط دون الإناث^(٨)

(١) السيد رجب حراز: السيد رجب حراز: المدخل إلى تاريخ مصر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال البريطاني ١٥١٧ / ١٨٨٢ م، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٧٠ م، ص ٧٥.

(٢) محكمة البحيرة: س ٩٢، م ٣٨٤، ٧ شعبان ١٢٧١ هـ / ٢٥ إبريل ١٨٥٥ م، ص ١٢٧.

(٣) رياض سوريال: المجتمع القبطي في مصر في القرن التاسع عشر، مكتبة المحبة، القاهرة ١٩٨٤ م، ص ١٥٨.

(٤) محكمة البحيرة: س ٢٧، م ٣٤٢، غرة رمضان ١٢١٥ هـ / ١٦ يناير ١٨٠١ م، ص ١٦٠.

(٥) مديرية البحيرة: س ٨٩، وارد دواوين من الإسكندرية، وثيقة ٣١١، غرة جماد الأولى ١٢٧١ هـ / ٢٠ يناير ١٨٥٥، ص ١٨٩.

(٦) وثائق دير السريان: وثيقة رقم ٩٩٣، ١٦ ربيع الآخر ١٢١٦ هـ / ٢٥ أغسطس ١٨٠١ م.

(٧) نفسه: وثيقة رقم ٦٧٦، ٢٢ ذي القعدة ١٢٩١ هـ / ٣١ ديسمبر ١٨٧٤ م.

(٨) إدوارد وليم لين: المرجع السابق، ص ٧٣-٧٤؛

Dowling Theodore, Edward: The Egyptian Church, London 1909 . P.12

واعتمدت ميزانية هذه الكتاتيب على الأوقاف والمبالغ الضئيلة التي يدفعها أهالي الأولاد، لدفع رواتب المؤدب والعريف، وأيضاً نفقات الفرش وترميم المباني، وتقديم الإعانات المالية والعينية من ملابس وطواقي وأحذية للأطفال الفقراء^(١)

وكذلك تأثر وادي النطرون، كما تأثرت مصر كلها بالنهضة التعليمية التي قام بها محمد علي (١٨٠٥ - ١٨٤٨ م) فقد عمل على تنظيم التعليم بإنشاء مدارس للتعليم الابتدائي سنة ١٨٢٣ م، عرفت باسم المبتديان أي الابتدائي، وبلغت حوالي ٥٢ مدرسة بالمديريات، من بينها واحدة بالبحيرة التابع لها الوادي، مما أعطى الفرصة لأبناء الوادي للتعلم فيها، وكانت مدة الدراسة بها ثلاث سنوات يتعلم التلميذ خلالها القراءة والكتابة ومبادئ الحساب والدين^(٢) وبعدها يلتحق بالمدسة التجهيزية التي أنشئت سنة ١٨٢٥ م، وكانت مدة الدراسة بها أربع سنوات، وهي التي تؤهله للالتحاق بالمدارس العليا مثل الحرية والطب المهندسخانة^(٣) وعندما افتتحت مدرسة الزراعة بنبروه^(٤) سنة ١٨٣٦ م لإدخال الأساليب الحديثة في الزراعة، والتوسع في زراعة شجرات التوت بالبحيرة، لتربية دودة القز لإنتاج الحرير الطبيعي، سارع أبناء الوادي للالتحاق بها^(٥)

ولكن سرعان ما تدهور هذا النظام التعليمي في عهد عباس الأول، وفي عهد سعيد الذي ألغى بعض المدارس بعد توليه الحكم^(٦) وعندما تولى إسماعيل (١٨٦٣ - ١٨٧٩ م)

-
- (١) محكمة البحيرة: س ١٥٣، م ٨١، ٢٠ جماد الأول ١٢٩٥ هـ / ٢٠ فبراير ١٨٧٧ م، ص ٩٦-٩٧.
- (٢) سامي سليمان محمد السهم: التعليم والتغيير الاجتماعي في مصر في القرن التاسع عشر، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، سنة ٢٠٠٠ م، ص ٢٣٢.
- (٣) نفسه، ص ٢٣٦-٢٣٧.
- (٤) نبروة: قرية وردت في قوانين ابن مماتي من أعمال السمنودية، وهي تابعة الآن لمديرية الغربية.
- (٥) معية سنية تركي: دفتر ٧٠، من الجناح العالي إلى مختار بك ناظر المدارس، وثيقة ٦٥٢، ٦ جماد الثاني ١٢٥٢ هـ / ١٨ سبتمبر ١٨٣٦ م، ص ٢١٢.
- (٦) أحمد عزت عبد الكريم: تاريخ التعليم في مصر في نهاية حكم محمد علي إلى أوائل حكم توفيق، ج ٢، مطبعة النصر، القاهرة، سنة ١٩٤٥، ص ٢١٤-٢١٦.

قام بإصلاح التعليم فتأثر الوادي، كما تأثرت مصر كلها بإصلاحاته لمدرسة الطب والحربية وافتتاحه لمدرسة الطب البيطري سنة ١٨٦٤ م، والزراعة بالعباسية ١٨٦٧، والإدارة والحقوق والمساحة والمحاسبة سنة ١٨٦٨ م والألسن ١٨٦٩ م، ودار العلوم ١٨٧٠^(١).

ومنذ الاحتلال البريطاني لمصر ١٨٨٢ م وحتى نهاية فترة الدراسة، سيطرت سلطات الاحتلال على التعليم في مصر، فجعلته بمصروفات عالية، فتأثر أبناء الوادي الفقراء، لأن التعليم أصبح قاصراً على الأغنياء دون غيرهم^(٢).

وقد استفاد وادي النطرون من تعليم أبنائه في هذه المدارس، فاعتمدت الإدارة المركزية عليهم في شغل بعض الوظائف الإدارية بالوادي، فعملوا ككتبة وصيارفة ومساحين وأمناء ونظار شون، فاشتهر من الكتبة ميخائيل صليب^(٣) ومحمد عيسى^(٤) ومن الصيارفة عوض أيوب^(٥) وفانوس نده^(٦) وأحمد خليل^(٧) ومن المساحين جبرائيل ميخائيل^(٨) وحسن علي^(٩) ومنهم من عمل أميناً لمخازن شونة الطرانة ثم ناظرًا عليها مثل إبراهيم أفندي سعد^(١٠).

-
- (١) سامي سليمان السهم: المرجع السابق، ص ٢٣٧.
- (٢) جرجس سلامة: أثر الاحتلال البريطاني في التعليم القومي في مصر (١٨٨٢-١٩٢٢)، ط ١، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٦٦، ص ٤٧-٤٩.
- (٣) مديرية البحيرة: س ٨٣٥، وثيقة ١٠٩١، صادر إلى سايرة، ١٩ شعبان ١٢٦٤هـ / ٢١ يوليو ١٨٤٨ م، ص ١١٣٠.
- (٤) نفسه: س ١٠٣، وارد إلى قسم النجيلة، وثيقة ١٢٨٩، ٣ ربيع الآخر ١٢٨٥هـ / ٢٤ يوليو ١٨٦٨، ص ٥٤.
- (٥) ديوان خديوي: محفظة ١٤٦، دفتر ١٩٧، من المجلس العالي إلى الديوان الخديوي، وثيقة ٢٤٦، ١٧ من ذي القعدة ١٢٤٩هـ / ٢٨ مارس ١٨٣٤، ص ١٦٧.
- (٦) مديرية البحيرة: س ١٢١٦، تصارييف، قسم النجيلة، رقم ٤٧، لسنة ١٨٩٣ م، ص ٢٢.
- (٧) محكمة النجيلة: س ٧٣٠، م ٦٥، ٢٧ رجب ١٢٩٤هـ / ١١ إبريل ١٨٧٧ م، ص ١٥.
- (٨) محكمة البحيرة: س ١٤٧، م ١٨، ٢٥ محرم ١٢٩٣هـ / ٨ فبراير ١٨٧٦، ص ٢٩.
- (٩) مديرية البحيرة: س ٣٦٥، ج ٧، صادر الفروع لقسم النجيلة، وثيقة ٩٠٦، ١٣ من ذي القعدة ١٢٧٤هـ / ٢٥ يونيو ١٨٥٨ م، ص ٢٢.
- (١٠) محكمة النجيلة: س ٧٢٩، م ٣٢٧، ٩ رمضان ١٢٩٣هـ / ٢٨ سبتمبر ١٨٧٦، ص ١٠١.

كما ساهم أبناء وادي النطرون بعلمهم في الحفاظ على الصحة العامة، وتطوير شبكة الري بالوادي، فاشتهر في الصحة الحكيمباش عبد الله أفندي أبو زيد^(١) وعبد الله حسن البيطري^(٢) ومحمد جاد وعبد الرحمن أفندي المعاوين بمكتب صحة كفر داود^(٣) واشتهر في الري الباشمهندس محمد عبد الوهاب ورضوان أفندي^(٤).

وفي مجال الشعر اشتهر محمد الشاعر من عربان أولاد علي^(٥)، واشتهر بالإنشاد الديني وقراءة القرآن الشيخ أحمد رزق زعطوط^(٦) وفي مجال الألحان والترانيم الكنسية القبطية ذاع صيت القمص روفائيل والقس تاوضروس البراموسي بين أديرة وادي وكنائس الوادي^(٧).

الاحتفالات والأعياد:

ذكر الرحالة بيلون اهتمام المصريين بالاحتفالات والأعياد حيث ذكر قائلاً: ”لا توجد أمة متمسكة بتقاليدها وتراثها مثل الأمة المصرية“^(٨)، حيث كان لكل من المسلمين والأقباط في مصر أعيادهم، مثلما كان لأهالي وادي النطرون خلال فترة الدراسة، مع وجود بعض مما يخص الوادي، وكان يحتفل بها كل منهما على طريقته، وتبدأ أول احتفالات المسلمين بيوم

(١) مديرية البحيرة: س ٩٨٠، ج ١، وارد الفروع من قسم النجيلة، وثيقة ١، ٢٤ محرم ١٢٧٤هـ / ١٣ سبتمبر ١٨٥٧م، ص ٤.

(٢) محافظ الأبحاث: محفظة ١٤١، دفتر ١٩٠٤، أوامر، أمر كريم إلى مديرية البحيرة، رقم ٩، ١٧ ذي الحجة ١٢٧٩هـ / ٥ يونيو ١٨٦٣م، ص ١١.

(٣) مديرية البحيرة: س ١٢٩٢، كشف استحقاقات، سنة ١٨٥٦م، د، ص.

(٤) نفسه.

(٥) مجلس الأحكام: س ٧/٩/٧، عرضحالات البحيرة، رقم ٨، ١١ جماد الثاني ١٢٧٦هـ / ٦ يناير ١٨٦٠م.

(٦) محكمة البحيرة: س ٢٥٠، م ٧، ٢٧ صفر ١٣٠٥هـ / ١٤ نوفمبر ١٨٨٧، ص.

(٧) نفسه: س ٩٨، م ١٨٩، ٣ ذي القعدة ١٢٧٦هـ / ٢٣ مايو ١٨٦٠م، ص ١٣٨؛ وثائق دير السريان، وثيقة رقم ٦٥٢، ٢٥ رجب ١٢٩٣هـ / ١٧ أغسطس ١٨٧٦م.

(٨) إلهام محمد علي ذهني: مصر في كتابات الرحالة الفرنسيين في القرنين السادس عشر والسابع عشر، المرجع السابق، ص ٨٥.

«عاشوراء» وهو اليوم العاشر من شهر محرم، وجرت العادة في هذا الموسم بالتصدق على الفقراء والمساكين، وكان من أهم مظاهر هذا الاحتفال ضرورة ذبح الدجاج وطهي حبوب القمح وإعداده في أطباق تسمى «عاشوراء» وهي العادة التي ما زالت باقية حتى الآن^(١).

يواكب الاحتفال بالمولد النبوي في الثاني عشر من ربيع الأول، إحصار قراء القرآن والمنشدين، بالإضافة إلى إقامة حلقات الذكر، وكانت قاصرة على زوايا الصوفية^(٢) أما الاحتفال بأول شهر رجب فكان من المواسم المهمة، وكان من أبرز صور الاحتفال شراء تماثيل الحلوى للأطفال، كما أن الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج كان يشبه الاحتفال بأول رجب وليلة النصف من شعبان^(٣) أما الاحتفال برؤية هلال رمضان، فبعد تحقق الرؤية كان الأطفال يحملون بعد صلاة المغرب الشموع والمشاعل والفوانيس، وكانت مظاهر الاحتفال تستمر طوال الشهر الكريم، وما تزال حتى يومنا هذا^(٤). وأكد بالرن أن المصريين «يحرصون في رمضان على توزيع اللحم على الفقراء ويسمحون لأطفالهم بالخروج والزيارة»^(٥). وذكر شابرول قائلاً: «ينام الأغنياء نهاراً حيث لا يسمح الدين بالأكل ما دامت الشمس في الأفق، ويتناولون طعامهم عند قدوم الليل»^(٦).

وكان من أهم مظاهر الاحتفالات الدينية عند المسلمين بمصر كلها بما فيها وادي النطرون خلال القرن التاسع عشر الاحتفال بالعيدين عيد الفطر وعيد الأضحى، والاحتفال بهما يكاد

(١) سعيد محمد حسن الملط: المرجع السابق، ص ٥٥.

(٢) محافظ الأبحاث: محفظة ١١٩، معية سننية تركي، دفتر ٤٧١، وثيقة ١٠٤، ١٢ ربيع أول ١٢٦٨هـ/ ٥ يناير ١٨٥٢م.

(٣) إدوارد وليم لين: المرجع السابق، ص ٤٨٢-٤٨٣، أمينة النجار، المرجع السابق، ص ٢٠٤.

(٤) عبد الرحمن الجبرتي: عبد الرحمن بن حسن الجبرتي: عجائب الآثار والأخبار، ثمانية أجزاء، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، ج ٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٣م، ص ٢٢٢.

(٥) إلهام محمد علي ذهني: مصر في كتابات الرحالة الفرنسيين في القرنين السادس عشر والسابع عشر، المرجع السابق، ص ٨٥.

(٦) تأليف علماء الحملة الفرنسية: المرجع السابق، ج ١، ص ١٦٢.

يكون متطابقاً، فيما عدا بعض الاختلافات الطفيفة، ففي عيد الفطر كانت النساء يبدأن في الاستعداد للعيد بتجهيز الكحك قبل العيد بعدة أيام، ومع طلوع نهاره يتوجه الرجال لأداء صلاة العيد، فيهللون ويكبرون، وبعدها يتوجهون إلى المقابر لزيارة موتاهم^(١) وفي عيد الأضحى يقوم بعض الأغنياء بذبح الأضاحي والتصدق بها على الفقراء^(٢)، كما ذكر فيلامون بالفواكة أن المصريين يحرسون في أعيادهم واحتفالاتهم على تقديم الطعام حيث وصف لنا قائلاً: «لديهم عادة جميلة إذا يجلسون على الأرض ويأكلون. وطعامهم مطبوخ بالسمن أو الزيت وهم مغرمون ويأكلون بعد انتهاء الطعام الشام والبطيخ»، ولديهم تقليد جميل «فعندما ينظر إليهم أحد عند الأكل لا بد وأن يعطوه من طعامهم»^(٣). كما كان أهالي الوادي يرتدون أفخر الثياب، ويتبادلون الزيارات والتهاني بالعيد^(٤).

أما فيما يتعلق بالاحتفالات القاصرة على وادي النطرون، عند المسلمين، فتمثلت في الاحتفال ببعض الأولياء الصالحين، فاشتهر منها الاحتفال بذكرى الشيخ خطاب^(٥)، وسيدي أحمد الزواوي^(٦) وسيدي خضر الأنصاري^(٧).

كذلك تعددت الاحتفالات والأعياد عند الأقباط، فكان منها سبعة أعياد تعرف بالأعياد السيديّة الكبرى، وسبعة أخرى تعرف بالأعياد السيديّة الصغرى، وهذه الأعياد مرتبة على شهور السنة القطبية، والأعياد الكبرى هي «عيد البشارة» ويحتفلون به في التاسع والعشرين من

(١) إدوارد وليم لاين: المرجع السابق، ص ٥٠٢.

(٢) سعيد حسن الملط: المرجع السابق، ص ٤٧.

(٣) إلهام محمد علي ذهني: مصر في كتابات الرحالة الفرنسيين في القرنين السادس عشر والسابع عشر، المرجع السابق، ص ٩٢.

(٤) نفسه: مصر في كتابات الرحالة الفرنسيين في القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص ٢٨٧.

(٥) محكمة البحيرة: س ٢٣، م ١٧٣، ٣ ربيع آخر ١٢٠٨هـ / ٨ نوفمبر ١٧٩٣م، ص ٩٠.

(٦) مديرية البحيرة: س ١٠٣، صادر الدواوين إلى سايرة، وثيقة ٣٦، ١١ شوال ١٢٧٤هـ / ٢٥ مايو ١٨٥٨م، ص ١١٢.

(٧) محكمة البحيرة: س ٢٨٧، ج ١، م ٢٩، ٢٩ جماد أول ١٣١٥هـ / ٢٦ أكتوبر ١٨٩٧م، ص ١.

شهر برمهات^(١) وعيد «أحد الشعانين» ومعناها بالعربية التسبيح، يكون في الأحد السابع من الصوم المقدس، ومن مظاهر الاحتفال به أن يخرج الأقباط في صباح هذا اليوم حاملين سعف النخيل وأغصان الزيتون احتفالاً بذكرى دخول السيد المسيح مدينة أورشليم^(٢) وعيد القيامة ويكون الاحتفال بهذا العيد يوم الأحد، وهو ذكرى قيامة السيد المسيح من بين الأموات كما يعتقد الأقباط^(٣) ويسبق هذا العيد صيام هو أطول أيام الصيام عند الأقباط، وقد ذكر شابرول قائلاً: «الصيام السابق لعيد القيامة هو أطولها جميعاً، وهو كذلك أشدها مشقة، ويبلغ طوله ٥٥ يومياً. ولا يمكن للمسيحي طوال هذه المدة أن يتناول سوى وجبتين في اليوم، ويمتنع تماماً عن تناول اللحوم والأسماك وكل ماله روح على وجه العموم. وتأمّر الكنيسة بأن يمتنع الناس عن إدخال أي شيء إلى أفواههم حتى ولو كان دخان النارجيلة قبل الظهيرة، وهي موعد الوجبة الأولى»^(٤).

وبعده مباشرة يوم الإثنين كان المصريون من المسلمين والأقباط يحتفلون بعيد شم النسيم^(٥) وأيضاً من الأعياد الكبرى عيد الصعود وهو ذكرى صعود السيد المسيح إلى السماء، وعيد العنصرة (الخمسين)، وهو يوم الخمسين بعد القيامة المجيدة ويسمى عيد «البنطيقوستي»^(٦) ويكون في السادس والعشرين من شهر بشنس، أما العيد السادس فهو «عيد الميلاد» ويكون في التاسع من شهر كيهك (٧ من شهر يناير) وهو اليوم الذي ولد فيه السيد المسيح في بيت لحم (قرية في فلسطين)^(٧)، وذكر شابرول أن هذا العيد يسبقه ٤٣ يومياً صيام^(٨)، وآخر الأعياد

(١) مراد عبده فرج: القراءات اليومية في السنة القبطية، شركة الكاتب المصري، ط ١، القاهرة سنة ٢٠٠٦، ص ٨.

(٢) سعيد حسن الملط: المرجع السابق، ص ٣٧-٣٨.

(٣) مراد عبده: المرجع السابق، ص ٩.

(٤) تأليف علماء الحملة الفرنسية: المرجع السابق، ج ١، ص ٣٤.

(٥) سعيد حسن الملط: المرجع السابق، ص ٣٨.

(٦) البنطيقوستي: كلمة يونانية معناها عيد الخمسين، انظر: سعيد حسن الملط، المرجع السابق، ص ٣٩.

(٧) نفسه.

(٨) تأليف علماء الحملة الفرنسية: المرجع السابق، ج ١، ص ٣٤.

الكبرى هو «عيد الغطاس» (الظهور الإلهي)، ويكون في الحادي عشر من شهر طوبة، وهو ذكرى تعميد (التغطيس في الماء) السيد المسيح على يد يوحنا المعمدان (النبي يحيى عليه السلام) في مياه نهر الأردن^(١).

أما الأعياد السيديّة الصغرى، فهي عيد الختان يقع هذه العيد في السادس من شهر طوبة، وعيد عرس قانا الجليل، وعيد دخول السيد المسيح الهيكل، وعيد خميس العهد، وعيد أحد توما (الأحد الجديد) وعيد دخول السيد المسيح أرض مصر، ويقع هذا العيد يوم ٢٤ بشنس وعيد التجلي، يوافق يوم ١٣ مسرى، وكان الأقباط في وادي النطرون يحتفلون بهذه الأعياد مثلما كان يحتفل بها المسيحيون في مصر بصفة عامة^(٢).

أما فيما يتعلق بالاحتفالات القاصرة على وادي النطرون عند الأقباط فهي الاحتفال بذكرى بعض القديسين، فاشتهر منها احتفال دير السريان بصعود جسد السيدة العذراء إلى السماء يوافق مسرى / ٢٢ أغسطس واحتفال دير الأنبا بشوي بالقديس المسمى بها الدير، ويوافق ١٨ أبيب / ١٥ يوليو واحتفال كنيسة الخطابة بالقديس مارجرس^(٣). ومن الجدير بالذكر أن هذه الاحتفالات والأعياد الدينية عند كل من المسلمين والأقباط، كانت تشهد وفاقاً ومحبة بتبادل التهاني والزيارات فيما بينهما، وما زالت حتى الآن^(٤).

وذكر شابرول أن الأقباط في مصر يمارسون سر الاعتراف^(٥) وهم يشتركون في هذا الطقس مع المسيحيين عموماً، كما ذكر أيضاً قائلاً: «ثمة عادة خاصة بالأقباط تبدو مناقضة تماماً أو على الأقل غريبة عن مذهب المسيح، تلك عادة الختان للجنسين. وبالرغم من أن هذه العملية

(١) نفسه.

(٢) لمزيد من التفصيل انظر: الراهب القمص سمعان السرياني، الأعياد السيديّة الكبرى، مطرانية بني سويف والبهنساء، سنة ١٩٩٢؛ مراد عبده، المرجع السابق، ص ٨-١٢.

(٣) وثائق دير السريان: وثيقة رقم ١٣٦٠، ٨ يناير ١٨٩٦؛ رياض سوريال، المرجع السابق، ص ٢٤٨.

(٤) إلهام ذهني: مصر في كتابات الرحالة الفرنسيين في القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص ٢٨٧.

(٥) سر الاعتراف: هو أحد أسرار الكنيسة السبعة وهي: سر المعمودية، والميرون، والتوبة والاعتراف، والأفخارستيا، وسر مسحة المرضى، والزواج، والكهنوت.

ليست -فيما يبدو- إلزامية بالنسبة لكل الأقباط، فإنهم مع ذلك يخضعون لها إما بفعل الاعتياد وإما بفعل الأفكار المسبقة، وتصر الأمهات على ضرورة ختان أطفالهن، اذ يتصورن أن أبنائهن لا يكونوا صالحين للإنجاب ما لم يمروا بهذا الأمر المؤلم^(١).

وهكذا تبين لنا مما سبق بعض النتائج عن الحياة الاجتماعية في وادي النطرون كما صورها الرحالة، منها التطور السكاني في وادي النطرون، من حيث زيادة الكثافة السكانية وزيادة معدلات النمو السكاني، وقد يرجع ذلك إلى تحسن الخدمات الصحية، كما أن السكان تنوعت فئاتهم فمنهم أعيان الريف والفلاحون والعربان والشوام والمغاربة والأوروبيون، كما كان للنشاط الاقتصادي أثر كبير في الزحف العمراني للقري، وأدى ذلك إلى إنشاء قري جديدة مثل قرية زقيق وعزبة الطرانة والهوكرية، وبني سلامة.

كما نستنتج أن سكان وادي النطرون استطاعوا أن يحافظوا على عاداتهم وتقاليدهم، وأضافوا ما يتفق مع طبائعهم؛ كما عبروا في أفراحهم عند الزواج عما لمسناه من بساطة ورضا، وكانوا يعطون المرأة في حالة طلاقها كامل حقوقها، مما يدل على مدى احترام الرجل لهذه الحقوق، كما احتلت المرأة مكانة يتضح من خلالها أنها لم تكن حبيسة المنزل أو كما مهملاً خاصة خلال القرنين التاسع عشر والعشرين ولكنها خرجت للحياة العامة والمشاركة المجتمعية.

كما اتضح لنا دور المؤسسات الدينية وأهميتها في الارتقاء بالقيم الدينية والروحية، كما كان للنصح والإرشاد الديني دور في انخفاض معدلات الجرائم، وكذلك كان للمؤسسات التعليمية دور رئيسي في تعليم أبناء الوادي، مما أدى إلى شغلهم بعض الوظائف الإدارية وخدمة مجتمعاتهم، كما أكد الرحالة على ممارسة سر الاعتراف - أسرار الكنيسة السبعة - وعادة الختان للجنسين، وقد عبرت الاحتفالات والأعياد عن مدى الترابط الاجتماعي، من خلال تبادل الزيارات والتهاني في الأعياد وبعض المناسبات الاجتماعية.



(١) تأليف علماء الحملة الفرنسية: المرجع السابق، ج ١، ص ٣٥.

الفصل السادس
الرهينة القبطية
ففي وادي النطرون
كما صورها الرحالة

الفصل السادس

الرهينة القبطية فيه وادي النطرون كما صورها الرحالة

لا يوجد بلد آخر ترك من التراث ما أثر تأثيراً عميقاً على نمو الديانة المسيحية، كما تركت مصر في نمو وانتشار هذا الدين في العالم أجمع، أما التراث الثاني الذي تركته مصر للعالم فهو الرهينة التي لعبت دوراً مهماً في تاريخ الكنيسة القبطية من القرون الأولى وحتى يومنا هذا، والحقيقة التاريخية أن بعض الرحالة والحجاج والمؤرخين الزائرين لوادي النطرون قد اعترفوا بهذا التراث، وقدموا وصفاً للرهينة الديرية - خلال القرن الرابع الميلادي وحتى القرن العشرين - إذ تهرب آباء الوادي من رواد الديرية الانفرادية المسيحية من نعيم الترف إلى الزهد والتقشف بحثاً عن الخلاص، ورأى عامة المسيحيين في أولئك الرهبان شفيحاً لهم عند الرب، ولذا اهتموا بالأديرة اهتماماً بالغاً، وأسبغوا عليها من الهبات ما ساعد على استمرارها، بحيث تحولت من مناطق للزهد والتقشف إلى منارة للتعليم ونسخ المخطوطات وكتابة العديد من المؤلفات للمحافظة على التعاليم الأولى للمسيحية مما جعلها حصناً للتصدي لمواجهة المشكلات التي كادت تعرقها؛ متعاونة مع الكنيسة القبطية الأرثوذكسية وبمساندة الحكومة المصرية خلال ذات الفترة، وهذا ما سوف يتضح عند دراسة هذا الفصل.

الرهينة القبطية

لم تكن المسيحية هي الديانة الوحيدة التي انفردت بالدعوة إلى المبادئ النسكية، ففي الديانات السابقة للمسيحية جماعات وطوائف كرسَتْ نفسها حياة العزلة أو النسكية، وكانت على درجات متفاوتة من القسوة البدنية؛ ولكل ذلك شواهد في كتابات بلاد الصين القديمة والهند وشعوب آسيا الغربية وكذلك في الأدب المصري القديم^(١).

(١) حكيم أمين: المرجع السابق، ص ٣.

والرهبنة في المسيحية هي حياة العزلة عن الناس والوحدة والزهد والنسك والصلاة والتسبيح بجانب العمل اليدوي بقصد التبتل مع اختيار الفقر طوعاً^(١) كما أنها فلسفة الديانة المسيحية والجامعة التي تخرج فيها مئات البطارقة والأساقفة الذين قادوا الكنيسة بالحكمة فلكي يكون الإنسان راهباً^(٢) ينبغي أن تكون له ميول للفلسفة والحكمة، لأن حياته كفاح وحرمان وإنتاج من أجل هذه الرسالة السامية التي يدرك خلالها أن فضيلته باطلة إن كان ضيؤها لا يتعدى جذران النفس البشرية ولا ينعكس على البشرية كلها ليغمرها بمعرفة الله^(٣).

وللمورخين مذاهب مختلفة في البحث عن أصول الحياة الرهبانية المسيحية، فمن قائل أن أصل الرهبنة المسيحية في البوذية الهندية، أو على الأقل في رسالته الأولى إليهم بقوله: «لأنني أريد أن يكون جميع الناس كما أنا، (أي أعزب) لكن لكل واحد موهبته الخاصة من الله، الواحد هكذا والآخر هكذا، ولكن أقول لغير المتزوجين وللأرمل أنه حسن لهم إذا لبثوا كما أنا.... إذن من تزوج فحسناً يفعل ومن لا يتزوج يفعل أحسن». وهكذا يبدو واضحاً أن التعاليم التي نادت بها المسيحية مضافاً إليها قصص النساك الأولين أمثال إيليا ثم حياة يوحنا المعمدان، هي التي ظهرت في شكل الحياة الرهبانية المسيحية الأولى في مصر^(٤).

اتفق عامة الكتاب في تاريخ الرهبنة على أن أصول النظام الرهباني المسيحي ظهرت لأول مرة في تاريخ مصر المسيحية خلال القرون الأولى من انتشار هذه الديانة في العالم المتمدن^(٥). وقد أشار سعيد عاشور إلى أن الرهبانية الديرية بدأت نشأتها في مطلع القرن الرابع الميلادي،

(١) مجلة الكرازة: السنة ٢٢، العددان ٣١، ٣٢، ١٣ مسرى ١٧١٠ ش / ١٩ أغسطس ١٩٩٤، ص ١٥؛ كامل

صالح نخلة وفريد ميلاد، خلاصة تاريخ المسيحية في مصر، ط ٣، د.م، القاهرة ١٩٩٦، ص ٨٧.

(٢) راهب: كلمة يقابلها باليونانية (موناخس)، وتعني (متوحداً) ومنها Moine بالفرنسية، Monk بالإنجليزية لمزيد من التفصيل انظر: عبد المسيح المسعودي، المرجع السابق، ص ١٧٨.

(٣) رسالة مارميना: الرهبنة القبطية، ط ٢، مطبوعات جمعية مارمينا العجايب، الإسكندرية ٢٠٠١م، ص ١٧٩-٢١٦.

(٤) حكيم أمين: المرجع السابق، ص ٤.

(٥) رسالة مارمينا: المرجع السابق، ص ١٧٩-٢١٦.

حيث انتشرت المسيحية في كل ربوع البلاد، وبدأت في بادئ الأمر حركة دينية مستقلة عن الكنيسة، ولكنها سرعان ما أصبحت جزءاً أساسياً من النظام الكنسي^(١) حتى إنها انتقلت إلى سائر أنحاء العالم المسيحي، على أيدي الراغبين فيها بحضورهم من دول أوروبا وآسيا وتسلمهم مبادئها وتعاليمها على أيدي الرهبان المصريين ونقلها لبلادهم؛ فكان لمصر فضل على العالم في معرفة الرهبة^(٢).

ولقد أسهمت عدة عوامل سياسية وجغرافية ودينية واقتصادية في انتشار الرهبة في مصر، ويتمثل العامل السياسي في نظره عابرة إلى حالة مصر السياسية منذ أوائل القرن الثالث الميلادي تكفي لادراك ما عانته المسيحية من دائب اضطهاد الأباطرة الرومانيين لها. وكان الاضطهاد الدائب عاملاً من عوامل انتشار الحياة الرهبانية، ففي عام ٢١٥م أمر الأمبرطور كاركالا الذي حكم من (٢١١ - ٢١٧م) بإعدام عدد كبير من أهالي الإسكندرية بسبب مسيحياتهم، وتكررت هذه التجربة الوحشية في عهود الأباطرة ديسيوس (٢٤٩ - ٢٥١م)، وجالوس (٢٥١ - ٢٥٤م)، وفاليريانوس (٢٥٢ - ٢٦٠م)، وجالينوس (٢٦٠ - ٢٦٨م). على أن أشهر نوبات الاضطهاد هو ما حدث في عهود الأباطرة دقلديانوس الذي حكم من عام ٢٨٤ إلى عام ٣٠٥م، وجالوريوس الذي حكم ما بين عام (٣٠٥ - ٣١١م)، ومكسيميانوس الذي حكم ما بين عام (٣٠٥ - ٣١٣م)؛ ففي ٢٩٧م حضر دقلديانوس بنفسه إلى مصر لاختاد حركة العصيان التي قام بها لوكيوس دوميتيوس القائد الروماني، وهو المعروف أيضاً باسم أخليوس، وانتهت هذه الحركة بما قام به دقلديانوس من عمل فظيع، إذ خرب جزءاً كبيراً من مدينة الإسكندرية.

ومع أن هذا العمل الفظيع أعاد الهدوء مؤقتاً إلى الإسكندرية، ومع أن دقلديانوس سعى إلى شراء ذمم بعض الوثنيين في مصر بما وزعه من القمح والعطايا كما دفعهم إلى إقامة العمود

(١) سعيد عبد الفتاح عاشور: أوروبا في العصور الوسطى، ج ١، ط ٥، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة ١٩٧٢، ص ١٧٢.

(٢) رءوف حبيب: الرهبة الديرية، المرجع السابق، ص ٣٥.

المعروف بعمود السواري، فإن انتشار المسيحية في مصر انتشاراً كبيراً دفع هذا الإمبراطور في أواخر أيامه إلى اضطهاد المسيحية وغيرها من الديانات الخارجة على الديانة الإمبراطورية. وصار أوج هذا الاضطهاد سنة ٣٠٣م حين أصدر منشوره المعروف الذي أمر فيه عماله بإبادة الكنائس، وحرق الكتب المسيحية، كما قرر فيه أيضاً حرمان المسيحيين من حقوقهم المدنية واستباحة دمائهم. ولم يكن منشأ ذلك كراهيته للمسيحية فحسب، بل إمعانا في أن يكون إخلاص الناس بقلوبهم وأجسامهم للإمبراطور والإمبراطورية دون غيرهما من القوي، وهو ما يعارض المبادئ المسيحية تمام المعارضة. وإذا اجتهد المسيحيون الذين اختاروا البقاء على دينهم أن يختفوا بعيداً عن عنف القوانين الرومانية الجديدة. وكانت الصحارى المصرية الفسيحة خير مكان لهؤلاء المسيحيين. ثم انتهت محنة الاضطهاد الروماني القديم عندما أصدر الإمبراطور قسطنطين الكبير مرسوم التسامح الديني من ميلان عام ٣١٣م، وهو يشق طريقة إلى العرش الإمبراطوري ليجذب إلى جانبه العناصر المسيحية، وبهذا المرسوم أصبحت الديانة المسيحية لأول مرة في تاريخها ديانة مسموحاً بها إلى جانب الديانات الأخرى، ولم يعد بحاجة إلى الاختفاء والعزلة في الصحراء^(١).

أما العامل الجغرافي في طبيعة مصر الجغرافية من حيث الأرض والمناخ، فهي تتمتع بالصحاري الواسعة - الصحراء الشرقية والغربية وشبه جزيرة سيناء - وكانت تلك الصحاري مأوى يلجأ إليه الرهبان والمتعبدون، هذا فضلاً عن مناخها المعتدل الذي شجع الراغبين في الرهبنة على الخروج من مدنها وقراهم والذهاب إلى الصحاري^(٢) ويصف أحد الرهبان ذلك في الأبيات التالية قائلاً:

(١) حكيم أمين: المرجع السابق، ص ٤-٥.

(٢) عبد المسيح المسعودي، المرجع السابق، ص ٢٨؛ رءوف حبيب: المرجع السابق، ص ٣٥.

أنا في البيداء وحدي	ليس لي شأن بغيري
لي جحر في شقوق التل	قد أخفيت جحري
وسأمضي منه يوماً	ساكناً ما لست أدري
سائحاً أجتاز في الصحراء	من قفر لقفر
ليس لي دير فكل البید	والآكام ديري ^(١) .

أما العامل الديني فإنه يتمثل في النظر إلى الرهبة على أنها نوع من الاستشهاد من خلال النسك وتحري أمانة الذات وهجرة الشهوات، بالإضافة إلى رغبة بعض الأفراد في البعد بأنفسهم عن المجتمع المليء بالمفاسد والنجاة منها^(٢) كما توجد إشارات في الكتاب المقدس تدعو إلى فكرة الرهبة نذكر منها قول السيد المسيح للشباب الغني: «إن أردت أن تكون كاملاً فاهب وبع كل أملاكك وأعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني»^(٣) وأيضاً قوله لتلاميذه: «إن أراد أحد أن يأتي ورائي فليترك نفسه ويحمل صليبه ويتبعني فإن أراد أحد أن يخلص نفسه يهلكها ومن يهلك نفسه من أجلي يجدها لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه»^(٤) وقوله في موضع آخر: «من أحب أبا أو أما أكثر مني فلا يستحقني .. ومن لا يأخذ صليبه ويتبعني فلا يستحقني ومن وجد حياته يضيعها ومن أضاع حياته من أجلي يجدها»^(٥)، كما أدى الاضطهاد الديني الذي تعرض له المسيحيون الأوائل من قبل الأباطرة الرومان خلال القرون الثلاثة الأولى للميلاد إلى فرار عدد كبير منهم للصحاري بدينهم حتى لا يتعرضوا للتعذيب^(٦).

وأما العامل الاقتصادي فإنه يتلخص في الأزمات الاقتصادية التي تعرضت لها مصر منذ أوائل القرن الرابع الميلادي؛ مما أدى إلى انتشار الفوضى وفرض الضرائب، وقسوة جامعيها وعدم قدرة البعض على تحملها ومن ثم هروبهم إلى التعبد في الصحاري^(٧).

(١) شنودة الثالث، البابا: انطلاق الروح، ط٦، مطبعة الأنبا رويس، القاهرة ١٩٨٦، ص ١٣٦.

(٢) يؤانس، الأنبا: مذكرات في الرهبة المسيحية، ط١، د.م، القاهرة ١٩٩١، ص ٦٧.

(٣) الكتاب المقدس: إنجيل متى، الإصحاح ١٩، آية ٢١، ص ٢٧.

(٤) نفسه: الإصحاح ١٦، آية ٢٤، ص ٢٤.

(٥) نفسه: الإصحاح ١٠، آية ٣٧-٤٠، ص ١٤.

(٦) نيفين عبد الجواد: المرجع السابق، ص ٤٩.

(٧) حكيم أمين: المرجع السابق، ص ٦-٧.

وقبل الظهور المحدد للرهبنة عاش عدد من النساك المعتزلين خارج المدن والقرى دون أن تربطهم أية قاعدة عامة، ودون أن يخضعوا لأية سلطة محددة ومارسوا النسك والعزلة فظهر المتوحدون الأوائل^(١) وبالرغم من قلة الوثائق والأصول عن العصر المسيحي العتيق نجد بعض الأمثلة التي تؤكد لوجود التعاليم الرهبانية في القرن الثاني الميلادي، ونذكر على سبيل المثال وليس الحصر في عهد الإمبراطور أنطونيوس بيوس (١٣٨-١٦١ م) نسمع عن شخص يدعي «فروتونيوس» يرحل إلى برية نتريا (وادي النظرون) وفي صحبته سبعون مسيحيًا ليعيشوا عيشة الرهبان، زاهدين في الحياة الدنيا وراغبين في التقشف والعزلة، كما يظهر ذلك في حياة القديسين (Acta Sanctirum) تحت تاريخ ١٤ إبريل؛ ويعلق العلامة والمس بدج على ذلك بأن تلك الحملة الرهبانية المنظمة لم تكن بطبيعة الحال إلا واحدة من حملات متعددة كانت تحدث تباعًا دون أن تسجلها الكتب المعاصرة، وأغلب الظن أن ذلك راجع لحدوثها في الخفاء بغير ضوضاء أو إعلان لأن الديانة الجديدة وأساسها إنكار الذات وعدم المباهاة بأمثال هذه الضروب من العبادة والتقشف كانت تحض الزهاد والمعتزلين أو الرهبان على الاحتفاظ بأعمالهم سرًا مكنونًا لا يعلمه إلا فاحص القلوب^(٢). ثم تطور نظام الرهبنة إلى عدة أنماط هي:

الرهبنة الانفرادية

وهي تسير على نظام التوحد والانفراد، حيث ينفرد الراهب في مغارة، يقضى حياته منعزلًا عن البشر، ويعتبر القديس «بولا»^(٣) الرائد الأول لمنهج الرهبنة الانفرادية وواضع نسق الحياة الرهبانية^(٤) وعلى الرغم من ذلك أخذت الرهبنة الانفرادية وضعها الثابت المعروف والشهرة

(١) إيفلين هوايت: المراجع السابق، ص ٢٢.

(٢) رسالة مارمينا: المرجع السابق، ص ١٨٣.

(٣) الأنبا بولا: ولد في عام ٢٢٨ م من أبوين موسرين وتثقف بثقافة عصره المزوجة وهي الثقافة الإغريقية والمصرية، ودرس أصول المسيحية التي تعلق بها. وعندما مات أبوه وهو في السادسة عشرة من عمره، تولى الوصاية عليه زوج أخته والذي حاول التخلص منه بتسليمه للسلطات الرومانية ليأخذ ميراثه، وتأثر برؤية جنازة أحد الأثرياء الذي لم يأخذ معه شيئًا وهو في طريقة للقبر وأدرك أن ما ينفعه هو أعماله الصالحة، فترك متاع الدنيا وتوغل في صحراء مصر الشرقية، حيث أقام في مغارة مكانها الآن دير الشهيرة باسمه وما زالت حتى الوقت الحالي، لمزيد من التفصيل انظر: شنودة الثالث، البابا، الأباء السواح، الكلية الإكليريكية، القاهرة، ١٩٩٦ م، ص ١٥-١٩.

(٤) متى المسكين: الرهبنة القبطية عصر القديس الأنبا مقار، المرجع السابق، ص ٤٥.

العالمية الزائعة الصيت على يد الأنبا أنطونيوس^(١) في القرن الثالث الميلادي حيث تطورت تطورها التاريخي حتى أطلق عليها المؤرخون ذلك الاسم الذي أسبغوه عليها وهو "الرهبة الأنطونية" نسبة إليه، وكان هذا الدور بلا شك هو الخطوة البارزة حقاً من تاريخ الرهبة المصرية بشكلها المألوف، لأن ما سبق ذلك لا يمكن اعتباره إلا مقدمات ارتجالية مهدت لهذا النظام الجديد^(٢).

الرهبة الأنطونية

يمكن القول بأن هذا هو الدور الحق من أدوار تاريخ الرهبة المصرية بشكلها المألوف لأن ما سبقه في الواقع يجب اعتباره بمثابة مقدمات مرتجلة مهدت لهذا النظام الجديد، وإن كانت هذه الأدوار الأولى متداخلة بعضها في بعض، لا نستطيع رسم مسارها بدقة شأن الأنظمة والحركات التي تنمو نموًا طبيعيًا حسب الظروف والأحوال. ولب الرهبة الأنطونية في عهدها الأول كان ينطوي على العزلة الفردية التامة، وإستغراق الراهب في الزهد، ومبالغته في التقشف والصوم وتعذيب الجسد لخلاص الروح. وربما كانت حياة القديس أنطونيوس ذاتها من أبلغ المثل لهذا النوع من الرهبة، وقد كتب عنها في تفصيل القديس أثناسيوس الأول (٣٢٨-٣٧٣م) البطريك رقم (٢٠) لمدينة الإسكندرية وأسقفها الذي كان يتزاور معه وعلم الشيء الكثير عنه.

(١) الأنبا أنطونيوس (٢٥١-٣٥٥م): ولد في عام ٢٥١م، في قمن العروس بمحافظة بني سويف، من أبوين مسيحيين على درجة عالية من الشراء والغنى، وتعلم من أبيه فضائل المسيحية، وعندما توفي أبوه وهو في الثامنة عشرة ترك له ميراثاً عبارة عن مزرعة مساحتها ٣٠٠ فدان وأختاً صغيرة يقوم على رعايتها وتربيتها، فباع كل أملاكه ووزعها على الفقراء، بعد أن أعطى أخته نصيبها، وتوجه بها إلى أحد بيوت العذارى القبطية وأوصى بها رئيسه لكي تراعيها كابنة لها، وبعدها توجه للبرية الشرقية للتعبد والصلاة، وتنيح في عام ٥٥٥م وعمره ١٥٠ عاماً لمزيد من التفصيل انظر: السنكسار القبطي: سير الشهداء والقديسين في الكنيسة القبطية، ج ١، مكتبة مارجرجس شيكولاني شبرا، القاهرة ١٩٨٨، ص ٣٠٢؛ شنودة الثالث، البابا: تأملات في حياة القديس أنطونيوس، ط ٨، مطبعة الأنبا رويس، القاهرة ١٩٨٠، ص ٢١-٢٨.

(٢) رءوف حبيب: المرجع السابق، ص ٣٧.

وفي نظام الرهينة الأنطونية يتجمع الرهبان المتوحدون في قلايات^(١) منفردة متقاربة لكنها منفصلة، ولا يتجمعون معاً إلا في المناسبات للخدمة الإلهية أو المناظرات الروحية^(٢). يتجمعون حول مثلهم الأعلى القديس أنطونيوس وينسجون على منواله، حتى أن الصحراء أصبحت تعج بجماعاتهم في جبالها الشرقية. والحقيقة التاريخية أن النظام الأنطوني ظل في أساسه نظاماً فردياً، أساسه العزلة والتقشف والصوم، لأن تعذيب الجسد والحرمان كان في نظرهم الوسيلة المؤدية لنجاة النفس وخلص الروح وكان الإخوة أتباع أنطونيوس يتنافسون في هذا الميدان، إلى حدود تفوق الحسبان.

على أية حال، لم يستمر نظام العزلة التامة الذي زواله هؤلاء الجبابرة من المتوحدين حيث كان مصيره الطبيعي أن يتطور تطوراً بطيئاً إلى نوع من الرهينة الاجتماعية المخففة لمجابهة الصعاب المادية والروحية التي كانوا يتعرضون لها في تلك القفار، وأخذت بوادر هذا التطور رويداً رويداً حتى في حياة القديس أنطونيوس ذاته^(٣).

الرهينة الاجتماعية

تعتبر الرهينة الجماعية طبقاً لكلمة Collective Eremitism الدور الثاني في تطور الأنظمة الرهبانية المسيحية المصرية، وهي المرحلة المتوسطة بين التعاليم الأنطونية الأولى وقوانين الديرية الباخومية. ولا شك أن هذا التطور كان أمراً إنسانياً طبيعياً في الظروف القاسية التي كانت تحيط بالمتوحدين الذين عمدوا إلى انتزاع أنفسهم انتزاعاً كاملاً من كل الصلات البشرية، ولم يحسبوا للمخاوف والأخطار التي كانت تهددهم أي حساب. فمن الناحية المادية وجدوا أنهم يعيشون في صحراء جرداء تندر فيها ينابيع الماء، وتكاد تكون خلواً من موارد الغذاء، ولا بد لهم من

(١) قلايات: مفردتها قلاية وهي مسكن الراهب وتتكون من حجرتين، الخارجية للمعيشة، والداخلية تسمى المحبسة؛ وهي مخصصة للعبادة، لمزيد من التفصيل انظر: متاؤس، الأنبا، سمو الرهينة، ط ٤، لجنة التحرير والنشر بمطرانية بنى سويف، ٢٠٠٠، ص ٣٤١؛ انظر شكل رقم ١٨.

(٢) نيفين عبد الجواد: المرجع السابق، ص ٥١-٥٢.

(٣) رسالة مارمينا: المرجع السابق، ص ١٨٨.

الارتحال أميلاً عدة لكي يحصلوا على ما يسدد رمقهم من الأكل والمشرب مهما كان قليلاً، فإذا نزلت بأحدهم نازلة المرض وعجز عن التنقل، كان مصيره الموت المحقق، ثم إن الصحراء إلى جانب ذلك كانت تجوس جنباتها الحيوانات الضاربة، ويجوب أكنافها قطاع الطرق من أهل البادية وأنصاف المتوحشين، وكلاهما لا تعرف الرحمة لقلبه سبيلاً. أما من الناحية الروحية فقد كان المتوحدون ولا سيما البادئون منهم في سلم الرهبة يتعرضون لأزمات نفسية عنيفة تودي بكيانهم المعنوي، فكفروا بكل شيء وعادوا إلى المدينة يعيشون فيها عيشة غير طبيعية بعد أن قضوا أعواماً في جوف الصحراء على الكفاف وقتل الغرائز الإنسانية والتكشف والتأمل والصراع مع أنفسهم، ونذكر من بين هؤلاء فالنس Valens الفلسطيني وبطليموس المصري^(١).

كان إذن من الطبيعي لهؤلاء المتوحدين أن يفكروا في التخفيف من عزلتهم بعض الشيء تدفعهم لذلك الغريزة البشرية لحب البقاء، فأخذوا في تركيز صفوفهم في مناطق معينة حول الشخصيات الكبرى من الآباء الروحيين، ليتلمذوا على أب لهم في الروح أشتهر بالقداسة والعلم بأصول الديانة والتفقه في الكتب المقدسة، ويسترشدوا بتعليمه ويتشبهوا به في قدسيته؛ وإن كان كل منهم ما زال يحافظ على حياة التوحد التي وهب نفسه لها في مغارته أو قلايته دون أن يتعرض له جاره، أو يقطع عليه أحد زملائه حبل التفكير والتأمل والعبادة. ولكن مغاورهم وقلايتهم كانت قريبة بعض القرب من بعضها، تقوم حول قلاية أبيهم الروحي. وبهذه القربى أيضاً يتغلبون على الصعاب المادية التي كانت تواجههم، فإذا ما نزلت بأحدهم نازلة المرض أو كارثة غير منظورة، كان له من جيرانه من الأخوة عون في الشدائد والنوازل. وهم في نفس الوقت يجتمعون إلى أبيهم الروحي بين آونة وأخرى ليشدو آزرهم، ويحسن توجيههم، ويساعدهم في التغلب على ذلك أزماتهم النفسية. وهناك عامل آخر دفعهم إلى هذه الحياة الاجتماعية المخففة، وهو الاضطهادات الدينية التي كانت الحكومة الإمبراطورية تثيرها ضد المسيحيين للقضاء عليهم. فنجد أن المتوحدين بعد اضطهادات ديسوس ودقلديانوس

(١) رسالة مارمين: المرجع السابق، ص ١٨٩.

على وجه أخص يجمعون صفوفهم عند اللزوم للدفاع عن أنفسهم، ومهما يكن من أمر هؤلاء الرهبان المسالمين، فإن كثرة أعدادهم - وقد بلغت الألوف المؤلفة - وهم مسلحون بعصيمهم الثقيلة إنما كانوا يكونون جيشاً لا يستهان به، ولا تستطيع أي حكومة أن لا تقيم لخطرهم على عمالها أي وزن^(١).

وأهم المناطق التي تركزت فيها جماعات الرهبان بصحارى مصر الشرقية والغربية فيما يلي:

١ - منطقة بسبير Pispir

كانت أولى هذه الجامعات جماعة القديس أنطونيوس في الصحراء الشرقية في «بسبير» Pispir^(٢). وهي المنطقة التي بدأ فيها القديس أنطونيوس حياته الرهبانية الأولية، فبعدما أخذ من انتقل بعد ذلك إلى جبال البحر الأحمر، فبدأ يأخذ من الله مباشرة، وبالتأكيد تبعه من بسبير عدد هائل من الرهبان الذين اجتذبتهم شخصيته فسعوا إلى التلمذ على يديه لتعلم التعاليم الروحية السليمة، وفي شيخوخته بلغوا الألوف، وقد ذكر المتنيح قداسة البابا شنودة الثالث عن القديس أنطونيوس قائلاً: «إنه أب لطريق، بل لأصعب طريق، طريق الموت عن العالم طريق التجرد الكامل عن كل شيء»^(٣).

٢ - منطقة جبل نتريا

منطقة جبل نتريا^(٤) أو وادي النطرون وكانت تعرف أيضاً باسم برية شيهيت التي ذهب إليها المتوحدون منذ أقدم العصور المسيحية في القرنين الثاني والثالث، ويروي الكاتب بلاديوس الذي زار هذه المنطقة حوالى عام ٣٩١م أنه وجد هناك خمسة آلاف راهب يعيشون مع بعضهم

(١) نفسه: ص ١٩٠.

(٢) بسبير: ومكانها الآن دير الميمون: وتتبع مركز الواسطى بمحافظة بني سويف، لمزيد من التفصيل انظر:

محمد رمزي، ق ٢، ج ٣، المرجع السابق، ص ١٢٨؛ متى المسكين: المرجع السابق، ص ٢٥.

(٣) شنودة الثالث، البابا: تأملات في حياة القديس أنطونيوس، المرجع السابق، ص ١٤-١٨.

(٤) مدينة نيتريا: تعرف باسم البرنوج وتقع في محافظة البحيرة على بعد ١٤ كم جنوب مدينة دمنهور، وهي

المستوطنة التي أسسها القديس «أمون»، إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص ٥٦. انظر الشكل رقم ٧.

مثنى وثلاثاً وفي جماعات صغيرة، غير ستمائة ناسك يعيشون فرادى داخل الصحراء. وكانت هذه المنطقة تنقسم إلى ثلاث مراكز رهبانية: أولها جبيل نتريا Nitria، وثانيهما «سيليا» Cellia أو القلاي^(١). وثالثهما الأسقيط Scetis^(٢) على التوالي من الشمال إلى الجنوب بانحراف صوب الشرق قليلاً.

ويرجع الفضل في تأسيس الجماعة الأولى إلى رئاسة القديس «أمون» الذي نزح إلى تلك المنطقة عام ٣٢٥م، بعد أن عاش ثمانية عشر سنة في منزل الزوجية بالإسكندرية، وقصة زواجه قسراً وإقناعه زوجته أن تحيا معه حياة التبتل والعبادة سرّاً طوال هذه الفترة، أما المركز الثاني فقد نشأ حول القديس أبي مقار الكبير (مكارىوس السكندري)^(٣) في فجر القرن الرابع الميلادي، ويذكر أنه مال إلى صحراء مريوط إلى أن استقر في جهة القلاي وعرفت بهذا الاسم؛ لأن تلاميذه تكاثروا حواله وبنى كل منهم لنفسه قلايته في جواره ليتلمذوا عليه، وقد اشتهر أبو مقار بسبقه المضطرب لغيره من النساك في ضروب التقشف وتعذيب النفس وإنكار الذات حتى أصبح لا يتناول من الطعام أكثر من ثلاث أو أربع أوقيات من الخبز الجاف ومن الماء ما لا يربو عن حاجته في ابتلاع هذا الكفاف، وكان يعرض نفسه لشمس الصحراء المحرقة، ويمنع نفسه من النوم يقضى طوال ليله في العبادة، فلما اكتظت القلاي بالرهبان من حواله هجرها إلى المركز الثالث وهو الأسقيط أو شيهيت، وكان أشد وعورة من سابقة إلى هنالك عدد محدود من تلاميذه المقربين له والمعجبين به^(٤). وكان هؤلاء الرهبان في الأسقيط يعيشون

(١) سيليا: تقع على بعد حوالي ١٦-١٩ كم جنوب نيتريا (أي أنها تقع بين الأسقيط ونيتريا)؛ إيفلين وايت: المرجع السابق ص ٣٨.

(٢) الأسقيط: تبعد عن منطقة سيليا أو القلاي بنحو ٥٠ كم إلى الجنوب والجنوب الشرقي وتبعد عن جبل نيتريا بحوالي ٧٢ كم؛ نفسه، ص ٤٤-٤٧؛ أنطونيوس الدويري: المرجع السابق، ص ٢١.

(٣) القديس مكارىوس الكبير: عاش في الفترة (٣٠٠-٣٩٠م) وكان أول من كون الجماعات الرهبانية في الأسقيط، وبدأ توحيده في نيتريا عام ٣٣٠م، وتقابل مع القديس أنطونيوس عام ٣٥٢م، وعرف بـ«أبو رهبان برية شيهيت»، ولمزيد من التفصيل انظر: السنكسار القبطي، حوادث ٢٧ برمها، ج ٢، المرجع السابق، ص ٨٦-٨٧.

(٤) رسالة مارمينا: الرهبة القبطية، المرجع السابق، ص ١٩٠-١٩١.

حياة الوحدة كاملة حيث وصف لنا روفينوس: «هذه البرية السحيقة حيث يبقى كل راهب في قلايته بمفرده. وحيث هناك صمت هائل وسكون عظيم»^(١).

٣- منطقة البهنسا

وهي التي كانت تعرف في العصر الروماني باسم أوكسيرنكس Oxyrhynchus في الصعيد الأوسط على مسافة ١٢٥ ميلا جنوب القاهرة، كانت من المستعمرات أو المدائن الرهبانية الكبرى ولا تزال إلى يومنا هذا مصدراً من المصادر الرئيسة للآثار القبطية الرومانية. وجاء وصفها في تاريخ الرهبان المنسوب إلى هيرونيμος أنها كانت تعج بجماعات الرهبان، في داخلها خمسة آلاف، وفي خارجها خمسة أخرى، يستمع الزائر إلى أصوات العبادة والتراتيل الدينية بها وهي تملأ عنان السماء أثناء الليل وأطراف النهار، وأعجب من ذلك كان بها أسقف في رعاية عشرين ألف راهب من العذارى، وربما هذا التقدير يزودنا بفكرة عما وصلت إليه الحركة الرهبانية في القرون الأربعة الأولى من تاريخ المسيحية في مصر^(٢).

٤- منطقة ليكوس lycus

وتقع منطقة ليكوس بالقرب من أسيوط وقد أمها خلق عظيم اجتذبتهم إليها العجائب التي كان يصنعها الناسك يوحنا النجار المولود عام ٣٠٥م، والذي نزع للزهد في جبل ليكوس عام ٣٣٠م حيث أقام إلى أن مات سنة ٣٩٤م. وقد اشتهر بين معاصريه بنعمة التنبؤ بالغيب وصنع المعجزات حتى ذاع صيته في أقصى المسكونة، وسعى إلى الأخذ بمشورته أناس من جميع الطبقات^(٣). وكان من بينهم الإمبراطور ثيودوسيوس الأول (٣٤٧-٣٩٥م) آخر إمبراطور للإمبراطورية الرومانية الموحدة حديث انقسمت الإمبراطورية الرومانية إلى شطرين بعد وفاة^(٤). ومن ضروب الزهد التي كان يمارسها القديس يوحنا أن عاهد نفسه ألا يتناول من الطعام ما كان مطبوخاً على النار بما ذلك الخبز، فكان زاده قاصراً على الأعشاب المجففة^(٥).

(١) هستوريا موناخورم: المرجع السابق، ص ١١.

(٢) رسالة مارمينا: المرجع السابق، ص ١٩٢.

(٣) نفسه: ص ١٩٣.

(4) <https://ar.wikipedia.org/wiki/>.

(٥) رسالة مارمينا: المرجع السابق، ص ١٩٣.

٥ - منطقة أنتينوى (Antinoé)

تقع مكانها قرية الشيخ عباده على ضفة النيل الشرقية، وهي التي زارها الرحالة بلاديوس ما بين عام ٤٠٦ وعام ٤١٢ م، وقضى بها أربعة أعوام كاملة يتنقل في أرجائها نظرًا لكثرة من سكنها من النساك، ففي حدود المدينة وجد اثني عشر ديرًا عامرة بالراهبات، وخارجها آلاف ومائتي راهب دائبين في الأعمال اليدوية لسد حاجاتهم المعيشية، وعائشين عيشة الزهد والنسك والتبتل والقناعة. ويذكر هيرونيوموس أن صحراءها المقفرة كانت تأوي رجل قديس اسمه إيليا بلغ من العمر مائة وعشرة سنة قضى هنالك منها سبعين عامًا متوحدًا يقتات على ثلاثة درهم من الخبز وثلاث زيتونات يوميًا، وقيل إنه في صباه كان يكتفي بأكلة واحدة كل أسبوع^(١).

كما كانت تجمعات رهبانية أخرى بالصعيد منها جماعة تحت رئاسة القديس «بلامون» قرب «طبانسي»^(٢) وقرب مدينة الإسكندرية^(٣).

الرهبنة الباخومية

تعتبر الرهبنة الباخومية ثالث نمط لتطور الحياة الرهبانية في مصر، وهي التي اصطلحوا على تسميتها بحياة الشركة وياشرها جماعة من الرهبان وليس راهبًا واحدًا، وتُعرف أيضًا باسم «ديرية جماعية»^(٤) وصاحب هذا النوع هو القديس باخوم «٢٩١ - ٣٤٦»^(٥) الملقب «بأبي الشركة» وهو الذي أسس أول دير في طبانسي بمحافظة قنا عام ٣١٨ م ونظم حياة الرهبان في

(١) نفسه.

(٢) طبانسي: وتعرف باسم طبانة وهي جزيرة في النيل بها دير القديس باخوميوس كان بها رهبنة مزدهرة، وتابعة لمحافظة قنا، لمزيد انظر: متاؤس، الأنبا: المرجع السابق، ص ٢٨٩.

(٣) نيفين عبد الجواد: المرجع السابق، ص ٥١-٥٢، انظر شكل رقم ٥.

(4) W. H. Mockean: Christian Monasticism in Egypt, London, 1914, PP 91- 92.

(٥) القديس باخوم: ولد في ٢٩٠ م بعزبة كينوبوسكيون Kenobaskion في طيبة، ومكانها الآن بلدة قصر الصياد بمحافظة قنا، وهو من أبوين وثنيين ثريين، عندما بلغ العشرين من عمره تطوع في الجيش الروماني، وتعرف على المسيحية وهو في الخامسة والعشرين من عمره، ثم مال إلى حياة الزهد والنسك، وتعلم على يد الأنبا بلامون، وسرعان ما شيد أول دير قرب دندرة ليجمع الرهبان على أساس الشركة، لمزيد من التفصيل انظر: السنكسار القبطي، حوادث ١٤ بشنس، ج ٢، المرجع السابق، ص ٢١٥-٢١٧.

شكل جماعي بحيث يعيش الجميع داخل دير واحد ويخضعون لقوانين ونظم معينة، وشعارهم الزهد، والتبتل، والطهارة، والشراسة في المسكن والمأكل والعمل والصلاة^(١) ويبدو أن تربية باخوم العسكرية جعلت منه ديريا صارماً^(٢).

على أية حال، رهبنة الشركة التي أسسها القديس باخوميوس «أب الشركة في صعيد مصر» انتشرت في العالم حيث يجتمع مئات الرهبان في دير، وأحياناً آلاف تحت قيادة أب يخضعون لقوانين معينة. ويشترك الكل في الطعام والعبادة ويقوم كل راهب بعمل يوكل إليه في نظام دقيق محدد. وكان يسمح لقلة قليلة جداً أن تنطلق من نظام الشركة إلى نظام التوحد، يعيشون حول الدير، كل له قانون دون التزام بنظام ديرى معين. غاية هذا النظام هو أن النظامين السابقين لا يناسبان الجميع. لقد وضع باخوميوس تنظيمًا دقيقًا لنظامه الرهباني، ويشير «بالاديوس» إلى الستة قوانين المنحوتة على اللوح النحاسى الذي تسلمه القديس باخوميوس من ملاك الله ويقول «سوزومين» إن اللوح كان محفوظاً^(٣).

نستطيع أن نلخص هذه القوانين في النقاط التالية:

- ١- اسمح لكل شخص أن يأكل ويشرب حسب قوته؛ وعلى قدر قوة الآكلين تحدد أعمالهم. لا تمنع أحدا من الصوم أو الأكل. على أي الأحوال، حدد الأعمال التي تحتاج إلى مجهود للأقوياء، أما الضعفاء والنساء، فقدم لهم الأعمال التي يمكن للضعفاء القيام بها.
- ٢- أقيمت عدة قلالٍ في مبنى واحد، كل ثلاثة رهبان يسكنون قلاية، ويتناول جميع الرهبان الطعام في مبنى واحد.
- ٣- عدم النوم حيث لا يرقدون بالكامل، إنما يضطجعون وهم جلوس على كراسي مريحة بسيطة ويتغطون ببطانية.

(1) W. H. Mockean: Op. Cit. PP. 9192-.

(٢) متى المسكين: المرجع السابق، ص ٤٩-٥٠.

(٣) تادرس يعقوب ملطي، القمص: القديس باسيليوس الكبير، الرهبنة والنسك والحياة الفاضلة، ج ٢، كنيسة الشهيد مارجر جس سبورتنج، الإسكندرية ٢٠١٢م، ص ١٤.

٤- يرتدون في الليل أثوابا بلا أكمام ومنطقة، ولكل واحد منهم عباءة من جلد الماعز، لا يأكل أحد إلا وهو مرتديها. وعندما يشتركون في الصلاة والتناول أيام السبت والآحاد، فليخلوا مناطقهم ويلفوا العباءة الجلدية وليدخلوا بالقلنسوة وحدها.

٥- تقسم الجماعة إلى ٢٤ قسماً، كل قسم يميز بأحد الحروف اليونانية، فيكون لكل قسم حرف مناسب لسلوكه وعاداته. فالاسم «يوتا» يلقب به البسطاء، والقسم «زيتا» أو إكسي «للملتوين»، وأسماء الحروف الأخرى تختار حسب الغرض بما يناسب شكل الحرف.

٦- إذا جاء شخص غريب من دير آخر له نظام مغاير، فلا يأكل معهم ولا يشرب، ولا يدخل حتى الدير، إلا إذا كان قد جاء في رحلة حقيقية (أى قادم في عمل جاد) ^(١).

أما فيما يتعلق بشأن الرهبة في وادي النطرون فقد كانت لها قدسية خاصة في المسيحية بدأت مع ظهور المسيحية وذلك بمرور العائلة المقدسة فيه أثناء هروبها من وجه هيرودس ومباركة الطفل يسوع لأركان هذا الوادي ^(٢) فهرع إليها العديد من المتوحدين منذ العصور الأولى للمسيحية ^(٣).

وقد بدأت الرهبة في وادي النطرون في قلالٍ صغيرة منقورة في التلال والصحراء في أول أمرها، كما نشأت غالباً في جميع أنحاء القطر المصري عامة، وكانت تلك القلايا متقاربة وتمارس معيشة فردية ثم أملت الظروف الطبيعية على ملتجئ تلك القلايا من النساك ضرورة العمل على التجمعات المقاربة تدريجياً إلى أن تمت فكرة التجمع بعد ذلك داخل الأديرة بقصد حماية الرهبان والدفاع عنهم عندما بدأت الغارات العدائية ^(٤) عليهم من البدو ^(٥).

(١) تادرس يعقوب ملطي، القمص: المرجع السابق، ص ١٥.

(٢) مجلة الكرازة: السنة ٢٩، العددان ٥، ٦، ٢ أُمشير ١٧١٧ش / ٩ فبراير ٢٠٠١، ص ١٨؛ ساويرس بن

المقفع: تاريخ البطارقة، ج ١، معهد الدراسات القبطية، القاهرة، د.ت، ص ١١٨.

(٣) حكيم أمين: المرجع السابق، ص ٣٤؛ انظر شكل رقم ٩.

(٤) لمزيد من التفصيل انظر: سمير وديد جرجس، هجمات البربر على وادي النطرون ونتائجها، مطبعة كامل، البحيرة، ٢٠٠٣م، ص ٦٧.

(٥) هستوريا موناخورم: المرجع السابق، ص ٣٥.

على أية حال، بنهاية القرن الرابع الميلادي - وبالتحديد عام ٣٩٩م - كان في وادي النطرون أربعة تجمعات رهبانية كل منها قائم بذاته وإدارته، ولقد تكونت أولى هذه الجماعات الرهبانية في منطقة القلاي (سليلا) حول قلاية أمون^(١) وتكونت بعد ذلك جماعة القديس «مكارىوس» في «بترا»^(٢) بالقرب من دير الأنبا مقار العامر في الفترة من (٣٨٤-٣٩٠م)، ثم تكونت جماعة حول قلاية القديسين «مكسيموس ودوماديوس» حوالي سنة ٣٣٤م، وفي المدة التي تقع بين عام (٣٧٥ - ٣٨٥م) تكونت جماعة كل من يوحنا القصير والأنبا بشوي في وسط شيهيت، وهذه التجمعات الأربعة كان لكل منها مجموعة من القلاي وكنيسة في الوسط لها كاهن أعظم، تطورت وكونت الأديرة الحالية^(٣).

والحقيقة التاريخية أن الدير الوحيد حاليًا الذي ينفذ الحياة الرهبانية الأنطوانية هو دير القديس الأنبا مقار، أما باقي الأديرة وهي دير البرامواس والأنبا بيشوي والسريان؛ فهي تجمع ما بين تعاليم القديس أنطونيوس والقديس باخوميوس، وخاصة منذ عهد المتنيح قداسة البابا شنودة الثالث (١٩٧١-٢٠١٢م)^(٤).

(١) أنطونيوس الدويري: المرجع السابق، ص ٢١.

(٢) يترا: أي المكان المرتفع، وتقع هذه الصخرة في المكان الذي سكنه مكارىوس الكبير عند وصوله إلى برية شيهيت، ودفن بها بعد انتقال مكسيموس ودوماديوس ابني الإمبراطور قائلتيان، لمزيد انظر: هستوريا مونا خورم: المرجع السابق، ص ١٣٤ - ١٣٥.

(٣) عبد المسيح المسعودي، القمص: المرجع السابق، ص ٢٤.

(٤) البابا شنودة الثالث (١٩٧١-٢٠١٢م): هو البطريرك (١١٧) اسمه العلماني، نظير جيد روفائيل، وقد ولد في ٣ أغسطس ١٩٢٣م، بقرية سلام التابعة لمحافظة أسيوط، وتلقى تعليمه الأولى الابتدائي والإعدادي، بمدارس عديدة من مدن مصر بسبب طبيعة عمل أخيه الأكبر التي فرضت عليه الانتقال من مكان لآخر، فهو الذي تولى تربيته بعد وفاة والديه، والتحق بالمرحلة الثانوية بمدرسة شبرا الثانوية، ثم التحق بجامعة الملك فؤاد الأول (جامعة القاهرة حاليًا) وتخرج في قسم التاريخ، في عام ١٩٤٧م، وكان خادماً في مدارس الأحد، ثم التحق بكلية الضباط الاحتياط بسلح الإشارة بالقوات المسلحة، وفي أواخر منتصف القرن العشرين ذهب للرهبنة بدير السريان بوادي النطرون، وتمت رسامته راهباً، ثم أسقفًا للتعليم العام، ثم بطريركاً في ١٤ نوفمبر ١٩٧١م، وتنيح (توفي) في يوم السبت الموافق ١٧ مارس ٢٠١٢م، بعد أن قضى على الأرض نحو ١٤ يوم و٧ شهور و٨٨ سنة، وودعته مصر في ٢٠ مارس ٢٠١٢م في مشهد أسطوري، إلى مثواه الأخير، حيث دفن في مزار خاص بدير الأنبا بيشوي بوادي النطرون، والحزن يجيم على أقباط مصر ومسلميها، وقد سبقت الإشارة إلى علاقته بالسلطة الحاكمة في متن الدراسة، فقد لعب دور دينيًا

وسياسيًا خلال فترة وجوده، حيث عاصر ثلاث قيادات سياسية تتولى السلطة الحاكمة، فعاصر الرئيس «أنور السادات» (١٩٧٠-١٩٨١م) والرئيس «محمد حسنى مبارك» (١٩٨١-١١ فبراير ٢٠١١م) وأيضًا المشير «محمد حسين طنطاوي» رئيس المجلس الأعلى للقوات المسلحة ما بين (فبراير ٢٠١١م - ١٧ مارس ٢٠١٢م). والأخير هو الذي صدق على منح الأقباط إجازة لمدة ثلاث أيام تبدأ من يوم ١٨ مارس ٢٠١٢م حتى يوم ٢٠ مارس ٢٠١٢م، لكي يتمكن الأقباط من وداع البابا، وأيضًا تولى الجيش تأمين وتنظيم جنازته، أما حياته العملية بالإضافة إلى مهام البطريك، عمل مدرسًا بالكلية الكليريكية، وكان أول أسقف للتعليم المسيحي، ويمتلك موهبة نظم الشعر، وله العديد من القصائد الشعرية، وأيضًا النسخ فترك لنا مخطوط عن الرهبنة وقيمة كبيرة، وهو صاحب مقولة: «مصر وطن يعيش فينا وليس وطنًا نعيش فيه»، ومن بين كتاب جريدة الجمهورية والأهرام اليومية، كما أنه جاهد في الخدمة ورعاية شعبه، ونشر الكرازة في شتى بقاع المسكونة. وفي أواخر القرن العشرين نال مكانة كبيرة لدى المسلمين على مستوى مصر والعالم العربي لمواقفه الوطنية البارزة، نذكر منها على سبيل المثال رفضه التطبيع مع إسرائيل، وزيارة القدس إلا مع المسلمين، وإيمانه التام بالحقوق المشروعة للفلسطينيين، فلقبوه بـ (بابا العرب). وقد ساهم في تقوية جسور المحبة بين المملكة العربية السعودية ومصر، فزارته الأميرة «بسمة آل سعود» البابا لدعوته للمشاركة في الهيئة الدولية التي تنظمها لمساعدة الشعوب خاصة المرأة والطفل، وأعربت عن سعادتها بزيارته ووصفته إياه، بأنه بابا العرب ومصر، كما حرص سفير السعودية لدى مصر «أحمد قطان» على التواصل الدائم مع البابا. وبعد رحيله نعته كل من السعودية، والإمارات والسلطة الفلسطينية وبعض الدول الأخرى، في تقديم واجب العزاء بالكاتدرائية المرقسية بالقاهرة. وحصل المتنيح قداسة البابا شنودة على العديد من الشهادات الجوائز والأوسمة من شتى دول العالم نكر على سبيل المثال وليس الحصر، فنال العديد من شهادات الدكتوراه الفخرية، ففي مجال العلوم الإنسانية حصل شهادتي دكتوراه في عام ١٩٧٧م من جامعة بلوفيل، وجامعة سان بيتر في عام ١٩٧٧م بالولايات المتحدة، وفي مجال العلوم اللاهوتية حصل على شهادتين دكتوراه من جامعة سان فانسان بيتسبرج، في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٨٩م ومن جامعة بون بألمانيا عام ١٩٩٠م، وشهادتين عام ٢٠٠١م من جامعتي تورث بارك بشيكاغو، ونوشاهاوس عام. وأيضًا حصل من الأمم المتحدة على جائزة اليونسكو للحوار والتسامح الديني؛ وجائزة القذافي لحقوق الإنسان، كما منحت جامعة القاهرة في عيد العلم شهادة تقدير ودرع الجامعة في ١٨ يناير ٢٠٠٤م. انظر: وثائق دير السريان، الملف الشخصي، سنوات مختلفة ما بين (١٩٥٤-٢٠١١م)؛ مخطوط طقس رسامة الراهب المستعمل بدير السريان تنقيح ونسخ الراهب، أنطونيوس السرياني (قداسة البابا شنودة الثالث) البطريك ١١٧، المتنيح في ١٧ مارس ٢٠١٢م د.ت؛ جريدة الأهرام ١٨ مارس ٢٠١٢م؛ ماجد عزت إسرائيل، مقال بعنوان «صورة مشرفة للمجلس العسكري في جنازة البابا شنودة الثالث» موقع الأقباط متحدون، بتاريخ ٢١ مارس ٢٠١٢م؛ نفسه، مقال بعنوان «في ذكرى رحيله.... مكانة البابا شنودة عند العرب والمسلمين!» جريدة الدستور، ١٦ مارس ٢٠١٥م؛ مصطفى الفقى، مقال بعنوان «الفقى خزائن واسرار البابا من أجج خلافه مع السادات ومتى قال لمبارك: لا يا سيادة الرئيس؟ جريدة الأهرام بتاريخ ٢٠ مارس ٢٠١٢م! مجلة الكرازة، خبر بعنوان «درع جامعة القاهرة وشهادة تقدير لقداسة البابا» السنة الثانية والثلاثون، العددان: الثالث والرابع، بتاريخ ٢١ طوبة ١٧٢٠ ش/ ٣٠ يناير ٢٠٠٤م، ص ٣.

طقس الرهينة:

لم يكن هناك بد من أن تتوافر مجموعة من الشروط في الشخص الراغب في الرهينة، منها أن يوقن بأن الرهينة هي أسلم الطرق المناسبة لخلاص نفسه وخيره الروحي والنفسي، وأن يكون لديه ميول واستعداد لحياة البتولية^(١) والزهد وعدم التعلق بالأموال والمناصب والمراكز والصيت والشهرة وروابط اللحم والدم مع الأهل والأقارب والأصدقاء مفضلاً التأمل والصلاة والصمت والهدوء وقلة الحركة وعدم الاختلاط كثيراً مع الناس وتضييع الوقت في الكلام والحكايات غير النافعة^(٢).

كما لا بد أن يتوفر في الشخص الراغب في الرهينة استعداد له للاحتمال والصبر وسعة الصدر؛ فبينما كان مخالطاً الناس ينفذ وصية المحبة الخادمة الباذلة، عليه في الرهينة أن ينفذ وصية المحبة المحتملة الصابرة، كذلك الطاعة في كل أمر والمشورة قبل كل عمل وسرعة الاعتذار إذا وقع في أي خطأ، وأن يتحلى بالتواضع والسهولة واللين، مستعداً للنسك والصوم وعدم التلذذ بالمأكّل والمشارب، مُجَبِّاً للتقشف وعدم القنينة^(٣) ولسان حاله يقول: «إن كان لنا قوت وكسوة فلنكتفِ بهما»^(٤).

وكان من شروط قبول من يريد أن ينخرط في سلك الرهينة بالدير أن يمر بمجموعة من الاختبارات منها أن يمكث خارج الدير عشرة أيام أو أكثر دليلاً على مثابرته واشتياقه وتواضعه وحبه للرهبنة، كما يقوم بعمل مطانيات^(٥) عند أقدام الرهبان المارين، الذين يعتمدون

(١) البتولية: أي لا يمس امرأة (أي لا يعرفها معرفة الزواج)، لمزيد من التفصيل انظر: شنودة، البابا، شريعة الزوجة والواحدة، المرجع السابق، ص ٧٢-٧٥.

(٢) متاؤس، الأنبا: المرجع السابق، ص ٢٧-٢٩.

(٣) مجلة الكرازة: السنة ٢٢، العددان ٣١، ٣٢، ١٣ مسرى ١٧١٠ ش / ١٩ أغسطس ١٩٩٤، ص ١٥-١٦.

(٤) الكتاب المقدس: الرسالة الأولى إلى تيموتاوس، الإصحاح ٦، آية ٨.

(٥) مطانيات: مفرداها مطانية، معناها الحرفي «مراجعة النية» ومعناها الاصطلاحي السجود أو التوبة، وهناك ثلاثة أنواع من المطانيات وهي: مطانيات العبادة، وهي السجود لله وحده، ومطانيات الاحترام والتوفير، ويمكن أن تكون للكبار، ومطانيات الانسحاق والتذلل في التوبة انظر: تأليف مجموعة من الآباء، طقس أسبوع الآلام، مكتبة المحبة، القاهرة ١٩٩٦، ص ٣٥٥، مجلة الكرازة، السنة ٢٨، العددان ٢٥، ٢٦، ٧ أبيب ١٧١٦ ش / ١٤ يوليو، ٢٠٠٠ م، ص ١٤.

طرده واحتقاره كما لو كان مجبراً على ذلك، وبعدما يشبع إهانات وإساءات، معطيًا دليلاً عملياً على احتمال، يطمئنون أنه بنفس الطريقة سيمكنه أن يتحمل التجارب التي ستأتي عليه^(١). وأن يتمسك بتعاليم السيد المسيح وسير الآباء الرهبان وعبادتهم^(٢).

وبعد التأكد من عقده نيته يقبل ولا يسمح له بإحضار أموال أو ملابس أو أي شيء، فيستفسرون منه بتدقيق فائق، ما إذا كان مرتبطاً ولو بقرش واحد من ممتلكاته السابقة، لأنهم يعملون أن المرتبط بشيء من ممتلكات العالم لا يقدر أن يثبت طويلاً في مجمع الدير، ولا يقدر أن يتعلم التواضع والطاعة، ولا يرضى بحياة الفقر وصعوبة المعيشة في الدير، فبمجرد حدوث أي اضطراب له بالدير، سرعان ما ينسحب وينزل كحجر على منزلق متكلاً على أمواله، كما لا يقبل منه صرف أمواله لصالح الدير، كذلك يترك القادم إلى الرهبة ملابسه الخاصة لدى الخازن ويأخذ ملابس أخرى، حتى إذا فشل في فترة الاختبار يعود ليأخذها، كما لا يسمح له أن يختلط برهبان الدير، بل يمكث في بيت الضيافة^(٣) ويعهد للشخص الراغب في الرهبة العناية بالغرباء والضيوف: فيستقبلهم بلطف ويغسل أقدامهم ويهتم براحتهم، وبعدما يخدم بمهمته لمدة سنة كاملة بدون تدمر، مبرهنًا على حسن إضافته للغرباء، وأنه قد بدأ في وضع أساس الصبر والتواضع، وبعد تدريب طويل متفق عليه، يسمح له بالدخول إلى مجمع الرهبان، فيسلم إلى شيخ من الرهبان ليتولى تدريبه، ويكون هذا الشيخ مسئولاً عن تدريب عشرة من المبتدئين، يسلمهم له أب الدير ليعلمهم ويرشدهم إلى الصواب^(٤).

(١) متاؤس، الأنبا: المرجع السابق، ص ٢٩٠.

(٢) لمزيد من التفصيل انظر: مخطوطات دير سانت كاترين، مخطوط كتبه أغاثون بن مصبح الطوراتي، عنوانها «المسيح رجائي وعوني وخلصي من تعليم القديس باسيليوس، ويبلغ عدد صفحاتها نحو إحدى عشرة ورقة، بتاريخ ٦٣٦ هـ، ٦٧٤٧ لآدم، ١٢٣٩ م. نقلًا عن إيلاف، محمد الحامصي، مقال بعنوان، نوادر مخطوطات دير سانت كاترين، بتاريخ ١ أكتوبر ٢٠٠٧ م. انظر ملحق رقم ١٢.

(٣) مجلة الكرازة: السنة ٢٢، العددان ٣١، ٣٢، ١٣، مسرى ١٧١٠ ش/ ١٩ أغسطس ١٩٩٤ م، ص ١٥-١٦.

(٤) يوحنا كاسيان: المعاهد، ترجمة راهب من دير السريان العامر، إعداد الراهب القس صموئيل السرياني، د.م. د.ت، ص ٤٢-٤٤.

وقد تستمر فترة الاختبار عدة شهور تقل أو تزيد حسب استعداد الراغب للرهبنة وحسب تقدمه في حياة الفضيلة وبالذات حياة التواضع والطاعة والبساطة والنشاط في الخدمة في هذه الفترة، والتي غالبًا ما تكون مدتها من سنة إلى ثلاث سنوات، يستطيع من خلالها رئيس الدير الحكم عليه من خلال جمع المعلومات عنه عن طريق المحتكين به والمتعاملين معه وخصوصًا من أب اعترافه^(١) ومن المشرف عليه في العمل الذي يقوم به في الدير^(٢).

وبعد إجماع رئيس الدير والرهبان على مباركة الأخ^(٣) كونه راهبًا، تبدأ رسامته، وفي ليلتها وبعد صلاة المزامير في طقس صلاة العشية يفتح رئيس الدير ستر الهيكل وتوقد شموع المذبح الذي تكون عليه ملابس الرهبنة بقطعها^(٤) يُنادى الأخ فيأتي ويقف أمام باب الهيكل مطأطئ الرأس متضعًا، يقول له موجهًا كلامه إلى الراهبان: نريد أن نرهبين الأخ فلان. هل يوجد أحد له اعتراض على رهبنته؟ وإن لم يوجد من يعترض يوجه له رئيس الدير مجموعة من النصائح الراهبانية، بعدها يعمل الأخ مطانية أمام الهيكل ثم أمام رئيس الدير كدليل على طاعته لأوامر الدير وناموسه، ثم مطانية للراهبان كدليل على خضوعه وتوبته لهم، ثم يصافح الجميع طلبًا للحل والسماح والبركة منهم جميعًا^(٥).

(١) الاعتراف: هو سر من أسرار الكنيسة السبعة، ويتم على يد كاهن، ولذا يجب أن يكون لكل قبطني أب اعتراف، لمزيد من التفصيل انظر: مجلة الكرازة: السنة ٢٢، العددان ٤١، ٤٢، ٢ هاتور ١٧١١ ش/ ١١ نوفمبر ١٩٩٤م، ص ١٩.

(٢) نفسه: السنة ٢٨، العددان ٢٥، ٢٦، ٧ أبيب ١٧١٦ ش/ ١٤ يوليو ٢٠٠٠م، ص ١.

(٣) الأخ: لقب يطلق على من هم في فترة الاختبار للرهبنة، انظر: متاؤس، الأنبا: المرجع السابق، ص ٩٤.

(٤) ملابس الرهبنة ورموزها الروحية وهي: القولونية (أي القصارية) التي ليس لها أكمام «فإذا أردنا أن نعمل بأيدينا سرًا كالسرقة أو الضرب أو غيره فإنها تقصر أيدينا كتقصير كمنا، وأما الاشتداد بالمنطقة فللتشمر والاجتهاد في خدمة الله (بالعبادة والصلاة)، وكونها من جلد ميت لتميت أوجاعنا، وأما الألبايون بشبه الصليب فإشارة إلى حمل الصليب واتباع سيدنا، وأما القلوقلية (أو الكوكلس أي القلنسوة) فهي شبه الختق وهم لباس الأطفال، والأطفال لا مكر عندهم ولا حقد ولا نجاسة ولا إقامة هوى، وذلك هو أكبر أغراض الرهبنة». لمزيد من التفصيل انظر: تأليف مجموعة من الآباء، بستان الراهبان، طبعة بنى سويف، د.ت، ص ١٢٨؛ مجلة الكرازة، السنة ٢٣، العدوان ٣٠، ٢٩، بتاريخ ٢١ أبيب ١٧١١ ش/ ٢٨ يوليو ١٩٩٥م، ص ١٢.

(٥) دير السريان: طقس رسامة الراهب المستعمل بدير السريان، مخطوط صغير نسخ الراهب أنطونيوس السرياني (البابا شنودة الثالث ١١٧)، د.ن، ص ١٢.

بعدها يقف الأخ أمام رئيس الدير الواقف على باب الهيكل ثم يحضر أمين الدير الملابس الرهبانية من على المذبح ويسلمها للرئيس فيأخذها بيديه ويعطي طرفها للأخ فيمسكها معاً، ويبدأ رشمها بالرشومات، مصحوبة بالاسم الرهباني الذي سيعطيه للأخ، وغالباً ما يكون اسم أحد القديسين المجاهدين حتى يتمثل به في جهاده، ثم يقبل يد الرئيس ثم يأخذ منه الملابس ويتوجه إلى مقصورة أجساد القديسين الموجودة في الكنيسة ويضعها عليها، بينما يقدم خورس الكنيسة لحنا مناسباً، ثم تستكمل صلاة رفع البخور عشية^(١). كالعادة ثم يأتي الرهبان إلى أخيهما الجديد معانقين ومهنتين بنعمة الرهبنة طالين له الثبات والنمو^(٢).

وفي نفس الليلة يظل ساهراً في الكنيسة لا يخرج منها إلا لأمر ضروري حتى الصباح وحوله الآباء، ويكون حديثهم طوال الليل عن الجهاد الرهباني عامة وسير القديسين ومنهم بالذات من أخذ اسمه الأخ، حتى يدق ناقوس صلاة نصف الليل، فيشارك الجميع فيها حتى رفع بخور باكر، بعدها يأتي رئيس الدير لإتمام إجراء طقس الرهبنة عادة أمام مقصورة أجساد القديسين، بأن ينام الراهب الجديد على ظهره فوق الأرض، ويضع يديه على صدره مثل نوم الميت تماماً ثم يغطي بستر كبير كما يغطي الميت وهو في نعشه، حيث يرون أن الرهبنة في جوهرها هي موت عن العالم وقرارات طقس الرهبنة تشبه إلى حد كبير قرارات طقس الصلاة على الأموات بما فيها من الحان حزينة مؤثرة^(٣).

وبعد إجراء الصلاة، يقوم الراهب المستجد من نومه فيأخذ رئيس الدير مقصاً يقص شعر رأسه خمسة صلبان بالرشومات؛ ثم يصلي على الملابس الرهبانية ثم يلبسها الراهب قطعة قطعة

(١) صلاة رفع البخور عشية: وهي إحدى الصلوات التي تقع ما بين صلاة الغروب ونصف الليل، والبخور هو رمز لصلوات القديس ورائحة المسيح الذكية، لمزيد انظر: مجلة الكرازة، السنة ١٦، العدد ١، كيهك ١٧٠٥ ش/ ١٦ ديسمبر ١٩٨٨، ص ١٣.

(٢) متاؤس، الأنبا: المرجع السابق، ص ٩٦.

(٣) دير السريان: طقس رسامة الراهب المستعمل يريد السريان، مخطوط صغير نسخ الراهب أنطونبوس السريان (المتنيح البابا شنودة الثالث، البطريك رقم ١١٧، ١٩٧١-٢٠١٢م)، د.ت، ص ١٤.

وهو يقول: «ثوب البر ودرع النور، واضع ثمرة تليق بالتوبة بالمسيح»^(١)، بعدها يقرأ صلاة التحليل ثم يصحبه رئيس الدير بيده إلى الهيكل ويوقفه أمام المذبح ويقرأ له الوصية الرهبانية^(٢). ثم يستكمل صلاة القداس، وبعدها تعمل له زفة إلى قصر الضيافة وتدق أجراس الدير فرحاً وتهليلاً، وفي القصر يقدم له الرهبان التهئة والدعوات ثم ينصرف الجميع بسلام، وينصرف الراهب الجديد إلى قلايته فرحاً شاكرًا الرب الذي دعاه وأهله إلى هذه الدعوة المقدسة^(٣).

طقس الراهب الإسكيمي:

منذ بدء تاريخ الرهبة كان الرهبان يلبسون الإسكيم^(٤)، وبه يسمون (لباس الصليب)، وبمرور الوقت أصبح الإسكيم درجة لكبار الرهبان والنسك الذين بلغوا درجة عالية من النسك والتقشف^(٥)، وللإسكيم قوانين نسكية يجب أن يتبعها الراهب الإسكيمي أي «لابس الإسكيم» منها:

- ١- يتلو كل يوم سفر المزامير بأكمله (١٥٠ مزمورًا) يقسمها على أوقات الصلوات.
- ٢- يتلو التسبحة اليومية.

(١) دير السريان: ميمر الأتبا أنطونيوس، مخطوط ٢٨٧، د.ت
(٢) جزء من الوصية: «أعلم أيها الأخ مقدار النعمة التي أدركت لأنك قد لبست شكل الملائكة، وأقمت ذاتك جنديًا للمسيح، وتقدمت إلى جهاد صالح، أول كل شيء قد تجددت وتنقيت من الأعمال الرديئة التي للعالم: والان أيها الأخ ها قد طهرت من دنس العالم الكثير الأنواع فاحفظ نفسك منذ الآن لتكون جنديًا صالحًا للمسيح ملك الملوك وتقام الحرب الخفيفة التي لا بليس وجنوده الأشرار، احفظ العهد الذي قررتَه الآن بأن تعبد الله بخوف ورعدة....» لمزيد من التفصيل انظر: متاؤس؛ المرجع السابق، ص ١٠٠
(٣) نفسه.

(٤) الإسكيم: كلمة قبطية معناها «شكل» وهو عبارة عن قطعة من الجلد المضفور تتخلله الصليبان على أبعاد متساوية، وهو يحيط بالصدر والظهر، به صليبان كبيران أحدهما للصدر والآخر للظهر ثم اثنا عشر صليبًا صغيرًا، وكلها من الجلد المضفور، لمزيد من التفصيل انظر: دير السريان، مخطوط رقم ٦٥٣، طقوس، د.ت، انظر الشكل رقم ٢٣.

(٥) مجلة الكرازة: السنة ٢٤، العددان ٣، ٤، ٢٤ طوبة ١٧١٢ ش/ ٢ فبراير ١٩٩٦، ص ١.

- ٣- يعمل ٥٠٠ مطاوية (سجدة)
- ٤- يلزم السكوت والصمت بحيث لا يتعدى كلامه سبع كلمات يومياً.
- ٥- يقرأ كثيراً في الكتاب المقدس بعهديه وفي كتب الآباء، أقوالهم وسير حياته.
- ٦- يصرف العمر جميعه صوماً، ويصوم كل يوم إلى الغروب
- ٧- يقنع بالضروري من الطعام والشراب والنوم حتى يصل إلى الصفاء النفسي والذهني^(١).
- والطقس الإسكيمي يشبه إلى حد كبير طقس رسامة الراهب، لكن الصلوات والرشومات التي كانت تعمل على الملابس الرهبانية تعمل هنا على الإسكيم الجلد المضفور، ويقول رئيس الدير في إحدى الصلوات «نسأل ونتضرع إلى صلاحك يا محب البشر اجعله مستحقاً للإسكيم الذي هو علامة الصليب»^(٢)، ويقول في موضع آخر: «البس الخاتم الذي لعربون ملكوت السموات الذي هو الإسكيم المقدس»، وبعد إتمام صلوات الإسكيم وقراءة الوصية الخاصة به يشترك الراهب الإسكيمي في صلاة القداس، وبعده يبدأ في الجهاد الخاص بلباس الإسكيم ويصبح بحق من «لباس الصليب»^(٣).
- وتنظم العلاقة بين الرهبان وبعضهم البعض أو بينهم وبين الرتب الأكليروسية الأعلى عدة قوانين^(٤) وأعراف فالطاعة هي إحدى نذور ثلاثة بعضها يضمها طقس الرهبة (الطاعة- العفة- الفقر الاختياري) وقد نصت عليها المادة (٨) من خلاصة قوانين الرهبة القبطية وكذلك المادة (٣٠) وقد تحدثت عنها بكثرة قوانين باسليوس النسيكية ووردت بعض من هذه قوانين بان العسال (باب ١ بند ١٧) ووصفت طاعة الرهبان لرئيسهم بأنها كطاعة الأبناء
-
- (١) متاؤس، الأنبا، المرجع السابق، ص ١٦١-١٦٢.
- (٢) دير السريان: مخطوط رقم ٦٥٣، طقوس، د-ت، لمزيد من التفصيل انظر: الشكل رقم ٢٣.
- (٣) ماجد عزت إسرائيل: الرهبة القبطية في وادي النطرون في القرن التاسع عشر، مكتبة الإسكندرية، الإسكندرية ٢٠١٧م، ص ١٢٤.
- (٤) قوانين الرهبة: وهي خلاصة القوانين التي صدرت منذ بداية الرهبة وحتى أواخر القرن التاسع عشر، وتم جمعها وتنظيمها وصدورها في سنة ١٩٢٨م، لتنظيم حياة الرهبان داخل الأديرة.

لأبيهم وطاعة التلاميذ لمعلميهم، وتكاد تكون الطاعة هي أكبر وصية يسمعها الراهب يوم رهبته^(١).

كما حدد القانون رقم (٢٧) من قوانين مجمع اللاذقية المقدس العلاقة بين القسوس الرهبان والأسقف، حيث لا يجوز للقسوس أن يعملوا شيئاً من غير رأي الأسقف، كذلك نص القانون رقم (١٠) من مجمع قرطاجنة المقدس "إذا تشامخ قس على أسقفه وعمل شقاقاً فليكن ملعوناً"^(٢) كذلك نص القانون (٥٧) من الكتاب الأول لقانون الرسل (الأسقف يقطع كل كاهن يستحق القطع، إلا الأسقف فإنه لا يمكنه أن يفعل هذا من جهته وحده إلا مع أساقفة مثله أي إنه بسلطانه مفردة يستطيع أن يقطع كل الكهنوت الشماس أو القس أو القمص ولكنه لا يستطيع بمفرده أن يقطع أسقفًا، وقد أوردت قوانين ابن العسال هذا القانون أيضاً (باب ٥، بند ٥٠)^(٣).

وينص القانون رقم (٩٢) من قوانين القديس باسيليوس الكبير على أن كل الأحكام التي تكون في الأكليروس لا يؤتي بها إلى الأراخنة بل يؤتى بها إلى الأسقف وأول "القسوس" للتحكيم فيها عليهم والدسقولية^(٤) في بابها الثالث والرابع تصدر هذا الحكم في أسلوب الأمر فتقول للأسقف: (اعرف ربتك لما ترأست على الناس كلهم الملوك والرؤساء والكهنة والآباء

(١) دير السريان: طقس رسامة الراهب المستعمل بدير السريان، تنقيح ونسخ الراهب: انطونيوس السرياني (قداسة البابا شنودة الثالث، البطريك ١١٧)، ص ٢٣؛ متاؤس، الانبا، المرجع السابق، ص ٧٤، ١٤١. انظر ملحق رقم ١٤.

(٢) دير السريان: مذكرة محفوظة بدير السريان، بشأن قوانين الرهبنة منذ نشأتها وحتى ١٩٢٨م، د. ص.

(٣) ابن العسال: الصفي أبي الفضائل بن العسال، ١٢٣٥م، المجموع الصفوي؛ نشره جرس فيلوثاؤس عوض، ج ١، القاهرة، د.ت، ص ١٦٩. انظر ملحق رقم ١٤.

(٤) الدسقولية (تعليم الرسل): وهي من الكتب الأساسية في مجال القانون الكنسي، تقع في ثمانية وثلاثين فصلاً، ولها أهمية كبرى في حياة الكنيسة بوجه عام، وفي الكنيسة القبطية بوجه خاص، وكلمة دسقولية منشقة من الأصل اليوناني Didaskalia ومعناها تعاليم، فهي كتاب يحوي تعاليم الآباء الرسل فيما يتعلق بأنظمة الكنيسة وواجبات خدامها وشعبها، لمزيد انظر: وليم سليمان قلادة، الدسقولية (تعاليم الرسل) قام بتحقيقها وكتب لها مقدمة، ط ٢، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٧٩.

والأولاد والمعلمين وكل من في طاعتك لأن لك سلطانا تدين به الخطاة، فلکم قال الكتاب المقدس: ما ربطتموه على الأرض يكون مربوطاً في السماء وما حللتموه على الأرض يكون محلولاً في السماء^(١).

وليس من حق أسقف آخر أن يقبل القس المقطوع من الكهنوت وإلا عرض هذا الأسقف، على الهيئة الاستثنائية الوحيدة في هذا الأمر، وهي المجمع المقدس طبقاً لقانون (٢٣) من الكتاب الثاني من قوانين الرسل^(٢). وينص القانون رقم (٨٨) من قوانين القديس باسيليوس الكبير «إذا أخرج أسقف أكليروسيا إخراجاً عن كرسيه ويدخل به أسقف آخر وقد عرض بحاله فليقطع ذلك الأسقف»^(٣). والقانون رقم (٧١) من الكتاب الأول لقوانين الرسل الذي حدد اختصاصات درجات الكهنوت بين أن الأساقفة لرئاسة الكهنوت والقسيس للكهنوت^(٤).

أما الأسباب التي تؤدي إلى تجريد الراهب من الدير: فهي كما يأتي:

١ - الاعتداء على غيره بالضرب.

يقول القانون رقم (١٨) من الكتاب الثاني لقوانين الرسل، كل أسقف أو قسيس أو شماس إذا ضرب غير مؤمنين أو مؤمنين أخطأوا، يريدون بهذا الفعل أن يخافهم الناس، فنحن نأمر أن يقطعوا - لم يعلن الرب أن نفعل هذا في أي موضع من المواضع.

وقد أيدت قوانين ابن العسال (الباب ٥، البند ٩٧) وكذلك القانون رقم (٥٦) من قوانين القديس باسيليوس الكبير وكذلك (المادة ٤٧ بند ٩) من خلاصة قوانين الرهبنة بإخراج الراهب من الرهبنة في حالة (الاعتداء على غيره بالضرب)^(٥).

(١) الكتاب المقدس: إنجيل متى، الإصحاح ١٨: آية ١٨.

(٢) دير السريان: مذكرة محفوظة بدير السريان بشأن قوانين الرهبنة منذ نشأتها وهي ١٩٢٨، د، ص.

(٣) ابن العسال: المرجع السابق، ص ١٩٢؛ ماجد عزت إسرائيل: الرهبنة القبطية في وادي النطرون في القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص ١٢٤-١٢٥.

(٤) دير السريان: مذكرة محفوظة بدير السريان بشأن قوانين الرهبنة، منذ نشأتها وحتى ١٩٢٨، د، ص.

(٥) نفسه. انظر ملحق رقم ١٤.

٢- الخروج من الدير بدون إذن والتجول في العالم:

يقول القانون رقم (٤١) من قوانين مجمع اللاذقية المقدس «لا يجوز لأولى الكهنوت ولا للإكليروسية أن يسافروا من غير أمر الأسقف، وينص القانون رقم (٤٢) لنفس المجمع أنه لا يجوز لهم السفر بدون مكاتبة أو تصريح قانوني رسمي، وكذلك القانون رقم (١٥) من قوانين مجمع نيقية المقدس ينص على أنه «لا ينتقل أسقف أو قس أو شماس من كنيسة إلى أخرى»؛ ويقول القانون رقم (١٢) من الكتاب الثاني لقوانين الرسل^(١) «إذا مضى إلى كرسي آخر» وقيم في ذلك الموضوع زماناً كبيراً لما انتقل بغير رأي الأسقف، نحن نأمر أن لا يخدم هذا إلى الأب (يقصد الخدمة الدينية).

كما تقضي المادة (٤٧) من خلاصة قوانين الرهبنة (بند ٢) بإخراج الراهب من الرهبنة في حالة «مبارحة الدير بدون إذن والتجول في البلاد» كما تقضي المادة ٤٠ من نفس هذا القانون بأنه «يقيم الراهب في دير ولا يبرحه إلى الريف أو إلى دير آخر إلا إذا انتدبه الرئيس لقضاء مهمة تتعلق بالدير كما تقتضي المادة (٤١) من نفس القانون» كل راهب ينتدب لمهمة يجب أن يكون بيده ترخيص كتابي بذلك من رئيس الدير مُبين فيه نوع المهمة والمدة المحددة لقضاؤها؛ وعليه متى أتمها أن يعود حالاً إلى الدير وإذا تأخر يحاكم والمادة ٤٥ تحكم على الكاهن الراهب الذي لا يرجع إلى دير بتجريدته من الرتبة الكهنوتية^(٢) والإعلان عنه في الصحف الرسمية.

٣- التجاسر على الاستمرار في الخدمة الكنسية على الرغم من قطعه.

يقول القانون رقم ١٩ من الكتاب الثاني لقوانين الرسل «أي أسقف أو قس أو شماس قطع بحق على خطية واضحة» وجسر واقترب أو لامس جملة الخدمة التي كانت له في زمان هذا يبعد عن الكنيسة جملة.

(١) قوانين الرسل: هي قوانين وضعها الآباء الرسل لتنظيم الكنيسة وهيئاتها وسلوك جماعة المؤمنين وهي مائة وسبعة وعشرون قانوناً، لمزيد من التفصيل انظر: صليب سوريال، القمص: مذكرات في قوانين الآباء الرسل د.م، د.ت، ص ٨-٥.

(٢) لمزيد من التفصيل عن الرتب الكهنوتية انظر: شنودة الثالث، البابا، الكهنوت، الجزء الأول، ط ٤، مطبعة الأنبا رويس، القاهرة، ١٩٩٧، ص ٦٧-٧٤.

٤ - الاستعانة بالسلطات المدنية:

تقضي (المادة ٤٧ البند ٣) من خلاصة قوانين الرهبنة القبطية، بإخراج الراهب من الرهبنة في حالة الاستعانة بالسلطات المدنية، كما أيدت (المادة ١٥) من قوانين مجمع قرطاجة المقدس، والمادتان (١١، ١٢) من قوانين مجمع إنطاكية، حيث تحكم بقطع القس الذي يذهب إلى الملك بدون إذن ويقطع من أسقفه فيشكو أمره للملك والرؤساء^(١).



(١) دير السريان: مذكرة بشأن الرهبنة محفوظة بدير السريان بشأن قوانين الرهبنة منذ نشأتها وحتى سنة ١٩٢٨ م، د، ص.

الفصل السابع
الحياة الديرية بوادي النطرون
كما صورها الرحالة

الفصل السابع

الحياة الديرية بوادي النطرون كما صورها الرحالة

جذبت برية شيهيت الرحالة والمؤرخين والكتاب من جميع أنحاء العالم، بحيث يمكن القول إن الأديرة القبطية علامة على وادي النطرون، وركز الرحالة في كتاباتهم على الدور الرئيسي للأديرة في استمرار الحياة الرهبانية الديرية منذ القرن الرابع الميلادي وحتى يومنا هذا، من حيث وصف أديرة وادي النطرون، والحياة الرهبانية داخلها، وإدارتها من حيث التنظيم الإداري، ومصادر التمويل، وظاهرة بيع أو سرقة أو نهب المخطوطات والكنوز المقدسة، كما أشار بعض الرحالة والمؤرخين والمؤلفين إلى علاقة الدولة بالأديرة من حيث دور الدولة في مساعدة الأديرة لحل المشكلات التي كانت تواجهها مثل مشكلة دير السريان، وحركة التبشير، واعتداءات العربان على أديرة الوادي، وهذا ما سوف يتضح في هذا الفصل.

أديرة وادي النطرون

أطلق الرحالة على الصحراء الغربية صحراء ليبيا وهي تقع غرب الإسكندرية ولم يهتم الرحالة بوصف الصحراء قدر اهتمامهم بوصف الأديرة المسيحية فيها فقدّموا وصفا للأديرة، واشتركوا في ذلك مع من سبقوهم من الرحالة الذين انصبت كتاباتهم على هذه الأديرة فأهمية الصحراء الغربية إنما ترجع لوجود الأديرة المسيحية فيها^(١). وكان وادي النطرون يذخر بأعداد كبيرة من الأديرة والقلاي، فقد ذكر كل روفينوس وبلاديوس وجيرون وغيرهم على أن القرن الرابع ومستهل القرن الخامس الميلادي العصر الذهبي للوادي ورهبانه، حيث وصل عدد أديرتها إلى ٥٠ ديرًا، وبلغ عدد رهبانه خمسة آلاف راهب^(٢)، بينما كتب روبرت هنتنجتون

(١) إلهام محمد علي ذهني: مصر في كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين، المرجع السابق، ص ٢٣٦.

(٢) رءوف حبيب: المرجع السابق، ص ٧٩.

(١٦٣٧-١٧٠١م) Robert Huntington الذي زار برية شيهيت ما بين عام (١٦٧٨-١٦٨١م)، قد بلغت (٣٦٦) ديرًا^(١)، في حين ذكر المؤرخ العربي المقرئزي (١٣٦٤م-١٤٤٢م) أن عدد أديرة وادي النظرون قد بلغت نحو مائة دير، ثم صارت عشرة أديرة^(٢)، ممتدة غربًا على جانب برية شيهيت بين مديرية البحيرة والفيوم^(٣) بينما ذكر الرحالة جوهان ميشيل فانسليب الدومنيكاني، أن عددها سبعة أديرة كبيرة^(٤) بالإضافة إلى ٣٠٠ منشوية للمتوحدين^(٥) ولكن أحداث الزمان والغزوات البربرية المتلاحقة أبادت الكثير من أديرة الوادي ولم يبق به حاليًا من الأعداد الكثيرة سوى أربعة^(٦) ويجدر بنا أن نتناول كل دير من هذه الأديرة بلمحة وجيزة عن تاريخه على النحو التالي:

- دير البراموس^(٧):

يقع دير السيدة العذراء براموس في الطرف الغربي لبحيرات النظرون وتبلغ مساحته نحو فدانين وثلاثة عشر قيراطًا من الفدان^(٨) ويرجع تاريخ إنشائه إلى القرن الرابع الميلادي، حيث

(١) هيو ج. ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص ١٦٠-١٦١.

(٢) الأديرة العشرة وهي: دير أبي مقار، الأنبا بيشوي، السريان، البراموس، ويوحنا القصير، موسي الأسود، الأرمن، إلياس، الأنبا نوب هذا خطأ أما الصحيح فهو دير (النوبيين)، الأنبا ذكريا، لمزيد انظر: عمر طوسون، ص ٧٩.

(٣) المقرئزي: المرجع السابق، ج ٢، ص ٥٠٨-٥٠٩.

(٤) الأديرة السبعة وهي: مقاريوس ويوحنا القصير أو القمص وبيشوي ومكسيموس ودماديوس، وموسي الأسود، وكاما وعذراء السريان القديسة.

(٥) هيو ج. ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص ١٥٨-١٥٩.

(6) Odoïn: Notes about Wadi El Natrun Facualty of Solihauil, Bermingham University, England. 1999.p.p. 1-3

انظر الشكل رقم ٨ ؛

(٧) براموس: وهي من الكلمة اليونانية «براميثوس» التي تعني الدير الذي للروم، لمزيد من التفصيل انظر: تأليف أحد الرهبان، دروس من دير البراموس، ط ١، مطبعة الدير، وادي النظرون ١٩٨٨، ص ١٣.

(٨) عبد المسيح المسعودي، القمص: المرجع السابق، ص ٥٥، لمزيد من التفصيل عن دير البراموس، انظر الشكل رقم ١٦، وملحق رقم ١٧.

ذكر في سيرة القديس مقاريوس الكبير، أنه عاش حتي أبصر الأربعة أديرة العامرة بالرهبان، وذلك في ذات القرن المذكور، لأن كثيرين كانوا يأتون لأجل لبس الأسكيم المقدس، ونذكر للتاريخ أن منطقة دير البراموس هي أول منطقة تنشأ فيها جماعة رهبانية. ومن هنا نؤكد أن دير البراموس هو أقدم الأديرة في وادي النطرون، مع وجود فارق زمني قصير جداً، مقارنة بتشييد أديرة الوادي الأخرى وهي دير أبي مقار، والأنبا بيشوي، والأنبا يحنس القصير، فيما عدا دير السيدة العذراء السريان فهو بعد ذلك بنحو بائة عام، أي في أوائل القرن الخامس الميلادي، كما أكد القديس يوحنا كاسيان بأنه رأي الأديرة الأربعة في عام ٣٨٥م عندما زار الأسقيط^(١).

وقد أطلق على دير البراموس عدة مسميات منها دير الروم لوجود مغارة أولاد الملوك التي عاش بها الأميران مكسيموس ودماديوس أبناء الإمبراطور فالنتينان الأول الذي حكم في الفترة من (٣٦٤-٣٧٥م)^(٢) ولكن المؤرخين إيفلين وايت وسيكار الفرنسي يعتقدان أن تسمية البرموس نسبة للروميين غير صحيحة. وقد تكون أكثر دقة لو تنسب "للرومي"، ويعتقد أنه هو أرسانيوس لأنه يشك في جنسية مكسيموس ودوماديوس أنها روميان أصلاً، بل يقول إنها سوريان جاءا من سوريا، ويستدل على ذلك بأن مقاريوس الكبير لم يسمهما الروميين بل الغربيون، هذا بالإضافة إلى أن هذين القديسين غير معروفين على الإطلاق عند الكنيسة اليونانية وليس لهما تذكارات بالمرّة في سنكسار الكنيسة عندهم، بعكس أرسانيوس مثلاً فهو قديس مشهور من الدرجة الأولى وله عيد عندهم. وكذلك لم يرد في جميع أقوال الآباء أي ذكر عن اسميهما. كما أنها ليسا أولاد ملك لأن فالنتينان لم يكن له أولاد بالمرّة. ولذلك فإن تسمية البراموس نسبة إلى أرسانيوس المدعو: بي روميئوس قد تكون هي الأصح؛ لأن التسمية هنا منسوبة لفرد واحد هو أرسانيوس الذي هو وحده بحسب عن يقين أنه رومي، وأنه معلم أركاديوس وأنوريوس ولدي الملك ثيودوسيوس، وهو شخصية كانت بحق بارزة في تاريخ جماعة شيهيت الأولى

(١) مخطوط رقم ١٧، حياة القديس مقاريوس، الناسخ سراييون، محفوظ بمكتبة دير القديس مقاريوس (الأنبا مقار) بوادي النطرون.

(٢) إيسوذورس، الأسقف: المرجع السابق، ص ٢٢٩؛ تأليف أحد الرهبان، دروس من دير البراموس، المرجع السابق، ص ١٤.

وتستحق بالفعل أن تأخذ هذه الكرامة، خصوصاً وأن زمن مجيئة للإسقيط قريب من زمن مجيء مكسيموس ودوماديوس، ومن هنا حدث الالتباس. ذلك أن أرسانيوس هرب من بلاط الملك ووصل الأسقيط ٣٩٤م^(١).

وقد أطلق بعض المؤرخين على دير البراموس دير أبي موسى الأسود وذلك لأن الأنبا موسى^(٢) كان رئيساً لذلك الدير ودفن به^(٣). وأيضاً يعد هذا الدير ضمن مجموعة أديرة الثيوطوكوس أي التي تسمت علي اسم والدة الإله، والتي تضم كل من دير السيدة العذراء أنبا يحنس القصير، ودير السيدة العذراء السريان.

وقد ذكر المتنيح الأب متى المسكين، أن الكنيسة التي بنيت علي اسم القديسين مكسيموس ودوماديوس، كانت بعد وفاة القديسين حينما اجتمع الأباء المتوحدين بعد سنة من نياحتهم، وبنوا هذه الكنيسة الكبيرة وجعلوا عليها الأنبا أيسوذورس كاهناً عليها، أما الشماس الراهب بيشوي^(٤) كاتب سيرة مكسيموس ودوماديوس فكان شماساً عليها، ومن بعده كان الأنبا موسى الأسود شماساً فيها أيضاً^(٥). ويرجع تاريخ تشييد هذه الكنيسة إلي عام ٣٨٥ م، وقد نقل إليها جسد القديسين الروميين، وربما دير البراموس هذا هو الدير الذي اندثر في مستهل القرن الرابع عشر الميلادي^(٦). وهذا ما أكدته سيكار حيث ذكر قائلاً: « بالقرب من دير البرامواس توجد بقايا عشرة من المباني المقدسة، ومن ضمنها دير موسى وكنيسة القديس مكسيموس ودوماديوس، والتي ما زالت محتفظة باسمائها^(٧) ».

(١) متى المسكين، الأب: الرهبنة القبطية في عصر القديس الأنبا مقار، المرجع السابق، ص ٢٢١.
(٢) الأنبا موسى الأسود: يرى البعض أنه ولد سنة ٣٣٠ من بالحيشة بينما يرى فريق آخر أنه نوبي، أي مصري وكانت كلمة الأسود أو الحبشي تطلق على كل من هو أسود، كان لَصاً عدوانياً، صار رئيس عصابة وارتكب كل أنواع الجرائم حتى لجأ إلى دير البراموس تائباً عن آثامه وأصبح من أشهر قديسي الدير والعالم، لمزيد من التفصيل انظر: بولا البراموسي، القوى الشهيد ابنا موسى الأسود، ط ٤، مطبعة دير البراموس، وادي النطرون ١٩٨٨، ص ١٣-٢٢.

(٣) رءوف حبيب: المرجع السابق، ص ١١٠.

(٤) الراهب بيشوي: كان هذا الراهب من مدينة القسطنطينية.

(٥) متى المسكين، الأب: الرهبنة القبطية في عصر القديس الأنبا مقار، المرجع السابق، ص ٢١٨.

(٦) مارتيروس، الأنبا: دراسة في وادي النطرون، بحث منشورة بموقع الكنوز القبطية، ص ١٢.

(٧) هيو ج. ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص ١٦٧. انظر الشكل رقم ١٦، وملحق رقم ١٧.

أما الكنيسة الأولى التي شيدت في زمام دير البراموس هي المعروفة بكنيسة القديس إيسيدوروس التي كانت موجودة قبل وصول القديسين مكسيموس ودوماديوس وسموها باسم هذين القديسين. ويؤكد لنا الرحالة سيكار صحة هذا الكلام لأنه شاهد بنفسه في بداية القرن الثامن عشر الميلادي أثر خرائب كنيسة بجوار البراموس، وقد احتفظ التقليد بتسميتها مكسيموس ودوماديوس. كما يحتفظ لنا التاريخ القديم بمخطوطة تقول: إن الآباء أقاموا بجوار منشوبيتهما -مكسيموس ودوماديوس- كنيسة. وفي وصف رحلة أنبا بنيامين لتكريس كنيسة الأنبا مقار عام (٦٥٥م). يتضح لنا بشكل قاطع أن البراموس شيء آخر غير مكسيموس ودوماديوس. فالمخطوطة تقول إن أول مكان التقى به أنبا بنيامين في رحلته من القلاي عند وصوله لشبهية هو البراموس، ثم مكسيموس ودوماديوس: «ولما اقتربنا من البراموس ومكسيموس ودوماديوس ترجلنا (نزلنا من على الدواب) ودخلنا كنيسة القديس إيسيدوروس».

ويتضح لنا أن دير البراموس شيء، وكنيسة مكسيموس ودوماديوس شيء آخر. كذلك يتضح أن هناك كنسيتين: واحدة أصلية وهي كنيسة إيسيدوروس أول كنيسة بنيت في شبهية على يد الأنبا مقار نفسه (التي يقال إن ميلانيا دفعت نفقاتها) وهي التي ظلت قائمة من جيل إلى جيل حتى اليوم تذكراً للقديس الكبير أبو البرية كلها، لأنها كنيسة بناها بيده وصلى فيها، وتُعرف أيضاً باسم كنيسة السيدة العذراء الأثرية. والأخرى هي كنيسة مكسيموس ودوماديوس، وهي كما تقول مخطوطة سيرايون إنها كانت صغيرة وهي التي فقدتها الرهبان على ممر الزمن والتي رأى الرحالة سيكار خرائبها بجوار الدير. والمعروف في التاريخ أنه بعد سقوط كنيسة مكسيموس ودوماديوس أخذ الرهبان جسدَيْهما الطاهرين ووضعاهما في كنيسة إيسيدوروس مع جسد أنبا موسي الأسود^(١). وأكد الرحالة الأب كلود سيكار الذي زار الدير ١٧١٢م على أنه وجود جسد الأنبا موسي بهذا الدير حيث ذكر قائلاً: «إنه وجد جسد قسا أصله من الحبشة كان لصّاً تاب وانخرط في سلك الرهبنة»، كما أشار الرحالة سونيني أنه وجد في الدير عدة تواييت تحوي رفات العديد من القديسين»^(٢).

(١) متى المسكين، الأب: الرهبنة القبطية في عصر القديس الأنبا مقار، المرجع السابق، ص ٢٢٢.

(٢) إلهام محمد علي ذهني: مصر في كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين، المرجع السابق، ص ٢٣٨.

وهنا يجب علينا توضيح المعالم الأثرية التي توجد في دير البراموس فنذكر من هذه المعالم كنيسة السيدة العذراء الأثرية، وتعتبر أقدم كنيسة في برية شيهيت، فقد بنيت على النمط القبطي في أيام القديس أبو مقار^(١)، وتقع جنوب الحصن ومدخله يطل عليها، وللكنيسة بابان أحدهما من الناحية القبلية والآخر من الناحية البحرية، وتبلغ مساحتها نحو ١٢٠٠ م مربع^(٢)، والكنيسة مزينة بمصابيح كما وصفها روبرت كورزن الذي زارها عام ١٨٣٧ حيث قال: «الكنيسة مزينة بمصابيح عديدة جذابة مصنوعة من زجاج قديم...»^(٣)، أما صحن الكنيسة فينقسم من الشرق إلى الغرب إلى ثلاثة أقسام (خوارس) وهي كما يلي:

الخورس الأول: في ناحيته الشمالية توجد مقصورة بها جسد القديس الأنبا موسى الأسود وجسد القديس إيسيدورس. وقام بعمل هذه المقصورة المتنيح الأنبا بنيامين مطران المنوفية، وهي دقيقة الصنع ذات صلبان مطعمة على الرسم القبطي القديم. وهذا الخورس أقيم على حائطين فوقهما جمالون، يمتد من الشمال إلى الجنوب، وقد فتح إلى السقف بهذين الحائطين مدخل الهيكل الأوسط والممر الذي أمامه المؤدي إلى الخورس الثاني، وذلك إلى الجمالون، وفتحة لباب كل من الهيكلين الآخرين وأمامهما ممر للخورس الأوسط.

الخورس الثاني: وهو يقوم على عمودين كل منهما يحوي عمودين ملتصقين، وإلى شمال هذا الخورس يوجد المنبر، وقد اتصل بالعمود والحائط وارتكز فقط في جانبه القبلي الغربي على عمود من الخشب، ولهذا المنبر مدخل بسلام وبابه يظهر الخورس الأول أمام باب الهيكل الأوسط.

الخورس الثالث: يبدأ بعد نهاية الخورس الثاني حيث يوجد حاجز بسيط من الخشب، وبهذا الخورس عمودان ضخمان كل منهما يحوي عمودين ملتصقين. وفي منتصفه أي أمام

(١) عبد المسيح المسعودي البرموسي، القمص: المرجع السابق، ص ٥٥-٥٦. انظر الشكل رقم ١٦، وملحق رقم ١٧.

(٢) أغسطينوس البرموسي، القس: دير البرموس بين الماضي والحاضر، مطبعة دار نوبار، القاهرة ١٩٩٣، ص ٥٥-٧٢.

(٣) هيو ج. إفيلين هوايت: المرجع السابق، ص ١٧٦-١٧٧.

الباب الأوسط يوجد حوض من الرخام عرضه ٦٠ سنتيمتراً وطوله ٩٠ سنتيمتراً وفي وسطه تجويف مستدير بديع يعرف باسم اللقان يستخدم في تذكّار تواضع الرب يسوع عندما قام بغسل أرجل تلاميذه يوم خميس العهد، وأيضاً يوم عيد الرسل، وكذلك يوم عيد الغطاس. ويوجد في الناحية الغربية القبلية عمود ما زال تاجه البديع باقياً، وخلف هذا العمود كان يقف القديس أرسانيوس ليصلي. أما في الركن الشمالي الغربي من هذا الخورس توجد غرفة المعمودية في وضعها الطقسي^(١).

كما توجد في الجانب الشرقي كنيسة الأمير تادرس وهي أصغر كنائس دير البراموس^(٢). وهي بجانب الباب البحري لكنيسة السيدة العذراء، وما زالت تقام القداسات الإلهية على مذهب هذه الكنيسة وخاصة في عيد القديس الأمير تادرس الشطبي أو المشرقي، وبجوار باب المعمودية يوجد باب كنيسة مار جرجس، وفي عام ١٨٨٤م شيّد البابا كيرلس الخامس (١٨٧٤ - ١٩٢٧م) كنيسة مار يوحنا المعمدان على موضوع كنيسة القديسين أبللو وأيبب، وهي التي أنفق عليها المعلم إبراهيم الجوهري^(٣).

(١) أغسطينوس البرموسي، القس: المرجع السابق، ص ٥٥-٧٢. انظر الشكل رقم ١٦.

(٢) عبد المسيح المسعودي البرموسي، القمص: المرجع السابق، ص ٥٦.

(٣) إبراهيم يوسف الجوهري: ولد في القرن الثامن عشر ببلدة قلوب، وكان أبوه يتعيش من مهنة الخياطة وخاصة صناعة الجلابيب، وكان من المعتاد في ذلك أن تورث العائلة المهنة إلى بنيتها، ولكن ألحقه بكتاب البلدة؛ فتعلم الكتابة والحساب وأتقنها وتفوق فيها على أقرانه لذكائه الخارق، وأصبح فيما بعد كاتباً لأحد الأمراء. واشتهر إبراهيم الجوهري بحبه لمهنة النسخ، فكان ينسخ العديد من الكتب الدينية على نفقته الخاصة، ويقدمها للبابا يوانس الثامن عشر (١٧٦٩-١٧٩٦م) بدون مقابل، وبدأ الجوهري حياته العملية في وظيفة كاتب عند أحد أمراء المماليك، ثم توسط له البابا لدى المعلم رزق رئيس الكتاب فيأخذ كاتباً خاصاً له، واستمر يعمل معه حتى أصبح رئيس الكتبة، وتميز بالدقة والأمانة والتواضع وإنكار الذات في العمل، وعكف على صنع الخير لجميع الناس بدون تمييز بين المصريين من المسلمين والأقباط، وسمع به علي بك الكبير فألحقه بخدمته، ولما حكم «محمد بك أبو الذهب» مشيخة البلاد بعد مقتل «علي بك الكبير» أصبح رئيساً للمباشرين، ثم مات أبو الذهب وخلفه في حكم البلاد إبراهيم بك ومراد بك، وظل الجوهري في منصبه رئيساً لكتاب مصر، وهي تعد من أكبر المناصب السيادية وصل إليها قبطي في ذلك العصر، وواصل عمله بإخلاص حتى عصا مراد بك وإبراهيم بك، الدولة العثمانية عندما =

= لم يعترف به (الوالي) الذي أرسله السلطان العثماني، فأرسل السلطان جيشاً بقيادة حسن باشا قبطان (١١٩٩ هـ / ١٧٧٦ م) فقاتلهم وانهزما منه، وهربا إلى الصعيد وهرب معهما الجوهرى وبعض الأمراء والكتاب، ودخل قبطان إلى القاهرة ونهب بيوت الأمراء والماليك واضطهد الأقباط. وفي تلك الأحداث اختفت زوجة إبراهيم الجوهرى في بيت أحد المالك اسمهم حسن آغا، حتى وشى بها أحد ناكري الجميل، وأجبرت على تسليم ممتلكات زوجها وتم بيعها بثمن بخس في مزاد علني؛ لتسديد غرامات ومخالفات فرضت عليه ظلماً، من أجل نهب وسلب أملاكه، وبعد فترة وجيزة عاد قبطان إلى الآستانة لطغيانه، وفي ٧ أغسطس ١٧٩١ م؛ رجع الأميران إبراهيم بك ومراد بك إلى منصبهما في إدارة حكم مصر، ومعهما الجوهرى وبقي في مركزه الرفيع حتى وفاته، أما حياته العائلية فقد تزوج من إحدى قريباته، ورزق منها بابين أسماه يوسف وابنة أسماها دميانة، ومات في حياته قبل زواجه بأيام، وحزن حزناً شديداً عليه. واشتهر المعلم إبراهيم جوهرى بتوزيع الصدقات للفقراء والمساكين في كل مكان، واهتم بإطعامهم وكسوتهم، كما اهتم أيضاً بالأرامل والأيتام الذين ليس لهم من يهتم بهم، ورتب لهم في كل شهر من يقوم بإعطائهم ما يقتاتون به وذلك حسب ما شهد له الأنبا يوساب ابن الأبح أسقف جرجا وأخميم فقال: «إنه كان أعظم أهل زمانه، وكان محباً للرب يوزع كل ما يقتنيه على الفقراء والمساكين، كان مهتماً بعمارة الكنائس، وكان محباً للطوائف كافة، يسالم الكل ويحب الجميع ويقضى حوائج كافة، ولا يميز أحداً عن الآخر، وشاركته زوجته وساعدته في أعمال البر والإحسان، وشجعتة على تعمير بيوت الناس وبيوت العبادة. ويرجع إليه الفضل في إنشاء الكنيسة المرقسية بالأزبكية حيث انتهز فرصة قدوم إحدى الأميرات العثمانيات، بزيارة مصر في طريقها لأداء مناسك الحج، فأدى لها خدمات جليلة بنفسه، وعندما سألته عن رغباته في طلب أي شيء، التمس منها السعي لإصدار فرمان سلطاني بالترخيص بإنشاء كنيسة بذات المنطقة محل سكنه بالأزبكية، ورفع الجزية عن رجال الكهوت من الكهنة والرهبان، فأصدر السلطان أمراً بذلك، وبعدها وبدأ البناء فيها، ووضع الأساسات، ولكن عاجلته المنية قبل الشروع في بناء الكنيسة المرقسية، فأتمها أخوه المعلم «جرجس الجوهرى»، وفي يوم الأحد ٥ توت ١٥١٧ ش / ١٨٠٠ م قام البابا «مرقس الثامن» البطريرك رقم (١٠٨) (١٧٩٦-١٨٠٩ م) ومعه ممثلو الدولة بتدشينها، ونقل الدار البطريركية إليها. ويشهد التاريخ للجوهرى على محبته في تعمير الكنائس والأديرة وإصلاح بعض مباني الخدمات وترميمها وتشيدها بشتى كنائس مصر وأديرتها من شمالها حتى جنوبها، عن طريق علاقته المتواصلة بالحكام المسلمين لطبيعة عمله، ووقف الأملاك من أراض وعقارات ومحلات وأموال عليها حتى بلغ ما أوقفه نحو ٢٣٨ وقفية، ولقد قدم خدمات جليلة للكنيسة القبطية نذكر منها: اثبات حق دير شعران (الأنبا برسوم العريان حالياً بالمعصرة بمدينة حلوان)، وإنشاء كنيسة الشهيد العظيم مرقوريوس أبى سيفين (١٤٩٠ ش / ١٧٧٤ م) والتي زينت بالقناديل والأيقونات الأثرية، وقام بتجهيز وإعداد الميرون، وشيد مقصورة الشهيد مارمينا =

= بكنيسة مارمينا بقم الخليج، وقام ببناء السور البحرى لدير الأنبا أنطونيوس ١٤٩٩ ش/ ١٧٨٢ م، وحفر ساقية في دير الأنبا أنطونيوس، ورمم كنيسة الذراء المغيثة بحارة الروم في عام ١٥٠٨ ش/ ١٧٩٢ م كما شيد كنيسة الشهيد أبي سيفين بدير الأنبا بولا، وأيضاً سور وقصر وكنيسة في دير البراموس على اسم الأنبا أبللو والأنبا أبيب، هدمت سنة ١٨٨١ م لتوسيع كنيسة ماريوحنا، وشيد كنيسة ٤٩ شهيداً بدير الالأنبا مقار، وبنى في داخل الكنيسة مقبرة للشيوخ الشهداء، وفي دير الأنبا بشوى رمم كنيسة اللاك ميخائيل ١٤٩٨ ش/ ١٧٨٢ م، وبنى سور وقصر وطافوس (مقبرة للرهبان) ويوجد مخطوط بدير السريان باللغة القبطية عن تكريس الكنائس يؤكد على أن عمارة الأديرة بمعرفة الجوهري (١٤٩٨ ش/ ١٧٨٢ م). وحصل الجوهري على العديد من الألقاب منها، لقب سلطان القبط ليس لأنه أصبح سلطاناً له مملكة أرضية، ولكن كان رعاياه من الفقراء والمعوزين وخواص وأمرأه مملكته من الأيتام والأرامل وكل من له احتياج، فالسلطان عند القبط هو الذي عنوان حياته من يدك أعطيناك، يعطيه الرب فيعطي إلى الآخرين، ووجدت نقوش تؤكد حصوله على اللقب في القطمارس وحجاب أحد الهيكل في دير الأنبا بولا، كما حصل على لقب «معلم» وهو لقب كان يطلق على الكتبة، وكبار رجال الحكومة في العصر العثماني، وأيضاً على لقب كبير مباشرين، ولدوره المتميز ومحبه وضعت الكنيسة في مصاف القديسين، وذكرت اسمه في السنكسار، فيتم ذكره يوم تاريخ نيافته في ٢٥ بشنس ١٥١١ ش/ ٣١ مايو ١٧٩٥ م، ودفن في مقبرة آل الجوهري بجوار كنيسة الشهيد العظيم مار جرجس بمنطقة مصر القديمة، وتم ترميمها في عهد البابا يؤانس التاسع عشر (١٩٢٨-١٩٤٢)، ولمكانته في الدولة حزن عليه حاكم مصر إبراهيم بك لأنه كان يحبه لإخلاصه وأمانته فسار في جنازته تقديرًا لصداقته له ورثاه الأسقف الجرجاوي قائلاً: «فيا له من اضطراب عظيم صار في كورة مصر بل في الأقطار كافة، ناح الشيوخ، وبكى الشبان، وولول العربان، كان القاضي يبكي، والكهنة يرفعون أصواتهم بالعويل، تعالوا يا كل الأرامل وابكين على رجلكن الذي كان يهتم لكن بالطعام والكساء، أجمعوا يا كل الفقراء والمساكين وأبوا أن يباشر أحوالكم كل حين، نوحوا وابكوا أيها الرهبان سكان البراري على من كان يتفقد أحوالكم دائماً». ورثاه الأنبا «يوساب بن الأبح» أسقف جرجا» إنه صار عيناً للأعمى ورجلاً للأعرج وزوجاً للأرملة ورئيساً مهتماً بكافة الأديرة ومديرًا أميناً لكل الكنائس.. ولم يفكر قط أن يميز واحداً عن آخر في قضاء الحق، ولكنها كلها خليفة الرب «كما رثاه المؤرخ الشهير عبد الرحمن الجبرتي قائلاً: «مات الذمي المعلم إبراهيم الجوهري رئيس الكتبة الأقباط بمصر وأدرك في هذه الدولة بمصر من العظمة ونفاذ الكلمة وعظم الصيت والشهرة مع طول المدة بمصر ما لم يسبق لمثله من أبناء جنسه، فيما نعلم. وكان عند دخول رمضان يرسل إلى غالب أرباب المظاهر ومن دونهم الشموع والهدايا والأرز والسكر والكساوي وعمرت في أيامه الكنائس وديورالنصارى وأوقف عليها الأوقاف الجليلة والأطيان ورتب لها المرتبات العظيمة والأرزاق الدارة والغلال وحزن ابراهيم=

وهناك معالم أثرية أخرى لدير البراموس نذكر منها سور دير البراموس ويبلغ طوله من الشرق للغرب ١١٢ مترًا، ومن الشمال إلى الجنوب ٨٣ مترًا، وكان قبل القرن الثامن عشر الميلادي ٦٩ مترًا، وقام المعلم إبراهيم الجوهري بنقل سور الدير القبلي نحو ١٥٠ x ١١٢ متر طولًا، فصارت مساحة الدير الكلية فدانين وأربعة قراريط. ويرتفع السور عن الأرض نحو ٩ أمتار، وعرض حائطه متر ونصف. ويوجد للدير ثلاثة أبواب للدير حيث يوجد باب في الناحية البحرية، وباب في الناحية الشرقية، وباب في الناحية القبلية. كما توجد المطعمة وهي عبارة عن حجرة أعلى الباب البحري للدير، يصعد إليها بسلم داخلي، ويحفظ فيها الخبز باستمرار لإطعام كل عابر سبيل يحتاج إلى خبز، وبالدير يوجد قصر للضيوف مائدة أثرية، وفرن لحرق الجبس، وأمامها من الناحية القبلية طاحون الجبس، ويوجد للدير منارتان قام الأبا توماس المتنيح ببنائهما عام ١٩٢٠ م. كما توجد مكتبة للدير تحتوي على العديد من المخطوطات والكتب النادرة.

أما الحصن فيعد من أهم معالم الدير، ويرجع بنائه للحد من الهجمات البربرية على الأديرة وهو بناء موجود في كل أديرة البرية، وللوصول إليه لا بد أن يصعد الشخص إلى سطح الكنيسة

= بك لموته وخرج في ذلك اليوم الى قصر العيني حتى شاهد جنازته وهم ذاهبون به إلى المقبرة وتأسف على فقدته تأسفاً». وبعد وفاته واصل أخيه المعلم «جرجس الجوهري» الأعمال الخيرية التي كان يقوم بها، كما تم تعيينه مكانة في منصب كبير كتبة مصر، وتولى منصب رئيس المباشرين في عهد «محمد علي باشا»، وظل يجاهد في الخير والعمل حتى وفاته في ٢٥ توت ١٥٢٧ ش/ ٢٧ سبتمبر ١٨١٠، ودفن مع أخيه إبراهيم في مقبرة العائلة انظر: إيريس حبيب المصري، السنكسار الأمين، مكتبة مارجرجس باسبورتنج، الإسكندرية ١٩٨٨، ص ٢٤٤-٢٤٥، ماجد إسرائيل: مقال بعنوان «الدار البطيركية ٥٦-٢٠١٢م»، جريدة الشروق، بتاريخ ٢ نوفمبر ٢٠١٢م، انطونيوس الأنطواني، وطنية الكنيسة القبطية وتاريخها. مج. ١، ٢. القاهرة، ٢٠٠٤ م، ج٢، ص ١٢٥، أيسوذورس، الأبا، المرجع السابق، ص ٣٩٠، ثيودور هول باترك، المرجع السابق، ص ١١٧؛ رياض سوريال، المرجع السابق، ص ١٩٢، توفيق إسكاروس، نوابغ الأقباط ومشاهيرهم في القرن التاسع عشر، جزءان، مطبعة التوفيق، القاهرة ١٩١٠م، ص ٢١٥، دير السريان، مخطوطة رقم ٢٤٩، ميامر، ١٥٨١ ش/ ١٨٦٥م؛ عمر طوسون، المرجع السابق، ص ١٨٤-١٨٥. شواهد القبور، لوحة رخامة لمقبرة المعلم إبراهيم الجوهري، بمنطقة مصر القديمة، توجد على المقبرة تاريخ نياحته ١٥١١ ش/ ١٧٩٥م، عبد الرحمن الجبرت، المرجع السابق، ص ٢٦٢.

ليذهب إلى المعبر المؤدي إلى باب الحصن، وهكذا كان الرهبان يفرون من المعتدين، وكانوا بعد دخولهم إلى الحصن يرفعونه بواسطة سلسلة من الحديد مرتبطة بطرفة من جانب ومن الجانب الآخر ترتبط السلسلة بعجلة تلتف حول نفسها، تساعد بها بكره في سرعة رفع المعبر. وأمام العجلة فتحات مستديرة بسيطة ينظر فيها مدير العجلة ليطمئن إلى انتهاء عملية إغلاق باب الحصن بنفس المعبر^(١)، ويصف لنا الرحالة الفرنسي أندريوسي الحصن قائلاً: "لكل دير بداخله برج مربع الشكل، لا يمكن الدخول إليه إلا بواسطة جسر متحرك يبلغ طوله خمسة أمتار، وارتفاعه فوق سطح الأرض ستة أقدام ونصف القدم. ويرفع الجسر بواسطة حبل أو سلسلة تمر من خلال الجدار، ويلف هذا الحبل حول رchy أفقية، وينتهي البرج بسطح علوي فوق جدار السور"^(٢)، بينما أكد الرحالة سويني على وجود احتياجات الرهبان وقت الحصار فوصف قائلاً: "وفي هذا الحصن يوجد احتياطي من مياه الأمطار والمؤن التي تمكن الرهبان من مواجهة الحصار"^(٣)، يتكون الحصن من ثلاثة أدوار هي:

الدور الأرضي: لتخزين الطعام ومنه الترمس الذي لا يتعب الرهبان في تجهيزه كطعام كامل، وقد جهز بالحصن بئراً للشرب في أثناء الحصار، ولا توجد في هذا الدور فتحات أبواب أو نوافذ حتى لا يتمكن العدو من الدخول فيه.

الدور الأوسط: وهو عبارة عن حجرات للآباء الرهبان يستريحون فيها في أثناء فترة الحصار. وقد جهزت لهذه الحجرات طاقات لكي تأتي بالنور، وهذه الطاقات ضيقة من الخارج وواسعة من الداخل حتى يندفع إليها الهواء فيتجدد باستمرار، كما وضعت طاقة في الوسط حتى تضيء الغرفة كلها عندما تظهر الشمس.

الدور الثالث: هو عبارة عن حجرة كبيرة لراحة الآباء، علاوة على وجود كنيسة للصلاة على اسم الملاك ميخائيل، رجاء أن يحمي الملاك الدير ورهبانه، وبالكنيسة طاقات للإنارة والتهوية^(٤).

(١) أغسطينوس البرموسي، القس: المرجع السابق، ص ٥٥-٧٢.

(٢) (٤) تأليف علماء الحملة الفرنسية: المرجع السابق، ج ٢، ص ٦٣-٦٧.

(٣) هيو ج. ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص ١٦٩.

(٤) أغسطينوس البرموسي، القس: المرجع السابق ١٩٩٣، ص ٥٥-٧٢. انظر الشكل رقم ١٦.

ونذكر للتاريخ أن المتنيح المعلم إبراهيم الجوهري قام في عام ١٤٨٩ ش/ ١٧٧٣ م بترميم الحصن، وقد استغرقت عملية الترميم نحو خمسة شهور، وشيد قصر السيدة بالبراموس وبنى كنسية مستجدة على اسم الأنبا أبلو وايب، وأشرف على هذا العمل نيافة الأنبا يوساب أسقف الكنيسة القبطية في مدينة القدس^(١).

- دير القديس مقاريوس (الأنبا مقار):

ذكرت مخطوطة سراييون في حياة القديس مقاريوس (مقار)^(٢) أنه بعد نياحة القديسين

(١) عبد المسيح المسعودي البرموسي، القمص: المرجع السابق، ص ٦١.
(٢) القديس مقاريوس (مقار) الكبير: وُلد القديس مقاريوس عام ٣٠٠ م في بلدة شبشير بمحافظة المنوفية. كان والده كاهنًا شيخًا نزع إلى قرية شبشير حاملاً معه من وطنه الأصلي ما تبقى له من فضة، فاشترى قطعة أرض ليفلحها، بالإضافة إلى خدمته الكهنوتية التي استأنفها مع كهنة القرية، الذين رحَّبوا به لما رأوه عليه من نعمة وقداسة. وبعد سنتين أو ثلاث وُلد مقاريوس، وكان الطفل يتربى وينمو في مخافة الله على يد أبويه الصالحين. ولما شبَّ عن الطوق، بدأ يذهب مع أبيه إلى المزارع. وقليلًا قليلًا بدأ يساعد أباه في فلاحه الأرض، وكان أن الله وسَّع رزقها جدًّا من مواش وأملاك. وبدت النعمة على الشاب مقار، فكانوا يلقبونه باسم «الشاب الحكيم». وكان جميلًا حسنًا في بهاء، وكان وجهه ممتلئًا نعمة، ومن فرط حب كهنة القرية له أخذوه إلى أسقف الناحية بدون علم أبيه ورسموه «أناغنوستيس». وكان حافظًا مخافة الله بالطهارة وتلاوة الكتب المقدسة في الكنيسة، وكان يفهم بقلبه الذي يقرؤه، فألزمه كهنة الكنيسة أن يكون خادماً للبيعة (أي ثبوتوه شماسًا عليها)، واضطَّروه أن يأخذ له امرأة. وكان أبواه يحبان هذا الأمر وهو لا يريد ذلك، فأكرهوه غصبًا، ولكنه كان بقلبه ونفسه ناظرًا إلى الله، فلم ينظر إلى أمراته ولم يتقدم إليها ألبتة وظل حافظًا الطهارة. وكان لأبيه قطيع جمال كثيرة فطلب مقارة من أبيه أن يمضي مع الأجراء إلى الجبل ليحملوا النطرون إلى مصر، وأراد بذلك أن يبعد من قلبه إرادة المرأة ويتخلص من التقدم إليها ورؤيتها. وكان يعيش مع الجمالين، لذلك سُمِّي من أهل بلده بالجمال. وكان قد رأى رؤيا في أحد الأسفار وهو نازل مع الجمالين إلى شيهيت، إذ ظهر له الشاروبيم بمنظر نوراني بهيج وشجعه، وقال له الرب على فم الشاروبيم: «إن الله يقول لك: إني أعطيك هذا الجبل ميراثًا لك ولأولادك، يتفرَّغون فيه للصلاة، ويخرج منك رؤوس ومقدَّمون، من هذه البرية»، «ها كل البرية أمامك لأنِّي أخشى لثلا أعطيك وصية أن تسكن هنا أو هناك فيقاتلك الضجر أو الاضطهاد وتخرج من ذلك الموضع وتتجاوز الوصية فتخطيء. فليكن سكنك بسطائك.» وشجعه الشاروبيم وقال له: «إني سأكون معك كل وقت، كأمر الرب». وكان القديس مقارة في ذلك الوقت قد ناهز الأربعين عامًا من عمره، ولما كان مولده في سنة ٣٠٠ م، فتكون بداية توحده في شيهيت حوالي عام ٣٤٠ م. وقد اختار القديس مقارة المكان المعروف الآن بدير البراموس، وحفر لنفسه مغارة وبدأ يتعبَّد بنسك كثير. وسرعان ما ذاع صيته واجتمع حوله عديد من المريدين الذين =

مكسيموس ودوماديوس، ثم بناء كنيسة تخليداً لهما بجوار دير البراموس الحالي، ابتدأت شهرة

= أحبه حباً جماً بسبب أبوته وحكمته والنعمة التي كانت عليه. وبحسب التحقيق، فإن القديس الأنبا مقار مكث في هذا المكان ما يقرب من عشرين سنة حتى اكتمل دير البراموس واكتظ بالمتوحدين الذين كانوا يعيشون في مغائر حول الكنيسة الرئيسية، إذ لم يكن هناك أسوار بعد. وقد قام القديس الأنبا مقار في هذه المدة بزيارة القديس أنطونيوس مرتين، المرة الأولى عام ٣٤٣م، والثانية عام ٣٥٢م. وقد تسلم من القديس أنطونيوس فضائله وتعاليمه، وألبسه أنطونيوس الإسكيم المقدس، وسلمه عكازه؛ فكان هذا نبوة عن تسلم مقاريوس رئاسة الرهبة بعد أنطونيوس. وقد شهد له القديس أنطونيوس بأن قوة عظيمة كانت تؤازره بقوله له: «إن قوة عظيمة تخرج من هاتين اليدين». كما كان القديس مقاريوس يتردد على إقليم نتريا، حيث كانت جماعة الرهبان بقيادة القديس آمون، ليصلي في الكنيسة هناك كلما أراد الشركة في جسد الرب ودمه، لأنه لم تكن قد بنيت كنيسة في شيهيت إلا بعد زيارة القديس مقاريوس الثانية للقديس أنطونيوس أي عام ٣٥٢م. وعرف عن مقار منذ شبابه «الحكمة». فكان أصدقائه ومحبه يدعونه باسم «بيداريو جيرون» أي «الشاب الشيخ» أو «الصغير صاحب حكمة الشيوخ». وكانت له قدرة على استبطان الأمور، فبدت وكأنها روح نبوة، فكانوا يدعونه بالنبي اللابس الروح، أي حامل الروح القدس. وكان صفوحاً معزياً، مقتدرًا بالروح قادراً أن يقود جميع القامات والمستويات إلى المسيح. جمع في قطعه بين أعنف الناذج مثل موسى الأسود، وأرق وألطف الناذج مثل زكريا الصبي الجميل أو أبوليناريا الراهبة السنكليتيكا (ريبة القديسين) ابنة أحد رجال البلاط الملكي. وكان وجهه يضيء بالنعمة، بصورة ملفتة للنظر، حتى أن آباء كثيرين شهدوا بأن وجهه كان يضيء في الظلام، فأسموه بالمصباح المضيء. وقد انتقلت هذه الصفة أو هذه التسمية إلى ديريه، فدعي كذلك بمصباح البرية المضيء أو الدير المضيء، مكان الحكمة العالية والصلاة الدائمة. ولكن أعظم صفات أو مميزات القديس مقاريوس كانت القوة الإلهية الحائلة عليه، والتي دعيت بالشاروبيم التي كانت مصدر قوته وإلهاماته وحسن تدبيره وسلطانه على الأرواح النجسة. وقد تميز القديس الأنبا مقار بفضائل عدة نذكر منها قليلاً من كثير: فقد كان له قدرة فذة على ستر عيوب الآخرين. فكان يُقال: «إن مقاريوس كان يعيش كإله على الأرض، فكما أن الله يستر على الجميع ويحتمل خطايا البشر، هكذا كان هذا القديس يستر خطايا وعيوب إخوته، بل قيل: إنه كان يراها كما لو لم يكن قد رآها، وإنه كان ينصت إلى ما يُقال إليه، وكأنه لم يكن قد سمع شيئاً». كما سئل القديس مقاريوس ذات يوماً: أي الفضائل أعظم؟ فأجاب وقال: «إن كان التكبر يعتبر أشد الرذائل كلها حتى أنه طرح طائفة من الملائكة من علو السماء، فبلا شك يكون التواضع أكبر الفضائل كلها لأنه قادر أن يرفع المتمسك به من الأعماق حتى ولو كان خاطئاً. من أجل ذلك أعطى الرب الطوبى للمساكين بالروح.» وقد تنجح القديس مقار حوالي عام ٣٩٧م، عن عمر يناهز ٩٧ عاماً، ويوجد جسده الطاهر بكنيستته بدير الأنبا مقار بيرية شيهيت بوادي النطرون، انظر: متى المسكين، الأب، الرهبة القبطية في عصر القديس الأنبا مقار، المرجع السابق، ص ٥٣-١٢٠؛ متى المسكين، الأب، سيرة القديس الأنبا مقار الكبير، الطبعة الأولى، دير الالأنبا مقار ١٩٨٩م، صموئيل السرياني، المرجع السابق، ص ٩٨.

مقاريوس من ذلك الزمان تنمو في كل أنحاء العالم، ولرغبة في الهدوء والعزلة ولكثرة مضايقات العدو المضاد له، قام بإرشاد الشاروبيم وانحدر جنوبًا بشرق إلى الصخرة الواقعة في جنوب الملاحات غرب البئر الواقعة أعلى الوادي. ثم أرشده الملاك أن يبني مسكنًا له هناك وكنيسة للصلاة، كما أعلمه أن جموعًا كثيرة ستأتي وتسكن هذا المكان. وتقول المخطوطة إنه سكن حتى نياحته ٣٩٧م، لذلك دعا هذا الموضوع إسقيط مقاريوس. ولذلك قام القديس مقاريوس ببناء بئر جديدة عرفت فيما بعد ببئر مقار، أما الإخوة الرهبان الذين رافقوه إلى هناك فقد تجمعوا أسفل الصخرة وبنوا قلايتهم تحت الصخرة بالقرب من البئر، كما ذكر كتاب فضائل القديس مقاريوس الموضوع بالقبطية أن القديس بامو وإيفاجريوس من منطقة نتريا ومعهم أنبا موسى ولحق بهما آخرون من البرية، قاموا بزيارة القديس مقاريوس في منطقة المشهورة بـ «صخرة الأنبا مقاريوس» حيث كان يسكن مع أولاده الرهبان، الذين قاموا بتشييد المنشوبيات الذي اشتهر به دير الأنبا مقار^(١).

وهنا نذكر للتاريخ أن بداية نشأة دير الأنبا مقار ترجع إلى عام ٣٦٠م، وهو العام الذي ترك فيه الأنبا مقار منطقة دير البراموس للبحث عن حياة الوحدة الكاملة، وكان عمره نحو ٦٠ عامًا، وفي جنوب الوادي وبالتحديد على صخرة الأنبا مقار جنوب الوادي حيث كان يعيش حياة بمفرده^(٢) في المغارة^(٣) التي حفرها بنفسه وكانت ذات سرداب طويل ينتهي بمغارة أخرى سرية يلتجئ إليها، ليتحاشى مقابلة الزائرين، لأنه كان محبًا للوحدة والسكون إلى أقصى حد^(٤)، وبعيدًا منه وأسفل الصخرة عاشت جماعة رهبانية بدأت تتكاثر وتنمو في هدوء، بعضهم على شكل جماعات في منشوبيات متفرقة وبعضهم متوحدون؛ كل واحد يجاهد

(١) متى المسكين، الأب: الرهبنة القبطية في عصر القديس الأنبا مقار، المرجع السابق، ص ٢٢٢-٢٢٦.

(٢) متى المسكين، الأب: الرهبنة القبطية في عصر القديس الأنبا مقار، المرجع السابق، ص ٢٢٢-٢٢٦. انظر الشكل رقم ١٩، ٢٠، ٢٢.

(٣) مغارة القديس مقاريوس: قد عثر عليها في دير القديس الأنبا مقار أخيرًا.

(٤) الموقع الرئيسي لدير الأنبا مقار: <http://www.stmacariusmonastery.org/aabout.htm>

في وحدته؛ ولا يجتمع بهم الأنبا مقار إلا نادرًا فيما عدا اجتماع الكنيسة الأسبوعي. والمعتقد أن القديس مقاريوس كان معتزلاً الممارسات الكهنوتية معظم حياته، كذلك يعتقد انه أخذ معه أنبا إسذوروس حينما ارتحل إلى منطقة دير الأنبا مقار، تاركًا القديس بافنوتيوس تلميذه الأكبر، وأكبر الكهنة الذي صار رئيسًا فيما بعد على الأربعة الأديرة كلها بيرية شيهيت. ويؤكد كاسيان أن بافنوتيوس حل محل إسذوروس في سنة ٣٧٣م، مما يؤكد رحيله مع القديس مقاريوس في هذا التاريخ في ارتحاله إلى منطقة دير الأنبا مقار (اليامون)^(١).

ويقع دير الأنبا مقار في الجنوب الشرقي لدير الأنبا بيشوي ودير السريان وتبلغ مساحته نحو فدانين^(٢) وينسب هذا الدير للقديس مقاريوس الكبير^(٣) ويضم الدير العديد من المعالم الأثرية فمثلاً عند دخولك الدير ونزولك على السلام الكبيرة للوصول إلى كنيسة الأنبا مقار ستعبر من تحت قوس أثري عظيم من الطوب الأحمر الجميل، وهو عبارة عن مقصورة arch ضخمة، كانت هي المدخل البحري القديم لكنيسة الأنبا مقار فيما قبل القرن التاسع الميلادي، ويرجح أنها من القرن السابع الميلادي لأنها على نمط مقصورة هيكل الأنبا بنيامين^(٤) الذي أقيم في زمان البابا بنيامين الأول البطريك رقم (٣٨) ما بين عام (٦٢٣-٦٦٢م)^(٥)، أي يقدر عمرها بأكثر من ١٣٠٠ عامًا. وقد عثر عليها أثناء إزالة طبقات السور الذي بُدئ ببنائه وتعليته حول الكنيسة منذ القرن الرابع عشر الميلادي، وما أضيف على هذا السور من طبقات سائدة أخرى خارجية ملاصقة بُنيت في القرون الحديثة، نظرًا لتداعيه بسبب إقامة مراحيض تحته مباشرة، ولقد بذلت مجهودات فنية استغرقت نحو ستة أشهر حتى أنجز هذا القوس الأثري العظيم المتداعي في كل أجزائه^(٦).

(١) متى المسكين، الأب: الرهبة القبطية في عصر القديس الأنبا مقار، المرجع السابق، ص ٢٢٢-٢٢٦.

(٢) عبد المسيح مسعود، القمص: المرجع السابق، ص ٧٢.

(٣) صموئيل السرياني، المرجع السابق، ص ٩٨.

(٤) الموقع الرئيسي لدير الأنبا مقار: <http://www.stmacariusmonastery.org/about.htm>.

(٥) ماجد عزت إسرائيل: البطريك المنتظر، القاهرة ٢٠١٠م، ص ٨٧.

(٦) الموقع الرئيسي لدير الأنبا مقار: <http://www.stmacariusmonastery.org/about.htm>.

كما وصف الرحالة روبرت هنتنجتون (١٦٧٨-١٦٨١ م) دير الأنبا مقار قائلاً: «إن دير القديس الأنبا مقاريوس يعد من أكبر أديرة الوادي والباقي من بين ٣٦٦ ديرًا، وهو أكثرهم خرابًا»^(١)، وعلى الرغم من ذلك يمتلك الدير مجموعة من الكنائس والهياكل الأثرية نذكر منها كنيسة الأنبا مقار ويوجد بها هيكل الأنبا مقار؛ وهو أثر خالد بدأت نواته الأولى عام ٣٦٠ م، وهذا الهيكل أُعيد بناؤها في أيام البابا بنيامين البطريك رقم (٣٨) في زمن دخول العرب (٢١ هـ/ ٦٤١ م)، ودشنها هذا البابا بدعوة من شيوخ البرية عام ٦٥٥ م، ولا يزال هيكلها الكبير المعروف بهيكل الأنبا مقار بقبته الضخمة قطر ٨ متر على طوبة واحدة، ويدعى أيضًا باسم "هيكل أنبا بنيامين" منذ يوم دشنه حتى كتابة هذه السطور^(٢). ولكن قبته تساقطت عدة مرات ورُممت عدة مرات، والناظر إليها بتدقيق يستطيع أن يعد مرات السقوط والترميم لاختلاف لون "المونة". والكنيسة حاليًا لا تحمل من أجزائها الأثرية الأولى سوى هيكل أنبا بنيامين وهيكل يوحنا المعمدان أو (مارمرقس) فقط^(٣). وهذا ما أكدته الرحالة جوهان ميشيل فانسليب الدومنيكاني عام ١٦٧٢ م حيث ذكر قائلاً: «كان دير القديس مقاريوس أكبر الأديرة ولكنه أكثرها تدهمًا، وأن الكنيسة بصفة خاصة كانت متخربة على الرغم من أنها كانت سابقا جميلة جدًا»^(٤).

أما هيكل يوحنا المعمدان أو مارمرقس سمي كذلك لأن جسد يوحنا المعمدان الذي نُحِل من فلسطين في أيام القديس أنبا أثناسيوس الرسولي، ودُفن في الإسكندرية، ثم نُقل منها ودُفن في دير الأنبا مقار أيام الاضطهاد. وقد عثر في أثناء حفر أرضية الخورس الأول، وأمام هذا الهيكل وعلى مسافة تحت الأرض على قبو من الطوب القديم، ومع تعميق أسفله وجد هذه الرفات الطاهرة مع باقي عظام أخرى وتابوت به هيكل جسدي كامل. وقد أصدر الدير

(١) هيو ج. إفيلين هوايت: المرجع السابق، ص ١٦٠-١٦١.

(٢) كاتب هذه السطور شاهد هذا الأثر القيم، بصحبة الراهب باسيلوس المقاري مسؤول مطبعة دير الأنبا مقار ومجلة مرقس بشبرا - القاهرة.

(٣) الموقع الرئيسي لدير الأنبا مقار: <http://www.stmacariusmonastery.org/about.htm>.

(٤) هيو ج. إفيلين هوايت: المرجع السابق، ص ١٥٧-١٥٨. انظر الشكل رقم ٢٠، ٢٢.

تقريرًا وافيًا تفصيليًا عن هذا الكشف الأثري والدلائل التاريخية القديمة كافة. ولما حُمِلت رأس القديس مارمرقس ودفنت في هذا الهيكل، حملت الكنيسة كرامة رسولية من ذلك التاريخ وسميت بالكنيسة الجامعة. وأصبح اسم مارمرقس يتبادل مع اسم يوحنا المعمدان لهذا الهيكل، والباحث المدقق يلاحظ تلازم وجود جسدي يوحنا المعمدان ومارمرقس الرسول في هيكل واحد في دير القديس الأنبا مقار، يرادفه توارد هذين الاسمين الكريمين في القداس في بداية المجمع، مما يشير إلى أن ”المجمع“ من وضع رهبان دير الأنبا مقار. ولا تزال الصور الرائعة التي زُيِّن بها هيكل يوحنا المعمدان تحتفظ بألوانها الزاهية ودقتها المتناهية رغم سقوط قبهته وبقائه في العراء عدة مئات من السنين^(١).

ودير القديس الأنبا مقار من أغنى أديرة وادي النطرون بما يحويه من قدسية لدى الرهبان حيث يوجد بالدير رفات العديد من أجساد القديسين، منها أجساد المقاربات الثلاث^(٢). المصري المدعو بالكبير، والإسكندراني، المدعو بالمديني^(٣) والشهيد أسقف إدكو^(٤). وترسم هذه الشخصيات المكرمة في الأيقونات القبطية الأثرية هكذا: الأنبا مقار الكبير المصري حاملاً

(١) الموقع الرئيسي لدير الأنبا مقار: <http://www.stmacariusmonastery.org/aabout.htm>.

(٢) رءوف حبيب: المرجع السابق، ص ١١٤. انظر الشكل رقم ١٩، ٢٠، ٢٢.

(٣) المديني: هذه التسمية نسبة إلى المدينة العظمى الإسكندرية التي تقع في شمال على ساحل البحر المتوسط.

(٤) إدكو: اسمها الأصلي إتكو، وردت في معجم البلدان بفتح أولها، وهي بلدة قديمة قرب رشيد من نواحي مصر، وفي التحفة من نواحي ثغر الإسكندرية، وفي تاريخ ١٢٢٨ هـ/ برسمها الحالي، وكانت إدكو تابعة لمركز العطف، فلما أنشئ مركز رشيد في أول سنة ١٨٩٦ م ألحقت به لقربها منه، وذكره جوتبيه في قاموسه إدكو، بينما أميلينو في جغرافيته ذكرها أنها قديم وإنها وردت في كشف الأسقفيات إتكو، وذكر قائلا: «إن إدكو لها اسمين عند القبط، وهما إتكو وتباشور، ويرى أن تباشور هو اسم مدينة غير إدكو، وأن مدينة تباشور ودفاشور هما اسمان لقرية واحدة، الأول منهما اسمها القديم، والثاني اسمها القبطي، وهذه القرية هي التي سماها العرب دفشو، وقد اندثرت، ومكانها حالاً كوم دفشو، وهي تابعة لمركز كفر الدور، وهذه القرية ذكرت في كشف الأسقفيات مع إتكو باعتبار أنها قاعدة للقسم الذي كانت تتبعه إتكو في ذلك الوقت، كما أن المذكور معهما في كشف الأسقفيات، كانت هي مركز الأسقفية التي تتبعها إتكو في ذلك الوقت أيضاً. ومن هذا يتبين أن تباشور ودفاشير، لم تكونا من أسما إتكو، بل هما اسمان لقرية دفشو القديمة كما ذكرنا انظر: محمد رمزي، المرجع السابق، ص ٢٩٨-٢٩٩.

صليبياً^(١)، الأنبا مقار الإسكندراني حاملاً سلمي^(٢). الأنبا مقار أسقف ادقاو حاملاً على ذراعيه حملاً صغيراً^(٣)، وقد أجرى الله معجزات كثيرة بتشفعات هؤلاء القديسين على مدى العصور والسنين حتى يومنا هذا. أما جسد أنبا يؤانس القصير، فقد تم نقله إلى مقصورة خاصة به في كنيسة الشهيد أبي سخيرون، والقديس يؤانس القصير هو ابن الأنبا مقار من الرعييل الثاني، ورئيس جماعة الرهبان العظيمة التي كانت تتبعه. وكان مشهوراً بتواضعه وأبوته الحكيمة. ومقر رهبانيته كان جنوب غرب دير الأنبا مقار بمقدار ١٥ كيلومتراً. ولما تحرّب ديرهم نقلوا جسده إلى دير القديس الأنبا مقار^(٤).

كما توجد أجساد العديد من البطارقة وعددهم بحسب جدول البطارقة ما يقرب من ستة عشر من البابوات وكلهم رهبان الدير أصلاً، وقد أوصوا بدفن أجسادهم في ديرهم^(٥)، لا تعصباً للمكان ولكن تفاؤلاً بقربهم من شفيعهم وأبيهم الأول، وحينئذٍ منهم إلى موطن جهادهم ودموعهم وسهرهم في شبابهم «لأنَّ عبيدَكَ قَدْ سُرُّوا بِحِجَارَتِهَا، وَحَنُّوا إِلَى تُرَابِهَا»^(٦). وقد أكد الرحالة فانسليب على وجود عدد كبير من أجساد القديسين حيث قال: « وإلى جانب أجساد عديدة للقديسين، توجد خمسة أو ستة ألواح رخامية متميزة بذكرها»^(٧)، وكانت الأجساد - سواء التي للشهداء التسعة والأربعين الذين قتلهم البربر أو البطارقة - في العصور الأولى إلى ما قبل القرن الثالث عشر الميلادي خارج أسوار الدير بدير صغير لهم بقرب دير الأنبا زكريا، ولكن بعد أن تجمع الرهبان داخل الأسوار أدخلوا الأجساد معهم وظلت تنتقل من مكان لمكان إلى أن قمنا بجمعها معاً في مقصورة واحدة في الخورس الثاني لكنيسة الأنبا

(١) حاملاً صليبياً: رمز الجهاد والإمامة وبذل الذات.

(٢) حاملاً سلمي: رمز شغفه باقتناء الفضائل على درجات.

(٣) حملاً صغيراً: على أساس اعتباره راعياً وباعتباره شهيداً سيق إلى الذبح كسيده لذلك ترسم ثيابه بيضاء اللون.

(٤) الموقع الرئيسي لدير الأنبا مقار:

<http://www.stmacariusmonastery.org/about.htm>.

(٥) رءوف حبيب: المرجع السابق، ص ١١٤.

(٦) الكتاب المقدس: (مز ١٠٢: ١٤).

(٧) هيو ج. ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص ١٥٧-١٥٨.

مقار. ويبدو أن هذا المقصورة كانت في السابق مبنية لهذا الغرض لأن موقعها هو فوق القبو تحت الأرض الذي عثرنا فيه على عظام أليشع النبي ويوحنا المعمدان، كما وجدنا تابوتاً كاملاً لجسد محنط كامل مدثر في ملابس الخدمة^(١).

ومن أشهر كنائس دير القديس الأنبا مقار كنيسة الشهداء التسعة والأربعين شيوخ شيهات الذين قتلهم البربر، حيث كانت في الأصل جزءاً من الأجزاء الغربية لكنيسة القديس الأنبا مقار، أما من حيث المحتوي، فقد جمعت جواهر ثمينة لا تقدر بهال، فهذه الكنيسة تحمل ذكرى إيمان حي وشهادة بسفك الدم، هو ميراث للدير أثمن من الذهب الفاني، حيث يذكر لنا التاريخ أنه في الغارة الثالثة على الدير، عندما هجم عربان البادية على الرهبان، هرب معظمهم وتحصنوا في الجوسق^(٢)، ورفعوا السقالة. ولكن تسعة وأربعين من الرهبان القديسين تشجعوا بالإيمان، وقهروا الخوف ورفضوا النجاة مع رئيسهم العظيم المكرم أنبا يؤانس القمص، ووقفوا باستعداد تقديم الشهادة، فلما طُلبت قدموا رقابهم سهلة طائعة للسيوف اللامعة دون أدنى إنزعاج، لأنهم رفضوا النجاة بغية قيامة أفضل وحياة أفضل^(٣).

أما قبة الميرون فتعد أثر جليل القدر يحكي عن ميرون دير القديس الأنبا مقار، وكيف حلت به البركة على كل مولودي نساء مصر ومسحت به كل أباطرة الشرق^(٤) وكل أدوات الكنائس. وقبة الميرون هي أصلاً جزء من كنيسة القديس الأنبا مقار الأولى، حيث موقعها هو فوق الكنيسة في الركن البحري الغربي، بنيت خصيصاً لتكون بمثابة عُلْيَة، وبُدئ بتكريس الميرون فيها منذ أن نقل باباوات الإسكندرية مقر كرسيهم من الإسكندرية إلى دير القديس الأنبا مقار بعد مجمع خلقيدونية ٤٥١ م^(٥) مباشرة، أي في نهاية القرن الخامس. وظل الميرون المقدس يُطبخ

(١) الموقع الرئيسي لدير الأنبا مقار: <http://www.stmacariusmonastery.org/about.htm>

(٢) الجوسق: كلمة تعني الحصن. انظر الشكل ٢٢.

(٣) الموقع الرئيسي لدير الأنبا مقار: <http://www.stmacariusmonastery.org/about.htm>

(٤) أباطرة الشرق: يقصد هنا أباطرة منطقة شرق أفريقيا حالياً أى دولة أثيوبيا وأرتريا والسودان.

(٥) مجمع خلقيدونية: وهو المجمع الذي رفضته الكنيسة القبطية، ولم تقبل مقرارته لمزيد انظر: ماجد عزت إسرائيل، البطريك المنتظر، المرجع السابق، ص ١٧.

باحتراف عظيم ومهيب يحضره معظم الأساقفة تحت هذه القبة الطاهرة حتى منتصف القرن الرابع عشر الميلادي، أي ظل ميرون مصر كلها يخرج من دير القديس الأنبا مقار قرابة تسعة قرون متوالية، حيث صُنِعَ آخر طبخة مقدسة للميرون على يد أنبا بنيامين الثاني سنة ١٣٣٠ م. وكان ميعاد طبخ الميرون في العصور الأولى هو يوم الجمعة ختام الصوم الأربعيني، ولكن نُقِلَ هذا الميعاد بعد ذلك وصار محددًا في الطقس بيوم خميس العهد، وهو يوم تأسيس سر الشكر^(١) أو الإفخارستيا^(٢). وأكد الأب كلود سيكار على أهمية يوم خميس العهد عن رهبان الأنبا مقار حيث ذكر قائلاً: «كان يوجد فرن خاص كما في سائر الأديرة القبطية لخبز القربان المستعمل في سر الإفخارستيا، وهو يعمل على شكل كعك مستدير صغير. ويوزع القربان غير المكرس بعد القداس على الرهبان والزائرين للدير»^(٣). كما كان البطارقة أحياناً يدشنون الكنائس والهياكل التي تكون قد شيدت في هذا الدير^(٤).

على أية حال، تعتبر كنيسة الشهيد أباسخيرون^(٥) أصلاً جزءاً من كنيسة القديس الأنبا مقار من الجهة القبلية، وكانت على الأرجح هيكل الفتية الثلاثة القديسين. وقد رُمّت بعد سقوط

(١) الموقع الرئيسي لدير الأنبا مقار: <http://www.stmacariusmonastery.org/about.htm>.

(٢) الإفخارستيا: أو سر التناول أو القربان المقدس هو أحد الأسرار السبعة المقدسة في وهو تذكير بالعشاء الذي تناوله يسوع بصحبة تلاميذه يوم خميس العهد في عليّة صهيون.

(٣) هيو.ج.ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص ١٦٤.

(٤) رءوف حبيب: المرجع السابق، ص ١١٤.

(٥) الشهيد أباسخيرون أو أبسخيرون: كلمة مشتقة من كلمتين: «أبا» ومعناها «أب»، و«سخيرون» «أسخيرون» أو «إسكاروس»، معناها «القوي» أي معناه الأب القوي. وُلِدَ بقلين من محافظة كفر الشيخ، وكان جندياً شجاعاً محبوباً، له شهرة واسعة ومكانة بين رفقاءه ورؤسائه، من جنود الفرقة التي كانت بأتريب (حالياً مدينة بنها). إذ أصدر الإمبراطور الروماني دقلديانوس (٢٨٤ - ٣٠٥ م) دقلديانوس منشوراً بالذبح للأوثان في كل أنحاء الإمبراطورية، وإذ أعلن المنشور بين الجند رفض أبسخيرون التعبد للأوثان، فقام الوالي ولطمه وصار يوبخه، أما هو فألقى بمنطقة الجنديّة أمامه، للحال أمر الوالي بسجنه. فقام بتعذيبه بعدابات مريعة تفوق العقل والوصف حيث شق بطن أباسخيرون واستشهد من أجل الإيمان انظر: تادرس يعقوب المطي (القمص) ويوسف يوسف حليم (القس): قاموس آباء الكنيسة وقديسيها مع بعض الشخصيات الكنسية، حرف (أ) كنيسة الشهيد مار جرجس بإسبورتج، الإسكندرية ٢٠٠١ م، انظر الشكل ٢٢.

كنيسة القديس الأنبا مقار وصارت كنيسة قائمة بمفردها. وكانت هذه الكنيسة متصلة قديماً بكنيسة أخرى قبلي الدير تسمى كنيسة المغبوط أريستوماخس التي استولى عليها جماعة الغيانين المنشقين في وقت من الأوقات عام (٥٣٥م). وتهدمت كنيسة أبا سخرون بعد ذلك ولم يبق منها إلا خورسها الغربي الذي رُمم وصار مائدة للدير. والمائدة القديمة الحالية هي جزء منها.

كما تعد قبة أبا سخرون إحدى روائع الفن المعماري، ومن أجمل الآثار في الدير، وهي من الطراز المسمى بالقبة الرباعية. ويلاحظ أن القبة لا تتناسب في مركزها الهندسي مع مدخل الهيكل الأساسي المتوسط، مما يفيد أنها بنيت كرامة لهذا الهيكل بعد سقوط صحن الكنيسة. فالهيكل أقدم من القبة. وقد لوحظ أن المذبح المتوسط في الهيكل مغلق من جميع الجهات، ولم يتم فتحه، ويُعتقد أن به جسد الشهيد أبا سخرون أو أحد الأجساد الكريمة الأخرى، حسب الطقس القديم جداً الذي يوصي بوضع أجساد الشهداء تحت المذبح. وقد لوحظ في أثناء ترميم القبة التي فوق هذا الهيكل المتوسط أنها تشابه في الروح الهندسية وكثرة الفتحات المتناسقة قبة أنبا بنيامين، إنما على حجم أصغر، مما يزيد في إعتقادنا أنها من آثار القرن السابع الميلادي. كما يوجد باب رائع وجميل وهو الموجود بالخورس الأول من الجهة البحرية، وكان يفتح على صحن كنيسة الأنبا مقار الأولى. ولكن بإقامة الجدار الفاصل، أصبح هذا الباب يحصر داخله غرفة صغيرة وكأنها مقصورة جميلة، رأينا أن نخصصها لجسد القديس يؤانس القصير أحد أولاد الأنبا مقار. وقد صمم الباب بزخرفة دقيقة وبديعة من الطوب الطبيعي يلفت الأنظار. وهذا يزيد من اعتقادنا بأن كنيسة أبا سخرون الحالية هيكلها وقبتها الرائعة تحمل ذكرى مهمة كأثر خالد، مما حدا بالمهتمين بعمارة الدير حتى في العصور الوسطى إلى إعطاء أولوية العناية لهذه الكنيسة^(١).

وهناك حوض زيت مسحة المرضى، ويوجد بالهيكل القبلي لكنيسة أبا سخرون، وفي الناحية الشرقية البحرية من المذبح مصطبة بارزة وعليها حوض من الحجر شبه الرخام، وجدنا به طبقات متصلة من زيت زيتون متجمد بشدة. وقد علمنا من الطقس أنه حوض لزيت مسحة

(١) الموقع الرئيسي لدير الأنبا مقار: <http://www.stmacariusmonastery.org/aabout.htm>.

المرضى حيث كان طقس الكنيسة يحتم وجود زيت على المذبح أثناء تقديس الذبيحة، حيث يُقرأ عليه أو شية المرضى ثم يدهن به جميع المرضى في الكنيسة الذين كانوا يقيمون في بيت خاص يلحق بالكنيسة يعرف باسم البيمارستان^(١)، ويجرى عليهم الصلاة والمسح بالزيت بعد كل قداس. ويعتبر هذا الأثر ذا قيمة طقسية كبيرة لأنه يحكي ترتيب الصلاة على زيت مسحة المرضى مع كل قداس كقانون^(٢). كما ذكر الأب كلود سيكار أن هناك حوض مربع في الكنيستين - كنيسة القديس مقار والقديس يوحنا - ليس لمسحة المرضى ولكنه يستعمل في الاحتفال بعيد الغطاس^(٣).

أما الحصن فيعد أشهر معالم الدير ويعرف قديماً باسم «الجوسق» أو «البرج» أو «القستلية» Castle وهو من أقدم الآثار الهامة الموجودة بالدير، وأعظم وأضخم كافة الحصون الموجودة بالأديرة القبطية. بُني بيد عزيزة مقتدرة. فهو من جهة مبانيه وهندسته وضخامة حجارته وسمك جدرانته وهيبته وأقيته وارتفاعه يكشف عن هوية بانيه بلا أي مزيد من برهان^(٤)، فقد بناه الملك زينون عام (٤٨٢ م)، على يد مهندسين أرسلهم لدير الأنبا مقار خصيصاً لذلك، لما علم أن ابنته الأميرة إيلارية التي اختفت من قصره فجأة، قد التجأت إليه وترهبت فيه على يدي أحد تلاميذ الأنبا مقار وعاشت متخفية باسم الراهب إيلاري الخصي حتى ماتت^(٥). وقد أغدق الملك زينون بعد ذلك كثيراً على ذلك الدير وعلى كل أديرة مصر تكريماً لذكرى ابنته التي فضلت الحياة والموت مع رهبان مصر أكثر من التمتع في قصور الملوك. والحصن من ثلاثة أدوار، يفصله عن السلاالم المؤدية إليه سقالة متحركة كانت تُرفع بعد أن يلجأ الرهبان إليه

(١) البيمارستان: البيمارستان بفتح الراء وسكون السين كلمة فارسية مركبة من كلمتين بيمار بمعنى مريض أو عليل أو مصاب، وستان بمعنى مكان أو دار فهي إذا دار المرضى ثم اختصرت في الاستعمال فصارت مارستان.

(٢) الموقع الرئيسي لدير الأنبا مقار: <http://www.stmacariusmonastery.org/aabout.htm>.

(٣) هيو ج. ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص ١٦٤.

(٤) الموقع الرئيسي لدير الأنبا مقار: <http://www.stmacariusmonastery.org/aabout.htm>.

(٥) رءوف حبيب: المرجع السابق، ص ١١٤.

ويدخلون فيه^(١). وقد وصفه الرحالة جوهان ميشيل فانسليب قائلاً: «كان الحصن الذي يلجأ إليه الرهبان عندما يهاجمهم العرب، كان يحتوي على كل الأشياء الثمينة، بما في ذلك كتبهم التي لا يتجاسرون على بيعها»^(٢).

كما اكتشفت حديثاً الغرفة العجيبة وهي تقع في نهاية صف القلاوي القبو وملاصقة للسلم الجديد الذي أقمنه ليسهل الصعود إلى الحصن. وبالتحديد بحري الجدار لهذا السلم، حيث توجد فتحة مستديرة من الرخام المتقن، تؤدي إلى غرفة في باطن الأرض مبطنة بطبقة من المونة الشديدة التي تقاوم المياه، ومساحة هذه الغرفة (١٧٠ سم × ٤٥ سم × ٢٢٥ سم ارتفاع). ويظن أنها كانت خاصة بتصريف مياه العمودية التي كانت ملحقة بهيكل الأنبا شنودة. على كل حال فكونها واقعة على امتداد هياكل كنيسة الأنبا مقار تكون وظيفتها هيكلية على أغلب الظن^(٣). وهنا لا بد أن نسجل وصف الرحالة الأب كلود سيكار لسور دير القديس الأنبا مقار حيث ذكر قائلاً: «الدير القديس الأنبا مقار سور كبير نحو مائة خطوة طويلاً، وأقل قليلاً عرضاً، والجدران سمكية وعالية بمتاريس»^(٤).

وما يميز دير القديس الأنبا مقار عن باقي أديرة النطرون، حيث كان من العادات المتبعة عند انتخاب البطريرك للكرسي أن يتوجه بعدها مباشرة إلى دير الأنبا مقار حيث لا بد من إتمام عملية الرسامة والتقديس بالدير المذكور، وهذا دليل على مقدار المكانة المرموقة التي تبوأها ذلك الدير خلال العصور التاريخية المختلفة في أنحاء البلاد المصرية كافة بل في جميع أقطار المسكونة وأسبغ هذا بلا شك صفة التقديس للمكان المذكور^(٥).

ومنذ أن أصدر المتنيح البابا كيرلس السادس البطريرك رقم (١١٦) (١٩٥٩-١٩٧١ م) قرار بعودة القمص متى المسكين في ٩ مايو ١٩٦٩ م إلى دير الأنبا مقار، والدير يشهد نهضة

(١) الموقع الرئيسي لدير الأنبا مقار: <http://www.stmacariusmonastery.org/aabout.htm>.

(٢) هيوج.ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص ١٥٧-١٥٨.

(٣) الموقع الرئيسي لدير الأنبا مقار: <http://www.stmacariusmonastery.org/aabout.htm>.

(٤) هيوج.ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص ١٦٤. انظر الشكل ٢٢.

(٥) متى المسكين: الرهبنة القبطية عصر القديس الأنبا مقار المرجع السابق، ص ٣٩٦.

معمارية وروحية كبيرة، فمنذ الوهلة الأولى من دخول الأب «متى» المسكين ورفاقه دير الأنبا مقار، كان الدير في حالة يرثى لها ^(١)، فمن ناحية قواه البشرية لم يبق بالدير إلا أربعة رهبان. واحد منهم ضرير-والآخر طريح الفراش، والاثنان الآخران كبيران في السن، معنى ذلك أن الدير في حاجة إلى رهبان شباب من أجل إعالة الشيوخ، والحفاظ على استمرارية وبقاء الدير عامراً مفتوحاً للصلاة والنسك والتعب، وتعمير الدير بشرياً، وزيادة أعداده وقواه البشرية، ليظل منارة للنسك والتعليم في وادي النطرون ^(٢).

على أية حال، بدأ الأب «متى» المسكين مرحلة جديدة في دير الأنبا مقار، فزاد من عدد رهبان الدير بعد حضوره ومن معه من الرهبان، بعدها أصبح الدير محطة لجذب مريدي الرهبنة بالدير، لدرجة أن وصل عددهم في سنة ١٩٨٧م، نحو ثمانين راهباً، وكان الدير لا توجد به قلاية واحدة تصلح للسكن والمعيشة الآدمية، بالإضافة لانتشار الحشرات والنمل بشكل كبير، فضلاً عن استخدام العربان له كمحطة للاستراحة، وربما سمحت لهم الفرصة للتعدي على ممتلكاته وآثاره؛ لأن تأمينه كان ضعيفاً، مما سهل لهم عمليات، النهب والسلب ^(٣).

ومن أجل إعادة تخطيط الدير على أحدث النظم المعمارية، عمل الأب «متى المسكين» على وضع خطة زمنية ومرحلية لتطوير الدير، وضبط إدارة العمل، وتنظيم الوقت، مع مراعاة أوقات الصلاة؛ وهنا جمع بين البناء المعماري والروحي، وقسم ملاحظة العمل ومباشرته إلى مجموعة من الرهبان كل منها حسب اختصاصه، ولم يهمل باقي النواحي الأخرى بالدير؛ مثل النواحي الزراعية وتربية الحيوانات والطيور ^(٤). ولتحقيق ذلك توسع في إنشاء المباني

(١) ماجد عزت إسرائيل: الأب متى المسكين.... الراهب المستنير، مطبعة دير القديس الأنبا مقار، دار مجلة مرقس، القاهرة ٢٠١٧م، ص ١١٦.

(٢) دير القديس الأنبا مقار: المرجع السابق، ص ٥١.

(٣) ماجد عزت إسرائيل: الأب متى المسكين .. الراهب المستنير، مطبعة المرجع السابق، ص ١١٦. انظر الشكل ٢٢.

(٤) دير القديس الأنبا مقار: المرجع السابق، ص ٥١-٥٦.

لسكنى العاملين خارج نطاق سُكنى الرهبان، واستقدم بعض طوائف الحرف مثل النجارين والحدادين والمبيضين والسباكين والبنائين، لدرجة أن وصل عدد العاملين ما يقرب من نحو ٤٥٠ عاملاً ومعلماً، وبهؤلاء استطاع رسم صورة طبيعية لدير «الأبنا مقار»، وهذه الصورة ما تزال حتى يومنا هذا^(١). وما يؤكد استيعاب حجم هذه الطاقة البشرية العاملة، نذكر على سبيل المثال حجم ما تم استخدامه في مرحلة البناء الأولية، فقد استهلك الدير ما يقرب من تسعة آلاف طن أسمنت، وألف طن حديد تسليح، وثمانية متر مكعب خشباً، بالإضافة إلى الأدوات والآلات والمعدات، التي وصل ثمنها إلى نحو ما يقرب من ربع مليون، عام ١٩٨٧ م^(٢).

كما نظم الأب متى المسكين إدارة مالية لتنظيم الإنفاق على الدير، فاعتمد في التمويل على التبرعات والندور وأوقاف الدير، وعلى إنتاج مشغولات الدير من الأيقونات وبعض الحاصلات الزراعية والحيوانية، ووصل حجم الإنفاق اليومي في العام الأول مائة جنيه، والعام الثاني مائتي جنيه، والعام الثالث ثلاثمائة جنيه، حتى وصل معدل الإنفاق اليومي في سنة ١٩٧٨ م، نحو ما يقرب من أربع مائة جنيه، ووصل حجم ما تم إنفاقه على الدير ما يقرب من ٢ مليون جنيه^(٣) ويذكر الأب «متى» المسكين أن محور العمل والتدبير لهذا الدير كان يعتمد في المقام الأول على، اجتماع الرهبان معاً من أجل الصلاة، لطلب مد يد الله لاستكمال هذا العمل، وهذا ما تحقق بالفعل^(٤).

وبعد نياحة الأب متى المسكين في ٨ يونيو ٢٠٠٦ م، استمر دير الأبنا مقار تحت رئاسة الأبنا ميخائيل (١٩٢١-٢٠١٤ م) مطران أسيوط حتى طلب نيافته من البابا تواضروس الثاني-

(١) ماجد عزت إسرائيل: مقال بعنوان «الأب متى المسكين وأضواء على دير الأبنا مقار» موقع الأقباط متحدون، بتاريخ ١٧ يونيو ٢٠١٠ م.

(٢) دير القديس الأبنا مقار: المرجع السابق، ص ٥١-٥٦.

(٣) ماجد عزت إسرائيل: الأب متى المسكين .. الراهب المستنير، المرجع السابق، ص ١٢٠.

(٤) دير القديس الأبنا مقار: المرجع السابق، ص ٥١-٥٦.

منذ عام ٢٠١٢م - إعفاهه من رئاسة الدير، فقام قداسة البابا برسامة الأنبا إيفانيوس^(١) في مارس عام ٢٠١٣م، وأسند إليه رئاسة الدير، وواصل الأنبا إيفانيوس العمل والجهاد من أجل تطوير دير الأنبا مقار كما فعل معلمه الأب متى المسكين، حتى استشهد داخل ديره في ٢٩ يوليو ٢٠١٨م^(٢).

- دير الأنبا بيشوي:

يقع دير القديس الأنبا بيشوي^(٣) على بعد نصف كيلومتر إلى الجنوب الشرقي من دير

(١) الأنبا إيفانيوس: (١٩٥٤-٢٠١٨م): من مواليد ٢٧ يونية ١٩٥٤ ولد في مدينة طنطا - محافظة الغربية، وتخرج في كلية الطب، وإلتحق بالرهبة بدير الأنبا مقار في ١٧ فبراير ١٩٨٤ م، ورُسِمَ قسًا في ١٧ أكتوبر ٢٠٠٢ في عهد معلمه المتنيح الأب المستنير متى المسكين مؤسس الدير في العصر الحديث، وفي ١٠ مارس ٢٠١٣م رسم أسقفًا بيد قداسة البابا «تواضروس الثاني» (منذ عام ٢٠١٢م) وأسند إليه رئاسة دير الأنبا مقار، وفي أثناء وجوده كراهب أسند إليه مكتبة المخطوطات والمصادر الأجنبية. وكان المتنيح من الباحثين النشيطين. وقد نشرت له العديد من الإصدارات، وكان من المهتمين بالتراث الثقافي القبطي، وشارك في العديد من المؤتمرات المحلية والدولية والتي كان منها مؤتمر في عام ٢٠١٢م المؤتمر الدولي العاشر للدراسات القبطية في روما في سبتمبر ٢٠١٢م، والمؤتمر الدولي الحادي عشر للدراسات القبطية بمدينة ميلبورن بقارة أستراليا في يوليو ٢٠١٨، كما أنه شارك في العديد من المؤتمرات المحلية ومنها مؤتمر الوجه القبلي بقيادة للدراسات القبطية في ٢٠٠٩م، وأحد المشتركين في تحرير مجلة مرقس الشهرية التي يصدرها دير الأنبا مقار، وقد استشهد في صباح يوم الأحد الموافق ٢٩ يوليو ٢٠١٨م، على يد الراهب أشعيا المقاري واسمه العلماني وأثل سعد تاوضروس ميخائيل، والراهب فلتاؤس المقاري واسمه العلماني ريمون رسمي منصور فرج، انظر: ماجد عزت إسرائيل، الإعلام القبطي ونباحه الشهيد الأنبا أيفانيوس تلميذ رئيس دير الأنبا مقار (١٩٥٤-٢٠١٨م)، الأهرام الكندي الجديد، بتاريخ ١ أغسطس ٢٠١٨م؛ النيابة العامة، مكتب النائب العام، بتاريخ ١٩ أغسطس ٢٠١٨م انظر ملحق رقم ١٦، ورقم (٢٠)، والشكل رقم ٢١.

(٢) لمزيد من التفصيل انظر: ملحق رقم ١٦، والشكل رقم ٢٠، ٢١، ٢٢.

(٣) القديس الأنبا بيشوي: ولد القديس في عام ٣٢٠م في بلدة شنشنا في محافظة المنوفية بدلتنا مصر وقامت والدته التقية بتربيته - بعد وفاة والده - مع أخوته الستة، وكافتها الله علي حسن تربيتها لهم بأن أرسل ملاكه إليها واختار ابنها بيشوي ليكون خادماً للرب طول أيام حياته. واسم بيشوي أو شوس أو بشوي بالقبطية، لا يمكن كتابته ولا نطقه باليونانية كما هو بالقبطية لعدم وجود حرف (ش) في اليونانية؛ لذلك يكتب باليونانية بيسويوس أو سويوس أو بسويوس بإضافة (س) في النهاية، وقد جاء في البستان بالعربية عن =

= اللغة اليونانية بيصويوس أو شيشوي، والذي يجهله كثير من المؤرخين أن بيشوي صاحب دير أنبا بيشوي دير أنبا بيشوي كان من رواد الصحراء الأوائل، وكان يذكر اسمه دائماً مع أخوية بولا وبائيسوس، فالثلاثة كانوا إخوة أو زملاء نسك وجهاد مع القديس بامو الكبير، وأول ذكرهم جاء في خطاب باللغة اليونانية من أمونيوس الأسقف الذي من نتريا إلى البابا أنناسيوس متكلماً عن سؤال أنناسيوس بخصوص (القديسين المتوحدين في شيهيت بائيسوس، وبولا وبسوتوس (بيشوي) أخويه، وعن إشعيا وبسيروس واسحق وبولا)، والعالم المورخ إفلين وايت يؤكد بكل تحقيق أن بسويوس هو بيشوي وهو أخو بولا الذي ظل التاريخ حتى اليوم يعتقد أنه تلميذه أو صديقه، وقد وجد اسميهما محفورين على جدران دير سقارة (دير إرميا) مع زميلهما أبا سيروس أو بيسيروس. وبيشوي باللغة القبطية معناها «سامي» أو «عادل»، وتلقبه الكنيسة في صلواتها وكتبها وتقليدها بـ «الرجل الكامل حبيب مخلصنا الصالح» كما يلقب «بكوكب البريه».

على أية حال، في عام ٣٤٠م، أي وعمره عشرون عاماً، ذهب إلي برية شيهيت بالأسقيط حالياً وادي النطرون، وتلمذ علي يد القديس الأنبا بموا تلميذ القديس مقاريوس الكبير، وصار أخاً روحياً للقديس يوحنا القصير (تنيح ٤٠٩م) صاحب شجرة الطاعة. الذي غرس عصا جافة طاعة لمعلمه الأنبا بموا فنمت وصارت شجرة مثمرة ببركة طاعته. وعندما تنيح الأنبا بموا ظهر ملاك الرب للأنبا بيشوي وأخبره بأن الله يريد أن يسكن منفرداً في المنطقة المجاورة غرب منطقة القديس يحنس القصير لأنه سيصير أباً ومرشداً لكثير من الرهبان. فأطاع الأنبا بيشوي وسكن في مغارة ما زالت موجودة حتى يومنا هذا في دير القديسة العذراء الشهير بالسريان. والتي بها حلقة في السقف كان القديس يربط حبلاً يربطه بالتالي في شعره حتى لا يغلبه النعاس في أثناء السهر الليلي - وقد زار هذه الصومعة الأنبا بنيامين الثاني عام ١٣٣٠م. لشهرتها بأن الرب ظهر فيها للأنبا بيشوي - ولشدة حلاوة الصلاة والتأمل في الله كان ينسى الطعام المادي لعدة أيام مستعيضاً عنه بالطعام الروحي من صلاة وتأمل وقراءة كلمة الله الحية. وسرعان ما عُرف بفوائده فتكونت حوله جماعة رهبانية، فكان بذلك بداية دير القديس العظيم الأنبا بيشوي الحالي. وقد كان كل من يتقابل معه يمتلئ بالسلام والسعادة والطمأنينة ويعود فرحاً سعيداً حتى انضم إليه جمع غير بلغ حوالي (٢٤٠٠) نسمة، عاشوا حياة السعادة الدائمة تحت إرشاده، وسكنوا في مغارات منتشرة في الجبل كما كانوا يحيطون بالأنبا بيشوي مثل النحل حول الشهد. وهكذا تحقق وعد السيد المسيح له عندما ظهر له في مغارته وقال له إن الجبل كله سيمتلئ بالعباد تحت إرشاده. كان عاملاً نشيطاً يأكل من تعب يديه حتى أنه قال لتلاميذه: «لم أكل طعاماً من إنسان ... يا أولادي اعملوا بأيديكم لتعيشوا وتجودوا ما تصدقون به على الفقراء». ويذكر عنه دفاعه عن الإيمان حيث أنه أنقذ أحد المعلمين من هرطقة دينية دون جرح مشاعره وبطريقة بسيطة حكيمة، وربحه هو وكل أتباعه. ولم يكن فقط لطيفاً متواضعاً رقيق المشاعر لا يجرح مشاعر إنسان مهما كان، بل كان أيضاً يحترم إنسانية الجميع، ويرق قلبه الحنون للفقراء المساكين حتى تلقب بالرجل الكامل. وقلوب متضع كان يحمل أتعاب تلاميذه وضعفاتهم وهو ملازم للصوم لكي ما يقودهم لحياة الجهاد، وكان يداوم الجهاد لكي ما يحفظ الله نفوسهم في الإيمان. ومن تواضعه كان يغسل أقدام الغرباء والزائرين دون أن يعرف من هم أو حتى ينظر إلي وجوههم، لذلك ظهر له الرب يسوع =

=كانه غريب (مثلما ظهر لإبراهيم أبي الآباء قديما) وغسل له الأنبا بيشوي قدميه الطوباويتين ولم يعرفه إلا عندما رأى جراح الصليب في قدميه. ومن حنان قلبه الشفوق أنه حمل عجوزا في الطريق فاكتشف أنه هو السيد المسيح الممجد الذي وعده بأن جسده - أي جسد الأنبا بيشوي - الذي حفظه طاهرا، وخدم به كل الناس، والمحتاجين، وضبطه بالتدريبات والممارسات الروحية سيبقي بدون فساد لأنه حمل الرب يسوع، وفعل ما زال جسده باقيا بلا فساد إلى الآن (وبدون تحنيط). ويذكر عنه أنه لم يجرح مشاعر إنسان كان يشوش في أثناء وعظ لأنبا بيشوي لأولاده، فلما رأى هذا الإنسان سعة قلب القديس كف عن الشوشرة واعتذر. كما كان زاهداً في المال، فرفض ما جاء به أحد الأغنياء من ذهب وفضة (إذ أعلمه الله بحيلة الشيطان الذي أراد أن يصرفه عن العبادة) ونصح الرجل الغني أن يرجع بفرضته وذهبه ويوزعه على الفقراء والمحتاجين لينال بركة الرب. ولما انصرف الرجل الغني ورجع الأنبا بيشوي لقلايته صاح به الشيطان «آه منك ... أنك تفسد جميع حيلي بزهك» فأجابه القديس بتواضع ومسكنة «منذ أن سقطت أيها الشيطان والله يفسد جميع حيلك ضد أولاده». وكان يحب أولاده الروحيين، ويعاملهم كأب حنون، كما كان يبكي على الخطاة مثال أرميا النبي، حتى تلقب بالأنبا بيشوي الأرامي. وظل يجاهد في الصلاة من أجل أحد تلاميذه الذي أخطأ حتى رجع وعاد إليه تائبا إلى الله. وكثيرا ما كان يظهر له الرب يسوع لشدة محبته له، وكان يعرف أمورا كثيرة بروح النبوة منها أنه عرف بمجيء الأنبا أفرام السرياني من سوريا قبل أن يأتي ليزوره لما سمعه عن روحانية الأنبا بيشوي العظيمة، وقد طلب قديسنا من السيد المسيح أن يعطيه لسانا سريانيا حتى يتحدث مع الضيف السرياني، وقد كان. وتحدثا معا، مع أن كلا منهما لا يعرف الآخر. ويقال أن مار أفرام ترك عصاته خارج صومعة أنبا بيشوي عند دخوله إليه، وعند رحيله (بعد أسبوع) وجد العصا قد ضربت جذورها واخضرت وأورقت، وهي لا تزال موجودة بدير السريان المعروفة بشجرة التمر الهندي - وكاتب هذه السطور كان يجلس أمامها في مكتبة المخطوطات ويتأمل محبة يسوع لأولاده الرهبان - على أية حال، ظل الأنبا بيشوي بالدير حتى هجوم البربر الأول على البرية حوالي عام ٤٠٧ م، لم يشأ الأنبا بيشوي أن يبقى بالدير لئلا يقتله أحد البربر فيهلك البربري بسببه، فترج مع مجموعة من رهبانه إلى الصعيد (أنصنا) وتصادق مع الأنبا بولا الطموهي وأسس ديرا كبيرا في بلدة دير البرشا مركز ملوي باق حاليًا. وفي ١٥ يوليو ٤١٧ م تنجح ودفن في منية صقر بأنصنا (عند ملوي حاليًا). وبعد ثلاثة شهور تنجح القديس الأنبا بولا الطموهي في ٧ بابة الموافق ١٧ أكتوبر، ودفن بجواره حسب رغبتهما، ثم نقل البابا يوساب الأول البطريك رقم (٥٢) (٨٣١-٨٤٩م) جسده الطاهر الأنبا بيشوي إلى دير بواي النطرون في ١٣ ديسمبر ٨٤١ م (٤ كيهك ٥٥٧ ش). وفي ٨ أيبب الموافق ١٥ يوليو من كل عام يحتفل الدير بذكرى نياحة القديس الأنبا بيشوي، بوضع الحنوط والأطياب على جسدي القديسين مع وجود جمع غفير من الشعب. تأليف أحد الرهبان دير الأنبا بشوي، دير القديس العظيم الأنبا بشوي على مر الأجيال، مكتبة الدير وادي النطرون ١٩٩٣، ص ١؛ متى المسكين: الرهنة القبطية عصر القديس الأنبا

مقار المرجع السابق، ص ٢٣١-٢٣٣. الموقع الرسمي لدير الأنبا بيشوي

<http://www.avabishoy.com/index.php/2017>

السيدة العذراء السريان^(١)، ويبعد عن دير القديس مكاريوس "أبو مقار" غرباً نحو عشرين كيلومتراً وتبلغ مساحته فدانين وستة عشر قيراطاً^(٢) وينسب إلى القديس "الأبنا بيشوي"^(٣) وكان تلميذاً للقديس مكاريوس أحد زعماء النسك في الوادي. وإليه يرجع الفضل في تأسيس هذا الدير كثالث أكبر تجمع رهباني في الأسقيط^(٤).

ويرجع إنشاء دير القديس الأنبا بيشوي على أغلب الاحتمال إلى أواخر القرن الرابع الميلادي، كما أعيد بناؤه حوالي عام ٨٤٠م، ويعتقد أن المبنى الرئيسي للكنيسة يرجع إلى هذا التاريخ^(٥) كما قام البابا بنيامين الثاني البطريك رقم (٨٢) (١٣٢٧ - ١٣٣٩م) بترميمه وأضاف تعديلات ما زالت باقية حتى الآن^(٦). ويضم الدير العديد من الكنائس والمعالم الأثرية هنا يجب أن نوضحه كما يلي:

- كنيسة الأنبا بيشوي: هي الكنيسة الرئيسية بالدير وتعتبر أكبر كنيسة في أديرة وادي النطرون، ويوجد بها ثلاثة مذابح: المذبح الرئيسي على اسم القديس الأنبا بيشوي، والمذبح البحري على اسم القديسة العذراء مريم، والمذبح القبلي على اسم القديس يوحنا المعمدان، كما يوجد بها ثلاثة خوارس كما يوجد الأنبل^(٧) للتعليم في الخورس الثاني^(٨). ولا يوجد حالياً أي أثر باقٍ للكنيسة الأولى حيث شيدت كنيسة في ذات المكان في القرن التاسع الميلادي؛ وتحتوي

(١) مرقس سميكة: دليل المتحف القبطي وأهم الكنائس والأديرة المصرية، ج ٢، د.م، القاهرة ١٩٣٢، ص ٨٩.

(٢) عبد المسيح السعودي، القمص: المرجع السابق، ص ٧١.

(٣) تأليف أحد الرهبان دير الأنبا بشوي، دير القديس العظيم الأنبا بشوي على مر الأجيال، المرجع السابق، ص ١.

(٤) رءوف حبيب: المرجع السابق، ص ١٠٥.

(5) Odoïn: Op. Cit . p.p.1-3.

(٦) متى المسكين: المرجع السابق، ص ٤٨٨ - ٤٨٩. لمزيد من التفصيل انظر: الشكل رقم ١٧.

(٧) الإنبل: ويعني المنبر الذي يستخدم في الوعظ في أثناء القداسات، أو الاجتماعات الروحية.

(٨) الموقع الرسمي لدير الأنبا بيشوي

<http://www.avabishoy.com/index.php/2017>

هذه الكنيسة على معالم عديدة ترجع لفترات تاريخية مختلفة، حيث يرجع تاريخ الهيكل الرئيسي إلى القرن السادس أو السابع الميلادي؛ أما التفاصيل الأخرى مثل إضافات القباب المرتفعة والزجاج الملون والزخارف الجصية وعمارة الصحن ربما ترجع جميعها إلى القرن العاشر أو الحادي عشر الميلادي^(١). ويوجد جسد القديس الأنبا بيشوي بهذه الكنيسة، وكما وعده السيد المسيح أن جسده لا يرى فساد، وفعلاً ما زال جسده باقياً بلا فساد إلى الآن (وبدون تحنيط)، وهذا ما أكدته الرحالة سيكار حيث ذكر قائلاً: «يحتفظون برفات أحد القديسين في دير الأنبا بيشوي - يقصد هنا القديس الأنبا بيشوي - وأنها لم تبل حتى الآن»^(٢). وهذا ما ذكره سوني أن رهبان دير الأنبا بيشوي أخبروه أن جسد القديس (بيشوي) «طري ومتورد كأنه حي»^(٣) وقد ذكر ثيوفنت Thevenot الذي زار برية شيهيت عام ١٦٥٧م أن الدير تعرض لحريق عام ١٦٥٦م في أحد الشعانين (السعف)، ولم تتعرض أجساد القديسين لأى ضرر^(٤). ومن الجدير بالذكر أن مغارة الأنبا بيشوي توجد في دير السريان وقد وصفه الرحالة يوسف السمعاني الماروني الذي زار أديرة وادي النطرون عام ١٧١٥م، حيث ذكر قائلاً: «مغارة ضيقة، وتدعى المصلي أو مكان الصليب»^(٥).

- كنيسة الشهيد أبأ سخرون القليني: يرجع تأسيس هذه الكنيسة إلى القرن التاسع الميلادي، وتقع من الجهة القبلية من كنيسة الأنبا بيشوي. وهناك باب صغير إلى جهة الشمال من الهيكل يفتح على ممر يؤدي إلى المعمودية المقدسة القديمة، ويوجد جزء من جسد الشهيد ابسخرون في أنبوبة بداخل مقصورة في نفس الكنيسة. وهي حالياً مُقسمة إلى صحن وخورس يفصلهما حجاب خشبي، وهيكل وحيد نصف دائري له حجاب بسيط، ويغطي جسم الكنيسة

(١) نيفين عبد الجواد، مرجع سابق، ص ١٣١؛ أ.ج. بتلر، ج. ١، مرجع سابق، ص ٢٦٣، هيو.ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص ١٦٤.

(٢) إلهام محمد علي ذهني: مصر في كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين، المرجع السابق، ص ٢٤٠.

(٣) هيو.ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص ١٥٧-١٥٨، انظر: الشكل رقم ١٧.

(٤) نفسه، ص ١٦٩.

(٥) نفسه، ص ١٥٧-١٥٨.

قبة نصف كروية قائمة على مقببات ترجع إلى القرن الرابع عشر الميلادي. ولا يحتوي الهيكل على منصة مذبح، ولكن يغطي المذبح لوح رخامي مستطيل^(١).

- كنيسة الأنبا بنيامين: سُميت هذه الكنيسة على اسم البابا بنيامين الثاني البطريك رقم رقم ٨٢ (١٣٢٧-١٣٣٩ م)، وتسمى أيضًا كنيسة السيدة العذراء. وقد بُنيت هذه الكنيسة الصغيرة ملاصقة لكنيسة الأنبا بيشوي، وأقيمت في الزاوية التي كونتها الجدران الشمالية للهيكل الشمالي وخورس الكنيسة الرئيسية، والجدار الشرقي للدوكسار الشمالي، ويغطي سقف الكنيسة قبو نصف برميلي، ويوجد بها صندوق ذخائر الانبا بيشوي، ويغطي سقف هيكل الكنيسة قبة قائمة على مقببات، ويحتوي هيكل الكنيسة على مذبح، منصته معزولة من ثلاث جهات كما في هياكل الكنيسة الرئيسية^(٢).

- كنيسة الشهيد مار جرجس الروماني: تقع في الجهة الغربية القبلية من الخارج سُميت هذه الكنيسة على اسم القديس مار جرجس^(٣)، ويرجع إنشاء هذه الكنيسة الصغيرة إلى القرن الحادي عشر أو القرن الثاني عشر الميلادي، وهي تُستخدم الآن كمخزن بشكل عام. ولقد حلت محل مبنى تهدم في تاريخ غير معلوم. النهاية الشرقية للكنيسة مُقسَّمة بواسطة فاصل جداري إلى هيكلين، تغطي سقف كلٍّ منهما قبة صغيرة، وكلاهما يحتوي على مذبح أعلاه لوح رخامي مستطيل الشكل^(٤). كما توجد المائدة الأثرية إلى الغرب من هذه الكنيسة^(٥).

- كنيسة الملاك ميخائيل: من اسمها يتضح أنها سُميت نسبة إلى رئيس الملائكة ميخائيل، وتوجد هذه الكنيسة في حصن الدير، ويغطي جسمها قبو نصف برميلي، وتحتوي الكنيسة على

(١) نيفين عبد الجواد: مرجع سابق، ص ١٣٨؛ هيو ج. ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص ١٥٩، انظر: الشكل رقم ١٧.

(٢) أ.ج. بتلر: الكنائس القبطية القديمة في مصر، ج ١، ترجمة: إبراهيم سلامة إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣، ص ١٢.

(٣) الموقع الرسمي لدير الأنبا بيشوي. <http://www.avabishoy.com/index.php/201>.

(٤) نيفين عبد الجواد، مرجع سابق، ص ١٣٦.

(٥) الموقع الرسمي لدير الأنبا بيشوي. <http://www.avabishoy.com/index.php/201>.

هيكل واحد فقط تغطيه قبة منخفضة قائمة على مقببات، وحجاب الهيكل يرجع وجوده إلى عام ١٧٨٢م^(١).

- الحصن: يرجع تاريخ إنشائه إلى أواخر القرن الحادي عشر الميلادي، بعد غارة البربر على الدير عام ١٠٩٦م، في عهد البابا ميخائيل الأول (١٠٩٢-١١٠٢م) البطريك رقم (٦٨)^(٢)، حيث حل محل الأقدم منه الذي تهدم بسبب الغارة، والذي أمر ببنائه الإمبراطور الروماني زينون في القرن الخامس الميلادي بعد علمه أن ابنته الأميرة "إيلارية" التي اختفت من قصره فجأة، قد التجأت إليه وترهبت فيه حسب بعض المصادر، والذي تهدم بسبب تلك الغارة. وطرز هذا الحصن يُطابق طراز حصن دير الأنبا مقار بشكل عام كما سبقت الإشارة إلى ذلك؛ ويتكون الحصن الآن من طابق أرضي وطابق واحد علوي، ويظهر أنه كان هناك طابق علوي ثانٍ لكنه تهدم. والجسر المتحرك في هذا الحصن تستقر إحدى نهايتيه في الجدار الشمالي للطابق الأول، بينما تستقر نهايته الأخرى فوق سقف مبنى الحراسة، ويتصل بسالم المبنى الآخر، فكان يُرفع بعد أن يلجأ الرهبان إليه ويدخلوا فيه. والطابق الأول من الحصن يشمل بئر مياه، ومطحنة غلال، ومعصرة زيت، ومخازن، أما الطابق الثاني وبه مدخل الحصن عن طريق شبه كوبري خشبي متحرك، كما يوجد به فرن وكنيسة علي اسم القديسة العذراء مريم، حيث تم نزع حجابها ونقله إلى الهيكل الشمالي بكنيسة الأنبا بيشوي، وأزيلت مذابحها الثلاثة وأبطلت فيها الصلاة، أما الطابق الثالث وهو السطح وبه كنيسة علي اسم الملاك ميخائيل، وقد رمم هذه الكنيسة البابا يؤانس التاسع عشر عام ١٩٣٥م البطريك رقم (١١٣) (١٩٢٨-١٩٤٢م)، ويتضح ذلك من خلال كتابة نقش على جدارها الشرقي، كما يوجد مغارتان^(٣).

(١) الموقع الرسمي لدير الأنبا بيشوي. <http://www.avabishoy.com/index.php/201>؛ عمر طوسون، المرجع السابق، ص ١٩٣.

(٢) ماجد عزت إسرائيل: البطريك المنتظر، المرجع السابق، ص ٨٨.

(٣) صموئيل تاوخرس السرياني، الأديرة المصرية العامرة، الطبعة الأولى ١٩٦٨، ص ١٢٧، الموقع الرسمي لدير الأنبا بيشوي. <http://www.avabishoy.com/index.php/201>؛ عمر طوسون، المرجع السابق، ص ١٩٣.

- الأسوار للدير: يرجع تاريخ بنائها إلى القرن التاسع الميلادي، بينما معظم الأسوار الحالية ترجع إلى القرن الحادي عشر الميلادي؛ حيث إنه رمت وأعيد بناء أجزاء منها. ويظهر في الجانب الغربي للصور عدم وجود تدعيم وتقوية له، كما أن في الثلثين الغربيين للجانب الجنوبي للصور لم يتم به عمليات ترميم. ويبلغ متوسط ارتفاع الأسوار حوالي عشرة أمتار، بينما يصل سُمكها إلى مترين تقريباً. وتكسو جدرانها المبنية من الحجر الجيري طبقة من الجص^(١).

- المائدة: مدخل المائدة يوجد قبالة الباب الغربي لكنيسة الأنبا يشوي، وهي عبارة عن صالة طويلة ضيقة يبلغ طولها ٢٧, ٥ متراً وعرضها ٥, ٤ أمتار، ويوجد في وسطها منصدة حجرية على كل جانب من جانبيها مصطبة لجلوس الرهبان، وفي الطرف الشمالي لحجرة المائدة توجد حجرة مربعة، كانت تستخدم كمطبخ للمائدة^(٢). وقد وصفها روبرت هنتجتون قائلاً: "توجد قاعة للطعام مزودة بمائدة حجرية ومقاعد حجرية تتسع لخمسين أو ستين شخص" ^(٣).

- بئر الشهداء: يقع هذا البئر أمام الكنيسة من الناحية البحرية، وهي التي غسل فيها البربر سيوفهم بعد أن قتلوا ٤٩ من الآباء الرهبان القديسين في دير القديس مكاريوس الكبير (الأنبا مقار) في أثناء غارتهم الثالثة على البرية سنة ٤٤٤ م، وتذكر استشهادهم ٢٦ طوبة^(٤). وقد أشار أندريوسي إلى وجود الآبار بالأديرة حيث ذكر قائلاً: «توجد آبار محفورة بالأديرة يبلغ عمق الواحدة منها ثلاثة عشر متراً، ويوجد بكل بئر نحو المتر من المياه العذبة التي ترفع بواسطة ساقية ذات قواديس. وتستخدم المياه في احتياجات الرهبان، ولري حديقة الدير التي تنمو فيها بعض الخضراوات، كما تزرع فيها بعض الأشجار مثل الفجل والزيتون والتمر هندي والحنا والجميز. وعند نهاية شهر يناير، يبلغ ارتفاع مياه الآبار حده الأقصى، لتتخفص في أثناء

(١) هيوج.ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص ١٥٩؛ نيفين عبد الجواد، مرجع سابق، ص ١٣٨، انظر: الشكل رقم ١٧.

(٢) مرقس سميكة: المرجع السابق، ص ٨٩.

(٣) هيوج.ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص ١٥٩؛ نيفين عبد الجواد، مرجع سابق، ص ١٦٠.

(٤) الموقع الرسمي لدير الأنبا يشوي <http://www.avabishoy.com/index.php/201>؛ عمر طوسون، المرجع السابق، ص ١٩٣.

الصيف لكن الآبار لا تنضب مطلقاً^(١). وقد أكد فانسليب على أن آبار المياه بدير الأنبا بيشوي عذبة وجيدة، أي صالحة للاستخدام الآدمي^(٢).

- حديقة الدير: تقع هذه الحديقة في وسط الدير، ويحيطها عدة مباني، فمن الجهة البحرية قلل مشيدة منذ نحو ٦٠ عاماً، ومن الجهه القبليه قلل قديمه من القرن التاسع الميلادي تستعمل حاليًا للرهبان، أما المطعمه توجد فوق الباب البحري، أما من الجهة الشرقيه فتوجد قلل حديثه الإنشاء.

- الطافوس: هي كلمه يونانيه (ταφος) تُنطق بنفس نطقها اليوناني في العربيه، وهي القبر أو اللحد the grave - tomb، وهي اصطلاح سائد في الأديرة على وجه الخصوص، لا يعرفه العلمانيون كثيرًا. وطاقوس دير الأنبا بيشوي يقع في الناحية الغربية، وهو مكان يستخدم مدفناً لرهبان الدير^(٣). هذا بالإضافة إلى وجود العديد من أجساد القديس بكنائس الدير، كجسد القديسين الأنبا بشوي، والأنبا بولا الطموهي، وأيضاً جسد البابا بنيامين الثاني البطريك رقم ٨٢ (١٣٢٧-١٣٣٩م) يوجد في كنيسه بذات الدير، كما يوجد مدفن ومزار به جسد البابا شنوده الثالث، البطريك رقم (١١٧) (١٩٧١-٢٠١٢م)^(٤).

وهنا يجب أن نسجل دور قداسة البابا شنوده الثالث البطريك رقم (١١٧) (١٩٧١-٢٠١٢م) في تطوير دير الأنبا بيشوي، فقد تعهد بتعمير دير القديس الأنبا بيشوي فرسم له نيافة الأنبا "صرابامون" أسقفًا ورئيسًا للدير سنة ١٩٧٥م، وأسس مقرًا بابويًا في الدير يقضي فيه بضعة أيام أسبوعيًا تقريبًا، واهتم بالتعمير والإنشاءات فقام بتوصيل الكهرباء من الشبكة العامة، وشيد القلالي لزيادة عدد الرهبان، ومكتبة للاطلاع، وحفر الآبار وعمل الصهاريج

(١)(٤) تأليف علماء الحملة الفرنسية: المرجع السابق، ج ٢، ص ٦٣-٦٧.

(٢) هيو ج. ج. إيفلين هويت: المرجع السابق، ص ١٥٧-١٥٨.

(3) <https://st-takla.org/Coptic-Faith-Creed-Dogma/Coptic-Rite-n-Ritual-Taks-Al-Kanisa./Dictionary-of-Coptic-Ritua>.

(٤) جريدة الأهرام: خبر بعنوان تزور دير الأنبا بيشوي مقصد حجاج رحلة العائلة المقدسة بالبحرية، بتاريخ ١٢ مارس ٢٠١٧م.

لمياه شرب، واهتم بالزراعة فزرعت أشجار الفاكهة والزيتون وتربية الماشية. وإنشاء معمل لمنتجات الألبان، وإنشاء مخبز حديث وورش للنجارة، وإنشاء مساكن للعمال وتوفير الرعاية الروحية والصحية لهم، وعمل عيادات وصيدلية وقصر بمنارة شاهقة ومضايف وبيوت خلوة للضيوف. كما تم بناء كاتدرائية كبيرة بالدير. وقد تبارك الدير بعمل وطبخ وإعداد زيت الميرون المقدس سبع مرات في عهد البابا شنودة الثالث، ومروءة واحدة في عهد البابا تواضروس الثاني- تولى كرسي البطيركية منذ نوفمبر ٢٠١٢م أطال الله حياته- ويوزع زيت الميرون المقدس على الكنائس في مصر والخارج^(١).

- دير السيدة العذراء السريان:

ويقع في المنطقة الواقعة بين دير البراموس ودير الأنبا مقار إلى الجنوب الشرقي من دير البراموس، ويبعد عن دير أنبا بيشوي الواقع في نفس المنطقة بمسافة ٥٠٠ متر وتبلغ مساحته نحو فدان وستة عشر قيراطاً^(٢) وهذا ما ذكره الرحالة روبرت هنتنجتون حيث ذكر قائلاً: "إن دير السريان يقع على مسافة فرسخين من الجنوب الشرقي للبراموس، وهو مكرس للقديسة العذراء"^(٣)، ويرجع نشأته إلى أواخر القرن الرابع الميلادي، وقد بورك بزيارة العائلة المقدسة في القرن الأول الميلادي^(٤).

وقد اتخذ دير السريان أكثر من اسم عبر التاريخ، فقد أطلق عليه منذ نشأته وحتى أوائل القرن الخامس الميلادي اسم دير «سيدة الأنبا بيشوي»، ويرجع ذلك لرهبة الأنبا بيشوي بها، كما ما زالت مغارة قائمة بهذا الدير حتى كتابة هذه السطور^(٥)، وأطلق عليه دير السيدة مريم

(١) الموقع الرسمي لدير الأنبا بيشوي <http://www.avabishoy.com/index.php/201>؛ عمر طوسون، المرجع

السابق، ص ١٩٣، لمزيد من التفصيل عن رؤساء الدير انظر: ملحق رقم ١٨.

(2) Odoïn.: Op. Cit. p.p.1-3.

(٣) هيوج.ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص ١٦٠-١٦١.

(٤) تأليف أحد الرهبان: دير السيدة العذراء والأنبا يحنس كما (السريان)، ط ١، مطبعة دار يوسف كمال، وادي النطرون ١٩٩١م، ص ٣، انظر الشكل رقم ١٨.

(5) http://www.st-mary-alsourian.com/index.php?option=com_content&view.

العذراء «والده الإله» أي من مجموعة الأديرة الثيوتوكوس^(١) وكان أول مَنْ اعترض على هذه التسمية هو نسطور بطريرك القسطنطينية الذي كان يظن أن المسيح له طبيعتان وشخصان؛ إله وإنسان فذكر قائلاً: "إن العذراء مريم بوصفها إنسانة ولدت الطبيعة الإنسانية فهي تُدعى «أم يسوع» أو «أم المسيح» وليست «أم الله» أو «والدة الإله». «وقد تصدى له البابا كيرلس الأول الكبير (٤١٢-٤٤٤م) الملقب بعمود الدين البطريرك رقم (٢٤) مؤكداً أن تلقيب القديسة مريم بوالدة الإله ضرورة لاهوتية تحتها حقيقة التجسد الإلهي، فالتجسد في الإيمان الأرثوذكسي هو اتحاد كامل بين الطبيعتين؛ فالمولود من العذراء هو ابن الله المتجسد وليس مجرد إنسان. وقام مجمع أفسس المسكوني المقدس الذي انعقد عام (٤٣١م). بحضور ٢٠٠ من أساقفة العالم بإقرار عظمة العذراء ووضع مقدمة قانون الإيمان التي وُردَ فيها: «نعظمك يا أم النور الحقيقي ونمجّدك أيتها العذراء القديسة والدة الإله لأنك ولدت لنا مخلص العالم أي وخلص نفوسنا».^(٢) ومن هنا تم دحض بدعة نسطور وحرمة ونفاه البابا كيرلس الأول إلى صعيد مصر حيث مات هناك، وبعد ذلك سميت العديد من الأديرة والكنائس باسم السيدة

(١) الثيوتوكوس: هو مصطلح لاهوتي عبارة عن لقب السيدة مريم العذراء «والدة الإله». وهو مكوّن من مقطعين باللغة اليونانية «Θεός» (الإله)، و«τόκος» (الولادة/الوضع)، يتضح أن المصطلح كان يُستخدم على الأقل بداية من القرن الثالث الميلادي، وما بعده في كتابات أنثاسيوس السكندري (٣٠٠ م)، غريغوريوس اللاهوتي (٣٧٠ م)، يوحنا ذهبي الفم (٤٠٠ م)، وأغسطينوس، وكل هؤلاء استخدموا مصطلح "ثيوتوكوس"، وفي حين يُقال إن العلامة أوريجانوس من أوائل المؤلفين الذين استخدموا هذا المصطلح، ولكن الأمر غير أكيد، في حين نرى ديونيسيوس السكندري (٢٥٠ م) يستخدم المصطلح صراحةً في رسالته إلى بولس السموساطي. كما وجد في مصر لحن على ورقة بردي من عام ٤٥٠ م تقريباً به هذا المصطلح. وبالطبع نذكر في هذا السياق قول الیصابات عن مريم في الزيارة الشهيرة أنها: "أمّ ربّي" (إنجيل لوقا ١: ٤٣)، وهناك شواهد أخرى استند عليها مجمع أفسس لإثبات أن العذراء هي والدة الإله المتجسد، مثل (لو ١: ٢٨-٣٥؛ إش ٧: ١٤-١٤؛ إش ٩: ٦)؛ ماجد عزت إسرائيل، مقال بعنوان "أديرة الثيوتوكوس في مصر"، موقع الأقباط متحدون، بتاريخ ١٨ إبريل ٢٠١٨ م.

(2) <https://st-takla.org/Coptic-Faith-Creed-Dogma/Coptic-Rite-n-Ritual-Taks-Al-Kanisa./Dictionary-of-Coptic-Ritua>.

العذراء «والدة الإله» وكان من بينها «دير السيدة العذراء والدة الإله السريان» وبالتحديد عرف بهذا الاسم منذ عام (٤٣١م)^(١).

كما أطلق على دير السيدة العذراء والدة الإله اسم «دير السريان» بسبب سكنى بعض الرهبان القادمين من سوريا وبلاد المشرق داخل الدير بجانب الأقباط - في الفترة من القرن الثامن حتى القرن السادس عشر الميلادي - وقد تميز بقدم مجموعات من جنسيات مختلفة بهدف التلمذة على أيدي آباء الدير الأوائل^(٢) كما أطلق عليه على مدى العصور اسم «دير السريان العامر»^(٣) لأنه لم يخل من الرهبان ولم يخرب ولم يحدث أي اعتداء عليه في أي عصر من العصور تقريباً^(٤).

ومنذ القرن السابع عشر الميلادي، أطلق على دير السريان اسم «دير السيدة العذراء والأنبا يحنس كاما - السريان»، وكان ذلك نتيجة خراب دير الأنبا يحنس كاما القس المجاور لدير السريان بسبب النمل الأبيض بين عامي (١٤١٣-١٤٣م)، وهو الدير الذي يقع جنوب شرق دير السريان، ويبعد عنه نحو ٣ كيلومترات، وهذا ما دفع رهبان دير الأنبا يحنس كاما إلى اللجوء إلى دير السريان حاملين معهم رفات القديس الأنبا يحنس كاما، وظل الرهبان الأقباط إلى جانب الرهبان السريان بالدير، وحتى سكن الرهبان الأقباط بالدير كلية بداية من القرن السابع عشر وحتى يومنا هذا، ولذلك عُرف الدير باسم «دير السيدة العذراء والأنبا يحنس كاما - السريان» ويطلق عليه اختصاراً دير السريان^(٥). وقد وصفه الرحالة سيكار قائلاً:

(١) سمعان السرياني، (القمص): دير السيدة العذراء السريان، مراجعة وتقديم نيافة الأنبا متاؤس رئيس دير السريان، مطبعة دير البراموس، ١٩٩٠م، ص ١٤.

(٢) ماجد عزت إسرائيل: وادي النظرون في القرن التاسع عشر، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠٠٩م، ص ٢٩٢.

(٣) وثائق دير السريان: وثيقة رقم ١١٧٤، ٢٥ صفر ١٠٥٢هـ / ٢٥ مايو ١٦٤٢م؛ نفسه، وثيقة ١٣٠٥، ١٦٠١ش / ١٨٨٥م.

(٤) وثائق دير السريان: وثيقة ٨٧١، ١٦٠٨ش / ١٨٩٢م.

(٥) سمعان السرياني، (القمص): المرجع السابق، ص ١٥.

”هو أفضل الأديرة بيرية شيهيت، وبه بئر لرى الحديقة «ذات الأشجار الكثيرة»^(١) أما فانسليب فذكره قائلاً: ”دير السريان صغير لكنه مقبول، وماؤه جيد وأفضل عناية من كل الأديرة ويحتوي على كنيسةين جميلتين إحداهما للأقباط والأخرى للسريان“^(٢). ويضم الدير العديد من الكنائس والمعالم الأثرية، وهنا يجب أن نوضحه كما يلي:

- كنيسة السريان: هي من أجمل كنائس الدير وبيرية شيهيت إذ تمتاز بالنقوش الجميلة التي تغطي جدرانها وأبوابها وقبابها خصوصاً داخل هيكلها المتسع، وتعتبر أقدم مكان في الدير^(٣)؛ بعد مغارة الأنبا بيشوي الذي كان يعتكف فيها، وهي تقع في غرب الكنيسة، وشجرة مار إفرام السرياني^(٤) التي تقع شرق كنيسة المغارة بالدير. كما أنها من التراث البازيليكي المنتشر في معظم كنائس مصر الأثرية، وتشبه إلى حد ما كنيسة دير الأنبا بيشوي وإن كانت أصغر منها مساحة، فإنها تفوقها في نقوشها وارتفاعها. يبلغ طولها نحو ٣٠ متراً، وعرضها ١٢ متراً، ويغطي الخورس الأول قبة عالية على جانبها من قبلي نصف قبة نقش عليها البشارة والميلاد وعلى جانبها من بحري نصف قبة نقش عليها نياحة السيدة العذراء، والسيد المسيح يحمل روحها وحوها ١٢ تلميذاً مع كتابة باللغة السريانية والقبطية في كليهما.

كما يوجد بكنيسة السريان مذبح متسع وحوله ٤ أعمدة خشبية، يعلوها قبة خشبية والعمودان الشرقيان يحملان أيقونة السيد المسيح في القبر، وقد اهتم بها الراهب مكسيموس عام (١٥٤٦)

(١) إلهام محمد علي ذهني: مصر في كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين، المرجع السابق، ص ٢٣٩.

(٢) هيو ج. ج. إيفلين هوait: المرجع السابق، ص ١٥٧-١٥٨، انظر الشكل رقم ١٨.

(٣) http://www.st-mary-alsourian.com/index.php?option=com_content&view=article&.id=855:2013-12-04-11-09-48&c.

(٤) شجرة القديس مار أفرام السرياني: حضر القديس مار أفرام - في أواخر القرن الرابع الميلادي - بتوجيه من السماء لزيارة الأنبا بيشوي في مغارته، وأراد الله إظهار قداسته وتواضعه فتحولت عصاه، بعد أن تأصلت في التربة ونبتت ثم أوردت وتحولت. إلى شجرة التمر الهندي المعروفة باسمه والتي لا تزال مثمرة حتى الآن (وعمرها حوالي ١٦٠٠ عاماً)، وسوف يأتي الحديث عنها بإسهاب في متن الدراسة في ذات الفصل. انظر: تأليف أحد رهبان دير السريان، المرجع السابق، ص ١٠؛ تأليف علماء الحملة، ج ٢، المرجع السابق، ص ٦٥.

ش/ ١٨٣٠م) كما هو مكتوب على أحد أعمدتها والهيكل مزين بنقوش جميلة بارزة بعضها مثل النقوش الموجودة على حجاب كنيسة العذراء الأثرية بدير البراموس، وكنيسة الأنبا مقار بدير الأنبا مقار، وكلها تشير إلى سر الأفخارستيا (التناول) وبعض النقوش مثل أبواق آلات الموسيقى التي كان يتغنى بها داود النبي في تسبيح الله^(١). وقد وصفها سونيني وروبرت كورزن قائلين: «ما زالت كنيسة السريان القديمة باقية، وهي من أجمل كنائس الدير حيث إنها مزينة برسوم الفرسكو والمنحوتات»^(٢). أما الألماني قسطنطين تشيندروف فقد أشار إلى حدوث نزاع ما بين الرهبان السريان والأقباط على المقصورة أيقونة السيدة العذراء التي تحتوي على أيقونة للسيدة العذراء المشهورة لأنها من رسم القديس لوقا^(٣).

كما يوجد بكنيسة السريان ثلاثة هياكل الرئيسي منها باسم السيدة العذراء مريم، والقبلي باسم الشهيد يوحنا المعمدان، والبحري باسم الشهيد مار بقطر بن رومانوس. وتتميز الكنيسة بحجاب جميل الصنع يسمى باب النبوات ينفرد به دير السريان يفصل الخورس الأول عن الثاني؛ حائط سميك به باب على مثال باب النبوات، ويتكون من أربعة ضلف أعلاه أيقونة من العاج المطعم بالخشب وهي من اليمين إلى الشمال القديس مار مرقس الرسول، ومنظر غير واضح، ثم القديسة العذراء مريم ثم بطرس الرسول تحتها خمسة مستطيلات محلاه بالنقوش العاجية الجميلة على طراز الباب السابق، وتوجد كتابة على قائمته بالسريانية عملت في عام (٩٢٦م) في عصر المتنيح البابا قزمان الثالث البطريك رقم (٥٨) (٩٢٠-٩٣٠م) وباسيليوس الأنطاكي، ثم الخورس الثاني الذي به مقصورة الآباء القديسين يعلوها أيقونة أثرية للسيدة العذراء وأخرى لمار إفرام السرياني ويده غصن شجرة مكتوب بجوارها عكازه الذي أورد من خشب التمر الهندي^(٤).

(١) سمعان السرياني، (القصص): المرجع السابق، ص ٢٠-٢١.

(٢) هيو ج. ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص ١٧٠-١٧٧.

(٣) نفسه، ص ١٧٩.

(4) [http://www.st-mary-alsourian.com/index.php?option=com_content&view=article&id=855:2013-](http://www.st-mary-alsourian.com/index.php?option=com_content&view=article&id=855:2013-12-04-11-09-48&c)

انظر الشكل رقم ١٨؛ 12-04-11-09-48&c

أما الخورس الثالث فهو متسع ويقوم على أعمدة ضخمة، قيل إنها كانت أعمدة رفيعة مصنوعة من المرمر، يعلوها قبة متسع مستطيل ومرتفع تتخلله طباقات صغيرة تعطيها تهوية جيدة في الصيف؛ ولذلك يصلي الرهبان في هذه الكنيسة طيلة فترة الصيف اعتباراً من جمعة ختام الصوم حتى بدء صوم الميلاد. ويوجد في أول الخورس الثالث اللقان وهو موجود في أرضية الكنيسة ومصنوع من الرخام وعندها تجرى صلوات اللقان حالياً. وفي آخر الكنيسة يوجد نصف قبة الباب الغربي المؤدي إلى المائدة القديمة يتزين بأيقونة فريسكا لصعود السيد المسيح وحوله التلاميذ وقيل إن سقف الكنيسة كان يتزين بالأيقونات الجميلة ولكن أحد الرؤساء عندما قام بترميم الكنيسة طمس معالم تلك النقوش الجميلة بتغطيتها بالجبس^(١).

هذا وقد جاء بخط البابا كيرلس الخامس البطريك رقم (١١٢) (١٨٧٤-١٩٢٧م) على مخطوط ميامر بولس البوشي بمكتبة الدير كتابه تقول قد صار ترميم كنيسة السريان عام (١٤٩٨ ش / ١٧٨٢م) وتبييضها بمعرفة الأنبا بطرس أسقف جرجا، وذلك آخر ترميم لها. أي حدث ذلك الترميم في زمن البابا "يوانس الثامن عشر" البطريك رقم (١٠٧) (١٧٦٩-١٧٩٦م)، ويوجد على شمال باب الخورس الأول حجر رخامي ملصق بالحائط عليه كتابة ٢٣ سطراً قبطياً^(٢).

ومعظم الرسومات والنقوش في كنيسة السريان شيدت في عهد القمص "موسى السرياني" رئيس الدير عام (٩٠٧-٩٤٤م) ويذكر بتلر إن حواجز هذه الكنيسة لا بد وإنها ترجع إلى ما

(١) سمعان السرياني، (القمص): المرجع السابق، ص ٢١-٢٤.

(٢) قام بترجمة هذا النص المكتوب على اللوحة الرخامية إلى اللغة العربية العلامة «إفلاديوس لبيب» ونشرها في مجلة عين شمس ونصها: «باسم الثالوث القدوس المساوي في الجوهر الأب والابن والروح القدس قد صار انتقال أبينا المطوب الأنبا يحنس كما في اليوم الرابع والعشرين من شهر كيهك في الساعة الأولى من الليل في اليوم الخامس والعشرين من رئاسة الأنبا قزمان رئيس أساقفة الإسكندرية وإدارة أبينا الأب إبراهيم على كنيسة أبينا القديس الأنبا يحنس وبعد عشرة شهور من انتقال أبينا القديس كمسة الله وتوفيقه تنيح أبي الأب إسطفانوس بسلام من الله آمين، وذلك في عام ٥٧٥ من استشهاده القديسين تحت حكم ملكنا وربنا يسوع المسيح آمين».

قبل عام (٧٠٠م) وتشبه في ذلك كنيسة القديس الأنبا بيشوي وكنيسة العذراء بالبراموس، وربما كانت هذه الكنائس أقدم آثار البرية إلى وقتنا الحالي .

أما أنصاف القباب الثلاثة مع الهيكل تشبه علامة الصليب، ويوجد بالكنيسة أيقونة للصلبوت ذكرها بورمستر في كتابه المرشد إلى أديرة وادي النطرون، حيث ذكر قائلاً: «إنها من أقدم أيقونات الصلبوت في العالم إذا يرجع تاريخها إلى القرن الثاني عشر الميلادي، وتتميز برسم الشمس والقمر وذلك لما حدث وقت صلب المسيح (ظلمة على الأرض) بسبب كسوف الشمس»^(١).

- كنيسة المغارة: وتقع بجوار شجرة مار إفرام السرياني وملاصقة للسور البحري تنزل إليها بدرجتين ثم تسير في دوksar مربع حوالى ٦ X ٦ م ثم تنزل بثلاث درجات إلى الكنيسة وهي مربع نحو ١٢ X ١٢ م مقسمة على ثلاثة خوارس ذات قبو مرتفع مستطيل. ويوجد بها ثلاث هياكل: الرئيسي هيكل للسيدة العذراء والقبلي القديس مار مرقس الرسول، أما البحري القديس مار جرجس أمير الشهداء. وبالهيكلي الرئيسي يعلو المذبح أربعة أعمدة خشب يعلوها قبة بها من الناحية الشرقية رسم قديم على جلد صورة للسيدة العذراء وأسفلها عن اليمين الأنبا بولا وعن يسارها الأنبا أنطونيوس. يزين حجاب الهيكل بصليبان مطعمة بالعاج ذات إتقان بديع يرجع تقريباً إلى عام (١٤٥٠ ش / ١٧٣٤ م)^(٢).

وفي الجهة البحرية من باب الهيكل الرئيسي توجد مقصورة للآباء القديسين الذين تم نقلهم من كنيسة المغارة إلى كنيسة السريان، التي يصلي بها صيفاً، أما هذه الكنيسة المغارة فيصلي بها من الأحد الأول من الصوم الميلاد وحتى الخميس الأخير من الأربعين المقدسة، وبقية العام في كنيسة السريان، ويوجد على هذه المقصورة أيقونة أثرية للسيدة العذراء غاية الإبداع في فنها وألوانها كما إن هذه المقصورة مكتوب بأعلاها عملت باهتمام في عام (١٤٣٦ ش / ١٧٢٠ م) في

(1) http://www.st-mary-alsourian.com/index.php?option=com_content&view=article&.id=855:2013-12-04-11-09-48&c.

(٢) سمعان السرياني، (القمص): المرجع السابق، ص ٢٥-٢٦.

عهد القس ميخائيل رئيس الدير. ويوجد بالخورس الأول باب يتكون من ثلاث أقسام من خشب غاية المتانة وسميك ومرتفع في طوله حتى بداية القبو به نقوش دقيقة تضيف عليها جمالاً حسناً، في الخورس الثالث يوجد لقان رخامي مثل الذي بكنيسة السريان ويصلي فوقه لقان الغطاس. وفي عام (١٥٦٧ش / ١٨٥١م) صار ترميم وتبييض لكنيسة المغارة في رئاسة القمص عبد القدوس، وتم تكريسها بيد الأنبا إيساك مطران الفيوم والبهنسا، وبحضور القمص ميخائيل المقاري الذي صار البابا ديمتريوس الثاني البطريك رقم (١١١) (١٨٦٢ - ١٨٧٠م) وبحضور القمص يوحنا البراموسى الذي صار البابا كيرلس الخامس البطريك رقم (١١٢) (١٨٧٤ - ١٩٢٧م)، والقمص غبريال أمين دير الأنبا بيشوي، كما يوجد للكنيسة باب في الناحية الغربية، وهذا الباب حالياً يوصل إلى مخزن خاص بذات الكنيسة^(١).

- كنيسة الشهداء: وتعرف بكنيسة الأربعين شهيداً بسبسطيه، وهي تقع أعلى شمال مدخل كنيسة العذراء السريان وهي على اسم شهداء سبسطية بسوريا إذ كانوا جنوداً شجعاناً في عهد ليكينوس قيصر سنة ٣١٣م، الذين لما رفضوا إنكار دينهم أمر بطرحهم في بحيرة من الجليد بجوار حمام ساخن لاستغلال إنكار إيمانهم، وإن الحارس شاهد أربعين إكليلاً إستقرت على ٣٩ منهم، وبقي واحد معلقاً، لأن صاحبه غلب من البرودة واتجه إلى الحمام الساخن فمات لوقته، فأسرع ذلك الحارس وأعلن إيمانه ونزل إلى بحيرة الجليد، فإستقر عليه الإكليل المعلق، واستشهد معهم وتعيد له كنيستنا في ١٣ برمهات من كل عام^(٢).

وكنيسة الشهداء أو الأربعين شهيداً صغيرة بها هيكل واحد، وقد كرسها الأنبا بطرس أسقف جرجا في عام ١٧٨٢م، مع كنيسة السريان بعد ترميمها وبياضها. ويوجد عن يمين بابها مقبرة الأنبا سلامة، كما كان يلقبه الأحباش واسمه الحقيقي الأنبا اخريستوذولوس^(٣).

(1) http://www.st-mary-alsourian.com/index.php?option=com_content&view=article&id=855:2013-12-04-11-09-48&c.

(٢) سمعان السرياني، (القمص): المرجع السابق، ص ٢٥، انظر الشكل رقم ١٨.

(٣) الأنبا اخريستوذولوس: هو القمص عبد المسيح الأنبري، الذي كان رئيساً لدير السريان، وقد رشامه البابا متاؤس الرابع مطراناً على أثيوبيا عام ١٦٦٥م وبعد فترة وجيزة عاد إلى دير السريان، وعكف على النسك والعبادة إلى أن تنيح ودفن بتلك المقبرة.

- كنيسة الأنبا يحنس كاما: وتقع في الركن الشمالي الشرقي، وقد شيدت عندما وفد رهبان من دير الأنبا يحنس كاما إلى دير السيدة العذراء السريان ليصلوها، بعد أن بدأ الخراب يدب في ديرهم أواخر القرن الثالث عشر الميلادي، وأطلق عليها كنيسة الأنبا يحنس كاما^(١)، ومذبح هذه الكنيسة من الرخام الأبيض المزين بالزخارف الذهبية، وبها مذبح واحد على اسم القديس يحنس كاما القس، وعلى جانب باب الهيكل توجد أيقونة السيد المسيح وهو جالس على العرش وكذلك أيقونة السيدة العذراء ويوجد بالكنيسة مجموعة من الأيقونات والصور الحديثة، وقد

(١) الأنبا يحنس كاما: ولد في قرية شبرا منصو من أعمال «صا» بمركز كفر الزيات، وقد بدأ منذ حدثه في الفضيلة وكان حسن المنظر، وديعاً مع الجميع ونشيطاً في الفضيلة هادئاً في كلامه يميل إلى الوحدة طاهراً في جسده، تقياً في نفسه صالحاً مع كل الناس، محباً للصدقة ومضيفاً للغرباء يعمل الخير مع الناس ييكر إلى الكنيسة ويصوم كل حين، مصلياً بلا ملل، دائم في تلاوة اسم ربنا يسوع المسيح، اشتاق إلى حياة الرهبان منذ نعومة أظفاره مشتاقاً إلى الحياة النورانية، كان متعبداً للرب يكل قوته حافظاً وصاياه. حاول أهله أن يزوجه، اما هو فكان يرفض ولكن مع ضغط والديه، قبل الزواج من فتاه عذراء، وطلب منها أن يعيش بتولاً، فقالت له: «والآن إذ كنت قد قررت في نفسك يا أخي الحبيب أن تحفظ بتوليتك فأنا فرحة أن أحفظ بتوليتي، وإن كنت سررت أن تكون بتولاً فأنا مستعدة لطاعتك حتى يوم وفاي لأن كلماتك الحلوة أدمست عظامي ودخلت إلى حواس نفسي». وبعدها قرر الذهاب لبرية شيهيت للرهبنة، فلما قام القديس ذات صباح دعا زوجته وقال لها: «أودعك يا أختي الصالحة لأن أمرت من قبل الرب أن أمضي وأصير راهباً، وأنت أيضاً يا أختي الحبيبة تفرغي لخلاص نفسك، فلما سمعت هذا الكلام تأثرت كثيراً وقالت له: أسألك أن تذكرني في صلاتك ليدبر الرب عمري جميعه بمرضاته»، أما القديس يحنس فكان ينمو في النعم، ويتقدم في العبادة يوماً بعد يوم، ويجاهد في النسك وعمل اليد في الخفاء والعلاية وكان معلمه يمجده الله إذ يرى سيرته الحسنة المضيئة. وظهرت له اليبدة العذراء، وظهر له البابا أثناسيوس الرسولي، وشيد ديرهم وإزدهره في شيهيت، وكان دائماً يقول لتلاميذه: «كان يقول دائماً لأولاده أن كل شيء يزرعه الإنسان إياه بعينه يحصد، فالذي يزرع جسده فمن الجسد يحصد فساداً ومن يزرع للروح فمن الروح يحصد حياة أبدية». فرسموه قساً، وكان من أشهر تلاميذه شنودة الذي أعلمه بقرب نياحته، وتنيح القديس الأنبا يحنس كاما في ٢٥ كيهك ٥٧٥ ش/ ٣ يناير ٨٥٩م. أما زوجته فإنها وزعت كل ما لها وامتازت بالنسك وشاع اسمها واجتمع إليها عذارى ونساء كثيرات وترهبن، وبنت ديراً وصارت رئيسة ترشدن إلى خلاص نفوسهن، وكانت تتعبد للرب كل أيام حياتها، وطعنت في أيامها وتنيحت في مرضاه الرب وهي متمسكة بالصبر والجهد المقدس.

أهملت هذه الكنيسة بعد أن تم تحويلها مخزن لمؤن الدير، أما حالياً فقد تم إعادة ترميمها وتجديدها كاملة في ذات المكان، وهي تستخدم حالياً للآباء الرهبان فقط، وتحتفل الكنيسة كل عام في يوم ٢٥ من شهر كيهك بعيد القديس يحنس كاما، وهذه الكنيسة يوجد مقصورة جديدة عليها أيقونة القديس أبو فام الجندی الأوسيمي، وهي تحتوي على أجزاء من أجساد القديسين^(١). وصحن هذه الكنيسة مجدد وهو من الخشب ومركز على الحوائط الجانبية إلى جانب عامود واحد في وسط الكنيسة لارتكاز السقف عليه وفي الجهة القبلية البحرية للكنيسة يوجد باب صغير عن طريقه ندخل إلى كنيسة القديس الأنبا يحنس القصير^(٢).

كنيسة الأنبا يحنس القصير: تقع هذه الكنيسة في الركن الشرقي البحري للدير وكان يستخدمها الرهبان الأحباش ثم إندثرت ملامحها وأعيد تجديدها حديثاً - هذه الكنيسة خاصة بالآباء الرهبان ولكن ليس لها مدخل خاص بها ولكن يتم الدخول إليها عن طريق مدخل داخلي مثل مدخل كنيسة الأنبا يحنس كاما، وهي تتكون من مذبح واحد على اسم القديس الأنبا يحنس القصير^(٣) - سقف صحن هذه الكنيسة مصنوع من الحجر على شكل جمالون

(١) أسما القديسين: الشهيد أبانوب، والشهيدة رفقة، والشهيد بشنونة المقارين والأم دولاجي وأولادها، والقديس الأنبا صرابامونن والقديس الأنبا توماس، والقديس الأنبا متاؤس الفاخوري، والقديس مار بقطر.
(2) http://www.st-mary-alsourian.com/index.php?option=com_content&view=article&id=855:2013-12-04-11-09-48&c.

(٣) القديس الأنبا يحنس القصير: وُلد سنة ٣٣٩ م بمدينة طيبة (الأقصر) من أبوين مسيحيين فقيرين لكنهم أغنياء بمحبة الفضيلة والكنيسة والكتاب المقدس، فضّل حياة الرهبنة، فترك العالم قاصداً بربه شهيداً، وترهبّن تحت طاعه القديس الأنبا بموا الذي أراه الله المستقبل العظيم الذي سيكون لهذا القديس سنة ٣٥٧ م، اشتهر بحياة الصلاة والاستغراق الكامل في التأمل في الإلهيات لدرجة أنه خاط قفتين في واحدة ومرة دخل وخرج ثلاث مرات دون أن يحضر القفف لبائعها، هو صاحب شجرة الطاعة التي أخذها من معلمه عصا يابسة، أثمرت بيد الله العاملة فيه بعد ثلاث سنوات من تعب وحمل الماء مسافة ١٢ ميلاً كل يوم ليسقيها، فأخذ معلمه ثمارها وأعطاهم للآباء قائلاً: «هذه ثمرة الطاعة»، وقد كانت بديرة الواقع شرق دير السريان، ولا تزال آثاره حتى يومنا هذا. كما عرف عنه تواضعه ومحبة الآخرين وظل خادماً لمعلمه ١٢ عاماً دون أن يسمع كلمة شكر واحدة، وكان يقع عليه بصاق معلمه في شدة تعبه، فكان يفرح حتى سلمه الأنبا بموا للآباء قائلاً: «هذا ملاك لا إنسان». سمع صوتاً عند رسامته قساً من الساء قائلاً: «مستحق مستحق مستحق». شرفه الله بصنع العجائب فأقام موتي وأخرج شياطين وشفى مرضي، وكانت الوحوش تطيعه. تنبح في يوم الأحد ٢٠ بابة ٤٠٩ م، بعد أن ظهر له الأنبا أنطونيوس والأنبا مكاريوس وأبوه الأنبا بموا وأعلموه بوقت نياحته. يسمى يوحنا أو يؤانس أيضاً وقد عاصر القديس العظيم الأنبا بيشوي والأنبا مقاريوس والأنبا إرسانيوس.

نصف برمیل - وبه طاقة للإنارة، وفي أعلى باب الهيكل نجد صورة العشاء الرباني ومن الجهة القبلية والبحرية أيقونة السيد المسيح والسيدة العذراء وداخل الهيكل يوجد المذبح وبالحنية الشرقية نجد أيقونة السيد المسيح وهو جالس على العرش والمذبح مصنوع من الرخام الأبيض المزين بالنقوش التي بها شكل الصليب المذهب. وتحتفل الكنيسة في يوم ٢٠ بابه من كل عام بعيد نياحة القديس يحنس القصير^(١).

كنيسة الأنبا متاؤس الفاخوري: تنسب هذه الكنيسة إلى القديس الأنبا متاؤس الفاخوري^(٢)، وأيضاً لأن اسم هذا القديس يشبه اسم رئيس دير السريان الحالي، وجاءت فكرة بنائه عام

(1) http://www.st-mary-alsourian.com/index.php?option=com_content&view=article&id=855:2013-12-04-11-09-48&c.

(٢) الأنبا متاؤس الفاخوري: ولد القديس ببلدة الأقصرين (الأقصر حالياً)، وهو من أبوين مسيحيين تقيين أسمياه (متاؤس) أي (عطية الله). علماه الأداب المسيحية، فنما القديس في جو روحاني، تعلم القديس من والده صناعة الفخار للك اشتهر باسم الفاخوري. تنبح والداه وهو طفل صغير. كان الفتى متاؤس محباً لحياة الوحدة، فكان يتردد كثيراً على دير الأنبا إسحق السائح بجبل أغاثون (دير الشهداء حالياً) بمدينة إسنا، وأيضاً كان يذهب الى أديرة الأنبا باخوميوس المنتشرة في جبال إسنا وأصفون، ثم أبدى رغبته في الرهبنة لأحد شيوخ الرهبنة الأتقياء (الأب مرقس) فعلمه أصول الرهبنة ومبادئها حتى أتقنها جيداً، وسمح له بالتوحد في أحد المغائر البعيدة عن الدير بنحو ستة كيلومترات، فعاش فيها ناسكاً عابداً فترة طويلة حتى أنست به الوحوش وصارت تعيش معه في المغارة (لذلك ترسم صورته ومعه الضبعين الذين أقام معه لمدة اثنتي عشرة سنة). بالرغم من القامة الروحية العاليه التي للقديس الا أنه كان يحيا حياة المسكنة الروحية والتواضع لذلك دُعي (متى المسكين). بعد نياحة الأب مرقس أبوه الروحي أجمع الرهبان على اختيار القديس متاؤس أباً ورئيساً لهم لخبرته في النسكيات والجهاد الروحي. لما تقلد القديس هذه المسئولية قام بتعمير الدير رهبانياً حيث كثر عدد الرهبان فيه، وأقام نهضة عمرانية بالدير حيث أقام المباني الضخمة والأسوار حول الدير، واعتزافاً بفضلله دعى الدير باسمه. أعطى الله القديس مواهب كثيرة مثل: شفاء المرضى وإخراج الشياطين ومعرفة الغيب وقامة الموتى وغير ذلك. حتى ذاع صيته، وامتلاً ديريه من الزوار وطالبي الإرشاد، ووصل صيت القديس الى أقصى النوبة. وأهم ما يميز هذا القديس البار أنه لا يميز بين الآتين اليه من جهة الجنس أو الدين، بل كان يخدم الكل ويضيف الجميع على مائدته. ومن الجدير بالذكر أن القديس عاش في القرن الثامن الميلادي، وكان عمره عند نياحته مائه وخمس سنين، وهي كالتالي: عشر سنوات في العالم، وخمسة وأربعين سنة راهباً، وخمسين سنة رئيساً للدير، وتعيد له الكنيسة في اليوم السابع من شهر كيهك المبارك من كل عام، ويقام احتفال روحي سنوياً بديره في جبل أصفون - إسنا - محافظة قنا.

١٩٩٨م، فمع إزدياد مساحة المزرعة الخارجية للدير وزيادة عدد العاملين بها حيث كان من الصعب نقل كل هذا العدد من العمال أسبوعياً لحضور قداس يوم الأحد بكنيسة الأنبا أنطونيوس الخاصة بالعمال، ومن هنا ظهرت فكرة بناء هذه الكنيسة، وهي على شكل صليب وبها ثلاثة مذابح: المذبح الأوسط باسم الأنبا متاؤس الفاخوري والمذبح البحري باسم الأنبا شنودة رئيس المتوحدين والأنبا باخوميوس أب الشركة والمذبح القبلي باسم الشهيدة الأم دولاجي وأولادها وهي أيضاً من قديسي إيبارشية إسنا والأقصر، ويوجد بالكنيسة جزء من رفات كل من القديس الأنبا متاؤس الفاخوري، والأم دولاجي وأولادها، وتم الانتهاء من أعمال البناء والتشطيب وتزينها بالأيقونات القبطية في عام ٢٠٠١م، ولم يتم تدشينها حتى يومنا هذا^(١).

كنيسة القديس الأنبا أنطونيوس: بُنيت بدير السريان على شكل فلك إشارة إلى فلك النجاة، ويرجع تاريخ إنشائها إلى الفترة ما بين عامي (١٩٩٣ - ١٩٩٥م)، وتقع بجوار مبنى الدوار، وسكن العمال لتكون كنيسة خاصة لهم ومساحتها ٢٠٠ متر مسطح وهي على الطراز البيزنطي، ويوجد بها ثلاث قباب واحدة على الهيكل الأوسط، والاثنان على الهيكلين البحري والقبلي، أما صحن الكنيسة فمغطى بنصف برميل من الطوب الأحمر والجناحان من الخرسانة المسلحة وبها أول معمودية في الدير، وشيد في حبرية نيافة الأنبا متاؤس أسقف ورئيس الدير، وتحت إشراف الراهب القمص بقطر السرياني وفي صباح يوم الأحد الموافق ١١ أيب ١٧١١ ش / ١٨ يوليو ١٩٩٩م، وبمناسبة العيد الخامس والأربعين لرهبة قداسة البابا شنودة الثالث قام قداسته بتدشين ثلاثة مذابح بها الأوسط باسم القديس الأنبا أنطونيوس، والمذبح البحري باسم الثلاثة مقارات القديسين، والمذبح القبلي باسم القديس الأنبا موسى الأسود، والقديس الأنبا إيسيدوروس، وتتميز الكنيسة بشرقيتها ويوجد بها ثلاث شرقيات ولكل منها أيقونة الضابط الكل وأيقونتها على الطراز الإيطالي الكلاسيك، الذي يتميز ببروعته وجماله^(٢).

(1) http://www.st-mary-alsourian.com/index.php?option=com_content&view=article&.id=855:2013-12-04-11-09-48&c.

(٢) لمزيد من التفصيل انظر: شكل رقم ١٨.

كنيسة رئيس الملائكة ميخائيل: كما بالعادة في الحصون الخاصة بالأديرة، أن توجد كنيسة «حامي الأديرة» رئيس الملائكة ميخائيل بأعلى طابق، وقد قام المعلم إبراهيم الجوهري بترميمها في عام (١٤٩٨ ش / ١٧٨٢ م)، وصنع لها حجاباً مطعماً بالعاج، وكتب عليه اسمه لينال بركة رئيس الملائكة ميخائيل، وتقام الصلوات خاصة في عيدها الموافق يوم ١٢ هاتور، وفي ١٢ بؤونة إذ يسهر رهبان الدير في تساييح وألحان حتى الصباح يعقب ذلك القداس الإلهي. لذا يعتبر رئيس الملائكة ميخائيل شفيعاً وحارساً للرهبان، كما يوجد بها حجاب مطعم بالعاج وتظهر قبتها من فوق الحصن، هذا بالإضافة إلى إنه كانت توجد كنيسة باسم مارجرس تهدمت، وبنى مكانها مجموعة من القلال في عهد القمص يوحنا الإسناوي، والأنبا صرابامون مطران الخرطوم، ومكانها حالياً مخازن بناحية السور الشرقي، وأيضاً كانت توجد كنيسة أخرى بجوارها باسم الأنبا يحنس كاما، تهدمت وبنى مكانها طاحونة في عصر القمص مكسيموس وهي قبل الطاحونة الحالية .

كاتدرائية السيدة العذراء مريم: في عهد قداسة البابا شنودة الثالث البطريك رقم (١١٧) من بطاركة الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، وفي حبرية نيافة الأنبا متاؤس أسقف ورئيس الدير الحالي، واستكمالاً لأعمال التعمير والبناء تم إنشاء كاتدرائية ضخمة باسم السيدة العذراء مريم على الطراز القبطي بها دور بدروم أسفل الهيكل، وتوجد كنيسة صغيرة باسم القديسان قزمان ودميان، والكاتدرائية تعلوها قبة، يحيط بها أنصاف قباب وقبويات تشكل السقف على هيئة صليب، وأمامها فناء مكشوف يحيط به ممر من ثلاث جهات مغطى بقباب من الطوب الأحمر المصمت، وللكاتدرائية منارتان بارتفاع ٢٩,٧٠ متر، وصلبان أعلى المنارات ارتفاعها ٣,٧٥ متر، حيث إن أبعاد الكاتدرائية التي تم تنفيذها بعرض ٣٥,٥٠ متر وطول ٢٥,٢٢ متر شاملة الممرات الخارجية^(١) .

(1) http://www.st-mary-alsourian.com/index.php?option=com_content&view=article&id=855:2013-48-09-11-04-12&c.

كنيسة القديس مار ماروتا: في أثناء ترميم القلالي الكائنة أسفل السور الشمالي، وبالتحديد أمام كنيسة السريان تم العثور على أساسات لكنيسة القديس مار ماروتا، جنوب المغطس^(١) الموجود في آخر خورس كنيسة المغارة وهي من القرن الثامن الميلادي. والكنيسة لها امتداد ناحية الشرق (مكان إدارة الدير حالياً) وما يسمى بالرباطية حتى الحائط الغربي لمدخل كنيسة المغارة. وقد تم عمل حامل أيقونات خشبي كفاصل بين الهيكل وصحن الكنيسة، وحوائط الكنيسة مزينة من الخارج بأيقونتين من الموزاييك، الأيقونة الغربية للقديسة مريم ، وهي تعطى للقديس الأنبا يحنس كما ثلاثة دنانير، والأيقونة الشرقية القديس مار أفرام السرياني، وفي الحائط الغربي للكنيسة يوجد الباب الرئيسي، وعليه من الخارج أيقونة من الموزاييك للقديس مار ماروتا السرياني، وتقع الكنيسة في الجنوب الغربي لكنيسة المغارة التي بها المدخل الثاني للكنيسة في الخورس الأخير، وقد قام نيافة الأنبا متاؤس - أطال الله عمره سنين عدة - بصلاة أول قداس إلهي على مذبح الكنيسة يوم ١٠ أكتوبر ٢٠١٧م^(٢). وذكر يوسف السمعاني الذي زار الدير ١٧١٥م أن جسد القديس مار ماروتا موجود بالدير حيث ذكر قائلاً: «إن جسد ماروتا أسقف تكريت محفوظ في دير السريان، وأنه نقل إلى هناك عندما تعرضت ميسوبوتاميا (العراق)^(٣) Mesopotamia للغزو الفارسي والعربي»^(٤). وهذا ما أكدته

(١) المغطس: هو عبارة عن حوض أبعاده مترين طولاً، ومترين عرضاً، وارتفاعاً ٨٠ سم، وكان يملأ بالماء ويتلو عليه صلوات لقان عيد الغطاس، وينزل فيه المسيحيون كنوال للبركة كمثال لنزول السيد المسيح في نهر الأردن، وهو يعتبر مغطس وليس معمودية.

(2) http://www.st-mary-alsourian.com/index.php?option=com_content&view=article&id=855:2013-48-09-11-04-12&c.

(٣) ميسوبوتاميا: هي المنطقة التي تقع ما بين النهرين أو ميسوبوتاميا باللغة الإنجليزية: ميزوبوتاميا أما باللغة الفرنسية Mésopotamie، ويأتي مصدرها من اللغة اليونانية: Μεσποταμία أرض بلاد ما بين النهرين، يعني باللغة العربية بلاد الرافدين، هي المنطقة التي يجري بها نهرين دجلة والفرات والتي قامت فيها واحده من أقدم الحضارات في العالم القديم، منطقة بين النهرين بتشكيل دلوقتي الجزء الأكبر من دولة العراق، وأماكن صغيرة من تركيا وسوريا، ومنطقة بين النهرين طلعت منها الحضارة السومرية والبابلية والأكادية والآشورية وبعدين اتضمت للإمبراطورية الأخمينية (الفارسية) وتنتها تحت الحكم الفارسي لحد القرن السابع الميلادي، لما غزاها العرب وقضوا، على الإمبراطورية الساسانية، وسميت المنطقة باسم العراق وهو الاسم المعروفة به حتى يومنا هذا. وقد استولى المغول على معظم المنطقة، وعرفت دولتهم ببلاد فارس. [/https://arz.wikipedia.org/wiki](https://arz.wikipedia.org/wiki)

(٤) هيو ج. ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص ١٦٧-١٧٨.

أيضاً الرحالة سنويني حيث ذكر أن جسد مار ماروتا موجود مع العديد من أجساد القديسين بكنيسة السريان^(١).

كنيسة القديس مقاريوس الكبير: تقع الكنيسة خارج الدير الأثري بحديقة الدير وتبعد عنه نحو ١٥ متراً من سور الدير وهي على مساحة ٢٤٠ متر مسطح وتتكون من الهيكل ويحتوي على ثلاثة مذابح: الأوسط باسم القديس مكاريوس الكبير والبحري باسم القديس الأنبا بيشوي والقديس الأنبا أفرام السرياني والقبلي باسم القديسان مكسيموس ودوماديوس، ويعلو كل منها قبة مستديرة. وصحن الكنيسة يتكون من خورسين يعلوه قبو من الخرسانة المسلحة، وثلاثة أبواب خشبية أحدها في الناحية الغربية والثاني في الناحية القبليّة والثالث في الناحية البحرية، ويوجد العديد من النوافذ الزجاجية المستطيلة في الجدار البحري والقبلي، كما أن حامل الأيقونات خشبي يفصل هيكل الكنيسة عن صحنها مزود بالعديد من الأيقونات الخشبية الجميلة، والحشوات المطعمة والمثبتة بنظام التعشيق.

كنيسة القديس البابا كيرلس السادس: تقع هذه الكنيسة في الناحية الغربية الشمالية من الدير الأثري حيث شُيّدت في عام ٢٠١٤م، وتبلغ مساحتها نحو ٥٠٠م، وهي على شكل صليب، وذلك بعد اعتراف المجمع المقدس بقداسة مثلث الرحمات البابا كيرلس السادس البطريك رقم (١١٦) (١٩٥٩-١٩٧١م)، والذي تتلمذ على يديه الراهب القمص فلتاؤس السرياني الذي كان أب اعترافه ومدبره الروحي. وتحتوي الكنيسة على مذبح باسم البابا كيرلس السادس وحامل أيقونات على طراز الفن الإيطالي، ويحتوي على صور للآباء الرسل والشهداء والقديسين ومصنوع من خشب الأرو جميل الصنع وبه ثلاث أبواب، وحامل الأيقونات يفصل بين صحن الكنيسة والهيكل. أما هيكل الكنيسة يحتوي على ثلاث حنيات (حُضن الأب) مزينة بإطار رخامي منحوت عليه صلبان، وأشكال زخرفية من الفن القبطي رائعة الجمال^(٢).

على أية حال، يعتبر حُضن الأب به أيقونة كبيرة للسيد المسيح البتكرطور أي (ضابط

(١) نفسه: ص ١٧٠. انظر الشكل رقم ١٨.

(2) http://www.st-mary-alsourian.com/index.php?option=com_content&view=article&id=855:2013-48-09-11-04-12&c.

الكل) حيث يجلس السيد المسيح في مجده على العرش وحوله الأربع كائنات غير متجسدين^(١). وأسفل الأيقونة الأربعة والعشرون قسيسًا الجالسون أمام الله ولهم كل واحد قيثارات وجامات من ذهب مملوءة بخورًا هي صلوات القديسين^(٢). وسبعة منابر من ذهب^(٣) والبحر الزجاجي^(٤). أما المذبح فمصنوع من الرخام الإيطالي له أربعة أوجه: الوجه الأمامي يحتوي على نقوش العشاء الرباني والجهة الخلفية للمذبح منقوش عليه صعود السيد المسيح، ومن الناحية الشمالية منقوش عليه قيامة السيد المسيح ومن الناحية الجنوبية منقوش عليه حلول الروح القدس في شكل حمامة على التلاميذ، وسطح المذبح على ارتفاع ما يقرب من واحد متر من سطح الأرض محمولاً على أربعة أعمدة رخامية مجدولة وعلى رأس كل عمود تاج منقوش عليه الأربع كائنات الغير المتجسدين. أما صحن الكنيسة يحتوي على خوراسان وتكسو الكنيسة أرضية رخامية، مصممة برسم هندسي غاية في الروعة. ويحتوي الخورس الأول على اثنين من الأبواب من خشب الأرو كمدخل للكنيسة من الناحية البحرية ومن الناحية القبلية، وبه أشكال زخرفية من صنع الحشوات والعشيق، وهذا الخورس هو الذي يحوي رفات الراهب القمص فلتاؤس السرياني الذي تنيح يوم ١٧ مارس ٢٠١٠ م.

والمزار الذي يحوي رفات الراهب القمص فلتاؤس السرياني (نسر البرية)^(٥)، يحتوي على أربعة جدران من الرخام الإيطالي: الجدار الشرقي يحتوي على صورة لأبونا القمص فلتاؤس السرياني تظهر فيه ملامح وجهه في غاية الوضوح والإبداع، والجدار الغربي يحتوي على نقوش في سطور قليلة لحياة أبونا فلتاؤس، كما يوجد من الناحية الشمالية والجنوبية من المزار نقوش

(١) الكتاب المقدس: (رؤ ٤: ٨).

(٢) الكتاب المقدس: (رؤ ٥: ٨).

(٣) الكتاب المقدس: (رؤ ١٢: ١٢).

(٤) الكتاب المقدس: (رؤ ١٥: ٢).

(٥) رسوم لبعض أنبياء العهد القديم وهم: نوح، أبونا إبراهيم يذبح ابنه اسحق، سلم يعقوب، إخوة يوسف يبيعونه للإسماعيلين، موسى ولوحى الشريعة، داود يقتل جليات بالسيف، الإشع والمركبة النارية، سليمان يشطر الطفل نصفين، الخوت يقذف يونان، دانيال وجب الأسود.

على هيئة صليب من الفن القبطي محاط بعناقيد من العنب، وملكين من كل جانب يحمل كل منهما بوقاً ويظهران بشكل منحوت بإبداع وفن في غاية الروعة والجمال. أما الخورس الثاني يحتوي على باب غربي من الخشب الأرو وزخارف من الحشوات الخشبية جميلة الصنع، وحوائط الكنيسة مجلدة من الخشب الأرو الذي يحتوي على كثير من الأشكال الزخرفية والبراويز التي تحتوي على أيقونات من الملائكة والشهداء والقديسين وآباء كبار الرهبنة. وتحتوي الكنيسة على ثلاثة أبواب يعلوها ثلاثة أرشات زجاجية تتضمن صوراً لحياة السيد المسيح من ميلاده حتى صعوده وهي من الفن الإيطالي في غاية الإبداع والجمال. كما تحتوي الكنيسة على ١٠ شبابيك زجاجية تتزين بأشكال زخرفية من الأعمدة والحليات والصلبان وعناقيد العنب، ويعلو كل شبابك رسم زجاجي من أنبياء العهد القديم^(١).

(١) القمص فلتاؤس السرياني: ولد في ١ إبريل ١٩٢٢م، باسم كامل جرجس أيوب في شارع بحر موسى «قسم الصيادين» بمدينة الزقازيق بمحافظة الشرقية. وتربى في أسرة تقية محبة للمسيح، وبعد انتهاء دراسته عمل كاتباً ومسجلاً للحسابات لدى «عبد الله بك شديد»، أحد أعيان مدينة سخا بمحافظة كفر الشيخ، في ذلك الوقت، كما كان يباشر زراعة عشرة فدادين ورثها عن والده محافظة الشرقية، ومنذ حدوثه التصق بالكنيسة وحفظ المزامير والألحان الكنسية، وكان نابغاً ويتمتع بذكاء شديد، وهذا ساعده على حفظ المزامير والألحان في وقت وجيز جداً، عاش بين افراد أسرته بالمحبة للجميع، على الرغم من أنه كاناً الا أنه بمحبته كانوا يعتبرونه أكبرهم، كان له العطاء المبكر في كل شئ واضعاً إمامه تعاليم الكتاب المقدس عندما ذكر قائلاً: «مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ (ع ٢٠: ٣٥)». على أية حال ترهبين سنة ١٩٤٨م، وتنيح عام ٢٠١٠م، أي عاش نحو ٦٢ سنة كاملة. كان هو باكورة رسامات المتنيح الأنبا ثاؤفيلس الأسقف السابق لدير السريان، وكان يحبه كثيراً، عاش فلتاؤس السرياني كنموذج عظيم للراهب الناسك الطاهر الصامت الذي يضع في فمه زلطة حتى لا يتكلم مع الناس ويكون كلامه مع الله فقط في الصلاة والتسبيح. كان حبيباً في قلايته في الحصن الأثرى بلا ماء ولا نور وفي مكان مقطوع وخيف. كان دائماً الحديث عن قديسي الرهبنة الكبار مثل مار إسحاق والشيخ الروحاني وغيرهما، وكان يحفظ الكثير من أقوالهم عن ظهر قلب، وله طريقة جميلة في سرد سير القديسين وأقوالهم، وكان له طريقه مشوقة في إلقاء أحاديثه عن الآباء السواح وتدبيراتهم العالية. ومن فضائله أنه لا يدين أحداً ولا يمسك سيرة أحد بالردى بل كان قلبه نقياً طفولياً ونظرته طاهرة مع تواضع عظيم حاسباً الجميع أفضل منه، في شيخوخته أنعم الله عليه ببعض المواهب الروحية مثل موهبة شفاء المرضى والشفافية وحل المشاكل المستعصية بصلواته للمزيد انظر: ذكريا السرياني، القمص: كوكب برية شيهيت، تقديم ومراجعة الأنبا متاؤس، مكتبة دير السريان العامر، البحيرة ٢٠١٠م، ص ٧-١٦.

أما سقف كنيسة البابا كيرلس السادس فيتميز بقبة رئيسية في صحن الكنيسة يحيط بها ٤ قبوات كبيرة ليكونا شكل الصليب بمساحة الكنيسة. وأربع قباب صغيرة على جوانب أجنحة الصليب الأربعة، والسقف من الداخل مزين بأشكال جيسية جميلة الصنع تحتوي على زخارف من الصلبان وعناقيد العنب وسنابل القمح وأشكال من القربان والكأس كرموز لسر الإفخارستيا. أما القبة الرئيسية فتحتوي على أيقونة من الرسم الجداري للسيد المسيح فاتحاً ذراعيه في إبداع غاية الجمال والروعة. وتحتوي القبة أيضاً على ملكين يحملان رسالة مكتوبة عليها "وهنا أتى سريعاً وأجرتى معى لأجازي كل واحد كما يكون عمله"^(١). والقبة محمولة على ٤ مثلثات كروية تحتوي على أيقونات من الرسم الجداري للأربعة الإنجيليين^(٢). ويحيط الكنيسة من الخارج فناء ذو أرضية رخامية من الجرانيت تشكل تصميمات هندسية جميلة ومزين بنحو عشرة أحواض زراعية على شكل صليب، وكل منها يحتوي على نخل ملوكى وبعض الأزهار والورود الجميلة، ويحيط بالكنيسة سور مستطيل من الحجر المشمه والحجر البازلت ومزين بأعمدة وحنيا تحتوي على صلبان ويعلو السور الخارجي كثير من المصابيح المضيئة التي تزين المكان^(٣).

الحصن الأثري: ويوجد على يمين الباب الأثري للدير من الجهة الغربية، وكان يلجأ إليه الرهبان لاتقاء غارات البربر وغيرهم، ويبلغ ارتفاعه ١٨ متراً، وطوله ١٤ متراً، وعرضه ١٣ متراً، ويتكون من ٤ طوابق يفتح بابه في الطابق الثاني ويتم الوصول إليه بقنطرة من الخشب السميك، والتي ترتكز على باب الحصن وبناء مقابله وترفع هذه القنطرة عند اللزوم بسلاسل مثبتة من خلفها وله باب سميك، فلا يستطيع أحد ما أن يصل الحصن بعد رفع القنطرة، وكل طابق به حجرات واسعة. وفي عام ١٧٨٢م قام المعلم إبراهيم الجوهري بترميم الحصن وتجديد كنيسته، حيث عرف عن الجوهري كرمه وعطاياه السخية للأديرة والكنائس، فقد أحضر

(١) الكتاب المقدس: (رؤ ٢٢: ٢٢).

(٢) الأربعة الإنجيليون وهم: القديس متى، ومرقس، والقديس لوقا، ويوحنا.

(3) http://www.st-mary-alsourian.com/index.php?option=com_content&view=article&id=855:2013-48-09-11-04-12&c.

ذات مرة للدير خمسين أردبًا من الترمس، ووضعت في أسفل الحصن؛ وما زال بعض قشور هذا الترمس باقية حتي الآن بالحصن، وذلك لأنه كان يعتبرها طعام الرهبان عندما يلازمون الحصن. وهذا الحصن الشامخ يظهر على بعد، وكأنه قلع سفينة فليل إن الدير بنى ليكون على شكل سفينة نوح فالدير مستطيل والحصن يتصدره كأنه قلعة لتلك السفينة، ومحدب المؤخرة على مثال الدفة والرمال تتأخم أسواره مثل أمواج البحر وهكذا؛ فإنه كسفينة تحمل مسافريها الرهبان إلى أن يصلوا إلى البر عند نهاية غربتهم في هذا العالم^(١). وأكد الرحالة ولكنسون هذا الوصف فذكر قائلاً: «دير السريان كان يقصد الرهبان السريان وهو يشبه فلك نوح»^(٢).

الطافوس: ويقع داخل أسوار الدير في الناحية الغربية خلف الحصن الأثري، ويضم العديد من أجساد الآباء الرهبان عبر عصور الدير التاريخية.

أسوار الدير: تعتبر أعلى أسوار الأديرة القائمة في بركة شيهيت، ويبلغ متوسط ارتفاعها ١٢ مترًا بها طاقات في أعلاها، وتوجد أجزاء بارزة إلى الخارج، وذلك لكي لا تتجمع الرمال حول السور وهي نظرية هندسية رائعة. وفي عام ١٩٠٢م وقع جزء كبير من السور البحري قبالة قصر الضيافة الذي كان سابقًا شرقي كنيسة السريان، فبناه القمص مكسيموس رئيس الدير في ذلك الوقت، وقيل إنه استخدم أكثر من مائة عامل كان يقوم بخدمتهم القمص عبد القدوس الذي تنيح شيخًا وقورًا يناهز التسعين من عمره، وقد كان يعيش حياة البساطة والتقوى، وكان يؤازره في هذا العمل قداسة البابا كيرلس الخامس البطريك رقم (١١٢) (١٨٧٤-١٩٢٧م) الذي كان محبًا لأديرة الأسقيط ولدير السريان خاصة^(٣).

باب النبوات: تتميز كنيسة السيدة العذراء السريان بحجاب جميل الصنع يسمى «باب النبوات» يتميز به دير السريان، والباب يتكون من ست دولف الواحدة طولها ٢٧٥سم،

(١) سمعان السرياني، (القمص): المرجع السابق، ص ١٦-١٧، انظر الشكل رقم ١٨.

(٢) هيو ج. ج. إيفلين هويت: المرجع السابق، ص ١٧٨.

(3) http://www.st-mary-alsourian.com/index.php?option=com_content&view=article&id=855:2013-48-09-11-04-12&c.

وعرضها ٤٥ سم، وقسم كل منها إلى ٧ أقسام، زُينت أعلاها بصورة للقديسين، كُتبت أسماءهم باللغة اليونانية وطعمت بالعاج في الخشب وبقية الأقسام بها رسومات هندسية جميلة من العاج، يزينها الصليب، وكل قسم منها يشير إلى مرحلة من تاريخ كنيستنا المجيد نذكر منها، عصر الرسل ويظهر فيه بالترتيب من اليمين إلى الشمال القديس ديسقوروس والقديس مارمرقس بطاركة الأسكندرية وعمانوئيل إلهنا والقديسة مريم والقديس أغناطيوس والقديس ساويرس^(١). عصر الاستشهاد ويظهر فيه الصليب وسط الدوائر التي تشير إلى إنتشار المسيحية، كما يوجد الباب ست دوائر بكل منها صليب تشير إلى إنه كان ستة كراسى رسولية؛ وهي أورشليم والإسكندرية وروما والقسطنطينية وإنطاكية وقرطاجنة. أما عصر بداية ظهور البدع والطوائف الأخرى فيرمز لها بالصليب المعكوف والذي استخدمه هتلر شعاراً يرمز إلى الهرطقات وحدوث الانقسامات في الكنيسة، وكثرة الخطوط المتقاطعة بين الصلبان يشير إلى كثرة الطوائف الحالية وضعف الإيمان. أما صليب واحد من حوله صلبان فيشير إلى وحدة الكنيسة. وعلى عتبة الباب العليا مكتوب باللغة السريانية إن هذا الباب قد عمل بواسطة موسى رئيس الدير في زمن البطريك غبريال الأول البطريك رقم (٥٧) (٩٠٩-٩٢٠م)، والبطريك يوحنا الأنطاكي عام ٩١٣م^(٢).

شجره مار إفرام السرياني: توجد شرق كنيسة العذراء المغارة بدير السريان شجرة ضخمة تعرف باسم شجرة مار إفرام السرياني، فقد قيل إن القديس مار إفرام أتى إلى برية شيهيت وقضى بها ثماني سنوات في القرن الرابع، ومن فرط النسك الذي أنهكه كان يتوكأ على عكاز (عصا)، فظنه رهبان الأسقيط أنه يتشبه بالشيخ، وبحسب ما أشار إليه أبوه الروحي غرس عكازه هذا في الأرض؛ ولأن الله أراد إظهار بره وتقواه فقد نما هذا العكاز الجاف وأزهر كعصا هارون قديماً، وأصبحت شجرة ضخمة وهي من فصيلة التمر هندي ويشرب الكثيرون من زهرها وثمرها كبركة - وكاتب هذه السطور شرب من ثمرها في فترة وجوده بالدير للعمل

(١) والقديس أغناطيوس والقديس ساويرس من السريان.

(2) http://www.st-mary-alsourian.com/index.php?option=com_content&view=article&id=855:2013-48-09-11-04-12&c.

بالمكتبة بصحبة القمص بيجول السرياني، والقس عازر السرياني- ولقد مضى عليها أكثر من ستة عشر قرناً وما زالت بحيويتها ونضارتها، وقد شاهدها الرحالة سيكار وذكر قائلاً: «قد شاهدت شجرة التمر هندي التي كانت عصا لأحد القديسين ثم تحولت إلى شجرة»^(١). وقد وصفها أندريوسي قائلاً: «يمتلك دير السريان شجرة القديس إفرام، وهي شجرة مقدسة يبلغ ارتفاعها ٦ أمتار ونصف المتر، ويبلغ محيطها ثلاثة أمتار.. كما أنها من فصيلة أشجار التمر هندي، التي يظن رهبان دير السريان أنهم وحدهم الذين يحوزون مثل هذه الشجرة في العالم، أي إنها لا توجد عند سواهم» وهذه الشجرة بالغة الندرة في مصر السفلى^(٢).

مغارة القديس الأنبا بيشوي: يرجع تاريخها إلى النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي، حيث كان القديس الأنبا بيشوي موجوداً بها ما يقرب من خمسة وثلاثين عاماً، وظهر له السيد المسيح فيها مرات عديدة (نحو ثلاث مرات)، وكثيراً ما كان يربط شعر رأسه بحبل مثبت في سقف المغارة ليتغلب على النوم أثناء صلواته الليلية، وهي توجد حالياً في نهاية كنيسة السيدة العذراء السريان، وقد اختارها في هذا المكان بعيداً عن ديرها وكنيسته هرباً إلى حياة الوحدة والهدوء.

مكتبة الدير: من المعروف أن بكل دير من الأديرة مكتبة، وكانت في الماضي توجد في الحصن الخاص بالدير، لأنه المكان الأكثر أماناً لكنوز الدير والمخطوطات والكتب المقدسة، وقد نقلت مكتبة دير السريان في عام ١٩١٤ م، بعد أن شيد القمص «مكسيموس» قصر الضيافة الجديد. وفي عهد نيافة الأنبا ثاؤفيلس نقلت إلى عمارة الآباء الرهبان التي بنيت عام ١٩٥٦ م، وعهد بها إلى الراهب أنطونيوس السرياني، فقام بفهرستها وتقسيمها إلى أقسام وترقيمها وعمل كارتات لها، وأضاف إليها الكثير من المراجع والأجنبية. ثم نقلت إلى مبنى المضيضة التي شرق كنيسة السريان والمنارة القديمة التي بنيت نحو عام ١٩٧٤ م^(٣).

(١) إلهام محمد علي ذهني: مصر في كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين، المرجع السابق، ص ٢٣٩، انظر الشكل رقم ١٨.

(٢)(٤) تأليف علماء الحملة الفرنسية: المرجع السابق، ج ٢، ص ٦٣-٦٧.

(3) http://www.st-mary-alsourian.com/index.php?option=com_content&view=article&id=855:2013-48-09-11-04-12&c.

ومنذ عام ٢٠٠١م بدأ التفكير في تشييد مبني مستقل بذاته لمكتبة الدير، تحت رعاية نيافة الأنبا متاؤس^(١) رئيس الدير، وقد تم افتتاحها في ١٩ مايو ٢٠١٣م، بحضور لفيف من السفراء الأجانب وبحضور مندوبًا عن البابا "تواضروس الثاني" البطريرك رقم (١١٨) (منذ ٤ نوفمبر ٢٠١٢م) وما زال حتى كتابة هذه السطور - أطل الله عمره سنين عدة وأزمة سلامية - ويوجد بالمكتبة الكثير من المخطوطات منها ميامر، وطقوس، وتفسير، وكتب لاهوت وعقائد، ونسكيات، وقوانين بلغات مختلفة عديدة، كما يوجد بها أيضًا الكثير من الكتب المطبوعة منها أقوال الآباء القديسين، وخدمة الكرازة، وتاريخ الكنيسة، والكثير من كتب النسكيات، والعظات، ولهذا تعد مكتبة السريان من أهم المكتبات في العالم، ولذلك جاء إليها طلاب العلم من كل بقاع العالم، وتعرضت هذه المكتبة لنهب العديد من الرحالة الأوروبيين كما حدث في عام ١٧٠٧م حيث استطاع الراهب اليسوعي إلياس السمعاني بلباقته وحسن سياسته أن يأخذ من الدير أربعين مخطوطًا من أهم المخطوطات حملها إلى مكتبة الفاتيكان. ومن بعده جاء ابن عمه يوسف السمعاني عام ١٧١٥م، وحمل معه مجموعة قيمة من المخطوطات النادرة منها مخطوط يرجع إلى عام ٥٧٩م. كما يوجد العديد من المخطوطات القيمة من دير السريان بمكتبات لندن وباريس والنمسا وبرلين واكسفورد، بالإضافة للعديد من المخطوطات التي خرجت من الدير في فترات مختلفة^(٢).

الدير حاليًا: شهد دير السريان العامر ببرية شيهيت نهضة رهبانية ومعمارية بفضل ترهبين قداسة البابا شنودة الثالث البطريرك رقم (١١٧) (١٩٧١-٢٠١٢م) في هذا الدير، مع وجود قائمة روحية كبيرة كنيافة الأنبا متاؤس، الذي أسندت إليه مهمة تولي رئاسة الدير في ٦ يونية

(١) الأنبا متاؤس: ترهبين في ٧ فبراير ١٩٦٥م ورسَّم قسًا في ١٩٦٩م ثم قمصًا في ١٩٧٠م ثم خوري أبسكوبوس في ١٩٧٨م بإسم الأنبا متاؤس، ثم أسقفًا عامًا في ١٩٨٠م، وبعد نيافة الأنبا ثاؤفيلس تم اختياره رئيسًا للدير في ٦ يونية ١٩٩٣م وتم تجليسه في ٧ يونية ١٩٩٣م، وسط احتفال بهيج حضره ٣٢ من الآباء المطارنة والأساقفة، فهو محبوبًا من الجميع ويبدل قصارى جهده في الرعاية الرهبانية والعمرانية. أطل الله حياته، لمزيد من التفصيل عن رؤساء الدير منذ نشأته وحتى الآن انظر ملحق رقم ١٥.

(٢) سمعان السرياني، (القصص): المرجع السابق، ص ٣٦-٣٧.

١٩٩٣م، بعد نياحة الأنبا ثاؤفيلس^(١) حيث شهد الدير الكثير من الأعمال الحديثة، نذكر على

(١) نياحة الأنبا ثاؤفيلس: ولد عبد الشهيد صادق في ١٠ مارس ١٩٠٨م بقرية الريدانية التابعة لمدينة المنصورة، وحضر إلى دير السريان في أواخر سنة ١٩٢٥م تمت رهبنته باسم الراهب ثاؤفيلس في (٢١ طوبه ١٦٤٤ ش/ ٢٩ يناير ١٩٢٦م) بيد أمين الدير القمص جرجس إبراهيم أبو كفه، في عهد رئاسة القمص مكسيموس مع الراهب المنتيح القمص موسى، رسمه البابا يوانس التاسع عشر (١٩٢٨-١٩٤٢م)، قسًا في صوم السيدة العذراء أغسطس ١٩٣٤م، التحق بمدرسة الرهبان بحلوان وتخرج منها في ١٩٣٩م، وفي أغسطس ١٩٣٩م عين أمينًا للدير مع القمص فيلوثاؤس رئيس الدير السابق له، ورسم قمصًا في ١٩٤٦م ثم تولى رئاسة الدير في ١٢ ديسمبر ١٩٤٧م، وبعد نياحة القمص فيلوثاؤس مرقص، وفي ٢٥ يوليو ١٩٤٨م سامه قداسة البابا يوسف الثاني (١٩٤٦-١٩٥٦م) أسقفًا ورئيسًا للدير مع خمسة أساقفة للحبشة منها الجاثليق الأنبا باسيليوس المنتيح والأنبا ثاؤفيلس الذي صار بعده بطريركًا للحبشة، ومن أهم مآثر نياحته كان أول رئيس يمضى أوقاتًا بالدير بين أبنائه الرهبان، وهو أول رئيس بالنسبة للدير والأديرة الأخرى يقبل رهبنة المثقفين الخدام ذو المؤهلات العليا، وكان من هؤلاء الراهب أنطونيوس السرياني (قداسة البابا شنودة الثالث)، كما أنشأ نياحته مبنى ضخم للرهبان داخل الدير في الخمسينيات، وهو مبنى خرساني ينشأ في الأديرة . وأيضًا أنشأ قلال منفردة خارج أسوار الدير، وكذلك زرع مزرعة صغيرة خارج أسوار الدير . وبنى الأنبا ثاؤفيلس صهريج خرساني كبير للمياه بالدير . وكان يحب القراءة بالمكتبة وخاصة ما هو قديم من مخطوطات وكتب ومجلات . وسعي إلى أنشأ أول مطبعة للدير سنة ١٩٥١م . كما أنشأ بيت خلوة للشباب سنة ١٩٥٩م لقضاء فترات خلوة بالدير . وكان يفرح برسامته للرهبان أو كهنة بالدير أو سيامة أساقفة من أبنائه . وكان محبًا للاحتفال بأعياد القديسين . وفي عهده بنيت للدير منارتان عاليتان كما شيد قصرًا للضيافة والمكتبة . وقام ببناء وشراء أربعة منازل لوقوف الدير . وسيم في عهده من الدير ١٨ أسقفًا وخوري أبسكوبوس، وكان أكبر شيوخ البرية وفي مقدمة رؤساء الأديرة بل وفي مقدمة الآباء الأساقفة خاصة وأن غالبية آباء المجمع المقدس يعتبرون من أبنائه وعلى رأسهم قداسة المنتيح البابا شنودة الثالث، الذي كان يكن له كل تقدير واحترام . وفي عام ١٩٧٦م احتفل قداسة البابا شنودة الثالث والأساقفة باليوبيل الذهبي لرهبنة نياحة الأنبا ثاؤفيلس وفي عام ١٩٨٩م بدء عامه ٦٤ كراهب وبدء عامه ٤٢ كأسقف ورئيس للدير، وكان معاصرًا لسته من الآباء البطارقة . وتيح الأنبا ثاؤفيلس يوم الثلاثاء ٥ ديسمبر ١٩٨٩م عن عمر يبلغ قرابه ٨٢ عامًا وأقيمت الصلاة على جثمانه في ٦ ديسمبر بالكاتدرائية المرقسية بكلوت بك، وقد حضر الصلاة ١٥ أسقفًا ثم نقل الجسد الطاهر إلى الدير حيث صلى على جثمانه بعض الآباء الأساقفة والرهبان والشعب ثم أودع جثمانه تحت المنارة الغربية بالدير مع أخيه في الرهبنة القمص موسى، لمزيد من التفصيل انظر: ملحق رقم ١٥ .

سبيل المثال عمارة القلاي حيث تم بناء ثلاث عمارات بحديقة الدير حيث كان كل مبنى عبارة عن ثلاثة طوابق تحوى ٣٦ قلاية، أما قلاي الوحدة والمغائر فبعد غيبة تصل إلى عشرة قرون حين انحسرت القلاي داخل الأسوار في القرن التاسع الميلادي، سمح قداسة البابا شنودة الثالث لراغبي الوحدة ببناء قلاي في الصحراء المترامية الأطراف خلف الدير جنوباً وغرباً، وكما قام قداسته بالسماح للبعض الآخر بالسكن في مغائر ليمارسوا حياة الوحدة والرهبة الأصلية، وأيضاً قام نيافة الأنبا متاؤس ببناء مضيقة ضخمة من طابقين لاستقبال الزوار من عائلات الرهبان وطالبي البركة من الشعب، كذلك قام الدير بشراء الأراضي المستصلحة وزراعته، كما قام نيافته بنفسه بغرس باكورة الأشجار فيها من خضراوات وفواكه لخدمة الدير، وأيضاً تم بناء مبنى خاص للأباء الكهنة المكرسين وكنيسة خاصة للصلاة بها. وتم تخصيص مكتبة للمخطوطات للحفاظ على التراث، وتنقيح وترميم ما بها من آثار جانبية تأثرت بها عبر التاريخ. وشيدت العديد من الكنائس بحديقة الدير لإقامة القداسات والصلوات، نذكر منها كنيسة الأنبا بولا، وكنيسة الأنبا أنطونيوس، وكنيسة الأنبا متاؤس الفاخوري، وكنيسة الشهيد أبى سيفين، وكنيسة الثلاث فتية، وتم تشييد سور خارجي للدير ملتحق به بوابة رئيسية للدير، وتم إنشاء كاتدرائية حديثة باسم السيدة العذراء خارج الدير الأثري وملحق بها معمودية. وأخيراً تم إنشاء مزرعة سمكية لتغطية احتياجات الدير. وورشة ميكانيكية لصيانة الآلات الزراعية. وتم إحضار كثير من رفات القديسن الى الدير^(١).

الأديرة الخربة بوادي النطرون

كان وادي النطرون يزخر بأعداد كبيرة من الأديرة والقلاي، فقد ذكر روبرت هنتنجتون أنها بلغت (٣٦٦) دير، بينما المؤرخ العربي المقرئى ذكر أنها بلغت مائة دير، في حين ذكر كل من روفينوس وبلاديس وجيرون أنها بلغت ٥٠ ديراً^(٢)، ثم صارت عشرة أديرة، أربعة منها حالياً عامرة بالرهبان وهي: دير البراموس، ودير أبى مقار، والأنبا بيشوي، والسرمان، بينما ستة

(1) http://www.st-mary-alsourian.com/index.php?option=com_content&view=article&id=855:2013-48-09-11-04-12&c.

(٢) رءوف حبيب: المرجع السابق، ص ٧٩.

أديرة مندثرة وهي: دير يوحنا القصير، والأنبا موسى الأسود، والأرمن، وإلياس، ودير النوبة، والأنبا ذكريا^(١)، والآن يجب علينا ذكر بعض نماذج للأديرة المندثرة كما يلي:

دير الأرمن بوادي النطرون

ويعتبر دير الأرمن من أقدم الأديرة بوادي النطرون وهو يقع في الشمال الغربي لدير القديس إيليا أو إلياس "دير الأحباش" ومن الشرق دير القديس أبانوب، ومن الغرب دير يحنس (كاما) القصير^(٢) وتبلغ مساحته نحو ثمانية عشر قيراطاً وأربعة عشر سهماً من فدان، تقدر مساحتها بالأمتار المربعة نحو ٣٢٥٠ م^(٣).

ويرجع إنشاؤه على أغلب الإحتمال إلى أواخر القرن الحادي عشر الميلادي - وبالتحديد سنة ١٠٨٨م - أيام الدولة الفاطمية حين تولى بعض الأرمن أكبر المناصب حتى وصلوا إلى منصب الوزارة في مصر مثل "بدر الدين الجمالي" (أمير الجيوش) الذي دعا رجال الدين الأقباط والأرمن والأحباش والنوبيين إلى العقيدة الأرثوذكسية الموحدة لجميع هذه الطوائف ولهذا سمح الأقباط - على حد علمنا - لطائفة الأرمن بإنشاء دير خاص بهم بوادي النطرون عرف بدير الأرمن^(٤) وما يدل على صحة هذا التوحيد والسماح للأرمن بإنشاء دير خاص بهم، هو قيام الأنبا أغريغوريوس بطريرك الأرمن الأرثوذكس بزيارة لأديرة صحاري مصر، خاصة أديرة وادي النطرون سنة ١٠٨٧م، وقد قابل الأنبا كيرلس الثاني (البطريك ٦٧) واعترف بالأمانة الأرثوذكسية الصحيحة في حضرة جمع غفير من الناس حتي شاع بين الناس وقتها اعتماد القبط والسرمان والأرمن والحبشة والنوبة على الأمانة الأرثوذكسية المستقيمة التي سلمها إلينا أبائنا القديسون الفضلاء.

وقد أحضر هذا البطريك معه من مقر كرسيه بعض أجساد قديسين أرمن، وبعض صلبان من الذهب وغير ذلك، ولعل تلك المعلومة تفسر لنا كيفية وجود عدد كبير من رفات القديسين

(١) لمزيد انظر: عمر طوسون، المرجع السابق، ص ٧٩، لمزيد من التفصيل انظر: الشكل رقم ٦، ٨.

(٢) رسالة مارميئا: المرجع السابق، ص ١٤٣.

(٣) عمر طوسون: المرجع السابق، ص ٦٦، ٧٩.

(٤) هوايت: المرجع السابق، ٩٤-٩٦.

والشهداء الأرمن بالكنائس والأديرة في مصر، ومن المحتمل أن يكون هذا البطريك قد حضر خصيصاً إلى مصر للاعتراف بالأمانة الأرثوذكسية وتدشين دير الأرمن بالوادي بصحبة كيرلس الثاني البطريك السكندري^(١).

ويعود تاريخ بداية الوجود الأرمني في الرهينة بوادي النطرون إلى الراهب «مناكيس» الأرثوذكسي العقيدة، والذي جاء إلى مصر لزيارة رهبانها سنة ١٠٨٧م، ودخل برية أبي مقار وتعلم على يد القديس «بيسوس» الراهب بدير أنبا يحنس كما الذي فرح برؤياه وتباركا من بعضهما البعض.

ومن نسكه وزهده كان يلبس على جسمه ثوباً من الحديد وفوقه مسح شعر. وتميز بموهبة صنع المعجزات ففي إحدى المرات أتوا إليه بشاب به روح نجس كان يعذب كل يوم فمن أجل تواضع هذا القديس سلمه لاثنتين من كهنة الأرمن. وأمرهما بقراءة إنجيل معلمنا يوحنا على ماء، ثم قلبه على رأس هذا الشاب (وذلك بعد رشامة الماء بعلامة الصليب المقدس) وبالفعل تم ذلك وخرج الشيطان منه ويرى حتى أن هذا الشاب تبعه ورآه الناس عاقلاً سليماً يتعلم ويكتسب عند قدمي القديس^(٢).

على أية حال، استطاع الراهب «مناكيس» أن يؤسس جماعة من الرهبان بدير الأرمن بوادي النطرون، على غرار ما كان متبعاً بديري البساتين وطرة الأرمنيان^(٣) وكان نظام المعيشة بين أولئك الرهبان بصفه عامة يتشابه مع حياة الرهبان المصريين في البساطة في تناول الطعام البسيط والذي كان يشمل القليل من الخبز الجاف وبعض الملح ولا يشرب غير الماء وكان الإفطار عند معظمهم مرة واحدة عند غروب الشمس ومنهم من امتاز في الزهد والتعبد ومضي ثلاثة أو أربعة أيام في صيام كامل عن الطعام والشراب، وبعضهم كان يمضي أغلب ليلته ساهراً في صلوات طويلة وإذا أعياه التعب أخذ سنة من النوم لفترة وجيزة مستلقياً على حصيرة من الحجر إمعاناً في التقشف وتعذيب الجسد^(٤).

(١) مارتيروس السرياني (الراهب): تاريخ دير الأنبا يحنس كما القديم، وادي النطرون، ١٩٩٢، ص ٦٥.

(٢) هوايت: المرجع السابق، ص ٩٦-٩٧.

(٣) سمكة: المرجع السابق، مج ٢: ٢٢٣-٢٣٥.

(٤) رءوف حبيب: المرجع السابق، ص ٦٢.

وكانت هناك مجموعة من الأعمال التي تتم خارج قلاليه التعبد، كل راهب حسب المناوبة لخدمة الدير ومنها العمل بالمطبخ أو المخبز أو كبواب أو قندلفت (المسئول عن سراج القناديل) ^(١) أو عمل القربان أو دق الجرس أو ري وزراعة وجني ثمار وخضراوات الحديقة أو رعي ما يمتلكه الدير من رؤوس حيوانات أو العمل باقتلاع النطرون ^(٢).

ويعتبر القرن الثاني عشر الميلادي العصر الذهبي لدير الأرمن بوادي النطرون، ويرجع ذلك للدعم السياسي والمادي للدير، حيث صار «بدر الدين الجمالي الأرمني»، بعد ظهوره في مصر يمتلك كل القوة ويظهر ذلك من خلال هجرة أعداد كبيرة من الأرمن إلى مصر واستقرارهم بها ^(٣) وعندما مات «بدر الدين الجمالي» في سنة ١٠٩٤ م وخلفه ابنه «الأفضل»، الذي كان وزيراً إلى حين اغتياله في ١١٢١ م فأقام الجيش (ولابد أن نذكر أنه كان بصفه أساسية أرمنيًا) وجاء ابنه «أبو علي كتيبان» خلفاً له ولكنه سقط في ١١٣١ م وأخذ مكانه «يانيس الأرمني»، و«عبدالأفضل».

وأخيراً أقام الجيش أرمنيًا مسيحيًا اسمه «بهرام» وزيراً في ١١٣٤ م ووصل الأرمن والمسيحيون في عهده إلى أقصى نفوذ لهم ويؤكد على ذلك سيرة «تاريخ البطارقة» وكان للمسيحيين في أيامه تأثير ونفوذ كبير، حتى أصبح في يدهم الوظائف في الديوان الكبير ^(٤).

ويمكن أن ندرك مدى الامتياز الذي تمتع به الأرمن من مثل واحد وهو أن أسقف أطفح _مدينة كانت تابعة لمحافظة الجيزة ^(٥)_ الأرمني دعى إلى البلاط لإلقاء محاضرات تاريخية لل خليفة «الحافظ» وكان له حق المثول حفلات إستقبال الخليفة للزائرين في أيام الإثنين

(١) مجلة الكرازة: ٢٣، العدد ٤٦، ٤٥، شنودة الثالث (البابا): مقال وعنوانه «مساكنك محبوبة إياها الرب إله القوات، مجلة الكرازة، بتاريخ ديسمبر ١٩٩٥ م

(٢) ماجد عزت إسرائيل: وادي النطرون في القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص ١٧٨.

(٣) هوايت: المرجع السابق، ص ٩٥.

(٤) رسالة مارميونا: المرجع السابق، ص ١٤٣.

(٥) جريدة الأهرام: السنة ١٣٢، عدد ٤٤٣٢٩. كتب عبد الفتاح إبراهيم، محاور جديدة للتنمية تشمل ٨ محافظات، بتاريخ السبت ١٣ من ربيع الآخر ١٤٢٩/١٩ إبريل ٢٠٠٨،

والثلاثاء، ومن المحتمل أن دير الأرمن بعد تلقى الهبات والمعونات العينية والمادية من السلطة السياسية في ذات القرن، التي ساهمت في ازدهار وكثرة رهبان دير الأرمن بوادي النطرون^(١).

ولم يستمر ازدهار دير الأرمن بوادي النطرون وقتاً طويلاً، لأنه سرعان ما استولى المماليك الأكراد على الحكم في مصر عام ١١٦٨ م في أيام «صلاح الدين الأيوبي»، فقد توالى النكسات في عصر الدولة الأيوبية على الأرمن الساكنين في مصر بسبب العداء التقليدي بين الأكراد والأرمن، فلذلك طرد الأكراد بطيريكهم والرهبان من دير البساتين، ورحل بعضهم إلى مدينة القدس وأورشليم بفلسطين سنة ١١٧٢ م، وانعكس أثر ذلك على دير الأرمن بيرية شيهيت لعدم إمداده بطالبي الرهينة لهروبهم، بل الأكثر من ذلك قام الأكراد بتخريبه في أواخر القرن الثاني عشر الميلادي، ولكنه ظل قائماً في حالة يرثى لها حتى نهاية القرن الرابع عشر الميلادي^(٢) وقد ساهمت مجموعة من العوامل في تخريب دير الأرمن في ذات القرن منها ما يلي:

أولاً- غارة الموت الأسود (الطاعون) على مصر الذي كان يهلك كل يوم حوال ١٥ ألف شخص بمصر والذي لم يفلت منه وادي النطرون أيضاً واستمر لمدة عام كامل هو عام ١٣٧٣ م.

ثانياً- بعد ذلك إجتاحت مصر مجاعة كبيرة في عام ١٣٧٣ م بسبب عدم مجيء مياه الفيضان وتبعها انتشار الطاعون مرة أخرى وفي هذه المرة كانت الوفيات بين الرهبان في شيهيت من الكثرة بحيث جعلت الأديرة تترنح من وطأة هذا الوباء المريع وظلت المجاعة ووباء الطاعون مستمرين لعدة سنوات.

ثالثاً- سوء الحالة الاقتصادية الناجمة عن هذه المجاعة وهذا الوباء الذي أطلق عليه الموت الأسود أدى إلى انكماش الهبات التي كفلها العهد العمري للأديرة من محاصيل الوجه البحري وأيضاً انكماش الهبات التي كانت تصلهم من أغنياء الأقباط^(٣).

(١) هوايت: المرجع السابق، ص ٩٨.

(٢) ماهر محروس: بيرية شيهيت بوادي النطرون، ط ١، أرت لاين، القاهرة ٢٠٠٥، ص ١٤٥، انظر الشكل

رقم ٨.

(٣) نفسه.

كما يُرجع إلى الأمير "عمر طوسون" في أوائل القرن العشرين في كشف وتحديد معالم دير الأرمن الذي لم يبقَ منه إلا جدرانه التي يبلغ ارتفاعها مقدار أربعة أمتار مدفونة بالرمل - وعلى حد علمنا - قام بوضع علامة برترية باسم هذا الدير^(١) وبواسطة مشروع التعاون الهولندي المصري للمحافظة على الفن القبطي (ENccAP) والذي كان بتوجيه من المتنيح قداسة البابا شنودة الثالث (البطريك ١١٧) (١٩٧١ - ٢٠١٢ م) وجامعة ليدن الهولندية وبإشراف نيافة الأنبا «صموئيل» سنة ١٩٩١ م، أمكن تحديد معالم دير الأرمن، ونتمنى عودته على صورته الأولى كمصدر للسياحة الدينية، التي يعود نفعها على الخزينة المصرية^(٢).

وكانت هناك علاقات وثيقة بين الرهبان الأقباط ورهبان دير الأرمن وغيرهم من رهبان برية شيهيت، ويؤكد ذلك كتب الصلوات التي عثر عليها في دير السريان وهي مكتوبة باللغة القبطية وكل من اللغات السريانية والأرمنية والحبشية حيث كان رهبان هذه الجنسيات يستعملونها كل بلغته لترتيل الأناشيد لتمجيد اسم الرب وللترحيب بالبطاركة أثناء زيارتهم لهذه البرية^(٣) وخير مثال على ذلك أنه عند زيارة الأنبا غبريال (البطريك ٨٦) (١٣٧٠ - ١٣٧٨ م) خرج للقائه رهبان الحبش ورهبان الأرمن بالمجامر والصلبان والأنجيل^(٤).

دير الأحباش بوادي النطرون

يعتبر دير الأحباش من بين أقدم الأديرة بوادي النطرون وهو يقع في الجنوب الغربي لدير الأرمن والجنوب الشرقي لدير القديس أبانوب أو النوبة، ومن الغرب دير يحنس (كاما) القصير^(٥) وتبلغ مساحته نحو ثمانية عشر قيراطاً وأحد عشر سهماً من فدان، تقدر مساحتها بالأمتار المربعة نحو ٣٣٠٠ م^(٦).

(١) عمر طوسون: المرجع السابق، ص ١٦٩، انظر الشكل رقم ٦، ٨.

(٢) مارتيروس السرياني: القديس العظيم أنبا يوحنا، القصير الشهير بأبو يحنس، المرجع السابق، ص ٨.

(٣) ماهر محروس: برية شيهيت بوادي النطرون، المرجع السابق، ص ١٤٥.

(٤) أبي المكارم: تاريخ الكنائس والأديرة في الوجه البحري والقاهرة، ج ١، إعداد صموئيل السرياني، د.ن، د.ت، ص ٤٧؛ هوايت، المرجع السابق، ٩٥.

(٥) رسالة مارمين: المرجع السابق، ص ١٤٣.

(٦) عمر طوسون: المرجع السابق، ص ٦٢، انظر: الشكل رقم ٨.

وقد أطلق عليه عدة مسميات منها دير الأحباش أو دير الحبش، أو دير إيليا النبي أودير القديس إلياس، فقد ورد في كتاب عمل الميرون حيث ذكر قائلاً: "أن البابا "بنيامين الثاني" البطريك رقم (٨٢) (١٣٢٧-١٣٣٩ م)، بعد أن عمل الميرون المقدس ركب سحر يوم السبت وذهب إلى دير القديس أبو يحنس، كما دخل الكنيسة، وفي يوم الأحد وقت الغروب ذهب إلى قلالية بهوت بسؤال من الحبش، ثم رأى القلالي من ظاهرها وعاد إلى دير القديس أبو يحنس."، ويستفاد من هذه الرواية وجود دير الأحباش بوادي النظرون في هذه الفترة الزمنية، ولكن الرحالة المصري عمر طوسون ذكر قائلاً: «أما دير الأرمن الذي أقيم فيما بعد فلم يكن في هذا العهد إلا صومعة». وفي ذات كتاب عمل الميرون المقدس أيضاً ذكر قائلاً: "إن البابا "غبريال الرابع" البطريك رقم (٨٦) (١٣٧٠-١٣٧٨ م)، بعد أن انتهى من عمل الميرون ركب من دير ابي مقار هو والأساقفة ومن معهم ذهب لزيارة دير أبي يحنس. وخرج للقائه رهبان الدير المذكور ورهبان الحبش ورهبان الأرمن. ثم دخل إلى الدير وصلى صلاة التاسعة. وفي يوم الأربعاء بعد فراغ الكنيسة زار بنوب والحبش والأرمن." وهذا يؤكد أن دير الأحباش أو الحبش كان في عصره الذهبي، حيث كان الدير قائم بذاته، وكان يمتلك عدد كبير من الرهبان^(١).

وقد ذكر الجغرافي ابن الفضل العمري المتوفى عام (٤٤٩ هـ / ١٣٤٨ م) في كتابه مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، أن دير الأحباش أو الحبش كان ضمن الأديرة التي رآها في برية شيهيت حيث ذكر قائلاً: «الديارات السبع وهي في الوجه البحري وهو سفلى ديار مصر ممتدة غرباً على جانب البرية، القاطعة بين بلاد البحيرة والفيوم. مررنا على بعضها في الصحبة الشريفة الناصرية وهي في رمال منقطعة، وسباخ مالحة وبرار معطشة وقفار مهلكة. وشرب سكانها من جفارات لهم، وهو في غاية من قشف العيش وشظف القوت. ويحمل النصارى اليهم جلائل النذور والقرايين وتخصهم بكرائم التحف، ويتخذ كتبة القبط وخدم السلطان منهم خاصة أيادي معهم ليكونوا لهم، ملجأ من الدولة اذا جارت عليهم صروفها، ولم أعلم فيها أخباراً فأذكرها ولا أشعاراً فأطرف بها وانما ذكرتها لشهرة اسمها وبعد صيتها»^(٢).

(١) عمر طوسون: المرجع السابق، ص ٥٤، ١٢٨.

(٢) ابن فضل الله العمري شهاب الدين أحمد بن يحيى المتوفى (٤٤٩ هـ / ١٣٤٨ م): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج ١، تحقيق كامل سلمان الجبوري، دار لكتب العلمية، بيروت ٢٠١٠ م، ص ٣٩٦-٣٩٧.

ولم يستمر إزدهار دير الأحباش بوادي النطرون وقتاً طويلاً، لأنه تعرض للعديد من الغارات مثل باقي أديرة برية شيهيت^(١) وقد ساهمت مجموعة من العوامل في تخريب دير الأحباش في ١٤٤٠م نذكر منها حدوث وباء الطاعون، والغارات، وهجمات النمل الأبيض التي قضت على بعض أديرة الوادي، وهجرة العديد من رهبان الدير إلى الأديرة المجاورة، أو ربما عاد بعضهم إلى موطنهم الأصلي ببلاد الحبشة، وقد وصف المؤرخ العربي المقرئزي (٧٦٤-٨٤٥هـ / ١٣٦٤م - ١٤٤٢م) خراب هذا الدير فذكر قائلاً: «دير إيليا النبي: عليه السلام وهو دير للحبشة وقد خرب دير بويجنس كما خرب دير إلياس، فقد أكلت الأرضة (العثة) أخشابها فسقطا وصار الحبشة إلى دير سيدة بويجنس القصير وهو دير لطيف بجوار دير بويجنس القصير»^(٢). وربما أن هذا الدير مع أواخر القرن الخامس عشر الميلادي، قد خرب واندثر تماماً ولم يبق له أى وجود؛ مثل باقي الأديرة الأخرى التي تعرضت لنفس المصير ببرية شيهيت.

وقد أكد الرحالة روبرت كورزن الذي زار أديرة برية شيهيت في عام ١٨٣٧م على حقيقة وجود دير للأحباش ثم خرابه فقد ذكر قائلاً: «تنبعث حقيقة هامة جداً، في الركن الجنوبي الشرقي لدير السريان، بالقرب من جدار السور، وجد مبنى مسطح السقف تسكنه جالية من الرهبان الأحباش. وقد أخبره راهب قبطني أن الدير الذي كانوا يسكنوا فيه في هذه البرية قد خرب، وهم الآن يعيشون هنا، وعددهم يتجدد أحياناً من قبل الحجاج في طريقهم من أورشليم إلى الحبشة». فكون أن الأحباش كان لهم دير ذات مرة فهذه هي حقيقة تاريخية، وأن الدير قد تعرض للخراب فهذه حقيقة ثابتة، وعلينا أن نقبل ما تتضمنه هذه العبارة من أن الإخوة الأحباش سكنوا في دير السريان منذ ذلك التاريخ أي منذ عام ١٤٤٠م^(٣).

علي أية حال، ذكر العديد من الرحالة الذين زاروا وادي النطرون في منتصف القرن التاسع عشر، ونذكر منهم مس بلات وتاتام ولكنسون إنهم في أثناء عبورهم مجموعة التلال الخاصلة

(١) ماهر محروس: المرجع السابق، ص ١٤٥.

(٢) المقرئزي: المرجع السابق، ج ٢، ص ٥٠٨-٥١٢، انظر: الشكل رقم ٨.

(٣) هيو ج. ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص ١٧٦-١٧٧.

بين الوادين رأوا بقايا أديرة كثيرة في برية شيهيت ، وقيل لهما إن نحو (٣٦٠) ديرًا ، التي كانت تزين ذات يوم الجبل ووادي نيتريا، قد تعرضت للخراب، ولكن ما زال خمسون ديرًا منها قائمة، بينما أكد الرحالة الألماني قسطنطين تشيندورف أن بعض هذه الأديرة تعرضت للخراب؛ وتم تشييد أديرة ومنشويات وقلالٍ أخرى مكانها في وادي النطرون^(١).

وهنا لابد أن نسجل للتاريخ أن الأسقيط كان يمتلك أديرة كثيرة كان من بينها دير الأحباش أو إيلياس، ولكن تعرض بعضها للتخريب والدمار نتيجة فعل العوامل الطبيعية مثل العواصف والرياح والتيارات الهوائية والأمراض (الطاعون) وغيرها، إما بفعل العوامل البشرية مثل الهجمات البربرية، والهجرة الإجبارية أو الاختيارية، ولكن هنا حقيقة مؤكدة، وهي أنه كان هناك دير للأحباش، ولكنه تعرض للخراب ، وهجره رهبانه إلى دير السريان، أو ربما إلى أديرة أخرى بوادي النطرون. وكان من أشهر الرهبان الأحباش في مصر القمص عبد المسيح الحبشي (١٩٣٤-١٩٧٢م)^(٢) الذي ترهب بدير البراموس في أوائل القرن العشرين وربما اعتقد حاليًا هناك أديرة عديدة بمصر بها رهبان من بلاد الحبشة.

تطور الحياة الرهبانية الديرية بوادي النطرون

منذ أن نشأت الرهنة المسيحية في وادي النطرون في القرون الأولى الميلادية، ورهبان البرية تنبؤوا بحدوث غارات بربرية على الأسقيط، ومن هذه الأقوال رؤية شيخ لنار تندلع في الأسقيط ثلاث مرات، وأمكن إطفاءها في المرتين الأوليين، أما الثالثة فلم يستطيعوا ذلك، فملأت كل الأسقيط، كذلك ورد في مخطوطة فضائل القديس مقاريوس «سيكون هناك

(١) نفسه: ص ١٧٨-١٨٠.

(٢) عبد المسيح الحبشي: ولد في عام ١٩٠٩م ببلدة لبيان وجوزيجو بمقاطعة خماسين بين أيمره ومصوع، ترهب في بلدته وجاء إلى مصر سيرًا على الأقدام، وذهب لدير البرموس للترهب وهو في ٢٥ عامًا سن، وسكن مغارة البابا كيرلس شمال غرب الدير، زار أديرة جنوب مصر في أكتوبر ١٩٥٩م، قابل كل من البابا «يوانس التاسع عشر» البطريك رقم (١١٣)، والمنتيج قداسة البابا شنودة الثالث، البطريك رقم (١١٧) (١٩٧١م-٢٠١٢م)، ذهب في يوليو ١٩٧٣م إلى مدينة القدس لمواصلة الجهاد في حياته مع الله انظر: أغسطينوس البرموسى، المرجع السابق، ص ٢٤٠-٢٤١.

الخراب الأول لشيھيت، عقب أربعين سنة، وسيظلون حتى الخراب الثاني لشيھيت بسبب عظم ترفھم»، بينما ذكر المؤرخ الكنسي بالليديوس عند حديثه عن الأنبا مقار أنه قد اعتاد أن يقول للرهبان: «حينما تبصرون الأبنية تتشيد بجوار البركة (بحيرات النظرون)، اعلّموا أن خراب الأسقيط قريب، وحينما ترون أشجارًا اعلّموا أن الخراب علي الأبواب وعندما ترون الصبيان خذوا ملوطتكم^(١) واهربوا»، أما القديس الأنبا موسي الأسود فيربط بين هذا الخراب وبين تقصير الرهبان، حيث إنه اعتاد أن يقول للرهبان في برية شيھيت «إذا حفظنا وصايا آبائنا، فإنني أؤكد لكم في الله أن البربر لن يأتوا هنا، ولكن لم أن لم نحفظها فان هذا الموضوع سيخرب». وبذلك تؤكد كثير من المخطوطات التاريخية أن الآباء الرهبان تنبأوا بقدوم هجمات بربرية تدمر الوادي وتشتت الرهبان، ومن هنا كانوا يحثوا تلاميذهم علي التمسك بالصلاة والصوم والفضائل^(٢).

ولم يمض وقت طويل حتي تعرضت برية شيھيت بالفعل لسبع غارات بربرية ساهمت في تدمير الأديرة وتشتيت الرهبان في شتي بقاع مصر، حيث جاءت الغارة الأولى في عام (٤٠٧م)^(٣)، وفيها استشهد القديس الأنبا موسي الأسود، وتم تدمير كنائس الجماعات الرهبانية في الوادي، وللأمانة التاريخية ذكر أميلينو أن هذه الغارة حدثت عام (٤٠٢م)، بينما يري عمر طوسون أنها وقعت عام ٤١٠م^(٤)، أما الغارة الثانية فجاءت في عام (٤٣٤م) عام فرار القديس أرسانيوس معلم أولاد الملوك^(٥)، أما الغارة الثالثة فجاءت عام (٤٤٤م) عام استشهد التسعة والأربعين شيوخ شيھيت، وحدثت في عهد قداسة البابا كيرلس الكبير، البطريك رقم (٢٤)

(١) ملوطتكم: كلمة يونانية تعني جلد ماعز او خروف وكانت قطعة أساسية من ملابس الراهب، أي لا غنى عنها عند السفر، ومن ثم كان حملها يعني الرحيل، وما زال صداها يردد في الأقوال الشعبية «نفد بجلده».

(٢) سمير وديد جرجس: المرجع السابق، ص ٦٦ - ٦٧.

(٣) متى المسكين: الرهبة القبطية في عصر الأنبا مقار، المرجع السابق، ص ٧٨١.

(٤) عمر طوسون: المرجع السابق، ص ٢٨.

(٥) سمير وديد جرجس: المرجع السابق، ص ٦٧.

(٤١٢-٤٤٤م)^(١) وظهور اسم اليامون كحصن منيع يلجأ إليه الرهبان، أما الغارة الرابعة فجاءت عام ٦٣١م، وتم حصار البربر للأديرة لمدة خمسين عامًا، أي ما بين عام (٥٧٠-٦٢١م)، وفي عام ٨١٧م جاءت الغارة الخامسة وتعرضت شيهيت لأكبر استشهاده وتدمير في تاريخه^(٢)، أما الغارة السادسة فجاءت عام (٨٦٦م) حيث خرج إليهم البابا شنودة الأول البطريك رقم (٥٥) (٨٥٩-٨٨٠م) وارتداد البربر، ولكن الحقيقة التاريخية التي رصدها لنا كاترمير في رسالته عن مصر حيث ذكر قائلاً: «فقد ألقى الأعراب رحالهم في الصحراء وأخذوا يرتقبون خروج الرهبان للتزود بالماء فينقضون عليهم ويأخذون أواني الماء منهم ويجردونهم مما عليهم، ولما عادت السكينة واستتب الأمن اهتم هذا البطريك بترميم دير القديس مقار، وأحاطه بسور منيع لحماية الرهبان والمسيحيين من أذى الأعراب في المستقبل»، وقد ذكر كاترمير ما كان يدفعه البابا زخارياس (زكريا) البطريك رقم (٦٤) (١٠٠٤-١٠٣٢م) من أموال للأعراب من أجر حراسة أديرة وادي النطرون^(٣) وعلى الرغم من ذلك جاءت الغارة السابعة عام (١٠٦٩م) حيث قتل عدد كبير من الرهبان، وأندثرت قلالي ومنشوبيات وأديرة كثيرة بالأسقيط^(٤).

وهنا يجب علينا أن نسجل للتاريخ أن عدد رهبان وادي النطرون في القرن الرابع الميلادي أو بالتحديد عام ٣٦٠م؛ قد بلغ (٢٤٠٠) راهب، بينما بلغ ٣٥٠٠ راهب في القرن السادس الميلادي، ولكن هذا العدد تناقص في أواخر القرن الحادي عشر، حيث ذكر الأرشمندريت أرمانوس في رسالته عن برية شيهيت أن عدد الرهبان في عهد البابا خرستوذولس البطريك رقم (٦٦) (١٠٤٦-١٠٧٧م) قد بلغ (٧٣٧) راهباً^(٥)، بينما ورد في قائمة موهوب بن منصور (١٠٨٨م) أن عدد الرهبان بلغ (٧١٢) راهباً وربما الأخير هو الأكثر صواباً، لعدة أسباب منها اعتماد موهوب على المصادر الأولية في جمع بياناته، بينما أرمانوس اعتمد في جمع

(١) عمر طوسون: المرجع السابق، ص ٣٠.

(٢) سمير وديد جرجس: المرجع السابق، ص ٦٧.

(٣) عمر طوسون: المرجع السابق، ص ٣٦.

(٤) سمير وديد جرجس: المرجع السابق، ص ٦٧.

(٥) عمر طوسون: المرجع السابق، ص ٣٧، انظر ملحق رقم ١٣.

بياناته علي الزائرين للوادي، وبالتأكيد لم يكونوا متخصصين، ومن ثم جاءت بعض المعلومات غير دقيقة نذكر منها أن ابن موهب ذكر أن دير البراموس (٢٠) راهبًا، ودير أنبا يحنس القصير (١٦٥) راهبًا، بينما أرمانوس ذكر أن دير البراموس (٤٠) راهبًا، ودير أنبا يحنس القصير (١٥٠) راهبًا، والآن يجب علينا متابعة تعداد موهب بن منصور للأديرة بيرية شيهيت كالآتي:

جدول رقم (٧/١)^(١)

عدد رهبان أديرة وأدي النطرون في منتصف القرن الحادي عشر الميلادي

اسم الدير	عدد الرهبان
الأنبا مقار	٤٠٠
الأنبا بيشوي	٤٠
الأنبا يوحنا القصير	١٦٥
الأنبا يوحنا كاما (الأسود)	٢٥
السيدة العذراء - براموس	٢٠
مغارة الأنبا موسى بدير البراموس	٢
دير السريان	٦٠
الجملة	٧١٢

ومن الجدول السابق يتضح أن عدد رهبان الأديرة في وادي النطرون في منتصف القرن الحادي عشر الميلادي قد بلغ نحو ٧١٢ راهبًا، قد احتل دير الأنبا مقار (٤٠٠) راهبًا، ويرجع ذلك إلى مكانة القديس مقاريوس الكبيرة بين شيوخ الرهبان في البرية، في حين جاء دير الأنبا

(١) متى المسكين: الرهبنة القبطية في عصر الأنبا مقار، المرجع السابق، ص ٧٨٢، انظر: ملحق رقم ١٣.

يوحنا القصير في المركز الثاني حيث بلغ نحو (١٦٥) راهبًا، أما السريان فبلغ (٦٠) راهبًا، اما السيدة العذراء- براموس فبلغ عدد رهبانهم نحو (٢٠) راهبًا، وربما يرجع تناقص رهبانه لكثرة الغارات علي هذا الدير ، أما دير الأنبا بيشوي فبلغ نحو (٤٠) راهبًا وكان هذا العدد في ذات الفترة مناسب لهذا الدير، ويرجع ذلك لوجود بئر للمياه العذبة مقارنة ببعض الأديرة التي كانت آبار مياهها مالحة، أما دير القديس الأنبا يوحنا كما فبلغ نحو (٢٥) راهبًا ربما يرجع تناقص عدد رهبانه لتعرض الدير للغارات البربرية ولهجمات النمل الأبيض الذي ساهم بشكل كبير في خرابه، أما مغارة الأنبا موسي فبلغ عدد رهبانها اثنين من الرهبان؛ ويرجع ذلك لقربها من دير البراموس.

وهنا يجب علينا أن نسجل عدد الرهبان في أديرة وادي النطرون خلال العصر العثماني، وطبقًا لما دونه أرمانوس في رسالته عن رهبان شيهيت، بدأ هذا العدد في التناقص مقارنة بالقرون السابقة، وهي كما يوضحها الجدول التالي:

جدول (٧/٢)

عدد رهبان أديرة وادي النطرون ما بين عام (١٦٦٧-١٨٣٥م)^(١)

السنة	دير البراموس	دير السريان	دير الأنبا بيشوي	دير الأنبا مقار	الجملة
١٦٦٧	-	١٤	-	-	١٤
١٧١٩		١٠			١٠
١٧٦٧		١١			١١
١٧٨٠	١٨	٢٠	١٨	٢٢	٧٨
١٨٣٥	١٧	٤٠	١١	١٧	٧٥

(١) عمر طوسون: المرجع السابق، ص ٣٧، انظر: ملحق رقم ١٣.

ومن الجدول السابق يتضح أن عدد رهبان دير السريان عام ١٦٦٧ م بلغ (١٤) راهبًا، وقد تناقص لدرجة أنه وصل إلى (١٠) رهبان في عام ١٧١٩ م، بينما زاد هذا العدد في عام ١٧٦٧ م إلى (١١) راهبًا، وربما يرجع ذلك إلى اهتمام السلطان العثماني بمنطقة وادي النطرون كمصدر لإنتاج النطرون وتصديره للدول الأوروبية، وأدى ذلك إلى زيادة عدد العاملين في نقل وشحن وتفريغ النطرون، ومن هنا زاد عدد الجماعات البربرية؛ لأنهم كانوا مسئولين علي نقل وحماية قوافل النطرون، فكانوا دائمًا لا ينسون ماضيهم ضد الأديرة الرهبانية فكانوا يعتدون على الأديرة والرهبان؛ وساهم ذلك في تناقص عددهم في هذه الفترة. وهنا يجب علينا ملاحظة أن باقي الأديرة لم يذكر بها عدد الرهبان، ولكن منذ عام ١٧٨٠ م أي أواخر القرن الثامن عشر الميلادي، زاد عدد رهبان دير البراموس والأنبا بيشوي ووصل إلى (١٨) راهبًا، بينما دير السريان (٢٠) راهبًا، في حين احتل دير الأنبا مقار المكانة الأولى في عدد الرهبان فوصل إلى (٢٢) راهبًا. ومع تولي محمد علي باشا في بداية القرن التاسع عشر، حدث الاستقرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي، وانعكس ذلك على أديرة برية شيهيت حيث زاد عدد الرهبان، وخاصة دير السريان حيث بلغ نحو (٤٠) راهبًا، في حين أن دير السريان والأنبا مقار بلغ (١٧) راهبًا، واحتل دير الأنبا بيشوي أدنى عدد حيث وصل إلى (١٠) رهبان، وربما يرجع ذلك لفقر هذا الدير ماديًا.

على أية حال، اهتمت الحملة الفرنسية منذ مجيئها إلى مصر (١٧٩٨-١٨٠١ م) بوادي النطرون؛ حيث سجل لنا الجنرال أندريوسي من خلال رحلته إلى برية شيهيت حالة الأديرة من حيث شكلها ومساحتها وصوامع رهبانها والكنائس التي وجدت بها^(١) وحالة الضعف التي استمرت عليها مما نشأ عنه أن جميع البطارقة منذ منتصف القرن السابع عشر الميلادي وحتى القرن التاسع عشر الميلادي كانوا جميعًا من دير الأنبا أنطونيوس بالصحرى الشرقية^(٢). ومع بداية حكم محمد علي كانت أديرة وادي النطرون في حالة يرثى لها، حيث كان الأقباط الذين في مناصب رئيسية بالدولة موضع استنزاف مستمر لأموالهم، وكلما احتاج الباشا إلى

(١) لمزيد من التفصيل انظر: تأليف علماء الحملة الفرنسية، ج ٢، المرجع السابق، ص ٦٣-٦٧.

(٢) من البطريك رقم ١٠١ إلى البطريك رقم ١١٠، لمزيد من التفصيل انظر: داود مرقس حناوي، القمص:

المرجع السابق، ص ٧٠٤-٧٠٩.

المال، كان يأمر جرجس الجوهرى رئيس الشئون المالية بالدولة بجمعه من أغنياء الأقباط، فإذا تأخر حبسه مع جميع موظفيه؛ لذلك انقطع توفير الأموال لأديرة شيهيت فتركوا رهبانها القلائل يجاهدون وحدهم من أجل بقاء أديرتهم، بالإضافة لاعتداء البدو لنهب ما يملكونه^(١).

وأدّى تطور العلاقة بين البابا بطرس السابع الجاولي البطريك رقم (١٠٩) (١٨٠٩-١٨٥٢م) وبين محمد علي إلى انتعاش حركة الرهبنة بأديرة الوادي، بعد ما سمح لأغنياء الأقباط بإغداق الأموال عليها^(٢) بعد حادثة شفاء ابنته زهرة على أيدي أحد الرهبان، بالإضافة إلى استتباب الأمن في البلاد والوادي والقضاء على اعتداءات العربان على الأديرة^(٣) فزاد عدد الرهبان بها من ١٢ راهبًا إلى ٧٦ راهبًا سنة ١٨٤٧م^(٤).

وتزامنت تولية محمد سعيد باشا الحكم (١٨٥٤-١٨٦٣م) مع انتخاب البابا^(٥) رقم (١١٠) كيرلس الرابع البطريك رقم (١١٠) (١٨٥٤-١٨٦١م) الملقب بأبي الإصلاح^(٦) فكان التعليم على رأس أولوياته، فأسس مدارس في البطيركية وحارة السقاين (بعايدين) مع التركيز على دراسة اللغات القبطية والعربية والأوروبية^(٧) وأنشأ مدرسة لاهوتية لرهبان أديرة برية شيهيت

(١) عبد الرحمن الجبرتي: ج ٥، المرجع السابق، ص ٢٥٥-٢٥٦؛ ثيودور هول باترك، المرجع السابق، ص ١١٧.

(٢) نفسه.

(٣) داود مرقس حناوي: المرجع السابق، ص ٥٧٨؛ توفيق إسكاروس: المرجع السابق، ص ١٣٨.

(٤) تعداد نفوس: س ١٧٩، ل ٩/٩٧٩/١٥٤، مركز النجيلة، سنة ١٢٦٤هـ / ١٨٤٧م، ص ٣١، ٣٢.

(٥) لمزيد من التفصيل عن اختيار البابا انظر: محمد عفيفي، الأقباط في مصر في العصر العثماني، المرجع السابق، ص ٢٥٧.

(٦) البابا كيرلس الرابع: كان راهبًا اتخذ اسم داود، وترهب في دير أنبا أنطونيوس سنة ١٨٣٨ في سن ٢٢ سنة، وبعد عامين صار رئيسًا للدير، وعلى الفور أنشأ في بوش (بني سويف) في أملاك الدير - مدرسة للأطفال، ومعهدًا تعليميًا للرهبان انظر: مكتبة المتحف القبطي، مخطوطة رقم ١٨٤، ١٥٧٠ ش / ١٨٥٤م؛ الهلال
مقالة عن البابا كيرلس الرابع، عدد ١١، السنة الأولى، أول يوليو ١٨٩٣.

(٧) محافظ عابدين: محفظة ١٨، س ٥٠٥، وثيقة بدون رقم، ١٥ شوال ١٢٧٤هـ / ٢٩ مايو ١٨٥٨م، ص ٨؛ المتحف القبطي، مخطوط رقم ٢٧١٣، رسالة أبي الإصلاح للاكتتاب في المدرسة الكبرى، د.ت؛ ثيودور هول باتريك، المرجع السابق، ص ١٢٤.

في حلوان، وكان يجتمع معهم أسبوعياً، يناقشهم في معلومات لاهوتية وقرارات روحية معلماً إياهم^(١) فزاد عددهم واستكمل ترميم كنائس البرية، وأعاد تنظيم إدارة أملاك (أوقاف) وأموال الكنيسة والأديرة، وأعد سجلات للمواليد والوفيات والزواج بكنائس مصر والوادي^(٢).

وواصل البابا ديمتريوس الثاني البطريك رقم (١١١) (١٨٦٢ - ١٨٧٠ م)^(٣) مسيرة الإصلاح لبرية شيهيت، بفضل ما أنعم بها سلطان الدولة العثمانية عبد العزيز عليه من الأراضي الزراعية لتغطية نفقات البطيركية وأديرة الصحاري، بمناسبة قدومه إلى مصر في إبريل سنة ١٨٦٩ م^(٤)؛ وانعكس ذلك على الوادي بتشديد وإصلاح بعض الكنائس والأسوار بأديرته وزيادة واستقرار أعداد الرهبان بها^(٥) كما قام بإصلاح وبناء عزبة دير الأنبا مقار في أتريس بالجيزة^(٦).

وفي عهد الخديوي إسماعيل تم انتخاب الراهب يوحنا الناسك البراموسي (١٨٧٤ - ١٨٢٧ م) ليكون البطريك^(٧) أي البابا رقم (١١٢) باسم البابا كيرلس الخامس وواصلت

(١) وثائق دير السريان: وثيقة ٢٠١٧، ٢٩ برمهات ١٦١٣ / ١٨٩٧ م؛ داود مرقس حناوي، المرجع السابق، ص ٥٨٢ - ٥٨٣.

(٢) ثيودر هوك باتريك: المرجع السابق، ص ١٢٤.

(٣) البابا ديمتريوس: كان رئيساً على دير القديس أبو مقار، سار على خطة أسلافه واقتفى أثر البابا كيرلس الرابع فأكمل الكاتدرائية (بكلت بك)، وشارك في الاحتفال بافتتاح قناة السويس، وبمساندة حكومة الخديوي إسماعيل قاوم الكثلكة بصعيد مصر، لمزيد من التفصيل انظر: داود مرقس الحناوي، المرجع السابق، ص ٥٨٤ - ٥٨٦.

(٤) لمزيد من التفصيل حول زيارة السلطان عبد العزيز انظر: عبد الرحمن الراجعي، عصر إسماعيل، ج ١، المرجع السابق، ص ٧٩ - ٨٤.

(٥) داود مرقس حناوي: المرجع السابق، ص ٥٨٤.

(٦) وثائق دير السريان: وثيقة رقم ٦٠٠، ١٤ محرم ١٢٩٣ هـ / ٣١ يناير ١٨٧٦.

(٧) البطريك: هو خليفة السيد المسيح، والحاكم في عقد شرعة، واسم البطريك يأخذ من مفهوم الأبوة، فمعناه الأب الأول، وهناك أربعة بطاركة في العالم وهو بطاركة الإسكندرية وروما والقسطنطينية وإنطاكية، انظر محمد عفيفي، الأقباط، المرجع السابق، ص ٢٥١.

الكنيسة نهضتها وإصلاحاتها^(١) بفضل تبرعات الخديوي لها بالأموال من أجل إصلاح التعليم القبطي وانعكس ذلك على أديرة الوادي؛ حيث أصبح الراغبون في الرهبنة من حملة الشهادات بعد أن كان البعض منهم لا يجيدون القراءة والكتابة، فأدى ذلك إلى ارتفاع مكانة أديرة الوادي وتطورها لتواكب التغيرات العالمية في تلك الفترة^(٢).

أما عدد الرهبان بأديرة الوادي فقد بدأ في الارتفاع منذ القرن التاسع عشر حتى أواخر ذات القرن، ويتضح ذلك في الجدول التالي:

جدول (٧/٣)^(٣)

عدد رهبان أديرة وادي النطرون في القرن التاسع عشر

م	أسماء الأديرة	عدد الرهبان سنة				
		١٨٤٧	١٨٧٠	١٨٩٠	١٩٠٠	١٩١٠
١	البراموس	٤	٢٣١	١٥٩	٨٨	٢١
٢	السريان	٤٥	١١٠	٩٥	٣٣	١٨
٣	الأنبا مقار	١٧	٨١	١١٥	٥٠	٢١
٤	الأنبا بيشوي	١٠	٤٥	٣٠	٢٢	١٦
المجموع		٧٦	٤٦٧	٣٩٩	١٩٧	٧٦

(١) إيريس حبيب المصري: قصة الكنيسة القبطية، ج ٤، ط ٥، مكتبة مارجرجس باسبتورتنج، الإسكندرية ١٩٧٥، ص ٢٣٥.

(٢) جاك تاجر: أقباط ومسلمون من الفتح العربي إلى ١٩٢٢ م، دار المعارف، القاهرة ١٩٥١ م، ص ٢٣٩-٢٤٠.

(٣) المصدر: تعداد نفوس سجل رقم ١٧٩، ل/٩/٧٩/١٥٤، مركز النجيلة، سنة ١٢٦٤ هـ/ ١٨٤٧؛ رياض سوريال، المرجع السابق، ص ١٣؛ عمر طوسون، المرجع السابق، ص ١٦٨؛ رمزي تادرس، الأقباط في القرن العشرين، ج ١، د.م، القاهرة ١٩١٠ م، ص ١٢٤.

ومن الجدول السابق يتضح أن عدد رهبان الأديرة في وادي النطرون منذ بداية القرن التاسع عشر قد أخذ في الارتفاع التدريجي، من ١٢ راهبًا في ذات القرن إلى ٧٦ راهبًا في سنة ١٨٤٧م^(١)، كما وصل عددهم في سنة ١٨٧٠م إلى ٤٦٧ راهبًا، وهو أعلى معدل لهم طوال ذلك القرن؛ نتيجة لإغداق خلفاء أسرة محمد علي واراخنة الأقباط عليهم بالهبات والتبرعات، فقد أدى ذلك إلى استقرارهم وزيادة عددهم، وعلى ما يبدو أن الأزمة المالية قد تركت آثارها عليهم ففي الفترة من (١٨٩٠ - ١٩١٠م) تناقص عددهم حتى وصل إلى ٧٦ راهبًا وهو ذات الرقم الذي كان في منتصف ذات القرن. أما جملة ممتلكات الأديرة الأربعة من الأراضي الزراعية ببعض قرى الوادي واتريس بالجيزة حتى سنة ١٩١٢م، فتتضح من الجدول التالي:

جدول (٧/٤) (٢)

جملة ممتلكات أديرة وادي النطرون حتى سنة ١٩١٢م

م	أسماء الأديرة	المساحة		
		سهم	فيراط	فدان
١	دير البراموس	٢٢	٥	٢٣٦
٢	دير الأنبا بشوي	٨	١٣	١١٨
٣	دير السريان	١٠	١٦	١٣٥
٤	دير ابو مقار	١٤	١١	١٣٣
	جملة المساحة	٦	٢٣	٦٢٣

(١) لمزيد من التفصيل انظر: ملحق رقم ١٩.

(٢) المصدر: دير السريان، مذكرة مرفوعة من المجلس الملي ضد البطريك، بتاريخ ١٠ يونيو ١٩٢٨م، ص

٣٣-٣٤؛ انظر: ملحق رقم ١١.

من الجدول السابق يتضح أن أكبر الأديرة من حيث ممتلكات الأراضي الزراعية حتى أواخر القرن التاسع عشر هو دير البراموس حيث امتلك ٢٣٦ فداناً وكسوراً، وربما يرجع ذلك إلى أنه أكثرهم رهباناً، ولذا توالى عليه الهبات فزادت من ممتلكاته، بينما أقلهم دير الأنبا يشوي، حيث امتلك ١١٨ فداناً وكسوراً حتى سنة ١٩١٢م^(١).

وقد ازداد عدد الرهبان في بداية القرن الحادي والعشرين وبالتحديد عام ٢٠٠٢م، طبقاً لبعض الإحصاءات التي سجلها لنا المتنيح قداسة البابا شنودة الثالث، البطريك رقم (١١٧) (١٩٧١-٢٠١٢م)، وتتضح من الجدول التالي:

جدول (٥/٧)

عدد رهبان وادي النطرون عام ٢٠٠٢م

أديرة وادي النطرون العامرة	عدد الرهبان	عدد طالبي الرهبنة
دير الأنبا يشوي	١٤٦	١٤
دير السريان	١٣٥	١٧
دير البراموس	٦٩	١١
دير الأنبا مقار	١٠٠	-
الجملة	٤٤٠	٤٢

من الجدول السابق يتضح أن أكبر الأديرة من حيث عدد الرهبان حتى أواخر القرن العشرين هو دير الأنبا يشوي، ويرجع ذلك إلى رعاية البابا شنودة لهذا الدير، كما شيد بها

(١) لمزيد من التفصيل عن أملاك الأديرة انظر: دير السريان، مذكرة مرفوعة من المجلس الملي ضد البطريك كيرلس الخامس، ١٠ يونيو ١٩٢٨م، ص ١-٣٧.

مقر بابوي، وأغدق عليه الكثير من الأراخنة الأموال، فشيدت القلاي الجديدة لاستيعاب زيادة عدد الرهبان وتم ترميم كل المنشآت بالدير، كما يعد دير السريان ثاني أديرة شيهيت من حيث عدد الرهبان فبلغ (١٣٥) راهبًا، نتيجة لما شيده نيافة الأنبا متاؤس رئيس الدير حاليًا من قلاي، بالإضافة إلى الاهتمام بكنائس ومنشوبات الدير الأثرية، وأيضًا التوسع في استصلاح الأراضي، والمشروعات المنتجة لخدمة الرهبان والزائرين، أما دير الأنبا مقار فقد بلغ عدد رهبانه (١٠٠) راهب، ويرجع ذلك إلى النهضة الرهبانية الكبير التي قام بها الأب متى المسكين^(١)، أما دير البراموس فبلغ عدد الرهبان (٦٩) راهبًا، وزاد هذا الدير زيادة كبيرة، مقارنة بعدده في القرن التاسع عشر. والحقيقة التاريخية أن أديرة الأسقيط شهدت تطورًا كبيرًا ونهضة معمارية وروحانية لم تشهدها في العصور السابقة.

ونخلص مما سبق إلى أن أديرة وادي النطرون خلال القرن الرابع الميلادي وحتى كتابة هذه السطور، كانت مركزًا للرهبنة الديرية، وجامعة لتعليم الراغبين في الرهبنة من جميع أنحاء العالم مبادئها وطقوسها وقوانينها. كذلك اتضح من خلال الحياة الديرية بوادي النطرون، أن عدد الأديرة بيرية شيهيت كان (٣٦٦) ديرًا في القرون الأولى الميلادية، ثم صارت مائة دير في منتصف القرن الخامس عشر الميلادي، ثم أصبحت عشرة أديرة خلال العصر العثماني. وقد تعرضت مجموعة كبيرة من الأديرة للاندثار؛ ويرجع ذلك إلى الظروف الطبيعية أو البشرية كاعتداءات العربان عليها ومن ثم تخريبها واندثارها، وبالرغم من ذلك قاوم بعضها، ولم يبقَ منها سوى أربعة عامرة حتى يومنا هذا.

كما اتضح لنا تطور الحياة الرهبانية الديرية بوادي النطرون، من حيث نشأة الأديرة فقد شيدت في بدايتها وحتى القرن التاسع الميلادي بدون أسوار، ولكن بعد حادثة استشهاد

(١) لمزيد من التفصيل عن ودير الأنبا مقار انظر: ماجد عزت إسرائيل، الأب متى المسكين .. الراهب المستنير، المرجع السابق، ص ١١٦-١٢٠.

التسعة والأربعين من شيوخ شيهيت، تم أحاطة الأديرة بالأسوار لحماية الرهبان والمسيحيين من أذى الأعراب في المستقبل، كما نستنتج أن عدد رهبان الأديرة قد تأثر بغارات البرير عليها، فقد شهدت الحياة الرهبانية الديرية عصرها الذهبي في القرنين الخامس والسادس الميلادي حيث وصل عدد الرهبان إلى نحو ما يقرب من خمسة آلاف راهبًا، ولكن هذا العدد سرعان ما تناقص بسبب اعتداءات الأعراب على الأديرة، حتى وصل في يومنا هذا نحو ٤٤٠ راهبًا، طبقًا لإحصاء إعدده قداسة البابا شنودة الثالث البطرير رقم (١١٧) (١٩٧١-٢٠١٢م).



الفصل الثامن
الحياة الرهبانية اليومية
داخل أديرة واديالنطرون
كما صورها الرحالة

الفصل الثامن

الحياة الرهبانية اليومية داخل أديرة

وادي النطرون كما صورها الرحالة

لقد كانت الرهينة تحتم على الراهب أن يمضي حياته داخل الدير، ومن أقوال القديس أنطونيوس الكبير في هذا الشأن أنه قال: «كما يموت السمك إذا خرج من الماء، كذلك يموت الراهب إذا أبطأ خارج قلايته»، هكذا سارت الحياة الرهبانية اليومية على مستويات عديدة منها رهبان كل دير الذين يعيشون في مجمع الرهبان ويلتزمون بالاجتماع في جرس نصف الليل، وجرس باكر للتسبحة والقداس، وجرس الغروب ويشتركون في أعمال الدير ومسؤوليته. وهناك مجموعة من الرهبان المبتدئين في الوحدة الذين لهم قلال خاصة، خارج المبنى الأثري للدير، في حديقة الدير، أو في امتداده. ثم طائفة أخرى من الآباء الرهبان يعيشون حياة الوحدة التامة، أما في القلاي المبنية على التلال أو المرتفعات المحيطة بالدير، أو في بعض المغارات، والراهب بعد أن يقضي فترة إختبار تصل أحياناً إلى ثلاث سنوات، يتلو - قبل سيامته راهباً - تعهداً أمام مجمع الرهبان بالتزامه بالحياة الرهبانية الديرية السليمة حسب قوانين وطقس الرهينة والالتزام بالقوانين التي سنّها المجمع الخاصة بالرهينة، وقد تعددت مسؤوليات الرهبان الخدمية منها الخدمة في كنائس الإيبارشيات، وبلاد المهجر، في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، وأفريقيا.

وكانت الحياة اليومية الرهبانية الديرية داخل أديرة وادي النطرون كما يصفها الرحالة حياة اجتماعية استقلالية، تحكمها القوانين الرهبانية، التي تقوم على تنفيذها إدارة الدير، التي كانت تعمل جاهدة على توفير حياة الهدوء والسكينة والحياة الروحانية للرهبان، من خلال تنظيم مواعيد الصلاة الجماعية وحضور القداس الإلهي، والنوم والعمل والمأكّل والملبس

من خلال تحديد الزي الموحد للرهبان وطالبي الرهبان، وأيضًا القراءة والاطلاع ونسخ المخطوطات والكتب المقدسة، وكذلك توفير مصادر تمويله للإنفاق على الرهبان والمؤسسات الديرية، والتواصل مع جهاز الدولة الإداري للمساهمة في حل بعض المشكلات التي تعجز عن حلها، من أجل الحفاظ على الحياة الرهبانية اليومية داخل أسوار الأديرة، وهذا ما سوف نتعرض له في هذا الفصل.

الحياة الرهبانية اليومية داخل أديرة وادي النطرون:

كان من شروط قبول الشخص الذي يريد أن ينضم إلى الدير أن يقضي ثلاث سنوات تحت الاختبار^(١)، لكي يثبت في أثنائها قدرته على ممارسة حياة البتولية والطهارة والخضوع لأحكام القانون. وفي هذه الفترة أيضًا كان لزاما على المبتدئ أن يتعلم القراءة والكتابة، وأن يحفظ المزامير، ورسالتين من العهد الجديد طبقا لتعاليم الأنبا باخوميوس، فمتي تم له ذلك وزعت ملابسه على الفقراء، واستعوض عنها بالملابس الجديدة من الدير، وسمح له بالانتقال من دار الضيافة الواقعة عند المدخل إلى قلالي الرهبان داخل الدير، وكانت ملابس الراهب تمتاز بالبساطة التامة، حيث جاء في رسالة أفسس الأصحاح السادس يقول معلنا بولس الرسول «الْبَسُوا سِلَاحَ اللَّهِ الْكَامِلَ لِكَيْ تَقْدِرُوا أَنْ تَثْبُتُوا ضِدَّ مَكَايِدِ إبْلِيسَ ... مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ احْمِلُوا سِلَاحَ اللَّهِ الْكَامِلَ لِكَيْ تَقْدِرُوا أَنْ تُقَاوِمُوا فِي الْيَوْمِ الشَّرِيرِ، وَبَعْدَ أَنْ تَتَمَّمُوا كُلَّ شَيْءٍ أَنْ تَثْبُتُوا. ... فَاثْبُتُوا مُنْطِقِينَ أَحْقَاءَكُمْ بِالْحَقِّ، وَلَا بَسِينَ دِرْعَ الْبِرِّ، وَحَازِينَ أَرْجُلَكُمْ بِاسْتِعْدَادِ إِنْجِيلِ السَّلَامِ. حَامِلِينَ فَوْقَ الْكُلِّ ثُرْسَ الْإِيمَانِ ... وَخُذُوا خُوْذَةَ الْخَلَاصِ، وَسَيْفَ الرُّوحِ الَّذِي هُوَ كَلِمَةُ اللَّهِ.»^(٢) فالراهب يرتدي قميصًا قصير من غير أكمام يصل إلى الركب، وله حزام يشد به وسطه، وعلي كتفيه وظهره علق فروة من فراء الماعز أو الخراف، وفوقها عباءة خيطة

(١) رسالة مارمينا: المرجع السابق، ص ١٩.

(٢) الكتاب المقدس: رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس: (٦: ١٠ - ١٧).

بأعلاها قلنسوة^(١) الرأس التي كانوا يرسمون علي جبهتها علامة الدير، وهي عبارة عن صليب من مختلف الألوان للدلالة علي المؤسسة التي ينتمى إليها الراهب، وفي قدميه حذاء (صندل) مفتوح. هذه الملابس بكاملها إنما يرتديها الراهب عند سفره خارج الدير فقط، بينما وهو في الدير يكتفي بارتداء القميص القصير والحزام والطاقيّة، وكان القميص مصنوع من التيل الخشن، وكان يسير عاري القدمين^(٢). ويبدو أن ملابس رهبان دير البرامواس لم تنل أعجاب

(١) قلنسوة: هي كلمة يونانية (κουκούλα) تسمى كولوليون أو كوكلس وهي عبارة عن غطاء للرأس وهي تشبه غطاء رأس الأطفال والجمع منها: قلانس، وقلانيس، وقلّاس، وقلّاسيّ، وتعرف أيضًا "القلنسوة" أو القلسوة تسمى في اليونانية كوكوليون أو كوكول وتسمى في اللغة القبطية "كلافت"، أما أصلها فقد ورد في كتاب بستان الرهبان بخصوص القلنسوة التي سلمها الملاك للقديس العظيم الأنبا أنطونيوس المنظم الحقيقي للحياة الرهبانية، وهو يرتدي القلنسوة "حيث قام من موضعه وانتقل إلى مكان آخر وجلس، وإذا برجل جالس أمامه وعليه إسطوانة ومتوشح بزناار صلب مثال الإسكيم، وعلى رأسه كوكلس، شبه الخوذة، وكان جالسًا يضرر الخوص، وإذا بذلك الرجل يتوقف عن عمله ويقف ليصلي. وبعد ذلك جلس يضرر الخوص ثم قام مرة ثانية ليصلي، ثم جلس ليشغل في ضرر الخوص، وهكذا، أما ذلك الرجل فقد كان ملاك الله أرسل لعزاء القديس وتقويته إذ قال لأنطونيوس: «إعمل هكذا وأنت تستريح» ومن ذلك الوقت إتخذ أنطونيوس لنفسه ذلك الزي هو شكل الرهبة، وصار يصلي ثم يشغل في ضرر الخوص، وبذلك لم يعد الملل يضايقه بشدة. فإستراح بقوة الرب يسوع له المجد» لذلك يقول القديس أنثاسيوس الرسول تلميذ الأنبا أنطونيوس وكاتب سيرته بخصوص ملابس الراهب «... وثيابك الأساسية لا تكن ثمينة للغاية، وردائك الخارجي ليكن أسود اللون، ولا تضيف له صبغة الألوان، واجعله يغطي الجسم والأظفار، والأكمام تغطي الأذرع إلى أصابع اليدين، وتغطي شعر الرأس المنسدل بغطاء من وبر، وتربط الشعر المنسدل برباط يغطي إلى الأكتاف، حتى إذا ما تقابلت مع أي شخص يكون الوجه مغطى، وتشير له من تحت البرقع، ولا ترفعه من على وجهك لأي إنسان، إذا لم تكن منفردًا مع إلهك»، كما توجد صلاة خاصة بلبس القلنسوة فعندما يلبسه القلنسوة يهتف أيضًا، "لبس قلنسوة التواضع وخوذة الخلاص وأعمل ثمرة صالحة بالمسيح يسوع ربنا، هذا الذي ينبغي له المجد إلى الأبد آمين، ثم يمنطق بالمنطقة وهو يقول شد على حقوك بجميع رباط الله وقوة التوبة بالمسيح يسوع ربنا هذا الذي ينبغي له المجد إلى الأبد آمين" انظر: مارتيروس، الأنبا، تاريخ القلنسوة الرهبانية، موقع الكنوز القبطية، مارس ٢٠١٨م؛ ابن كبر (شمس الرئاسة بن الشيخ الأكمّل الأسعد أبي البركات): مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة، ج ٢م، ط ١، الناشر مؤسسة مينا للطباعة، ١٩٩٨م، ص ٥٦.

(٢) رسالة مارمينا: المرجع السابق، ص ٢٠٣-٢٠٤.

سيكار حيث وصفها قائلاً: «وملابس رهبان دير البراموس بسيطة، ويفضلون الملابس السوداء الألوان القاتمة»، أما سونيني فوصف رهبان ذات الدير قائلاً: «لم أرَ أفدر ولا أجهل منهم»، ولكن ربما وصفهم بذلك لمنع الرهبان من اطلاعه على المخطوطات^(١).

كما كان هناك مواعيد للطعام في الظهر والمساء، وبعض الرهبان المتقشفين كانوا يفضلون تناول وجبة واحدة من الخبز والملح والماء، وكان الطعام يتكون من الخبز والخضر والحساء والجبن والفاكهة، وكان يتم تناول الطعام مرتين على المائدة، وكان الرهبان يدخلون قاعة الطعام حفاة الأقدام وهم لا لبسون القميص والفرو والعباءة والطاقيّة والقلنسوة ويأكلون ما يقدم لهم في سكون دون أن ينظر الواحد منهم ذات اليمين وذات اليسار، وفي أعلى القاعة واحد من الإخوة يقرأ فصولاً من الكتب المقدسة^(٢). وقد أكد الرحالة سيكار وقسطنطين تشيندورف على أن غذاء الرهبان الخبز والحس والأرز وأحياناً العسل، بينما ذكر سونيني أن رهبان البراموس قاموا بزراعة النباتات في حديقة الدير، وخاصة الفلفل البلدي ويأكلون جوره مع اللحم في الأيام التي لا يكون فيها صيام، كما لا يوجد لديهم فواكه ولا زهور، ولكن الرهبان خُصص لهم جزء من ملح وادي النطرون أطلق عليه «ملح مختوم» أي إنه خاص برهبان الدير^(٣).

علي أية حال، كان يبدأ الراهب يومه بعد منتصف الليل بخدمة تسبيح صلاة نصف الليل، فإذا انتهت التسبيحة ويتحتم أن تنتهي قبل ظهور ضياء الفجر لا يعود إلى النوم، بل يتبع الصلاة بالهذيد في الكتاب المقدس حتى يبرز نور الفجر، وذلك تيمناً لوصية الأنبا أنطونويس الأولى والعظمى «أن تصلى دائماً وتترنم بالمزامير قبل النوم وبعد اليقظة من النوم وأن تهذ في قلبك مقولات الأسفار المقدسة»، فإذا أشرق نور النهار يهب الراهب نشيطاً^(٤). بعدها يبدأ الراهب عملاً من أعماله اليومية، حسب تخصصه، إما في السلال أو غزل ونسج الكتان لصنع ملابسه، أو في نسخ الكتاب المقدس أو المخطوطات أو سير بعض القديسين، وكان من الجائز للراهب

(١) إلهام محمد علي ذهني: مصر في كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين، المرجع السابق، ص ٢٣٨.

(٢) رسالة مارمينا: المرجع السابق، ص ٢٠٣-٢٠٤.

(٣) إلهام محمد علي ذهني: مصر في كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين، المرجع السابق، ص ٢٣٨.

(٤) متى المسكين: الرهبنة في عصر القديس الأنبا مقار، المرجع السابق، ص ٦٣٢.

أن يؤدي هذه الأعمال في قلايته ويقوم بها بلا انقطاع (طوال السنة) مع التهذيب بالمزامير وقطع من الكتاب المقدس بصفة مستمرة في أثناء العمل^(١). وهذا ما أكده أندريوسي حيث ذكر قائلاً: «ويقضي رهبان شيهيت اليوم كله في الخلوات والصلاة»^(٢). أما سيكار فقد كتب في هذا الشأن قائلاً: «ويقضي الرهبان ساعات عديدة في الصلاة ليلاً ونهاراً، ويعملون بأيديهم خلال الساعات الباقية. وجميعهم يطيعون رئيساً واحداً والخضوع له قاعدتهم الرئيسة»^(٣).

وكانت هناك مجموعة من الأعمال التي تتم خارج القلاية، كل راهب حسب المناوبة لخدمة الدير ومنها العمل بالمطبخ أو المخبز أو كبواب أو قندلفت (المسئول عن سراج القناديل)^(٤)، أو عمل القربان أو دق الجرس أو كطبيب لشيخو الرهبان أو المرضى أو ري وزراعة وجني ثمار وخضراوات الحديقة أو رعي ما يمتلكه الدير من رؤوس حيوانات^(٥) أو العمل باقتلاع النظرون^(٦).

ومن المعروف عند الآباء الرهبان أن شغل اليدين تنهي ظهراً أي بحلول الساعة (١٢ ظهراً) بعدها يترك للراهب أن يأخذ لنفسه راحة تتناسب مع طبيعته، وفي الساعة (٣ بعد الظهر) يتناول وجبة الغذاء الأولى والوحيدة بعد فترة الصوم الانقطاعي اليومي، وغالباً ما تكون مكونة من الخبز والفول أو العدس، حيث يأخذ كل راهب كفايته اليومية ويأكل في قلايته^(٧) وبعدها يؤدي صلاة تعرف بصلاة الساعة التاسعة ويعقبها صلاة الغروب بقلايته، بحيث إنه إذا وقف الإنسان في المساء في وسط قلالي الرهبان بالدير يسمع المزامير والتسابيح صاعدة من القلاي حول فيظن أنه في

(١) متاؤس، الأنبا: المرجع السابق، ص ١٦٦.

(٢) إلهام محمد علي ذهني: مصر في كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين، المرجع السابق، ص ٢٣٩.

(٣) هيو ج. ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص ١٦٥.

(٤) مجلة الكرازة: السنة ٢٣، العددان ٤٥، ٤٦، ٢٦ هاتور ١٧١١ ش / ٨ ديسمبر ١٩٩٥ م، ص ١٤.

(٥) وثائق دير السريان: وثيقة رقم ١٠٥٤، ٢٢ برمودة ١٥٩٨ ش / ١٨٨٢ م.

(٦) إلياس الأيوبي: المرجع السابق، ج ١، ص ١٣٣.

(٧) عمر طوسون: المرجع السابق، ص ١٧٦.

الفردوس^(١) فليس هناك ما يعطل الراهب عن الصلاة والتسايح، كما ورد في رسالة بولس إلى أهل أفسس قائلاً: « مُصَلِّينَ بِكُلِّ صَلَاةٍ وَطَلْبَةٍ كُلِّ وَقْتٍ فِي الرُّوحِ، وَسَاهِرِينَ لِهَذَا بِعَيْنِهِ بِكُلِّ مُوَاطَنَةٍ وَطَلْبَةٍ، لِأَجْلِ جَمِيعِ الْقَدِّيسِينَ »^(٢)، ويصف لنا أحد الشعراء ذلك في الأبيات التالية:

كسبت العمر لا جاء	يشاغلني ولا مال
ولا بيت يعطلني	ولا صحب ولا آل
هنا في الدير آيات	تعزيني وأمثال
هنا الإنجيل مصباح	ولا يخفيه مكيال
هنا لا ترهبُ الرهبان	نَ قُضبانٌ وأغلال
ولا تلهو بنا الدنيا	فادبارٌ وإقبال
أقول لكل شيطان يريد الآن	إغرائي
حذارك إنني أحيا غريباً مثل	آبائني ^(٣)

وبعد صلاة الغروب يخلد الراهب إلى النوم وينام الراهب العادي من الغروب مباشرة حتى ميعاد صلاة نصف الليل^(٤). وكان الراهب ينام على مصطبة مرتفعة مصنوعة من الطين علي شكل وسادة، وفي الوصايا الست الخاصة بالرهبان يرد ذكر المقاعد ذات المساند للرأس في حالة النوم، وكان من المسموح للرهبان أن يناموا علي سقوف القلاي في ليالي القيظ الشديد^(٥). وقد وصف الأب كلود سيكار حالة النوم عندهم قائلاً: «وينامون الرهبان بملابسهم كاملة على حصير مبسوط على الأرض، وكان نمط حياتهم بسيط للغاية»^(٦).

(١) مجلة الكرازة: السنة ٢٢، العددان ٣١، ٣٢، ١٣ مسرى ١٧١٠ ش/ ١٩ أغسطس ١٩٩٤، ص ١٥.

(٢) الكتاب المقدس: رسالة بولس الرسول إلي أهل أفسس: (٦: ١٩).

(٣) شنودة، البابا: انطلاق الروح، المرجع السابق، ص ١٣٥.

(٤) متاؤس الأنبا: المرجع السابق، ص ١١٢.

(٥) رسالة مارميننا: المرجع السابق، ص ٢٠٤.

(٦) لمزيد من التفصيل عن المائدة انظر: الشكل رقم ١٧، ٢٢.

وكان رهبان وادي النطرون لا يجتمعون إلا في يومي السبت والأحد من كل أسبوع، وذلك لعودة الرهبان المتوحدين طوال الأسبوع من خارج الدير، وفي يوم السبت بالكنيسة تُصلى صلاة رفع بخور عيشة وفي صباح الأحد صلاة القداس؛ للتناول من الأسرار المقدسة^(١) يعقبها وجبة غذائية عامة (أغابي أي محبة) وهي التي يشترك فيها جميع الرهبان بمائدة الدير^(٢)، وفي مقدمتهم رئيس الدير، وفي أثناء جلوسهم لتناولها يقرأ لهم أمين الرهبان جزءاً من بستان الرهبان، ثم يشاركون جميعاً في نظافة ونظام الأواني والمكان، وبعدها ينصرفون إلى العزلة التامة، فلا يزور أحدهم الآخر إلا في حالة المرض أو لبعض النصائح الروحية^(٣).

وقد وصف لنا الأب كلود سيكار ما يحدث داخل قاعة الطعام من حيث نوعية الطعام وطريقة جلوس الرهبان، حيث ذكر أنه دعي بعد صلاة القداس بدير السريان لتناول وجبة العشاء العامة التي كانت تتكون من خبز منقوع في حساء "عدس" وفي أثناء جلوس الرهبان لتناول الطعام كانت تقرأ مجموعة من القواعد الرهبانية التي يعتقد أن السيدة العذراء قد اعطتها للقديس مقاريوس الصغير، وفي النهاية تليت الصلاة الربانية باللغة القبطية، على سبيل الشكر، وفي المطبخ الملحق بالقاعة كانت توجد ثلاث قدور كبيرة للطهي تدعى في الصعيد باسم (برام)، وهي الأدوات الوحيدة المستخدمة لطهي الطعام، ويرجع تاريخها لأكثر من قرن. ولما كان الوقت وقت احتفال فقد كان لدي الرهبان وجبة مسائية أو خفيفة عبارة عن طبق صغير من الشوان، وآخر به سكر قصب (عسل أسود)، وأحياناً كانوا يستعملون بصلاً جافاً في ماء مملح. وهم لا يشربون نبيذاً ويشربون قليلاً من القهوة، وكان نمط حياتهم هزياً للغاية،

(١) الأسرار المقدسة: أحد أسرار الكنيسة السبعة طبقاً لما ورد في قول السيد المسيح: «من يأكل جسدي ويشرب دمي، يثبت في وأنا فيه» انظر الكتاب المقدس: إنجيل يوحنا، الأصاح ٦، آية ٥٦؛ مزيد من التفصيل انظر: مجلة الكرازة، السنة ٢٢، العددان ٤١، ٤٢، ٢ هاتور ١٧١١ ش / ١١ نوفمبر ١٩٩٤ م، ص ١٩.

(٢) هيو ج. ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص ١٦٦.

(٣) عمر طوسون: المرجع السابق، ص ١٧٤.

ومتقشفًا وعلى العكس من تقارير الرحالة المتأخرين، فقد وجدنا رهبانًا أقويا ومملوئين صحة، وحسنى التغذية^(١).

طقس القداس الإلهي في أديرة وادي النطرون:

يرجع تاريخ وضع طقس^(٢) القداس^(٣) الإلهي في الكنيسة المسيحية، إلى الآباء الرسل أنفسهم ومن خلفهم من الآبا الرسولين والقديسين حتي يومنا هذا. ووضع آباء الكنيسة الطقوس، بإرشاد الروح القدس لمنفعة المؤمنين والمصلين، ولذلك نجد أن كل ترتيب ونظام في الطقوس الكنسية، يخفي وراءه معنى عميقًا، ولهذا فكلما مارست الكنيسة الطقوس يفهم العمق الروحي من ممارسة هذا الطقس، وخدمة القداس الإلهي^(٤) أي تقديس سر الإفخارستيا^(٥)، هي أهم هذه الطقوس في الكنيسة، وهو سر من أسرار الكنيسة السبعة، وترتيبه يرجع إلى الآباء الرسل أنفسهم، وقد استلموه من الرب نفسه، حينما أسسه يوم خميس العهد، في عليّة صهيون في بيت مار مرقس الرسول. وقد استمرت صلوات القداس تعتمد على التلقين من جيل إلى جيل، حتى عهد البابا «أثناسيوس الأول» البطريك رقم (٢٠)، (٣٢٨-٣٧٣م)، الذي سام

(١) هيو ج. إفلين هويت: المرجع السابق، ص ١٦٦.

(٢) طقس: كلمة يونانية مشتقة من (طاكسيس)، وهي تعني في الأصل اليوناني ترتيب أو نظام.

(٣) قداس: كلمة تعني تقديس النفس بالقداسات الإلهية التي نتناولها (الجسد والدم) لذلك يقول الكاهن القداسات للقديسين، أما فعل القداس تقديس النائب بالقداسات الإلهية، وهذا معني قول الكاهن القداسات للقديسين، وتعني أن الناس الذين تقدسوا بالتوبة والاعتراف ونقوا أنفسهم ينالوا القداسات الإلهية. الأنبا بنيامين، القداس الإلهي في اللاهوت الطقسي، موقع الأنبا تكلا.

<https://st-takla.org/Coptic-Faith-Creed-Dogma/Coptic-Rite-n-Ritual->

(٤) القداس: كلمة القداس كلمة في اللغة القبطية تعني (أنافورا)، وأخذها السلايان عنا ودعوها (نافورا)، وتعرف في اللغة اليونانية باسم (أفخولوجيون)، ويسميه اللاتينيين (ليتورجيا) من (ليتوس) أي عمومي أو جماعي و(أرغون) أي عمل. فتعني بذلك عملاً جماعياً، وكانت تطلق على أي نوع من الأعمال الجماعية، حتى ولو كانت أعمال مدنية، إلا أنها فيما بعد خصصت للدلالة على الإفخارستيا أي القداس الإلهي، للمزيد انظر يوحنا سلامة (القمص)، اللآلئ النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة، ج ١، ط ٥، مكتبة مارجرجس شيرا مصر، القاهرة، ص ٢١٠.

(٥) طقس: كلمة يونانية مشتقة من (طاكسيس)، وهي تعني في الأصل اليوناني ترتيباً أو نظاماً.

أول أسقف لبلاد الحبشة باسم الأنبا «فرومتيوس» وأرسله إليهم نحو عام (٣٣٠م) لنشر الإيمان هناك، وسلمه أيضًا القُداس الإلهي مكتوبًا، ولهذا اعتبر البابا أثناسيوس أول من دون القُداس الإلهي مكتوبًا^(١).

والقُداس هو حضور فائق لله من خلال الذبيحة المقدسة علي المذبح وحلول الروح القدس، فائق عن حلوله في أي صورة، لذلك يقال اسجدوا لله بخوف ورعده، لأن الروح القدس يحول الخبز والخمر إلى جسد ودم. فالقُداس الإلهي هو حضور فائق لله بصورة فائقة للطبيعة يقُدس كل من يلتصق به من خلال تناول ذلك يعتبر تناول مكافأة لكل من يجاهد وليس لأي شخص، والقُداس عمليًا هو مجموعة من الكلمات والألحان والحركات وضعها الروح القدس مع القديس الذي وضع القُداس^(٢).

القُداسات المستعملة في الكنيسة القبطية:

١ - القُداس الباسيلي: نسبة إلى القديس باسيليوس الكبير رئيس أساقفة الكبادوك "القرن الرابع الميلادي"، وفيه يخاطب الله الآب، الذي أحبنا وصالحنا بابنه يسوع المسيح ربنا الذي أرسله لفدائنا^(٣)، وهذا القُداس يتميز بسهولة ألحانه واختصار صلواته، وتصلى به الكنيسة في الأيام السنوية المعتادة.

٢ - القُداس الغريغوري: نسبة إلى القديس غريغوريوس الثيولوجوس المعروف بالناطق بالإنبيات أسقف القسطنطينية في عام ٣٧٩م، أي في القرن الرابع الميلادي، اهتم بوضعه.

(١) الإفخارستيا: هي كلمة يونانية معناها الشكر ولها أكثر من معنى منها: سر الشكر، مائدة الرب، المائدة الربانية، العشاء السري، الرباني، سر تناول، الأسرار الإلهية، المائدة الرهيبة، الذبيحة المقدسة، الجسد والدم، الأسرار الرهيبة، الذبيحة الغير الدموية، خبز الحياة، المائدة المقدسة، الخبز السماوي، طعام الحياة، سر الأسرار الوليمة الإلهية، القُداس المقدس، الوليمة السماوية، السرائر المقدسة، السر المجيد، والجسد والدم الآلهيان، إلى غير ذلك من الأسماء الدالة على سموه وعظمته، انظر: جرجس صموئيل عازر، الإفخارستيا أو القول السديد عن السر المجيد، مكتبة مار جرجس شبرا مصر، القاهرة، ١٩٣٥م، ص ٢٦.

(٢) بنيامين، الأنبا: القُداس الإلهي في اللاهوت الطقسي، موقع الأنبا تكلا.

<https://st-takla.org/Coptic-Faith-Creed-Dogma/Coptic-Rite-n-Ritual>

(٣) الكتاب المقدس: (يو ٣: ١٦)، (غل ٤: ٤).

وفيه يخاطب ابن الله يسوع المسيح، الذي تجسد لأجل خلاصنا، وبذل ذاته على عود الصليب فداً عنا وكفارة لخطايانا، وتصلي به الكنيسة غالباً في الأعياد السيديّة، وتتميز الحانة بالطول والعمق.

٣- **القداس الكيرلسي:** واصل هذا القداس هو القديس مارمرقس الرسول، ثم جاء القديس كيرلس الكبير البطريرك الرابع والعشرون من بابوات الكنيسة القبطية، حيث قام بتنقيحه وإضافة بعض الألحان والصلوات إليه، وللاسف فإن كثيراً من ألحان هذا القداس قد فقدت لقلة استعماله، وتصلي به الكنيسة غالباً في أثناء الصوم الكبير^(١).

ونظراً لأن اللغة اليونانية كانت هي اللغة الرسمية في مصر، كما أنها لغة العلم والثقافة في ذلك الوقت، لذلك وضعت القداسات باللغة اليونانية، ثم ترجمت إلى اللغة القبطية باللهجة البحرية، مع الاحتفاظ ببعض الجمل اليونانية. وبعد دخول العرب لمصر ٦٤١م، وخاصة أيام الخليفة «عبد الملك بن مروان بن الحكم» (٦٥-٨٦هـ / ٦٨٥-٧٠٥م)، الذي أصدر قرار بتعريب الدواوين، وواصل خلفاؤه القضاء على اللغات الأجنبية ومنها اللغة القبطية، التي بدأت شيئاً فشيئاً يقل استخدامها بين عامة الناس، وقصر استعمالها على العبادة داخل الأديرة والكنائس، ومع هذا استمر أهل الصعيد في التحدث بها خصوصاً في بعض الجهات، نذكر منها نقادة وقوص واخميم، وبالرغم من ذلك تأثرت باللغة العربية، ولهذا ضعفت اللغة القبطية، ولكن هناك أسر في مصر ما زالت حتى يومنا، تمارس اللغة القبطية في المنازل، وظل القداس باللغة القبطية حتى عهد البابا «غبريال الثاني» (١١٣١-١١٤٥م) الذي أصدر قرار بقراءة الأناجيل والمواعظ التي تخص القداس الإلهي باللغة العربية لفائدة الشعب^(٢). ولكن الكنيسة ما زالت تصلي بالقبطية إلى جوار العربية حتي لا يضيع التراث الأبائي الأصيل^(٣).

(١) لمزيد من التفصيل انظر: دير السيدة العذراء (المحرق): كتاب الخولاجي، دير السيدة العذراء المحرق، أسبوط ١٩٩٠م، ص ٤٧٦، ٢٨٦، ١٦٨.

(٢) ماجد عزت إسرائيل: الأقباط والمشاركة الوطنية في العصر الحديث (دراسة تاريخية وثائقية)، منتدى الشرق الأوسط للحريات، القاهرة ٢٠١٥م، ص ٥٣.

(٣) زكريا السرياني (الراهب): القداس الإلهي، مراجعة وتقديم الأنبا رافائيل، دير السريان ٢٠٠٥م، ص ١٣-١٨.

ويذكر أن الآلة الموسيقية لا تصاحب هذه الألحان في الليتورجيا المقدسة (القداس الإلهي)، وهو أسلوب عرف في الكنيسة القبطية وانتشر في العالم باسم «أكابيلا» (Acappella) الأسلوب الذي اشتهر به الموسيقىار «بالستريا» في القرن السادس عشر، وقد يصاحب الألحان الفرائحي، آلة الناقوس Cymbals والمثلث Triangle لضبط الإيقاع، ولإعلان حالة الفرحة التي تعيشها الكنيسة في هذه المناسبة، إلا أنه يمكن تقديم هذه الألحان بالآلات الموسيقية خارج الليتورجيا المقدسة^(١).

ولم يفت الرحالة الزائرين لأديرة وادي النظرون حضور القداس الإلهي بكنيسة الدير، ولذلك سجل لنا بعضهم طقوس هذا السر العظيم فذكر الأب كلود سيكار (١٦٧٧-١٧٢٦م) أن رهبان دير القديس مقاريوس كانوا يقيمون القداس كل يوم أحد، وأيام الأربعاء والجمعة خلال الأصوام في السنة، فيما عدا ذلك كانوا يقيمون قداسًا واحدًا هو يوم الأحد من كل أسبوع^(٢). وربما ليتنى للآباء الشيوخ ساكني المغارات البعيدة عن الدير حضور القداس. أما حاليًا فيقام كل يوم قداس وربما أكثر من قداس في ذات اللحظة، وذلك يرجع إلى كثرة الرهبان والعاملين بالإضافة لكثرة الزائرين والكنائس بالأديرة.

وتبدأ صلاة القداس الإلهي من عشية اليوم السابق للقداس، وقد جرت العادة أن يدخل الكهنة والشمامسة والشعب إلى الكنيسة جماعات وأفراد بكل خشوع وتقوى وأدب وتوقير، قاصدين الصلاة والطلبه وتمجيد الله في صلاة عشية أو صلاة نصف الليل، أما صلاة عشية أو (المساء) فإنهم أول كل شيء يصلون صلاة المزامير، وبعدها يقول المرتلون المزمور رقم (١١٦)، بلحنه المعروف أو دمجًا ويقولون من هوسات التسبحة الأربع، الهوس الرابع^(٣) وهو المزمور رقم ١٤٨، و١٤٩، و١٥٠ قبطيًا، ثم إبصالية الحاضر إن كان عيدًا سيديًا أو غير سيدي أو صومًا، وإن كان لم يكن شيء من ذلك فيقولون الإبصالية السنوية لليوم الحاضر من

(١) جريدة وطني: بتاريخ ٧ يوليو ١٩٩٦م، ص ٨.

(٢) هيو ج. ج. إيفلين هويت: المرجع السابق، ص ١٦٥.

(٣) الهوس الرابع: وهو المزمور رقم ١٤٨، و١٤٩، و١٥٠.

الأسبوع إن كان السبت أو غيره. ثم يقولون تذاكية أو تذاكية (ثيوطوكية) ^(١) اليوم الحاضر من الأسبوع، وبعدها يقولون الدفنار ^(٢) الذي لليوم التالي من الشهر، وبعدها يقال الأربعاء التذاكيات الواطس ^(٣) فقط التي هي تذاكيات الأربعاء والخميس والجمعة والسبت. ثم يتبدى الكاهن برفع بخور عشية، وبعدها يتم استكمال القراءات الخاصة بالعشية، وهنا تتلى الصلاة بالألحان؛ والعشية هي جزء لا يتجزأ من اليوم التالي أي يوم القداس، وأن صلاة عشية العيد وألحانها وإنجيلها تكون موافقة ليوم العيد الآت. وبعد صلاة العشية، تبدأ صلاة نصف الليل في كل أيام السنة فإنهم أول كل شيء يصلون صلاة المزامير التي لنصف الليل خاصة. وبعدها يقول المرتلون التسبحة قبطياً ^(٤).

وقد ذكر الرحالة الألماني قسطنطين تشيندورف، أنه حضر القداس الإلهي بدير القديس مقاريوس وهو يتفق تماماً مع ما وصفه الرحالة تشارلز سنونيني، حيث كتب تشيندورف قائلاً: «حضرت قداساً امتد إلى أكثر من ثلاث ساعات» ^(٥). وكانوا يتدئون صلاة القداس بصلاة

(١) ثيوطوكوس: كلمة يونانية تعني والدة الإله، والمقصود بها ما يخص والدة الإله أو ما يقال لها، وهي تساوي كلمة تذاكية، أو تاودوكية، وتكتب أيضاً تذاكية، والثيوطوكية نهي عبارة عن مديح وتطويب للقديسة العذراء مريم لأنها ولدت لنا الله الكلمة المتجسد. ولكل يوم من أيام الأسبوع ثيوطوكيته الخاصة به.

(٢) الدفنار: هو كتاب به شرح و مديح لقديس اليوم، وهو نفس فكرة السنكسار، ولكن بطريقة ملحنة وباللغوياني يقصد بها صوت مقابل صوت أو مجموعة تقابل مجموعة، والدفنار يستخدم في التسبحة ويحكي سيرة قديس اليوم ولكن بطريقة فيها لحن.

(٣) الواطس أو لحن فاطوس: وهي تستق من كلمة «فاطوس»، «فاطس»، «باطوس»، ومعناها «العُليقة»، وُسِّمَت كذلك لأنها وقعت على تذاكية الخميس، والتي مطلعها (العليقة التي رآها موسي النبي في البرية والنيران مشتعلة فيها ولم تحترق أغصانها) والواطس نغمة للحن ولكن تكون أطول من النغمة الآدام، ويُقال بهذه النغمة أيام الأربعاء، الخميس، الجمعة، السبت. أما لحن آدام هي نغمة صغيرة وقصيرة لبعض ألحان التسبحة، مثل الإبصاليات والتذاكيات والذكصولوجيات. ويقال بهذه النغمة أيام الأحد، الإثنين، الثلاثاء، وتشير إلى آدم. وُسِّمَت كذلك لأنها وقعت على أول تذاكية يوم الإثنين والتي مطلعها (آدم فيما هو حزين سر الرب أن يردّه إلى رئاسته). ونغمة الآدام هي نغمة أقصر من نغمة الواطس.

(٤) دير السيدة العذراء (المحرق): كتاب الخولاجي، المرجع السابق، ص ١-٣.

(٥) هيو ج. ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص ١٨٠-١٨١.

باكر، فيصلي الكاهن أوشتي المرضى والمسافرين في جميع أيام الأسبوع ما عدا الأحد (يوم الرب ليس فيه سفر)، لا يصلي أوشتي المسافرين، أما في الآحاد والأعياد السيديّة (ملك لله) يصلي الكاهن أوشتي المرضى والقرايين، لأن الكنيسة تفترض أن ليس أحد يسافر في هذه الأيام للتفرغ للصلاة. وهنا يجب أن نسجل أن الحمل (القربانة) لا يدخل إلا بعد رفع بخور باكر مع لحن (تين أو أوشت) وهو شبيه باللحن العسكري، أما في الأعياد يقدم الحمل مع لحن (إيؤورو) ولا يدخل طبق الحمل إلى الهيكل فالذي يدخل إلى الهيكل (القربانة الحمل) فقط وليس بدم تيوس وعجول بل بدم نفسه دخل مرة واحدة إلى الأقداس فوجد فداءً أبدياً^(١).

وهنا لا بد أن نسجل أن قربان الحمل الذي يتم اختيار قربانة واحدة منه وهي التي تعرف بـ(قربانة الحمل)، لا بد أن يكون بمواصفات معينة، حيث لا بد من أن يتأكد الكاهن من أن خبز القربان الذي يقدم ليرفع على المذبح خبز يومه، ولا يبيت إلى الغد، ولا يكون مكسوراً، بل سالمًا من العيوب، وعدد القرايين المقدمة للحمل إذ يجب أن يكون العدد فردياً (٣، ٥، ٧، ..) وتكون الثلاثة ثقب الموجودة بالقربانة عن يمين الكاهن الخديم^(٢)، وهذا ما أكدته الرحالة الأب كلود سيكار (١٦٧٧-١٧٢٦م) الذي زار أديرة وادي النطرون حيث ذكر قائلاً: «يوجد فرن خاص كما في سائر الأديرة والكنائس القبطية لخبز القربان المستعمل في الافخارستيا (القداس الإلهي)، وهو يعمل على شكل كعك مستدير صغير»^(٣). أما قسطنطين تشيندورف فقد ذكر في ذلك السياق قائلاً: «وأن هذا الخبز - القربان - يصنع على شكل أرغفة مستديرة مثل كعكة صغيرة في حجم كف اليد..، ويختم على قمته (على السطح العلوي) بصليبان كثيرة. وتؤكل إحداها على المذبح، والباقي يوزع بين الجماعة بعد القداس»^(٤).

(١) الكتاب المقدس: (عب ٩: ١٢).

(٢) بنيامين، الأنبا: القداس الإلهي في اللاهوت الطقسي، موقع الأنبا تكلا.

<https://st-takla.org/Coptic-Faith-Creed-Dogma/Coptic-Rite-n-Ritual>

(٣) هيو ج. ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص ١٦٥.

(٤) نفسه: ص ١٨٠-١٨١.

وكان الكاهن قبل تقديم الحمل يغسل يديه ثلاثة دفعوع، وهو يقول في المرة الأولى «تنضح علي بزوفاك فأطهر تغسلني فأبيض أكثر من الثلج»^(١) وفي المرة الثانية «تسمعي سروراً وفرحاً فتبتهج عظامي المتواضعة»^(٢) وفي المرة الثالثة أغسل يدي بالنقاوة وأطوف بمذبحك يا رب لأسمع صوت تسييحك^(٣) ثم يجفف يديه جيداً في ستر كتان نظيف. وبعدها يأخذ الكاهن اللفافة المعدولة من فوق الصينية، ويضعها على رأسه أو على يده اليسرى في كم التونية^(٤). ويأخذ الصليب بيده اليمنى ثم يتقدم ويقف على باب الهيكل ووجهه على الغرب، وأمامه طبق الحمل يحمله أكبر الموجودين رتبة إكراماً للحمل وعلى يمينه شماس يمسك بقارورة الخمر، بعد ذلك يأخذ الكاهن القارورة من الشماس ويستبرئها، ويشارك معه الكاهن أو الشماس، الذي يحمل طبق الحمل والشماسين اللذين يحملان دورق الماء وقارورة الخمر إذ يجب أن يتأكد من نقاوة الأباركة (apaxh)، وعدم ميلها للتخليل وألا تكون الأباركة من الخمور المطبوخة بالنار^(٥). وقد أكد الرحالة الألماني قسطنطين تشيندورف أن قارورة الخمر التي تستخدم في سر التناول أو الإفخارستيا على وجه الخصوص ليست من النبيذ، حيث ذكر قائلاً: «فبدلاً من النبيذ يستعملون عصير عنب سميك، ظننت أنا نفسي أنه زيت»^(٦).

يضع الكاهن يديه متقاطعتين على هيئة صليب على أن تكون اليد اليمنى فوق اليد اليسرى على مثال بركة يعقوب لابني يوسف^(٧) وهو يقول: «ليختار الله له حملاً بلا عيب» ويأخذ قربانتين بيديه ويبدأ يفحصهما لاختيار أحسنهما. فإن كانت الأفضل هي التي في اليد اليمنى يضع القربانة التي في يده اليسرى في الطبق، ثم يأخذ بيده اليسرى قربانة أخرى، ويقارنها

(١) الكتاب المقدس: (مز ٥٠: ٧).

(٢) الكتاب المقدس: (مز ٥٠: ٨).

(٣) الكتاب المقدس (مز ٢٥: ٦-٧).

(٤) دير السيدة العذراء (المحرق): كتاب الخولاجي، المرجع السابق، ص ١٧٣.

(٥) بنيامين، الأنبا: القداس الإلهي في اللاهوت الطقسي، موقع الأنبا تكلا.

<https://st-takla.org/Coptic-Faith-Creed-Dogma/Coptic-Rite-n-Ritual>

(٦) هيو ج. ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص ١٨٠-١٨١.

(٧) الكتاب المقدس: (تك ٤٨: ٤).

بالقربانة التي في يده اليمنى فإن كانت القربانة التي في يده اليسرى أفضل، ينقلها إلى يده اليمنى وينقل التي في يده اليمنى لليسى، مع ملاحظة أن تكون القربانة الأفضل أي المختارة من فوق في أثناء عملية النقل من يد إلى الأخرى ويضع الأخرى غير المختارة في الطبق ويأخذ غيرها ليعمل مقارنة كما سبق شرحه، مكرراً هذه العملية مع كل القربان الموجود في طبق الحمل حتى يختار أفضل قربانة من حيث سلامة الإسبديقون^(١)، وعدد الثقوب وعدم وجود تشققات واستدارتها، وعدم وجود أي شيء لصق بها في أثناء الخبز واختيارها جيداً ووضوح الختم ووجوده في مركز القربانة^(٢). وبعد اختيار أفضل قربانة يلامس جانبها مع باقي القربان مع ملاحظة أن القربانة المختارة تكون في يده اليمنى وتكون معدولة دائماً أي لا تقلب^(٣). أما باقي قربان الحمل فيوزعه الكاهن عقب خدمة القداس الإلهي، وهذا ما أكدته الرحالة تشارلز سونيني (١٧٥١-١٨١٢م) الذي زار أديرة وادي النطرون حيث ذكر قائلاً: «خلال القداس الإلهي يبارك القس قربان الحمل الصغيرة المستديرة المخبوزة. ويختار قربانة واحدة للإفخارستيا، أما القربان الآخر فيوزعه عقب انتهاء خدمة القداس»^(٤).

بعد ذلك يأخذ الكاهن اللفافة من كفه أو من فوق رأسه ويضعها على راحة يده اليسرى، بحيث تكون اللفافة مقلوبة ويضع فوقها القربانة المختارة ويمسحها باللفافة مسحاً جيداً من فوق وأسفل؛ بشرط أن لا يقبلها في أثناء المسح بل يحرك حولها اللفافة وينفض اللفافة مما علق بها من دقيق، ثم يعدل اللفافة على يده اليسرى ويضع فوقها القربانة، بحيث تكون الثلاثة ثقوب عن يمينه، ثم يبلل إبهام يده اليمنى بالخمير، وذلك يوضع إصبعه على فوهة القارورة،

(١) الإسبديقون: أو إسباديكون، اسبوتيكون، ازباديقون وهي كلمة مُعَرَّبَةٌ عن الكلمة اليونانية، أي الخاص بالسيد الرب أي السيدي. وتطلق على الجزء الرابع الموجود في وسط القربانة، والذي يشير إلى السيد المسيح له المجد وتُغمَس في الكأس.

(٢) دير السيدة العذراء (المحرق): كتاب الخولا جي، المرجع السابق، ص ١٧٣.

(٣) بنيامين، الأنبا: القداس الإلهي في اللاهوت الطقسي، موقع الأنبا تكلا.

<https://st-takla.org/Coptic-Faith-Creed-Dogma/Coptic-Rite-n-Ritual>

(٤) هيو ج. ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص ١٦٩.

وهي في يد الشماس ثم يرشم بإصبعه وجه القربانة المختارة، وهو يقول: «ذبيحة مجد»، ثم يرشم القربان ذبيحة بركة، ذبيحة إبراهيم، ذبيحة إسحق، ذبيح يعقوب، ثم يرجع ويرشم ظهر القربانة المختارة وهو يقول ذبيحة ملكي صادق (دون أن يقبلها) بعد ذلك يأخذ الكاهن الخديم الصليب من طبق الحمل وييده الأخرى القربانة المختارة موضوعة فوق اللفافة ويصافح الكاهن الذي يحمل طبق الحمل ويقول له: «أخطأت حاللني» مستأذناً بالانصراف إلى الهيكل، أما إن كان شماساً يحمل طبق الحمل فيقول له: «أخطأت، سامحني»^(١).

بعدها يدخل الكاهن إلى المذبح وفي يده قربانة الحمل واللفافة والصليب، يضع اللفافة والصليب على المذبح ويبل أطراف أصابع يده اليمنى بالماء ويمسح بها القربانة من فوق ومن أسفل ومن جميع جوانبها على مثال عماد السيد المسيح. وفي أثناء مسح القربانة بيد الكاهن يقول: ”أعط يا رب أن تكون مقبولة أمامك ذبيحتنا عن خطايي وجهالات شعبك، لأنها طاهرة كموهبة روح القدس بالمسيح يسوع ربنا هذا الذي له..“. ثم ينسكب على الحمل الذي بيده في صلاة سرية عميقة يذكر فيها خطايا شعبه ومشكلاتهم وأمراضهم والمسافرين والراقيدين والحزاني، وكل من طلب منه الصلاة من أجل موضوع معين... وتسمى هذه الصلوات بالتذكارات. ويختتم هذه التذكارات بالصلاة عن المسيحيين عمومًا قائلاً ”اذكر يا رب عبيدك المسيحيين الأرثوذكسيين كل واحد باسمه وكل واحدة باسمها. اذكر يا رب أبي وأمي وإخوتي وأقاربي الجسديين وآبائي الروحيين الأحياء منهم احفظهم بملاك السلامة، والراقيدين نيحهم. اذكر يا رب ضعفي أنا المسكين واغفر لي خطايي الكثيرة“^(٢). وبعد انتهاء التذكارات السابقة يصلي الكاهن سرًا مقدمات الثلاث أوأش الصغار وهي السلامة، والآباء، والاجتماعات^(٣)، ويمسك الكاهن القارورة بيده اليسرى ويضعها على أول قربانة من ناحيته

(١) بنيامين، الأنبا: القداس الإلهي في اللاهوت الطقسي، موقع الأنبا تكلا.

<https://st-takla.org/Coptic-Faith-Creed-Dogma/Coptic-Rite-n-Ritual>

(٢) دير السيدة العذراء (المحرق): كتاب الخولاجي، المرجع السابق، ص ١٨٠.

(٣) بنيامين، الأنبا: القداس الإلهي في اللاهوت الطقسي، موقع الأنبا تكلا.

<https://st-takla.org/Coptic-Faith-Creed-Dogma/Coptic-Rite-n-Ritual>

ويرشم ذاته بالصليب «خين إفران...» ثم يرشم على الخبز والخمر الثلاثة رشومات المعروفة ثم يمسك القارورة بيده اليمنى، ويرشم بها الحمل على هيئة صليب وهو يقول ”مجدًا وإكرامًا، إكرامًا ومجدًا، للثالوث القدوس الآب والابن والروح القدس...». ثم يعطي قارورة الخمر للشماس ويضع الصليب في طبق الحمل^(١).

بعدها يدخل الكاهن إلى المذبح وفي يده قربانة الحمل واللفافة والصليب، يضع اللفافة والصليب على المذبح ويبل أطراف أصابع يده اليمنى بالماء ويمسح بها القربانة من فوق ومن أسفل ومن جميع جوانبها على مثال عماد السيد المسيح. وأثناء مسح القربانة بيد الكاهن يقول: «أعط يا رب أن تكون مقبولة أمامك ذبيحتنا عن خطايي، وجهالات شعبك، لأنها طاهرة كموهبة روحك القدوس بالمسيح يسوع ربنا هذا الذي له...». ثم ينسكب على الحمل الذي بيده في صلاة سرية عميقة وتسمى هذه الصلوات بالتذكارات. ويختتم هذه التذكارات بالصلاة عن المسيحيين عمومًا قائلاً: ”أذكر يا رب عبيدك المسيحيين الأرثوذكسين كل واحد باسمه وكل واحدة باسمها. اذكر يا رب أبي وأمي وإخوتي وأقاربي الجسديين وآبائي الروحيين الأحياء منهم احفظهم بملاك السلامة، والراقيدين نيحهم. اذكر يا رب ضعفي أنا المسكين واغفر لي خطايي الكثيرة“.

وبعد انتهاء التذكارات السابقة يصلي الكاهن سرًا مقدمات الثلاث أوashi الصغار، بعد ذلك يستكمل الكاهن الصلاة بدورة الحمل والرشومات وصلاة الشكر، ويقول أوشية المقدمة وتحليل الخدام، بعدها يبدأ قداس الموعوظين حيث دورتا بخور البولس^(٢) والإبركسيس وقراءة كلاهما، يقرأ السنكسار بعد الإبركسيس ويلاحظ في الخمسة عشر يومًا الأولى من الشهر يقول: «أحسن الله استقباله»، وفي الخمسة عشر يومًا الأخيرة من الشهر يقول «أحسن الله انقضاءه»، وقد جرت العادة ألا يقرأ السنكسار في فترة الخماسين بل تحمل مكانه دورة القيامة^(٣). ثم بعد

(١) دير السيدة العذراء (المحرق): كتاب الخولاجي، المرجع السابق، ص ١٨١.

(٢) بعد قراءة البولس يتم قراءة الكاثوليكون، ثم الإبركسيس، ثم السنكسار.

(٣) بنيامين، الأنبا: القداس الإلهي في اللاهوت الطقسي، موقع الأنبا تكلا.

ذلك أوشية الإنجيل والأواشي الكبار وهي أوشية السلام وأوشية الآباء وأوشية الاجتماعات. ثم يقول الكاهن قانون الإيمان وصلاة الصلح في القداس الباسيلي، وبعدها يبدأ فيما يعرف بقداس المؤمنين ويقول هنا قطعة «مستحق وعادل»^(١) وبعدها يرشم ثلاثة رشومات وهو يقول «آجيوس»^(٢).

وبعد ذلك يضع الكاهن يد بخور في المجرمة، وهو يقول: «تجسد وتأنس»، وعندما يقول: «نزل إلى الجحيم من قبل الصليب»، ينحني الكاهن بخشوع واضعاً يديه على صدره على مثال الصليب ويقبل المذبح. ثم يصلي الكاهن قطعة «نوقام من الأموات...» وعندما يقول «ويعطي كل واحد حسب أعماله» يقرع على صدره بخشوع ثلاث مرات نادماً علي خطاياها. وبعدها يواصل الكاهن الصلاة بصلاة التقديس، وهنا يشير الكاهن بيديه إلى الخبز، وهو يقول: «لأن كل مرة تأكلون من هذا الخبز»^(٣). ثم يشير على الكأس عندما يقول «وتشربون من هذه الكأس». بعد ذلك يركع الكاهن أمام المذبح ساجداً باسطاً يديه على المذبح، وهو يقول سرّاً أوشية حلول الروح القدس، حيث يذكر قائلاً: «نسألك أيها الرب إلهنا نحن عبيدك غير المستحقين ونسجد لك بمسرة صلاحك». وعندما يقول «ليحل روحك القدوس علينا» يشير إلى ذاته وعندما يقول: «وعلى هذه القرايين الموضوع» يشير إلى الخبز والخمر، ثم يكمل «ويطهرها ويحولها ويظهرها قدساً لقدسيك»، وبعد ذلك يقوم الكاهن ويرشم الخبز ثلاث رشومات بسرعة، ويواصل الصلاة ثم يركع أمام المذبح ويصلي سرّاً، ثم يقف ويقول جهراً «وحياة أبدية لمن يتناول منه» ثم يغطي الكأس ويأخذ اللفائف على يديه ليبدأ في صلاة الأواشي والمجمع والترحيم^(٤).

(١) حسب ترتيب القداس الباسيلي.

(٢) لمزيد من التفصيل انظر: دير السيدة العذراء (المحرق): كتاب الخولاجي، المرجع السابق، ص ٢٢٧-٢٨٣.

(٣) بنيامين، الأنبا: القداس الإلهي في اللاهوت الطقسي، موقع الأنبا تكلا.

<https://st-takla.org/Coptic-Faith-Creed-Dogma/Coptic-Rite-n-Ritual>

(٤) لمزيد من التفصيل انظر: دير السيدة العذراء (المحرق): كتاب الخولاجي، المرجع السابق، ص ٢٨٥-٣٣٠.

وبعدها يصلي الكاهن أولئك يا رب، واهدنا إلى ملكوتك، والقسمة المقدسة (الجسد المقدس والدم الكريم) وفي نهاية القسمة يصلي جميع الحاضرين الصلاة الربانية، ويصلي الكاهن صلاة الخضوع والتحليل، ورشومات ما قبل الاعتراف والاعتراف، ثم يعطي السلام للشعب قائلاً: «السلام لجميعكم». بعد ذلك يعيد رشم الجسد وصبغ الجروح بالإسبديقون مرة ثالثة وهو يقول: «مقدس وكريم جسد ودم حقيقي....» بعد ذلك يقلب الكاهن الإسبديقون ويحمله بين أصابعه مقلوباً ويرفعه إلى الكأس ويرشم به الدم ثم يضعه في الدم مقلوباً. وهو يقول «جسد ودم عمانوئيل إلهنا»^(١). بعد ذلك يغطي الكأس ويرفع الصينية على يديه ويقول الاعتراف وعندما ينتهي منه يضع الكاهن الصينية في مكانها على المذبح ويركع أمام المذبح ويصلي الصلوات السرية وهي «كل مجد وكل كرامة....»، «يا رئيس الحياة...»، «واجعلنا مستحقين....» ثم «حل واغفر واصفح لنا» ثم «يا أبانا الذي في السموات» وفي أثناء الصلوات السرية التي يصليها الكاهن يمسك الشماس بيده اليمنى صلياً وبيده اليسرى شمعة موقدة ووسطها لفافة يضعها أمام عينيه ويقول اعتراف الشماس ويبدأ بعد ذلك التناول^(٢).

والحقيقة التاريخية أن الرحالة تشارلز سونيني، وصف لنا الأوضاع في أثناء توزيع الجسد والدم (التناول) حيث ركز على عدم النظام في الخدمة فذكر قائلاً: «فهم غالباً لا يعرفون ما ينبغي أن ينشدونه، فهذا ينشد ترنيمة أو مزموراً، وآخر تلك، فيحدث بسبب ذلك نزاع، بينما يرتل ثالث صلاة يتبعها الخورس، وهكذا ينهون الصراع، وفي خلال الخدمة لا يقف المجتمعون ولا يجلسون ولا يركعون، فهم يقفون على أقدامهم.. ويسندون أحقاءهم بالحائط، وينحنون بأجسادهم إلى الأمام مستنديين على عصا على شكل حرف (T) وأوانيهم المقدسة. لا شيء سوى صوانٍ زجاجية من نوع معين، وهم يقدسون الخبز العام، وهذا يقطعه الكاهن إلى قطع صغيرة ويخلطها بشبه ماء مقدس.. ويأكلوا ملء معلقة منه، ثم يناولهم بنفس الطريقة بالمعلقة، وفي أثناء صلاة القداس، يرتدي القس قميصاً لونه أبيض وقلنسوة عليها صلبان صغيرة. وفي خلال

(١) بنيامين، الأنبا: القداس الإلهي في اللاهوت الطقسي، موقع الأنبا تكلا.

<https://st-takla.org/Coptic-Faith-Creed-Dogma/Coptic-Rite-n-Ritual>

(٢) دير السيدة العذراء (المحرق): كتاب الخولاجي، المرجع السابق، ص ٣٣١-٣٥١.

الصلوات الأخرى يتميز القس عن الشماسة والعلمانيين، فقط بشرط من الكتان الأبيض الذي عليه صلبان، يلف نصفه حول رأسه مثل عمامة، ويتدلى طرفاه، جزء من أمام، وجزء من خلف، وبعد نهاية الخدمة، يقبلون أكفان القديسين، فيدلون فيها أيديهم ويمسحونها. والأكفان المذكورة الأخيرة يزعمون أنها تحتوي على رفات سبعة قديسين، بما فيهم مكسيموس ودماديوس. أما العرب فيقولون إنها عظام جمال وحمير جمعها الرهبان من البرية..^(١)

كما وصف لنا الرحالة الألماني قسطنطين تشيندورف، الذي حضر صلاة القديس الإلهي بدير القديس مقاريوس بوادي النطرون، المرحلة الأخير من القديس وهي غسل الأواني وتوزيع البركة، حيث ذكر قائلاً: ”وقد أخذ الكاهن الخديم من الكأس الزجاجية معلقة واشرك معه الشماس الواقف مقابلة ثم مسح الباقي بأصبعه ولعقه، وسكب في الوعاء والصينية الزجاج بعض الماء، وشرب هو والشماس، وأخيراً لمس بيديه المبللتين جميع الإخوة الآخرين^(٢)، على جباههم وخدودهم“. ومن الجدير بالذكر أن تشيندورف حضر إلى القديس مبكراً، وكان واقفاً خارج الهيكل مع الرهبان عند شعيرة الجناح الرئيسي - أي كان معنى ذلك - مستنداً مثل جميع من بجانبه على عصا خشبية بمقبض مستقيم، تدعى عصا مقاريوس، وهي تمثل دائماً حضوره^(٣).

على أية حال، ذكر كل من سونيني وتشيندورف أن الكاهن الخديم ختم صلاة القديس الإلهي بالصلاة الربانية باللغة القبطية، وصرح الكاهن بالانصراف قائلاً: ”محبة الله الأب ونعمة الابن الوحيد ربنا وإلهنا وخلصنا يسوع المسيح وشركة وعطية الروح القدس تكون مع جميعكم، امضوا بسلام الرب معكم. ويجاوبه الشعب قائلين ومع روحك أيضاً^(٤)“. وأكد الأب كلود سيكار وتشيندورف على توزيع الكاهن الخديم القربان غير المكرس بعد القديس الإلهي على الرهبان والأعضاء البارزين من الجماعة^(٥)، بينما ذكر سونيني قائلاً: ”عقب انتهاء

(١) هيوج.ج. إيفلين هويت: المرجع السابق، ص ١٦٩-١٧٠.

(٢) يقصد هنا تشيندورف الشماسة القائمين على خدمة القديس الإلهي.

(٣) هيوج.ج. إيفلين هويت: المرجع السابق، ص ١٦٩-١٧٠.

(٤) دير السيدة العذراء (المحرق): كتاب الخولاجي، المرجع السابق، ص ٢٧٠-٣٧٣؛ الخولاجي المقدس، مكتبة المحبة، القاهرة ١٩٩٩، ص ١٤٣.

(٥) الجماعة: يقصد هنا الجماعة الرهبانية بالدير.

القداس تم توزيع القربان على الحاضرون، ولكن التوزيع لم يحدث قط بدون مشاجرة^(١). وذكر سيكار بعد القداس دعا الكاهن الخديم الحاضرون لتناول الأفطار (الأغابي)^(٢) بالقاعة الموجودة بالدير^(٣).

إدارة أديرة وادي النطرون:

التنظيم الإداري للدير:

١ - رئيس الدير:

وأطلق عليه لقب أرشمندريت "رئيس المتوحدين" وتمييزًا له عن الرهبان القسوس والشمامسة^(٤) منح لقب إيغمانوس^(٥) ومعناها باليونانية المدير، أو أمين الدير، ولم يكن هذا اللقب يمنح للعلمانيين ولكن لرؤساء الأديرة ثم سمح بمنحه للقسوس المتزوجين على شرط أن يكون قمص ماهرًا في كنيسته^(٦) ثم أصبح رئيس الدير منذ عام ١٨٩٧ م، ولأول مرة في تاريخ الرهبنة المصرية يمنح لقب أسقف حيث تم رسامة أيسوزورس أسقفًا^(٧) على دير البراموس،

(١) هيو ج. ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص ١٦٩.

(٢) الأغابي: كلمة يونانية، معناها محبة وتطلق على وليمة المحبة التي كانت تقيمها الكنيسة بعد القداس الإلهي. وهو وليمة للفقراء، يشترك فيها جميع الشعب معًا.

(٣) هيو ج. ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص ١٦٥.

(٤) الشمامسة: ومفردها شماس يطلق على العلمانيين والمبتلين (الرهبان) وهو من يرتدي الملابس البيضاء ويقوم بالخدمة في أثناء القداس، لمزيد من التفصيل انظر: شنودة الثالث، البابا، الكهنوت، المرجع السابق، ص ٧٣.

(٥) إيغمانوس: وتعني بين رجال الأكليروس «القمص» وهي الرتبة التي تلي «القس» لمزيد من التفصيل انظر حبيب جرجس، المدرسة الإكليريكية بين الماضي والحاضر، د.ن، القاهرة ١٩٣٨ م، ص ٨٨.

(٦) رسالة مارمينا: المرجع السابق، ص ١٠٥.

(٧) أسقف: يختص بالإشراف على منطقة دينية بعينها، وهو رئيس تلك المنطقة، ولقد أطلق لقب أسقف على السيد المسيح نفسه: «لأنكم كنتم كخراف ضالة، ولكنكم رجعتم الآن إلى راعي نفوسكم وأسقفها، انظر: الكتاب المقدس، رسالة بطرس الأول، الإصحاح الثاني، آية ٢٥؛ شنودة الثالث، البابا، الكهنوت، المرجع السابق، ص ٦٧.

ولكن التجربة لم تنجح لأنه سعى أن يكون رئيساً لأديرة شيهيت كلها، مخالفاً مبادئ وقوانين الرهبنة، بالسعي وراء المناصب؛ ولذلك تم تجريدته من رتبته بعد أن ثبتت مخالفته^(١).

ومن الشروط الواجب توافرها في رئيس الدير أن يكون من بين أقدم الرهبان سنّاً في الرهبنة بالدير، حيث لا يتولى رئاسة الدير إلا راهب منه^(٢)، وحفاظاً لمبادئ وقوانين الرهبنة وممن تتوفر فيهم اللياقة والخبرة والحكمة والاستعداد للقيام بمهام منصبه، ولا يعد هذا الاختيار سارياً إلا بعد موافقة مجمع رهبان الدير وتصديق البطريك على تعيينه^(٣). وقد ذكر الأب كلود سيكار (١٦٧٧-١٧٢٦م) أن جميع الرهبان في الدير يطيعون رئيساً واحداً و يخضعون له وهذه هي قاعدتهم الرئيسة فيكتب سيكار قائلاً: "لقد تهذبت بشدة عندما رأيت هؤلاء المتوحدين يطرحون، أنفسهم عقب خدمتهم في كل مساء، وقبل اعتكافهم في قلايهم، ويطرحون أنفسهم عند قدمي رئيسهم. ويعترفون بأخطائهم له. ويسألونهم الصفح وينالون بركاته"^(٤).

وبالرغم من هذه الشروط فأحياناً كان يتم اختيار رئيس الدير دون الالتزام بمبادئ الرهبنة وقوانينها، على سبيل المثال عُين القمص يوسف رئيساً لدير الأنبا مقار، الذي ترهب في دير السيدة العذراء بالحرق؛ لأنه شقيق البابا ديمتريوس الثاني البطريك رقم (١١١) (١٨٦٢ - ١٨٧٠م)، مخالفاً بذلك للقوانين المتبعة والتي لا تزال قائمة بين الرهبان^(٥).

ومن أشهر رؤساء أديرة وادي النطرون القمص يوسف رئيس دير الأنبا بشوى^(٦) القديس مار ماروتا بن حبيب التكريتي، في حبرية البابا ألكسندروس الثاني البطريك رقم (٤٣)

(١) مجلة الكرازة: السنة ٢٦، العددان ٤٢٣، ٨ طوبة ١٧١٤ ش/ ١٦ يناير ١٩٩٨، ص ١١.

(٢) وثائق دير السريان: ملف رؤسا الدير، وثيقة رقم ٦١١، ٥ شوال ١٣٠١هـ/ ٢٩ يوليو ١٨٨٤م، انظر: ملحق رقم ١٥، ١٦، ١٧، ١٨.

(٣) وثائق دير السريان: وثيقة ٥٦٦، رمضان ١٢٩١هـ/ أكتوبر ١٨٧٤م؛ نفسه، مذكرة محفوظة بدير السريان بشأن قوانين الرهبنة منذ نشأتها حتى سنة ١٩٢٨، د. ت.

(٤) هيو ج. ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص ١٦٥.

(٥) صموئيل تاو وروس السرياني، المرجع السابق، ص ١١٣.

(٦) محكمة البحيرة: س ١١٦، م ١٠٣، ١٢ ربيع أول ١٢٨٤هـ/ ١٤ يوليو ١٨٦٧م، ص ١١٦، ١١٧ أنظر ملحق رقم ١٨.

(٧٠٤-٧٢٩م). وهو أول رئيس من الرهبان السريان على دير والددة الإله القديسة الطاهرة مريم في برية الأسقيط وذلك سنة ٧٢٠م^(١)، والقمص ميخائيل عبد المسيح رئيس دير السريان في عام ١٨٨٠م^(٢) والقمص بطرس رئيس دير البراموس ١٨٧٤م^(٣) ومنهم من صار بطريركاً مثل القمص ميخائيل المقاري رئيس دير الأنبا مقار الذي صار الأنبا ديمتريوس البطريك رقم (١١) (١٨٦٢-١٨٧٠م)^(٤) والقمص يوحنا رئيس دير البراموس الذي صار الأنبا كيرلس الخامس البطريك (١١٢) (١٨٧٤-١٩٢٧م)^(٥). ومنهم من رسم أسقفًا ثم رئيسًا للدير، نذكر على سبيل المثال الأنبا إيسيدوروس البراموسي - لا يزال حتى كتابة هذه السطور أطال الله عمره سنين عدة وأزمة سلامة - أسقف ورئيس دير البراموس، الذي تمت رسامته في ١٤ يونية ١٩٩٢م، وفي ذات اللحظة أصدر قداسة البابا شنودة الثالث، البطريك (١١٧) (١٩٧١-٢٠١٢م) قرارًا بتوليته رئيسًا للدير البراموس^(٦)، وأيضًا الأنبا أيفانيوس المقاري، أسقف ورئيس دير الأنبا مقار، الذي تمت رسامته أسقفًا في ١٠ مارس ٢٠١٣م، وفي ذات اللحظة صدر قرار من البابا "تواضروس الثاني" البطريك رقم (١١٨) (منذ عام ٢٠١٢م) حتى كتابة هذه السطور أطال الله عمره سنين عدة وأزمة سلامة^(٧).

وقد تعددت مهام رئيس الدير، فكان منها تنفيذ تعليمات البطريك، ومشاركته الاجتماع السنوي الذي كان يعقد لرؤساء أديرة مصر بالبطيركية بالقاهرة ومقرها الأزبكية، فكان متحدثًا رسميًا باسم دير^(٨) وكان عليه توزيع الإخوة الراغبين في الرهبنة على شيوخ ومعلمي

(١) http://www.st-mary-alsourian.com/index.php?option=com_content&view=article&id.

(٢) محكمة البحيرة: س ١٦٥، م ٧٧٧، صفر ١٢٩٧هـ / ٢٠ يناير ١٨٨٠م / ص ١١٣-١١٤، انظر: ملحق رقم ١٥.

(٣) وثائق دير السريان: ملف رؤساء الدير، وثيقة رقم ٦٠٧، ذو الحجة ١٢٩١هـ / ديسمبر ١٨٧٤م.

(٤) عمر طوسون: المرجع السابق، ص ١٨٣، انظر: ملحق رقم ١٦.

(٥) صموئيل تاوضروس السرياني: المرجع السابق، ص ١٩٥.

(٦) انظر: ملحق رقم ١٧ <https://st-takla.org/Saints/bishops/alif/isodoros-baramous.html>

(٧) مجلة الكرازة: العدد ١٣ و ١٤، السنة الحادية والأربعون، بتاريخ الجمعة ٢٧ برمهات ١٧٢٩ ش / ٥ إبريل ٢٠١٣م.

(٨) وثائق دير السريان: وثيقة ١٢١٤، ٥ نوفمبر ١٩٠٥؛ توفيق إسكاروس، نواب الأقباط ومشاهيرهم؛ ج ٢، مطبعة التوفيق، القاهرة ١٩١٣، ص ٣١٢.

الدير لتدريهم على الصلاة والصوم وقراءة الكتاب المقدس والتساييح والطقوس ومتابعتهم لاختيار أفضلهم لرسامته راهبًا بالدير، وفض ما ينشأ من مشكلات بين الرهبان^(١).

ومن واجباته أيضًا أن يقوم بضبط الإيرادات والمصروفات لتوفير التزامات الدير من المؤن والملابس والقناديل والشموع وأدوات المذبح وتوزيع الهبات والإعانات على الفقراء والمحتاجين والجمعيات الخيرية^(٢) وعليه عمل كل ما يلزم للمحافظة على مباني الدير وأملاكه والسهر على راحة رهبانه، ولا ينفرد بالسلطة دون الرجوع للبطريرك أو القائم مقامه^(٣).

٢- وكيل الدير:

وكان يختاره رئيس الدير من بين رهبانه، ومن شروط تعيينه أن يكون حسن السير والسلوك، وذا خبرة بإدارة الحسابات والأموال، حيث كان مسئولاً عن أوقاف الدير من أراض وعقارات^(٤) وكان مقره عزبة الدير، فعلى سبيل المثال كان القمص تاووروس السرياني يقيم بأتريس^(٥) والقمص أندراوس رئيس دير الأنبا بشوي بكفر داود^(٦).

٣- أمين الدير:

ويعرف بأقنوم^(٧) الدير أو الربيطة^(٨) وتعيينه من اختصاص رئيس الدير وبموافقة مجمع رهبانه وعليه أن يخطر البطريرك أو القائم مقامه بتعيينه، ومهمته أن يؤدي أعمال الرئيس في حالة غيابه، ويوزع الأعمال الشهرية على الرهبان كل حسب تخصصه، ويشرف على خزائن

(١) يوحنا كاسيان: المرجع السابق، ص ٤٤.

(٢) وثائق دير السريان: وثيقة ١٤٥٦، ٢٦ ديسمبر ١٨٨٥ م.

(٣) نفسه: وثيقة ١٣٦١، ٧ ديسمبر ١٨٩٦ م.

(٤) نفسه: وثيقة ٢١٠٨، ٨ صفر ١٢٢٥ هـ / ١٠ فبراير ١٨١٣ م.

(٥) نفسه: وثيقة رقم ٤٨٨، ٣ جمادى الأولى ١٢٩٦ هـ / ٢٥ إبريل ١٨٧٩ م.

(٦) نفسه: ٤٦٢، ٢٠ برمهات ١٦٠٨ ش / ١٨٩٢ م.

(٧) أقنوم: كلمة يونانية محرفة من أيوكونوموس ومعناها متصرف أو رب بيت، انظر: عبد المسيح المسعودي، المرجع السابق، ص ١٧٩.

(٨) الربيطة: هي كلمة سريانية معربة من (راب بيتا) ومعناها كبير البيت، نفسه، ص ١٧٨.

الدير وأثاثاته ومكتبته وحديقته والراغبين في الرهبنة، ويشارك الرئيس في اختيار ورسامة الرهبان^(١) وقراءة سير القديسين من كتاب "بستان الرهبان" في أثناء تناول الرهبان وجبة الإفطار بعد صلاة قداس الأحد من كل أسبوع^(٢). وأيضًا كان يقوم بمساعدة الرحالة الزائرين للدير أو بمعنى آخر مرشد سياحي، فقد ذكر الرحالة فانسلب قائلًا: "لقد أخبرني ربيته أحد الأديرة بنقاط عديدة ذات أهمية كان أولها طريق الملائكة الذي يقع بين دير الأنبا مقاريوس والأنبا يشوي"^(٣).

٣- خازن الدير:

وتعيينه من اختصاص رئيس الدير والربيته، حيث يشترط أن يكون أمينًا ومنظمًا وحافظًا لخزائن الدير، يعطى ما يؤمر به ببشاشة وقلب سليم، ولا يكون محبًا للنجاح والأكل والشرب وحده دون إخوته (الرهبان) على مائدة الوسط المعروفة بجمعهم^(٤) ولا يستخف بأحد من الوافدين بل يكرمهم بما عنده، وأن يعتني بالمؤمن حتى لا تتعرض للفساد، ولا يقدم أطعمة فاسدة مهما كانت قيمتها، ولا يصرف شيئًا مما في عهده جليلاً كان أو حقيراً إلا بأمر الأمين للدير^(٥).

٤- القندلفت:

وهو خادم يعرف الآن بالأديرة باسم الكنسي، مسئول عن السرج (القناديل) ويوقدها باستمرار، وتظل الأنوار دائمة في الكنيسة لأن الكنيسة لدى المسيحيين هي نور العالم هي المنارة - كما سميت في سفر الرؤيا^(٦) - يستنير بها الناس، كما أضيف إلى وظيفته مهام أخرى منها إنارة الشموع على المذبح وأمام أيقونات القديسين، وتنظيم ونظافة الكنيسة عقب صلاة القداس^(٧).

(١) وثائق دير السريان: وثيقة رقم ٦٠٥، ١٦١٣ ش / ١٨٩٧ م.

(٢) عمر طوسون: المرجع السابق، ص ١٧٤.

(٣) هيو ج. ج. إيفلين هويت: المرجع السابق، ص ١٥٩.

(٤) يوحنا كاسيان: المرجع السابق، ص ٥٢.

(٥) رسالة مارمينا: المرجع السابق، ص ١٠٨.

(٦) الكتاب المقدس: رؤيا يوحنا اللاهوتي، إصحاح ٢٢.

(٧) مجلة الكرازة: السنة ٢٣، العددان ٤٥، ٤٦، ٢٦ هاتور ١٧١١ ش / ١٨ ديسمبر ١٩٩٥، ص ١٤.

٥- بواب الدير:

وقد ذكر الرحالة أندريوسي أن الدخول إلى أديرة وادي النطرون لم يكن عن طريق قرع الباب كالعادة، لأن القرع لا يسمعه الرهبان لبعد الباب عنهم، بل العادة في الأديرة أن يعلقوا فوق السور عند باب الدير جرساً غير كبير، وينزلوا منه حبلاً إلى الأرض من خارج السور، فكل من أراد الدخول من الرهبان أو الناس يجذب الحبل فيدق الجرس^(١) وتطلب ذلك أن يكون البواب الموكل باب الدير لين القول للغريب والقريب متواضعاً جداً محتملاً للشيمة غير صياح ولا مستخف بفقر مسرعا لإجابة كل من قرع الباب مكرماً لكل أحد على قدره، لا يصرح له بخروج لأحد الرهبان إلا بأمر رئيس الدير، ولا يدعهم يجتمعون عنده على باب الدير ويجلسون فيتحدثون بالهزل والباطل^(٢).

٦- أمين المكتبة:

يتم اختياره من بين الرهبان، حيث يشترط أن يكون محباً ومشغوفاً بالعلم، مجيداً بعض اللغات مثل القبطية والسريانية واليونانية والإثيوبية والإنجليزية، وذا خبرة بأنواع المخطوطات وطرق الاطلاع عليها، ويتمتع ببشاشة وحكمة في معاملة المترددين من الأخوة والرهبان، مسرعاً في تلبية طلبهم^(٣).

ومن مهامه إعداد فهرس المخطوطات وتصنيفها إلى طقوس وقوانين وميامر^(٤) وتنظيمها والعناية بها؛ بترميمها وصيانتها وتجليد ونسخ المتها لك منها، وتوجيه المترددين على المخطوطات إلى الطرق الاطلاع باستخدام منضدة القراءة وعدم الكتابة على المخطوطة حرصاً

(١) تأليف علماء الحملة الفرنسية: المرجع السابق، ج ٢، ص ٦٣.

(٢) دير السريان: مذكرة محفوظة بدير السريان، بشأن قوانين الرهبة منذ نشأتها وحتى ١٩٢٨ م، د، ص.

(٣) صموئيل تاو وروس السرياني: المرجع السابق، ص ١٥٦-١٦٣، انظر: ملحق رقم ٣.

(٤) ميامر: مفردا ميمر وهي كلمة سريانية معناها قول أو مقالة فتطلق على أنواع كثيرة من الأقوال كالسير والتواريخ والمديح والتمجيدات والوعظ والتعليم، لمزيد من التفصيل انظر: عبد السميع المسعودي، المرجع السابق، ص ١٨٠.

على سلامتها من ضياع النص وتساقط الألوان والزخارف المزينة بها، كما كان عليه أعداد
فهارس المراجع وتصنيفها حسب لغتها وموضوعها ليسهل على الباحث الاطلاع عليها^(١).

وبجانب هذه الوظائف الرئيسية، وجدت وظائف ثانوية نذكر منها:

١- **الطعام:** وهو الذي يعد الطبخ ويدق الناقوس فيأتي الرهبان إلى المطبخ فيأخذ الواحد
كفاية يومه وكل واحد يأكل في قلايته^(٢).

٢- **الطحان:** وهو المسئول عن استلام الغلال من الخازن وتنقيتها وطحنها وتحليلها بالمنخل
لفصل الدقيق عن الردة وخاصة الذي يستخدم في صناعة القربان^(٣).

٣- **الخباز:** وهو المسئول عن مخبز الدير، ومن مهامه توفير الوقود، والتأكد من صلاحية الدقيق
وعدم فساده، وقراءة المزامير أثناء عملية العجن، ومتابعة صناعة الخبز، وتعداده وإرساله
إلى المطبخ^(٤).

٤- **الصلوات:** وكان مسئولاً عن دق الناقوس في الساعة الخامسة في الشتاء وفي الثالثة صيفاً
فيجتمع الرهبان بالكنيسة ويأتي أمين الدير ويفتح الصلاة^(٥).

كما أسندت إلى الرهبان وظائف أخرى مثل دق الجرس وزراعة الحديقة وتنظيف الدير.

مصادر تمويل أديرة وادي النطرون:

تنوعت مصادر التمويل بأديرة وادي النطرون ويأتي في مقدمتها ما كان يكسبه كل راهب
عن طريق استغلال الموارد الطبيعية التي توجد بالدير بإدخالها في صناعات بدائية عن طريق

(١) لمزيد من التفصيل انظر: المادة ١٨، ١٩ من قوانين الرهبان، بالمذكرة المحفوظة بدير السريان بشأن قوانين

الرهبنة منذ نشأتها حتى ١٩٢٨ م، د، ص.

(٢) عمر طوسون: المرجع السابق، ص ١٧٦.

(٣) مرتيوس السرياني، الراهب: تاريخ دير الأنبا يحنس كاما القديم، المرجع السابق، ص ٣٦، ٨٢.

(٤) نفسه: ص ٣٥-٣٦.

(٥) عمر طوسون: المرجع السابق، ص ١٧٦.

عمل يديه مثل السلال والمقاطف من سعف النخيل وقتل الحبال من الليف، والحصير من السمار الذي ينمو بالوادي، ومن الصوف والكتان نسجوا الأقمشة^(١) وقد ذكر الرحالة عمر طوسون أن أحد الرهبان كان يتعهد بتسويق هذه المنتجات بأسواق القرى المجاورة أو استبدال حاجات لمعيشتهم بها، ويعطي ما يتم تحصيله من أموال لرئيس الدير ليتولى الإحسان على الفقراء والبائسين وتدبير مصروفات الدير^(٢).

هذا بالإضافة إلى ما يكتسبه الرهبان في فترة الحصاد، حيث كانوا يذهبون إلى القرى المجاورة للحصاد مقابل حصولهم على أشياء عينية مثل القمح والشعير لتودع في مخازن الدير^(٣) كما شارك بعضهم في اقتلاع النظرون من بحيراته المنتشرة بالوادي مقابل أجر مادي^(٤).

كذلك ما كان يحمله أقباط مصر من النذور والقرايين تبركا وطلباً للشفاء من بعض الأسقام والأمراض والأرواح الشريرة والتي اشتهر بعلاجها بعض شيوخ الرهبان^(٥) بالإضافة إلى رغبة البعض من الأقباط في دفع العشور بأديرة الوادي، تنفيذاً لقول الكتاب المقدس: ”هاتوا جميع العشور إلى الخزنة ليكون في بيتي طعام وجربوني“^(٦) ويضاف إلى ذلك التبرعات التي كان يدفعها الأقباط^(٧).

وأجمع الرحالة الزائرون لأديرة وادي النظرون على أهمية المصادر العينية، حيث ذكروا أن رهبان هذه الأديرة كانوا يعتمدون على التبرعات والهبات العينية من الفول والعدس والقمح

(١) مديرية البحيرة: س ١٠٣٤، وارد ناظر قسم النجيلة، وثيقة ١٣٦، غاية ربيع الأول ١٢٨٥هـ / ٢٢ يوليو ١٨٦٨م، ص ١٢٦؛ هوايت: المرجع السابق، ج ٢، ص ٦٣-٦٤.

(٢) عمر طوسون: المرجع السابق، ص ٧٧.

(٣) رءوف حبيب: المرجع السابق، ص ٨٩-٩٠.

(٤) إلياس الأيوبي: المرجع السابق، المجلد الأول، ص ١٣٣.

(٥) مجلة الكرازة: السنة ٢٣، العددان ١٩، ٢٠، ١١ بشنس ١٧١١ش / ١٩ مايو ١٩٩٥، ص ١٢-١٣؛ نفسه

السنة ٢٨، العددان ١، ٢، ٢٨ كيهك ١٧١٦ش / ٧ يناير ٢٠٠٠م، ص ١٣، ١٢.

(٦) الكتاب المقدس: سفر ملاخي، الإصحاح ٣، آية ١٠.

(٧) محمد عفيفي: الأقباط، المرجع السابق، ص ٢٥٦.

والشعير والعسل الأسود، حيث وصف الرحالة روبرت هنتنجتون أن حياة الرهبان كانت بسيطة وشحيحة وهزيلة وذكر قائلاً: ”في هذه الأديرة يعيش الرهبان مثلما كانوا يعيشون بالكاد حياة الكفاف ويكتفون بالعدس والفول والخبز الذي يلتمسونه من الخارج“^(١). وهذا ما أكدته بعض المصادر حيث ذكرت قائلاً: ”إن المعلم إبراهيم الجوهري كان يتصف بكرمه وعطاياه السخية للأديرة والكنائس الفقراء، فقد أحضر ذات مرة للدير خمسين إردباً من الترمس، ووضعت في أسفل الحصن وما زال بعض قشور هذا الترمس باقية حتي الآن بالحصن“^(٢)، وذلك لأنه كان يعتبر طعام الرهبان عندما يلازمون الحصن“^(٣). كما روي القمص أرمانوس متى عام ١٧٧٩ م قائلاً: ”في بعض الأيام كانت تتأخر القافلة المحملة بالمؤن الخاصة بدير الأنبا بيشوي عدة أسابيع عن موعدها فكان الرهبان لا يجدون ولا حتى الخبز الجاف، ولكنهم كانوا يتشفعون بالقدّيس الأنبا بيشوي لنجدتهم. وفي عهد المعلم إبراهيم الجوهري كان الدير في إحتياج شديد فطلب الأنبا بطرس مطران جرجا من الجوهري إرسال بعض طلبات الدير فأرسلها وكانت تحتوي على العديد من التبرعات العينية وهي قنطارين فسيخ، وقنطارين زيت أسود، وقنطار جبن، وقنطار أرز، وقنطارين دخان، وقنطار زيت، وقنطار عسل، وربع قنطار بن يدق“^(٤).

وهناك منبع اقتصادي آخر وهو ما أحضره الراغبون في الرهبة من مال قد جمعه من بيع أملاكهم وقدموه لرؤساء أديرة الوادي ليبقى تحت تصرفهم تشبهاً بما فعله المسيحيون الأوائل في العهد الرسولي الذين باعوا أملاكهم وقدموا أثمانها للرسول ليكون كل شيء في حياتهم مشتركاً بينهم^(٥).

(١) هيو ج. ج. إيفلين هوايت: المرجع السابق، ص ١٦٠-١٦١.

(٢) كاتب هذه السطور شاهد هذا الحصن وبما يحويه بدير السريان العامر في مطلع القرن الحادي والعشرين.

(٣) سمعان السرياني: المرجع السابق، ص ١٧.

(٤) تأليف أحد رهبان دير الأنبا بيشوي: قصة دير القديس العظيم الأنبا بيشوي بين الأمس واليوم، مراجعة وتقديم الأنبا صرابامون، مطبعة الأنبا رويس بالعباسية، القاهرة ١٩٩١ م، ص ٢٣٩-٢٣٩.

(٥) رءوف حبيب: المرجع السابق، ص ٩٠.

غير أنه بالنظر إلى كل الموارد المالية والعينية سالفة الذكر، كانت أوقاف الأديرة تعتبر من أهم الموارد المالية، وكلها كما لاحظنا عقارات، وكانت نسبة كبيرة منها على دير السريان بوادي النطرون، وما يهمنها هو دور الوقف كمورد مالي لأديرة الوادي، وكان كل نظار أوقاف الأديرة من رهبانها ويعرف أحدهم باسم (وكيل الدير) وغالبًا ما كان يقيم بعزبة الدير ومن أولئك - على سبيل المثال - كان ناظر وقف دير السريان يقيم بعزبة باتريس^(١) وإن كان هناك أكثر من عزبة فيرسل مندوبًا عنه إليها مثلما فعل ناظر الوقف السالف حيث أرسل واحدًا إلى عزبة الدير بجريس بالمنوفية^(٢) وكان ناظر وقف دير الأنبا بيشوي يقيم في كفر داود^(٣) بينما ناظر وقف دير الأنبا مقار يقيم بعزبته باتريس^(٤) وكذلك ناظر وقف دير البراموس يقيم بعزبته بطوخ^(٥).

ومن أوقفوا عقارات على أديرة وادي النطرون كانت الشامية مريم عبد الله التي أوقفت أربعة منازل بالدرب الإبراهيمي بحارة النصرى بالأزبكية بالقاهرة، لصالح دير السيدة العذراء السريان ولفقراء الأقباط^(٦) كما أوقف غبريال عوض الشماع مساحة ٢١ قيراطًا وثلاثًا مقامًا عليها طاحونة فارسي كاملة العدة وصالحة للطحن بحارة النصرى بالأزبكية بالقاهرة، على نفسه، ومن بعده زوجته وبنتها نورة وسيدة وما يستجد من الأولاد ذكورًا أو إناثًا، ثم على ذريتهم، ومن بعدهم على دير السريان وفقراء النصرى^(٧).

وحرصًا على عدم تدخل الدولة في مصادرة أوقاف أديرة وادي النطرون لجأ نظارها إلى كتابة الأوقاف بيعًا وشراءً بأسمائهم، ومن ذلك أن القمص عبد الملاك بقطر السرياني اشترى

(١) وثائق دير السريان: وثيقة ٤٨٣، ١٩ إبريل ١٨٩٥ م.

(٢) معية سنية عربي: دفتر ١٨٨٤، أوامر، أمر كريم إلى روضة البحرين، وثيقة ٧٦، ٢٧ شوال ١٢٧٢ هـ/ أول يوليو ١٨٥٦ م، ص ١٨٨؛ جريدة وطني، عدد ١٨٥٣، ٢٤ صفر ١٨١٤ هـ/ ٢٩ يونية ١٩٩٧.

(٣) محكمة البحيرة: س ١١٦، م ١٠٣، ٢ ربيع أول ١٢٨٤ هـ/ ٤ يوليو ١٨٦٧، ص ١١٦.

(٤) وثائق دير السريان: وثيقة رقم ٦٠٧، غاية ذي الحجة ١٢٩١ هـ/ ٦ فبراير ١٨٧٥ م.

(٥) نفسه: وثيقة ٦٥٢، ٢٥ رجب ١٢٩٣ هـ/ ١٤ أغسطس ١٨٧٦ م.

(٦) نفسه: وثيقة رقم ٢١٣١، ١٠ رجب ١٢٢١ هـ/ ٢٣ سبتمبر ١٨٠٦ م.

(٧) نفسه: وثيقة رقم ٢١٥، ١٠ صفر ١٢٣٧ هـ/ ٦ نوفمبر ١٨٢١ م.

منزلاً بدرب الجنيينة بحارة النصارى بالأزبكية من بئعه يوسف سعد الجواهرجي مقابل مبلغ ٩٧٥ قرشاً رومياً^(١) ومن مظاهر استثمار جهة الوقف شراء عقارات ببال الوقف من خلال الناظر، فعلى سبيل المثال اشترى القس قلته بطرس السرياني منزلاً بدرب الجنيينة بالأزبكية بمبلغ ٢٠٠٠ قرش^(٢).

ولم تقتصر أوقاف أديرة وادي النطرون على العقارات فحسب؛ فقد وجدنا من يوقفون أطياناً، مثلما أوقف جاب الله صليب الباشكاتب بمديرية البحيرة ١٥ فداناً من الأراضي الخراجية بنفس الناحية لصالح كنيسة دمنهور وأديرة وادي النطرون وللفقراء والمساكين من الأقباط^(٣) كما أوقف المعلم أنطون المعروف بأبي طاقية ١٣ فداناً من الأراضي العشورية بناحية قراقص^(٤) لدير البراموس وللفقراء النصارى^(٥).

وهناك من قاموا بوقف العقارات والمحلات والأراضي وقدموا الهبات والتبرعات العينية ورمموا الكنائس والأديرة، نذكر منهم على سبيل المثال: المعلم إبراهيم الجوهري المتنيح في ٣١ مايو ١٧٩٥م الذي يشهد له التاريخ على محبته في تعمير الكنائس والأديرة وإصلاح وترميم وتشيد بعض مباني الخدمات بشتى كنائس وأديرة مصر من شمالها حتى جنوبها، عن طريق علاقته المتواصلة بالحكام المسلمين لطبيعة عمله، كما أوقف الأملاك من أراضي وعقارات ومحلات وأموال عليها حتى بلغ ما أوقفه نحو ٢٣٨ وقفية. ولقد قدم خدمات جليلة لأديرة وادي النطرون نذكر منها أنه شيد سور وقصر وكنيسة في دير البراموس على اسم الأنبا أبللو والأنبا أبيب هدمت سنة ١٨٨١م، وفي دير الأنبا بشوى رمم كنيسة الملاك ميخائيل عام

(١) نفسه: وثيقة رقم ٢١٣٨، ٩ جماد الآخر ١٢٤٨هـ / ٣ نوفمبر ١٨٣٢م.

(٢) نفسه: وثيقة رقم ٢١٠٨، ٨ ذو الحجة ١٢٢٥هـ / ٤ يناير ١٨١١م.

(٣) محكمة البحيرة: س ١١٤، م ١٢، ١٨ جمادى الآخرة ١٢٨٣هـ / ٢٨ أكتوبر ١٨٦٦م، ص ١٠١-١٠٢؛ أنظر ملحق رقم ١١.

(٤) قراقص: قرية قديمة، وردت في قوانين ابن مماتي وفي تحفة الإرشاد، وهي الآن تابعة لمركز دمنهور بمديرية البحيرة، لمزيد من التفصيل انظر: محمد رمزي: المرجع السابق، ق ٢، ج ٢، ص ٢٨٩.

(٥) محكمة البحيرة: س ٢٣، م ٣٢٧، أواخر شعبان ١٢١٨هـ / ٣ ديسمبر ١٨٠٣م، ص ١٨٠.

(١٤٩٨ ش / ١٧٨٢ م)، وبنى سورًا وقصرًا وطافوسًا (مقبرة للرهبان)، ويوجد مخطوط بدير السريان باللغة القبطية عن تكريس الكنائس، يؤكد على أن عمارة الأديرة بمعرفة الجوهرى (١٤٩٨ ش / ١٧٨٢ م)^(١).

وقد تعددت أساليب الانتفاع بالأوقاف، فنجدها تؤجر عقاراتها وهو أكثر الأساليب التي لجأت إليها من أجل استغلال موقوفاتها؛ لتحصيل أكبر الموارد المالية، فنجد القمص تاوئروس وكيل أوقاف دير السريان والأنبا بشوي يؤجران عقارًا بدير البغدادى بالأزبكية تابعًا لوقف الدير بإيجار قدره ١٨٥ قرشًا شهريًا^(٢) كما أجر لقدسي حبشي عقارًا بشارع كلوت بك لمدة عام بإيجار قدره ١٨٣٦ قرشًا على أن يسدد المبلغ مقدمًا^(٣) كما نجد القمص مكسيموس وكيل أوقاف دير السريان يؤجر دكانًا بشارع كلوت بك لعبد الملك مرزوق مدى الحياة بإيجار قدره ١٠٠ قرش شهريًا^(٤).

وشهدت أوقاف أديرة وادي النطرون الاستبدال؛ حيث استبدل القس قلته بطرس السرياني طاحونًا من أحد الواقفين مقابل ٩٥ ريال حجر^(٥) كما استبدل القمص مكسيموس السرياني بناء على رغبة البابا كيرلس الخامس البطريك رقم (١١٢)، قطعة أرض مساحتها سبعة فدادين

(١) إيريس حبيب المصرى: السنكسار الأمين، المرجع السابق، ص ٢٤٤-٢٤٥، ماجد إسرائيل: مقال بعنوان «الدار البطريكية ٥٦-٢٠١٢م»، جريدة الشروق، بتاريخ ٢ نوفمبر ٢٠١٢م، أيسوذورس، الأنبا، المرجع السابق، ص ٣٩٠، ثيودور هول باترك، المرجع السابق، ص ١١٧؛ توفيق إسكاروس، المرجع السابق، ص ٢١٥، دير السريان، مخطوطة رق ٢٤٩، ميامر، ١٥٨١ ش / ١٨٦٥م؛ شواهد القبور، لوحة رخامة لمقبرة المعلم إبراهيم الجوهرى، بمنطقة مصر القديمة، توجد على المقبرة تاريخ نيachte ١٥١١ ش / ١٧٩٥م، عبد الرحمن الجبرتي، عجائب الآثار والأخبار، المرجع السابق، حوادث ذو القعدة ١٢٠٩هـ / ١٧٩٥م، ص ٢٦٢.

(٢) وثائق دير السريان: وثيقة رقم ٤٨٨، ١٧ محرم ١٢٩٣، ٣ فبراير ١٨٧٦م.

(٣) نفسه: وثيقة رقم ٤٤٥، ١٣ صفر ١٢٩١هـ / ٣١ مارس ١٨٧٤م.

(٤) نفسه: وثيقة رقم ٦١٥، يناير ١٩٠٢م.

(٥) نفسه: وثيقة رقم ٢٠٩٩، ١٢ صفر ١٢٠٣هـ / ١٢ نوفمبر ١٧٨٨م؛ انظر: ملحق رقم (١٩)، ص ٢٧٢.

وستة عشر قيراطاً بناحية أتريس مع عمر باشا طوسون حتى تصبح أطيانه قطعة واحدة مقابل نفس المساحة ودون مقابل مادي^(١). والجدير بالذكر حرص نظار أوقاف أديرة وادي النطرون على صيانة أوقافهم، فقد بلغت تكلفة صيانة أحد العقارات الموقوفة لدير الأنبا مقار ٢٩٢ قرشاً^(٢) وقد وجدنا الصيانة كبيرة في بعض الأحيان وصلت ١٧٧٩٢ قرشاً على عقار بدرب الجنية بالأزبكية وقفاً لدير السريان، فربما رجّع ذلك إلى اختلاف المساحة وعدد الأدوار ونوع الصيانة ذاتها^(٣).

وتعددت أوجه نفقات الأديرة، فكان منها ما ينفق على الرهبان من أجل توفير غذائهم وملابسهم، وعلى قصر الضيافة، والمضيافة العامة لإطعام المترددين على الدير، وما يقدم للفقراء والمساكين، وما يتم دفعه لغير القادرين من الأقباط للجزية حتى تم إلغاؤها في يناير ١٨٥٤م^(٤).

وهناك ما ينفق على أعمال الصيانة مثل ترميم أسوار الدير أو كنائسه أو أيقوناته، أو التوسع في تشييد قلالي جديدة لاستيعاب الرهبان الجدد، وكذلك إمداد الدير بطلمبات بخارية لتوفير المياه، بالإضافة إلى ما ينفق على صيانة الأوقاف وشراء الأراضي واستصلاحها وشراء العقارات عن سعة^(٥). كذلك كان هناك ما يرسل إلى البطريك للمساهمة في نفقات البطركية، فضلاً عما تسهم بها الأديرة في مرتبات المدرسة اللاهوتية والجمعيات الخيرية^(٦).

(١) نفسه: وثيقة رقم ١٢١٤، ٥ نوفمبر ١٩٠٤م.

(٢) نفسه: وثيقة رقم ١٢٨٦، ٨ شوال ١٢٩٣هـ/ ٢٧ أكتوبر ١٨٧٦م.

(٣) نفسه: وثيقة ٧٤٠، ٤ ربيع الآخر ١٢٩٩هـ/ ٢٣ فبراير ١٨٨٢م.

(٤) مديرية البحيرة: س ٢٧٤، صادر فروع البحيرة إلى سايرة، وثيقة ٣٣٤٧، ٢٩ شعبان ١٢٦٧هـ/ ١١ يوليو ١٨٥٠م، ص ١٨٤٦.

(٥) وثائق دير السريان: وثيقة ٦٥٢، ٢٥ رجب ١٢٩٣هـ/ ١٦ أغسطس ١٨٧٦م.

(٦) نفسه: وثيقة ٧٣٨، ٢١ مايو ١٨٩٤م؛ ميخائيل شاروبيم، الكافي في تاريخ مصر القديم والحديث، ج ٤، المطبعة الأميرية، القاهرة ١٩٠٠، ص ١٣١.

الدولة وأديرة وادي النطرون:

١ - مشكلة دير السريان:

تعتبر مشكلة دير السريان بوادي النطرون من المشكلات القديمة، وتعود إلى أوائل القرن السادس عشر وعلى وجه التحديد عام ١٥٦٢ م. ومنذ ذلك التاريخ حتى أواخر القرن التاسع عشر والمشكلة تمر بمتغيرات تجعلها تظهر في الأفق السياسي أو تمر بمرحلة خمود ينتظر من يثيرها مرة أخرى، فيعود لها عنفوانها القوي، لدرجة أنها تبدو لأول وهلة مشكلة لا حل لها^(١).

فمنذ أن نشأ دير السريان وهو يعرف باسم "دير والدة الإله"، أي من أديرة الشؤطوكس (السيدة العذراء)، حتى وفد إليه الرهبان السريان من دير الأنبا يحنس كما القديم^(٢) على إثر خرابه ما بين عام (١٤١٣ - ١٤٣٠ م)، حتى وصل عددهم في سنة ١٥١٦ م، إلى ثمانية عشر راهبًا من المجموع الكلي للدير البالغ ثلاثة وأربعين راهبًا والباقيون منهم مصريون، لدرجة أنه أصبح يعرف باسم "دير السريان" مما دفع الرهبان السريان إلى الادعاء بملكيتهم للدير^(٣).

وبعد أن بدأ نجم الرهبان السريان يتردد في الأفول، لجأ الرهبان المصريون في الرد عليهم ببناء كنيسة القديس يوحنا كما في دير السريان ليتمكنوا من إقامة شعائرهم باللغة القبطية بعد سكتانهم بين قوم يختلفون عنهم طقسًا ولغة، وربما أرادوا بمشروعهم هذا عملاً سياسيًا؛ وهو أن يعطوا دير السريان طابعًا مصريًا، وربما بدأ الرهبان المصريون والسريان بعدها يتعايشون معا في سلام وسكينة متناسين ادعاءهم فيما بينهم^(٤).

ولكن فترة الهدوء والسلام بين الرهبان المصريين والسريان لم تدم طويلًا، فسرعان ما تجددت المشكلة بينهما في عام ١٦٠٧ م بعد أن ادعى الرهبان السريان ملكيتهم للدير مصدقين

(١) إيفيلين هوايت: المرجع السابق، ج ٣، ص ١٥٢-١٥٣.

(٢) لمزيد من التفصيل انظر: مرتيوس السرياني، المرجع السابق، ص ٨٥-٨٦.

(٣) عبد المسيح المسعودي: المرجع السابق، ص ٦٩-٧٠.

(٤) صموئيل السرياني: المرجع السابق، ص ١٥٣.

مخطوطة يرجع تاريخها إلى عام ١٥٦٢ م مكتوبة باللغة السريانية والقبطية تؤكد ملكيتهم للدير منذ منتصف القرن السادس الميلادي، بناء على الصفقة التي قام بها القديس ماروتا حبيب التاجر التكريتي بشراء الدير من بطريك^(١) الإسكندرية بمبلغ قدره اثنا عشر ألف دينار^(٢).

وتجنبًا لحدوث الخلافات فيما بينهما اتفق الطرفان على إقامة الجدار العازل بينهما بالدير، حيث يتخذ الرهبان المصريون الجانب الشرقي ويصلون بكنيسة يوحنا كاما، بينما يتركون لإخوانهم السريان الجانب الغربي بما فيه الحصن والكنائس، ويتوسط الجدار باب صغير لاستعماله عند الحاجة إلا أن السلام لم يكن مستقرًا بينهما، فكانوا يتنازعون على أمور تافهة من حين لآخر، فكان من ذلك في سنة ١٦٣٤ م تجديد الرهبان السريان لأقوالهم وادعاءاتهم بحقهم في ملكية الدير^(٣).

ورددًا على ادعاءات الرهبان السريان بملكيتهم للدير قام الرهبان المصريون بخلع ربيطة الدير (أمين الدير) السرياني وتعيين مصري بدلًا منه هو أبو الفرج البراماي نسبة إلى بارما أو برما وهي مدينة بالدلتا، بناء على القرار الصادر في سنة ١٦٣٦ م من البابا متاؤس الثالث البطريرك رقم (١٠٠) (١٦٣١-١٦٤٦ م)^(٤) وبتأييد المجمع البطريركي والحكومة المصرية، ومما يعني بكل تأكيد انتهاء السيادة السورية بالدير، وأن إدارته أصبحت مصرية خالصة^(٥).

(١) المخطوطة لم تذكر اسم البطريرك الذي باع الدير حسب ادعاء الرهبان السريان، ونحن نعلم على ضوء الأدلة التاريخية أن الذين جلسوا على كرسي المرقسية في أواسط ذات القرن كانوا ثلاثة هم ثيودوس (٥٣٦-٥٦٧ م) وبطرس الرابع (٥٦٧-٥٦٩ م)، وداميانوس (٥٦٩-٦٠٥) الذي كان سريانيًا، ومن هؤلاء الباباوات الذي تنازل عن دير السيدة العذراء والدة الإله؟ فهل فعلها الأخير حبًا في قومه؟ أو أحد اللذين تقدماه؟ رغبة في المال: انظر أيسوذورس، المرجع السابق، ص ٤٢٨؛ صموئيل السرياني، المرجع السابق، ص ١٤٥.

(٢) إيفيلين هوايت: المرجع السابق، ج ٣، ص ١٥٣.
(٣) صموئيل السرياني: المرجع السابق، ص ١٥٢-١٥٣.
(٤) دواود مرقس حناوي: المرجع السابق، ص ٥٥٣.
(٥) إيفيلين هوايت: المرجع السابق، ج ٣، ص ١٥٣-١٥٤.

ومنذ منتصف القرن السابع عشر حتى أواخر القرن التاسع عشر، استمر دير السريان في تأدية رسالته في هدوء وسلام، حتى تجددت مشكلته عندما ترهب في دير البراموس شاب سرياني يقال له ناعوم الحمصي باسم الراهب أفرام البراموسي، وسرعان ما نال حظوة لدى البابا كيرلس الخامس البطريك رقم (١١٢)(١٨٧٤-١٩٢٧م)^(١) فرشحه أكثر من مرة لرتبة الأسقفية فكان تارة يعتذر وطورًا يختفي، وربما يرجع ذلك إلى زهده ونسكه أو نبوغه واهتمامه بالبحث والدراسة^(٢).

وفي ١١ يوليو سنة ١٨٩٧م وبضغط من البابا كيرلس الخامس وافق أفرام على رسامته أسقفًا لدير البراموس ودعى بالأبنا إيسيدورس^(٣) ولكنه لم يمكث في منصبه أكثر من ثلاثة شهور لاختلافه مع الأبنا يوانس مطران البحيرة ووكيل الكرازة المرقسية وقتئذ^(٤) الذي اتهمه بسعيه وراء المناصب في أن يكون مطرانًا على أديرة وادي النطرون مخالفًا قوانين الرهبنة، فحكم عليه المجمع المقدس بعزله وتجريده من رتبته، وفشلت المحاولات في تسوية النزاع بين الطرفين، فلما ضاقت السبل في وجه الأسقف المعزول رفع مظلمته إلى البطريك الأنطاكي، فحله من حرمة وقبله برتبته الأسقفية وغير اسمه إلى (كيرلس إيسيدوردس أفندي) وعينه نائبًا بطريركيًا له في مصر والإسكندرية.

وردًا على موقف مطران البحيرة وأعضاء المجمع المقدس بتجريده وعد الأسقف رئيسه الجديد باسترداد دير السريان بكافة أملاكه من الكنيسة القبطية المصرية إلى كنيسة السريان الإنطاكية، ورفع في سبيل ذلك مذكرة إلى رجال الحكومتين المصرية والعثمانية، أثبت فيها ملكية الدير للكنيسة الإنطاكية السورية وقد رأت الحكومة العثمانية أن تأخذ بوجهة نظر الشاكي، فأوعزت إلى الخديوي عباس حلمي الثاني (١٨٩٢-١٩١٤م) وكان يومئذ في الأستانة بأن يراجع مع حكومته هذه القضية على ضوء البيانات التي ذكرها الأسقف^(٥) وتصادف أن قدم

(١) وثائق دير السريان: وثيقة رقم ٦٠٤، ٢١ طوبة ١٦١١ ش/ ١٨٩٥م.

(٢) مجلة الكرازة: السنة ٢٦، العددان ٣، ٤، ٨ طوبة ١٧١٤ ش/ ١٩٩٨م، ص ١١.

(٣) أحمد شفيق باشا: المرجع السابق، ص ٤٠.

(٤) دير السريان: مذكرة بشأن قوانين الرهبنة منذ نشأتها حتى سنة ١٩٢٨، د. ص

(٥) صموئيل السرياني: المرجع السابق، ص ١٦١.

على دار الخلافة العثمانية بطرس باشا غالي رئيس الوزراء ليعرض على الخديوي بعض المسائل المتعلقة بسياسة الدولة^(١) فلما فاتح عباس باشا كبير وزرائه في هذا الأمر استنكر رئيس الحكومة مطالب الأسقف، فطلب منه الخديوي الدفاع عن هذه القضية.

وفي سبيل ذلك أعد رئيس الوزراء مذكرة للدفاع أمام حكومة الدولة العثمانية أقنعهم بأحقية المصريين لدير والدة الإله الشهير بالسريان، وقال بطرس باشا (١٨٤٦ - ٢٠ فبراير ١٩١٠) في دفاعه: "إذا كانت تسميته بالسريان توجب تسليمه لإيسيدوروس السرياني إذا فليطالبنا الروم والأتراك والأكراد والأرمن والمغاربة واليهود والفرنسيون بأحياء وشوارع في القاهرة تحمل أسماءهم في لافتات رسمية منذ زمن بعيد!!" فاستجابت الحكومة العثمانية لدفاعه وفشلت محاولات السريان في إثبات ادعائهم في ملكية الدير^(٢).

وحرصاً على عدم إثارة قضية دير السريان مرة أخرى طلب الخديوي عباس حلمي الثاني من رئيس وزرائه بطرس غالي إبلاغ رجال البطيركية بإبراز الوثائق والمستندات التي تؤكد ملكيتهم لدير السريان، ومن أجل ذلك شكلت لجنة برئاسة القمص عبد المسيح المسعودي البراموسي ومجموعة من الآباء الرهبان الذين يجيدون اللغات السريانية واليونانية والقبطية والإثيوبية لتولي هذا الأمر، وبعد أن انتهت اللجنة من عملها سلمت ما تم جمعه للبابا كيرلس الخامس ليتولى حفظها لإخراجها عند الضرورة^(٣).

ولما رأى الأنبا إيسودوروس أن قضيته قد رفضت شكلاً وموضوعاً، رجع إلى الكنيسة القبطية بعد أن سمح له البابا يؤانس التاسع عشر البطيرك رقم (١١٣) (١٩٢٨-١٩٤٢ م)^(٤) بتأدية الشعائر وبعد ستة شهور تنيح الأنبا إيسودوروس في يناير ١٩٤٢ م وبوفاته تكون قد انتهت آخر مزاعم الكنيسة الإنطاكية في المطالبة بأحقيتها في ملكية دير السريان^(٥).

(١) عباس حلمي الثاني: المرجع السابق، ص ٢٥٦.

(٢) صموئيل السرياني: المرجع السابق، ص ١٦١.

(٣) نفسه: ص ١٦٢.

(٤) إيسودوروس: المرجع السابق، ص ٤٣١.

(٥) مجلة الكرازة: السنة ٢٦، ٨ طوبة ١٧١٤ ش / ١٦ يناير ١٩٩٨، ص ١١.

٢- أديرة وادي النطرون وحركة التبشير الأجنبي:

تعتبر مصر من أكبر الولايات العثمانية التي تأثرت بالامتيازات الأجنبية^(١) حيث أخذت أنظار الأجانب تتجه إليها مع اتجاه محمد علي لهم للنهوض بالقطر المصري في كافة المجالات، ومن ثم بدأت البلاد تشهد وفود الأجانب إليها في ظل سياسة الباشا؛ التي اتسمت بالتسامح الديني واستتباب الأمن العام^(٢).

وبدأت مصر ترحب بالأجانب الذين ينزحون إليها، يحملون معهم كثيرا من عناصر النشاط الاقتصادي، ونزح معهم نشاط لا يقل خطورة عنه هو النشاط الديني، ففتحت الإرساليات الدينية المدارس وقام التعليم الأجنبي في مصر مستظلاً بالامتيازات، غير حافل بالدولة ولا خاضع لسلطات ولا ملتفت إلى خاصة الشعب لا يعنيه إلا نشر ثقافته ومذهب البلاد التي جاء منها^(٣).

كما كانت الظروف مهية لوفود الإرساليات الدينية - الكاثوليكية والبروتستانتية إلى مصر والتبشير بها خلال فترة الدراسة، فقد سمح حكام البلاد لهذه الهيئات بإنشاء المدارس ومنحهم أموالاً وهبات وأراضي^(٤) لإقامة المشروعات الخيرية^(٥) مع رغبة هذه الإرساليات في تحويل أقباط مصر إلى الكاثوليكية أو البروتستانتية، وخاصة بعد أن أصدر السلطان العثماني محمود الثاني فرماناً في ٢ ربيع الأول ١٢٥٣هـ / ٦ يوليو ١٨٣٧م بالسماح لطوائف النصراني في مصر باعتناق مذاهب بعضهم البعض وإقامة شعائرهم وطقوسهم دون تدخل الحكام^(٦).

(١) لمزيد من التفصيل عن الامتيازات الأجنبية: انظر الهلال، السنة الأولى، عدد ٢، ١٠ ربيع الأول ١٣١٠هـ / أول أكتوبر ١٨٩٢م.

(٢) الجريدة: العدد ١٠٠٩، ٧ يوليو ١٩١٠، نبيل عبد الحميد، النشاط التبشيري الأميركي في البلاد العربية حتى عام ١٩٢٣م، المجلة التاريخية المصرية، مجلد رقم ٢٧، القاهرة ١٩٨١، ص ٢٥٥.

(٣) جرجس سلامة: تاريخ التعليم الأجنبي في مصر في القرنين التاسع عشر والعشرين، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، نشر الرسائل الجامعية، القاهرة ١٩٦٣، ص ٣٦.

(٤) معية سنية عربي: دفتر رقم ١٨٩٣، أوامر أمر رقم ٤، غرة ربيع الأول ١٢٨٤هـ / ٣ يوليو ١٨٦٧م، ص ٧.

(٥) نفسه: دفتر ١٩٠٢، أوامر، أمر رقم ٣، ١٢ محرم ١٢٨٠هـ / ٢٩ يونية ١٨٦٣م، ص ٥٢.

(٦) محافظ الأبحاث: محفظة ٣٧، فرمان رقم ٩٠، من السلطان محمود إلى محمد علي باشا، ٢ ربيع الآخر ١٢٥٣هـ / ٦ يوليو ١٨٣٧م.

وثمة عامل آخر أتاح فرصاً للتبشير الكاثوليكي والبروتستانتي، حيث اتجه نشاط المبشرين إلى العمل على احتواء المؤسسة الدينية الوطنية للقبط وتفكيكها - وهي كنيستهم الأرثوذكسية - بما يؤدي إلى شردمتهم وتوزيعهم على مذاهب أخرى، وتولت القيادة في هذا المجال الكنيسة المشيخية المتحدة (البروتستانتية) بالولايات المتحدة الأميركية، وقادت أشد الهجمات المخططة والمنظمة وأعنفها تأثيراً على الكنيسة القبطية^(١).

وبدأت البلاد تعرف الكتلثة التي لم يكن لها وجود قبل القرن الخامس الميلادي، فمُنذ تأسيس الكنيسة المسيحية الأولى في القرن الأول الميلادي حتى المجمع المسكوني الرابع في خلقدونية عام (٤٥١م) كانت الكنيسة واحدة لا تعرف الطوائف، ولكن بعد هذا التاريخ ظهر أول انشقاق في الجسم الكنسي^(٢) وبدأ اعتناق الأقباط الكتلثة في القرن السابع عشر الميلادي، وقبل ذلك كان الكاثوليك في مصر من الأجانب، وقد كان تحول الأرثوذكس إلى المذهب الكاثوليكي في غاية الصعوبة^(٣) وربما رجع ذلك إلى التشابه الكبير فيما بينهما لأن الكاثوليك حملوا معهم تيار الإطهار الرهباني وهو تيار نابع أساساً من مصر وليس جديداً عليها، ولكن الأمر يختلف بالنسبة للبروتستانتية التي انشقت عن الكاثوليكية في القرن السادس عشر الميلادي، فشقت طريقها بسرعة في مصر لأنهم جاؤوا بتيار الإطهار العلماني (غير الرهباني) وبشكل مؤسسي جديد، وممارسات عبادية مختلفة فالبروتستانتية، كانت حركة تجديد وليست تطويراً جزئياً^(٤) ويظهر ذلك في إحصاء سنة ١٩٠٧م حيث بلغ عدد الأقباط الكاثوليك في مصر ١٤٥٦٦، بينما بلغ عدد الإنجيليين أو البرتستانت ٢٤٧١٠^(٥).

(١) أبو سيف يوسف: الأقباط والقومية العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٦، ص ١١٤.
(٢) لمزيد من التفصيل انظر: رفيق حبيب ومحمد عفيفي، تاريخ الكنيسة المصرية، الدار العربية للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٩٤، ص ٨٠.

(٣) آمال أسعد توفيق: الأقباط في عهد الاحتلال (١٨٨٢ - ١٩١٤) رسالة ماجستير، كلية الآداب، قسم تاريخ، جامعة عين شمس، سنة ١٩٨٩، ص ١٦٧.

(٤) رفيق حبيب ومحمد عفيفي: المرجع السابق، ص ٩٢-٩٣.

(٥) رياض سوريال: المرجع السابق، ص ١٣٢.

وكانت أولى الإرساليات الكاثوليكية إلى مصر في أوائل القرن الثامن عشر، تذهب أدراج الرياح حيث فشل المبشرون في زحزحة أي قبطني عن التمسك بمذهبه الأرثوذكسي، ولكنهم نجحوا في ضم كثيرين من المقيمين بمصر من الأرمن^(١) والسريانيين واليونانيين إلى مذهبهم وأصبح لهم في سنة ١٧٣١م عدة مراكز في الصعيد في أسيوط وأبو تيج وأخميم وجرجا والأقصر، وبناء على تعليمات البابا كليمان الثاني بدأوا في إرسال أولادهم كبعثات إلى روما^(٢) والجدير بالذكر أن الجزويت تقدموا بطلب إلى الملك لويس الرابع عشر؛ لإقامة مدرسة للغات في مارسيليا على غرار مدرسة بيرا، وذلك لتعليم الأطفال اليونانية والأرمنية والسريانية، ليكونوا مؤهلين للذهاب إلى الشرق لنشر النفوذ الفرنسي، ولذلك قرر لويس الرابع عشر إحضار اثني عشر طفلاً من الأرمن واليونانيين والأقباط لتلقي تعليمهم في كلية لي جران ليكونوا نواة للبعثات التنصيرية، ويعملوا على خدمة القناصل والتجار في مواني الشرق^(٣).

وقد ازدهرت حركة الكتلركة بين الأقباط في مصر خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر، لدرجة أنه تحول اثنان من المطارنة الأرثوذكس إلى الكاثوليكية أولهما الأنبا أثناسيوس أسقف أورشليم ١٧٣٩م، وسرعان ما عينه بابا روما نائباً رسولياً له في مصر ١٧٤١م، ولكنه عاد إلى المذهب الأرثوذكسي ١٧٤٤م، أما الثاني فهو الأنبا أنطونيوس فلافل أسقف جرجا فصدر قرار حرمانه من الكنيسة الأرثوذكسية وآزرت الحكومة أقباط مصر فألقته في غياهب السجون حتى لاذ بالفرار إلى روما^(٤) كذلك ذكر يوسف السمعاني أمين مكتبة الفاتيكان الماروني أنه في أثناء وجوده في زيارة لدير البراموس أقنع رئيسه مكاريوس بقبول عقيدة الطيبعتين، ورحل معه إلى روما حيث أقامه البابا رئيساً على دير القديس إستفانوس للرهبان الأقباط والأحباش، وتنيح في عام ١٧٤٠م وهو يناهز ١٠٧ عاماً^(٥).

(١) لمزيد من التفصيل عن الأرمن انظر: جمال كمال محمود، الأرمن في مصر في العصر العثماني، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة القاهرة ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م، ص ٢١٧.

(٢) آمال أسعد: المرجع السابق، ص ١٦٨.

(٣) إلهام ذهني: مصر في كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين في القرن الثامن عشر، المرجع السابق، ص ٢٩٥؛ جمال محمود، المرجع السابق، ص ٢١٧.

(٤) رياض سوريال: المرجع السابق، ص ١٣٤.

(٥) صموئيل السرياني: المرجع السابق، ص ٨٣.

كما استمال الكاثوليك بالقوة شاب قبطي اسمه روفائيل الطوخي من أهالي جرجا وأرسلوه لدراسة اللاهوت في روما وبعد اتمام دراسته تم تعيينه أسقفًا على أرسينو، كما كلف بتأليف كتب قبطية تخص الطقوس بعد تنقيحها، وأيضًا استمالة أسقف جرجا القبطي إلى المذهب الكاثوليكي، ولهرطقته حرم من الكنيسة القبطية ففر هاربًا إلى روما وعاش فيها حتى مات عام ١٨٠٧م^(١)، وحدث في عهد ”يوانس السابع عشر“ البطريرك رقم (١٠٥)(١٧٢٧-١٧٤٥م) انقسام داخل بعض الأسر القبطية وخاصة الأسر التي نجح الكاثوليك في استمالة بعض أفرادها، بسبب التزواج فاشتكى كبار الكتاب الأقباط لمخدوميهم الأمراء لذلك عقد مجلس بحضورهم وحضور البطريرك وقسيس اللاتين بمحكمة مصر الشرعية، وبعد سماع الأقوال تقرر التصريح لبطريرك الأقباط الأرثوذكس بتنفيذ السلطة الدينية على أبناء أمته^(٢). ولكثرة المشكلات ما بين الأرثوذكس والكاثوليك وخاصة في صعيد مصر^(٣) عقدت معاهدة في يناير عام ١٧٩٤م ما بين طائفة الأقباط الأرثوذكس برئاسة البابا يوانس الثامن عشر البطريرك رقم (١٠٧)(١٧٦٩-١٧٩٦م) ومعه المعلم إبراهيم الجوهري وأخوه جرجس، وطائفة الكاثوليك برئاسة كيرلس رئيس عام رهبان الكاثوليك والمندوب البابوي لروما، ومعه قنصل النمسا كركور وشتي والأب اكليمنضس رئيس عام سابقًا. وكان الاتفاق ينص على ما يأتي:

١- المتزوجون من الفريقين لهم حرية اختيار الصلاة بأية كنيسة أرادوا قبطية كانت أو كاثوليكية.

٢- من الآن فصاعدًا لا ينبغي أن يتزوج الأقباط من الكاثوليك ولا الكاثوليك من الأقباط.

(١) منسى القمص، الشماس: تاريخ الكنيسة القبطية، الطبعة الأولى، مطبعة اليقظة القبطية، القاهرة ١٩٢٤م، ٦٢٤.

(٢) محكمة مصر الشرعية: مادة بدون رقم، بتاريخ غرة محرم ١١٥١هـ/ ٢١ إبريل ١٧٣٨م، دون صفحة، نقلًا عن منسى القمص، الشماس: المرجع السابق، ٦٢٥.

(٣) صعيد مصر: نقصد هنا مدينة جرجا وأخميم وفرشوط ونقاده، وجميعها جنوب مصر.

٣- لا يدخل قساوسة الكاثوليك بيوت الأرثوذكس ليكرزوا لهم، ولا القساوسة الأرثوذكس بيوت الكاثوليك.

٤- لا ينبغي إرغام أي أحد ليصلي بكنيسة معينة، بل لترك لكل واحد حق اختيار الكنيسة التي يحب الصلاة بها.

٥- لا يصح فيما بعد إذا حدث خلاف أن يرفع الأمر إلى رجال الحكومة بل إلى الرؤساء من الكنيستين ولهم مقاصة الممتدى^(١)

ويُذكر أن الحملة الفرنسية (١٧٩٨-١٨٠١ م) واصلت التبشير بالكتلكة، وزاد عدد الذين تبعوها زيادة قليلة لأن عهدها كان قصيراً، وبعد جلائها وجَّه البابا مرقس الثامن البطريرك (١٠٨) (١٧٩٦-١٨٠٩)^(٢). رسالة رعوية إلى طائفته ندّد فيها بمظاهر تورط عدد من القبط في محاكاة الفرنسيين، فأخذت الرسالة عليهم أنهم تعلموا عادات الأمم الغربية ولازموا معاشره فاعلي الشر^(٣). وهذا ما أكده الجنرال أندريوسي الذي ذكر قائلاً: ”كان من دوافع الرحالة الزائرون لوادي النظرون إما بدافع الفضول العام أو كمبشرين أو بهدف الحصول على المخطوطات“^(٤).

كما عادت حركة الكتلكة إلى الانتشار بين الأقباط في مصر خلال القرن التاسع عشر، بعد اعتماد محمد علي في مشروعاته على الفرنسيين فأفسح لهم المجال لوفود الإرساليات الفرنسية،

(١) محكمة مصر الشرعية: مادة بدون رقم، بتاريخ غرة محرم ١١٥١هـ / ٢١ إبريل ١٧٣٨م، دون صفحة، نقلاً عن منسي القمص، الشماس: المرجع السابق، ٦٢٧.

(٢) داود مرقس حناوي: المرجع السابق، ص ٥٧٥-٥٧٦.

(٣) إيريس حبيب المصري: المرجع السابق، ج ٤، ص ١٨٥-١٨٨؛ أبو سيف يوسف، المرجع السابق، ص ١٠١.

(٤) لمزيد من التفصيل انظر: الياف علماء الحملة الفرنسية، ج ٢، المرجع السابق، ص ٤١-٦٧.

فبرز المذهب الكاثوليكي في مصر، لدرجة أن اعتنقه كبير الأقباط وهو المعلم غالي^(١) وأفراد

(١) المعلم غالي (١٧٧٥-١٨٢٢م): هو ابن المعلم سرجيوس ابن المعلم فلتاؤس من وجهها أقباط مديرية قنا، وقد ولد في مدينة فرشوط عام ١٧٧٥. لما شب غالي التحق بخدمة محمد بك الألفي أحد أمراء المماليك، والي فرشوط، وفي هذا الوقت تعرف بمحمد علي، الذي كان قد قدم إلى مصر على رأس فرقة من الجند لمحاربة الفرنسيين، وكان الألفي يدفع رواتب محمد علي وجنده، فتوطدت الصداقة بينه وبين المعلم غالي، وبقي غالي كاتب في خدمة الألفي حتى توفي في عام ١٨٠٧، ثم استدعاه محمد علي (١٨٠٥-١٨٤٨م) والي مصر عام (١٢٢٣هـ/ ١٨٠٨م) وأسند إليه منصبًا كبيرًا هو رئيس كتبة بعد غضبه على المعلم جرجس الجوهري، الذي ورث منصب أخيه المعلم إبراهيم المتنيح عام ١٧٩٥م، وكان المعلم غالي يسهل لمحمد علي أمر تحصيل الضرائب، فكان جشع محمد علي في تحصيل الضرائب لا يقف عند حد، فكان دائمًا يطالبه بجمع الأموال، فكان يقسمها جمعها على المباشرين والكتبة وجمعها في أقرب وقت، وكان جمعها بسرعة سببًا في جلب الغدر عليه وعلى غيره، فإن الباشا بعد فترة وجيزة أمر بمحاصرة بيته، وبيت المعلم جرجس الطويل، وأخيه حنا، وفرنسيس أخيه، والمعلم فلتاؤس، واثنين آخرين وأخرجوهم من منازلهم بصورة منكرة وسمروا دورهم، وأخذوا دفاترهم وحسبهم، وبعد أيام أفرج عنهم على شرط أن يدفعوا له سبعة آلاف كيس فقاموا بدفعها. ولم تمض سبعة شهور حتى قبض عليهم ثانية وحسبهم في القلعة وختموا على دورهم، ثم عفا عنهم وأعاد المعلم غالي إلى منصبه، على شرط أن يدفعوا أربعة وعشرين ألف كيسًا. وتكرر حدوث ذلك، فكان يغضب عليه تارة ويعزله من منصبه ويرميه في السجن ويضربه مئآت الكراييج، ثم يعيده إلى منصبه بعد دفع مبلغ طائل. عندما أراد الباشا تنظيم الجهاز الإداري لمصر، لم يتردد في الإفراج عنه وإليه يرجع الفضل، في تقسيم البلاد إلى مديريات وأقسام، والأطيان إلى أحواض، وابتكر أشياء كثيرة وحسابات تحقق مقدارًا وافراً من المال، ولذلك يُنسب للمعلم غالي تأسيس مصلحة المساحة، كما كان له دوره في تشجيع صناعة الأسلحة محليًا. ومن أعماله الجليلة أيضًا اقتراحه على محمد علي حفر قناة بين بحر الروم وبحر العرب ولكنه لم ينفذ. ونتيجة لنجاحه الكبير قابله محمد علي بالرضا، وأثنى عليه ومن ثم اتخذها كاتما لسره وخصه مباشرة الأعمال الحسابية التي ابتكرها، فكانت يده فوق يد الجميع حتى حكام الأقاليم، واستمر في عمله حتى قتل على يد إبراهيم باشا الذي أطلق عليه رصاص مسدسه عليه في مدينة زفتى، أمام ابنه طوبيا في مايو ١٨٢٢م، وهكذا لقي المعلم غالي جزاء أمانته ووطنيته وخدمته، بعد أن أدى أجل الخدمات لمحمد علي ولإبراهيم باشا قاتله. وقد بقيت جثته ملقاة مدة يومين لا يجرؤ أحد على القيام بدفنها، حتى استأذن رزق أغا حاكم الشرقية في دفنها، فأقيمت الصلاة على المعلم غالي بكنيسة أبي سيفين بزفتى، ثم دفن بجوارها. أما الحياة الاجتماعية للمعلم غالي فقد كان متزوجًا من المدعوة «كتورة» أو «كاترينا»، وهي من أسرة الزير الشهيرة بأخميم، وهذه الأسرة ورد ذكرها كثيرًا بسجلات الآباء الفرنسيين سكان آنذاك، وقد أنجب منها ثلاثة أبناء هم باسيليوس ودوس وطوبيا، ويذكر التاريخ أن محمد علي استدعى باسيليوس نجل المعلم غالي وقال له: «هل أنت حزين لموت أبيك؟» فأجاب باسيليوس: «لم يمض أبي مادام مولاي الأمير حيًا». فأعجب به محمد علي وأسند إليه وظيفة رئيس المحاسبة في الحكومة المصرية وأنعم عليه برتبة «بك»، وهو أول من مُنح هذه الرتبة من الأقباط، انظر: أنطونيوس الأنطوني، القمص، وطينة الكنيسة القبطية، المرجع السابق، ٣٢٧، أنطون فؤاد، الأب، المعلم غالي ودوره في الكنيسة الكاثوليكية، موقع الكنيسة الكاثوليكية في مصر. <http://catholic-eg.com>

أسرته بتوجيه من الباشا^(١) وبعد مصرع المعلم غالي في مايو ١٨٢٢ م عُين كبير محاسبة باسيلوس كبيراً لطائفة الكاثوليك، ولزيادة أعداد الطائفة عين بابا روما رسوليين نواباً عنه في مصر في ذات القرن^(٢).

على أية حال، بدأ هؤلاء النواب في نشر نشاطاتهم بعد أن اتخذوا من طهطا مركزاً لهم، واجتمعوا بالعديد من الأقباط وألقوا عليهم المواعظ الدينية التي تدعوهم إلى اعتناق الكثلثة، وانطلقوا من هذه القاعدة إلى مدن الوجه البحري متبعين نفس النهج لجذب آخرين إلى مذهبهم^(٣).

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل عمل هؤلاء النواب الرسوليون على إرساء دعائم الكثلثة بإنشاء العديد من المدارس والكنائس، فأنشئت المدرسة الأكليريكية للكاثوليك بالموسكي سنة ١٨٧٩ م، وفي سنة ١٨٨٩ م مدرسة العائلة المقدسة (الجزويت) بالفجالة بالقاهرة^(٤) وفي منطقة حلوان أسست مدرسة العائلة المقدسة بحلوان (بنين - بنات) عام ١٨٨٧ م، وكانت ضمن سلسلة المدارس الإرسالية التي انتشرت بمصر^(٥) وكانت أولى كنائس الطائفة بملوي بالمنيا، وأرمنت بقنا وناحية درنكة بأسسوط وفي سنة ١٨٩٥ م أنشئت بطيركية الأقباط الكاثوليك^(٦).

أما المذهب البروتستانتي فقد بدأ اعتناقه في مصر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، فمنذ سنة ١٨٥٠ م وقبل أن تقوم أول كنيسة إنجيلية في مصر بثلاث عشرة سنة، نجحت

(١) محافظ الذوات: محفظة ١٣٢، من محمد علي باشا إلى رئيس معلمي الأقباط، وثيقة ١٢٩، ١٧ ذو القعدة ١٢٢٣ هـ / ٦ يناير ١٨٠٩ م.

(٢) رياض سوريال: المرجع السابق، ص ١٣٦.

(٣) الوطن: عدد ٧٨٤، ٢٧ نوفمبر ١٨٩٤ م.

(٤) رياض سوريال: المرجع السابق، ص ١٣٧.

(٥) فريز ألدوبنيتي: حلوان ١٨٨٧-١٩٨٧، ترجمة سالفاتوري كالفيا، مطبعة السلام، القاهرة ١٩٨٨ م، ص ٧٤.

(٦) محافظ مجلس الوزراء: محفظة ٣/ج، داخلية، الطوائف والجاليات الأجنبية، تواريخ مختلفة تبدأ من يناير ١٨٧٣، حتى مايو ١٩٠٠ م.

الدبلوماسية الأمريكية بواسطة قنصلها بالقاهرة في استصدار فرمان من سلطان الدولة العثمانية باعتبار الإنجيليين طائفة قائمة بذاتها، وذلك قبل أن يعتنق أحد من الأقباط المذهب الإنجيلي^(١).

ولقد بدأ النشاط التبشيري البروتستانتي في مصر على يد توماس ماكاج وزميله جيمس بارنت^(٢) وجون هوج الذي اتخذ من أسيوط عام ١٨٦٥م قاعدة انطلاق وفقاً لخطة معدة سلفاً، نقطة البداية فيها اختراق مجتمع الأقباط، ببناء المدرسة لأنها المدخل الوحيد للمدينة، وانتشرت مدارس الإرساليات الأمريكية في المدن والقرى، وكان الإشراف على المدارس والتفتيش عليها يتم أمريكياً، أى للكنيسة الإنجيلية، وفي عام ١٨٩٦م، كانت هناك ١٦٨ مدرسة تابعة للإرسالية الأمريكية تضم ١١٠١٤ تلميذاً وتلميذة وتميزت عند إنشائها - بأغراضها التي كانت في مجملها دينية^(٣). وكان المبشرون الأمريكيون ينعون على الكنيسة القبطية الأرثوذكسية انحراف عقيدتها الطقسية عن جادة الدين القويم، وأنه مؤس من إصلاحها روحياً^(٤) مما جعلها تدخل في صدام معها، ولا تزال حتى يومنا هذا^(٥).

أما فيما يتعلق بموقف أديرة وادي النطرون من حركة التبشير، فيرجع الفضل إلى رهبان هذه الأديرة في مساندة كنيستهم (الكنيسة القبطية) في الحفاظ على التراث الأرثوذكسي كما هو في مواجهة سطوة كنيسة روما (الكاثوليكية) ورغبتها في فرض المذهب الكاثوليكي على بقية الكنائس، لا سيما الكنائس الشرقية، وعلى رأسها كنيسة الإسكندرية^(٦).

(1) Watson, Andrew: The American Mission in Egypt, Cairo 1888, P.P. 771772-.

(٢) لينوار تشامبرز رايت: سياسة الولايات المتحدة الأمريكية إزاء مصر (١٨٣٠-١٩١٤)، ترجمة فاطمة علم الدين عبد الواحد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٧، ص ١٧٧.

(٣) أبو سيف يوسف: المرجع السابق، ص ١١٥؛ Watson, Andrew:: Op. Cit. P. 772.

(٤) لينوار تشامبرز رايت: المرجع السابق، ص ١٨٥؛ أبو سيف: المرجع السابق، ص ١١٥.

(٥) لمزيد من التفصيل انظر: رياض سوريال: المرجع السابق، ص ١٤٦؛ آمال أسعد: المرجع السابق، ص ٢٣١.

(٦) محمد عفيفي: الكنيسة والأقباط والحملة الفرنسية، بحث منشور ضمن الدور الوطني للكنيسة المصرية عبر العصور، تحرير عبد العظيم رمضان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٢، ص ٢٤٧.

فمنذ أن بدأ المذهب الكاثوليكي يتسلل إلى مصر في القرن السابع عشر الميلادي، ورهبان أديرة وادي النطرون يدعون إلى التصدي لفكرة الكثلركة عن طريق تعبئة الكنيسة القبطية بمجموعة من المؤلفات والعظات للتعاليم الموروثة التي تعتز بها الكنيسة وتصوبها عند الحاجة كسهام حادة نحو صدور مقاوميتها^(١) وكدفعة لأبنائها للتمسك بتراث كنيستهم والحافظ على استقلالها الديني الذي تكبدت في سبيله دماء الشهداء الأقباط، ويرى هؤلاء أن التضحية بذلك الاستقلال تعني التكر لهؤلاء الشهداء^(٢).

ولا نستطيع أن ننكر وجود فريق من رهبان وادي النطرون منذ أواخر القرن الثامن عشر، تخصصوا في التصدي بكتابتهم لحركة الكثلركة، فاشتهر من هؤلاء القمص بطرس السرياني الذي كتب منشورًا رعويًا، والقمص قلته السرياني الذي كتب مجموعة من العظات ونسخها للتمسك بتعاليم الكنيسة الأرثوذكسية، والقس عطية المقاري المتخصص في كتابة طقوس الكنيسة^(٣) بالإضافة إلى ما كتبه الأنبا يوسف المعروف بابن الأبح أسقف جرجا وأخميم، في كتابه ”حديث موجه إلى القبط الذي تركوا كنيستهم لاتباع كنيسة الفرنجة“ وكان لهذه الكتابات أثرها في وقف حركة الكثلركة خلال ذات القرن^(٤).

على الرغم من تأييد محمد علي باشا (١٨٠٥-١٨٤٨) لكثلركة الأقباط في مصر إرضاء للفرنسيين المتآمرين على الكنيسة القبطية، ولكن ما أصدق القول: ”دولة الظلم ساعة، ودولة الحق إلى قيام الساعة“^(٥) فإن رهبان وادي النطرون قبلوا التحدي بصلواتهم وأصوامهم وكتاباتهم، وتأييدهم حظي البابا مرقس الثامن رقم (١٠٨) في زيارته الرعوية وكتابته عن قوانين وأنظمة الكنيسة القبطية، مما ساهم - إلى حد ما - في وقف الكثلركة^(٦).

(١) مجلة الكرازة: السنة ٢٢، العددان ٣١، ٣٢، ١٣ مسرى ١٧١٠ ش/ ١٩ أغسطس ١٩٩٤، ص ١٥.

(٢) محمد عفيفي: الكنيسة والأقباط والحملة الفرنسية، المرجع السابق، ص ٢٤٨.

(٣) صموئيل السرياني: المرجع السابق، ص ١١٢، ١٦٥، ١٧٣.

(٤) إيريس حبيب: المرجع السابق، ج ٤، ص ١٤٤-١٤٩.

(٥) نفسه: ص ٢٤٧.

(٦) داود مرقس حناوي: المرجع السابق، ص ٥٧٥-٥٧٦.

كما تصدى رهبان وادي النطرون لدهاء الإنجليز عندما سعوا لافتتاح مدرسة سنة ١٨٤٠ م أمام الكنيسة المرقسية بكلوت بك بالقاهرة لتدريب الشبان الذين سيتنظمون في سلك الكهنوت لكي يعلموهم التعاليم المغايرة للعقيدة الأرثوذكسية وعن طريقهم يبلبلون أفكار الشعب فتتسنى لهم فرصة نشر الكثلركة، على أن سهمهم طاش أمام يقظة البابا بطرس السابع الجاولي (١٨٠٩-١٨٥٢ م)^(١) الذي بارك العمل، ولكنه اشترط وجود لجنة تتكون من أسقف ومجموعة من رهبان وادي النطرون وبعض الكهنة العلمانيين والأراخنة^(٢) لتتولى مراجعة الكتب التي تدرس، فسرعان ما اكتشفوا هدفهم فاضطروا إلى إغلاق مدرستهم سنة ١٨٤٧ م^(٣)، وساند رهبان وادي النطرون البابا كيرلس الرابع البطريك رقم (١١٠) عند اعتلائه الكرسي المرقسي (١٨٥٤-١٨٦١ م) وقيامه بإصلاح الكنيسة؛ فتبرعوا بالأموال للمساهمة في تكلفة المنشآت (المدارس القبطية والإكليريكية) والمرتبات للمدرسين والعاملين من أجل نهضة الكنيسة القبطية ووقف الزحف الكاثوليكي والبروتستانتي^(٤).

كما تصدى البابا ديمتريوس الثاني البطريك رقم (١١١) (١٨٦٢-١٨٧٠ م) وهو من رهبان دير أبو مقار بوادي النطرون للتبشير بالبروتستانتية واتخذ هذا التصدي صورتين: تتمثل الأولى في قرارات الحرمان التي أصدرها ضد المبشرين الأمريكيين ومن يتصل بهم من الأقباط، أو يقرأ كتبهم أو يصادق أحداً منهم أو يذهب إلى إجتماعاتهم، وقد وصفهم قرار الحرمان بأنهم "هم أعداء الدين بلا كهنة ولا أسرار ولا طقوس ولا شي سوى الكتاب المقدس الذي

(١) وليم سليمان قلادة: الكنيسة المصرية تواجه الاستعمار والصهيونية. دار الكتاب العربي، القاهرة، د.ت، ص ٢٣-٢٤.

(٢) الأراخنة: ليس معناه الزعماء السياسيين من الوزراء أو وكلاء الوزارات أو مديري العموم أو أعضاء المجالس النيابية أو كبار موظفي الدولة أو رجال القضاء، أو من في مستواهم، بل معناه كبار الأقباط، المثقفين والعلماء بشرط أن يكونوا دارسين لعلوم الكنيسة وقوانينها، بحيث يفهمون أمور الكنيسة وبشرط أن يكونوا مواظبين على حضور صلواتها وطقوسها ويتعمقوا في دراسة عقائدها وتاريخها ومن ثم يمكن لهم النيابة عن الشعب وإرشاده في هذه الأمور انظر: إبراهيم عبد السيد القمص: البطريك القادم، مطبعة المحبة، القليوبية ١٩٩٥ م، ص ٥٣، جرجس فيلوثاوس عوض: مقال وعنوانه «ضرورة اختيار البطريك من العلمانيين، مجلة رسالة الحياة ملحق العدد رقم ١٠، السنة التاسعة، القاهرة ١٩٤٣ م.

(٣) داود مرقس: المرجع السابق، ٥٧٩-٥٨١؛ إلياس الأيوبي، المجلد الأول، ص ٢١٠.

(٤) وثائق دير السريان: وثيقة ٣١٣، ١٥٧٤ ش، ١٨٥٨ م؛ ميخائيل شاروويم، المرجع السابق، ص ١٣١؛

Theodore Edward Dowling, op cit, p12

لا يفهمونه، وهم الذئاب بثياب الحملان الذين يلقون بذار الهرطقة في كل أنحاء البلاد والذين كل من يتبعهم يكون ابنًا لجهنم أكثر منهم“ وكان رد فعل قرار الحرمان خروج الطلبة الأقباط من مدرسة الإرسالية البروتستانتية^(١).

أما الصورة الثانية فتتمثل في تفقد البابا ديمتريوس الثاني البطريك رقم (١١١) (١٨٦٢-١٨٧٠م) مدينة أسيوط مركز التبشير البروتستانتية، وبصحبه العالم اللاهوتي القمص فيلوثاؤس صالح خادم الكنيسة المرقسية بالأزبكية بالقاهرة، والراهب البراموسي عبد المسيح المسعودي الكبير^(٢)، بناء على رغبة الخديوي إسماعيل الذي وضع تحت إمرته باخرة نيلية سنة ١٨٦٧ بغرض الحد من نشاط الإرسالية الأميركية البروتستانتية^(٣).

(١) رياض سوربال: المرجع السابق، ص ١٤٦-١٤٩؛ آمال أسعد: المرجع السابق، ص ٢٣١.
(٢) عبد المسيح المسعودي الكبير: ولد سنة ١٨١٩م. في بلدة الشيخ مسعود غربي طهطا؛ ولهذا لقب بالمسعودي، ولما بلغ السابعة عشرة من عمره اشتاق إلى الحياة الملائكية، فقصده دير المحرق حيث ترهب، وهناك تتلمذ على يد القمص بولس الدجاوي- الذي صار فيما بعد القديس الأنبا إبرآم أسقف الفيوم- فتشرب منه وداعته وهدوؤه النفسي وتطلعه الروحي. بعد أن قضى في الدير المحرق ٢٢ عامًا، قرر الذهاب إلى دير البراموس مع عدد من أخوته الرهبان، وكان وصولهم لهذا الدير في الفترة التي كان يوحنا الناسخ ما زال به، قبل رسامته ليكون البابا رقم (١١٢) عيّنه البابا كيرلس الخامس رُبّيّة للدير بعد نياحة القمص عوض، فاهتم بأخوته الرهبان ورعاهم روحياً وجسدياً، مما جعلهم يطاوعونه في رضى، فساد السلام دير البراموس طوال رئاسته، حتى أطلق عليه الأنبا يوانس مطران البحيرة لقب «أبو رهبان دير البراموس». رُشح ليكون أسقفًا على كرسي أسيوط فاعتذر بشدة وإلحاح، فقبل البابا ديمتريوس الثاني البطريك (١٠٠) (١٨٦٢-١٨٧٠م) عذره، كذلك رُشح لمطرانية الحيشة وللمرة الثانية اعتذر في تذلل شديد، فقبل البابا كيرلس الخامس البطريك (١١٢) (١٨٧٤-١٩٢٧م) اعتذاره، إذ أدرك مدى زهده وشدة ميله إلى التوحد والدراسة وتفتيش الكتب. كان يقضي فترات طويلة متوحدًا بلغت خمسة عشر عامًا، وكان في وحدته يعيش في مغارات من صنع يديه، إذ لم يكتف بمغارة واحدة، فكان يقضي أيام الأسبوع متوحدًا، ثم يعود إلى الدير عشيات الأحاد ليقتضي ليلته داخل الكنيسة، ثم يحضر القداس الإلهي في الصباح المبكر ويتناول الأسرار المقدسة ويعود إلى وحدته. كان ماهرًا في الكتابة ذا خط جميل (قبطيًا وعربيًا)، فانشغل في نسخ الكثير من الكتب القديمة، كما ألف بنفسه العديد من الكتب الجديدة، منها رسالة بعنوان «إلى كل راهب حقيقي يريد حياة نسكسة صحيحة»، و«الإيضاحات الجليلة في أمانة الكنيسة الأرثوذكسية طبع عام ١٨٩٠م»، وبالإضافة إلى ذلك فقد شغل نفسه بتجليد الكتب، ويعمل المناطق والأساكيم، ومع كل هذه الأعمال ومع توحده كان أب اعتراف لرهبان دير البراموس جميعًا. نتيج بسلام في ١١ توت ١٦٢١ش/ ٢١ سبتمبر ١٩٠٥م عن عمر يناهز ٨٨ عامًا، قضى ٧١ منها ما بين ديري المحرق والبراموس والتوحد. انظر: إيريس حبيب المصري، قصة الكنيسة القبطية، ج ٥، مكتبة المحبة، القاهرة ١٩٨٤م ١٠٦؛ أغسطينوس البرموسي، المرجع السابق، ص ١٣٤-٢٣٥.

(٣) إيريس حبيب: المرجع السابق، ج، ص ٣٣٣؛ داود مرقس، المرجع السابق، ص ٥٨٤.

كما اعتمد البابا كيرلس الخامس البطريك رقم (١١٢) (١٨٧٤-١٩٢٧م) على رهبان وادي النطرون في مواصلة التصدي للتبشير البروتستانتية في صعيد مصر عن طريق تعيين أساقفة ومطارنة، من بين رهبان الوادي ليتولى توعية الأقباط للمحافظة على تراث وتعاليم الكنيسة الأرثوذكسية، فاشتهر من هؤلاء الأنبا مكاريوس الذي ترهب بدير الأنبا بشوي ورسم مطراناً على أسيوط في يوليو ١٨٩٧م، والأنبا باسيليوس الذي ترهب بدير الأنبا مقار ورسم أسقفًا على كرسي أبو تيج سنة ١٨٩٦م، وكذلك الأنبا ياكوس المقاري الذي رسم أسقفًا على المنيا، وكذلك الأنبا صرابمون الذي ترهب بدير السريان ورسم أسقفًا على النوبة والخرطوم سنة ١٨٩٧م^(١). ويتضح لنا مما سبق طرق تغلغل المذاهب الأجنبية (الكاثوليكية والبروتستانتية) وتسللها بواسطة إنشاء المدارس والمعاهد وتقديم الخدمات الخيرية، وموقف رهبان وادي النطرون منها منذ قدومها حتى نهاية القرن فترة الدراسة. ونتمنى من الله العودة للكنيسة الواحدة الرسولية على ما كانت عليه في القرون الخمسة الأولى، وهذا ما نتمناه.

٣- اعتداءات العربان على أديرة وادي النطرون

تعتبر مشكلة اعتداءات العربان على أديرة وادي النطرون من المشكلات القديمة التي يعود تاريخها إلى أوائل القرن الخامس الميلادي، ويرجع ذلك إلى الطبيعة الصحراوية القاسية، وحياة البداوة وعدم الاستقرار والترحال والتجول للبحث عن قوت يومهم؛ لأنهم لم يكن لديهم مصدر ثابت للعيش، مما جعلهم في حالة حرب مستمرة لقيامهم بأعمال السلب والنهب والتخريب ومنذ ذلك القرن وحتى أواخر القرن التاسع عشر^(٢) لم يكفوا عن غاراتهم المفاجئة لأديرة الوادي ورهبانه، فأنزّلوا بهم الكثير من الظلم نتيجة للعنف الذي كانوا يستعملونه معهم حتى إن بعض الرهبان كانوا يفرون إلى المغارات والشقوق عند اقترابهم تاركين وراءهم كل شيء، مما ترتب عليه خراب كثير من الأديرة التي كانت منتشرة بالوادي^(٣).

(١) وثائق دير السريان: وثيقة ١٠٥٥، ٢٢ يوليو ١٨٩٧م؛ صموئيل السرياني، المرجع السابق، ص ١١٣، ١٣٧، ١٦٧.

(٢) حلمي محروس: المرجع السابق، ص ١٤٢-١٤٣.

(٣) إيفلين هوايت: المرجع السابق، ج ٢، ص ٣٤-٤١.

وهنا لا بد أن نذكر ما تعرضت له أديرة وادي النطرون، عندما وصل مصر قائم جديد على شئون بيت المال (والي الخراج)، ألا وهو أحمد بن المدبر (٢٥٦هـ / ٨٦٩م)، الذي أطلق عليه ساويرس بن المقفع اسم فرعون مصر في زمانه وذكر عنه قائلاً: "كان رجلاً شديداً، صعباً في أفعاله، مخوفاً عند كل أحد، لا يغلب، فعل أفعالاً لم يفعلها أحد من قبل، هو كان قد أقام بفلسطين مدة كبيرة وأذاق أهل تلك البلاد صعوبة وبلايا. فلما سمع البابا شنودة الأول البطريك رقم (٥٥) (٨٥٩-٨٨٠م) بوصوله حزن وقال: الرب يزيل عن شعبه كل مؤامرة سوء كعادته، وعند وصوله - ابن المدبر - إلى مصر، وضع يده على كل أواسي المسلمين والنصارى واليهود، وأضعف عليهم الخراج، فقوم لكل دينار دينار وقوم للدينار ثلاثة حتى ملأ الحبوس في كل الأماكن، وأنفذ إلى الديارات بكل موضع وأحصى الرهبان فيها التي فيها وطالبهم بالجزية والخراج عن الحشيش الذي في البهلس وعن النخل والشجر المثمر المغروسة في بيوتهم. فلما اتصل الخبر بالبابا شنودة الأول بكاء بكاء كراً وقال: أيها الجبل المقدس وادي هبيب الذي هو مينا الأنفس الضالة كيف أقام عليك هذا البلا الذي يحل بالقديسين الساكنين فيك وقد علمت الآن أن هذا لأجل ذنوبي"^(١). وقد ساهم ابن المدبر في تشجيع العربان في الهجوم على أديرة برية شيهيت وتدميرها مما أدى إلى هجرة رهبانها، وترك بعضهم الحياة الرهبانية الديرية. وهذا ما أكدته الرحالة إيفلين هوايت حيث ذكر أن أحمد بن المدبر لم يكتفِ بالجزية ولجأ إلى فرض خراج جديد على السمار الذي ينمو ببرك الأديرة، بالإضافة إلى الاعتداءات المستمرة على الأديرة^(٢). ولعلنا نتذكر أن أحد الاعتداءات الصارخة للوزير المالي في القرن التاسع الميلادي، أحمد بن المدبر أنه أمر "بقسرية على السمار الذي ينمو في البرك".

وقد سعي أحمد بن المدبر ومعاونوه من العربان في القضاء على الحياة الرهبانية الديرية بتدمير الأديرة القبطية بوادي النطرون، وأيضاً بالقضاء على الكنائس بشتى ربوع مصر حيث

(١) ساويرس بن المقفع: تاريخ مصر من خلال مخطوطة تاريخ البطارقة، ج ٥، إعداد وتحقيق عبد العزيز جمال الدين، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ٢٠١٢م، ص ١٠٢-١٠٥.

(٢) إيفلين هوايت: المرجع السابق، ج ٢، ص ١٧٨-١٧٩.

ذكر ساويرس ابن المقفع قائلاً: "وكان هذا الرجل الظالم يفتكر ماذا يفعله بالسبع ديارات^(١)، والبطريك والأساقفة، ومن شر ما فعله أنفذ إلى كل مكان نواباً عنه، فمضوا على قومة البيع وأحضروا ما عند كل واحد من آلة البيع لتحمل إليه ويطلبوا القومة بديارية الأساقفة ويحملوها إلى الديوان. وكذلك يبيع مصر قبض عليها وأحصى ما فيها من الآلة، حتى أنه أمر أن تغلق البيع (الكنائس) التي بها، ولا يمكنهم من القربان إلا في بيعة واحدة، وكان النواب عنه يأخذوا القومة في كل مكان يحبسهم ويقيدهم بالحديد ويحملوهم إلى مصر ليقوموا بالديارية للديوان. وعول أنه في زمانه أجمع يأخذ مال البيع والأساقفة والديارة للديون^(٢). ولم تنته أعمال الاعتداءات على الأديرة والكنائس إلا بتولى أحمد بن طولون الذي بادر إلى إلغاء الرسوم والضرائب الجديدة التي فرضها ابن المدبر، ورحيل ابن المدبر الذي يعتبر آخر من حكم في مصر لحساب حكومة بغداد^(٣).

وهنا يجب أن نسجل أن أديرة وادي النطرون تعرضت لسلسلة من الغارات، كان أشدها ما بين عامي (٤٠٧-١٠٦٩ م)^(٤) وكان يصاحب هذه الاعتداءات عمليات سلب ونهب وقتل وأسر للرهبان لمدة تطول أو تقصر، ولكن عقب كل غارة كان الرهبان يعودون فيجتمعون في البرية من جديد، ليعيدوا بناء ما قد تحرب، وجمع شتات تلاميذ الرهبنة^(٥). وقد أجمع الرحالة الزائرون لوادي النطرون على اعتداءات العربان على أديرة البرية، لدرجة أن الرحالة أنفسهم لم يسلموا من اعتداءاتهم حيث ذكر فانسليب الذي زار الأسقيط عام ١٦٧٢ م أنه تعرض لحادثة مبتذلة على أيدي مجموعة من البدو، دفعته إلى التخلي عن زيارته للأديرة وبقي بالطرانة، أما الأب كلود سيكار (١٦١٧-١٧٢٦ م) فقد أكد على أن حصن الدير كان هو الملجأ الوحيد

(١) السبع ديارات: مقاريوس، ويوحنا القصير، وبيشوى، ومكسيموس ودماديوس، وموسى الأسود، وكاما، وعذراء السريان القديسة لمزيد من التفصيل انظر: ماجد عزت إسرائيل، وادي النطرون في القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص ٢٨٩-٣٠٦.

(٢) ساويرس بن المقفع: تاريخ مصر من خلال مخطوطة تاريخ البطارقة، المرجع السابق، ص ١٠٢-١٠٥.

(٣) جاك تاجر: أقباط ومسلمون، المرجع السابق، ص ٩١.

(٤) لمزيد من التفصيل انظر: سمير جرجس، المرجع السابق، ص ٦٧.

(٥) بولا البراموسي: دير السيدة العذراء براموس، رسالة ماجستير، غير منشورة، معهد الدراسات القبطية، القاهرة ١٩٩١ م، ص ١٤١-١٤٣.

من طغيان العربان، أما الرحالة تشارلز سونيني (١٧٥١-١٨١٢م) الذي زار البرية عام ١٧٧٨م فتعرض لحادثة سرقة في أثناء سفره للوادي على يد بدو الصحراء، ووصف لنا مشهد حدث أمامه حيث روى أن دليله حسين العربي اقتحم دير البراموس ونهب وخرب الدير^(١).

وقد تناقصت أعداد أديرة وادي النطرون نتيجة لاعتداءات العربان، فبعد أن كانت نحو ٣٦٦ ديرًا ثم خمسين ديرًا منذ القرن الخامس الميلادي أصبحت نحو عشرة أديرة عند مجيء الفرنسيين إلى مصر سنة ١٧٩٨م واندثرت منها ستة أديرة، ولم يبق سوى أربعة أديرة عامرة - على نحو ما رأينا - خلال فترة الدراسة^(٢).

على أية حال، لم تسلم هذه الأديرة من أيدي العربان المغيّرين، ومن ذلك تعرّض دير البراموس في أوائل القرن التاسع عشر لهجمات العربان، فأعملوا السلب والنهب والقتل بين نساكه وحل الخراب كالمعتاد فهرب أغلب الرهبان وتشتتوا في جميع أنحاء البرية، ولم يتبق إلا راهب واحد يدعى^(٣) عوض الإبراهيمي^(٤) وبعد فترة ليست بقصيرة عاود العربان الاعتداء

(١) إيفلين هوايت: المرجع السابق، ج ٢، ص ١٥٩-١٦٩.

(٢) داود حناوي: المرجع السابق، ص ٥٧٢-٥٧٣.

(٣) تعداد نفوس: س رقم ١٧٩، ل/٩/٧٩/٥٤ تعداد ناحية كفر داود بقسم النجيلة، لسنة ١٢٦٤هـ/ ١٨٤٧م، ص ٣١.

(٤) عوض الإبراهيمي: ولد في بلدة براهيم من أعمال المنوفية، لم نستدل على تاريخ مولده، في أواسط القرن التاسع عشر كان في دير البراموس سبعة رهبان، كان من بينهم القمص عبد المسيح جرجس المسعودي الكبير رئيسًا للدير فجعل الراهب عوض أمينًا للدير، وطرد خمسة رهبان، وبقي الإبراهيمي بالدير ومعه رجل علمانة أسمه الحاج إبراهيم ثم تركه، فبقى عوض نحو ثلاث سنوات وحده، وكان يأتي كهنة دير السريان ولاسيما القمص جرجس الفار، فيصل قداشًا للراهب عوض في الكنيسة في الأيام الأكثر لزوماً. وبعد نياحة القمص عبد المسيح، اتخذ الإبراهيمي القس حنا أحد رهبان الدير المطرودين وجعله قمصًا ورئيسًا على الدير، وكان زاهدًا، وفي أثناء رئاسته جاء القمص يوحنا الناسخ (البابا كيرلس الخامس)، وكان شماسًا ابن العشرين عامًا، لقد اهتم الراهب عوض والقمص حنا بتعمير الدير، لدرجة وصل عدد اعداد الدير نحو (٢٦) راهبًا، كان الإبراهيمي فاقد البصر، ولكنه كان مستنير العقل، وكان طويل القامة ولحيته أيضًا طويلة وبضياء، شفقًا رحوماً، لابسا الاسكيم، تتحرك شفتاه عاليًا بالصلاة، وكان دائمًا يقول مقولته المشهور للرهبان حيث يذكر قائلًا: الراهب راهب من بيت أبيه، ومعنى قوله: أن الصالح والجيد في بيت أبيه صالح وجيد في الدير والعكس بالعكس». ونؤكد أن الراهب عوض الإبراهيمي أنقذ دير البراموس من اعتداءات العربان المستمرة بحكمته، وساهم في بقاء هذا الدير عامرًا، ظل يجاهد في حياته الروحانية حتى تنيح في مايو ١٨٧٨م انظر: أغسطينوس البرموسي، المرجع السابق، ص ١٣٢-٢٣٣.

على نفس الدير مرة ثانية، ولكن باءت محاولتهم بالفشل؛ لأن الدير كان محصناً جيداً من قبل الراهب الكفيف^(١).

وكان هجوم العربان على أديرة وادي النطرون لا ينقطع، خاصةً إذا ما ترامي إلى علمهم انتعاش الأديرة وازدهارها، فكانوا يعيدون الكرة والانقضاض على الأديرة ورهبانها وسلب ونهب ما بها، مثلما تعرض دير الأنبا بشوي لهجوم من جانب مجموعة من العربان انتهى باستيلائهم على ما يمتلكه الدير من أدوات ومؤن غذائية^(٢). وكذلك تعرض دير الأنبا مقار لاعتداءات من عربان الواحات والفيوم، فنهبوا ما فيه من متاع وزاد وجردوا من فيه مما عليهم بالقوة^(٣). وزادت اعتداءات العربان على أديرة الوادي في موسم اقتلاع النطرون، حيث كانوا يجتمعون ويسكنون حول بحيرات النطرون، وتعددت قبائلهم، فكان منهم الجمعيات والجوابيص والحراي وغيرهم، فأتاحت لهم الفرصة الإقامة إلى جوار الرهبان، مما أدى إلى اعتداءاتهم على أديرتهم من أجل أعمال السلب والنهب^(٤).

ولجأ بعض العربان خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر إلى الاعتداء على القوافل والمترددین على الأديرة والعاملين عليها، فعلى سبيل المثال قام بعض العربان بالاعتداء على قافلة متجهة إلى دير السريان قادمة من عزبة الدير بأتريس بالجيزة وسلبوا ونهبوا ما بها من بلاطة لفن الدير ومؤن غذائية للرهبان^(٥) كما اعتدى آخرون من العربان على مجموعة من المترددین على الأديرة وقاموا بتجريدتهم من أموالهم وملابسهم^(٦) وقام بعضهم بالاعتداء على صراف عزبة دير السريان ونهبوا ما معه من أموال^(٧).

(١) بولا البراموسي: دير السيدة العذراء، المرجع السابق، ص ١٤٢-١٤٤.

(٢) وثائق دير السريان: وثيقة رقم ٢١١٣، ٨ صفر ١٢٢٥هـ / ١٥ مارس ١٨١٠م.

(٣) معية سنية عربي: دفتر ١٦٠٩، أوامر، أمر رقم ٩٥، ٤ ربيع ١٢٤٨هـ / ١ أغسطس ١٨٣٢م، ص ١٣.

(٤) محكمة البحيرة الشرعية: س ٢٧، م ٦٢٥، ١ جمادى الآخرة ١٢١٦هـ / ١١ أغسطس ١٨٠١، ص ٣١٤؛

ديوان معية سنية عربي، دفتر ١٤، أوامر، أمر مرقم ٣٨، ٩ جمادى الأولى ١٢٦١هـ / ١٦ مايو ١٨٤٥، ص ٦.

(٥) وثائق دير السريان: ملف القوافل، وثيقة رقم ٩٣٥، ١٧ أمشير ١٥٩٨ش / ١٨٨٢م.

(٦) نفسه: وثيقة ٤٦٩، ٢٢ بؤنة ١٦١١ش / ١٨٩٥م.

(٧) نفسه: وثيقة ٩٧٠، أول مارس ١٨٩٤م.

وخلاصة القول، إنه في النصف الثاني من القرن التاسع عشر قلت الاعتداءات على أديرة وادي النطرون، وما حدث منها فهي حالات تكاد أن تكون فردية، فربما يرجع ذلك إلى سياسة محمد علي التي اتبعتها خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر نحو نشر الأمن وتوطيئ البدو بالبلاد مما حدّ من هذه الاعتداءات، وقد استمرت هذه الحال حتى نهاية القرن التاسع عشر^(١).

أما فيما يتعلق بموقف رهبان أديرة وادي النطرون من اعتداءات العربان، فقد عملوا على تحصين الدير أمامهم، بتعليته وترميم أسواره، ومراقبتها من غرفة الرقوبة (غرفة المراقبة)^(٢)، أو ضرب الناقوس ضرباً مختلفاً كإشارات دالة على أن هناك خطراً من غارات للعربان أو قطاع الطرق والصوص الفرادى وعابري السبيل فكان الناقوس لغة مفهومة من طرف واحد وهو الرهبان^(٣).

كما لجأ رهبان وادي النطرون إلى العربان أنفسهم لحراستهم في مقابل تقديم واجب الضيافة؛ لأن العربان كانوا يتنقلون من مكان إلى مكان ليلاً، ويمرون بالأديرة في أثناء جولاتهم ويتوقفون ليتناولوا طعامهم ولكي يستريحوا ويريحوا خيولهم، وكانوا يقدمون إليهم واجب الضيافة من وراء الجدران، إذ لا يفتحون الأبواب ليلاً، وقد اضطروا لذلك حتى لا يتعرضوا لاعتداءات العربان خارج الأديرة نهباً أو سلباً أو قتلاً على أيدي هؤلاء^(٤).

كذلك اعتمد رهبان أديرة وادي النطرون على بعض العربان في تأدية بعض الخدمات التي قد تعرضهم للاعتداء عليهم بالسلب أو النهب من أقرانهم، وكان من ذلك لجوء رهبان دير

(١) معية سنية تركي: محفظة ٢٢، ملخصات دفاتر، دفتر ٥٩٢، وثيقة ٣٣٧، ٢١ شعبان ١٢٦٤هـ/ ٢٣ يوليو ١٨٤٨م.

(٢) تأليف علماء الحملة الفرنسية: المرجع السابق، ج ٢، ص ٦٧؛ إيفيلين هوايت، المرجع السابق، ج ٣، ص ١٥-١٨.

(٣) سمير جرجس: المرجع السابق، ص ١٦٩.

(٤) تأليف علماء الحملة الفرنسية: المرجع السابق، ج ٢، ص ٦٦-٦٧.

الأنبا بشوي إلى علي صالح والحوفي الحجاوي لرعي مواشي الدير بالوادي^(١) كذلك اعتمد دير السريان على منصور عامر^(٢) وعامر شريعة في صحبة قوافل المؤن ما بين عزبة الدير باتريس والدير الذي بالوادي^(٣).

ومما تجدر الإشارة إليه أن تلك الاعتداءات كان يتخللها بعض العلاقات الحميمة بين الرهبان والعربان، فعلى سبيل المثال حدث صراع بين اثنين من العلمانيين ممن هم تحت الاختبار للرهبنة بديري السرياني والأنبا بشوي، وصل خبره إلى حاكم الطرانة، فتدخل أحد العربان لديه ووعد بإنهاء النزاع والصلح فيما بينهما، فحكم عليهما بغرامة خمسة قروش تُدفع لدى الحاكم ووافق الطرفان على حكم الأعرابي^(٤) وعندما وُشى أحد الرهبان للبابا كيرلس الخامس، البطريك (١١٢) (١٨٧٤-١٩٢٧ م) باستيلاء القمص يوحنا على أموال الدير، قام عربان وادي النطرون بكتابة شهادة موقعة من مجموعة منهم تشهد بحسن سير وسلوك والتزام هذا لإزالة شك البطريك^(٥).

كما اعتمدت أديرة وادي النطرون على العربان في عملية النقل مثل نقل بعض مواد البناء، والمؤن من عزب الأديرة بأتريس بالجيزة وكفر الدوار بالبحيرة^(٦) ونقل الرهبان والزائرين بواسطة الإبل ودواب الحمل من الأديرة إلى الطرانة لوجود مرسى للنيل بها حتى يتسنى لهم الانتقال إلى القاهرة أو الإسكندرية أو رشيد^(٧) كذلك إمدادهم بالعمالة في بعض الاشغال المؤقتة

(١) مديرية البحيرة: س ١٠٣٢، وارد الفروع لقسم النجيلة، وثيقة ٨٨٨، ٧ من ذي القعدة ١٢٨٤هـ / ، ص ١٥٥.

(٢) وثائق دير السريان: وثيقة ٩٣٥، ١٧ أمشير ١٥٩٨ / ١٨٨٢ م.

(٣) نفسه: وثيقة ١٣٠٥، ١٦٠١ ش / ١٨٨٥ م؛ انظر: ملحق رقم (١٣)، ص ٢٦٦.

(٤) دير السريان: مخطوط ٢٤٩، ميامر، ١٥٨١ ش / ١٨٦٥ م؛ انظر: ملحق رقم (٢٠)، ص ٢٧٣.

(٥) نفسه: وثيقة رقم ٦٠٩، ٧ يناير ١٨٩٣ م.

(٦) نفسه: وثيقة رقم ٦٠٣، ٢ ربيع الأول ١٢٣٦هـ / ٨ ديسمبر ١٨٢٠ م؛ انظر: ملحق رقم (١٣)، ص ٢٦٦.

(٧) نفسه: وثيقة ٦٢٥، ٢٥ رجب ١٢٩٣هـ / ١٦ أغسطس ١٨٧٦ م.

بالدير أو الدائمة بعزب الأديرة، كل ذلك كان لا يتم إلا في جو تسوده العلاقات الحميمة بين الرهبان والعربان^(١).

أديرة وادي النطرون وظاهرة شراء المخطوطات

منذ تشيد أديرة وادي النطرون بالصحراء الغربية بمصر، ومعظم الحجاج المسيحيين والرحالة الأوروبيين يحرصون بعد أداء الحج في مدينة أورشليم (القدس) وعلى زيارة المزارات المسيحية في مصر ونذكر على سبيل المثال زيارة دير سانت كاترين بشبه جزيرة سيناء، وأديرة برية شيهيت وأديرة البرية الشرقية حيث يرى الأنبا بولا والأنبا أنطونيوس، وأديرة الصعيد بجنوب مصر، وكذلك كان هناك اهتمام خاص بالتعرف على ما تحويه المكتبات من كنوز ثمينة^(٢) وتميز القرن السابع عشر الميلادي باتجاه الغرب وعلى رأسهم فرنسا نحو بلاد الشرق لحرصها على كشف أسرارها، عن طريق إرسال البعثات التبشيرية، لتقوية الصلات التجارية وفتح أسواق جديدة، ولتوطيد هذه العلاقات والنظر إلى مستقبل فرنسا المشرق، أصدر الوزير الفرنسي "كولبير" أوامره في ١٧ نوفمبر ١٦٦٩م، بتأسيس مدرسة للترجمة، فتم الاتفاق مع الآباء الكابوس في منطقة بيرا وأزمير على إرسال ثمانية عشر طفلاً تتراوح أعمارهم بين التاسعة والعاشرة لكي يتعلموا في أديرة هؤلاء الرهبان اللغة العربية والتركية ثم يتم توزيعهم على أسكالات الشرق، وقد عمل بعضهم أساتذة للغة العربية في الكلية الملكية الفرنسية، وفي كلية لويس لى جران، واهتم آخرون بالاستشراق وعينوا في مدرسة اللغات الشرقية، ومنهم من عمل مترجماً للملك فرنسا، وساهم ذلك في فتح آفاق جديدة نحو الشرق، وعلى الرغم من ذلك عبر الرحالة الفرنسي "جان تينو" عن أسفه لعدم وجود أعداد كبيرة من الرحالة الذين زاروا مصر^(٣).

(١) نفسه: وثيقة رقم ١١٩٤، ٢٣ برمهات ١٦٠٢ ش.

(٢) إلهام محمد علي ذهني: مصر في كتابات الرحالة الفرنسيين في القرنين السادس عشر والسابع عشر، المرجع السابق، ص ١٢٤.

(٣) نفسه: ص ٣٥-٥٢.

وهنا لابد أن نسجل أن الغرب كان لديه اهتمام كبير بالشرق وخاصة مع بدايات عصر النهضة، أي ما بين القرن الرابع عشر الميلادي إلى القرن السابع عشر، وربما في أواخر ذات الفترة بدأت ظاهرة أو فكرة شراء المخطوطات والنقوش في مصر، حيث كان الأوروبيين يريدون الحصول على الوثائق والمخطوطات والنقوش والآثار وترجمتها لمعرفة التراث الثقافي بأى وسيلة، ومن أجل ذلك سعى بابا روما "يوليوس الثاني" (٥ ديسمبر ١٤٤٣-٢١ فبراير ١٥١٣م)، والذي يعرف باسم "البابا المحارب"، وأحد أشهر باباوات هذا العصر، بتأسيس مطبعة عربية؛ ونشر أول كتاب باللغة العربية ويعرف بـ "صلاة السواعي" أو الأجيبة (ajpia)^(١) عام ١٥١٤م. وفي ذات الفترة صدر في فرنسا أول كتاب باللغة الفرنسية عن تاريخ مصر وحضارتها، وتم تدواله من قصر إلى قصر ومن كنيسة لكنيسة، فزادت الرغبة لديهم لزيارة مصر، ويعتبر "جريفان أفاجار" وهو من رجال الدين ومن أثرياء مدينة رين (Rennes)، أول من زار مصر بعد أن أصبحت ولاية عثمانية حيث زارها في عام ١٥٣٣م، وبعد ذلك توالى على زيارتها ولا يزال العديد من الرحالة والشخصيات في شتى المجالات العلمية^(٢).

وانفرد القرن الثامن عشر الميلادي، وخاصة بعد أن أصدرت العديد من دول أوروبا بعض المؤلفات التي تتناول حضارة مصر وتراثها وكنوزها، بمجيء مجموعة كبيرة من الرحالة

(١) صلاة السواعي: أو الأجيبة ajpia هي كلمة قبطية تعني "كتاب السواعي" أو كتاب الساعات وهي السبع صلوات على مدار اليوم. قد تم ترتيب ساعات الصلوات زمنياً، وكل منها فكرته عبارة عن جزء من حياة السيد المسيح على الأرض. وكل ساعة منها مكونة من مقدمة يتم البدء فيها بـ: الصلاة الربانية أبانا الذي في السماوات، ثم صلاة الشكر، وبعدها المزمور الخمسون، ويتبع تلك المقدمة الثلاثية، تلاوة مجموعة من الزمائر، ثم مقتطف من أحد الأناجيل، ثم قطع الابتهالات. وبعد ذلك يتم قول "كيرياليصون" أي "يا رب ارحم" ٤١ مرة، وهذا العدد يمثل ٣٩ جلدة التي تلقاها السيد المسيح قبل الصلب، بالإضافة إلى واحدة للحربة في جنبه، وأخيرة للشوك الذي وُضِعَ على رأسه، ثم بعض الصلوات القصيرة الأخرى قدوس - قدوس الله - قطعة إضافية قبل كيرياليسون في صلاة النوم، ثم ختام كل ساعة، وبعد ذلك صلاة ارحمنا يا الله ثم ارحمنا، والختام بالصلاة الربانية لمزيد انظر: الأجيبة، مكتبة المحبة - القاهرة ١٩٩٦م.

(٢) إلهام محمد علي ذهني: مصر في كتابات الرحالة الفرنسيين في القرنين السادس عشر والسابع عشر، المرجع السابق، ص ٦٣-٦٧.

والمستكشفين من أجل الزيارة والبحث عن المخطوطات والنقوش وشرائها من أديرة وادي النطرون وغيرها من أديرة مصر، وعبروا عن قيمة وتراث وحضارة مصر، نذكر منهم على سبيل المثال، الرحالة الفرنسي "فورمون" Fourmont ويكفي ما ذكره في كتاباته أن مصر قد ملأت العالم فخراً ومجداً بحضارتها وآثارها"، وتعتبر رحلة الأثري "بول لوكاس" paul Lacas إلى مصر أهم الرحلات التي تمت في الفترة ما بين (١٧١٤-١٧١٩م) وقد سجل رحلاته ودونها في مذكرات تم طبعها عام ١٧٧١م، كما أنه قام بشراء العديد من المخطوطات والنقوش، وخير دليل على ذلك استعان بأعضاء أكاديمية المخطوطات وعلماء الآثار في تفسير ما أحضره معه من مصر^(١).

ومن الجدير بالذكر أن نياقة الأنبا "مارتيروس" أسقف عام الكنيسة القبطية الأرثوذكسية في مصر، أكد في مؤتمر التراث بالبحر الأحمر في مارس ٢٠١٣، أن مخطوطات دير الأنبا "أنطونيوس" وأديرة وادي النطرون المكتوبة باللغة القبطية والسريانية في الفترة ما بين القرن الرابع عشر والتاسع عشر الميلاديين، قد سُرقت من قبل بعض الرحالة الأوروبيين لشغفهم بهذه المخطوطات والرغبة في اقتنائها^(٢).

على أية حال، زار الأب "دورفال" D'Orval مصر في عام ١٧٤٧م وكان الغرض الرئيسي من رحلته هو الحصول على المخطوطات العربية ولقى التشجيع والمساعدة من رجال السياسة، كما جاء أيضاً إلى مصر "سافاري" عام ١٧٧٧م، وكتب العديد من المؤلفات عن مصر وهي ذات أهمية كبيرة، أما أشهر الرحالة الروس الذين زاروا مصر "هيوليت فيكنسكي" حيث زار الأماكن المقدسة ودير القديسة كاترين، وأيضاً "بينودي ميليه" من اللورين (١٦٥٦-١٧٣٨م) الذي كان قنصلاً في مصر ١٦٩٢م، حيث أشار إلى اهتمامه بالتاريخ القبطي فكتب قائلاً: "لا بد

(١) إلهام محمد علي ذهني: مصر في كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين، المرجع السابق، ص ٢٣٧.

(٢) جريدة الوفد: خبر نشرته ولاء وحيد بعنوان «الأنبا مارتيروس يكشف سرقة مخطوطات قبطية نادرة»، بتاريخ ١٥ مارس ٢٠١٣.

من الكشف عن المخطوطات الهامة في الأديرة القبطية^(١)، وكان البعض من الرحالة ورجال الدين ينشرون أخباراً مضللة أو كاذبة عن رحلاتهما حتى يتسنى لبني جنسهم اقتنائها، ونذكر منهم على سبيل المثال المطران الإنجليزي “ريتشارد بوكوك” (١٧٠٤-١٧٦٥ م) Richard Pococke^(٢). هنا ينبغي أن نشير إلى مدى الاهتمام من جانب الرحالة الزائرين جميعاً بالبحث عن المخطوطات والنقوش بالأديرة والكنائس القبطية وخاصة أديرة وادي النطرون، فقد كلف بعضهم بشراء المخطوطات العربية والقبطية مثل الأب دورفال وفورمون لاثراء المكتبة الملكية في باريس وخاصة أثناء وجود الحملة الفرنسية في مصر (١٧٩٨-١٨٠١ م)^(٣).

ومنذ بداية القرن التاسع عشر الميلادي ومع حدوث الاستقرار في إدارة البلاد، خاصة بعد تولي “محمد علي” باشا حكم مصر (١٨٠٥-١٨٤٨ م)، زادت زيارات الرحالة الأوروبيين لمصر^(٤)، وفي ذات اللحظة زاد عدد الدراسات حول النص المسند للكتاب المقدس في أوروبا، وبالطبع زاد الطلب والبحث في الشرق وخاصة في الأديرة القبطية على شراء النقوش والمخطوطات، وكان لكثرة هذه الظاهرة أطلق البعض على ممارسيها “بالسراق”، والحقيقة التاريخية أن غالبية الزائرين كانوا يحرصون على شراء المخطوطات، وهذا ما أكده كل من “روبرت كرزون” Robert Carsen، والرحالة الإنجليزي “وليم تيرنر” الذي زار مصر عام ١٨١٥ م، وأكد له ذلك الرهبان في الأديرة التي قام بزيارتها، وأيضاً الإنجليزي “وليم جون بانكيك” الذي تحدث عن قيمة وكنوز الكنيسة الشرقية، وهنا يجب أن نسجل دور الرهبان في الحفاظ على الأديرة ومقدساتها لأنهم كانوا يدركون قيمة الكنوز الثمينة التي يمتلكونها، وفي ذات اللحظة يعرفون رغبة الزائرين الأوروبيين في شراء المخطوطات أو سرقتها أو نهبها،

(١) إلهام محمد علي ذهني: مصر في كتابات الرحالة الفرنسيين في القرن الثامن عشر، المرجع السابق، ص ٨١-٨٧، انظر: ملحق رقم ٣.

(2) Rachel Finnegan, letters from Abroad: The Grand Tour Correspondence of Richard Pococke & Jeremiah Milles. Volume 3, Letters from the East (1737/1741-).

(٣) إلهام محمد علي ذهني: مصر في كتابات الرحالة الفرنسيين في القرن الثامن عشر، المرجع السابق، ص ٢٣٧-٢٣٩.

(٤) جهادية: محفظة ١٧، أمر عال ٢٣ ربيع الآخر سنة ١٢٢٣ هـ/ ٢ يونيو ١٨٠١ م.

ولذلك لجؤوا إلى إغلاق المكتبة أحياناً وتركها بدون تنظيم ومحاولة أهمالها، أو ترك الحشرات بها أو ترك قصصات قديمة بالقرب منها، وهذا كله كنوع من الخدعة من أجل تأمينها، ولذلك أجمع معظم الرحالة الذين زاروا برية شيهيت على جهل وتخلف الرهبان، ولكن الحقيقة عكس ذلك لان الرحالة نسوا أن السيد المسيح علمهم التواضع والبساطة في كل شيء والزهد والفقر الاختياري وكل ذلك من قوانين الحياة الرهبانية، وهذا ما أكدته كثير من الرحالة والباحثين المستشرقين ونذكر منهم على سبيل المثال الرحالة السويسري الشهير "جون لويس بركهاردت" (١٧٨٤-١٨١٧م) Jean Louis Burckhardt ^(١) والأمريكي الدكتور "إدوارد روبنسون" (١٧٨٤-١٨٦٣م) ^(٢) والرحالة والمؤرخ إيفلين هوايت ^(٣). ومنذ أواخر القرن التاسع عشر وحتى يومنا هذا فرض رهبان أديرة وادي النطرون رقابة شديدة - إلى حد ما - على مكتبات المخطوطات والكتب القيمة بالبرية.

والآن يجب علينا متابعة أهم الرحالة الزائرين لمنطقة وادي النطرون والمهتمين بشراء أو سرقة المخطوطات الموجودة بمكتبات أديرة البرية بأى وسيلة، فنذكر منهم على سبيل المثال الراهب جيلس دي لوش الكبوشى الذي زار الوادي في عام ١٦٣٣م، وأعلم هذا الأب، بيرسك أن هناك كتب قيمة في أديرة مصر، وذكر بصفة خاصة مكتبة دير السريان ^(٤). حيث ذكر أنها تحتوي على ثمانية آلاف مجلد، وأطلق عليه اسم "كنوز دير السريان الأدبية". ومن هنا اهتم بيرسك في الحال بهذه المعلومة فتواصل في عام (١٦٣٤م) بـ "أجاثنج دوفندوم" الذي تفاوض من أجل شراء كتاب المزامير ذى الأصل المتعدد اللغات (باريرني) ^(٥) المحفوظ حالياً في ميلان بإيطاليا

(1) https://de.wikipedia.org/wiki/Jean_Louis_Burckhardt.

(2) https://de.wikipedia.org/wiki/Edward_Robinson.

(٣) إيفلين هوايت: المرجع السابق، ج١٧٨، ٢.

(٤) مكتبة دير السريان: تعد من أهم مكتبات برية شيهيت لاحتوائها على العديد من المخطوطات النادرة على مستوى مكتبات العالم، وكاتب هذه السطور عمل بها فترة زمنية ما بين عام (٢٠٠١-٢٠١١م) حيث قام بفهرسة الوثائق وبعض المخطوطات، وكشف النقاب عن العديد منها.

(٥) باريرني: عرفت هذه المخطوطة بهذا الاسم لأنها كتبت بعدة لغات وهي: الأرمنية والعربية والقبطية والسريانية والحبشية. لمزيد من التفصيل انظر: ملحق رقم ٢.

من ربيته دير القديس الأنبا مقار بوادي النطرون^(١). والحقيقة أنه لا يوجد ما يثبت أن دوفندوم قد زار البرية، ولكن المثبت أن الأوروبيين كانوا على اتصال مباشر برهبان شيهيت، وهنا يجب أن نؤكد حقيقة للتاريخ أن الزائرين الأولين مهدوا الطريق للزائرين الآخرين فقد تظهر قطعة الجرافيت في كنيسة الملاك ميخائيل بدير القديس مقاريوس أن الرحالة الفرنسي كلود دوراند زار وادي النطرون عام ١٦٤٠م وتبعه بعدها بعامين اثنين آخرين في عام ١٦٤٤م^(٢).

أما روبرت هنتنجتون الذي زار وادي النطرون ما بين (١٦٧٨-١٦٨١م)، أكد وجود نسخة من الكتاب المقدس للعهد القديم بمكتبة دير السريان باللغة السريانية في المكتبة، وذكر أيضاً أنه لا يوجد شيء يستحق ذكره بدير الأنبا مقار إلا مكتبة الدير التي تحتوي على العديد من الكتب والمخطوطات^(٣)، كما وفد إلى مصر في عام (١٧٠٧م) إلياس السمعاني أمين مكتبة الفاتيكان بتكليف من بابا روما وبصفة خاصة من أجل الإطلاع على مجموعة المخطوطات الشرقية، ونجح السمعاني بفضل لباقته وسهولة حديثه من جانب وكياسه البطريك القبطي من ناحية أخرى في حمل (٤٠) مجلداً منتقاة من مكتبة دير السريان، وذكر في مذكراته القبو المظلم الذي اكتشف فيه مجموعة من هذه المخطوطات^(٤).

كما زار الأب "كلود سيكار" Claude Sicard (١٦٧٧-١٧٢٦م) الذي كان أستاذاً للدراسات الإنسانية في ليون، مصر عام ١٧١٢م وكان الغرض من زيارته "تحويل الأقباط للمذهب اليسوعي" والتعرف على طبيعة مصر، فزار أديرة وادي النطرون، وأكد على أهمية مكتبة دير الأنبا مقار حيث ذكر قائلاً: "إنها عامرة بالكتب القيمة والمخطوطات ولكنها تدور

(1) Paper manuscript in the Vatican library, Barb. or. 2, f. 3r, Psalter in five languages (Ge>ez, Syriac, Bohairi Coptic, Arabic, Armenian).

(٢) مخطوطة بارييري، محفوظة في مكتبة الفاتيكان، باسم باري. أو ٢٠، و ٣٢، أو سفر المزامير بخمس لغات هي: الأرمنية والعربية والقبطية والسريانية والحبشية.

إيفلين هوايت: المرجع السابق، ج ٢، ص ١٥٧.

(٣) صموئيل تاو وروس السرياني: المرجع السابق، ص ٨٣.

(٤) مرتيروس السرياني: المرجع السابق، ص ١٥٨.

حول شهداء الأقباط في عهد الرومان“^(١)، كما ذكر أن المكتبة تحتوي على ثلاثة صناديق أو أربعة من المخطوطات القديمة، وهي باللغة القبطية والعربية^(٢)، وأيضاً أكد قيمة مكتبة دير البراموس حيث ذكر قائلاً: ”في دير البراموس العديد من الكتب والمخطوطات باللغة اليونانية والقبطية، ولكن الرهبان يهملون الكتب ويضعونها على الأرض حيث تتجول فيها الحشرات“^(٣)، كما حقق يوسف السمعاني الذي زار وادي النطرون بصحبة الأب كلود سيكار في عام ١٧١٥ م، حيث مكث نحو ثمانية أيام في دير الأنبا مقار، واستطاع أن يحصل على مجموعة لا تقدر بثمن من المخطوطات القبطية موجودة حالياً بمكتبة الفاتيكان، ولكنه حقق نجاحاً محدوداً في دير السريان^(٤).

وقد تعجب ”جرانجيه“ الذي زار وادي النطرون عام ١٧٣٠ م من سلوك الرهبان الذين يفضلون أن تبلى هذه المخطوطات وتتآكل بفعل الأتربة عن أن يقوم أحد بنشرها وربما لسان حاله يقول شرائها أو نهبها، وقد وصف سونيني الذي زار برية شيهيت عام ١٧٧٨ م الرهبان في دير الأنبا مقار بالجهل الشديد لأنهم لم يسمحوا له بالإطلاع على مكتبة الدير^(٥). وأكد أن رهبان دير البراموس يحتفظون بالمكتبة بكتبهم المكتوبة باللغة القبطية ولا يهتم الرهبان بهذه المخطوطات المهمة كلية^(٦). أما الجنرال أندريوس الذي زار وادي النطرون في أثناء الحملة الفرنسية على مصر (١٧٩٨-١٨٠١ م) فقد وصف وصفاً دقيقاً قيمة مكتبات أديرة برية شيهيت حيث ذكر قائلاً: ”رجال الدين عور وعميان والكتب التي بين أيديهم ليست سوى مخطوطات صوفية، مكتوبة على رق أو على أوراق من القطن، وبعضها مكتوب بالعربية، وبعضها الآخر مكتوب باللغة القبطية، وعليها في الهامش ترجمة عربية، وعندما تصفحنا المخطوطات الأخيرة وجدنا

(١) إلهام محمد علي ذهني: مصر في كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين، المرجع السابق، ص ٢٣٧.

(٢) إيفلين هوايت: المرجع السابق، ج ٢، ١٦٤.

(٣) إلهام محمد علي ذهني: مصر في كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين، المرجع السابق، ص ٢٣٧.

(٤) سمعان السرياني، الراهب: المرجع السابق، ص ٩٠-٩٤.

(٥) إلهام محمد علي ذهني: مصر في كتابات الرحالة الفرنسيين في القرن الثامن عشر، المرجع السابق، ص ٢٣٧-٢٣٩.

(٦) إيفلين هوايت: المرجع السابق، ج ٢، ١٦٥.

أنها ربما تعود إلى ستمائة عام“^(١). كما أكد روبرت كورزن الذي زار مكتبة دير السريان عام ١٨٣٧م، على أنه اكتشف مجموعة نادرة من المخطوطات بكتوبة باللغة القبطية والسريانية^(٢).

كما زار وادي النطرون عام ١٨٣٨م “هنري تاتام” رئيس الشمامسة، ورفيقة سفره الأنسة “بلات”، الذي رفض رهبان دير السريان فكرة بيع المخطوطات النفيسة لهم فتهكموا عليهم بكلمات بالية^(٣). وفي دير مقاريوس ذاته، لاحظ ولكنسون عام ١٨٤٣م أنه توجد مخطوطات كثيرة مربوطة وفي حالة جيدة، على الرغم من أن الأرضية كانت مغطاة بقصاصات بعضها وأوراق المخطوطات التي أهملت. كما أخبرنا الرحالة قسطنطين تشيندروف الذي جاء إلى مصر ثلاث مرات، كانت الزيارة الأولى عام ١٨٤٤م حيث زار دير القديس الأنبا مقار؛ ووجد بمكتبة الدير مخطوطات كثيرة - ونجح تشيندروف بأسلوبه الألماني الجميل في جمع العديد من قصاصات المخطوطات التي عثر عليها في هذا الدير، واعتمد عليها في العديد من أبحاثه ودراساته^(٤).

وفي ذات الزيارة لمصر عام ١٨٤٤م زار تشيندروف دير سانت كاترين بشبه جزيرة سيناء، واكتشف نحو ٤٣ ورقة مخطوطة، حاول اقتناءها والاحتفاظ بها لنفسه عن طريق صديقه. ولذلك أشار في كتابه الذي ضم الثلاث والأربعين ورقة من العهد القديم، والذي يعرف باسم مجلد (فريدريك أوغسطس الثاني) نسبة إلى ملك إقليم سكسونيا، إلى أن مصدر تلك المخطوطات من مكان ما في الشرق مجاور لمصر، دون أن يحدد المكان حتى لا يلفت نظر بعض الباحثين وتجار المخطوطات والنقوش لمكان مصادره^(٥)، كما طلب من صديقه الدكتور

(١) تأليف علماء الحملة الفرنسية: المرجع السابق، ج ٢، ص ٦٣-٦٧.

(٢) إيفلين هويت: المرجع السابق، ١٧٦-١٧٧.

(٣) جيمس بتلي: جيمس بتلي: اكتشاف الكتاب المقدس قيامة المسيح في سيناء، ترجمة آسيا محمد الطريحي، دار سيناء للنشر، القاهرة ١٩٩٥م، ص ٤١-٤٢.

(٤) إيفلين هويت: المرجع السابق، ١٧٨-١٨٠.

(5) Baumann, Hans-Wolf, Constantin von Tischendorf und der Codex Sinaiticus, 11 März 2015, Gemeindenetzwerk - <http://www.gemeindenetzwerk.de>,

انظر: ملحق رقم ٤، ٥، ٦، ٧.

(برونزيك) محاولة شراء بقية المخطوطات، ولكن فشلت هذه المحاولات، أما الرحلة الثانية لتشيندروف كانت عام ١٨٥٣م وجاء من أجل زيارة دير القديسة كاترين، وكانت رحلة فاشلة بالنسبة له حيث ذكر عنها قائلاً: ” كل الذي استطعت العثور عليه هو شذرة صغيرة لمخطوطة من نفس مجموعة المخطوطات، مستخدمة كما يبدو كمؤشر وظهر على جانبيها أحد عشر سطراً من الكتاب المقدس العهد القديم من سفر التكوين“.

أما الرحلة الثالثة والناجحة للرحالة الألماني قسطنطين تشيندروف كانت عام ١٨٥٩م، حيث اكتشف المخطوطة السينائية (٣٤٦) ورقة مخطوطة، وبعد اكتشافها عرض مبلغ من المال على أمين الدير مقابل السماح باصطحاب المخطوطة، غير أنه رفض هذه الفكرة شكلاً وموضوعاً. ونذكر للتاريخ أن تشيندروف كشف أكبر مزور للمخطوطات في القرن التاسع عشر، ويدعى ”قسطنطين سيمونيدس“ (١٨٢٠-١٨٦٧م)^(١). وهنا يجب أن نوضح موقف القانوني الدولي من المخطوطة السينائية فبعد أن قام تشيندروف بتسليمها لقيصر روسيا ١٨٥٩م وضعت في وزارة الخارجية، كإشارة إلى مجهولية ملكيتها من حيث الناحية القانونية. وقد استغل أعداؤه الفرصة فأطلقوا الإشاعات والشكوك حوله لدرجة اتهامه بسرقة المخطوطات^(٢)، ولكن الروس لجؤوا بالطرق الدبلوماسية والقانونية مع رئيس الدير للحصول على موافقته بإهداء المخطوطة لقيصر روسيا في مايو ١٨٦٩م. وهنا من الناحية القانونية أصبحت ملك لروسيا، فنقلت المخطوطة السينائية من وزارة الخارجية لتعرض في المكتبة الإمبراطورية العامة في روسيا^(٣).

على أية حال، استمرت ظاهرة بيع المخطوطات والنقوش حتى أوائل القرن العشرين، وتطورت فكرة البيع، فبدلاً من البيع من شخص إلى آخر أو من شخص لمؤسسة أو متحف، أصبح البيع من دولة لدولة ونذكر على سبيل المثال لجوء روسيا عقب الثورة البلشفية ١٩١٧م،

(١) جيمس بتلي: المرجع السابق، ص ٨٠-٩١؛ انظر: ملحق رقم ٥.

(2) Baumann, Hans-Wolf, Constantin von Tischendorf und der Codex Sinaiticus, 11 März 2015, Gemeindeforum - <http://www.gemeindenetzwerk.de>.

(٣) جيمس بتلي: المرجع السابق، ص ٩٤-٩٦.

إلى بيع بعض المخطوطات والوثائق من أجل توفير العملة الأجنبية، حيث باع ستالين في عام ١٩٣٣ م، المخطوطة السينائية^(١) لرئيس وزراء بريطانيا "رامزي ماكدونالد" Ramsay MacDonald (١٩٢٩-١٩٣٥ م)^(٢) مقابل مائة ألف باوند، ونقلت المخطوطة إلى لندن في ٢٧ ديسمبر ١٩٣٣ م ووضعت في المتحف البريطاني ولا تزال حتى يومنا هذا^(٣).

وهنا يجب أن نسجل للتاريخ أن تهمة سرقة المخطوطة السينائية، وقصاصات المخطوطات من دير الأنبا مقار بوادي النطرون لاحقت تشيندروف، وخاصة من أعدائه أي المنافسين له في مجال الدراسات والكتابات اللاهوتية القديمة للكتاب المقدس، فليس دفاعاً عنه، فإنه لم يكن في يوم من الأيام تاجرًا أو وسيطًا أو سمسارًا للمخطوطات والوثائق والنقوش القديمة، وكتب التراث وغيرها، فكان إنسانًا باحثًا وأستاذًا بجامعة لايبزيغ وهي من أقدم الجامعات الألمانية، ووهب نفسه للبحث عن المصادر الأصلية للكتاب المقدس، لكتابة النص المسند، وخاصة بعد أن ساد أوروبا والعالم الإلحاد وكثر المشككين في صحة الكتاب المقدس.

على أية حال، كانت ظاهرة شراء المخطوطات والوثائق منتشرة بصورة كبيرة ما بين القرن الرابع عشر الميلادي وحتى القرن العشرين الميلادي، كما سبقت الإشارة، وهنا نؤكد على حقيقة تاريخية أن معظم الرحالة الزائرين لوادي النطرون هم أيضًا الزائرون لدير سانت كاترين، ولديرى الأنبا بولا والأنبا أنطونيوس، ولأديرة الصعيد بجنوب مصر، وكان هدفهم جميعًا واحدًا، وهو شراء أو نهب المخطوطات والكتب النادرة القيمة، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه ماذا كان يحدث لو لم يستولى آل إيلياس السمعاني على مجموعة من المخطوطات المحفوظة حاليًا في مكتبة الفاتيكان؟ هل كنا نسمع عن المخطوطة متعددة اللغات الشهيرة (باريرني)، التي تدل على عمق وقوة العلاقات الرهبانية ما بين الرهبان المصريين الذين احتضنوا إخوانهم

(1) Baumann, Hans-Wolf, Constantin von Tischendorf und der Codex Sinaiticus ,11 März 2015, Gemeindeforum - <http://www.gemeindeforum.de>.

(2) https://de.wikipedia.org/wiki/Ramsay_MacDonald.

(3) Baumann, Hans-Wolf, Constantin von Tischendorf und der Codex Sinaiticus ,11 März 2015, Gemeindeforum - <http://www.gemeindeforum.de>.

من الرهبان الأحباش والأرمن والسريان! وأيضًا لو لم ينتشل تشيندروف المخطوطة السينائية؟ أو قصاصات مخطوطات دير القديس الأنبا مقار؛ ربما كانت تتعرض هذه المخطوطة للحريق أو التهلك والتلف مثل الآف المخطوطات نتيجة لجهل بعض الرهبان بنظام التخزين؛ الذي يؤدي إلى تعرضها لبهتان خطها وزوال النص الأصلي أو عدم القدرة على قراءتها، وأيضًا لم نكن نتوصل إلى النص المسند للكتاب المقدس، وكذلك لما تم إثبات صحة كل ما ورد بالكتاب المقدس كما وعد الرب شعبه قائلًا: «السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ تَزُولَانِ، وَلَكِنَّ كَلَامِي لَا يَزُولُ»^(١). ولذلك من الواجب ومن المرغوب فيه، وقف الاتهامات الباطلة ضد آل إيلياس أو تشيندروف أو غيرهم، ويجب أن يتحول الحديث إلى فضلهم في تجهيز ونشر هذه المخطوطات. ولكن هل نستجدي أنفسنا لمساحتهم. هذا لا يمنع أن كاتب هذه السطور كونه مصريًا يري أن كنوز كنيسة القبطية الأرثوذكسية لا تفرط فيها أبدًا، ولكي نشفي ألما من هذا الموضوع نطالب بنسخة ديجيتال لكل مخطوطاتنا والقصاصات التي تسربت إلي الخارج بطرق مختلفة إن لم يكن إعادتها إلينا. ووضعها في مكانها الأصلي الذي سرقت منه، أو وضعها في مكتبة الإسكندرية باعتبارها أقدم مكتبات العالم، وهذا ما نتمناه.

فضل الرهبة ورهبان وادي النطرون على العالم

الرهبة في المسيحية بالنسبة للكنيسة كالجذور بالنسبة للشجرة، وكالأساس بالنسبة للبناء، فعلى قدر ما يكون الأساس عميقًا ومتينًا على قدر ما يكون البناء عاليًا وثابتًا، وكما أن جذور الشجرة وأساس البناء كلاهما لازم لكنه مدفون في الأرض، هكذا الرهبة هي أساس الكنيسة المدفون في عمق الصحراء. وكلما كانت الرهبة قوية كانت الكنيسة قوية أيضًا لأن معلّمى وقادة الكنيسة من بطارقة أو أساقفة ومعاونهم هم من الأديرة، وكلما كانت الكنيسة قوية في الروحانية والعلم أفرزت رهبانًا وراهبات روحانيين أتقياء مثالين^(٢).

(١) الكتاب المقدس: (لو ٢١: ٣٣).

(٢) تأليف أحد الرهبان دير الأنبا بشوي: دير القديس العظيم الأنبا بشوي على مر الأجيال، المرجع السابق، ص ٥٩.

والرهبان هم خدام الله الحقيقيون فينما يسكنون على الأرض.... يعيشون كمواطنين حقيقيين للسماء. فلذلك يعتمد الناس في كل المسكونة على صلوات هؤلاء الرهبان، كما لو كانوا يعتمدون على الله نفسه. وهنا يسجل لنا أحد الرحالة الزائرين لبرية شيهيت بمنطقة وادي النطرون مركز الرهبة فوصف الرهبان قائلاً: «إن الرهبان بواسطتهم العالم محفوظ، وأنه بواسطتهم أيضاً يحفظ الله البشرية ويكرمها». وهكذا الرهبان في عالمنا الأرضي هم دائماً المدافعين عنا والحارسين لسلام العالم والساهرين باستمرار على حماية الحدود لأنهم مسلحين ضد الشياطين، من أجل خاطر البشرية^(١)، وهذا ما ورد في الكتاب المقدس حيث ذكر قائلاً: ”فَاتَّبِعُوا مَنَظِقِينَ أَحْقَاءَكُمْ بِالْحَقِّ، وَلَا بَسِينَ دَرْعِ الْبَرِّ، وَحَازِينَ أَرْجُلَكُمْ بِاسْتِعْدَادِ إِنْجِيلِ السَّلَامِ. حَامِلِينَ فَوْقَ الْكُلِّ ثَرَسَ الْإِيمَانِ، الَّذِي بِهِ تَقْدِرُونَ أَنْ تُطْفِئُوا جَمِيعَ سِهَامِ الشَّرِّ الْمُلْتَهَةِ. وَخُذُوا خُوذةَ الْخَلَاصِ، وَسَيْفَ الرُّوحِ الَّذِي هُوَ كَلِمَةُ اللَّهِ.“^(٢).

ومن الجدير بالذكر، أن المجتمع في العصور الوسطى كان ينقسم إلى ثلاثة أقسام: أولئك المحاربون أي المدافعون عن الدولة ضد المغيرين عليها، وأولئك العاملون بالأرض الزراعية والحرف الصناعية والتجارية، وأولئك الذين يصلون ليل نهار والمتعبدون بالبراري والشقوق. هنا الكل يعمل داخل منظومة ربما يأتي على قائمتها الصلاة من أجل أن يبارك الله أعمالهم^(٣).

على أية حال، يعد الرهبان هم معلمو الفضائل المسيحية وحراسها ورموز الحياة، وتوجد أمثلة معيشة للفضيلة المتجسدة في حياتهم، والتي انتشرت روائعها الذكية عبر التاريخ. فما زالت قصة شجرة الطاعة للقديس يوحنا القصير كنموذج للطاعة وثمارها الحلوة، وقصة عنقود العنب أيام القديس مقاريوس تجسد المحبة الأخوية وتقديم الآخرين عنا، وقصة القديس الأنبا بيشوي وهو يقاوم النعاس الطبيعي لمواصلة الصلاة ليلاً ونهاراً بربط شعر رأسه بسقف مغارته بدير السريان، وأن دل ذلك على شيء إنما يدل على أن الصلاة حديث روحي لذيق وشيق بين

(١) هستوريا موناخورم: المرجع السابق، ص ٢٣.

(٢) الكتاب المقدس: (أفسس ٦: ١٤-١٧).

(٣) هستوريا موناخورم: المرجع السابق، ص ٢٣.

الإنسان والمسيح فاديه، وفي ذلك تشجيع على الصلاة الحقيقية العملية في بساطة الروح وشوق القلب، وهو تعليم صامت لماهية الصلاة. وذلك الراهب الذي ظل طول عمره يبكي لأنه أكل خيارة واحدة وجدها على الطريق، فهذا تعليم لنا يدل على عمق الأمانة وكيف يجب لنا أن لا نأخذ ما ليس لنا. وقصة ذاك الراهب الذي كان فرحاً عند موته ومتهللاً، فلما سأله: لماذا؟ قال: لأني لم أدن أحداً قط، فأنا واثق أن الله لا يدينني؛ لأنه قال: لا تدينوا لكيلا تدانوا. وهذا تعليم واضح لأهمية عدم إدانة الآخرين، والقديس مقاريوس الكبير الذي جلس على الماجور الذي كانت تحتجىء تحته المرأة الخاطئة لكيلا يفتضح أمرها وأمر صاحبها، حتى صار ذلك مثلاً: إن القديس مقاريوس غطى الخطية بالزبدية. كذلك الأنبا موسى عندما طلبوه لمحاكمة أحد الإخوة فجاء يحمل جوالاً مملوءاً بالرمال على ظهره وتسرب منه الرمال خلفه فقال لهم: ”فيما أنا مثقل بخطاياي التي أحملها ولا أنظرها فكيف أدين أخي على خطاياي“^(١). وهذا ما ذكر في الكتاب المقدس حيث ذكر قائلًا: ”لِمَاذَا تَنْظُرُ الْقَدَى الَّذِي فِي عَيْنِ أَخِيكَ، وَأَمَّا الْخَشَبَةُ الَّتِي فِي عَيْنِكَ فَلَا تَنْظُرُ لَهَا؟“^(٢).

وهنا يجب أن نسجل نموذجاً فريداً لشيخ وقور من أحد الآباء الرهبان حين ذهب لبيع عمل يديه، فتظاهر المشتري أنه ليس معه نقود واصطحبه إلى بيته ليعطيه ثمن القفف، وذلك ليستدرجه ليصلي لابنته المصابة بروح نجس، فلما وصل الراهب القديس إلى منزل ذلك الرجل خرجت ابنته وصفعته على وجهه، فحول لها الراهب خده الآخر، فلم يحتمل الشيطان تنفيذ وصية السيد المسيح فخرج منها صارخاً: آه من قوة تعاليمك أيها الناصري، وهكذا نرى أن حياة الآباء الرهبان هي تجسيد للفضيلة، بل هم مقياس القامة الروحية والإنجيلية للفضائل المسيحية يراها فيهم الناس فيتشبهون بهم، وقيسون أنفسهم على ميزان الفضيلة الرهباني، كما يقيسون ويعايرون دقة الموازين والمكاييل والأطوال والساعات بالأجهزة الأصلية الدقيقة لضبطها لئلا تنحرف القياسات. وهكذا كان رهبان شيهيت نموذجاً للفضائل وإذا جاز لنا

(١) تأليف أحد الرهبان دير الأنبا بشوي: دير القديس العظيم الأنبا بشوي على مر الأجيال، المرجع السابق، ص ٥٩.

(٢) الكتاب المقدس: (لو ٦: ٤١).

أن نقول مثل أنبياء العهد القديم نذكر منهم، أبو الآباء إبراهيم في حياة الإيمان، وإسحق في الطاعة، ويعقوب في الجهاد، ويوسف الصديق في العفة، وأيوب في الصبر، وإيليا في حياة الصلاة، وأرميا في الغيرة والدموع، ويوحنا المعمدان في النسك والشهاد للحق^(١).

كما أن حياة الصلاة عند الآباء الرهبان بلا انقطاع كما يقول الكتاب المقدس، وكما ذكر أحد رهبان برية شيهيت قائلاً: ”الصلاة هي رَجْع (أي صَدَى) صوت الروح القدس في القلب، لأنه إن لم يكن لنا الروح القدس يعمل في القلب، فلن تكون صلاة مقبولة أمام الله“ وفي موضع آخر ذكر قائلاً عن الصلاة: إنها ”صلاة القيامة، ولحظات الأبدية، وساعة المسيح التي يُمارسها أولاد المسيح الذين ينهضون للصلاة والتسبيح في كل وقت وبلا ملل“، وأيضاً ذكر قائلاً: ”حينما يجذبنا الله إلى الصلاة، فهو لا يضع خلاصنا نحن فقط أمام عينيه، بل يُريد أن يستخدم صلواتنا لخلاص الآخرين أيضاً“ فالصلاة كانت عملاً عظيماً يتم إنجازه في الجسم الحفيف. فالرهبان بصلواتهم مثل الأشجار ينقون الجو بواسطة حضورهم. وهم بؤرة القوة الروحية لمجتمعهم، وأيضاً صناع سلام بين الناس^(٢)، كما ذكر الكتاب المقدس قائلاً: ”طُوبَى لِصَانِعِي السَّلَام، لَأَنَّهُمْ أَبْنَاءُ اللَّهِ يُدْعَوْنَ.“^(٣).

خلاصته: أن الراهب صديق الله، رجل له حظوة في بلاط السماء، وشخص به يحفظ الله الحياة البشرية ويكرمها. إن الآباء الرهبان لهم تراث عظيم وغير محدود من جهة أقوالهم النافعة في المجالات كافة، وكذلك فقد كان لهم فضائل كثيرة في شتى العلوم الدينية واللاهوتية وقد تركوا لنا تراثاً عظيماً من المخطوطات والوثائق والكتب والمحفوظات^(٤).

(١) تأليف أحد الرهبان دير الأنبا بشوي: دير القديس العظيم الأنبا بشوي على مر الأجيال، المرجع السابق، ص ٥٩.

(٢) ماجد عزت إسرائيل: مقال بعنوان «فضل الرهبنة على العالم»، موقع الأقباط متحدون، بتاريخ ٤ ديسمبر ٢٠١٧م.

(٣) الكتاب المقدس: (مت ٥: ٩).

(٤) ماجد عزت إسرائيل: مقال بعنوان «فضل الرهبنة على العالم»، موقع الأقباط متحدون، بتاريخ ٤ ديسمبر ٢٠١٧م.

ونريد هنا أن نسجل دور الآباء الرهبان في الكرازة والخدمة فإننا نرى أنه حرص الرهبان الأقباط على الحفاظ على الفضائل والقيم الروحية السامية وتعاليم الكتاب المقدس والكرازة، ولذلك دافعوا بحماسة بالغ وذهن متوقد مبدع وقلب نقى مخلص عن الإيوان المسيحي عامة، والإيمان الأرثوذكسي خاصة بوازع داخلي، او للإحساس بالمسئولية عندما تقتضى الضرورة ذلك، او بدعوة من الكنيسة، وهكذا رأينا القديس الأنبا بيشوي الوديع الكامل يقابل أحد تلاميذه بجفاء لأنه تهاون في الرد على ملاحظات أحد اليهود، وأيضاً تحمل الأنبا بيشوي مشقة عمل قفف بثلاث آذان وحملها والسفر بها إلى المنشأة ليرد العابد الهرطوقي. وهكذا فعل معلمه الأنبا بموا عندما ذهب للوقوف مع البابا ضد الهرطقة. ومن قبلهما نزل القديس الأنبا أنطونيوس للإسكندرية مرتين وهو شيخ كبير لتشجيع المؤمنين على الثبات في الإيمان ومقابلة الاستشهاد بفرح، ومرة أخرى ليدعم تعاليم البابا أثناسيوس الأول البطريرك رقم (٢٠) (٣٢٨-٣٧٣م) ضد بدعة أريوس، ولييث في نفوس المؤمنين بفرح الإيمان الفياض المتاصل فيه والذي ليملاً قلوب سامعيه، وليشع بأنواع تعاليم كنيسة الإسكندرية، وينجح في إبادة الأريوسية، ونذكر للتاريخ أن البابا أثناسيوس الأول كان يتخذ من برية شيهت ملجأ له للهروب من الأريوسيين والحكام المناصرين لهم، لكي يتفرغ لكتابة مؤلفاته التي يرد بها على بدعتهم^(١).

ومن المعروف أن العالم يدين بالفضل للقديس العظيم الأنبا أنطونيوس في التعليم والكرازة، ومن ديريه بالبرية الشرقية بالبحر الأحمر انتشرت الرهبة في شتى ربوع العالم، كما أن القديس الأنبا باخوميوس لعب دور بارز في تأسيس الرهبة الباخومية ولا تزال تعاليمه تمارسها الأديرة المسيحية في مصر والعالم^(٢)، كما أن البابا "ثاؤفيلوس" البطريرك رقم (٢٣) (٣٨٥-٤١٢م) استعان بالقديس "مقاريوس الكبير" للتصدي لبعض الهرطقات؛ ونجح في ذلك مما دعم مكانة الرهبان لدى باباوات الإسكندرية، وهكذا كان الرهبان هم جيش الله الذي هزم الوثنية ونشر المسيحية في ربوع مصر. كذلك يدين العالم بالفضل لمدرسة الإسكندرية في مواقفها في

(١) تأليف أحد الرهبان دير الأنبا بشوي: دير القديس العظيم الأنبا بشوي على مر الأجيال، المرجع السابق، ص ٦٢-٦٣.

(٢) رسالة مارمين: المرجع السابق، ص ٢٨-٣١.

المجامع المسكونية^(١)، كما لا ينكر أحد فضل رجل الصلاة البابا "كيرلس السادس" البطريرك رقم (١١٦) (١٩٥٩-١٩٧١ م) ومدى تأثيره كنموذجاً للرهبان في مصر والعالم، فبصلواته وأصوامه وحياته الروحانية، قام بتوطيد العلاقات ما بين الكنيسة والدولة، وشيدت في عهده العديد من الكنائس ورممت الكثير من الأديرة، وبمعمجراته جذب للمسيحية العديد سواء من المسيحيين أنفسهم أو من الطوائف الأخرى^(٢)، وأيضاً قداسة البابا "شنودة الثالث" البطريرك رقم (١١٧) (١٩٧١-٢٠١٢ م) الذي اشتهر بمعلم الأجيال، وانتعش في عهده تعلم اللغة القبطية وشيدت الكنائس والأديرة في شتى دول العالم، ولوطنيته وعروبته لقب بـ "بابا العرب"^(٣).

ونخلص مما سبق إلى أن أديرة وادي النطرون إبتداء من القرن الرابع وحتى القرن العشرين الميلادي، كانت مركزاً للحياة الرهبانية الديرية، وكانت هناك شروط لطالب الرهبة وهي على الأقل ثلاث سنوات، كما كان للرهبان زى خاص بهم، ولكن زى طالب الرهبة، يختلف عن زى القس أو القمص أو الأسقف، ومن خلال الحياة اليومية للراهب داخل أديرة شيهيت، كانت هناك مواعيد للعمل والغذاء والصلاة، كما مارست الأديرة طقس ثلاثة قداسات إلهية وهي: القداس الباسيلي، والغريغوري، والكيرلسي.

وقد خضعت الأديرة لتنظيمات إدارية، تمثلت في مجموعة الوظائف التي كان شاغلها يكلف بمهام وكان عليها اتباع اللوائح والقوانين المنظمة لإدارتها، كما أن مصادر تمويلها تعددت، منها من عائد أعمال الرهبان والعشور والنذور والأوقاف وهبات الحكام، وبواسطتها أمكن لها أن توازن إيراداتها مع نفقاتها التي تمثلت في ترميم الأديرة وإنشاء القلاي وكسوة ومصرفات

(١) تأليف أحد الرهبان دير الأنبا بشوي: دير القديس العظيم الأنبا بشوي على مر الأجيال، المرجع السابق، ص ٦٤.

(٢) ماجد عزت إسرائيل: لمحة عامة عن البابا كيرلس السادس، مشروع كنوز قبطية، ٢٠١٨ م؛ نفسه، الكنيسة وليلة تنحى الرئيس عبد الناصر ٩ يونية ١٩٦٧ م، ٢٥ سبتمبر ٢٠١٣ م.

(٣) ماجد عزت إسرائيل: مقال بعنوان "في ذكرى رحيله مكانة البابا شنودة عند العرب والمسلمين"، جريدة الدستور، ١٦ مارس ٢٠١٥ م.

الرهبان وما يرسل للبطريركية القبطية، وما ينفق على الفقراء والمحتاجين وتعليم أقباط الوادي.

وهكذا تعرضت الأديرة لبعض المشكلات مثل مشكلة دير السريان والتبشير الديني واعتداءات العربان، فاتضح دور الدولة في مساندتها في حل بعض مشكلاتها التي واجهتها خاصة في القرن التاسع عشر، كذلك اتضح لنا أن الرحالة الزائرين بعضهم جاؤوا إلى وادي النطرون من أجل التبارك من هذه البقعة المقدسة التي زارتها العائلة المقدسة، اما البعض الآخر فجاء من أجل هدف واحد وهو شراء أو سرقة المخطوطات على نحو ما رأينا، وأيضاً اتضح لنا فضل الرهبنة المسيحية على العالم حيث ساهم وادي النطرون ورهبانه في نشر الرهبنة في جميع بقاع العالم، كما كان لرهبان برية شيهيت فضل في الدفاع عن المسيحية الصحيحة من حيث مبادئها وطقوسها وقوانينها وتعاليمها أمام الحكام والولاة والسلاطين والمجامع المسكونية.



الخاتمة

الخاتمة

بعد أن عرضنا فيما سبق كتاب وادي النطرون في كتابات الرحالة من القرن الرابع الميلادي وحتى القرن العشرين الميلادي، من كافة جوانبها، يحق لنا أن نستنتج بعض النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة.

فعلى الجانب الإداري، وصف الرحالة الزائرين موقع وادي النطرون، وجاء وصفهم مطابقاً للمخطوطات والوثائق والخرائط، فقد ذكروا العديد من المسميات التي أطلقت على الوادي منها الأسقيط، وادي الملوك، وادي هبيب، الزنابق، برية شيهيت (شيهيات)، أو وادي الأطرون (النطرون)، وأيضاً تحدثوا عن موقع الوادي جغرافياً وفلكياً ومناخياً، ومساحته، وأكدوا على تابعيته إدارياً لمحافظة البحيرة، وانتهوا إلى أن قرية الطرانة - إحدى ولايات مصر في العصر العثماني - هي المركز الرئيسي للوادي، وأن الرحالة الزائر لبرية شيهيت لا بد من المرور عليها، بل إن بعضهم لم يذهب للبرية وبقي بالطرانة، وكتب لنا معلومات قيمة عن القرى والمصانع التي أنشئت، ومادة النطرون وتجارته، وأيضاً عن الرهبان وأديرة وادي النطرون. كما قدموا وصفاً تفصيلياً وطوبغرافياً للبيئة والحياة النباتية والحيوانية في وادي النطرون وبحر بلا ماء، فوصفوا لنا بعض الحيوانات والطيور وخاصة أبراج الحمام، وتحدث بعضهم عن السمار والغاب والبوص، مما دفع بعض الولاة إلى فرض ضرائب ورسوم على هذه المنتجات البيئية.

وتوصلت الدراسة إلى دوافع الرحالة لزيارة وادي النطرون فكان منها دوافع إلهية، حيث ظهر ملاك الرب في حلم ليوسف النجار وأخبره أن يأخذ الطفل يسوع وأمه ويهرب لأرض مصر، وفي خلال رحلتها لصعيد مصر زارت العائلة المقدسة وادي النطرون، فصبغتها بالصبغة المقدسة، فجعلتها منطقة جذب لراغبي الرهبة، ليس في مصر فقط بل في العالم أيضاً، والآن تعد ذات المنطقة من بين أهم مناطق الجذب السياحي الداخلي والخارجي، وتسهم في الدخل القومي المصري.

كما وجدنا دوافع تعليمية ورهبانية لدى بعض الزائرين حيث وفد إلى الوادي الآف من الرهبان الأوروبيين لتعلم طقوس وقوانين الحياة الرهبانية، ونقلها إلى أديرتهم، كما أن كثيرًا من الرحالة وفدوا إلى الوادي بدافع الحج، فقد كان يأتون إلى مدينة القدس لزيارة الأماكن المقدسة بفلسطين، وبعد ذلك يذهبون لزيارة دير سانت كاترين بشبه جزيرة سيناء، ثم بعدها زيارة أديرة وادي النطرون، والمزارات المسيحية بمدينة القاهرة ومدن الصعيد، وأيضًا زار الوادي مجموعة من الرحالة بدافع استكشافي مثل جولين، وبتلر، وإيفلين هوايت، وحققوا العديد من الإنجازات الكبيرة في هذا المجال، وبعض الرحالة زاروا البرية بدافع عسكري مثل الجنرال أندريوسى الذي كلفه نابليون بونابرت قائد الحملة الفرنسية (١٧٩٨-١٨٠١م)، بعمل دراسة استراتيجية عن الوادي، كان عنوانها بكتاب وصف مصر "دراسة موجزة عن وادي بحيرات النطرون وعن نهر بلا ماء"، أما دولا بولاي لوجوز فجاء لزيارة الوادي بدافع اقتصادي واستطاع جمع معلومات قيمة من أجل تجارة النطرون، كما جاء الرحالة إلى الأسقيط بدافع اقتناء المخطوطات وشرائها أو سرقتها، لأن تجارتها كانت رائجة منذ القرن السابع عشر الميلادي وحتى يومنا هذا. ونذكر على سبيل المثال آل إيلياس السمعاني، وزار الوادي أيضًا كثيرون من الرحالة بدافع العلاج من الأمراض، بعد أن ثبت لديهم علميا أن مياه بحيرات النطرون تشفي من الأمراض الجلدية والعظام، ولا يزال نبع الحمراء ذو المياه العذبة الذي شرب منه الطفل يسوع بوادي النطرون.

وقد تنوعت وظائف الرحالة الزائرين لوادي النطرون، فكان منهم الحاكم والوالي والأمير والدوق والجنرال واللاهوتي والطبيب والجراح والعالم في الآثار أو في علوم النباتات والحيوانات، ومنهم أعضاء بعثات دينية مثل الأب كلود سيكار رئيس بعثة الجزويت، ومنهم الرهبان مثل هوستوريا موناخورم، وجيليس، ومنهم العالم الطبيعي سونيني، وعالم المصريات الإنجليزي ويلكنسون، وكان من بينهم القناصل مثل كويين قنصل فرنسا، ويلاحظ أن معظم الرحالة منذ القرن السادس عشر الميلادي وحتى القرن التاسع عشر الميلادي، كانوا من رجال الدين وجاءوا إلى مصر ضمن البعثات التبشيرية، من أجل تحويل أقباط مصر الأرثوذكس إلى المذهب الكاثوليكي. وأيضًا كان منهم عالم اللاهوت الألماني قسطنطين تشيندورف، وأوتو فريدريش

ميناردوس، وكذلك المؤرخ جيروم، وروفينوس. ورغم أن كثيرًا من الرحالة كان حافزهم الكسب المادي والبحث عن الكنوز المغمورة في الوادي، فقد أفاد معظمهم مادة التاريخ بما أسهبوا فيه من وصف، كان شاهدًا على أحوال وادي النطرون في تلك الحقبة، ولا يمنع ذلك كون بعضهم بعيدًا عن الحيادية.

لم يكتفِ الرحالة الزائرون لوادي النطرون بتدوين ملاحظاتهم عن أحوال الأديرة والرهبان وجنسياتهم، بل اهتموا بوصف أحوال الوادي الاقتصادية، من حيث الزراعة وحرفة الرعي، والصناعة والتجارة فتحدثوا باستفاضة عن أهم الحيوانات التي وجدت بالبرية، ومادة النطرون وقيمتها الاقتصادية، لإدارة مصانع النسيج والمنظفات والزجاج، كما لم ينسوا وصف الطرق والمواصلات، وأشار بعضهم للقوافل التجارية وخاصة قوافل النطرون، وقوافل الأديرة التي كانت تحمل المؤن الخاصة بالرهبان، ووصف آخرون منهم الأسواق، وحركة التبادل التجاري ومشكلات تجارة النطرون، التي كانت تعد العلامة المميزة لهذا الوادي، وهنا لا بد أن نؤكد أن الرحالة الأوروبيين اهتموا بما يخدم مصالح بلادهم، فدعا بعضهم دولته إلى السيطرة على تجارة النطرون، وإحياء مصانع الزجاج التي كانت موجودة من قبل، لاستغلال المواد الخام الموجودة بوادي النطرون.

وقدم لنا بعض الرحالة وصفًا للحياة الاجتماعية بوادي النطرون، فتحدثوا عن طبقات المجتمع وخاصة البدو (العربان)، واتجاهات النمو السكاني والتطور العمراني، وعادات وتقاليد المجتمع النطروني الذي اتصف بالحياة البدوية البسيطة، على عكس القرى التابعة للوادي التي اتصفت بحياة القرية المصرية، وكانت الطرانة شبه مدينة حيث كانت محط أنظار العالم والمهتمين بتجارة النطرون، كما أبدى بعض الرحالة إعجابهم بالمرأة الشرقية، ولم ينسوا وصف المؤسسات الدينية، والتعليمية والثقافية، وأسهب بعضهم في الحديث عن المدارس القبطية التي كانت تعتمد في نفقاتها على تبرعات الأراخنة، والعشور، والعطايا، وذكر بعض الرحالة أهم الاحتفالات والأعياد وخاصة أعياد القديسين التي كانت تتعلق باحتفالات أديرة برية شيهيت.

وأسهب الرحالة الزائرون لوادي النطرون في وصف الرهبة القبطية؛ التي كانت تعني حياة الوحدة والزهد والنسك والتبتل (عدم الزواج) والصلاة، والتسييح بجانب العمل، وهي فلسفة المسيحية والجامعة التي تخرج فيها مئات البطارقة، وأكدوا على أن تاريخ نشأتها في الأسقيط يرجع إلى القرن الرابع الميلادي، ولقد أسهمت عدة عوامل جغرافية ودينية واقتصادية في انتشارها، وللرهبة عدة أنماط منها الرهبة الانفرادية والأنطوانية، والاجتماعية، والباخومية، كما كان لمن يريد الالتحاق بها لا بد أن يعرف شروطها وقوانينها وطقوسها والتي كان منها طقس رسامة الراهب، وطقس رسامة الراهب الإسكيمي (لباس الصليب)، وكذلك ذكر البعض الأسباب التي تؤدي إلى تجريد الراهب من الدير، والتي كان منها: الاعتداء على غيره بالضرب، الخروج من الدير بدون إذن والتجول في العالم، التجاسر على الاستمرار في الخدمة الكنسية على الرغم من قطعه، الإستعانة بالسلطات المدنية.

وأبدى الرحالة أعجابهم بالحياة الديرية بوادي النطرون، حيث وضعوا تصورًا شاملاً عن أديرة وادي النطرون، التي قد بلغت نحو (٣٦٦)^(١)، ثم أصبحت مائة دير، ثم صارت عشرة أديرة، نتيجة لأحداث الزمان والغزوات المتلاحقة التي أبادت الكثير منها، ولم يبق بالوادي حاليًا من هذه الأديرة الكثيرة سوى أربعة أديرة عامرة بالرهبان، وهي: دير البراموس، ودير القديس مكاريوس (الأنبا مقار)، ودير القديس الأنبا بيشوي، ودير السيدة العذراء السريان، وبعضها إندرت نتيجة العوامل البشرية والطبيعية، نذكر منها دير الأرمن، ودير الأحباش، ودير أنبا يحنس كاما. وأسهب الرحالة في وصف القلاي والمنشويبات والحصن حيث أكدوا جميعًا بأن حصن الدير كان الملجأ الوحيد للرهبان في حالة غارات العربان، كما أن بعض الرحالة قاموا بإحصاء رهبان كل دير، وقد بالغ البعض في عداد الرهبان فمنهم من ذكر أن عددهم في القرون الأولى بلغ نحو ٧٠ ألف راهب، وبعضهم ذكر خمسة الآف راهب، وآخرون ذكروا ثلاثة الآف راهب، حتى وصل هذا الرقم إلى نحو أقل من

(١) أعتقد أن هذا الرقم مبالغ فيه، أو ربما حدث خلط لدي الرحالة ما بين الأديرة وقلاي الآباء الرهبان الأنفرادية التي كانت توجد بجوار الأديرة.

مائي راهب في القرن العشرين الميلادي. وقد تناول بالوصف تفصيليًا بعض الرحالة في القرن العشرين التطور الذي حدث في الحياة الديرية بيرية شيهيت، ويأتى على رأس هؤلاء الرحالة إيفلين هوايت الذي أصدر كتابه بعنوان "تاريخ الرهبنة القبطية في الصحراء الغربية مع دراسة للمعالم الأثرية لأديرة وادي النطرون منذ القرن الرابع الميلادي إلى النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي".

وتوصل الرحالة إلى وضع تصور شامل للحياة الرهبانية اليومية داخل أديرة وادي النطرون، من خلال التعرف على البرنامج اليومي للراهب الذي يبدأ يومه بعد منتصف الليل بخدمة تسبيح صلاة نصف الليل، وصلاة القداس حتى الصباح الباكر بعدها يبدأ عملاً من أعماله اليومية حسب تخصصه، مثل صناعة السلال، أو غزل ونسج الكتان والصوف، أو نسخ الكتاب المقدس أو المخطوطات والميامر (سير القديسين)، وبحلول الساعة (١٢ ظهرًا) بعدها يترك للراهب أن يأخذ لنفسه راحة تتناسب مع طبيعته، وفي الساعة (٣ بعد الظهر) يتناول وجبة الغذاء الأولى والوحيدة، وبعد صلاة الغروب يخلد الراهب إلى النوم وينام الراهب العادي من الغروب مباشرة حتى ميعاد صلاة نصف الليل. كما وصف بعض الرحالة حياة الرهبان التي اتصفت بالبساطة والزهد في ملابسه وطعامهم؛ لأن الراهب كان لا يهتم ببناء الحياة الجسدية بقدر اهتمامه ببناء الحياة الروحانية. وبعض الرحالة وصف الصلاة والقداسات الإلهية المستخدمة بأديرة وادي النطرون، والتناول، والأغابي (الأفطار عقب القداس الإلهي).

كما أن الرحالة الزائرين لأديرة وادي النطرون تهكموا على الرهبان، فقد وصفهم البعض من الرحالة بالجهل والقذارة والانحطاط، وآخرون دونوا عنهم أنهم لا يأكلون إلا الفول والعدس والحساء (شربة العدس)، بينما بعض الرحالة وصف القداس الإلهي بطول مدته الزمنية حيث وصلت لنحو أكثر من ثلاث ساعات، والشهامة وهم يردون على الكاهن خارج المذبح غير منظمين فيما بينهم، ويكاد يصل إلى حالة الفوضى، كما أن الكاهن عقب القداس يقوم بتوزيع القربان خاصة على كبار الآباء والأراخنة الزائرين للدير دون غيرهم. ويمكن تحليل هذه

السخرية لتمسك الأقباط بمذهبهم الأرثوذكسي، ورفضهم المذهب الكاثوليكي، وربما لمنع رهبان الأديرة الرحالة الزائرين من الاطلاع على المخطوطات القيمة، أو رفضهم بيعها لهم نظير مقابل مادي. وأيضاً ربما لتعصبهم الشديد لمذهبهم، أو ضد الرهينة القبطية التي انتشرت في أنحاء العالم.

وأسهب كثيرون من الرحالة الزائرين لوادي النطرون في وصف الحياة الروحانية التي يعيشها ويتمتع بها الآباء الرهبان، لدرجة أنهم أطلقوا على وادي النطرون أوورشليم السماوية، كما دون البعض من الرحالة أن جسد القديس الأنبا بيشوي طرى^(١)، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على قداسته، كما ذكر آخر أن صلوات الرهبان كانت هي السبب الرئيسي في وجود البحر بلا ماء في مكانه حالياً؛ ليكون سدّاً مانعياً طبيعياً وحصناً لهم من القراصنة والبربر المعتدين على الأديرة، ووصف آخرون تواضع الرهبان وبساطتهم وأنهم على شاكلة معلمهم السماوي السيد المسيح.

كما عرض بعض الرحالة الزائرين لوادي النطرون صورة شاملة لإدارة أديرة وادي النطرون، من خلال التنظيم الإداري للدير الذي تضمن رئيس الدير، وكيل الدير، أمين الدير ويعرف بأقنوم الدير أو الربينة، وخازن الدير، والقندلفت، وبواب الدير، وأمين المكتبة، وبجانب هذه الوظائف الرئيسية، وجدت وظائف ثانوية نذكر منها الطعام والطحان والخباز والصلوات وكان مسئولاً عن دق الناقوس.

(١) هذه حقيقة مؤكدة: إذ كان الرهبان يعرفون عن القديس الأنبا بيشوي أنه يرى السيد المسيح مراراً، طلبوا منه أن يشفع فيهم لينعموا برؤيته مثله، وإذا سأل ذلك من أجلهم وعده الرب أنه سيظهر على الجبل في ميعاد حدده، ففرح الإخوة جداً، وانطلق الكل نحو الجبل وكان القديس بسبب شيخوخته في المؤخرة. التقى الكل بشيخ تظهر عليه علامات الإعياء والعجز عن السير فلم يبال أحد به، أما القديس أنبا بيشوي فاقترب منه وسأله إن كان يحمله، وبالفعل حمله وسار به ولم يشعر بالتعب. فجأة صار الشيخ يثقل عليه شيئاً فشيئاً فأدرك أنه السيد المسيح جاء في هذا الشكل، فتطلع إليه وهو يقول له: «السما لا تسعك، والأرض ترتج من جلالك، فكيف يحملك خاطئ مثلي؟» وإذا بالسيد المسيح يتسم له، ويقول له: «لأنك حملتني يا حبيبي بيشوي؛ فإن جسدك لا يرى فساداً»، ثم اختفي. ولا يزال جسده محفوظاً بديره لا يرى فساداً. وإذا عرف الإخوة بما حدث حزوا إذ عبروا بالشيخ ولم ينالوا بركة حمله.

وكذلك توصلت الدراسة من خلال الوثائق إلى تمويل أديرة وادي النطرون، والتي يأتي في مقدمتها ما كان يكسبه كل راهب عن طريق إستغلال الموارد الطبيعية التي توجد بالدير، هذا بالإضافة إلى ما يكتسبه الرهبان مقابل عملهم في فترة الحصاد من دخول عينية مثل القمح والشعير والفول، كما شارك بعضهم في إقتلاع النطرون من بحيراته المنتشرة بالوادي مقابل أجر مادي، كذلك ما كان يحمّله أقباط مصر من السندور والقرايين والعشور، ويضاف إلى ذلك التبرعات التي كان يدفعها الأقباط، وهناك منبع اقتصادي آخر وهو ما أحضره الراغبون في الرهبنة من مال قد جمعه من بيع أملاكهم وقدموه لرؤساء أديرة الوادي؛ ليبقى تحت تصرفهم إلا أنه بالنظر إلى كل الموارد المالية سالفة الذكر، كانت أوقاف الأديرة تعتبر من أهم الموارد المالية، وكلها كما لاحظنا عقارات، ومحلات وأراضي زراعية.

وأبرزت الدراسة العلاقة بين الدولة وأديرة وادي النطرون، من خلال عرض لبعض مشكلات الأديرة والتي كان منها مشكلة دير السريان، وحركة التبشير الأجنبي، واعتداءات العربان على أديرة وادي النطرون، ومدى حرص الحكومة المصرية على التدخل في حل بعض مشكلاتها. كما انتهت الدراسة إلى أن رهبان وادي النطرون حافظوا على الأديرة والمخطوطات على الرغم من الاعتداءات التي تعرضوا لها على يد العربان، وقاوموا إغراءات الرحالة لهم من أجل شراء كنوزهم. كما أن كثيرين من الرحالة أكدوا حقيقة تاريخية بأنهم جاؤوا إلى الوادي من أجل الحصول على المخطوطات. ونحن هنا نؤكد أن ظاهرة شراء المخطوطات بدأت مع بداية عصر النهضة الأوروبية وما زالت حتى كتابة السطور. كما أكدت هذه الدراسة أن الآف المخطوطات خرجت من بركة شيهيت وحاليًا محفوظة في المكتبات الأوروبية، ولذلك ندعو رجال الكنيسة والدولة بالمطالبة بعودتها إلى موطنها الأصلي أو على الأقل نسخة ديجيتال منها، لكي يتاح لشبابنا الاطلاع عليها في المستقبل. كما لم ينس الرحالة وصف اعتداءات العربان أمامهم على أديرة وادي النطرون، وذكروا كيف أن هؤلاء البربر دمروا التراث القبطي ببرية شيهيت، وأكدوا أن الدليل على هذا الخراب الذي حل بالوادي بقايا الأديرة والمنشوبات والخرائب التي ما زالت حتى يومنا هذا.

كما ذكر كثيرون من الزائرين لوادي النطرون؛ فضل رهبان البرية على العالم، فدَوَّنوا أن الآباء الرهبان تصدوا للدفاع عن المسيحية الصحيحة التي تسلمها الآباء من الرسل، فمن ينكر دور البابا أثناسيوس الأول البطريك رقم (٢٠) (٣٢٨-٣٧٣م)، الذي اشتهر بحامى الإيمان، وأيضًا البابا كيرلس الأول البطريك رقم (٢٤) (٤١٢-٤٤٤م) الشهير بالبابا كيرلس عمود الدين، وأكد بعض الرحالة أن قوة صلوات هؤلاء الرهبان وصومهم حفظت مصر والعالم من الشر. وأيضًا ذكر بعض الرحالة أن بقاء المسيحية في مصر ومقاومتها الاضطهادات عبر التاريخ هو أكبر المعجزات في حد ذاته، وهذا راجع لصلوات الآباء القديسين في الأديرة والشقوق والبراري.

وبذلك نستطيع أن نتلمس صورة وادي النطرون النطرون في كتابات الرحالة منذ القرن الرابع الميلادي وحتى القرن العشرين الميلادي، ولعلنا بهذا العمل نكون قد أسهمنا، ولو بقدر يسير في إيضاح الصورة وإزالة اللبس في بعض القضايا خلال فترة الدراسة.

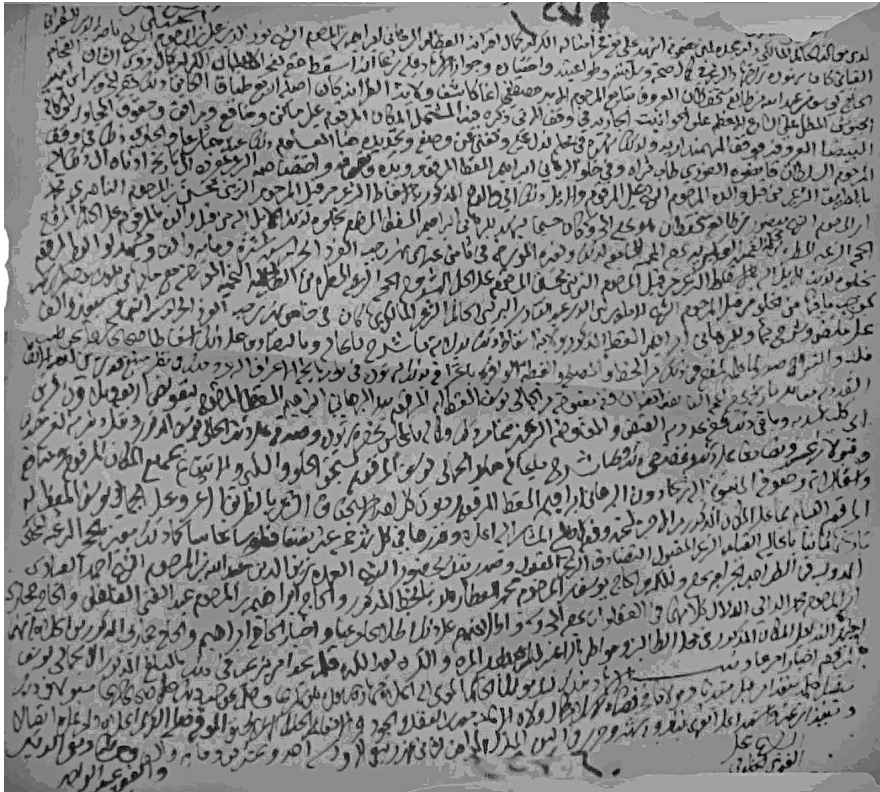


الملاحق

أولاً- الوثائق والمخطوطات

ملحق (١)

الطرائة إحدى ولايات مصر حتى أوائل القرن التاسع عشر^(١).



(١) المصدر: محكمة جامع الحاكم، سجل ٥٧٣، مادة ١٢٧٥، بتاريخ ١٢ ربيع أول ١١٢١هـ/ ٢٢ مايو

ملحق (٢)

مخطوط لمزامير معلمنا داود النبي متعددة اللغات وهي:
الأرمينية والعربية والقبطية والسريانية والحبشية^(١)

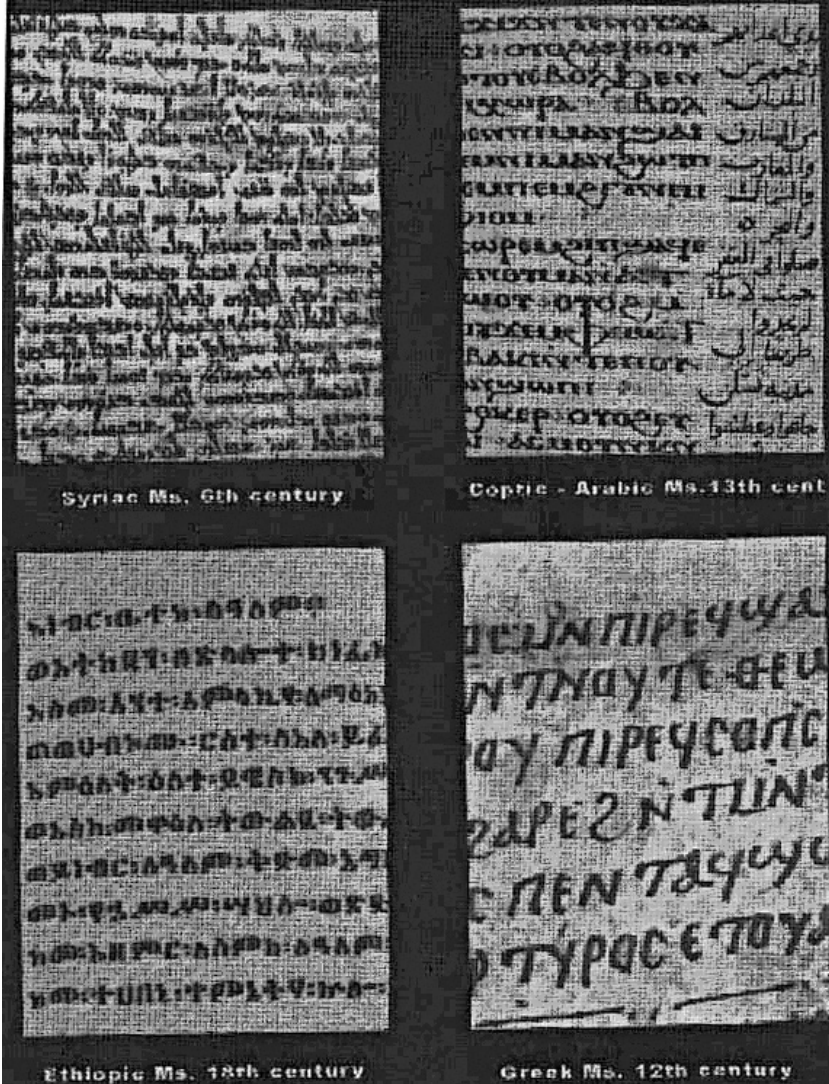


(1) Paper manuscript in the Vatican library, Barb. or. 2, f. 3r, Psalter in five languages (Ge'ez, Syriac, Bohairi Coptic, Arabic, Armenian).



ملحق (٣)

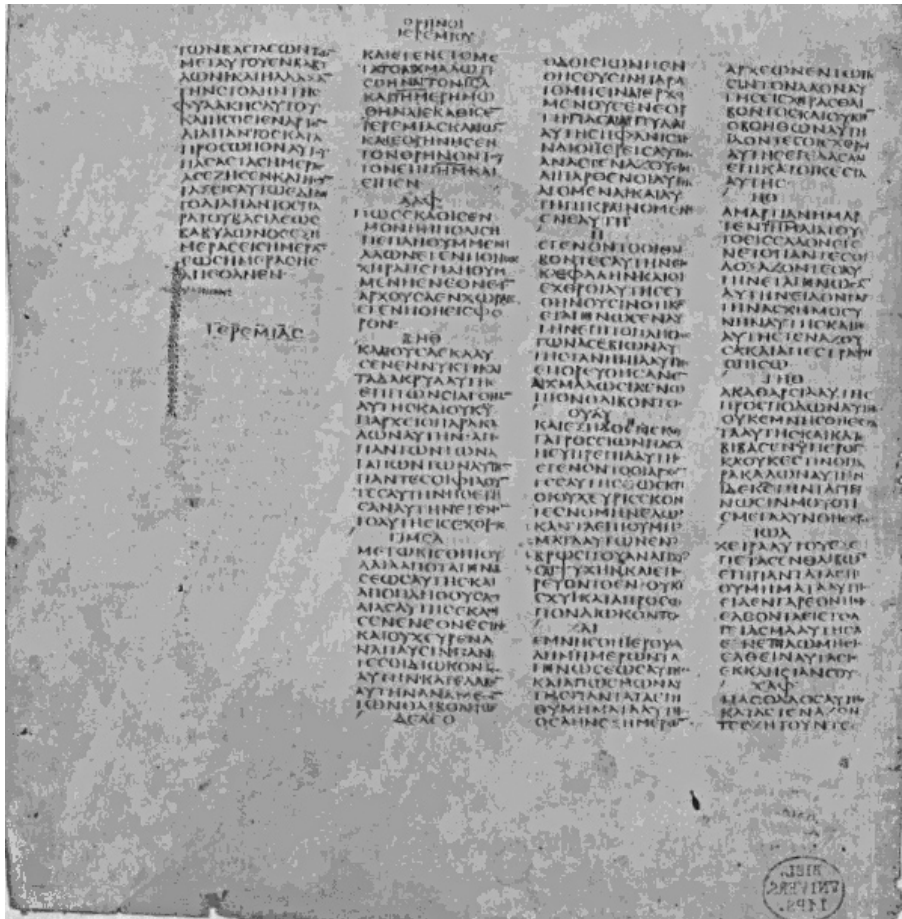
نماذج من مخطوطات أديرة وادي النطرون^(١).



(١) المصدر: مكتبة دير السريان بوادي النطرون.

ملحق رقم (٤)

نموذج من ٤٣ ورقة مخطوطة التي اكتشفها فريدريك تشيندروف عام ١٨٤٤م^(١)



(1) Foto von der Universitätsbibliothek Leipzig. Ein Blatt Leipziger Codex Sinaiticus mit dem Ende des Buches Jeremias in dem linken Spalte und dem Beginn der Klagelieder.

صورة من مكتبة جامعة لايبزيغ، جزء من المخطوطة السينايتية الذي اكتشفه تشيندروف عام ١٨٤٤، يوضح سفر إرميا في العمود الأيسر وبداية سفر مرثي إرميا.

ملحق رقم (٥)

نموذج من المخطوطة السينائية التي تم اكتشافها عام ١٨٥٩ م^(١)

ΕΙΣΗΛΘΟΝ ΚΡΥΠΤΗΝ
 ΧΥΤΟΝ ΕΛΕΓΟΝ ΠΑ
 ΟΤΙ ΕΣΤΙΝ
 ΚΑΙ ΟΙ ΓΡΑΜΜΑΤΟ
 ΟΙΔΙΟΙ ΕΡΩΤΟΥΝ
 ΜΩΝ ΚΩΤΑΒΑΝΤ
 ΕΛΕΓΟΝ ΟΤΙ ΕΞΑ
 ΖΕΟΥ ΧΕΙΡ ΚΑΙ
 ΤΙΕΝΤΩ ΑΡΧΟΝΤΙ
 ΤΩΝ ΑΛΛΗΜΟΝΙΩΝ
 ΕΚΒΑΛΛΕΙΤΑΙ ΑΙ
 ΜΟΝΙΑ
 ΚΑΙ ΠΡΟΣΚΑΛΕΣΑ
 ΜΕΝΟΣ ΑΥΤΟΥΣ ΕΝ
 ΠΑΡΑΘΟΛΙΣ ΕΝΑ
 ΤΟΙΣΙΩΣ ΕΣΤΑΝ
 ΤΑΙΣ ΚΑΝΑΛΙΣ ΤΑ
 ΝΑΝ ΕΚΒΑΛΛΕΙΝ
 ΚΑΙ ΕΑΝ ΕΣΤΙΝ ΕΙΣ
 ΑΦΕΛΑΝ ΕΙΣ ΤΗΝ
 ΟΠΟΥ ΑΥΝΑΤΑΙΣ
 ΕΙΝΕΝ ΕΣΤΙΝ ΕΙΣ
 ΕΚΙΝΗ ΚΑΙ ΕΑΝ
 ΕΚΙΝΗ ΕΣΤΙΝ ΕΙΣ
 ΜΕΡΙΣ ΟΥ ΑΥΤΗ
 ΕΣΤΑΙΝ ΕΙΣ ΤΗΝ
 ΝΗΣΙΟΝ ΚΑΙ
 ΚΑΙ ΕΙΣ ΤΑΝ ΑΛ
 ΝΕΣΤΗΝ ΕΦΕΛΥΤ
 ΜΕΡΙΣ ΟΝ ΚΑΙ ΟΥ
 ΑΥΝΑΤΑ ΕΣΤΙΝ ΕΙ
 ΑΛΛΑ ΕΣΤΙΝ ΕΙΣ
 ΑΛΛΟ ΥΔΥΝΑΤΑΥ
 ΛΙΣ ΕΙΣ ΕΛΘΩΝ ΕΙ
 ΠΗΝΟΙ ΚΑΙ ΑΝΤΟΙ
 ΣΧΥΡΟΥΤΑΚΕΤΗ
 ΕΡΩΤΟΥΝ ΑΡΧΟΝΤ
 ΕΝ ΚΑΙ ΠΡΩΤΟΝ
 ΕΝΙΣΧΥΡΟΝΑΝ
 ΜΙΟΤΕ ΠΗΝΟΙΚ
 ΑΥΤΟΥ ΑΡΧΟΝΤΑ
 ΕΙ
 ΕΙΝΑ ΕΙΣ ΤΗ ΜΗ
 ΟΥ ΕΑΝΤΑ ΑΡΧΟΝ
 ΤΕΙΣ ΟΥΣ ΕΙΣ ΤΗ
 ΑΝΩΝΤΑ ΑΜΑΡΤΗ
 ΜΕΚΑΙ ΑΝ ΕΑΝΤΗ
 ΜΕΛΙΟΣ ΑΝ ΕΑΝ

ΨΗΜΗΣΩΣΙΝΟΣ
 ΔΑΝ ΕΛΑΣΦΗΜΗ
 ΣΗΕΙΣΤΟ ΠΗΝΟΑ
 ΠΙΟΝΟΥ ΚΕΧΙΜΦ
 ΣΙΝΕΙΣΤΟΝ ΑΙΩ
 ΝΑΛΛΑ ΕΝΟΧΟΣ
 ΕΣΤΑΙ ΑΙΩΝΙΟΥ
 ΜΑΡΤΗΜΑΤΟΣ
 ΤΙ ΕΛΕΓΟΝ ΠΗΝ
 ΚΑΙ ΑΥΤΟΝ ΕΧΕΙ
 ΚΑΙ ΕΡΧΕΤΑΙ Η ΜΗ
 ΑΥΤΟΥ ΚΑΙ ΟΙ ΑΔΕ
 ΦΟΙ ΑΥΤΟΥ ΚΑΙ Ε
 ΣΤΑΝΤΕΣ ΑΠΕΣΤ
 ΛΑΝ ΠΡΟΣ ΑΥΤΟΝ
 ΚΑΛΟΥΝΤΕΣ ΤΟ
 ΚΑΙ ΕΚΛΟΝΤΟΙ
 ΑΥΤΟΝ ΟΧΛΟΣ ΚΑΙ
 ΑΕΤΟΥΣΙΝ ΑΥΤΩ
 ΔΟΥΝ ΗΜΕΙΣ ΟΥΚΑ
 ΟΙ ΔΕ ΕΛΦΟΙΣ ΟΥ
 ΣΩΖΗΤΟΙΣΙΝ Ε
 ΚΑΙ ΑΠΟΚΡΙΘΕΙΣ
 ΤΟΙΣ ΕΙΠΕΤΙΣ ΕΣΤ
 ΗΜΗΡ ΜΟΥ ΚΑΙ ΟΙ
 ΑΔΕΛΦΟΙ ΜΟΥ ΚΑΙ
 ΠΕΡΙ ΕΛΕΥΘΕΡΟΝ
 ΤΟΥΣ ΠΕΡΙ ΑΥΤΟΝ
 ΚΥΚΛΩΣ ΚΑΙ ΕΝ ΜΗ
 ΜΟΥΣ ΕΙΣ ΕΙΣ ΕΙΣ
 ΗΜΗΡ ΜΟΥ ΚΑΙ ΟΙ
 ΑΔΕΛΦΟΙ ΜΟΥ ΕΣΤ
 ΑΝΤΙΟΝ ΕΙΣ ΤΟ
 ΑΝΜΑΤΟΥΣ ΟΥ
 ΑΔΕΛΦΟΣ ΜΟΥ
 ΑΔΕΛΦΗ ΚΑΙ ΗΓ
 ΕΣΤΙΝ
 ΚΑΙ ΠΑΛΙΝ ΕΙΣ ΤΟ
 ΛΙΒΑΣΚΙΝ ΠΑΡΑΤ
 ΘΑΛΑΣΣΑΝ ΚΑΙ Ε
 ΜΑΓΕΤΑΙ ΠΡΟΣ
 ΤΟΝ ΟΧΛΟΝ ΕΙΣ ΤΗ
 ΟΝΕΜ ΕΑΝΤΑ ΚΑ
 ΟΝ ΕΒΕΝΤΗ ΕΑ
 ΛΑΧΟΝ ΚΑΙ ΤΑΚΟ
 ΟΥ ΑΚΟΠΙΟΝ ΕΙΣ ΤΗ
 ΘΑΛΑΣΣΑΝ ΕΙΣ ΤΗ

ΓΗΣ ΧΑΝ ΚΑΙ ΕΝ
 ΔΑΣΚΕΝ ΑΥΤΟΥ ΜΗ
 ΛΑΕΝ ΠΑΡΑΘΟΛΗ
 ΚΑΙ ΕΛΕΓΕΝ ΑΥΤΟΙ
 ΕΝΤΗ ΔΑΧΗ ΑΥΤΗ
 ΑΚΟΥΕΤΕ
 ΔΟΥΣ ΕΝ ΕΝΟΝ
 ΚΩΝ ΣΠΕΙΡΑ ΚΑΙ
 ΕΓΕΝΕΤΟ ΕΝΤΩ
 ΕΙΝΟΜΕΝ ΕΠΕΣ
 ΠΑΡΑΤΗΝΟΔΟΝ
 ΚΑΙ ΗΛΘΕΝΤΗ
 ΜΑΚΑΙ ΚΑΤΕΦΑ
 ΑΥΤΟ
 ΚΑΙ ΑΛΛΟ ΕΠΕΣ
 ΕΠΙΤΑΠΕΤΡΩΔΗ
 ΟΠΟΥ ΟΥΚ ΕΙΧΕΝ
 ΓΗΝ ΠΟΛΛΗΝ ΚΑΙ
 ΕΥΘΥΣΕΤΑΝ ΕΤΙ
 ΛΕΝΑΙ ΑΤΟΜΗ ΕΧ
 ΒΑΘΟΣ ΓΗΣ ΚΑΙ Ο
 ΤΕΛΕΝ ΕΤΙ ΛΕΝΟΝ
 ΑΙΟΣ ΕΚΧΥΜΑΤΙΚΩ
 ΚΑΙ ΑΥΤΟΜΗ ΕΧΙΝ
 ΡΙΖΑΝ ΕΙΣ ΤΗΝ ΑΝΘ
 ΚΑΙ ΑΛΛΟ ΕΠΕΣ
 ΕΙΣ ΤΑ ΣΑΚΑΝΟΚ
 ΚΑΙ ΑΝ ΕΚΙΝΑΝ ΑΙ
 ΑΚΑΝΟ ΑΙ ΚΑΙ ΕΥ
 ΝΕΠΝΙΣΑΝ ΑΥΤΟ
 ΚΑΙ ΚΑΤΙΟΝ ΟΥ
 ΑΩΚΕΝ
 ΚΑΙ ΑΛΛΟ ΕΠΕΣ
 ΕΙΣ ΤΗΝ ΓΗΝ ΤΗΝ
 ΚΑΛΗΝ ΚΑΙ ΕΙΣ ΤΗ
 ΚΑΤΙΟΝ ΑΝ ΕΑΝ
 ΝΟΝ ΤΑΚΑΙ ΕΙΣ
 ΝΟΜΕΝ ΑΚΑΙ ΕΙ
 ΡΟΝ ΕΙΣ ΚΑΙ ΕΙΣ
 ΚΑΙ ΕΙΣ ΚΑΙ ΕΙΣ
 ΟΥ ΕΧΕΙΩΤΑΚΑ
 ΕΙΝΑΚΟΥΕΤΩ
 ΚΑΙ ΟΤΕ ΕΓΕΝΕΤΟ
 ΚΑΤΑ ΜΟΝΑΣΗ
 ΤΟΥΝ ΑΥΤΟΝ ΟΥ
 ΠΑΥΤΟΝ ΟΥΝ ΤΗ
 ΕΤΑΚΑ ΕΙΣ ΤΑΝ
 ΚΑΙ ΕΛΕΓΕΝ ΑΥΤΗ

ΤΗ ΜΙΝ ΤΟ ΜΥΣΤΗΡΙ
 ΟΝ ΕΛΟΤΑΙ ΤΙ ΚΑΙ
 ΣΙΑΙΣ ΤΟΥ ΕΥΕΝ
 ΝΟΙΣ ΕΛΕΓΕΤΟ ΕΙΣ
 ΕΝ ΠΑΡΑΘΟΛΗΣ
 ΤΑ ΕΙΝΕΤΑΙ ΗΛΑΧ
 ΠΟΝΤΕΣ ΕΛΕΙΩΝ
 ΚΑΙ ΜΗΤΑ ΕΙΣ ΤΗ
 ΑΚΟΥΟΝΤΕΣ ΑΚΟΙ
 ΟΥΣ ΚΑΙ ΜΗ ΕΥΝΗ
 ΣΙΝ ΜΗΤΟΤΕ ΕΙΣ
 ΣΤΡΕΨΟΝΤΕΣ ΚΑΙ
 ΑΦΕΛΑΝΤΟΙΣ
 ΚΑΙ ΕΤΕΡΑΙΣ ΟΙΣ
 ΟΥΚΟΙ ΑΝ ΕΤΕΙΝ
 ΡΑΚΟΝ ΗΝΤΑΥΤΗ
 ΚΑΙ ΕΙΣ ΤΑ ΣΑΚΑ
 ΠΑΡΑΘΟΛΑΣ ΤΗ
 ΕΣΟΑΙ
 ΟΣ ΠΙΩΝ ΤΟΝ ΑΥ
 ΣΠΕΡ ΕΙΟΤΑΙ ΕΙΣ
 ΕΙΣΙΝ ΟΙ ΠΑΡΑΤΗ
 ΟΔΟΝ ΟΠΟΥΣ ΕΙΣ
 ΤΙΟ ΔΟΡΟΣ ΚΑΙ Ο
 ΤΑΝ ΑΥΤΟΥΣ ΕΙΣ
 ΕΥΘΥΣ ΕΡΧΕΤΑΙ Ο
 ΣΑΤΑΝΑΣ ΟΥΝ ΤΗ
 ΖΕΙΤΟΝΑΣ ΟΥΝ ΤΗ
 ΕΣΠΑΡΜΕΝΟΝ ΕΝ
 ΑΥΤΟΙΣ
 ΚΑΙ ΟΥΤΟΙ ΟΜΟΙΩ
 ΕΙΣΙΝ ΟΙ ΕΠΙΤΑ
 ΤΡΟΝ ΟΙ ΕΠΙΤΑ
 ΝΟΚΙΟΤΟΝΑΣ ΟΥ
 ΟΥΣΙΝ ΤΟΝΑΣ ΟΥ
 ΕΥΘΥΣ ΕΤΑΧΑΡ
 ΑΜΕΝ ΑΥΤΟΥΝ
 ΤΟΝ ΚΑΙ ΟΥΚ ΕΧΙ
 ΣΤΙΖΑΝ ΕΙΣ ΤΗ
 ΑΛΛΑ ΠΡΟΣΚΑΙ
 ΕΙΣΙΝ ΕΙΣ ΤΑ ΕΝ
 ΜΕΝ ΗΣΟΑΙ ΕΥ
 ΗΛΙΩΝ ΜΟΥ ΑΙ
 ΤΟΝΑΣ ΟΥΝ ΕΥΘΥ
 ΕΚΑΝ ΑΛΙΖΟΝΤΑ
 ΚΑΙ ΑΛΛΟΙ ΕΙΣΙΝ
 ΟΙ ΕΠΙΤΑΚΑΝ
 ΣΠΙΡΟΜΕΝΟΙ ΟΥ

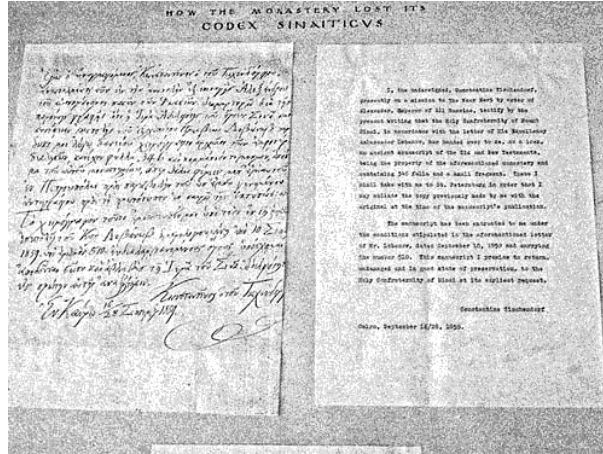
(1) <http://www.codexsinaiticus.org/en/>.

نموذج للمخطوطة السينائية التي اكتشفه تشيندروف عام ١٨٥٩ م، محفوظة حاليًا في المتحف البريطاني منذ

١٩٣٣ م.

ملحق رقم (٦)

خطاب استلام فريديريك تشيندروف المخطوطة السينائية^(١)



تعهد تشيندروف بإستلام المخطوطة السينائية، هذا الخطاب موجود بدير كاترين، تصوير فيريل جينكينز ١٩٨٦ م. هذا الخطاب كتبه فريديريك تشيندروف بخطه باللغة اليونانية وطريقة الكتابة واللغة سيئة للغاية ونصه:

أنا الموقع أدناه، قسطنطين فون تشيندروف، المرسل في الوقت الحاضر إلى الشرق بأوامر من قيصر روسيا ألكسندر، يشهد في هذه الرسالة الأخوة الرهبان بدير سانت جبل سيناء، ووفقاً لرسالة سعادة السفير لوبانوف، استلمت المخطوطة كإعارة، وهي مخطوطة قديمة لكلا العهدين، ملك للدير المذكور، وتتألف من ٣٤٦ ورقة من الرقوق وشظية ورق صغيرة. أود أن أخذها معي إلى سان بطرسبرج من أجل أن أقارن هذه النسخة الأصلي مع النسخة التي كتبت من قبل حتى يتم طباعته.

هذه المخطوطة مكلفة لي بموجب الشروط المنصوص عليها في رسالة السيد لوبانوف المذكورة بتاريخ ١٠ سبتمبر ١٨٥٩ م، وهي رقم ٥١٠. أعدكم بإعادته، كما هي وغير تالفة وفي حالة جيدة من الحفظ، إلى الإخوة رهبان دير سانت كاترين جبل سيناء في أول طلب لها.

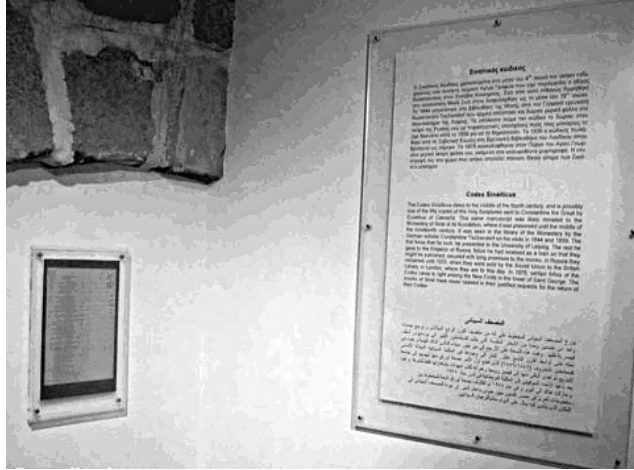
توقيع

قسطنطين فون تشيندروف

(1) <https://ferrelljenkins.wordpress.com/2011/08/11/the-tischendorf-letter-at-saint-catherines-monastery/>

ملحق رقم (٧)

تعهد فريدرىك تشيندروف بعودة المخطوطة السينائية لدير سانت كاترين بسينا^(١)



توقيع فريدرىك تشيندروف بدير سانت كاترين، تصوير فيريل جينكينز ١٩٨٦ م.

المخطوطة السينائية

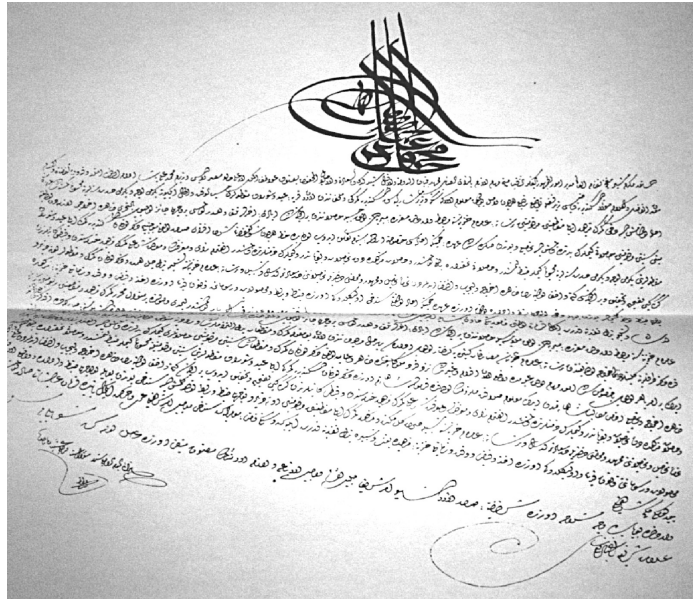
قصة مكتوبة باللغات اليونانية والإنجليزية والعربية في لوحة معلقة على جدران إحدى الحجرات القريبة من بئر موسى بدير سانت كاترين بسينا.

هذا نصها: "يعود تاريخ المخطوطة السينائية إلى منتصف القرن الرابع، وربما يكون واحدة من الخمسين نسخة من الكتب المقدسة المرسلة إلى من الإمبراطور قسطنطين العظيم من قبل يوسابيوس القيصرية. ومن المرجح أنه تبرع بهذه المخطوطة نفسها إلى دير سيناء عند تأسيسها، حيث تم الحفاظ عليها حتى منتصف القرن التاسع عشر. وقد شُهد في مكتبة الدير الباحث الألماني قسطنطين تشيندورف في زيارته في عامي ١٨٤٤ و ١٨٥٩. أول الأوراق التي أخذها، قدم إلى جامعة لايبزيغ. أما البقية التي أعطاها لإمبراطور روسيا، فإن الأوراق التي تلقتها على سبيل الإعارة حتى يتمكن من نشرها، مضمونة بوعود كاذبة للرهبان، ظلت المخطوطة في روسيا حتى عام ١٩٣٣، حيث تم بيعها من قبل الاتحاد السوفيتي إلى مكتبة المتحف البريطاني في لندن، حيث لا تزال حتى يومنا هذا. وفي عام ١٩٧٥، ظهرت أوراق معينة من المخطوطة السينائية، وهي من بين الاكتشافات الجديدة في برج القديس جورج. إن رهبان سيناء لم يتوقفوا قط في طلبهم المبرر لعودة المخطوطة السينائية".

(1) <https://ferrelljenkins.wordpress.com/2011/08/11/the-tischendorf-letter-at-saint-catherines-monastery/>

ملحق (٨)

الدولة العثمانية وتجارة النطرون^(١).



الدستور المكرم المشيد المفخم نظام العالم مدبر أمور الجمهور بالفكر الثابت متمم مهام الأنام بالرأي الصائب
 مهدي بنين الدولة والإقبال مشيد أركان السعادة والإجلال المحفوف بصنوف عواطف الملك الأعلى وزيري والي مصر
 محمد علي باشا أدام الله تعالى إجلاله وافتخار الأجداد والمكارم جامع المحامد والمكارم المختص بمزيد عناية الملك الدائم
 ليكن واضعاً أن فرمان من السلطان محمود ابن عبد الحميد خان إلى محمد علي باشا والي مصر وإلي قاضي الإسكندرية
 مرسل مع علي بك المهردار من الترسانة العامرة يفيد أن جمرك الإسكندرية ومقاطعة إدكو ومقاطعة الشوارق (النطرون)
 التابعتين لجمرك الإسكندرية لم تفوض لعهد هذه أحدة في سنة ١٢٢٣ و سنة ١٢٢٤ بالنظر إلى الظروف لكن من اللازم
 تحصيل حاصلاتها عن الستين المذكورتين في ذمة أي شخص بقيت من غير إضاعة أفضجة منها بناء على أنها من الإيرادات
 المفروزة للترسانة العامة، وأن الترسانة العامرة قد سيرت سفناً كثيرة إلى جهة البحر الأسود على مقتضى الحال، وذلك مما
 يوجب كثيراً من المصروفات ويأمر بإرسال الحاصلات المذكورة عاجلاً مع كشف مختوم عليه ويفيد إلزامها وتوجيهها
 لعدة الوالي المشار إليه بعد الآن على أن يكون ضبطه لها على الأصول المرعية.

(١) المصدر: سجلات البراءات والفرمانات السلطانية (ديوان بلاط جلالة الملك)، س ٢، فرمان ١٢٩، ٤
 شوال ١٢٤٢هـ/ أول مايو ١٨٢٧م، ص ١٢٩.

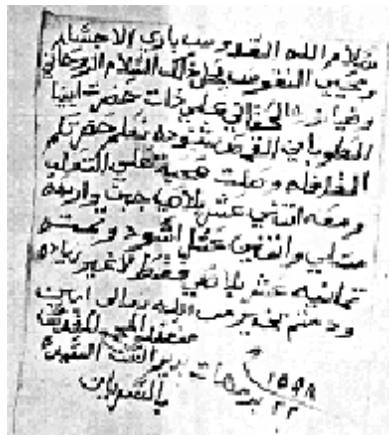
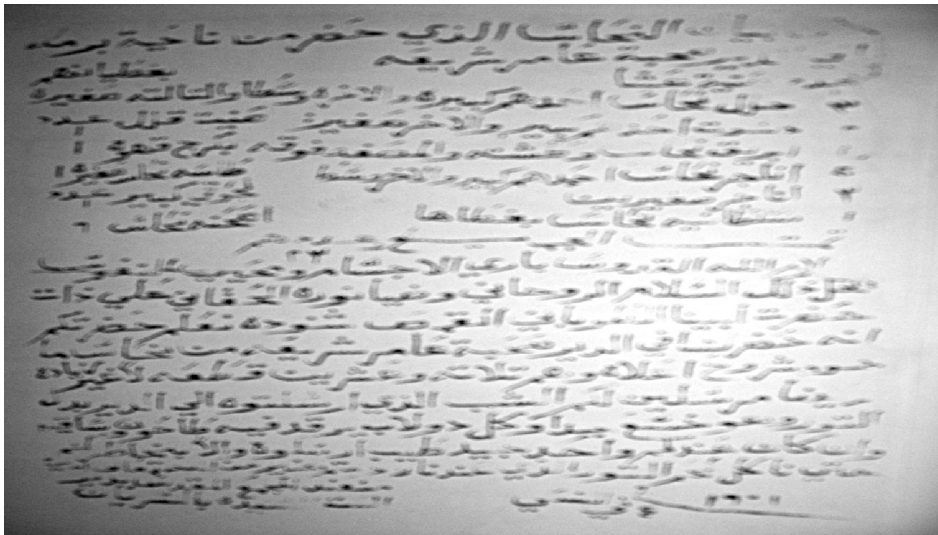
أنواع النظرون^(١).

(١) المصدر: ديوان المجلس الخصوصي: محفظة ٢٤، وثيقة بدون رقم، بتاريخ ١٨ جماد أول ١٢٩٢هـ/ ٢٢

३९.

ملحق رقم (١٠)

القوافل المتجهة إلى أدبرة وادي النطرون^(١).



(١) المصدر: وثائق دير السريان: وثيقة رقم ١٣٠٥، بتاريخ ٤ بشنس ١٦٠١ ش / ١٨٨٥ م؛ نفسه: وثيقة رقم

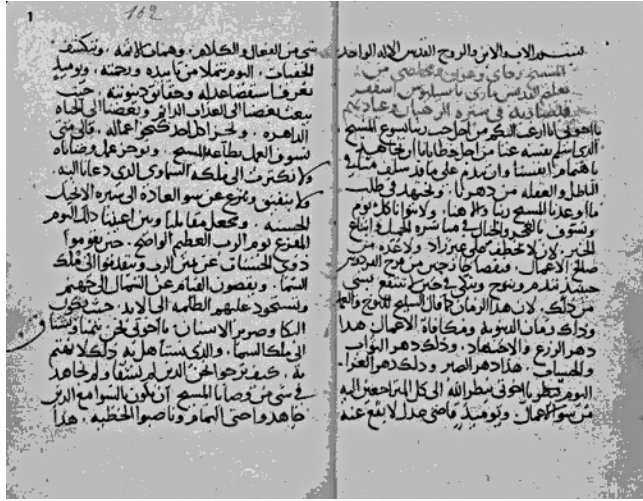
٢١٣٢ بتاريخ ٢٢ برمها ١٥٩٨ ش / ١٨٨٢ م.

ملكيات وأوقاف الأديرة بوادي النطرون^(١).

(١) المصدر: وثائق دير السريان؛ وثيقة رقم ٢١٥، بتاريخ ١٠ صفر ١٢٣٧هـ/ ٦ نوفمبر ١٨٢١م.

ملحق رقم (١٢)

رسالة القديس باسيليوس أسقف قيسارية في سيرة الرهبان وعبادتهم^(١)



عنوان الرسالة: المسيح رجائي وعوني ومخلصي.

مضمون الرسالة: التمسك بتعاليم السيد المسيح.

عن طريق الوسائل التالية:

- ١- على الإنسان أن يندم على خطاياہ الماضية.
- ٢- نجتهد في طلب ما وعدنا المسيح ربنا وإلهنا.
- ٣- الاجتهاد وعمل الصالحات والخير كل يوم.
- ٤- وعود الله للمؤمنين بملكوۃ السموات.

(١) مخطوطات دير سانت كاترين: مخطوط كتبه أغاثون بن مصبح الطوراني، عنوانها «المسيح رجائي وعوني ومخلصي من تعليم القديس باسيليوس»، ويبلغ عدد صفحاتها نحو إحدى عشرة ورقة، بتاريخ ٦٣٦ هـ، ٦٧٤٧ لآدم، ١٢٣٩ م. نقلاً عن: إيلاف: محمد الحماصي، مقال بعنوان، نواذر مخطوطات دير سانت كاترين، بتاريخ ١ أكتوبر ٢٠٠٧ م.

<http://elaph.com/Web/Culture/2007268017/9/.html>

ملحق رقم (١٣)

تقارير الرحالة وغيرهم عن عدد رهبان الأديرة الأربعة
منذ القرن السابع عشر وحتى القرن العشرين^(١)

السنة	اسم الرحالة	دير الأنبا مقار	دير أنبا بيشوي	دير السريان	دير البراموس	المجموع
١٦٨١ م	هنتجون	-	-	-	٢٥	٢٥
١٧١٢ م	سيكار	٤	٤	١٥	١٢	٣٥
١٧٩٩	أنديوسي	٢٠	١٢	١٨	٩	٥٩
١٨٣٧ م	كيرزون	٤	٣	يقطنه الأحباش	٢ أو ٣	١٠
١٨٤٣ م	ويلكسون	٢٢	١٣	٣٠	٧	٧٧
١٨٤٤ م	تشندورف	١٥	٤	-	٢٠	٣٩
١٨٩٧ م	عن كتاب اللؤلؤة البهية	٣٠	٢٥	٤٠	٥٥	١٥٠
١٩٠٦ م	عن تقرير لجنة البطيركية	٣١	١٦	١٨	٢٠	٨٥
١٩٢٤ م		٤٠	٣٥	٥٨	٦٨	٢٠١

(١) متى المسكين: الرهينة القبطية عصر الالأنبا مقار، المرجع السابق، ص ٧٨٢.

ملحق (١٤)

نموذج لقرارات تجريد الرهبان بوادي النطرون^(١).

Coptic Orthodox Patriarchate
H.H. Pope Tawadros II
Pope of Alexandria and
Patriarch of the See of St. Mark
The Papal Center



بطيركية الأقباط الأرثوذكس
قدااسة البابا الأنبا تواضروس الثاني
بابا الإسكندرية
وبطيريك الكرازة للرقسية
المقر البابوي

"قرار تجريد راهب"

بعد التحقق الرهباني بواسطة لجنة خاصة مشكلة من اللجنة
الجمعية لتكوين الرهبنة والأديرة ، مع الراهب أشعيا المقاري
بنفسه الدعايات والصفحات التي صدرت عنه والتي لا تسلم
بالسلوك الرهباني والطاعة البرية والالتزام بمبادئ ونذور
الرهبنة من الفقر الاختيارية والطاعة والعفة ، قررا الآتي :

١. تجريد الراهب المذكور وطرده من مجمع ربي القديس العظيم
مكتوبوس الكبير بوادي النطرون .
٢. عودته إلى أبنه العناني / وأبلى بعد تواضروس وعدم
انتباهه إلى الرهبنة .
٣. منه على التوبة وإصلاح حمايته من أجل خلاصه وأبدنه .

وان ندعو مجموع الأقباط إلى الحفاظ على نقاوة الرهبنة
القطبية بتأريخا الجيد ، وحياة الذباب الرهبان التي اختاروها
بأنفسهم ، وتركوا العالم طلباً للهدوء والتوبة وخلاص النفس ،
لذا فهو من الجميع عدم تعدد الحدود الواجبة في المعاملات
والعلاقات ، والالتزام بالتعليمات التي تصدرها الأديرة من
الزيارات والخلوات ، وعلى آية الطاعة قبل البركة .

بمقتضى
تواضروس



٩٠١٨١٨/٥

222 Ramses St., Abbaseya, Cairo, Egypt

Tel: 024822580 Fax: 0235365880 - 0226836691

email: office@popetawadros.org

٢٢٢ شارع رمسيس ، العباسية ، القاهرة ، مصر
تليفون : ٠٢٢٤٨٢٢٥٨٠ فاكس : ٠٢٣٥٣٦٥٨٠ - ٠٢٢٦٨٣٦٦٩١

(١) المصدر: بطيركية الأقباط الأرثوذكس، قرار تجريد الراهب أشعيا المقاري.

ملحق رقم (١٥)

رؤساء دير السريان بوادي النطرون^(١)

مسلسل	اسم رئيس الدير	الفترة الزمنية	ملاحظات
١	مار تاؤضور	القرن السادس الميلادي	
٢	مار ماروتا بن حبيب التكريتي	٧٢٠ م	في حبرية البابا ألكسندروس الثاني البطريك رقم (٤٣) (٧٠٤-٧٢٩ م). وهو أول رئيس من الرهبان السريان على دير والدة الإله القديسة الطاهرة مريم في بركة الأسقيط وذلك سنة ٧٢٠ م.
٣	الأنبا يوسف	٧٧٣ م	تولى في حبرية البطريك مينا الأول البطريك رقم (٤٧) (٧٦٧-٧٧٦ م)
٤	بار عداي التكريتي	٨٥١-٨٥٩ م	كان في عهد البطريك (قسا) قزمان الثاني الإسكندري البطريك رقم (٥٤) (٨٥١-٨٥٨ م). ورد ذكر اسمه في كتالوج المخطوطات السريانية باسم الشيخ المكرم الراهب بار عداي.
٥	متي وإبراهيم التكريتي	٨٦٠ م	في حبرية البابا شنودة الأول البطريك رقم (٨٥٩-٨٨٠ م).

(١) إعداد الباحث.

٦	يوسف الأول التكريتي	٨٦٨ م	كان يوسف الأول ضمن الأربعة إخوة التكريتين - وتولي رئاسة الدير في حبرية البابا شنودة الأول البطريك رقم (٥٥٩) (٨٥٩-٨٨٠ م).
٧	القس يوحنا بن مقاري	٨٩٤ م	في حبرية البابا خائيل الثالث البطريك رقم (٥٦) (٨٨٠-٩٠٧ م)
٨	القس موسى النصيبي	٩٠٦ م أو ربما ٩٠٧ م	ربما في عهد البابا غبريال الأول البطريرك رقم (٥٧) (٩٠٩- ٩٢٠ م)، جلب من بغداد ٢٥٠ كتابًا لمكتبة الدير. وأقام هيكل وحجاب للكنيسة.
٩	القس صليبا	٩٧٧-٩٨١ م	في حبرية البابا أبرآم بن زراعة البطريك رقم ٦٢ (٩٧٥-٩٧٨ م)
١٠	يوحنا الثاني السرياني	١٠٠٠ م	في حبرية البابا فيلوثاوس البطريك رقم (٦٣) (٩٧٩-١٠٠٣ م)
١١	القس داود السرياني	١٠٠٦-١٠٠٧ م	في حبرية البابا زخارياس البطريك رقم (٦٤) (١٠٠٤-١٠٣٢ م)
١٢	القس يوحنا السرياني		كان شقيقًا للقس داود الذي كان رئيسًا للدير ١٠٠٧ م
١٣	غبريال السرياني	١٠٨١ م	في حبرية البابا خرستوذولس البطريك رقم (٦٦) (١٠٤٦- ١٠٧٧ م)، والبطريك كيرلس السادس رقم (٦٧) (١٠٧٨- ١٠٩٢ م)

١٤	يوحنا الثالث	١١٠٠ م	في حبرية البابا ميخائيل الأول البطريك رقم (٦٨) (١٠٩٢- ١١٠٢ م).
١٥	يوسف الثاني	١١٣١ م	في حبرية البابا غبريال الثاني البطريك رقم (٧٠) (١١٣١-١١٤٥ م).
١٦	يوحنا الرابع	١٢٢٢ م	تنيح في نفس العام الذي تولى فيه رئاسة الدير.
١٧	القس باسيليوس السرياني	١٢٢٢ م-١٢٣٧ م	قضي فترة وجيزة في حبرية البابا كيرلس الثالث البطريك رقم (٧٥) (١٢٣٥-١٢٤٣ م).
١٨	القمص يشوع	١٢٣٧ - ١٢٥٤ م	في حبرية البابا البابا كيرلس الثالث البطريك رقم (٧٥) (١٢٣٥- ١٢٤٣ م). والبابا اثناسيوس الثالث البطريك رقم (٧٦) (١٢٥٠- ١٢٦١ م).
١٩	موسي الثالث الدمشقي	١٢٦٧ م	في حبرية البابا غبريال الثالث البطريك رقم (٧٧) (١٢٦٨- ١٢٧١ م).
٢٠	يوحنا الخامس	في القرن ١٤ م	

٢١	القمص عبد المسيح السراني	١٤٨٣ م	وفي عهد الأنبا يؤانس الثاني عشر البطريك رقم (٩٣) (١٤٨٠ - ١٤٨٣ م)
٢٢	المطران ساويرس قرياقوص	١٤٩٢ - ١٥١٦ م	في حبرية البابا يؤانس الثالث عشر (١٤٨٤ - ١٥٢٤ م) البطريك رقم (٩٤) (١٤٨٤ - ١٥٢٤ م)
٢٣	يوحنا الخامس القبرصي	١٥١٨ م	في حبرية البابا يؤانس الثالث عشر (١٤٨٤ - ١٥٢٤ م) البطريك رقم (٩٤) (١٤٨٤ - ١٥٢٤ م)
٢٤	القس لعازر		
٢٥	القس قسطنطين الأول		استقال من منصبه وسكن بدير الأنبا أنطونيوس بالبرية الشرقية.
٢٦	القس قسطنطين الثاني		
٢٧	القمص حنا السراني	١٥٨٤ م	ورد اسمه في مخطوط قديم عام ١٥٨٤ م
٢٨	عبد المسيح السراني	١٦٤٣ - ١٦٣٦ م	في حبرية البابا متاؤس الثالث البطريك رقم (١٠٠) (١٦٣١ - ١٦٤٦ م).

٢٩	أبو الفرج البراموي	١٦٣٦ م	رئيس دير السريان بعد عزل الرئيس السرياني، في حبرية البابا متاؤس الثالث البطريك رقم (١٠٠) (١٦٣١-١٦٤٦ م).
٣٠	القمص عبد المسيح الأنبيري	١٦٦٥ م	هو الذي رسمه البابا متاؤس الرابع البطريك رقم (١٠٢) (١٦٦٠ - ١٦٧٥ م) مطراناً على أثيوبيا ١٦٦٥ م باسم الأنبا خريستوذولوس - الأنبا سلامة كما كان يلقبه الأحباش.
٣١	القمص يوحنا السرياني	١٦٨٤ م	في حبرية البابا يؤانس السادس عشر البطريك رقم (١٠٣) (١٦٧٦ - ١٧١٨ م).
٣٢	القمص ميخائيل السرياني	١٧٢٠ م	في حبرية البابا بطرس السادس البطريك رقم (١٠٤) (١٧١٨ - ١٧٢٦ م)، وهو الذي عمل مقصورة خشبية لأجساد القديسين واسمه محفور عليها وما زالت بكنيسة العذراء المغارة.
٣٣	القمص غبريال السرياني		

٣٤	القمص بطرس السراني	١٧٤٢ م نهاية خدمته	تولى في عهد البابا يؤانس السابع عشر البطريك رقم (١٠٥)(١٧٢٧ - ١٧٤٥ م) وهو الذي تولى رئاسة كل أديرة وادي النطرون، بجانب منصبه كرئيس لدير السريان، وفي عام ١٧٤٢ م تم رسامته مطراناً على كرسي جرجا والصعيد الأعلى وظل يفتقد الأديرة ويرعاها .
٣٥	القمص منقريوس السراني	١٧٧٣ - ١٧٨٤ م	في حبرية البابا يؤانس الثامن عشر (١٧٦٩ - ١٧٩٦ م) البطريك رقم (١٠٧)، رسم مطراناً على منفوط وأببوب باسم الأنبا بطرس .
٣٦	القمص قلته الناسخ	١٧٨٤ م	في حبرية البابا يؤانس الثامن عشر (١٧٦٩ - ١٧٩٦ م) البطريك رقم (١٠٧) - وكان آخر رؤساء دير السريان الذين أقاموا بقرية الطرانه .
٣٧	القمص يوحنا الفيومي		أول رؤساء الدير الذي أقام بقرية أتريس الجيزة .

٣٨	القمص عبد القدوس	١٨٤٨ م	في حبرية البابا بطرس السابع البطريك رقم (١٠٩) (١٨٠٩) - ١٧٥٢ م) - قام بإصلاحات عديدة، إذ جدد كنيسة العذراء المغارة، وبنى كنيسة العذراء بأتريس وأصلح سقالة الحصن. كما وجد ذلك مكتوب بخط الأبنا كيرلس الخامس على ميامر بولس البوشي وكان يرتبط بصله قوية مع القس داود الصومعي ووقع على تركه له رسم بها بطريكاً باسم البابا كيرلس الرابع، البابا رقم (١١٠) (١٨٥٤ - ١٨٦١ م) وعزله عن رئاسة الدير الأبنا ديمتريوس الثاني. البطريك رقم (١١١) (١٨٦٢) - ١٨٧٠ م).
٣٩	القمص يوسف المحلاوى		تولي خلفاً للقمص عبد القدوس السرياني.
٤٠	القمص يوحنا بشارة	نهاية خدمة رئيس لليدير ١٨٧٧ م	عين رئيساً للدير في العشرين من عمره، وقتئذ ورسمه الأبنا كيرلس الخامس (١٨٧٤ - ١٩٢٧) البطريك رقم (١١٢) أسقفًا عام ١٨٧٧ لكرسى أبو تيج باسم الأبنا متاؤس وتنيح ١٨٨٢ م
٤١	القمص تاوضروس السرياني		

ورد ذكره بسجلات محكمة البحيرة كرئيس للدير عام ١٨٨٠م، في عهد حبرية البابا كيرلس الخامس، البطريك رقم (١١٢)(١٨٧٤-١٩٢٧م)	١٨٨٠م	ميخائيل عبد المسيح السرياني	
عين رئيساً للدير في عهد قداسة البابا كيرلس الخامس، البطريك رقم (١١٢)(١٨٧٤-١٩٢٧م) وقد قام بحركة تعمير في الدير، كما شيد خمسة بيوت بنواحي شارع كلوب بك، وأجمع الكل على حبه والثناء عليه، وفي صباح الأحد ١٢ يوليو ١٨٩٧م سماه قداسة البابا كيرلس الخامس مطراناً للخرطوم وأم درمان بالسودان باسم الأنبا صرابامون، وله أعمال جليله بالسودان، ما زالت تذكر باسمه	١٨٩٧-١٨٧٤ ١٩٢٧م	القمص يوحنا الإسناوى	٤٢

٤٣	القمص مكسيموس صليب أو القمص مكسيموس السراني	١٨٩٧-١٩٣٩ م	تولى الرئاسة بعد سيامة القمص يوحنا أسقفًا وكان أبًا فاضلاً يحب العمل ذا قلب طيب أمينًا في كل أعماله في عام ١٩٠٢ م عندما سقط جزء من السور البحري قام بجهد عظيم في بناءه فكان هناك عمال كثيرون يواصلون ذلك العمل لمدة ثلاثة أشهر، كما جدد غالبية القلاي، وذكر الرحالة ميناردس أنه صرف على ذلك مائة وثمانية جنيهات، وضاعف موارد الدير وغير ذلك كما إشتري أكثر من ستين فدانًا وبني بالقاهرة عدة منازل للدير منها العزباوية (مقر الدير) وفي عام ١٩٠٨ م وبني قصر الضيافة بالدير الذي هُدم، وبُني مكانه حاليًا القصر الجديد. وتنيح بشيخوخة صالحه في ٧ أغسطس ١٩٣٩ م بعد رئاسة الدير مدة تزيد عن ٤٢ عامًا
٤٤	القمص فيلوثاؤس مرقص	١٩٣٩-١٩٤٧ م	ولى رئاسة الدير في ١٩٣٩ م في عهد البابا يؤانس التاسع عشر، البطريك رقم (١١٣) (١٩٢٨-١٩٤٢ م)، وكان أمينًا في رئاسته وقام بعدة إصلاحات في الدير وإشتري بعد أوقاف الدير وتنيح الجمعة ١٢ ديسمبر ١٩٤٧ م بعد رئاسة ٨ سنوات وقبلها ٢٧ سنة وكيل للرئيس السابق مكسيموس السرياني.

٤٥	نيافة الأنبا ثاؤفيلس	١٩٤٧-١٩٨٩ م	ولد عبد الشهيد صادق في ١٠ مارس ١٩٠٨ بقرية الريدانية المنصورة ، وحضر إلى دير السريان في أواخر سنة ١٩٢٥م تحت رهبته باسم الراهب ثاؤفيلس في ٢٩ يناير ١٩٢٦م - ٢١ طوبه ١٦٤٤ش بيد أمين الدير القمص جرجس إبراهيم أبو كفه في عهد رئاسة القمص مكسيموس مع الراهب المنتيح القمص موسى رسمه البابا يوانس التاسع عشر قسًا في صوم العذراء أغسطس ١٩٣٤م، التحق بمدرسة الرهبان بحلوان وتخرج منها في ١٩٣٩م، وفي أغسطس ١٩٣٩ عين أمينًا للدير مع القمص فيلوثاؤس رئيس الدير السابق له ، رسم قمصًا في ١٩٤٦م ثم تولى رئاسة الدير في ١٢ ديسمبر ١٩٤٧م بعد نياحة الرئيس، في ٢٥ يوليو ١٩٤٨م سامه قداسة البابا يوسف الثاني، البطريك رقم (١١٥) (١٩٤٦-١٩٥٦م) أسقفًا ورئيسًا للدير أهم مآثر نيافته، كان أول رئيس يمضي أوقاتًا بالدير بين أبنائه الرهبان، أول من يقبل رهبنة المثقفين الخدام ذوي المؤهلات العليا وكان من هؤلاء الراهب أنطونيوس (قداسة البابا شنودة الثالث). كما أنشأ مبنى ضخم للرهبان داخل الدير في الخمسينات وكان أول مبنى خرساني يشي في الأديرة . والقلاي المنفردة خارج أسوار الدير. وزرع مزرعة صغيرة خارج أسوار. وبني صهريجا خرسانيًا كبيرًا للمياه بالدير. كان محبًا للقراءة ومهتمًا بالمخطوطات والكتب والمجلات. أول من أدخل مطبعة للدير سنة ١٩٥١م، وأنشأ بيت خلوة للشباب سنة ١٩٥٩م. في عهده بنيت للدير منارتان عاليتان كما شيد قصرًا للضيافة والمكتبة. قام ببناء وشراء أربعة منازل لوقوف الدير. سيم في عهده من الدير ١٨ أسقفًا وخوري أسكوبوس. في عام ١٩٧٦ احتفل قداسة البابا والأساقفة باليوبيل الذهبي لرهبنة نيافة الأنبا ثاؤفيلس في عام ١٩٨٩م بدء عامه ٦٤ كراهب وبدأ عامه الـ ٤٢ أسقفًا ورئيسًا للدير، وكان معاصرًا لسته من الآباء البطارقة. تنيح في يوم الثلاثاء ٥ ديسمبر ١٩٨٩م عن عمر يبلغ قرابة ٨٢ عامًا وأقيمت الصلاة على جثمانه في ٦ ديسمبر بالكاتدرائية المرقسية بكلوت بك، ثم نقل إلى الدير حيث صلى على جثمانه بعض الآباء الأساقفة والرهبان والشعب ثم أودع جثمانه تحت المنارة الغربية بالدير مع أخيه في الرهبنة القمص موسى

٤٦	نيافة الأنبا متاؤس	١٩٩٣ - لا يزال حتى كتابة هذه السطور - أطال الله عمره سنين عدة وأزمنة سلالمية	ترهب في ٧ فبراير ١٩٦٥ م ورسم قسًا في ١٩٦٩ م ثم قمصًا في ١٩٧٠ م ثم خوري أبسكوبوس في ١٩٧٨ باسم الأنبا متاؤس ثم أسقفًا عامًا في ١٩٨٠ م، ثم رئيسًا للدير في ٦ يونية ١٩٩٣ م وتم تجليسه في ٧ يونية ١٩٩٣ ويبذل قصارى جهده في الرعاية الرهبانية والعمرانية . أطال الله حياته .

ملحق رقم (١٦)

أولاً- رؤساء دير الأنبا مقار بوادي النطرون (٣٩٠-٩٦٢م)^(١)

مسلسل	اسم رئيس الدير	الفترة الزمنية	ملاحظات
١	مكارىوس الكبير (الأنبا مقار)	٣٩٠- ٣٩٢م	حبرية البابا ثاوفيلوس البطريك رقم (٢٣) (٣٨٥-٤١٢م).
٢	يوحنا المقاري	٤٤٤م	حبرية البابا كيرلس الأول (الكبير) البطريك رقم (٢٤) (٤١٢-٤٤٤م). ويوحنا المقاري قتله البربر في عام ٤٤٤م.
٣	يوحنا المقاري	٤٨٢- ٤٩٦م	تولى البطيركية بعد نياحة البابا أثناسيوس الثاني البطريك رقم (٢٨) (٤٨٩- ٤٩٦م). وعرف باسم البابا يوحنا الأول البطريك رقم (٢٩) (٤٩٦-٥٠٥م).
٤	مكارىوس المقاري	٥٣٠م	حبرية البابا تيموثاوس الثالث البطريك رقم رقم (٣٢) (٥١٨-٥٣٦م).
٥	دانيال الهيحومينوس (المقاري)		كان قمصاً ورئيساً لدير الأنبا مقار.
٦	يوحنا المقاري (البرلسي)		ترهبني في برية شيهيت واشتهر بحرارة العبادة والنسك الكثير. وتم رسامته أسقفًا على البرلس.

(١) إعداد الباحث.

٧	يوحنا الهيحومينوس (٥٨٥ - ٦٧٥ م)	٦٤١ ٦٧٥ -	ولد في عام ٥٨٥ وتنيح في عام ٦٧٥ م، وتولى رئاسة دير الأنبا مقار في حبرية البابا بنيامين الأول البطريك رقم (٣٨) (٦٢٣ - ٦٦٢ م)، والبابا أغاثو البطريك (٣٩) (٦٦٢ - ٦٨٠ م).
٨	زخارياس المقاري	٦٧٥ - ٦٨٠ م	حبرية البابا أغاثو البطريك (٣٩) (٦٦٢ - ٦٨٠ م).
٩	ميخائيل المقاري	٧٤٣ م	تولى البطريكية بعد نياحة البابا تاودروس البطريك رقم (٤٥) (٧٣٠ - ٧٤٢ م) وعرف باسم البابا (خائيل الأول) البطريك رقم (٤٦) (٧٤٣ - ٧٦٧ م).
١٠	أثناسيوس المقاري	٧٥٠ م	في حبرية البابا (خائيل الأول) البطريك رقم (٤٦) (٧٤٣ - ٧٦٧ م).
١١	ميناس المقاري	٧٦٧	في حبرية البابا (خائيل الأول) البطريك رقم (٤٦) (٧٤٣ - ٧٦٧ م). والبابا مينا الأول البطريك رقم (٤٧) (٧٦٧ - ٧٧٦ م).
١٢	بولس الهيحومينوس	في القرن التاسع الميلادي	

١٣	فيكتور المقاري	ما بين القرن التاسع الميلادي وبداية القرن العاشر الميلادي	
١٤	إبراهيم المقاري	٩٢٥ م	من كولثا تولى في حبرية البابا قسما الثالث البطريرك رقم (٥٨) (٩٣-٢٠-٩٣٠ م).
١٥	ميخائيل أوخائيل المقاري	٩٦٢ م	ورد ذكر اسمه في أحدي مخطوطات مكتبة الفاثكان، وتولى في حبرية البابا "ميننا الثاني البطريرك رقم (٦١) (٩٥٦-٩٧٤ م).

ثانيًا: رؤساء دير الأنبا مقار بوادي النطرون (١١٢٨-٢٠١٨م)^(١)

مسلسل	اسم رئيس الدير	الفترة الزمنية	ملاحظات
١	القمص يؤانس بن كدران	١١٢٨-١١٣١ م	حبرية البابا مكاريوس الثاني البطريك رقم (٦٩) (١١٠٢-١١٢٨ م).
٢	الأنبا جرجس المقاري	١٣٤٠ م	حبرية البابا بطرس الخامس البطريك رقم (٨٣) (١٣٤٠-١٣٤٨ م).
٣	القس يوسف المقاري	١٣٧٤ م	حبرية البابا غبريال الرابع البطريك رقم (٨٦) (١٣٧٠-١٣٧٨ م).
٤	أنبا غبريال	١٤١٢ م	تولى أسقفًا على مدينة أسيوط. حبرية البابا غبريال الخامس البطريك رقم (٨٨) (١٤٠٩-١٤٢٧ م).
٥	الأب يعقوب	١٥١٧ م	حبرية البابا يؤنس الثالث عشر البطريك (٩٤)

(١) إعداد الباحث.

٦	يوانس المقاري	١٦٢٦ م	ذكر أنه كان مطراناً ورئيساً لدير الأنبا مقار- وورد ذكره في المخطوطات متعددة اللغات باربريني.
٧	القمص تادرس الطوخي	تولى قبل ١٦٣١ م	تولى رئاسة الدير في حبرية البابا يوانس الخامس عشر، البطريك رقم (٩٩)(١٦١٩- ١٦٢٩ م)، وقد حدث غلاء وقحط شديد، وبعد نياحة البطريك السالف الذكر تم رسامة القمص "تادرس" بطريكاً باسم متاؤس الثالث البطريك رقم (١٠٠) (١٦٣١-١٦٤٦ م).
٨	القمص بطرس المقاري	١٧٤٢ م	كان رئيساً على الأربعة الأديرة بالأسقيط، حبرية البابا يوانس السابع عشر البطريك رقم (١٠٥)(١٧٢٧-١٧٤٥ م) ثم أصبح أسقفًا على نقادة عام ١٤٦٧ ش / ١٧٥١ م، حبرية البابا مرقس السابع البطريك رقم (١٠٦)(١٧٤٥- ١٧٦٩ م).

٩	القس عطية المقاري	١٧٦٩-١٧٩٦ م	حبرية البابا يؤانس الثامن عشر البطريك رقم (١٠٧) (١٧٦٩-١٧٩٦ م). واشتهر بخطه الجميل فكان ينسخ الكتب نظير أجر ينفق منه على الدير وسد أعواز الرهبان؛ وله بمكتبة السريان قطمارس يخدم شهر بابة يرجع تاريخه إلى سنة ١٥٠٠ ش / ١٧٨٤ م.
١٠	القمص جرجس المقاري	١٨١٨ م	رافق هذا الأب البابا بطرس السابع الجاولي البطريك رقم (١٠٩) في السفر إلى الإسكندرية لتكريس بيعة مارمرقس الرسول في يوم الأحد ٧ بابة ١٥٣٥ ش / ١٦ أكتوبر ١٨١٨ م بعد أن كان الفرنسيون قد هدموها فأعاد عمارتها بفرمان من محمد علي باشا (١٨٠٥-١٨٤٨ م) والي مصر وقتئذ.

١١	القمص ميخائيل جرجس	قبل عام ١٨٦٢ م	كان رئيسًا على الدير إلى ما قبل رسامته في ١٥ يونيو عام ١٨٦٢ م بطريركًا على الكرسي المرقسي باسم الأنبا ديمتريوس الثاني البطريك رقم (١١١) (١٨٦٢-١٨٧٠ م). وقد حضر القمص ميخائيل تكريس كنيسة المغارة بدير السريان على يد الأنبا إيساك مطران الفيوم والبهنسايوم أحد الشعانين ١٦ برمودة ١٥٦٩ ش / ٢٤ إبريل ١٨٥٣ م.
١٢	القمص يوسف المحرقي	١٨٦٢ م	عينه على رئاسة الدير شقيقة البابا ديمتريوس الثاني البطريك رقم (١١١) (١٨٦٢-١٨٧٠ م) عقب رسامته بطريركًا في ١٥ يونيو ١٨٦٢ م رغم كونه من غير رهبان الدير.

١٣	القمص إبراهيم الهوري	١٨٨١-١٨٩٦ م	حبرية البابا كيرلس الخامس البطريك رقم (١١٢) (١٨٧٤-١٩٢٧ م).
١٤	القمص فيلوثاوس المقاري	١٨٩٦-١٩٠٢ م	حبرية البابا كيرلس الخامس البطريك رقم (١١٢) (١٨٧٤-١٩٢٧ م).
١٥	القمص إبراهيم الهوري للمرة الثانية	١٩٠٢-١٩١٩ م	أعيد للدير مرة أخرى بعد عودته من الحبشة، وكانت رئاسته للدير تحت إشراف أنبا باسيليوس أسقف أبوتيج. حبرية البابا كيرلس الخامس البطريك رقم (١١٢) (١٨٧٤-١٩٢٧ م).
١٦	القمص مقار	١٩٠٢-١٩١٢ م	حبرية البابا كيرلس الخامس البطريك رقم (١١٢) (١٨٧٤-١٩٢٧ م).

١٧	القمص مرقس المقاري	١٩١٩-١٩٢٨ م	وكانت رئاسته للدير تحت إشراف أنبا باسيليوس أسقف أبوتيج. حبرية البابا كيرلس الخامس البطريك رقم (١١٢) (١٨٧٤-١٩٢٧ م). وتنيح في عام ١٩٢٨ م
١٨	القمص فيلوثاوس المقاري (للمرة الثانية)	١٩٢٨ م-١٩٢٩ م	وقد تم رسامته مطراناً على البلينا. حبرية البابا كيرلس الخامس البطريك رقم (١١٢) (١٨٧٤-١٩٢٧ م). وتنيح في عام ١٩٢٨ م
١٩	القمص روفائيل المقاري	١٩٢٩-١٩٣٢ م	وقد تنيح طرف شقيقة أنبا باسيليوس أسقف دير أنبا بيشوي ١٩٦٣ م.
٢٠	القمص يوحنا الباقوري	١٩٣٢-١٩٣٦ م	حبرية البابا يؤانس التاسع عشر (١٩٢٨-١٩٤٢ م)
٢٢	القمص روفائيل المقاري (للمرة الثانية)	١٩٣٦-١٩٣٧ م	حبرية البابا يؤانس التاسع عشر (١٩٢٨-١٩٤٢ م)
٢٢	القمص مكسيموس المقاري	١٩٣٧-١٩٣٩ م	حبرية البابا يؤانس التاسع عشر (١٩٢٨-١٩٤٢ م)، وعين رئيساً بعد استقالة القمص روفائيل المقاري.

٢٣	القمص باخوم المقاري	١٩٣٩-١٩٤٦ م	في حبرية البابا مكاروريوس الثالث البطريك رقم (١١٤) (١٩٤٤-١٩٤٥ م).
٢٤	القمص متياس حنا المقاري	١٩٤٦ م-٢٠١٤	تم رسامته باسم (أنبا ميخائيل) مطراناً لأسيوط في ٢٥ أغسطس عام ١٩٤٩ م وتنيح في (٢٣ نوفمبر ٢٠١٤).
٢٥	الأنبا إبيفانيوس المقاري	٢٠١٣ - ٢٩ يوليو ٢٠١٨ م	حبرية البابا تواضروس الثاني البطريك رقم (١١٨) منذ عام ٢٠١٢ م - حتى كتابة هذه السطور أطل الله عمره سنين عدة وأزمة سلامية). وقد استشهد الأنبا إبيفانيوس داخل دير في أثناء ذاهبه للتسبحة في صباح يوم الأحد الموافق ٢٩ يوليو ٢٠١٨ م.

ملحق رقم (١٧)

رؤساء دير البراموس بوادي النطرون^(١)

مسلسل	اسم رئيس الدير	الفترة الزمنية	ملاحظات
١	القمص ميخائيل البراموسي	١٧٧٨ م	ذكره الرحالة تشارلز سونيني (١٧٥١-١٨١٢ م) عندما زار دير البراموس.
٢	القمص عبد المسيح البراموسي	١٨٥٧ م	حبرية البابا بطرس السابع البطريك رقم (١٠٩) (١٨٠٩-١٨٥٢ م).
٣	القمص يوحنا الأول	قبل عام ١٨٧٥ م	تم رسامته أسقفًا على صنبو عام ١٨٧٥ م، من أول أسقف رسمه.
٤	القمص ميساك البراموسي	١٨٧٥-١٨٨٧ م	حبرية البابا كيرلس الخامس البطريك (١١٢)(١٨٧٤- ١٩٢٧ م)

(١) إعداد الباحث.

٥	القمص يوحنا الثاني	١٨٧٨-١٨٨٧ م	تم رسامته مطرانا على البحيرة في ١٢ مارس ١٨٨٧ م بيد المتنيح البابا كيرلس الخامس البطريك (١١٢)(١٨٧٤-١٩٢٧ م)
٦	القمص باخوم الدويري البراموسي	١٨٨٧-١٨٩٦ م	حبرية البابا كيرلس الخامس البطريك (١١٢) (١٨٧٤-١٩٢٧ م)
٧	القمص مينا الأول	١٨٩٦-١٩٠١ م	حبرية البابا كيرلس الخامس البطريك (١١٢)(١٨٧٤- ١٩٢٧ م)، تم رسامته أسقفًا على صنبو ياسم ساويرس الثاني.
٨	القمص يوحنا الثالث البراموسي	١٩٠١-١٩١٧ م	حبرية البابا كيرلس الخامس البطريك (١١٢) (١٨٧٤-١٩٢٧ م)، كان ناسخًا باللغة القبطية والعربية، واستقال من رئاسة الدير في ١٠ أكتوبر ١٩١٧ م

٩	القمص مينا المحلاوي البراموسي	١٩١٧-١٩٢٥ م	حبرية البابا كيرلس الخامس البطريك (١١٢) (١٨٧٤-١٩٢٧ م)
١٠	القمص صرابامون البراموسي	١٩٢٥-١٩٣٠ م	حبرية البابا كيرلس الخامس البطريك (١١٢) (١٨٧٤-١٩٢٧ م)، والبابا يؤانس التاسع عشر البطريك رقم (١١٣) (١٩٢٨-١٩٤٢ م).
١١	القمص متى البراموسي	من ١٣ يوليو ١٩٣٠-٥ أكتوبر ١٩٣٠ م	رسم أسقفًا على الغربية باسم الأبا توماس، بيد البابا يؤانس التاسع عشر البطريك رقم (١١٣) (١٩٢٨-١٩٤٢ م).

١٢	القمص برنابا البراموسي	١٩٣٠-١٩٤٨ م	في حبرية يؤانس التاسع عشر البطريك رقم (١١٣) (١٩٢٨-١٩٤٢ م). والبابا مكاريوس الثالث البطريك رقم (١١٤) (١٩٤٤-١٩٤٥ م)، والبابا يوساب الثاني البطريك رقم (١١٥) (١٩٤٦- ١٩٥٦ م).
١٣	القمص أرمانوس البراموسي	١٩٤٨-١٩٦٥ م	تم رسامته أسقفًا على الدير باسم الأنبا مكاريوس بيد المتنيح البابا يوساب الثاني البطريك رقم (١١٥) (١٩٤٦-١٩٥٦ م).
١٤	القمص فيلبس البراموسي	٨ يناير ١٩٦٥ - ١٩ أغسطس ١٩٦٥ م	عينه المتنيح قداسة البابا كيرلس السادس رئيسا للدير، ولكنه قدم استقالته في ١٩ أغسطس ١٩٦٥ م.
١٥	القمص أخنوخ البراموسي	يوليو ١٩٦٥ - ٣١ ديسمبر ١٩٦٨ م	في حبرية البابا كيرلس السادس البطريك رقم (١١٦) (١٩٥٩- ١٩٧١ م).

١٦	القمص فلتس البراموسى	٢٢ يناير ١٩٦٩-٢٧ مايو ١٩٧٤ م	في حبرية البابا كيرلس السادس البطريك رقم (١١٦) (١٩٥٩- ١٩٧١ م). والبابا شنودة الثالث البطريك رقم (١١٧) (١٩٧١-٢٠١٢ م)
١٧	القمص دانيال البراموسى	٣ نوفمبر ١٩٧٥-٢٨ أكتوبر ١٩٩١ م	تم رسامته أسقفا على المنيا وأبوقرقاص في ١٣ يونية ١٩٧٦ م، بيد المتنيح البابا شنودة الثالث البطريك رقم (١١٧) (١٩٧١- ٢٠١٢ م)
١٨	الأنبا إيسيدوروس البراموسى	١٤ يونية ١٩٩٢ م- وحتى كتابة هذه السطور أطل الله عمره سنين عدة وأزمنة سلامية.	في حبرية البابا شنودة الثالث البطريك رقم (١١٧) (١٩٧١-٢٠١٢ م)

ملحق رقم (١٨)^(١)

رؤساء دير الأنبا بيشوي بوادي النطرون

م	اسم رئيس الدير	الفترة الزمنية	ملاحظات
١	القمص روفائيل الأنبا بيشوي	أواخر القرن السادس عشر	في حبرية البابا يؤانس الرابع عشر البطريك (٩٦) (١٥٧١-١٥٨٦ م).
٢	القمص يوسف أبوزليطة	أواخر القرن السادس عشر	في حبرية البابا غبريال الثامن البطريك رقم (٩٧) (١٥٨٧-١٦٠٣ م).
	القمص يوسف الأنبا بيشوي	١٨٦٧ م	ورد اسمه في سجلات محكمة البحيرة عام ١٨٦٧ م.
٣	القمص عبد الملاك أبو دواود	في الربع الأخير من القرن التاسع عشر	كان قد ترهب مع أبيه ثم صار رئيسًا للدير. في حبرية البابا كيرلس الخامس (١٨٧٤-١٩٢٧ م).

(١) إعداد الباحث.

٤	القمص أندراوس المصري الأنبا بيشوي	١٨٨٨-١٨٩٥ م	تولى رئاسة الدير، وكان شقيقه القمص حنا المصري أميناً للدير. وفي أيامهما ترهب الراهب عبد المسيح المحلاوي الذي صار مطراناً ثم بطيريكاً باسم الأنبا مكاريوس الثالث البطيريك رقم (١١٤) (١٩٤٤-١٩٤٥ م).
٥	القمص بطرس الأنبا بيشوي	١٩١٢-١٩٢٧ م	هو الذي أنشأ قصر الضيافة الذي كان قائماً فوق بئر الشهداء، أما كنيسة الأنبا بيشوي، وهو الذي بنى المنارة الغربية بجوار الدوكسار البحري المؤدي إلى كنيسة الأنبا بيشوي عام ١٩١٢ م، كما جدد للرهبان أملاًكاً أخرى وتنيح سنة ١٩٢٧ م
٦	القمص يوحنا ميخائيل	١٩٢٧-١٩٣٠ م	تولى الرئاسة بعد نياحة القمص بطرس، ثم عزله البابا يؤانس التاسع عشر، البطيريك رقم (١١٣) (١٩٢٨- ١٩٤٢ م) على أثر عودته من أثيوبيا في مارس ١٩٣٠ م.

٧	القمص مكاري الأبنا بيشوي	١٩٣٠ م	عينه البابا يؤانس التاسع عشر البطريك رقم (١١٣) (١٩٢٨-١٩٤٢ م)، بعد أن عزل القمص يوحنا ميخائيل، ثم رسمه أسقفًا على كرسي المنوفية باسم الأبنا ديمتريوسفي أول مارس ١٩٣١ م مع احتفائه برئاسة الدير. وتنيح في ١٩٥٠ م
٨	القمص يوحنا ميخائيل (فترة رئاسة ثانية)	١٩٣١ م-١٩٣٥ م	بعد أن نحي البابا يؤانس التاسع عشر، البطريك رقم (١١٣) (١٩٢٨- ١٩٤٢ م). الأبنا ديمتريوس نهائيًا عن رئاسة ونظارة الدير، وقد قام ببناء القلالي الملاصقة للسور البحري، وصنع المقصورة القديمة التي بها جسد الأبنا بيشوي.
٩	القمص لوقا عبدالله الأبنا بيشوي	١٩٣٥-١٩٣٧ م	انتخبه الرهبان للرئاسة عام ١٩٣٥ م وكان يتحدث اللغة الأمهرية، وملمًا بأصول الطقس القبطي.

١٠	القمص أيوب الأنبا بيشوي	١٩٣٧-١٩٣٨ م	أقاله البابا يؤانس التاسع عشر البطريك رقم (١١٣)(١٩٢٨- ١٩٤٢ م)، وفي حبرية الأنبا يوساب الثاني البطريك رقم رقم (١١٥) (١٩٤٦-١٩٥٦ م)، رسمه أسقفًا على جنوب أفريقيا في ٢٧ أغسطس ١٩٥٠ م، وتنيح في ٢ يوليو ١٩٥٢ م.
١١	القمص برسوم مسيحة الأنبا بيشوي	١٩٣٨-١٩٦٢ م	كان أمينًا للدير وجانيًا لعوائده في المحلة الكبرى، ثم أختير للرئاسة عام ١٩٣٨ م، وفي ٢٥ فبراير سامه البابا يوساب الثاني أسقفًا على الدير وعرف باسم الأنبا باسيليوس. وقدم استقالته من رئاسة الدير عام ١٩٦٢ م عندما تكاثرت الديون، وأقام بالدار البطيركية بالإذكية بالقاهرة إلى أن تنيح في ٢٠ أكتوبر ١٩٦٣ م.
١٢	الأنبا ثاؤفيلس السرياني	١٩٦٢-١٩٧٣ م	عندما ارتبكت مخلفات مالية الدير في رئاسة الأنبا باسيليوس. رأى المتنيح البابا كيرلس السادس أن يتتدب الأنبا ثاؤفيلس رئيس دير السريان ليتولى الإشراف على دير الأنبا بيشوي.

١٣	الأنبا صرابامون الأنبا بيشوي	١٩٧٣ م حتى يومنا هذا أطال الله عمره سنين عدة و أزمته سلامية.	كان يدعى عازر قليد ولد أرمنت في ٢٠ فبراير ١٩٣٧ م، وسلك في حياة التقوى والفضيلة منذ صغره، حضر للدير في أغسطس ١٩٥٩ م وترهب في ٧ ديسمبر ١٩٥٩ باسم الراهب صرابامون بدير السريان، رسم قسًا في الأحد ٢٤ فبراير ١٩٦٣ م، ثم قمصًا يوم الأحد ٢٥ يونية ١٩٦٧ م وسيم أسقفًا عامًا في أحد العنصرة بتاريخ ١٧ يونية ١٩٧٣ م بيد المتنيح قداسة البابا شنودة الثالث البطريك رقم (١١٧) (١٩٧١-٢٠١٢ م). بعدها أسندت إليه رئاسة دير القديس الأنبا بيشوي العامر - ولا يزال حتى كتابة هذه السطور

ملحق رقم (۱۹)

نموذج لتعداد سكان ورهبان وادي النطرون سنة ١٨٤٧ م م^(١).

[illegible]

(١) المصدر: سجلات تعداد نفوس، س ل / ٩ / ١٧٩ / ١٥٤، تعداد كفر داود، بتاريخ ١٢٦٤ هـ / ١٨٤٧ م.

ملحق رقم (٢٠)

قضية استشهاد رئيس دير الأنبا مقار ٢٩ أغسطس ٢٠١٨ م^(١).



النائب العام
مكتبه
النائب العام

بيان

النيابة العامة

في قضية مقتل الأنبا إيفانيوس

أسقف ورئيس دير الأنبا مقار بوادي النطرون

المقيدة برقم ٣٠٦٧ لسنة ٢٠١٨ جنايات وادي النطرون

- أصدر اليوم النائب العام المستشار نيل أحمد صادق أمراً بإحالة المتهمين واتل سعد تاوخرس ميخائيل "الراهب سابقاً باسم أشعيا المقاري" والراهب فلثاؤس المقاري وبالميلاد ريمون رسمي منصور فرج إلى المحاكمة الجنائية بعد أن انتهت نيابة استئناف الإسكندرية من تحقيقاتها التي كشفت عن قيامهما بقتل المجني عليه الأنبا إيفانيوس أسقف ورئيس دير الأنبا مقار بوادي النطرون حيث أقر المتهم الأول بالتحقيقات بأنه على اثر خلافاته والمتهم الثاني مع المجني عليه الأنبا إيفانيوس اتفاقاً على قتله وكان ذلك منذ شهر سابق لتاريخ الواقعة وفي هذا التاريخ كمنأ له بطريقه المعتاد من سكنه إلى كنيسة الدير لأداء صلاة قداس الأحد وما أن شاهد المتهم الأول المجني عليه قام بالتمدي عليه مسدداً له ثلاث ضربات متتالية على مؤخرة الرأس بواسطة الأداة التي أعدها لذلك (ماسورة حديدية) قاصداً من ذلك إزهاق روحه حال مراقبة المتهم الثاني للطريق والشد من أزره وعقب تيقنهما من وفاة المجني عليه فرا هارين..
- وقد ثبت من تقرير الصفة التشريحية أن وفاة المجني عليه نتجت عن الإصابات الرضية والقطعية بالرأس وما صاحبها من تهتك وكسور ونزيف بالجمجمة
- هذا وقد تم إحالة الأوراق إلى محكمة استئناف الإسكندرية لمحاكمة المتهمين بجلسة عاجلة.

(١) النيابة العامة: مكتب النائب العام، ١٩ أغسطس ٢٠١٨ م.

ملحق رقم (٢١)
تقديم المؤرخ الأمريكي بيتر جران^(١).

It is a pleasure to help introduce Dr. Israel's study of Wadi Natrun. What the reader will find is an example of the new generation type writing on Coptic history wherein the subject is treated not just as religion and not just as religion during its formative period but also as the study of a particular region, one having a certain economic and political reality over a number of centuries on up until today.

One might suppose that what allows such a study to exist is the use of travel sources as opposed to liturgical materials. This is of course the case but only to a degree. What is also important is the methodology. The travel books which are made use of are read in a very critical way. A book on one subject may serve to illuminate another because of some odd remark or because if one reads between the lines one sees something perhaps even the author of the book did not see. This is what I mean by new generation work.

Dr. Israel's study of monasteries in Wadi Natrun in Buhayra may seem to be aimed at a very particular audience interested in the study of these institutions. This it is. But as he writes in a section on the importance of his subject, there is more to it than that. The work raises a philosophical matter to a very much wider audience in Egypt than simply that of specialists.

I would phrase the matter in the following way. Several decades ago the French philosopher Michel Foucault made a series of critical observations about the study of power. He was interested during this period in how what was perceived to be at the margin actually sheds light on the whole. This was a point he tried to persuade a very skeptical readership which took the rationalist high culture of Paris to be all one needed to know about France. Applying Foucault's ideas here, the question is would it not be credible from Ottoman times onward to insist that the analysis of power and

(١) بقلم دكتور: بيتر جران.

of the dominant institutions in Egyptian history ought to include a discussion of the role played by the leading monasteries? Obviously no one has attempted this. This study seems to suggest that such a line of research might bear fruit.

Another intellectual problem introduced also has to do with the general way the historical narrative in Egypt has been constructed. The problem is one of neglect of what is important to the narrative yet not located in Cairo. Everyone knows that the Coptic monasteries and especially those in Wadi Natrun were pilgrimage centers for individuals from many lands seeking a spiritual life. In ways similar to but different than the Ahmadi mosque in Tanta, the pilgrimages to Wadi Natrun opens the question of whether Egyptian history is not too Cairo-centered. Here one finds a provincial base of importance.

I will stop here simply mentioning one last point where this book is a part of the new history. In the discussion of Wadi Natrun, Dr. Israel goes into considerable detail in his discussion of trade and craftwork which he finds extended through the 19th century. To a reader accustomed to books on rural Egypt as being purely agricultural in orientation, this book will doubtless come as a surprise. Wadi Natrun is rural but not simply agricultural.

In sum, this work is one both for the specialized reader and for the general reader concerned with how to make sense of Egyptian history. Dr. Israel is to be congratulated for his achievement.

Peter Gran

Philadelphia USA

August 24, 2018

ملحق رقم (٢٢)

تقديم المؤرخ الألماني إستيفان رايخموط^(١).

Zu diesem Buch

Wohl wenige der ägyptischen Historiker der Gegenwart sind derartig tief in der koptischen klösterlichen Kultur und Geschichte verwurzelt wie Maged Izzat Israel, der Autor der vorliegenden Studie. Mit dem Wādī Naṭrūn beschreibt er eine der ältesten christlichen, klösterlich geprägten Landschaften zwischen Nildelta und libyscher Wüste, aus der Sicht der Reisenden unterschiedlicher Herkunft, die das Gebiet über einen Zeitraum von mehr als 1500 Jahren mit unterschiedlichen Motiven besuchten und so die bleibende Bedeutung dieser Landschaft für die christliche Ökumene bezeugten. Er verbindet dies mit einer intensiven Auswertung ägyptischer Archivquellen für das Wādī Naṭrūn im 19. Jahrhundert, die das sozio-kulturelle und wirtschaftliche Leben dieses wichtigen Natron-Exportgebietes mit der sozialen und kulturellen Vielfalt seiner bäuerlichen und nomadischen Bewohner detailreich vor Augen führen. Eine für das koptische Selbstverständnis und auch für die Christenheit insgesamt bedeutsame sakrale Landschaft in muslimischer Umgebung wird so an die ägyptischen Realitäten der osmanischen Periode zurückgebunden, und die bemerkenswerte Überlebensfähigkeit der Klostersgemeinschaften unter wechselvollen wirtschaftlichen und politischen Bedingungen dokumentiert. Der Autor liefert damit einen wichtigen Beitrag zur Darstellung der komplexen regionalen Identitätsbildung in Ägypten im Wechselspiel lokaler und internationaler Verflechtungen. Es ist mir eine Freude, das Buch dem interessierten Leser zu empfehlen, und ich wünsche ihm eine große Leserschaft in Ägypten und darüber hinaus.

Stefan Reichmuth

Prof. für Arabistik und Islamwissenschaft

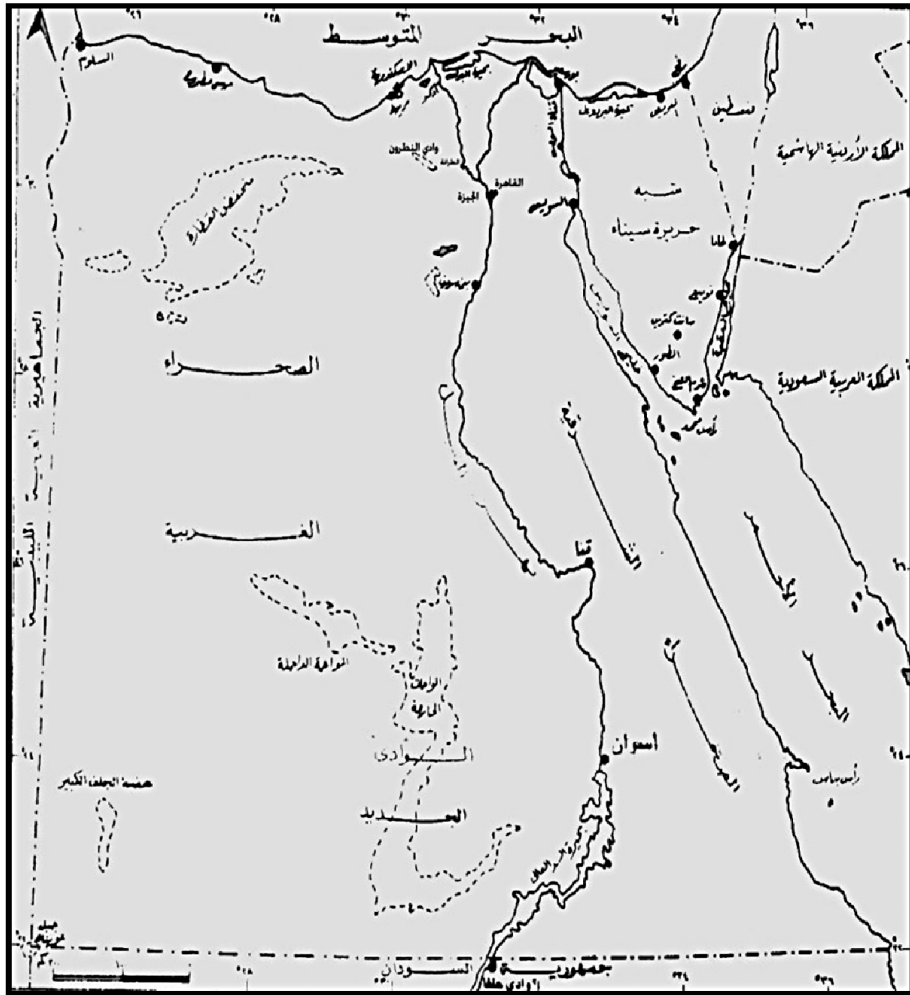
Ruhr-Universität Bochum

(١) بقلم دكتور: استيفان رايخموط.

ثانيًا- الخرائط والأشكال والصور

شكل (١)

موقع وادي النطرون بالنسبة لخريطة مصر^(١).



(١) المصدر: هستوريا موناخورم: المرجع السابق، ص ١٩٢؛ مرتيوس السرياني، الراهب: المرجع السابق،

شکل رقم (۲)

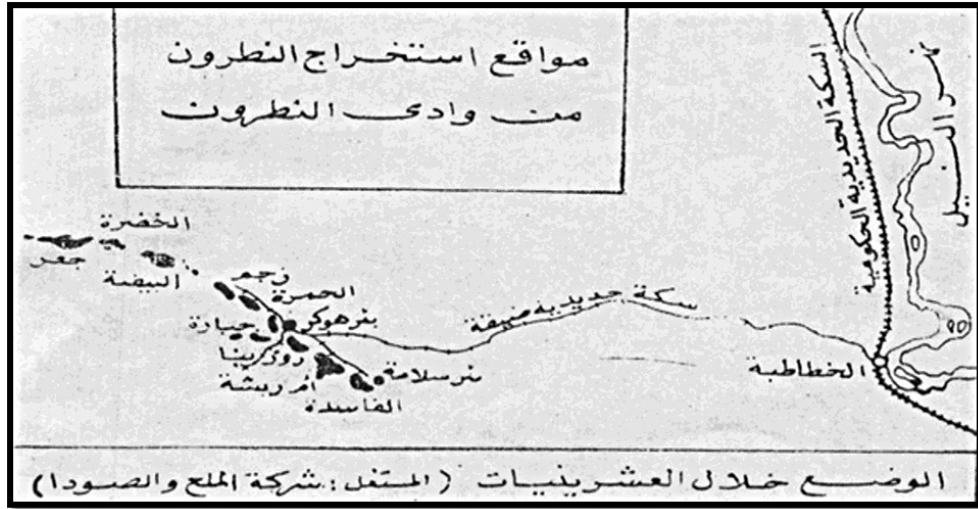
خريطة وادي النطرون بالنسبة لمحافظة البحيرة^(١).



(١) المصدر: الأطلس العربي: طبع بإدارة المساحة العسكرية، القاهرة ١٩٦٩، ص ١٨.

شكل (٣)

بحيرات النظرون وسكة حديد وادي النظرون^(١).



(١) المصدر: محمد سميح عافية: المرجع السابق، ج ٢، ص ٣٢٧؛ محمود على سيف: المرجع السابق، ملحق الخرائط، د، ص.

ملحق رقم (٤)

منظر عام لشركة الملح والصودا بوادي النطرون^(١).



(١) المصدر: تأليف: شركة الملح والصودا، المرجع السابق، ص ١٣.

شكل رقم (٥)

مناطق الرهبة بوادي النطرون^(١).



(١) المصدر: محافظة البحيرة: وزارة الإعلام، الهيئة العامة للاستعلامات، ١٩٨٦ م.

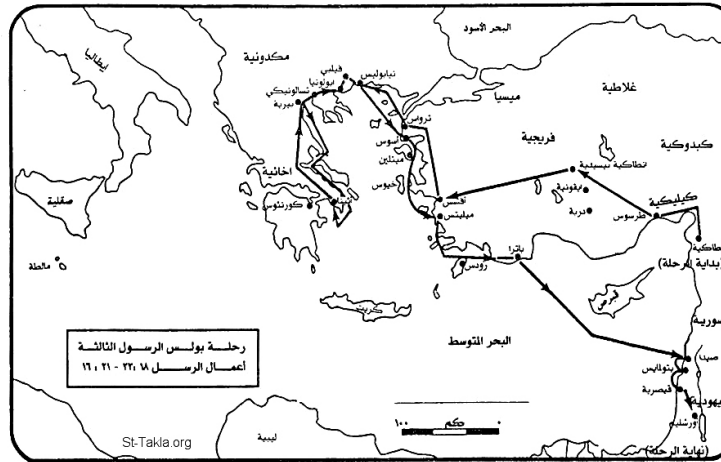
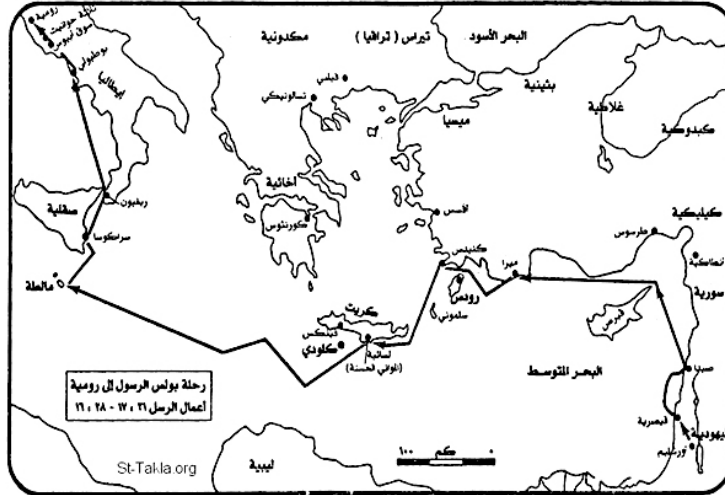
شکل رقم (۷)

خريطة توضيح موقع بركة نترية بالنسبة لأديرة وادي النطرون^(١)



(١) المصدر: متى المسكين: الرهبنة القبطية عصر الأنبا مقار.

شكل رقم (١٠)
رحلات بولس الرسول^(١).



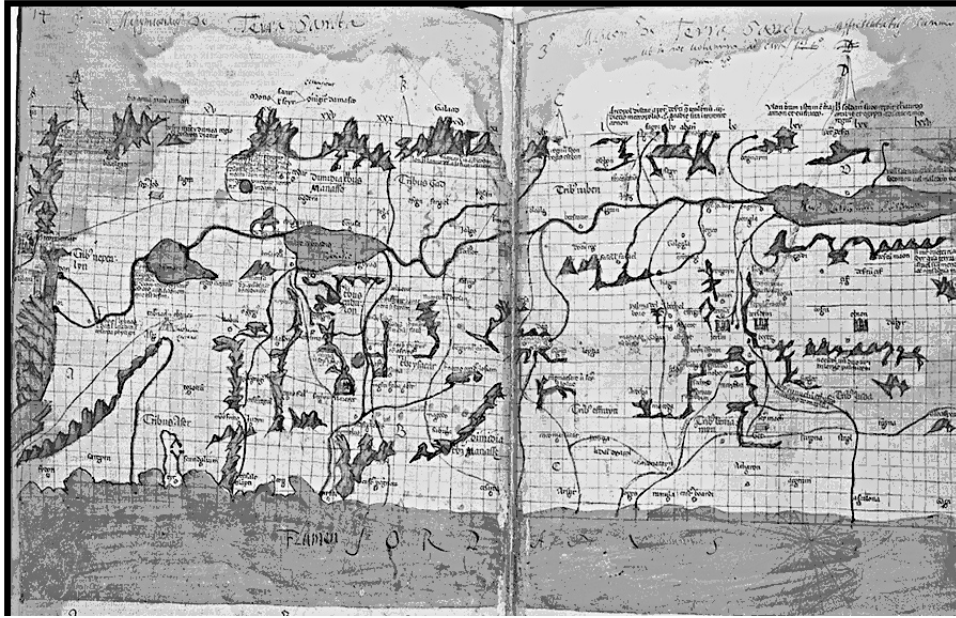
(١) المصدر: موقع الأنبا تكلا هيمانوت الحبشي القس: الكنيسة القبطية الأرثوذكسية - الإسكندرية - مصر.

https://st-takla.org/pub_Bible-Interpretations/Holy-Bible-Tafsir-02-New-Testament/Father-Antonious-

Fek

شكل رقم (١١)

خريطة الأراضي المقدسة بيد الرحالة مارينو سانوتو رسمها عام ١٣٢٠ م^(١)



(1) https://en.wikipedia.org/wiki/Marino_Sanuto_the_Elder#/media/Fil.

شكل رقم (١٢)

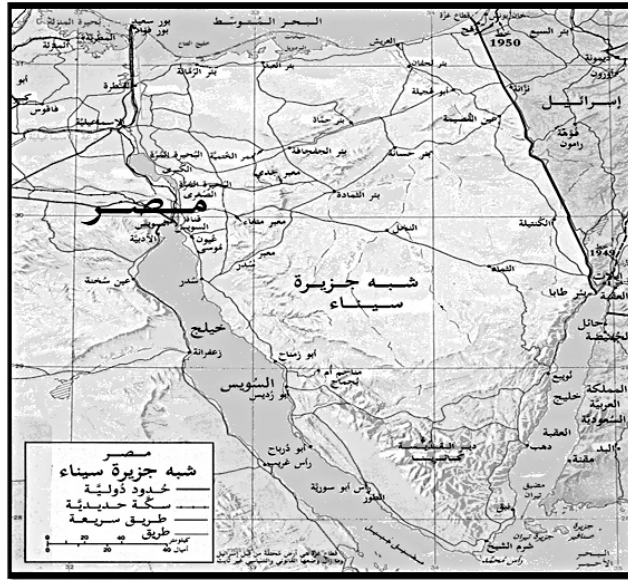
منظر عام للحج المسيحي^(١).



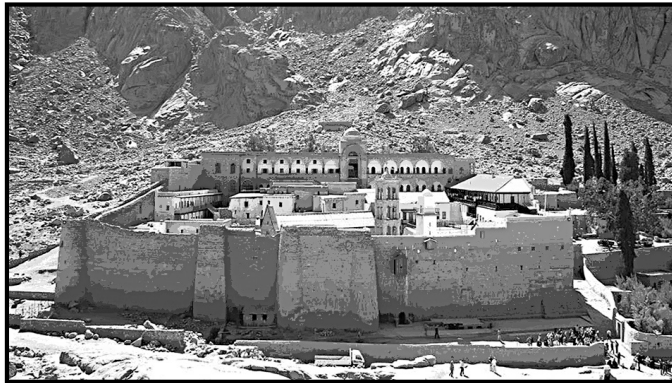
(١) المصدر: مدونة الآثار العامة. <https://farahe.wordpress.com>

شكل رقم (١٣)

خريطة لشبه جزيرة سيناء^(١).



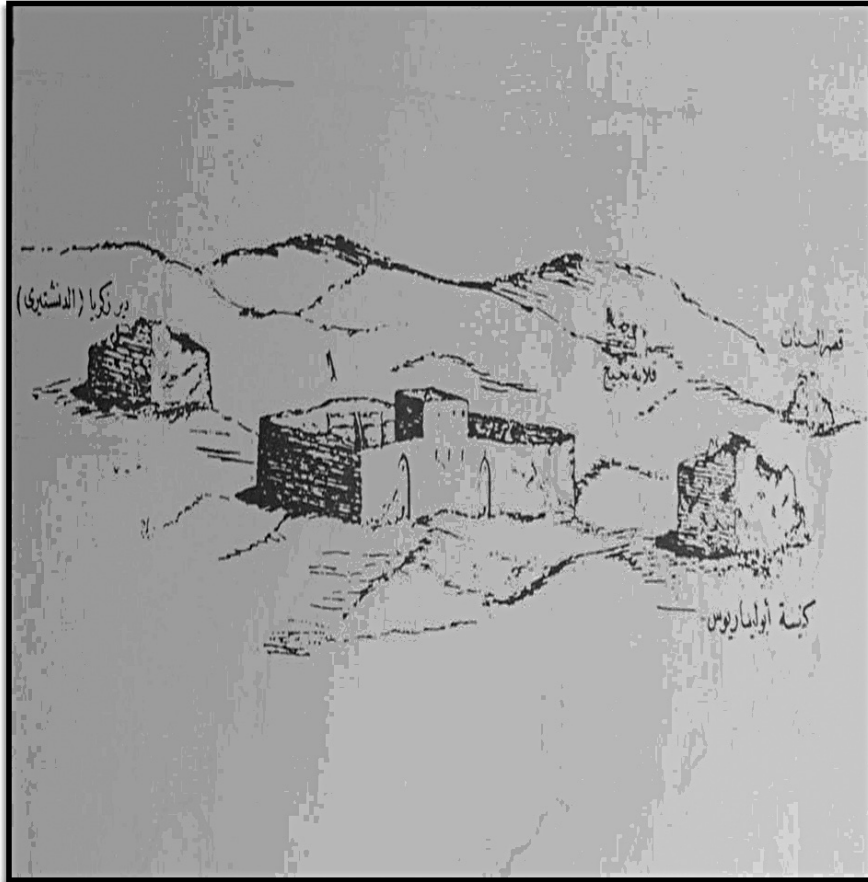
دير سانت كاترين



(١) المصدر: إعداد الباحث <https://ar.wikipedia.org/wik>

شكل رقم (١٤)

خريطة تخطيطية لدير الأنبا مقار برسم الرحالة ألفريد بتلر عام ١٨١٥ م^(١).



(١) المصدر: متى المسكين: الرهبنة القبطية في عصر الأنبا مقار.

شكل رقم (١٥)

شاهد خرساني لدير القديس الأنبا موسى بوادي النظرون،
وضعه الرحالة الأمير عمر طوسون^(١)



(١) إعداد الباحث.

شكل رقم (١٦)

صور للمعالم الأثرية بدير البراموس بوادي النظرون^(١)

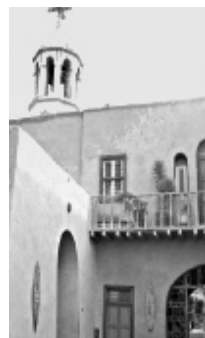


(١) إعداد الباحث.











شكل رقم (١٧)

صور للمعالم الأثرية بدير الأنبا بيشوي^(١)



الطاحونة



منارات دير القديس بيشوي بشيهيت



جسد الأنبا بيشوي



دير أنبا بيشوي



كنيسة البابا بنيامين



الطافوس بدير
الأنبا بيشوي

(١) إعداد الباحث.



المائدة بدير الأنبا بيشوي



القلالي بدير الأنبا بيشوي



مذبح كنيسة مارجرجس



الإنبل



الحصن



سور دير الأنبا بيشوي

شكل رقم (١٨)

صور للمعالم الأثرية بدير السريان العامر^(١)



كنيسة المغارة



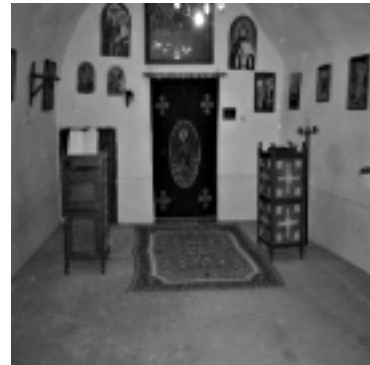
كنيسة السريان



كنيسة الشهداء



كنيسة الأثينا متاؤس الفاخوري



(١) إعداد الباحث.



كنيسة الأنبا يحنس كاما



كنيسة الأنبا يحنس كاما



كنيسة رئيس الملائكة ميخائيل



كاتدرائية السيدة العذراء مريم



كنيسة القديس الأنبا مقاريوس



كنيسة البابا كيرلس السادس



مدخل دير السريان الجديد



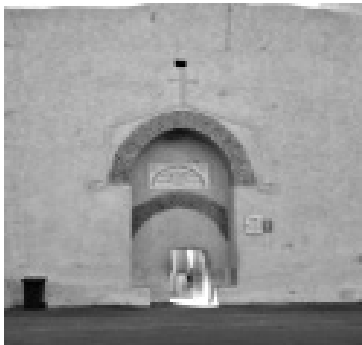
كنيسة القديس مار ماروتا



أسوار دير السريان



باب النبوات بالسريان



مدخل دير السريان الجديد



منظر للبرية أمام دير السريان



الحصن الأثري بدير السريان



مغارة الأنبا بيشوي بالسريان



شجرة مار إبراهيم السرياني

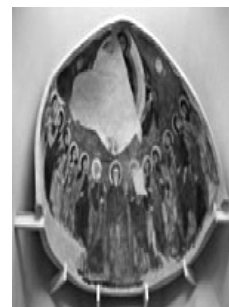
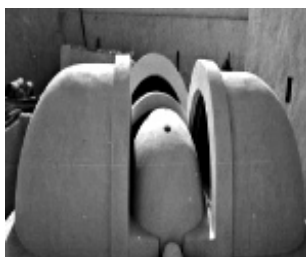


دير القديس يحنس كاما

منظر عام لقلالي الرهبان وشجرة ماري أفرام السرياني وكنيسة المغارة بدير السريان



بعض صور لمتحف دير السريان العامر بدير شيهيت^(١)



(١) إعداد الباحث.

فريسكا صعود السيد المسيح بدير السريان العامر بـرية شيهيت^(١)

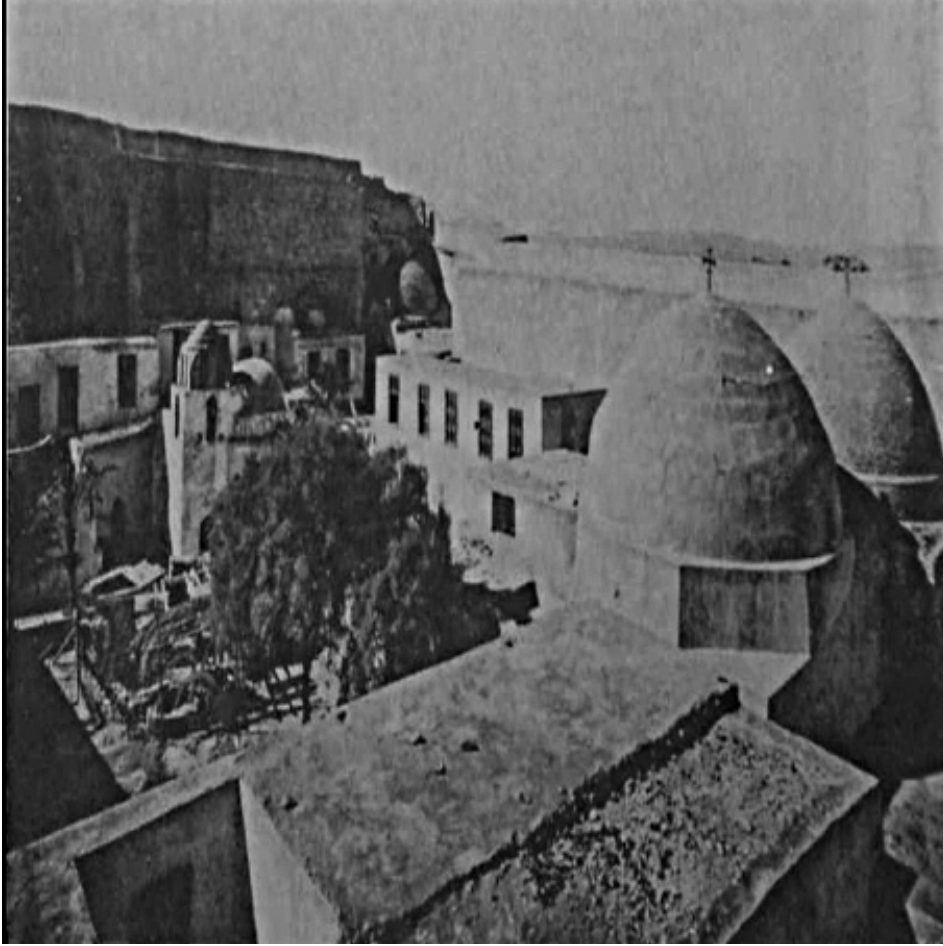


(١) شاهد الباحث أعمال الترميم بدير السريان العامر بـرية شيهيت في عام ٢٠٠٨ م.



شكل رقم (١٩)

صورة بيد الرحالة إيفيلين هوايت عام ١٩٢٠م
لقبة هيكل يوحنا المعمدان بدير الأنبا مقار بوادي النطرون^(١).



(١) المصدر: متى المسكين (الأب): الرهبنة القبطية عصر الأنبا مقار.

شكل رقم (٢٠)

منظر عام لدير الأنبا مقار بوادي النطرون ٢٠١٧^(١).



(١) إعداد الباحث.

شكل رقم (٢١)

الشهيد الأنبا إيفانيوس

أسقف ورئيس دير القديس الأنبا مقار بوادي النطرون (٢٠١٣-٢٠١٨م)^(١).



(١) المصدر: ماجد عزت إسرائيل، الإعلام القبطي ونيابة الشهيد الأنبا إيفانيوس تلميذ رئيس دير الأنبا مقار (١٩٥٤-٢٠١٨م)، الأهرام الكندي الجديد، بتاريخ ١ أغسطس ٢٠١٨م.

شكل رقم (٢٢)

صور للمعالم الأثرية بدير الأنبا مقار بوادي النطرون^(١).



الثلاث مقارات القديسين



المائدة الأثرية



قوس النصر
في المدخل
الرئيسي لدير
الأنبا مقار



أيقونة العشاء السري

(١) إعداد الباحث.



القديس يؤانس القصير



المائدة الأثرية



كنيسة الأنبا أنطونيوس



هيكل يوحنا المعمدان



الحصن



القديس الأنبا مقار



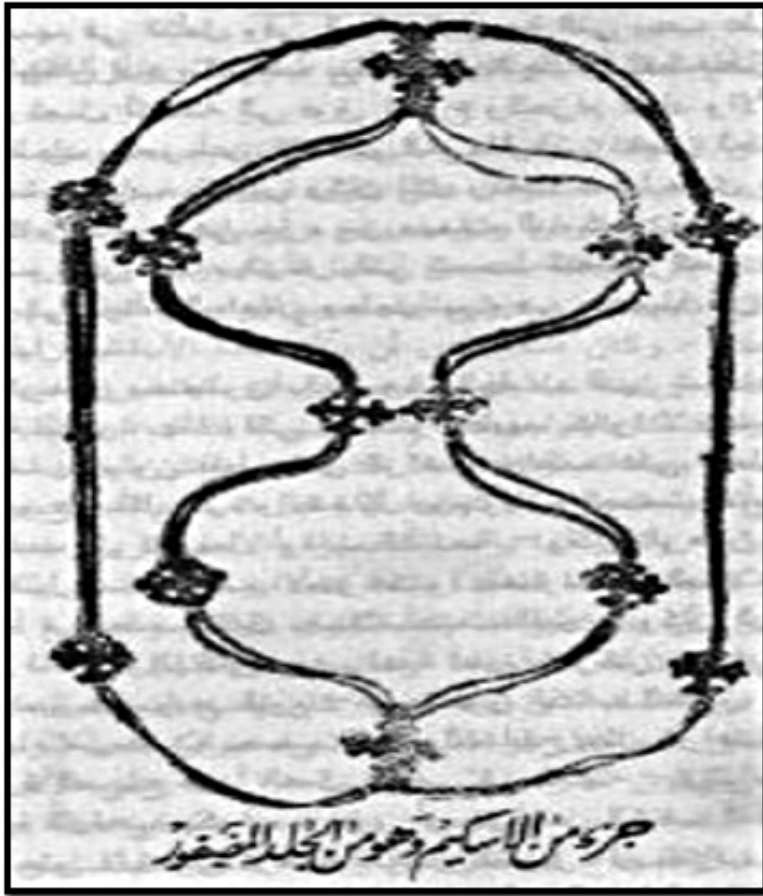
منظر عام للحصن



السلم الأثري للحصن

شكل رقم (٢٣)

الإسكيم المقدس^(١).



(١) المصدر: مجلة الكرازة ٢٤، العدد ٣، ٤، ٢ فبراير ١٩٩٦ م.

المصادر والمراجع

أولاً- وثائق غير منشورة:

١- أرشيف دار الوثائق القومية بكونرنيش النيل بالقاهرة:

أ- سجلات الدواوين:

- سجلات ديوان خديوي.
- سجلات مجلس الأحكام.
- سجلات المجلس الخصوصي.
- سجلات ديوان شورى المعاونة.
- سجلات الجهادية.
- سجلات تقارير النظر.
- سجلات مجلس تجار مصر.
- سجلات مجلس تجار الإسكندرية.
- سجلات ديوان التجارة والمبيعات.
- سجلات ديوان الويركو.
- سجلات تعداد نفوس ١٢٦٤هـ / ١٨٤٧م.
- سجلات البراءات والفرمانات السلطانية (ديوان بلاط جلالة الملك).
- سجلات الحوض والمحمودية.
- سجلات مجلس الملكية التركي.
- سجلات تفتيش بحري.
- سجلات ديوان الكتخدا.
- سجلات ديوان تفتيش.
- سجلات ديوان الروزنامة:
- سجلات إسقاطات القرى.
- فروخت نقود مقاطعات (دفاتر الالتزام) قرى ولاية البحيرة وأطفيح وفارسكور والطرانة.

- سجلات مديرية البحيرة:

- سجلات صادر ووارد دواوين.
- سجلات صادر ووارد مديرية.
- سجلات صادر ووارد الجهات.
- سجلات وارد عموم المالية.
- سجلات صادر دواوين إلى سايره.
- سجلات عرضحالات (إدارة - مالية).
- سجلات صادر العهد.
- سجلات صادر ووارد مصلحة الصحة.
- سجلات صادر ووارد مصلحة النظرون بالطرانة.
- سجلات صادر ووارد الفروع للنواحي.
- سجلات صادر ووارد مركز النجيلة.
- سجلات شطب صادر ووارد تفتيش الصيارف.
- سجلات صادر ووارد التلغرافات.
- سجلات جريدة استحقاقات ومطلوبات مستخدمين.
- سجلات قيد التحريرات الصادرة والواردة.
- سجلات قيد الأوامر المستديمة.
- سجلات إيرادات ومصروفات.

- سجلات محافظة القليوبية

- سجلات صادر دواوين إلى مديرية البحيرة.

- سجلات محافظة رشيد

- سجلات صادر دواوين إلى سايره.

ب- سجلات المحاكم الشرعية:

- محكمة البحيرة.

- محكمة النجيلة.

- محكمة كوم حمادة.
- محكمة رشيد.
- محكمة سيوة.
- محكمة الإسكندرية.
- محكمة الفيوم.
- محكمة مصر الشرعية.
- محكمة جامع الحاكم.
- ج- مضابط المحاكم الشرعية:
- مضبطة كوم حمادة.
- مضبطة البحيرة.
- د- المحافظ:
- محافظ مديرية البحيرة.
- محافظ إدارة المحليات.
- محافظ السيادة.
- محافظ مجلس الأحكام.
- محافظ الجهادية.
- محافظ الأبحاث.
- محافظ الداخلية (مكتبات - أوامر).
- محافظ الوقائع المصرية.
- محافظ شورى المعاونة.
- محافظ مجلس الوزراء.
- محافظ عابدين.
- محافظ مجلس الملكية تركي.
- محفظة الميهي.
- محفظة اللوائح والقوانين.

- محافظ المجلس الخصوصي.

- محافظ بحر برا.

- محافظ الذوات.

- محافظ الديوان الخديوي.

- محافظ معية سنية (تركي - عربي).

- محافظ شركات وجمعيات.

- محافظ الثورة العربية.

- محافظ ديوان كتخدا.

- محافظ رشيد

- محافظ الدشت.

٢- أرشيف دير السريان بوادي النطرون بالبحيرة:

- الوثائق المفردة: ويقدر عددها بأربعة آلاف وثيقة.

- ملف قوانين الرهينة منذ نشأتها حتى ١٩٢٨م.

- مذكرة مرفوعة من المجلس الملي ضد البطريك كيرلس الخامس بشأن الأوقاف القبطية حتى يونيو ١٩٢٨م.

- ملف رؤساء الدير.

- ملف القوافل.

- ملف المتنيح قداسة البابا شنودة الثالث ما بين عام (١٩٥٤-٢٠١٢م).

ثانيًا- وثائق منشورة:

- الأوامر والدكريات والقرارات الصادرة في الفترة (١٨٧٩-١٩٠٥م)..

- مجلس النظار قرارات ومنشورات نظارة المالية والداخلية الصادرة في الفترة من (١٨٨٣-١٩٠٢م).

- وزارة المالية، مصلحة الإحصاء: تعداد سكان القطر المصري، ج٢، المطبعة الأميرية، القاهرة ١٣٠٠هـ/ ١٨٨٢م.

- إحصاء عام ٢٠١٣م، الصادر عن الإتحاد الألماني في ٣١ ديسمبر ٢٠١٣م.

- النيابة العامة: مكتب النائب العام، قضية مقتل رئيس دير الأنبا مقار ١٩ أغسطس ٢٠١٨م.

ثالثاً- المخطوطات:

- مخطوطات دير السريان:

- مخطوط دير السريان، رقم ٣٧١ طلبات، نسخ غبريال بن جورجوس سنة ١٤٥٢ ش / ١٧٣٦ م.
- مخطوط رقم ٦٥٣، طقوس، د.ت.
- مخطوط رقم ٢٨٧، ميمر الأنبا أنطونيوس. د.ت.
- مخطوط رقم ٢٨٦، ٢٩٠، ميامر، بمكتبة دير السريان.
- مخطوط رقم ٢٤٩، ميامر، ١٥٨١ ش / ١٨٦٥ م.
- مخطوط طقس رسامة الراهب المستعمل بدير السريان تنفيح ونسخ الراهب، أنطونيوس السرياني، (قداسة البابا شنودة الحالي، البطريك ١١٧) د.ت.
- مخطوط رقم ١٣١٩١، تاريخ البطارقة، الجزء الثاني، نسخ القمص داود مرقس حناوي، بتاريخ ١٦٥٣ ش / ١٩٣٦ م.

- مخطوطات دير الأنبا مقار:

- مخطوط رقم ١٧، حياة القديس مقاريوس، الناسخ سراييون، محفوظ بمكتبة دير القديس مقاريوس (الأنبا مقار) بوادي النطرون.

- مخطوطات دير سانت كاترين:

- مخطوط كتبه أغاثون بن مصبح الطوراتي، عنوانها "المسيح رجائي وعوني ومخلصي من تعليم القديس باسيليوس، ويبلغ عدد صفحاتها نحو إحدى عشرة ورقة، بتاريخ ٦٣٦ هـ، ٦٧٤٧ لآدم، ١٢٣٩ م. نقلا عن: إيلاف: محمد الحماصي، مقال بعنوان، نوادر مخطوطات دير سانت كاترين، بتاريخ ١ أكتوبر ٢٠٠٧ م.

- مخطوطات المتحف القبطي:

- مخطوط رقم ١٨٤، تزكية الشعب القبطي للقمص داود (البابا كيرلس الرابع)، لتولي البطريركية، سنة ١٥٧٠ ش / ١٨٥٤ م.
- مخطوط رقم ٢٧١٣، رسالة البابا كيرلس الرابع (أبي الإصلاح) إلى الشعب القبطي للاكتتاب في المدرسة الكبرى.
- مخطوطة رقم ٤٧٧، الأنبا زخرياس أسقف سخا ميمر رحلة العائلة المقدسة لمصر، تاريخ النسخ (١٦٨٦-١٦٨٧).

- مخطوطات مكتبة الفاتكان:

Paper manuscript in the Vatican library, Barb. or. 2, f. 3r, Psalter in five languages (Ge'ez, Syriac, Bohairi Coptic, Arabic, Armenian).

رابعاً- المذكرات والذكريات:

(١) العربية:

- صليب سوريال، القمص: مذكرات في قوانين الآباء الرسل، د.م، د.ت.
- عباس حلمي الثاني: عهدي مذكرات عباس حلمي الثاني خديوي مصر الأخير ١٨٩٢ - ١٩١٤ م، دار الشروق، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٩٣ م.
- يؤانس، الأنبا: مذكرات في الرهبة المسيحية، الطبعة الأولى، د.م، القاهرة ١٩٩١ م.

(٢) الأجنبية:

Odoyn: Nates about Wadi El Natrun Factuality of Solihauhl, Bermingham University, England. 1999.

شواهد المؤسسات والقبور

- شواهد المؤسسات: اللوحة التذكارية بتشيد بدير سانت كاترين.
- شواهد القبور، لوحة رخامة لمقبرة المعلم إبراهيم الجوهري، بمنطقة مصر القديمة، توجد على المقبرة تاريخ نياحته ١٥١١ ش / ١٧٩٥ م.

خامساً- قائمة المصادر والمراجع العربية والمعرّبة:

- إبراهيم نصحي: تاريخ مصر في عهد البطالمة، الجزء الثالث، الطبعة الخامسة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨١ م.
- إبراهيم عبد السيد القمص: البطريك القدام، مطبعة المحبة، القليوبية ١٩٩٥ م.
- ابن الجيعان (شرف الدين يحيى علم الدين شاكر بن المقر، ت ٨٥٥ هـ / ١٤٩٩ م) التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية، طبعة بولاق، القاهرة ١٣١٦ هـ / ١٨٩٨ م.
- ابن العسال (الصفى أبي الفضائل بن العسال): المجمع الصفوي بتاريخ ١٢٣٥ م، نشرة جرجس فيلوثاوس عوض، الجزء الأول، القاهرة د.ت.

- ابن الوزان الزبائن: وصف أفريقيا، ترجمة عبد الرحمن حميدة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٥
- ابن دقماق (صارم الدين إبراهيم بن محمد بن ايدمر العلائي، ت ٨٠٩هـ / ١٤٠٧م): الانتصار لوساطة عقد الأمصار، الجزء الخامس، طبعة بولاق، القاهرة، ١٣١٠هـ / ١٨٩٣م.
- ابن فضل الله العمري شهاب الدين أحمد بن يحيى المتوفي (٤٤٩هـ / ١٣٤٨م): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج ١، تحقيق كامل سلمان الجبوري، دار لكتب العلمية، بيروت ٢٠١٠م، ص ٣٩٦-٣٩٧.
- ابن كبر (شمس الرئاسة بن الشيخ الأكمل الأسعد أبي البركات): مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة، ج ٢م، ط ١، الناشر مؤسسة مينا للطباعة، ١٩٩٨م.
- أبو سيف يوسف: الأقباط والقومية العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٦م.
- أبي المكارم: تاريخ الكنائس والأديرة في الوجه البحري والقاهرة، ج ١، إعداد صموئيل السرياني، د.ن، د.ت.
- أحمد أحمد الحنة: تاريخ مصر الاقتصادي في القرن التاسع عشر، الطبعة الثانية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٧م.
- أحمد الشربيني السيد: تاريخ التجارة المصرية في عصر الحرية الاقتصادية ١٨٤٠-١٩١٤م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٥م.
- أحمد شلبي بن عبد الغني الحنفي المصري (١٧٣٧ / ١١٥٠م): أوضح الإشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشات: الملقب بالتاريخ العيني، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، مكتبة الخانجي للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٧٨م.
- أحمد ضياء الدين محمد: الظاهرة الإجرامية بين الفهم والتحليل، أكاديمية الشرطة، القاهرة ٢٠٠٠م.
- أحمد عزت عبد الكريم: تاريخ التعليم في مصر نهاية حكم محمد علي إلى أوائل توفيق، الجزء الثاني، مطبعة النصر، القاهرة ١٩٤٥م.
- أحمد عزت عبد الكريم: دراسات في تاريخ مصر الحديث، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧٠م.
- أحمد لطفي السيد: قبائل العربان في مصر، د.ن، القاهرة ١٩٣٥م.

- أحمد محمد حسن الدماصي: الاقتصاد المصري في القرن التاسع عشر، الجزء الأول (١٨٠٠-١٨٤٠ م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٤ م.
- إدوارد ولیم لاین: عادات المصريين المحدثين وتقاليدهم ١٨٣٣-١٨٣٥ م، ترجمة سهير دسوم، مكتبة مدبولي، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٩٩ م.
- إسماعيل زين الدين: الزراعة المصرية في عهد الاحتلال البريطاني (١٨٨٢-١٩١٤ م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٥ م.
- إلهام محمد علي ذهني: مصر في كتابات الرحالة الفرنسيين في القرن التاسع عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٥ م.
- إلهام محمد علي ذهني: مصر في كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين في القرن الثامن عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٢ م.
- إلهام محمد علي ذهني: مصر في كتابات الرحالة الفرنسيين في القرنين السادس عشر والسابع عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩١ م.
- إلياس الأيوبي: تاريخ مصر في عهد الخديوي إسماعيل، المجلد الأول، الطبعة الثانية، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٩٦ م.
- أمين سامي: تقويم النيل، المجلد الثاني والثالث من الجزء الثالث، الطبعة الأولى، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة ١٣٤٦ هـ / ١٩٢٨ م.
- أمين مصطفى عفيفي: تاريخ مصر الاقتصادي والمالي في العصر الحديث، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٥٤ م.
- أنطونيوس الدويري البراموسى، القمص: تاريخ دير السيدة العذراء، الطبعة الأولى، د.م، القاهرة ١٦٧٦ ش / ١٩٦٠ م.
- أنطونيوس الأنطوني: وطنية الكنيسة القبطية وتاريخها. مج. ١، ٢. القاهرة، ٢٠٠٤.
- إيريس حبيب المصري: قصة الكنيسة القبطية، الجزء الرابع، الطبعة الخامسة، مكتبة مارجرجس باسبورتنج، الإسكندرية ١٩٧٥ م.
- إيريس حبيب المصري: قصة الكنيسة القبطية، ج ٥، مكتبة المحبة، القاهرة ١٩٨٤ م.
- إيريس حبيب المصري، السنكسار الأمين، مكتبة مارجرجس باسبورتنج، الإسكندرية ١٩٨٨ م.
- أيسودورس، الأنبا: الخريدة النفسية في تاريخ الكنيسة، مكتبة المحبة، القاهرة ٢٠٠٢ م.

- إيمان محمد عبد المنعم عامر: العربان ودروهم في المجتمع المصري في النصف الأول من القرن التاسع عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٧ م.
- أغسطينوس البرموسي، القس: دير البراموس بين الماضي والحاضر، مطبعة دار نوبار، القاهرة ١٩٩٣ م.
- الآباء المؤرخون: مصادر التاريخ الكنسى، ترجمة أنطون فهمى جورج، مطبعة الأنبا رويس، القاهرة ١٩٩٣ م.
- الأجيية، مكتبة المحبة- القاهرة ١٩٩٦ م.
- بولا البراموسي: القوي الشهيد أنبا موسى الأسود، الطبعة الرابعة، مطبعة دير البراموس، وادي النطرون ١٩٨٨ م.
- بطرس البستاني: دائرة المعارف، مؤسسة مطبوعاتي اسما عيليان، د. ت.
- تادرس يعقوب الملطي (القمص) ويوسف يوسف حليم (القس): قاموس آباء الكنيسة وقديسيها مع بعض الشخصيات الكنسية، كنيسة الشهيد مارجرجس بإسبورتنج، الإسكندرية ٢٠٠١ م.
- تادرس يعقوب ملطي، القمص: القديس باسيلوس الكبير، الرهبة والنسك والحياة الفاضلة، ج ٢، كنيسة الشهيد مارجرجس سبورتنج، الإسكندرية ٢٠١٢ م.
- تأليف أحد الرهبان: دير القديس العظيم الأنبا بشوي على مر الأجيال، مكتبة الدير، وادي النطرون ١٩٩٣ م.
- تأليف أحد رهبان دير الأنبا بيشوي: قصة دير القديس العظيم الأنبا بيشوي بين الأمس واليوم، مراجعة وتقديم الأنبا صرابامون، مطبعة الأنبا رويس بالعباسية، القاهرة ١٩٩١ م.
- تأليف أحد الرهبان: دروس من دير البرموس، الطبعة الأولى، مطبعة الدير، وادي النطرون ١٩٨٨ م.
- تأليف أحد الرهبان: دير السيدة العذراء والأنبا يحنس كاما (السريان)، الطبعة الأولى، مطبعة دار يوسف كمال، وادي النطرون ١٩٩١ م.
- تأليف شركة الملح والصودا، دار الهلال، د. ت.
- تأليف علماء الحملة الفرنسية: العرب في ريف مصر وصحاريها، وصف مصر، الجزء الثاني، ترجمة زهير الشايب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٢ م.

- تأليف علماء الحملة الفرنسية: وصف مصر- دراسة عن المدن والأقاليم المصرية، ج٣، ترجمة زهير الشايب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٢م.
- تأليف علماء الحملة الفرنسية: النظام المالي والإداري في مصر العثمانية، الجزء الخامس، ترجمة زهير الشايب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٠م.
- تأليف مجموعة من الآباء: بستان الرهبان، طبعة بني سويف، د.ت.
- تأليف مجموعة من الآباء: طقس أسبوع الآلام، مكتبة المحبة، القاهرة ١٩٩٦م.
- توفيق أسكاروس: نوابغ الأقباط ومشاهيرهم في القرن التاسع عشر، جزءان، مطبعة التوفيق، القاهرة ١٩١٠م.
- ثيودور هول بارتك: تاريخ الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، ترجمة ميخائيل مكسي، مكتبة المحبة، القاهرة ٢٠٠٥م.
- الفريد. ج. بتلر: فتح العرب لمصر، ترجمة محمد فريد أبو حديد، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٣٣م.
- الفريد. ج. بتلر، الكنائس القبطية القديمة في مصر ج: ١، ترجمة: إبراهيم سلامة إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣.
- جاك تاجر: أقباط ومسلمون من الفتح العربي إلى ١٩٢٢م، دار المعارف، القاهرة ١٩٥١م.
- جرجس فيلوثاؤس عوض: القبط- الكتاب الأول في تعداد القبط أمس واليوم، طبع بالمطبعة المصرية الأهلية الحديثة، القاهرة ١٩٣٢م.
- جرجس سلامة: أثر الاحتلال البريطاني في التعليم القومي في مصر (١٨٨٢-١٩٢٢م)، الطبعة الأولى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٦٦م.
- جرجس سلامة: تاريخ التعليم الأجنبي في القرنين التاسع عشر والعشرين، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، نشر الرسائل الجامعية، القاهرة ١٩٦٣م.
- جرجس صموئيل عازر: الإفخارستسا أو القول السديد عن السر المجيد، مكتبة مار جرجس شبرا مصر، القاهرة ١٩٣٥م.
- جمال حمدان: شخصية مصر: دراسة في عبقرية المكان ، الجزء الأول، دار الهلال، القاهرة، ١٩٩٤م.
- جمال كمال محمود، الأرض والفلاح في صعيد مصر في العصر العثماني، تاريخ المصريين رقم ٢٨٥، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠١٠م.

- جوان كول: الأصول الاجتماعية والثقافية لحركة عرابي في مصر، ترجمة عنان على الشهاوي، مراجعة عاصم الدسوقي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠٠١م.
- جورج يانج: تاريخ مصر في عهد المماليك إلى نهاية حكم إسماعيل، تعريب أحمد شكري، الطبعة الثانية، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٩٦م.
- جون لويس بوركهارت: العادات والتقاليد المصرية من الأمثال الشعبية في عهد محمد علي، الطبعة الثالثة، ترجمة إبراهيم شعلان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٠م.
- جون أنتيس: مذكرات رحالة عن المصريين وعاداتهم وتقاليدهم، في الربع الأخير من القرن الثامن عشر من خلال وصف الرحالة جون أنتيس (١٧٧٠-١٧٨٢م)، ترجمة سيد أحمد على الناصري، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ١٩٩٧م.
- جيمس بتلي: اكتشاف الكتاب المقدس قيامه المسيح في سيناء، ترجمة آسيا محمد الطريحي، دار سيناء للنشر، القاهرة ١٩٩٥م.
- جوزيف نسيم يوسف: دراسات في المخطوطات العربية بدير القديسة سانت كاترين في سيناء، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، العدد ٢٢، الإسكندرية ١٩٦٩م.
- حبيب جرجس: المدرسة الإكليريكية بين الماضي والحاضر، دن، القاهرة ١٩٣٨م.
- حسنين محمد ربيع: دراسات في تاريخ لالدولة البيزنطية، ط٦، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٩٨م.
- حسام محمد عبد المعطى: العائلة والثروة - البيوت التجارية في مصر العثمانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٨م.
- دير السيدة العذراء (المحرق): كتاب الخولاجي، دير السيدة العذراء المحرق، أسيوط ١٩٩٠م.
- دير السريان: ميامر السيدة العذراء، مراجعة وتقديم نيافة الأنبا متاؤس، مكتبة دير السريان، وادي النطرون، ١٧٢٢ش / ٢٠٠٥م.
- رءوف حبيب: الرهبنة الديرية، مكتبة المحبة، القاهرة ١٩٩٩م.
- رؤوف عباس حامد: النظام الاجتماعي في مصر في ظل الملكيات الزراعية الكبيرة ١٨٣٧-١٩١٤م، دار الفكر الحديث، القاهرة ١٩٧٣م.
- رسالة مارمينا: الرهبنة القبطية، الطبعة الثانية، مطبوعات جمعية مارمينا العجايب، الإسكندرية ٢٠٠١م.

- رفيق حبيب ومحمد عفيفي: تاريخ الكنيسة المصرية، الدار العربية للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٩٤م.
- رمزي تادرس: الأقباط في القرن العشرين الجزء الأول، دن، القاهرة ١٩١٠م.
- رياض سوريال: المجتمع القبطي في مصر في القرن التاسع عشر، مكتبة المحبة، القاهرة ١٩٨٤م.
- زكريا السرياني(الراهب): القديس الإلهي، مراجعة وتقديم الأنبا رافائيل، دير السريان ٢٠٠٥م.
- زكريا السرياني، القمص: كوكب بركة شيهيت- الراهب القمص فلتاؤس السرياني- سيرته - معجزاته، تقديم ومراجعة الأنبا متاؤس، مكتبة دير السريان العامر، البحيرة ٢٠١٠م.
- سامي سليمان محمد السهم: التعليم والتغيير الاجتماعي في مصر في القرن التاسع عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٠م.
- سليمان نسيم: الأقباط والتعليم، في مصر الحديثة، مطبعة نهضة مصر، القاهرة ١٩٨٣م.
- ساويرس بن المقفع: تاريخ البطارقة، الجزء الأول، معهد الدراسات القبطية، القاهرة، د.ت.
- ساويرس بن المقفع: تاريخ مصر من خلال مخطوطة تاريخ البطارقة، ج ٥، إعداد وتحقيق عبد العزيز جمال الدين، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ٢٠١٢م.
- سحر علي حنفر: العلاقات التجارية بين مصر وبلاد الشام الكبرى في القرن الثامن عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٠م.
- سعيد عبد الفتاح عاشور: الأيوبيون والمماليك في مصر والشام، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٩٨م.
- سعيد عبد الفتاح عاشور: أوروبا في العصور الوسطى، الجزء الأول، الطبعة الخامسة، مكتبة الأنجلو، القاهرة ١٩٧٢م.
- سعيد محمد حسن الملط: أعياد مصر بين الماضي والحاضر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٢م.
- سمعان السرياني، الراهب: الأعياد السيديّة الكبرى، مطرانية بني سويف والبهنسا، ١٩٩٢م.
- سمعان السرياني، الراهب: دير السيدة العذراء السريان، مراجعة وتقديم نيافة الأنبا متاؤس رئيس دير السريان، مطبعة دير الهرموس، ١٩٩٠م.

- سمير عمر إبراهيم: الحياة الاجتماعية في مدينة القاهرة خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٢ م.
- سمير وديد جرجس: هجمات البربر على وادي النطرون ونتائجها، مطبعة كامل، البحيرة، ٢٠٠٣ م.
- السنكسار القبطي: لسير الشهداء والقديسين في الكنيسة القبطية، الجزء الثاني، مكتبة مار جرجس شيكولاني شبرا، القاهرة ١٩٨٨ م.
- السنكسار القبطي: يحوي أخبار الأنبياء والرسل والشهداء والقديسين المستعمل في كنائس الكرازة المرقسية، ج ١، ط ٢، إعداد اللجنة المجمعية للطقوس، دير السيدة العذراء السريان ٢٠١٣ م.
- السيد رجب حراز: المدخل إلى تاريخ مصر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال البريطاني ١٥١٧ / ١٨٨٢ م، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٧٠ م.
- شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادى (ت ٦٢٦ هـ): معجم البلدان، مج ٨، ط ١، تحقيق محمد أمين الخانجي، القاهرة ١٣٢٣ هـ / ١٩٠٦ م.
- شنودة الثالث، البابا: الأسرة الروحية السعيدة، الطبعة الثانية، الكلية الإكليريكية، القاهرة ١٩٩٩ م.
- شنودة الثالث، البابا: الآبا السواح، الكية الإكليريكية، القاهرة ١٩٩٦ م.
- شنودة الثالث، البابا: الكهنوت، الجزء الأول، ط ٤، مطبعة الأنبا رويس، القاهرة، ١٩٩٧.
- شنودة الثالث، البابا: انطلاق الروح، الطبعة السادسة، مطبعة الأنبا رويس، القاهرة ١٩٨٦ م.
- شنودة الثالث، البابا: تأملات في حياة القديس أنطونيوس، الطبعة الثامنة، مطبعة الأنبا رويس، القاهرة ١٩٨٠ م.
- شنودة الثالث، البابا: شريعة الزوجة الواحدة في المسيحية، الطبعة التاسعة، مطبعة الأنبا رويس، القاهرة ١٩٧٨ م.
- شنودة الثالث (البابا): القديسان بولس وبطرس، الطبعة الاولى، الكلية الإكليريكية ، القاهرة، ١٩٩٧ م.
- شوقي ضيف: الرحلات، الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة ١٩٥٦ م.
- صموئيل تاو وروس السرياني، القمص: الأديرة المصرية العامة، ط ١، المطبعة التجارية الحديثة، القاهرة ١٩٦٨ م.
- صموئيل، الأنبا: تاريخ أبو المكارم عن الكنائس والأديرة في القرن الثاني عشر بآسيا وأوروبا، ج ٣، النعام للطباعة، القاهرة ٢٠٠٠ م.

- صبرى أحمد العدل: وثائق سيناء، مختارات من وثائق القرن التاسع عشر، سلسلة دراسات وثائقية، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ١٧٥٣هـ / ٢٠١٣م.
- طاهر أبو فاشا: هز القحوف في شرح قصيدة أبي شادوف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٧م.
- طلعت إسماعيل رمضان: الإدارة المصرية فترة السيطرة البريطانية، دار المعارف، القاهرة ١٩٩٧.
- عبد الرحمن الراجعي: تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر، الجزء الأول، الطبعة الأولى، مطبعة النهضة، القاهرة ١٣٤٧هـ / ١٩٢٩م.
- عبد الرحمن الراجعي: عصر إسماعيل، الجزء الثاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠١م.
- عبد الرحمن بن حسن الجبرتي: عجائب الآثار والأخبار، ثمانية أجزاء، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٣م.
- عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: الريف المصري في القرن الثامن عشر، الطبعة الثانية، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٨٦م.
- عبد العزيز محمد الشناوي: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، الجزء الأول، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٨٥م.
- عبد اللطيف واكد وحسن مرعي: واحات مصر جزر الرحمة وجنات الصحراء، القاهرة ١٩٥٧م.
- عبد الله خورشيد البربري: القبائل العربية في مصر في القرون الثلاثة الأولى من الهجرة، دار الكتاب العربي، القاهرة ١٩٦٧م.
- عبد الله محمد عزباوي: الشوام في مصر في القرنين الثامن والتاسع عشر، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٨٦م.
- عبد الله محمد عزباوي: عمد ومشايخ القرى ودورهم في المجتمع المصري في القرن التاسع عشر، الطبعة الأولى، دار الكتاب الجامعي، القاهرة ١٩٨٤م.
- عبد المسيح المسعودي البرموسي، القمص: تحفة السائلين في ذكر أديرة رهبان المصريين، الطبعة الثانية، الناشر دير السيدة العذراء برموس، وادي النطرون سنة ١٩٩٩م.

- على مبارك: الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة، الجزء السابع عشر، الطبعة الأولى، بولاق، القاهرة ١٣٠٦هـ / ١٨٨٨م.
- عمر طوسون: وادي النطرون وأديرته ومختصر تاريخ البطارقة، الطبعة الثانية، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٩٦م.
- عبده مباشر وإسلام توفيق: سيناء الموقع والتاريخ، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٨م.
- غريغوريوس، الأنبا: القدس المسيحية منذ القدم إلى اليوم، لجنة النشر للثقافة القبطية والأرثوذكسية، القاهرة ١٩٩٢م.
- فاطمة علم الدين عبد الواحد: تطور النقل والمواصلات الداخلية في مصر في عهد الاحتلال البريطاني ١٨٨٢-١٩١٤م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٩م.
- فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة ٢٠٠٢م.
- فريز ألدوينيتي: حلوان ١٨٨٧-١٩٨٧، ترجمة سالفاتوري كاليفيا، مطبعة السلام، القاهرة ١٩٨٨م.
- فوزية دياب: القيم والعادات الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٣م.
- قسطنطين فرانسوا فولني: ثلاثة أعوام في مصر وبر الشام، ترجمة إدوارد البستاني، ج ١، ط ٢، بيروت ١٩٤٩م.
- الكسندر شولش: مصر للمصريين أزمة مصر الاجتماعية والسياسية (١٨٧٨-١٨٨٢م) تعريف رؤوف عباس، دار الثقافة العربية، القاهرة ١٩٨٣م.
- كلوت بك: لمحة عامة إلى مصر، ترجمة محمد مسعود، الجزء الثاني، الطبعة الثانية، دار الموقف المصري، القاهرة ١٩٨٢م.
- كمال صالح نخلة وفريد ميلاد: خلاصة تاريخ المسيحية في مصر، الطبعة الثالثة، د.م، القاهرة ١٩٩٦م.
- كينث كونو: فلاحو الباشا، الأرض والمجتمع والاقتصاد في الوجه البحري (١٧٤٠-١٨٥٨م)، ترجمة سحر توفيق، مراجعة عاصم الدسوقي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠٠٠م.
- لطيفة محمد سالم: دور القوى الاجتماعية في الثورة العرابية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨١م.
- لطيفة محمد سالم: لقطات من التعبير عن سخط الفلاحين قبل ثورة ١٨٨١ / ١٨٨٢م، بحث منشور ضمن الرفض والاحتجاج في المجتمع المصري في العصر العثماني، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة القاهرة ٢٠٠٤م.

- ليلي عبد اللطيف أحمد: الإدارة في مصر في العصر العثماني، مطبعة عين شمس، القاهرة ١٩٧٨م.
- ليلي عبد اللطيف أحمد: سياسة محمد علي إزاء العربان في مصر، دار الكتاب الجامعي، القاهرة ١٩٨٦م.
- لينوار تشامبرزرايت: سياسة الولايات المتحدة الأمريكية إزاء مصر (١٨٣٠-١٩١٤م) ترجمة فاطمة علم الدين عبد الواحد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٧م.
- ماجد عزت إسرائيل: الأرمن في القدس عبر التاريخ، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠١٥م.
- ماجد عزت إسرائيل: الرهبة القبطية في وادي النطرون في القرن التاسع عشر، مكتبة الإسكندرية، الإسكندرية ٢٠١٧م.
- ماجد عزت إسرائيل: البطريك المنتظر، القاهرة ٢٠١٠م.
- ماجد عزت إسرائيل: وادي النطرون في القرن التاسع عشر، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ٢٠٠٩م.
- ماجد عزت إسرائيل: بحث بعنوان بدو وادي النطرون والسلطة السياسية في القرن التاسع عشر، منشور ضمن كتاب البدو في العالم العربي عبر العصور، تأليف نخبة من الباحثين، المحرر عبادة كحيلة، تصدير عادل غنيم، ج ١، دار المعارف، القاهرة ٢٠١٥م.
- ماجد عزت إسرائيل: الأب متى المسكين... الراهب المستنير، مطبعة دير القديس الأنبا مقار، دار مجلة مرقس، القاهرة ٢٠١٧م.
- ماجد عزت إسرائيل: الأقباط والمشاركة الوطنية في العصر الحديث (دراسة تاريخية وثائقية)، منتدى الشرق الأوسط للحريات، القاهرة ٢٠١٥م.
- ماهر محروس: برية شيهيت بوادي النطرون، ط ١، أرت لاين، القاهرة ٢٠٠٥م.
- متاؤس الأنبا: سمو الرهبة، الطبعة الرابعة، لجنة التحرير والنشر بمطرانية بني سويف ٢٠٠٠م.
- متى المسكين (الأب): الرهبة القبطية في عصر القديس الأنبا مقار، الطبعة الثانية، مطبعة دير الأنبا مقار، وادي النطرون ١٩٨٤م.
- متى المسكين (الأب): القديس بولس الرسول، مطبعة دير الأنبا مقار، وادي النطرون ١٩٩٢م.

- متى المسكين، الأب، سيرة القديس الأنبا مقار الكبير، الطبعة الأولى، دير الأنبا مقار ١٩٨٩ م.
- منسى القمص، الشماس: تاريخ الكنيسة القبطية، الطبعة الأولى، مطبعة اليقظة القبطية، القاهرة ١٩٢٤ م.
- محمد سميح عافية: التعدين في مصر قديما وحديثا، ثلاثة أجزاء، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٦ م.
- محمد طلعت حرب: علاج مصر الاقتصادي ومشروع بناء بنك المصريين أو بنك الأمة، تحقيق رؤوف عباس حامد، دار الكتب والوثائق المصرية، القاهرة ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م.
- محمد عاطف غيث: التغير الاجتماعي في المجتمع القروي الدار القومية، القاهرة ١٩٦٥ م.
- محمد عبد العظيم عجمية ومحمد محروس إسماعيل: الوجيز في التطور الاقتصادي، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية ١٩٧٠ م.
- محمد عفيفي: الأقباط في مصر في العصر العثماني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٢ م.
- محمد عفيفي: الكنيسة والأقباط والحملة الفرنسية، بحث منشور ضمن الدور الوطني للكنيسة المصرية عبر العصور، إعداد عبد العظيم رمضان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٢ م.
- محمد عوض تاج الدين: السودان الشمالي، سكانه وقبائله، لجنة التأليف والترجمة والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة ١٣٧١ هـ / ١٩٥١ م.
- محمد فؤاد شكري وآخرون: بناء دولة مصر محمد علي، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٤٨ م.
- محمد فهمي لهيطة: تاريخ مصر الاقتصادي في العصور الحديثة، الطبعة الثانية، مطبعة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٤٤ م.
- محمد قنديل البقلي: وحدة العادات والتقاليد بين مصر والشام، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.د.
- محمد محمود زيتون: إقليم البحيرة صفحات مجيدة من الحضارة والثقافة والكفاح، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٢ م.
- مراد عبده فرج: القراءات اليومية في السنة القبطية، شركة الكاتب المصري، الطبعة الأولى، القاهرة ٢٠٠٦ م.
- مرتيوس السرياني، الراهب: تاريخ دير الأنبا يحسن كاما القديم، دير السريان، وادي النطرون ١٩٩٢ م.

- مرتيروس السرياني (الراهب): القديس العظيم أنبا يوحنا القصير الشهير أبو يحنس، شركة النعام للطباعة، القاهرة ١٩٩٥ م
- مرقس سمكة: دليل المتحف القبطي وأهم الكنائس والأديرة المصرية، الجزء الثامن، د.م، القاهرة ١٩٣٢ م.
- مصطفى الخشاب: دراسات في علم الاجتماع العائلي، الطبعة الثانية، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة ١٩٥٨ م.
- المقريري (تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المقريري، ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤٢ م): المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، (الخطط المقريرية)، جزءان، مكتبة الثقافة الدينية، بيروت، د.ت.
- ميخائيل شاروييم: الكفا في تاريخ مصر القديم والحديث، الجزء الرابع، المطبعة الأميرية، القاهرة ١٩٠٠ م.
- نبيل السيد الطوخي: صعيد مصر في عهد الحملة الفرنسية (١٧٩٨ - ١٨٠١ م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٧.
- نعوم بك شقير: تاريخ سيناء القديم والحديث، وجغرافيتها، مع خلاصة تاريخ مصر والشام والعراق وجزيرة العرب، تقديم محمد إبراهيم أبوسليم، دار الجليل، بيروت - لبنان، ١٤١١هـ/ ١٩٩١ م.
- نوال قاسم: تطور الصناعة المصرية منذ عهد محمد علي حتى عهد عبد الناصر، الطبعة الأولى، مكتبة مدبولي، القاهرة ١٩٨٧ م.
- نيفين عبد الجواد: أديرة وادي النطرون دراسة أثرية وسياحية، مكتبة عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الطبعة الأولى، القاهرة ٢٠٠٤ م.
- هستوريا موناخورم: التاريخ الرهباني في مصر، الطبعة الأولى، ترجمة الراهب بولا البراموسي، الناشر أبناء الأنبا موسى الأسود ١٩٨٠ م.
- هيلين آن ريفلين: الاقتصاد والإدارة في مصر في مستهل القرن التاسع عشر، ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى ومصطفى الحسيني، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٨ م.
- هيو ج. ج. إيفلين هوايت: تاريخ الرهبة القبطية في الصحراء الغربية، مع دراسة للمعالم الأثرية المعمارية لأديرة وادي النطرون منذ القرن الرابع الميلاد إلى النصف الأول من القرن التاسع الميلادي،

ثلاثة أجزاء، ترجمة بولا البراموسى، الناشر أبناء الأنبا موسى الأسود، الطبعة الأولى، دير البراموس سنة ١٩٨٩ م.

- وليم سليمان قلادة: الدسقولية (تعليم الرسل) قام بتحقيقها وكتب لها مقدمة، الطبعة الثانية، دار الثقافة، القاهرة ١٩٧٩ م.

- وليم سليمان قلادة: الكنيسة المصرية تواجه الاستعمار والصهيونية، دار الكتاب العربي، القاهرة، د.ت.

- ياسر عبد المنعم محاريق: المنوفية في القرن الثامن عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٠ م.

- يوحنا سلامة (القمص): اللائى النفيسة في شرح طقوس ومعتقدات الكنيسة، ج ١، ط ٥، مكتبة مارجرجس شيرا مصر، القاهرة ١٩٩٩.

- يوحنا كاسيان: المعاهد، ترجمة راهب من دير السريان العامر، إعداد الراهب صموئيل السرياني، م.د.ت.

- يوسف الشربيني: هز القحوف في شرح قصيدة أبي شادوف، طبعة بولاق، القاهرة ١٢٤٧ هـ/ ١٨٩٠ م.

- يونان لبيب رزق ومحمد مزين: تاريخ العلاقات المصرية المغربية منذ مطلع العصور حتى عام ١٩١٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٠ م.

سادساً- الرسائل الجامعية:

- آمال أسعد توفيق: الأقباط في عهد الاحتلال (١٨٨٢-١٩١٤ م)، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب، قسم تاريخ، جامعة عين شمس ١٩٨٩ م.

- أماني بنت سعيد الحربي: مصر خلال كتابات الرحالة المغاربة في القرنين السابع والثامن الهجريين/ الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ١٤٣٦ هـ/ ٢٠١٥ م.

- أمينة السيد محمد النجار: إقليم البحيرة في العصر العثماني (١٥١٧-١٧٩٨ م)، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، د.ت.

- بولا البراموسى: دير السيدة العذراء براموس، رسالة ماجستير، غير منشورة، معهد الدراسات القبطية، القاهرة ١٩٩١ م.

- جمال كمال محمود: الأرمن في مصر في العصر العثماني، رسالة دكتوراه، غير منشورة، كلية الآداب، قسم تاريخ، جامعة القاهرة، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.
- حامد على دسوقي: النظام الإداري في عهد إسماعيل، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة ١٩٧٩م.
- حكيم أمين عبد السيد: الجماعات الرهبانية في وادي النطرون في القرن الرابع الميلادي، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب، قسم تاريخ، جامعة القاهرة ١٩٥٥م.
- حلمي محروس إسماعيل: دراسات عن الحالة الاجتماعية في مصر في النصف الأول من القرن التاسع عشر، رسالة دكتوراه، غير منشورة، كلية الآداب، قسم تاريخ، جامعة القاهرة ١٩٧٥م.
- زينب الغنم: الجاليات الأجنبية في مصر في العصر العثماني، رسالة دكتوراه، غير منشورة، جامعة الأزهر ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م.
- سميرة فهمي على عمر: دور عربان الوجه البحري في تاريخ مصر العثمانية ٩٢٣-١٣١٣هـ / ١٥١٧-١٧٩٨م، رسالة دكتوراه، غير منشورة، كلية الآداب، قسم تاريخ، جامعة الإسكندرية، ١٩٨٩م.
- صالح رمضان محمود: الجاليات الأجنبية في مصر في القرن التاسع عشر، رسالة دكتوراه، غير منشورة، كلية الآداب، قسم تاريخ، جامعة القاهرة ١٩٧٠م.
- فايزة محمد محمد حسن ملوك: الجيزة من الحملة الفرنسية حتى الاحتلال البريطاني لمصر (١٧٩٨ / ١٨٨٢م)، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب، قسم التاريخ والآثار المصرية والإسلامية، فرع دمنهور، جامعة الإسكندرية ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
- ماجد عزت إسرائيل: طوائف المهن التجارية في مصر (١٨٤٠-١٩١٤م)، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة القاهرة ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.
- محسن على شومان: المقاطعات الحضرية في مصر في العصر العثماني، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.
- محمود على سيف: وادي النطرون دراسة في الجغرافيا الإقليمية، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب، قسم الجغرافيا، جامعة القاهرة ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م.
- نبيل السيد الطوخي: طوائف الحرف في مدينة القاهرة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر (١٨٤١-١٨٩٠م)، رسالة دكتوراه، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة المنيا، سنة ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.

- نبيل عبد الحميد: الأجانب وأثرهم في المجتمع المصري (١٨٨٢ - ١٩٢٢ م)، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس سنة ١٩٧٦ م.
- نوال عبد العزيز مهدي: الحركة العمالية وأثرها في تطور التاريخ السياسي (١٨٩٩ - ١٩٣٠ م)، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب قسم تاريخ، جامعة القاهرة ١٩٧٣ م.

سابعاً- الدوريات:

- الجمهورية .
- الأخبار .
- الكرازة .
- الهلال .
- الوقائع المصرية .
- الأهرام .
- الجريدة .
- الوطن .
- مجلة مرقس .
- وطني .
- المصري اليوم .
- جريدة الوفد .

ثامناً- بحوث ومقالات:

- أنطون فؤاد، الأب: المعلم غالى ودوره في الكنيسة الكاثوليكية، موقع الكنيسة الكاثوليكية في مصر.

<http://catholic-eg.com/>

- جرجس فيلوثاوس عوض: مقال وعنوانه "ضرورة اختيار البطريرك من العلمانيين، مجلة رسالة الحياة ملحق العدد رقم ١٠، السنة التاسعة، القاهرة ١٩٤٣ م.
- شنودة الثالث (البابا): مقال وعنوانه "مساكنك محبوبة إياها الرب إله القوات، مجلة الكرازة ، بتاريخ ديسمبر ١٩٩٥ م.
- عاصم الدسوقي: بناء اقتصاديات مصر، مقال بمجلة الهلال، عدد أكتوبر ١٩٩٨ م.

- ماجد عزت إسرائيل: مقال بعنوان "صورة مشرفة للمجلس العسكري في جنازة البابا شنودة الثالث" موقع الأقباط متحدون، بتاريخ ٢١ مارس ٢٠١٢م.
- ماجد عزت إسرائيل: مقال بعنوان "في ذكرى رحيله.....مكانة البابا شنودة عند العرب والمسلمين!" جريدة الدستور، ١٦ مارس ٢٠١٥م
- ماجد عزت إسرائيل: مقال بعنوان "الدار البطيركية ٥٦-٢٠١٢م"، جريدة الشروق، بتاريخ ٢ نوفمبر ٢٠١٢م.
- ماجد عزت إسرائيل: مقال بعنوان "الأب متى المسكين وأضواء على دير الأنبا مقار" موقع الأقباط متحدون، بتاريخ ١٧ يونيو ٢٠١٠م.
- ماجد عزت إسرائيل: مقال بعنوان "أديرة الثيوتوكوس في مصر"، موقع الأقباط متحدون، بتاريخ ١٨ إبريل ٢٠١٨م.
- ماجد عزت إسرائيل: مقال بعنوان "المعلم غالي.. رائد من رواد الإدارة المالية في مصر (١٧٧٥- ١٨٢٢)، جريد الأهرام الجديد الكندي، ١٢ إبريل ٢٠١٨م.
- ماجد عزت إسرائيل: مقال بعنوان "فضل الرهبنة على العالم"، موقع الأقباط متحدون، بتاريخ ٤ ديسمبر ٢٠١٧م.
- ماجد عزت إسرائيل: لمحة عامة عن البابا كيرلس السادس، مشروع كنوز قبطية، ٢٠١٨م.
- ماجد عزت إسرائيل: الكنيسة وليلة تنحي الرئيس عبد الناصر ٩ يونية ١٩٦٧م، ٢٥ سبتمبر ٢٠١٣م.
- ماجد عزت إسرائيل: مقال بعنوان "في ذكرى رحيله مكانة البابا شنودة عند العرب والمسلمين"، جريدة الدستور، ١٦ مارس ٢٠١٥م.
- ماجد عزت إسرائيل: الإعلام القبطي ونياحة الشهيد الأنبا أبيفانيوس تلميذ رئيس دير الأنبا مقار (١٩٥٤-٢٠١٨م)، الأهرام الكندي الجديد، بتاريخ ١ أغسطس ٢٠١٨م.
- محسن على شومان: اليهود وطوائف الحرف في مصر العثمانية، مجلة كلية الآداب، مجلد ٥٧، عدد ٤، جامعة القاهرة، أكتوبر ١٩٩٧م.
- مارتيروس، الأنبا: دراسة في وادي النطرون، بحث منشورة بموقع الكنوز القبطية. د.ت.
- مارتيروس، الأنبا، تاريخ القلنسوة الرهبانية، موقع الكنوز القبطية، مارس ٢٠١٨م.
- مصطفى الفقى: مقال بعنوان "الفقى خزائن واسرار البابا من أجج خلافه مع السادات ومتى قال لمبارك: لا يا سيادة الرئيس؟ جريدة الأهرام بتاريخ ٢٠ مارس ٢٠١٢م.

- نبيل عبد الحميد: النشاط التبشيري الأمريكي في البلاد العربية حتى عام ١٩٢٣ م، مجلد رقم ٢٧، المجلة التاريخية المصرية، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، القاهرة ١٩٨١ م.
- هاجر صلاح: مقال بعنوان "بع الحمراء..... كنز مجهول في جوف وادي النطرون الأهرام: مقال بعنوان"، جريدة الأهرام، عدد ٤٦٦١٠، بتاريخ ٢٠ رمضان ١٤٣٥ هـ / ١٨ يوليو ٢٠١٤ م.
- وديع الفرنسي سكاني، بحث بعنوان "ميامر رحلة العائلة المقدسة، الطبقات والمخطوطات"، منشور ضمن كتاب "أسبوع القبطيات التاسع، ملف خاص عن هروب العائلة المقدسة إلى أرض مصر، ١٩٩٩ م / ١٧١٦ ش، كنيسة العذراء بروض الفرج، القاهرة، ٢٠٠٢ م.
- ماهر حس: مقال وعنوانه "قصة التعليم في مصر"، جريدة المصري اليوم، بتاريخ ١٧ أغسطس ٢٠٠٧ م.
- تاسعاً- المعاجم والقواميس والأطالس والمواقع الإلكترونية:
- الأطلس العربي: طبع بإدارة المساحة العسكرية، القاهرة ١٩٦٩ م.
- فيليب جلاد: قاموس الإدارة والقضاء، المجلد الثالث، المطبعة التجارية، الإسكندرية ١٨٩١ م.
- محمد رمزي: القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥ م، الأقسام الأول والثاني والثالث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٤ م.
- بنيامين، الأنبا: القداس الإلهي في اللاهوت الطقسي، موقع الأنبا تكلا:
<https://st-takla.org/Coptic-Faith-Creed-Dogma/Coptic-Rite-n-Ritual>
- موقع أسئلة من الكتاب المقدس:
<https://www.gotquestions.org/Arabic>
- الموقع الرسمي لدير الأنبا بيشوي:
<http://www.avabishoy.com/index.php/2017>
- الموقع الرسمي لأرشفيف مصر:
<http://www.archivegypt.com>
- الموقع الرئيسي لدير السريان:
http://www.st-mary-alsourian.com/index.php?option=com_content&view
- الموقع الرئيسي لدير الأنبا مقار:
<http://www.stmacariusmonastery.org/aabout.htm>

- عاشراً - المراجع الأجنبية:

- Amelineau, E: la Geographie de l' Egypte a l' époque Copte, Paris, 1890.
- Brawne. W. G: Travels in Africa Egypt and Syria, London 1799.
- Baer, Gabriel: Egyptian Guilds in Modern Times, The Israel Oriental Society, Jerusalem 1964.
- Butcher, E. L: The story of the church of Egypt, 2 vols, London, 1897.
- Baumann, Hans-Wolf, Constantin von Tischendorf und der Codex Sinaiticus ,11 März 2015, Gemeindenetzwerk - <http://www.gemeindenetzwerk.de>.
- Jean-François Champollion, L'Égypte sous les Pharaons, vol. 2 ,Paris, 1817.
- Dicey, Edward: The story of the Khedivate London, 1902.
- Theodore Edward Dowling, The Egyptian church, London : Cope & Fenwick, 1909.
- El. Batrik, Abdel Hamid: Egyptian Yemani Relation (1819-1870) and their Implications for British policy in the Red sea “In” ,Political and Social Change in Modern Egypt, London 1968.
- Fakhry, A: Recent Explorations in the Oases of the Western Desert, (Cairo: Press of the French Institute for Oriental: Archaeology, 1942.
- Forni, G: Viaggio nell Egitto e nell alto Nubia, Milano, vol I, 1859.
- Ghazaleh, Pascal : Masters of the trade: Crafts and Crafts people In Cairo (1750-1850). Cairo Papers In Social Science, volume 22, Number 3, The American University in Cairo 1999.

- Henri Gouthier, Dictionnaire des noms Geographiques contenus dans les textes Hieroglyphiques, SRGE, le Caire 1980.
- Hanna, Nelly: Incorporation and the textile Industry in 19th Century Egypt, La France, l' Egypt a l' époque des vice-rois, Institut Francais d' archéologie Orientale, Cahier de Annales islamologiques 22-2002.
- Issaiw , Charles: Egypt at Mid-Century An Economic Survey, London 1954.
- Issaiw , Charles: The Economic History of the Middle East (1800-1917) The university of Chicago Press 1966.
- Kredian, Armin: The private papers of an American Merchant Family in the Ottoman Empire, 1912- 1914 "In" Money Land and Trade. An Economic History of The Muslim Mediterranean, New York 2002.
- Philip E. La Moreaux, Reconnaissance Report and Recommendations for Ground-Water Investigations, Wadi el Natrun, Western Desert of Egypt (Cairo: Ministry of Reclamation. The General Desert Development Organization.Desert Institute, 1962).
- Lucas, Alfred: Ancient Egyptian Materials and Industries Revised by J. R. Harris. Edward Arnold, London, 1962.
- Lucas, Alfred: Natural Soda deposits in Egypt, Cairo 1912.
- MC. Coon, J. C: Egypt as it is, London 1877.
- Mengin. Felix: Histoire de l' Egypte sous le Gouvernement de Mohammed Aly, 2 vols, Paris 1823.

- Milner, A: England in Egypt, London 1926.
- Minutoli, H. G. M. V: La libye et ses habitants, Nouvelles annales des voyages et des sciences Geoge qannée tome 34, Paris 1827.
- Otto, Melnordus. F. A: The Holy Family in Egypt, Cairo 1986.
- Radwan, Samir: Capital Formation in Egyptian Industry and Agriculture 1882-1967 London, 1974.
- Rachel Finnegan, letters from Abroad: The Grand Tour Correspondence of Richard Pococke & Jeremiah Milles. Volume 3, Letters from the East (1737-1741).
- Shaw, Stanford. J: The Financial and Administrative organization and development of Ottoman Egypt (1517-1798), Princeton, New Jersey, 1962.
- Sonini, G. S: Travels in upper and Lower Egypt, London 1800.
- W. H. Mockean: Christian Monasticism in Egypt, London, 1914,
- Walker.H: The Amglo American guide to Alexandria, Anglo-American Guides 3 (Cairo: Amalgamated Press, (1935).
- Watson, Andrew: The American Mission in Egypt, Cairo 1888.
- White, Evelyn, Hugh Gerard,: Monasteries of The Wadi Natrun, Pt3, G. Britain 1973.
- Wilkinson, J. G: A handbook for Travelers in Egypt, London, 1867.
- Wilkinson, J. G: Modern Egypt and Thebes, 2 vol, London, 1873.

- Hans Ernst;Die mamlukischen Sultansurkunden des Sinai-Klosters, German, Wiesbaden , Harrassowitz, 1960.
- James Bentley,Secrets of Mount Sinai Hardcover – December 3, 1985.
- Vasiliev, A. A: The Empire of Trebizond in History and literature, Byzantine XV (1970- 1971).
- A.Riottot, Voyage Dans L’empire Ottoman du naturaliste Claude Granger 1733-1737, (Paris, L’Harmattan:2006).
- Thüringer Landesanstalt für Umwelt (Hrsg.): Gebiets- und Gewässerkennzahlen Verzeichnis und Karte. Jena 1998; 26 S. ,Wilfried Rettig: Die Eisenbahnen im Vogtland – Band 1: Entwicklung, Hauptstrecken, Fahrzeuge, Bahnbetriebswerke und Hochbauten. EK-Verlag, Freiburg 2001, ISBN 3-88255-686-2, S. 7.
- Isis Verlag A G,der neue grosse Weltatlas,das aktuelle Kartenbild der neuen Weltordnung, Schweiz: Isis,1991.
- Bevölkerung des Freistaates Sachsen, Statistisches Landesamt des Freistaates Sachsen, 31. Dezember 2015.
- Familiengeschichte von Holger Hartman, <http://gw.geneanet.org/hoha?n=thomas&oc=0&p=christiana+eleonora>.
- Baumann, Hans-Wolf, Constantin von Tischendorf und der Codex Sinaiticus ,11 März 2015, Gemeindenetzwerk - <http://www.gemeindenetzwerk.de>.
- Familiengeschichte von Holger Hartmann, = johann+christlieb&n=tischendorf.

- Familiengeschichte von Holger Hartmann, <http://gw.geneanet.org/hoha?n=tischendorf&oc=0&p=julius+valentin>.
- Konstantin von Tischendorf, <https://de.wikipedia.org/wiki/>
- http://research.uni-leipzig.de/catalogus-professorum-lipsiensium/leipzig/Tischendorf_1020
- Familiengeschichte von Holger Hartman, <http://gw.geneanet.org/hoha?n=von+tischendorf&oc=0&p=lobegott+friedrich+constantin>
- <http://uni.wroc.pl/o-nas/historia-i-misja-uczelnia>
- https://bibelausstellung.eduxx-irs.de/home/navi1051_1894_lebensverlauf-tischendorfs-und-seine-veroeffentlichungen.
- <https://portal.dnb.de/opac.htm?method=simpleSearch&cqlMode=true&query=idn%3D122739159>.
- Hildegard Behrend, Auf der Suche nach Schätzen : aus dem Leben Constantin von Tischendorfs, Berlin : Evang. Verl.-Anst., 1970.
- [https://de.wikipedia.org/wiki/Alexander_II._\(Russland\)](https://de.wikipedia.org/wiki/Alexander_II._(Russland)).
- [http://www.st-mary-alsourian.com/index.php?option=com_content&view=.](http://www.st-mary-alsourian.com/index.php?option=com_content&view=)
- <https://www.abjjad.com/author//books>.
- [http://www.st-mary-alsourian.com/index.php?option=com_content&view=.](http://www.st-mary-alsourian.com/index.php?option=com_content&view=)
- <http://www.worldcat.org/title/relation-du-voyage-fait-en-egypte-en-lannee-1730-ou-lon-voit-ce-quil-y-a-de-pl>.

- <https://ar.wikipedia.org/wiki/>.
- https://de.wikipedia.org/wiki/Otto_Friedrich_August_Meinardus.
- https://de.wikipedia.org/wiki/John_Gardner_Wilkinson
- https://en.wikipedia.org/wiki/Robert_Huntington.
- <https://de.wikipedia.org/wiki/Avignon>
- http://www.treccani.it/enciclopedia/giuseppe-simonio-assemani_ (Dizionario-Biografico)/.
- <https://st-takla.org/Saints/bishops/alif/isodoros-baramous.html>
- http://data.bnf.fr/en/12370549/giuseppe_simone_assemani/.
- <http://www.worldcat.org/title/relation-du-voyage-fait-en-egypte-en-lannee-1730-ou-lon-voit-ce-quil-y-a-de-pl>.
- <http://khaledelhaddar.blogspot.de/2008/11/1733-1734.htm>
- https://it.wikipedia.org/wiki/Charles-Nicolas-Sigisbert_Sonnini_de_Manoncourt
- <https://www.deutsche-biographie.de/gnd100791549.html#ndbcontent>
- https://de.wikipedia.org/wiki/Heinrich_Menu_von_Minutoli#cite_note-NDB-
- https://de.wikipedia.org/wiki/%C3%84gyptisches_Museum_Berlin
- https://de.wikipedia.org/wiki/Heinrich_Menu_von_Minutoli#cite_note-NDB-
- <http://venn.lib.cam.ac.uk/cgi-bin/search-2016>

- https://de.wikipedia.org/wiki/Edward_William_Lane
- https://de.wikipedia.org/wiki/John_Gardner_Wilkinson
- <https://babel.hathitrust.org/cgi/pt?id=hvd.32044092624766;view=1up;seq=13>
- https://de.wikipedia.org/wiki/John_Gardner_Wilkinson
- <http://ar.wikipedia.org/wiki>
- https://de.wikipedia.org/wiki/Jean_Louis_Burckhardt
- https://de.wikipedia.org/wiki/Edward_Robinson
- https://de.wikipedia.org/wiki/Ramsay_MacDonald
- <https://arz.wikipedia.org/wiki>
- <https://st-takla.org/Coptic-Faith-Creed-Dogma/Coptic-Rite-n-Ritual-Taks-Al-Kanisa./Dictionary-of-Coptic-Ritua>